مركز البحوث الإسلامية
إستانبول

تتمة الكشاف

(حاشية الجاربردي على الكشاف)

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي
(ت ٧٤٦هـ/١٣٤٦م)

تحقيق

أ.د. ضياء الدين القالش
محمد عماد النابلسي

إشراف

أ.د. محمد طه بويالق

المجلد الأول

منشورات وقف الديانة التركي

بسم الله الرحمن الرحيم

تتمة الكشاف

حاشية الجاربردي على الكشاف

مركز البحوث الإسلامية
إستانبول
سِلْسِلَةُ عيُونِ التُّرَاثِ الإسْلَامِيِّ

تَتِمَّةُ الكَشَّافِ

(حَاشِيَةُ الجَارْبَرْدِي عَلَى الكَشَّاف)

فَخْرُ الدِّينِ أَبُو المَكَارِمِ أَحْمَدُ بنُ الحَسَنِ بنِ يُوسُفَ الجَارْبَرْدِي
(ت. ٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م)

تحقيق
أ.د. ضياء الدين القالش
محمد عماد النابلسي

إشراف
أ.د. محمد طه بويالق

المجلد الأول

نَشْرِيَات وَقْفِ الدِّيَانَةِ التركي

نشريات وقف الديانة التركي
رقم النشر ١٤٣٨
نشريات إسام ٢٦٧
سلسلة عيون التراث الإسلامي ٦٢

تتمة الكشاف (حاشية الجاربردي على الكشاف)
فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي

المجلد الأول

تحقيق أ.م. ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي

تم إعداد تتمة الكشاف (حاشية الجاربردي على الكشاف)
بإشراف اللجنة العلمية للتحقيق
بـ مركز البحوث الإسلامية (İSAM) التابع لوقف الديانة التركي.
İcadiye - Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
الهاتف: 50 08 474 216 90+ www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

التحرير أوقان قدير يلماز
المراجعة العلمية محمد طه بوبالق، عبد الرحمن رضوان خرش
التدقيق النهائي لقسم الدراسة سعيد قاياجي (العربي)، مصطفى دميرآي (التركي)
التصحيح (العربي) عبد الناصر حكيمي (الإملاء والفهارس والمصادر)، نور الحيلة (الإملاء)، علي حيدر أولوصوي (الإملاء والفهارس)، آزاد سارتسانتبايوف (الإملاء)، (التركي) عيسى قايا ألب (الإملاء)، إسماعيل أزيلكين (المصادر)
التصميم علي حيدر أولوصوي، إبراهيم درويش مؤذن (تطبيق)، حسن حسين جان (غلاف)، رمزي حاج مصطفى (خط الغلاف)

تم إعداد هذا الكتاب
من قبل مركز البحوث الإسلامية (إسام / İSAM)
في إطار مشروع العصور المتأخرة من الحضارة الإسلامية.

تم طبع هذا الكتاب بقرار مجلس إدارة إسام
بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/٢٧ ورقم ٢٠٢٤/١١.

الطبعة الأولى: إستانبول، ديسمبر ٢٠٢٤م / ١٤٤٦هـ
ISBN 978-625-428-633-9 (مجموعة)
978-625-428-634-6 (المجلد الأول)

الطباعة والنشر والتوزيع
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No: 11 Yeni Mahalle / Ankara
الهاتف: 9131 354 312 90+ الفاكس: 9132 354 312 90+ bilgi@tdv.com.tr

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي
تتمة الكشاف (حاشية الجاربردي على الكشاف) / فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي؛ تحقيق: ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي. إستانبول؛ أنقرة: مركز البحوث الإسلامية (إسام)؛ وقف الديانة التركي، ٢٠٢٤.
المجلد الأول (٧٩٦ صفحة)؛ ٢٤ سم. – (نشريات وقف الديانة التركي؛ ١٤٣٨. نشريات إسام؛ ٢٦٧. سلسلة عيون التراث الإسلامي؛ ٦٢)
يحتوي على الفهارس والمصادر
(المجلد الأول) 978-625-428-634-6 (مجموعة) ISBN 978-625-428-633-9

فهرس المحتويات

[مقدمة الجاربردي]

/ بسم الله[1] الرحمن الرحيم[2] [١ظ]

وبه نستعين، ربَّنا أفرغ علينا صبرًا وثبِّت أقدامنا.[3]

أحمدُ الله تعالى على إنعامه، وأسأله مزيدَ إفضاله وإكرامه، وأستمدُّه التوفيق للشُّروع في كتاب **تتمّة الكشّاف** وإتمامه، وأصلّي على جميع الأنبياء والمرسَلين، وعلى جميع عباده الصالحين، خصوصًا على نبيِّنا رسوله محمَّد خير خلقه وأنامه، وعلى آله وأصحابه في جميع شهوره وأعوامه ولياليه وأيامه.[4]

أمّا بعدُ فيقول العبد الضعيف المُفتقِر إلى مَعونة ربِّه اللطيف أحمدُ بن الحَسن الجاربَرْدي،[5] أصلح الله تعالى شانه وصانه عمَّا شانه: سألني جمعٌ من الفُضلاء الذين شاركتُهم في البحث -أدامَ الله تعالى توفيقهم- أن أدوِّن وأرتِّب ما كنتُ أذكر في أثناء البحث على كتاب **الكشّاف** لجار الله العلّامة، شكر الله سعيه، فاستَعفيتُ[6] لِما استعنيتُ،[7] واعتذرتُ بما علِموا من كَساد سُوق القِيل والقال، وتغيُّره مِن حال إلى حال، وتأثُّر أهل الفضل بالجُهّال، ورميهم له بالنِّبال والنِّصال،[8] فالعقل يقتضي إخفاء الفضل، والحزم يُوجب إظهار الجهل؛

إذًا فـاتِّـبـاعُ الـجَـهـلِ قـد كـانَ أحـزَمـا[9]

---

[1] ن - الله.

[2] ن + وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكّلت وإليه أنيب.

[3] د - وبه نستعين، ربنا أفرغ علينا صبرًا وثبِّت أقدامنا.

[4] د - وعلى آله وأصحابه، في جميع شهوره وأعوامه ولياليه وأيامه.

[5] د: الجابردي؛ هامش د ش: قال الشيخ الإمام العالم العلامة فخر الملّة والدين الحسن الجاربردي رحمه الله.

[6] الاستعفاء: أن تَطلب إلى من يُكلِّفكَ أمرًا أن يُعفيك منه. لسان العرب لابن منظور، «عفو».

[7] ن: استعصبت. | استعنيت، أي: صرت بالكِبر كالعاني، أسيرَ المرض.

[8] ش ن: النضال.

[9] د: أجزما. | وهو عجز بيت للقاضي الجرجاني في ديوانه، ص ١٢٧. وصدره:

أأشـقـى بـهِ غَـرسًـا وأَجـنِـيـه ذِلّـةً

هذا مع ما بي من اشتغال[1] البال، وكثرةِ المَلال، وقلَّةِ المنال، وتعدُّدِ العِيال، ما للمُعيل وللمَعال،[2] وأَحسِنْ بقول مَن قال:

مـرا بـايـد صـد غَـمْ خـوار باشـد   چو من صد غم خورم دشوار باشد[3]

ثمّ إنّ الأصحاب قد كرَّروا السؤال، وأبَوا إلّا المراجعة والمقال؛ وقالوا: لِمثل هذا فليَعمل العُمّال، وذكروا أنّ الاشتغال بمُلتمَسهم مَظِنّةٌ لرضا الله تعالى، ومَئِنَّةٌ[4] لاستيضاح معجزة رسول الله عليه السلام، وأنّ التوجُّه إلى مطلوبهم كالإحياء **للكشّاف** الذي لم يسبق أحدٌ مُصنِّفَه بمثله ولا شِبهه، ولم يشقَّ أحدٌ بعده غباره، فضلًا عن أن يلحق بشأوه، ولله درُّ القائل:

إنّ التفاسيرَ في الدنيا بلا عددٍ   وليس فيها لَعَمري مثلُ كشّافِ
إن كنتَ تبغي الهُدى فالزم قراءته   فالجهلُ كالداء والكشّافُ كالشافي[5]

فإنّه كاد أن يُقرأ عليه: ﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ [يونس ٢٤/١٠]، وكان أُنشِد له:

كأن لم يكن بين الحَجونِ إلى الصفا   أنيسٌ ولم يَسمُر بمكّةَ سامرُ[6]

فاستخرتُ الله تعالى وسألته بالتضرّع والابتهال: يا ذا الإنعام والإفضال، يا ذا العظمة والجلال، أَفِض عليّ من أنوار فضلك، ويسِّر لي ما تقلّدته من إنشاء كتاب **تتمّة الكشّاف**: المحيط ببيان مشكلاته، مِن ذِكر لغاته، وحلِّ تركيباته، وشرح أبياته؛ والإشارة إلى ما يُخالف مذهب أهل السُّنّة من معتقداته،

---

[1] ن: انشغال.

[2] إشارة إلى بيت علي بن الحسين بن هندو:
مـا لـلـمُـعـيـل ولـلـمَـعـالـي إنّـمـا   يَـسـمـو إلـيـهـنَّ الـوحـيـدُ الـفـارِدُ
انظر: **الوافي بالوفيات** للصفدي، ١١/٢١.

[3] هذا بيت شعر فارسيّ، من قصّة عشق قديمة مشهورة عندهم تعرف بقصّة "خسرو وشيرين"، من نظم الشاعر النظامي الكنجوي، ومعنى البيت بحسب ما ترجمه لي الصديق الدكتور مصطفى البكور: «ينبغي لي أن أُبتلى بمئة همّ، لكنّ مثلي ينوء بحمل مئة همّ».

[4] كلُّ شيءٍ دلَّكَ على شيءٍ فهو مَئِنّةٌ له. **لسان العرب** لابن منظور، «أنن».

[5] هما للزمخشري في **معجم الأدباء** للحمَوي، ٢٦٨٩/٦، والرواية فيه «مثلُ كشافي».

[6] البيت لمُضَاض بن عمرو بن الحارث بن مُضَاض الجُرهُمي، وقد يُنسب لأبيه عمرو أو لجده الحارث. انظر: **الأغاني** للأصفهاني، ١٨/١٥؛ و**معجم الشُّعراء** للمَرزُباني، ص ٢٠٤؛ و**معجم البلدان** للحموي، ٢٢٥/٢؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «حجن». وفي الأخير "الحَجون": جبل بأعلى مكة.

مع إظهار الحقِّ وتقرير جواباته؛ والتعرُّض لبعض ما تركه من مهمَّات معاني **القرآن** وإعراباته؛ وتمييز السبعة عن الشاذِّ فيما ذكَر، مع ذِكْر ما لم يَذكر من قراءاته. وأنا أعيد سؤالي وأكرِّر دعائي: يا مُيسِّر كلِّ عسير وفِّقنا لإتمام **تتمّة الكشّاف**، إنّك على كلِّ شيء قدير.

[مقدمة الكشّاف]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أَنزل ....

[مقدمة الكشّاف]

قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم) ابتدأ به؛ لأنّ الفعل إنّما يقع على الطريقة المَرضيّة إذا كان مُصدَّرًا بذكر اسم الله تعالى؛ لقوله عليه السلام: «كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر».[1]

قوله: (الحمد لله) الحمد: الثناء بالفضيلة من نعمة وغيرها؛ تقول: حمِدته على إنعامه وإحسانه، وحمِدته على علمه وشجاعته. وكلا المعنيين مُحتمَل هنا؛ لأنّه تعالى أنعم على العباد بإنزال مثل هذا القرآن الذي فيه منافع الدين والدنيا، فأيُّ نعمة أجلُّ من هذه النعمة؟ ولأنّ إنزاله على هذا الوجه الذي عَجَز أهل الوبر والمدر بل جميع الجنّ والبشر عن الإتيان بما يوازي أقصر سورة منه أو يداني، يدلُّ على كمال القدرة والعلم؛ ﴿قُل لَّئِنِ / ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ [٢و]
عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء ٨٨/١٧]. وتمام تحقيق معنى "الحمد" والفرق بينه وبين "المدح" يذكر في أول "الفاتحة"،[2] إن شاء الله تعالى.

قوله: (أَنزَل) اعلم أنّ للقرآن إنزالًا وتنزيلًا، كما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

---

[1] مسند أحمد، ٣٢٩/١٤ (٨٧١٢)؛ سنن أبي داود، ١١٢/٥ (٤٨٤٠).

[2] سيأتي في أول (الفاتحة، ٢/١).

....

﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران ٣/١-٤]، فقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ﴾ إشارة إلى تنزيله التدريجي في زمان النبوة، وقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ إشارة إلى إنزاله الدفعي: إمّا مطلقًا أو بالنسبة كما سيتحقّق؛ فنقول:

أمّا "الإنزال" ففيه وجهان: **الأوّل**: روى سعيد بن جُبير عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر ٩٧/١] قال: «أُنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، فكان بموقع النجوم، وكان الله ينزّله على رسوله عليه السلام بعضه في إثْر بعض»؛[١] **الوجه الثاني**: قال مُقاتل: «أنزله الله من اللوح المحفوظ إلى السَّفرة وهم الكَتبة من الملائكة في السماء الدنيا، فكان ينزل ليلة القدر من الوحي على قدر ما ينزل به جبريل على النبيّ عليه السلام في السنة كلّها إلى مثلها من القابل حتى نزل القرآن كلُّه في ليلة القدر ونزل به جبريل على محمّد عليه السلام في عشرين سنة».[٢]

وأمّا "تنزيله" فعلى وجهين: عن عائشة رضي الله عنها «أنّ الحارث[٣] بن هشام سأل رسول الله عليه السلام، فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله عليه السلام: أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشدُّه عليَّ، فيُفْصِم عنّي وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثّل لي الملَك رجلًا فيكلّمني فأعي ما يقول، قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيُفْصِم عنه وإنّ جبينه ليتفصّد عرقًا».[٤]

قال الإمام التُّورِبِشتيّ رحمه الله في شرحه صلصلة الجرس:

صوت الحديد. وجملة القول فيه أن نقول:[٥] كان عليه السلام معنيًّا بالبلاغ،

---

[١] **الوسيط** للواحدي، ٥٣٢/٤ (القدر، ١/٩٧)؛ وهو بمعناه في **جامع البيان** للطبري، ١١٥/١٥ (الإسراء، ١٠٦/١٧)؛ و**معالم التنزيل** للبغوي ١٩٨/١ (البقرة، ١٨٥/٢).

[٢] **الوسيط** للواحدي، ٥٣٢/٤ (القدر، ١/٩٧).

[٣] ن: حارث.

[٤] **صحيح البخاري**، ٦/١-٧ (٢)؛ **صحيح مسلم**، ١٠٩٩/٢ (٢٣٣٣).

[٥] ن: يقال.

....

وكان يتوفَّر على الأمّة حصّتهم بقدر الاستعداد، فإذا أراد أن ينبّههم[١] بما لا عهد لهم به من تلك العلوم صاغ لها أمثلة من عالم الشهادة ليعرفوا ممّا شاهدوه ما لم يشاهدوه، فضرب لهذا في الشاهد[٢] مثلًا بالصوت المتدارك الذي يسمع ولا يفهم منه شيء، تنبيهًا على أنّ أنباءها ترد على القلب في لِبسة الجلال وأُبّهة الكبرياء، فتأخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب، وتلاقَى[٣] من ثقل القول ما لا علم له بالقول مع وجود ذلك، فإذا سُرِّي عنه وجد القول المنزل بيّنًا ملقى في الرُّوع واقعًا موقع المسموع. وهذا معنى قوله: "فيَفصِم عني وقد وعيت"، ومعنى يُفصِم، أي: يقلع عنّي كرب الوحي.

وهذا الضرب من الوحي شبيه بما يوحى إلى الملائكة، على ما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنّه عليه السلام قال: «إذا قضى الله في السماء أمرًا ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعانًا لقوله كأنّها سلسلة على صفوان فإذا ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ ٣٤/٢٣]».[٤]

هذا وقد تبيّن لنا من حديث عائشة رضي الله عنها أنّ الوحي كان يأتيه على صيغتين: **الأولى**: يتوجّه النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى عالم القدس وانسلاخه من عالم البشريّة ودخوله في عالم الملكوت وسماعه هناك، ثمّ رجوعه إلى هذا العالم حاضرًا في قلبه تلك المعاني وفي ذهنه تلك الألفاظ؛ **والثانية**: يتشكّل الملَك بشكل البشر ونزوله به عليه، وكانت هذه أيسر.[٥]

وقد قيل: النزول بمعنى الظهور، يقال: نَزل ببني فلان[٦] سرور ونزل بهم غمٌّ، ويكون بمعنى الهبوط من عُلْوٍ / إلى سُفْلٍ. والأوّل مناسب للأوّل والثاني للثاني، [٢ظ]

---

١ في الميسّر في شرح مصابيح السنّة للتوربشتي ٤/١٢٦٥: «ينبئهم» بدل «ينبههم»، ولعلّه أقرب.

٢ ن: المشاهد.

٣ كذا في جميع الأصول. ولعلها «يلاقي».

٤ صحيح البخاري، ٦/٨٠ (٤٧٠١)؛ سنن ابن ماجه، ١/١٩٣ (١٩٤)؛ سنن الترمذي، ٥/٢٧٦ (٣٢٢٣). وهو عنهم في فتوح الغيب للطّيبي، ١٢/٥٤٩.

٥ انظر: المُيسّر في شرح مصابيح السنّة للتوربشتي، ٤/١٢٦٤-١٢٦٥.

٦ ن: نزل ببني وبين فلان.

القرآنَ ....

قال الإمام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [البقرة ٩٩/٢]: «الإنزال عبارة عن تحريك الشيء من الأعلى إلى الأسفل، وذلك لا يتحقَّق إلا في الجسم، فهو على الكلام مُحال، لكن جبرئيل[١] عليه السلام لمّا نزل من الأعلى إلى الأسفل وأخبر به، سُميَ ذلك إنزالًا».[٢]

وقول عائشة رضي الله عنها: "ليتفصّد"، «أي: يسيل، يقال: انفصد الشيء وتفصّد إذا سال، كأنه شُبّه بالعِرق المفصود إذا سال عنه الدم».[٣]

قوله: (القُرآنَ) اختلفوا في اشتقاقه، فروى الواحديُّ في **الوسيط**[٤] عن محمَّد بن عبد الله بن عبد الحكم: أنّ الشافعي رضي الله عنه كان يقول: **القرآن** اسم وليس بمهموز ولم يُؤخذ من "قرأتُ" وإنما هو اسم مثل **التوراة والإنجيل**، ويُهمز "قرأتُ" ولا يهمز "القران"، كما تقول: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الإسراء ٤٥/١٧]، قال الواحدي: وقول الشافعي: «اسم لكتاب الله تعالى» يُشْبِه أنه ذهب إلى أنّه غير مشتقّ؛ وذهب آخرون إلى أنّه مشتقٌّ.[٥]

واعلم أنّ القائلين بهذا القول منهم من لا يهمزه ومنهم من يهمزه: أما الأوّلون فلهم فيه اشتقاقان:

أحدهما: أنّه مأخوذ من قرنتُ الشيء بالشيء إذا ضممتَ أحدهما بالآخَر،[٦] فهو مشتقٌّ من قَرَن، والاسم قُران غير مهموز. فسُمِّي القران قرانًا؛ لأنّ ما فيه من السُّور والآيات والحروف مُقترن بعضها ببعض، أو لأنّ ما فيه من الحكم والشرائع مقترن بعضها ببعض، أو لأنّ ما فيه من الدلائل الدالة على كونه من عند الله مقترن بعضها ببعض، أعني اشتماله على جهة الفصاحة وعلى الأسلوب الغريب

---

١ ش ن: جبريل.

٢ **تفسير الرازي**، ٢١٦/٣ (البقرة، ٩٩/٢).

٣ **الميسر في شرح مصابيح السنة** للتوربشتي، ١٢٦٥/٤.

٤ كذا ورد في جميع الأصول التي وقفت عليها. وفي مطبوع **تفسير الرازي**: «**البسيط**». وهو الصواب؛ إذ لم يرد هذا الكلام في **الوسيط**، بل هو مع زيادات وبعض اختلاف في **البسيط**، كما سيأتي عند تمام المنقول عن الرازي.

٥ انظر: **البسيط** للواحدي، ٥٧٥/٣-٥٧٦.

٦ د: الآخر.

....

وعلى الإخبار عن المغيَّبات وعلى العلوم الكثيرة، فعلى هذا التقرير[١] هو مشتقٌّ من قَرَن والاسم قُران غير مهموز.

وثانيهما: قال الفرّاء: أظنُّ أنّ القرآن سمّي من القرائن؛ وذلك لأنّ الآيات يصدّق بعضها بعضًا، على ما قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء ٨٢/٤]، وهي قرائن.[٢]

وأمّا الذين همزوا فلهم وجوه:

أحدها: مصدر القراءة، يقال: قرأت القرآن فأنا أقرؤه قَرْءًا وقِراءة وقرآنًا، فهو مصدر، ومثل القُرآن من المصادر الرُّجحان والغُفران، قال الله[٣] تعالى: ﴿إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [الإسراء ٧٨/١٧]، وهذا هو الأصل. ثمّ إنّ المقروء يُسمَّى القرآن، لأنّ المفعول يسمّى بالمصدر، كما يقال للمشروب[٤] شرابٌ وللمكتوب كتابٌ،[٥] واشتهر هذا الاسم في المقروء حتى جعل اسمًا لكلام الله تعالى.

وثانيها: قال الزَّجّاج وأبو عبيدة: إنّها مأخوذة من القَرء، وهو الجمع،[٦] قال عمرو بن كلثوم:

هِجانِ اللَّونِ لم تَقرأ جَنينا[٧]

أي لم تجمع في رحمها ولدًا، ومن هذا الأصل قُرء المرأة، وهو أيام اجتماع الدم في الرحم، فسُمي القرآن قرآنًا لأنّه يجمع السور ويضمُّها.

---

١ ن: التقدير.

٢ قول الفراء مذكور في **البسيط** للواحدي، ٥٧٧/٣. وسيأتي أنّ الكلام كلّه في تفسير الرازي.

٣ د – الله.

٤ ن: للمشرب.

٥ هي في جميع النسخ بالنصب في الموضعين: «شرابًا»، «كتابًا». والوجه الرفع.

٦ انظر: **مجاز القرآن** لأبي عبيدة، ١٧/١؛ و**معاني القرآن وإعرابه** للزَّجّاج، ٣٠٥/١.

٧ عجز بيت لعمرو، صدره:

ذِراعَيْ حُرَّةٍ أدماءَ بِكرٍ

انظر: **مجاز القرآن** لأبي عبيدة، ١٧/١؛ و**معاني القرآن** للأخفش، ١٨٨/١، و**معاني القرآن وإعرابه** للزَّجّاج، ٣٠٥/١؛ و**شرح القصائد السبع** لابن الأنباري، ص ٣٨٠. وفي الأخير: «هجان اللون: معناه بيضاء. والهجان أيضًا: الكريم من كلِّ شيء».

كلامًا مؤلَّفًا منظَّمًا، ونزَّله بحسَب المصالح ....

وثالثها: قول قُطْرُب، وهو أنه سُمِّي قرآنًا لأنّ القارئ ينبذه عند القراءة فكأنّه يلقيه من فيه، أُخذ من قول العرب: «ما قرأت الناقة سلًى قطّ»، أي: ما رمت بولد ولا أسقطت ولدًا ولا طرحت، وسُمِّي الحَيض قرءًا بهذا التأويل، فالقرآن يلفظه من فيه، أي: يلقيه، فسُمِّيَ قرآنًا.[١]

وأمّا في الاصطلاح فالقرآن: هو الكلام المنزل للإعجاز بسورة منه. قولنا: المنزل احتراز عن الكلام النفسي، فإنه لا يوصف بالإنزال ولا بالإعجاز، وسنشير إليه عن قريب إن شاء الله تعالى؛ وقولنا: للإعجاز احتراز عن الأحاديث القدسيّة
[٣و] وعن الكتب المنزلة على غير نبيّنا من الأنبياء صلوات / الله عليهم أجمعين، فإنّها ليست للإعجاز؛ وقولنا: "بسورة" لتتميم الحدِّ والإشارة إلى أنّ الإعجاز ليس بجميع القرآن بل بالبعض، والمراد بقولنا بسورة: ببعض لئلا يدور، فإنّ السورة المصطلحة تتوقَّف معرفتها على القرآن.

قوله: (كلامًا) حال مؤكِّدة، مثل: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [آل عمران ١٨/٣]، أو بدل، وساغ وإن كان نكرة من المعرفة لكونه موصوفًا، ويجوز أن يكون حالًا موطِّئة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [يوسف ٢/١٢]، وهو الصواب.[٢] ولمّا كان الكلام يُطلق على الكلام اللفظيّ وعلى الكلام النفسيّ، وأراد هنا اللفظيّ وصَفه بقوله: (مُؤلّفًا مُنظَّمًا) والتأليف: جمع الحروف البسيطة وترتيبها لتكون كلمة؛ والنظم: توخِّي معاني النحو بين الكلم،[٣] وهو أن يقع الكلام على الوجه الذي يقتضيه علم النحو.[٤]

قوله: (بحسَب المَصالح) حَسَبْتُه أحسُبُه بالضم حَسْبًا وحِسابًا وحُسبانًا وحِسابة إذا عددتَه، والمعدود محسوب وحَسَبٌ أيضًا، فهو فَعَل بمعنى مفعول،

---

[١] من قوله: "اختلفوا في اشتقاقه" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٩٢/٥-٩٣ (البقرة، ١٨٥/٢)؛ وهو مع زيادات واختلاف يسير في بعض العبارات في البسيط للواحدي، ٥٧٥/٣-٥٧٩.

[٢] ش - ويجوز أن يكون حالًا موطِّئة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾، وهو الصواب. واستدرك في الهامش ولم يُصحّح.

[٣] انظر: دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٣٦١، ٨٤، ٨٨.

[٤] انظر: دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٨١.

منجَّمًا، ....

مثل نَفَض بمعنى منفوض، وهو ما تساقط من الورق، وكالقبَض بمعنى المقبوض، ومنه قولهم: ليكن عملك بحسَب ذلك، أي: على قدْره وعدده، قال الكسائيّ: ما أدري ما حسَبُ حديثك، أي: ما قدْره، وربما سُكِّن في ضرورة الشِّعر.[١]

و"المصالح" جمع المَصلحة، والباء متعلِّق بمحذوف، والجملة حال، أي: نزَّله كائنًا على مِقدار المصالح، يريد: أنّ في كل مقدار نُزِّل كلَّ مرَّة مصلحةً في كونه على ذلك المقدار وفي ذلك الوقت، ويجوز أن يقال: تنازع فيه عاملان، أي: أنزل ونزَّل، إذ في إنزال **القرآن** ليلة القدر جملة إلى السماء الدنيا لا يبعد أن يكون مصلحة للملائكة الذين هم سكان الدنيا من السَّفرة الكرام البررة وغيرهم، أو لجبرئيل[٢] عليه السلام، فإنّه هو المأمور بالتنزيل والتأدية.

قوله: (مُنجَّمًا) النجم: هو الطالع ثمّ سُمِّي به الوقت مجازًا لكونه دليلًا عليه، ومنه قول الشافعيّ رحمه الله:[٣] «أقلُّ التأجيل نجمان»، أي: شهران أو سنتان إلى غير ذلك، ثمّ سُمِّيَ به ما يؤدّى من الوظيفة مجازًا في المرتبة الثانية، إطلاقًا لاسم المحلِّ على الحالِّ، ومنه أثر عمر رضي الله عنه: «أنّه حطَّ من مُكاتب له أوّل نجم عليه»،[٤] أي: أوّل وظيفة من وظائف بدل الكتابة، ثمّ اشتقّوا منه فقالوا: نجَّم الدية: أدّاها نجومًا، ومنه قولهم: «التنجيم ليس بشرط»، ودين مُنجَّم: جعل نجومًا، أي: وظائف وحصصًا، وأصل هذا من نجوم الأنواء، وهي منازل القمر؛ لأنّهم كانوا لا يعرفون الحساب وإنّما يحفظون أوقات السَّنة بالأنواء.[٥]

فقوله: "مُنجَّمًا" اسم مفعول مِن التنجيم المأخوذ مِن النجم المجازِ في المرتبة الثانية، والمعنى: نزّله بقدر المصالح حال كونه حصصًا ووظائف.

---

١ من قوله: "حسبته أحسبه" بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «حسب».

٢ ش ن: جبريل.

٣ د - رحمه الله.

٤ لم أقف عليه في غير **المُغرِب** للمُطرّزي.

٥ من قوله: "النجم: هو الطالع" بلفظ قريب في **المُغرِب** للمُطرّزي، «نجم».

وجعَله بالتحميدِ -أي: بسورة الفاتحة- مُفتَتَحًا، وبالاستعاذةِ مختتَمًا، ....

وهو إشارة إلى رعاية مصالح العباد، وذلك عند أهل السُّنّة بطريق التفضُّل والإحسان، وعند المُعتزلة بطريق الوجوب.[١] وسيتحقّق لك إن شاء الله تعالى أنه لا يجب على الله تعالى شيء.

قوله: (**بالتحميد**) أي: بالفاتحة؛ لأنّها تُسمّى "سورة الحمد" لما سيجيء.[٢] و(**مفتتَحًا**) اسم مفعول من الافتتاح، مفعول ثانٍ لـ"جعل"؛ لأنّه يتعدّى إلى مفعولين إذا كان بمعنى "صيَّر" كما في هذا الموضع، قال الله[٣] تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف ١٩/٤٣]، وإذا كان بمعنى "أحدث" يتعدى إلى مفعول واحد، قال الله[٤] تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام ١/٦]، والباء في "بالتحميد" مُتعلِّق بـ"مفتتحًا".

وقوله:[٥] (**بالاستعاذة**)[٦] أي: بالمُعوِّذتين، والباء متعلِّق بـ(**مختتَمًا**). وابتداؤه بالتحميد / نعمة أيضًا، إذ هو تعليم للعباد أنّهم إذا اشتغلوا بالتعليم والقراءة [٣ظ] فمن حقِّهم أن يحمدوه على هذا التوفيق، وله فوائد أخر يُذكر بعضُها في أوّل "الفاتحة" إن شاء الله تعالى.[٧] واختتامه بالاستعاذة أيضًا نعمة: إمّا لأنّ مثل هذا القرآن لمّا نزل على العباد وقرءوه وعلموه كان مَظِنَّة أن يُزِلَّهم الشيطان بإيقاع العُجب والكبر فاختُتم بالمُعوِّذتين لدفع ذلك؛ وإمّا لأنّ الكفار كانوا يُصيبون بالعين ويقصدون ذلك، قال الله[٨] تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ [القلم ٥١/٦٨]، فأنعم الله تعالى[٩] بالمُعوِّذتين لدفع ذلك.

---

١ انظر لهذه المسألة: **شرح الأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبار، ص ٧٧٩-٧٨٠؛ و**الإرشاد** للجويني، ص ٢٨٧-٣٠٠؛ و**الاقتصاد في الاعتقاد** للغزالي، ص ١٢٦-١٢٧.

٢ سيأتي في تفسير (الفاتحة، ٢/١).

٣ د ش - الله.

٤ د ش - الله.

٥ ن: قوله.

٦ هامش د: بالتعويذ. خ [اختصارًا من "نسخة"].

٧ سيأتي في تفسير سورة الفاتحة، ٢/١.

٨ د ش - الله.

٩ د ش - تعالى.

وأَوْحاه على قسمين: متشابهًا ومحكَمًا، ....

قوله: (وأَوحاه) الوحي: الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام[١] والكلام الخفيّ، يقال: وحيت إليه الكلام وأوحيت، وهو أن يكلِّمه[٢] بخُفية. ووجه خفاء الوحي: إمّا ما مرَّ من أنّه يَرِد على القلب في لِبسة الجلال وأُبَّهة الكبرياء، فتأخذ هَيبة الخطاب بمجامع القلب، ويلقى من ثقل القول[٣] ما لا علم له بالقول مع وجود ذلك، فإذا سُرّي عنه وجد المُنزَل بيّنًا مُلقى في الرُّوع واقعًا مَوقعَ المسموع؛[٤] وإمّا كونه خفيًّا عن غير المُوحى إليه من الحاضرين. ومحلُّ (على قسمين) نصب حال،[٥] فـ"على" مُتعلِّق بمحذوف.

(مُتشابهًا ومُحكَمًا) نصب إمّا بدل من محلِّ الجارِّ والمجرور أو بتقدير أعني. والمُحكَم المتَّضح المعنى والمُتشابه مقابله؛ واللفظ الذي يُفيد معنى: إمّا ألّا يحتمل غيره وهو النصّ، أو يحتمل غيره وهو على ثلاثة أقسام: لأنه إمّا أن تكون إفادته لذلك المعنى راجحًا، وهو الظاهر؛ أو مُساويًا لغيره، وهو المُجمَل؛ أو مرجوحًا، وهو المُئوَّل.

إذا عرفت هذا فنقول: النصُّ والظاهر يشتركان في رجحان الإفادة: إلا أنّ النصَّ راجح مانع من الغير، والظاهر راجح لا يَمنع من الغير، والقَدر المشترك بينهما هو المُحكم، وأمّا المُجمَل والمُئوَّل فهما يشتركان في أنّهما غير راجحين، إلا أنّ المُجمَل غير راجح وغير مرجوح، والمُئوَّل غير راجح وهو مرجوح، إلا بحسب الدليل المُنفصل، والقدر المُشترَك بينهما هو المتشابه.

ثمّ إنّ إيحاءه على قسمين نعمة عظيمة أيضًا: أمّا المُحكَم فلِما فيه من الفوائد الجمّة من العِلم بالله تعالى وصفاته وأحكامه إلى غير ذلك؛ وأمّا المُتشابه فلأنّهم يؤمنون به ويعتقدون حَقيَّة ما هو المراد منه من غير العلم بتفاصيله، فهو أَدخَل في الإيمان بالغيب، وأيضًا إذا علم الراسخون في العلم -بسبب[٦]

---

١ ن: الإشارة والإلهام والكتابة والرسالة.

٢ ن: تكلمه.

٣ ن: الكلام.

٤ مضى آنفًا.

٥ وفي هامش د: من مفعول "أوحاه".

٦ د - بسبب.

وفصَّله ....

تتبُّع العلوم والسماع والرياضات وتصفية النفس المُعينة على ورود الإلهامات- ما هو المعنى من المُتشابه حصل لهم المرتبة الجليلة وثبت لهم المَنقبة والفضيلة، وتميَّزوا ممَّن ليس في مرتبتهم، وتشرَّفوا دون مَن ليس في منزلتهم بأن يقال في حقِّهم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران ٣/٧].

قوله: **(وفصَّله)** من التفصيل بمعنى التبيين، ومنه المُفصَّل نقيض المُجمل، أو هو من قولهم: عِقدٌ مُفصَّل، جُعل بين لؤلؤتين خَرَزة. وهذا الوجه أولى؛ لقوله: "ميَّز بينهنَّ بفُصول وغايات". والخَرَز بالتحريك: الذي يُنظَم، الواحدة خَرَزة، وخَرَزات المَلِك: جواهر تاجه. شُبِّه **القرآن** بالعِقد من الجواهر بين كلّ جوهرتين لؤلؤة، فالسوَر كالجواهر والبسملة في الأوساط كاللآلئ، ثمّ الآيات كالجواهر والفصول والغايات كاللآلئ، بطريق تشبيه المُركَّب بالمُركَّب لا تشبيه المفرَد بالمفرَد.

[٤و] واعلم أنّ وجه التشبيه إمّا أن يكون / واحدًا أو غير واحد. وغير الواحد: إمّا أن يكون في حكم الواحد بأن يكون المقصود حقيقة ملتئمة منها أو لا يكون في حكم الواحد. **الأوّل**: كالخدِّ إذا شبّهته بالورد في الحمرة؛ **والثاني**: كقول الشاعر:

وكأنّ أجرامَ النجوم لوامعًا ... دُررٌ نُثِرْنَ على بِساطٍ أزرقِ[1]

ليس المُراد تشبيه النجوم بالدُّرر ثمّ تشبيه السماء بالبِساط الأزرق، إنّما المُراد تشبيه الهيئة الحاصلة من النجوم المتلألئة في جوانب السماء المُظهِرة للزُّرقة الصافية، بالهيئة الحاصلة من دُرر منثورة على بساط أزرق، ويُسمّى هذا تشبيهَ المركَّب بالمركَّب؛ **والثالث**: كقول الشاعر:

كأنّ قُلوبَ الطير رَطْبًا ويابِسًا ... لدى وَكرها العُنّابُ والحَشَفُ البالي[2]

---

[1] البيت لأبي طالب الرَّقي. انظر: **أسرار البلاغة** للجرجاني، ص١٥٩، ١٧٢، ١٩٣؛ **ونهاية الأرب** للنويري، ١/٣٣؛ **والإيضاح** للقزويني، ص ٣٤٦.

[2] البيت لامرئ القيس ديوانه، ص ٣٨. وهو له في **أسرار البلاغة** للجرجاني، ص ١٩٢؛ **ونهاية الإيجاز** للرازي، ص ٧٩، ١١٨.

سُورًا وسُوَرَهُ ....

يصف عقابًا، والحَشف: أردأ التمر، وفي المثل «أحشَفًا وسُوء كِيلَة»،[١] ويُسمَّى هذا تشبيه المفرد بالمفرد، إذ ليس لمُضَامَّة الرَّطْب مِن القلوب إلى اليابس منها هيئة يُقصد ذِكرُها.[٢]

إذا عرفتَ ذلك فنقول: المُراد تشبيه الهيئة الحاصلة من السوَر المتوسِّط بينها البسملة، ومن الآيات المتوسِّط بينها الفصول والغايات؛ بالهيئة الحاصلة من الجواهر النفيسة المُفصَّلة باللآلئ.

قوله: (**سُوَرًا**) جمع سورة، والسورة: هي الطائفة من **القرآن** المترجَمة التي أقلُّها ثلاث آيات. وفيها أبحاث تذكر في قوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ﴾ [البقرة ٢٣/٢]، إن شاء الله تعالى.[٣] وهي مفعولٌ ثان لـ"فصَّل"، ضمّنه معنى التصيير، أو منصوبٌ بنزع الخافض، أي: إلى سور، أو حالٌ.

قوله: (**وسُوَرَه**) عطف على الضمير المنصوب، أي: فَصَّل سُوَره (**آياتٍ**)، «والآية أصلها أَوَيَة بالتحريك، قال سيبويه: موضع العين من الآية واو؛ لأنّ ما كان موضعَ العين واو واللام ياء أكثر ممّا موضعُ العين واللام منه ياءان، فمثل شوَيت أكثر من حَيِيت، وهي في اللغة: العلامة»،[٤] قال تعالى: ﴿عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ﴾ [المائدة ١١٤/٥] أي: علامة منك لإجابتك دعاءَنا، وكلُّ آية مِن كتاب الله علامة ودلالة على المضمون فيها. وقال أبو عُبيدة: «معنى الآية أنّها علامة لانقطاع الكلام من الذي قبلها، وانقطاعه من الذي بعدها».[٥] وقال ابن السِّكِّيت: يقال: «خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم لم يَدَعوا وراءهم شيئًا»،[٦]

---

[١] **مجمع الأمثال** للميداني، ٢٠٧/١؛ **المستقصى** للزمخشري، ٦٨/١.

[٢] من قوله: "واعلم أنّ وجه التشبيه" مُلخَّص مع زيادة يسيرة في آخره من **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص٤٤١-٤٤٥؛ وبعضه في **أسرار البلاغة** للجرجاني، ص ١٩٢-١٩٣.

[٣] انظر كلامه فيما سيأتي في تفسير سورة البقرة، ٢٣/٢.

[٤] **الصحاح** للجوهري، «أيي».

[٥] **الزاهر** لابن الأنباري، ١٧٢/١.

[٦] **إصلاح المنطق** لابن السِّكِّيت، ص ٣٠٤. وقد حكاه فيه عن أبي عمرو بن العلاء.

....

وعلى هذا القول معنى الآية مِن كتاب الله تعالى: جماعة حروف دالَّة على معنى مخصوص.

وقال جار الله العلّامة في **الكشّاف**: «فإن قلتَ: ما[1] بالهم عدُّوا بعض هذا الفواتح آية دون بعض؛ قلتُ: هذا عِلم توقيفيٌّ لا مجال للقياس فيه كمعرفة السوَر. فإن قلتَ: فكيف عُدَّ ما هو في حُكم كلمة واحدة آية؛ قلتُ: كما عُدَّ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الرحمن ٥٥/١] وحده، و﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن ٥٥/٦٤] آيتين على طريق التوقيف».[2]

هذا حاصل ما ذكره هؤلاء الفحول في معنى الآية، وليس فيه تعريف لها يصلح أن يعوَّل عليه. والذي سَنح لنا في تعريفها أن يقال: "الآية": كلام مِن القرآن عُلم بالتوقيف انقطاعه معنًى ممّا قبله وممّا بعده غير مشتمل على[3] كلام عُلم بالتوقيف انقطاعه ممّا قبله وممّا بعده.

فقولنا: "كلام" كالجنس، والمراد به المركّب من الحُروف والحَركات، ليشمل الكلمة. وقولنا: "من القرآن" ليخرج غير القرآن، وقولنا: "عُلِم بالتوقيف انقطاعه ممّا قبله وممّا بعده" احتراز من بعض الآية. وقولنا: "معنى" إشارة إلى أنّ المُعتبَر الانقطاع المعنويّ لا اللفظيّ، فإنّه يجوز أن يكون مُتَّصلًا بما قبله لفظًا؛ بأن يكون مُنزَّلًا / معه. والمراد مِن الانقطاع المعنويّ: أن يكون حكم [٤ظ] القرآن مُجرى عليه بانفراده، كحُرمة الحمل والقراءة للجُنُب والحائض إلى غير ذلك. وقولنا: "غير مُشتمل"... إلخ، احتراز عن السورة والعَشر إلى غير ذلك؛ فإنّها كلام عُلم بالتوقيف انقطاعه ممّا قبله وممّا بعده لكنّه مُشتمل على كلام عُلم انقطاعه؛ فلا يكون آية.

قال الإمام في **التفسير الكبير**:

لقائل أن يقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة ١/٢] كلام تامٌّ، إلّا أنّ قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ﴾ [الفاتحة ١/٣-٤] متعلّق بما قبله؛ لأنّها صفات

---

١ ن: فما.

٢ **الكشّاف** للزمخشري، (البقرة، ٢/١).

٣ هامش د + على مثل ذلك الكلام. خ [اختصارًا من "نسخة"].

آياتٍ، وميَّز بينهنَّ بفصولٍ وغايات، وما هي إلَّا صفاتُ مبتدَأٍ ....

والصفات تابعة للموصوفات، فإن جاز قطع الصفة عن الموصوف وجعلُها وحدها آية فلمَ لم يقولوا: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ آيةٌ، ثمّ يقولوا: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ آيةٌ ثانية؟ وإن لم يجز ذلك فكيف جعلوا ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الرحمن ١/٥٥] آيةً مُستقلّة؟ فهذا الإشكال لا بدَّ من جوابه.[١]

هذا كلامه.

وأنا أقول: جوابه ما مرَّ من أنّه توقيفيٌّ لا مجال للقياس فيه.

قوله: **(وميَّز بينهنَّ)** أي: بين الآيات **(بفُصول)** هو جمع فَصْل، والفَصْل: الوقف، فهو اسم معنًى. و"الغاية": آخر الآية، فهي اسم عين. وقد يجتمع الوقف والغاية، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة ٢/٣]. وقوله: "وميَّز"... إلخ، إشارة إلى أنّها توقيفيّة.

قوله: **(وما هي إلّا صفات مبتدَأ)** قال المُطرّزيُّ في **المُغرِب**: «بدأه إذا أنشأه، وابتدأ الأمرَ أخذ فيه أو فعله ابتداء، ولا يقال: ابتدأ زيدًا ولا بدأه؛ لأنّهما لا يُعلَّقان بالأشخاص كالإرادة، ثمّ قال فيه: وقوله: فإن كان السَّبُع ابتدأه، أي: ابتدأ أخذه أو عضَّه، على حذف المضاف. ومثله: ولا يبتدئ أباه من المشركين».[٢] أقول: ويظهر لك من هذا أنّ قوله: "مبتدأ" أصله: مبتدَأ جعلُه أو خلقُه، ثمّ حُذف المضاف وأُقيم[٣] المضاف إليه مُقامه فاستتر. و"أبدعتُ" الشيء وابتدعته، أي: اخترعته لا على مثال. و"الخَرْع": الشَّقُّ، يقال: خرعته فانخرع، واخترع كذا، أي: اشتقَّه، ويقال: أنشأه. و"السِّمة": العلامة، أي: ليس التأليف والتنظيم والتنجيم والافتتاح والاختتام إلا صفاتِ ما يكون مُحدَثًا. يُشير إلى الاستدلال على مذهبه وهو حدوث الكلام. فنقول: اتّفق المسلمون على كونه تعالى مُتكلِّمًا، لكنّهم اختلفوا في معناه:

فذهبت[٤] المُعتزِلة إلى أنّ معناه كونُه موجدًا لأصوات دالّة على معانيَ مخصوصة في أجسام مخصوصة. ونحن ما ننازعهم في المعنى؛ لأنّا نعتقد

---

١ **تفسير الرازي**، ١/١١٠، (الفاتحة ١/١).

٢ **المُغرِب** للمُطرّزي، «بدأ».

٣ ن: فأقيم.

٤ ن: فذهب.

مبتَدَع، وسِمَاتُ مُنشَأٍ مُختَرَع، فسبحان مَن استَأثَرَ بالأوَّلية والقِدَم، ....

أنّ جميع الحوادث واقعة بقدرة الله تعالى، ونُسلِّم أنّ خلق الأصوات في الأجسام الجماديّة والحيوانيّة جائز،[1] بقي[2] النزاع في أنّ اسم المُتكلِّم هل وضع في اللغة لهذا المعنى أم لا؟ وهذا بحثٌ لغويٌّ لا حظَّ للعقل فيه.

وأمّا أهل السُّنّة فقد اتّفقوا على أنه تعالى ليس بمتكلِّم بالكلام الذي هو الحروف والأصوات، بل زعموا أنّه[3] تعالى مُتكلِّم بكلام النفس. والمعتزلة يُنكرون هذه الماهيّة، وبتقدير الاعتراف بها يُنكرون اتصاف ذاته تعالى بها، وبتقدير ذلك يُنكرون كونها قديمة. أمّا بيان أنّ الكلام مغاير لهذه الحروف والأصوات فلأنّ الألفاظ الدالّة على الأمر مختلفة بحسب اختلاف اللغات، وحقيقة الأمر ماهيّة واحدة لا تختلف بحسب اختلاف اللغات، فثبت معنًى غيرُ الحروف والأصوات شبيه بما أشار إليه الشاعر بقوله:[4]

إنّ الكلام لَفي الفؤاد وإنّما جُعِلَ اللسانُ على الفؤاد دليلا[5]

وأمّا بيان قيامه بذاته تعالى فلاستحالة قيام الصفة بغير ذات الموصوف، [٥و] / وأمّا كونه قديمًا فلاستحالة قيام الحوادث بذاته تعالى. فالحاصل أنّ الذي ذهبوا إليه وقالوا بحدوثه لا نُنازعهم فيه، لكنّا نُثبت أمرًا آخر وهم ينازعوننا فيه.

وأمّا الحنابلة فلهم مُخالفة مع الفريقين؛ لأنّهم نفَوا كلام النفس وقالوا بقِدَم الحُروف والأصوات، وبطلان مذهبهم ظاهر.[6]

قوله: (**فسُبحانَ مَن استأثر**) أصل هذا التركيب: فأُسبّح[7] من استأثر سُبحان، ثمّ حُذِف الفعل وقُدِّم سُبحان وأضيف، واستأثر فلان بالشيء: استبدَّ به وتفرَّد كأنّه اختاره لنفسه. والمراد بـ(**الأوّليّة**): كونه سابقًا على جميع الموجودات، وبـ(**القِدم**):

---

[1] ن: جائزة.

[2] ن: فبقي؛ هامش ن: بقي.

[3] ن: أن الله.

[4] ن - بقوله.

[5] البيت للأخطل في ديوانه، ص ٥٦٠.

[6] انظر في الكلام على هذه المذاهب: **الإنصاف** للباقلاني، ص ١٠١-١٠٥؛ و**الفِصَل** لابن حزم، ١١/٣؛ و**الإرشاد** للجويني، ص ٩٩-١٠٨؛ و**تبصرة الأدلة** للنسفي، ص ٣٩٣.

[7] ش ن: وأسبح.

وَوَسَم كُلَّ شيءٍ سِوَاهُ بالحُدوثِ عن العَدَم، أنشأه كتابًا سَاطِعًا تِبيانُه، ....

ألَّا يتقدَّم عليه العدم. ويقال: "وَسَمه"، أي: أثَّر فيه بسِمة وكَيٍّ، شبَّه نقصان الحدوث والافتقار إلى الغير بالكيّ. وقوله: **(عن العدم)** إشارة إلى الحدوث الزمانيّ، فإنّ **(الحدوث)** يطلق بمعنيين: **أحدهما**: الحاجة إلى الغير، ويُسمَّى حدوثًا ذاتيًا؛ **والثاني**: كون الوجود مسبوقًا بالعدم، ويُسمَّى حدوثًا زمانيًا. و"الفاء" لترتيب هذا الحكم على ثبوت حدوث الكلام. وأشار بما قال إلى أنّ القِدم مختصٌّ به تعالى، فلا تكون له صفات زائدة على الذات، إذ لو كانت لكانت قديمة فلا يكون القِدم مخصوصًا به تعالى كما هو مذهبهم. لكن ما ذكره لا يدلُّ عليه، وشُبههم المذكورة في مواضعها[١] مردودة عليهم.

قوله: **(أنشأه)** بدل من "أنزل"، يقال: أنشأه الله، أي: خلقه. فقوله: **(كتابًا)** حال، وإن قلنا: ضمّن "أنشأ" معنى "صيَّر" فيكون "كتابًا" مفعولًا ثانيًا. و"سطع" الغبار والرائحة والصُّبح يسطَع سطوعًا، أي: ارتفع، والسَّطيع: الصُّبح. و"التِّبيان": البيان مصدر، وهو شاذٌّ؛ لأنّ المصدر على التَّفعال إنّما يجيء بفتح التاء مثل التَّكرار والتَّكثار، ولم يجئ بالكسر إلا لفظان التِّبيان والتِّلقاء. يريد أنّ ما فيه من البيانات والتقريرات واضح جليٌّ، شَبّه **القرآن** بالصبح ثمّ ذكره وأراد الصبح، فيكون استعارة بالكناية، فإنّ الاستعارة بالكناية[٢] هو أن يُذكر المشبَّه، والاستعارة المُصرَّح بها هو أن يُذكر المشبَّه به، وقرينة هذه الاستعارة هو قوله: "ساطعًا"، لأنّه يُستعمل في الصبح، ووجه الشَّبه أنّه كما تندفع بالصبح الظلمة تندفع **بالقرآن** ظُلمة الكفر، ووجه حُسن هذه الاستعارة أنّه كما يَطلع الصبح شيئًا فشيئًا ويَدفع ظُلمة الليل قليلًا قليلًا -قال الشاعر:

وأزرقُ الصُّبحِ يبدو قبل أبيضه   وأوّل الغيثِ طَلٌّ ثمّ يَنسكبُ-[٣]

نزلَ **القرآن** مُنجَّمًا وأزالَ شُبَه الكفر والضلالة.

---

١ ن: موضعها.

٢ ن - فإن الاستعارة بالكناية.

٣ البيت للبحتري في ديوانه، ١٧١/١، والرواية فيه: «وأزرق الفجر يأتي... وأول الغيث قطر...».

قاطعًا بُرهانُه، وَحْيًا ناطقًا ببيّناتٍ وحُجَج، قرآنًا عَربيًّا غيرَ ذي عِوَج، ....

قوله: (**قاطعًا بُرهانه**) شبَّه براهينه بالسيف القاطع. والمذكور في **الصحاح** يُشعر بأنّ البُرهان فُعلال؛[1] لذكره له في باب النون وقوله بعد ذلك: "يقال:[2] برهن عليه".[3] والظاهر أنه فُعلان لعدم فُعلال، وأمّا قولهم:[4] برهن فاشتقاق جَعْلي كحَولَق وسَبحَل.

قوله: (**ناطقًا ببيّنات**) شبّه إفادة القرآن البيّناتِ والحججَ بنطق الناطق، ثمّ قال: "ناطقًا" وأراد "مفيدًا"، فيكون استعارة تبعيّة، وبان الشيء بيانًا: ظهر، فهو بيّن، وبان الشيء عن الشيء: انفصل وانقطع، بينونةً فهو بائن، والبيّنة: الحُجّة، فيعلة من البَينونة أو البيان. فإن قلنا: البيّنات هنا بمعنى الحُجَج جمع بينة وهي الحجّة، يكون قوله: "وحجج" كالتّكرار. وإن قلنا: / هي جمع بيّنة تأنيث بيّن، يكون قوله: "ببيّنات" [٥ظ] إشارة إلى التقريرات[5] الواضحة، وقوله: (**وحُجَج**) إلى البراهين القاطعة، فيكون هذا الكلام مشتملًا على المعنى المذكور في قوله: "ساطعًا تبيانه قاطعًا برهانه".

قوله: (**عربيًّا**). قال في **المُغرِب**: «العربيُّ واحد العَرَب، وهم الذين استوطنوا المدن والقرى العربيّة، والأعراب أهل البَدو، واختُلف في نسبهم والأصحُّ أنهم نُسبوا إلى عَرَبة بفتحتين، وهي من تهامة؛ لأنّ أباهم إسماعيل عليه السلام نشأ بها».[6] وأنا أقول: لمّا صار العرب اسمًا لهذا القوم يُنسب إليهم ويقال: شخص عربيٌّ وقرآن عربيٌّ وكلام عربيٌّ ولغة عربيّة.

قوله: (**غيرَ ذي عِوَج**) أبلغُ من "غير مُعْوَجّ"؛ لأنّ الشيء إذا كان في بعض أطرافه أدنى انحراف وانعطاف[7] لا يقال: هو مُعْوَجٌّ ويقال: هو ذو اعوجاج، «قال ابن السِّكّيت: كل ما كان يَنتصب كالحائط والعود قيل: فيه عَوَج بالفتح، والعِوَج ما كان في أرض أو دِين أو مَعاش».[8]

---

١ د: فعلان.

٢ ن – يقال.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «برهن».

٤ ن: قوله.

٥ ن: التقديرات.

٦ **المُغرِب** للمُطرّزي، «عرب».

٧ ن: أو انعطاف.

٨ **الصحاح** للجوهري، «عوج». وانظر: **إصلاح المنطق** لابن السكّيت، ص ١٦٤.

مِفتاحًا للمنافعِ الدِّينيةِ والدُّنياوية، مِصْداقًا لِمَا بين يديهِ من الكُتُبِ السماويَّة، مُعْجِزًا باقيًا دُونَ كُلِّ معجِزٍ على وَجهِ كُلِّ زَمَان، دَائِرًا مِن بين سائر الكُتبِ ......

قوله: (**مِفتاحًا للمنافع**) النفع ضدُّ الضُّرِ والاسم المنفعة وجمعها المنافع. ويجوز في النسبة إلى الدنيا دُنْيِيٌّ ودُنَيَوِيٌّ و"دُنياوِيٌّ"،[١] وإنّما اختار الأخير ليوافق (**السماويَّة**). وأصل سَماء سَماوٌ، قُلِبت الواو همزة لوقوعها طرفًا بعد ألف زائدة، فلمّا زالت الطرفيّة في النسبة عادت الواو؛ وإنّما كان مفتاحًا لها؛ لأنّ جميع الأحكام تُعلم من الكتاب إمّا بوسط أو بغير وسط؛ لأنّ الإجماع والقياس لا بدَّ لهما من السَّند إما الكتاب أو السُّنَّة، والسُّنَّة أيضًا من الوَحي: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم ٣/٥٣-٤].

قوله: (**مِصداقًا**) يقال: هذا مِصداق هذا، أي: ما يصدِّقه، وأصل قولهم: (**بين يديه**) أن يُستعمل في المكان، أي: بين الجِهتين المُحاذيتين لليدين وهو المقابل، ثمّ يُستعمل في الزمان ويُراد به المُتقدِّم.

قوله: (**من الكُتب السماويّة**)؛ لأنّها نازلة منها.

قوله: (**مُعجزًا**) والمُعجِز: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدِّي.[٢]

قوله: (**دونَ**) إمّا بمعنى "بعد" فيكون ظرفًا، أو بمعنى "غير" فيكون حالًا؛ فنقول: إن كان المراد بقوله: "كلّ معجز" معجزاتِ غير نبيّنا فالمناسب أن يكون بمعنى "غير"، وإن كان معجزاتِه عليه السلام فناسب أن يكون بمعنى "بعد". والتحقيق أنّ في "دون" معنى المجاوزة، يتحقَّق ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة ٢٣/٢].

قوله: (**على وجه كلّ زمان**) يجوز أن يريد بالوجه: الخدَّ، أي: هو زينة الزمان وحسنة الدهر كالخال في الوجه الحَسَن، ويجوز أن يريد بالوجه: الأوّل.

---

١ انظر في وجوه النِّسبة إلى "دنيا" وأشباهها: **كتاب سيبويه**، ٣٥٣/٣؛ و**شرح الرضي على الشافية**، ٤٠/٢؛ و**ارتشاف الضَّرَب** لأبي حيان الأندلسي، ٦٠٦/٢.

٢ هامش د ش: على سبيل التحدّي.

على كُلِّ لسانٍ في كلِّ مكان، أفحم به مَن طُولِبَ بمعَارَضَته من العَرَب العَرْباء، وأبكم به مَن تحدّى به من مَصاقعِ الخُطباء، فلم يَتَصدَّ للإتيان بما يُوازيه أوْ يُدانيه وَاحِدٌ من فصحائهم، ولم ينهَضْ لمِقْدارِ أَقْصَرِ سُورَةٍ منه ناهِضٌ مِن بُلغائهم،

قال الشاعر:

مَن كان مَسرورًا بمقتلِ مالكٍ   فليأتِ نسوتَنا[١] بوَجه نهارِ[٢]

أي: هو ظاهر بيّن كالذي يكون في أوّل الشيء ظاهرًا غير مستتر به.

قوله: (**على كلّ لسان**)؛ لأنّ المخالفين للدين يقرءونه أيضًا ويتعلّمونه؛ لغرابة نظمه وعذوبة لفظه.

قوله: (**أَفحم**)[٣] يقال: كلّمته حتّى أفحمته، أي: أسكتُّه في خصومة أو غيرها. و"العرب" العاربة[٤] و(**العرب العَرباء**): هم الخُلّص منهم، أُخذ من لفظه فأُكِّد[٥] به، كقولهم: "ليلٌ أَلْيَلُ".[٦] و"البَكَم":[٧] الخَرَس. و(**تحدَّى**) النبيّ عليه السلام مَن بُعث إليهم، أي: طلب منهم أن يُعارضوه ويُباحثوه ليَظهر لهم صدقه، وهو في الأصل طلب الحُداء.[٨] و"صَقَع" الديك: صاح، وخطيب / مِصْقَع،[٩] أي: بليغ. [٦و]

قوله: (**فلم يَتصدَّ**) مُسبَّب عن قوله: "أفحم" و"أبكم"، وتصدّى له، أي: قابله، قيل: هو من الصَّدى؛ لأنّه يقابل كلَّ سائر في المفازة.

قوله: (**بما يُوازيه**) أي: يُحاذيه، يقال: هو بإزائه، أي: بحذائه.

قوله: (**ولم يَنهض**) المبالغة فيه أكثر منها في قوله: "فلم يَتصدَّ"؛ لأنّ عدم النهوض وهو القيام أدلُّ على عجزهم من عدم المقابلة. وكذا التقييد بـ(**أقصر سورة**). وأيضًا ذَكر هنا "البليغ" وهناك "الفصيح"، والبليغ أقوى مرتبةً من الفصيح؛

---

١ هامش د: جِلَّتنا.
٢ البيت للربيع بن زياد العبسي في **شرح الحماسة** للمرزوقي، ٢/٩٩٥.
٣ في هامش د: أي الله والرسول.
٤ ن + العرباء.
٥ ن: وأكد.
٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «عرب».
٧ ن: البكمة.
٨ ن: الحداءة. | وفي هامش د: أي الغناء.
٩ وفي هامش د: يقال: شاعر مُفلِق وخطيب مصقع.

على أنهم كانوا أَكثرَ من حصَى البَطْحاء، وأَوْفرَ عَدَدًا مِن رِمَال الدَّهْنَاء، ولم يَنْبِضْ مِنْهُم عِرْقُ العصبيَّة، مع اشتهارِهم بالإفراط في المُضادَّة والمُضَارَّة، وإِلقائهم الشرَاشرَ على المعازَّة والمُعارَّة، ولقائِهم دُون المناضَلة عن أَحْسابهم الخُططَ،

إذ البلاغة: «بلوغ المُتكلِّم في تأدية المعنى حدًّا له اختصاص بتوفية خواصِّ التراكيب حقَّها وإيراد أنواع التشبيه والمَجاز والكِناية على وجهها».[١] فهي شاملة للمعاني والبيان. والفصاحة ليست كذلك، بل هي إمّا من تتمّة علم المعاني أو البيان.[٢] والفصاحة:[٣] «قسمان: راجع إلى المعنى: وهو خلوص الكلام عن التعقيد؛ وراجع إلى اللفظ: وهو أن تكون الكلمة عربيّة أصليّة».[٤]

والحاصل أنّه لمّا كان الكتاب بالغًا إلى حدِّ[٥] الإعجاز، وتبيّن لهم في أوّل الأمر أنّهم قاصرون عن معارضته لم يتصدَّ أحد منهم لذلك، بل لم يقم[٦] لمقدار أقصر سورة، بل (**لم يَنبِض**) أي: لم يتحرَّك "عِرق تعصُّبهم".[٧] والأبطح و(**البَطحاء**): مَسيل واسع فيه دُقاق الحصى، ومنه بَطحاء مكّة. و(**الدَّهناء**) بالمدّ: علم موضع، وبالقصر: اسم امرأة. وقوله: (**مع اشتهارهم بالإفراط**) أبلغُ من أن يقال: مع إفراطهم؛ لأنّ اشتهارهم به يدلُّ على تكرُّره منهم وتعوُّدهم له، ولذلك[٨] كان عطف "إلقائهم" و"لقائهم" و"ركوبهم" على "الإفراط" أَولى من العطف على "اشتهارهم". و(**المُضارَّة**): الضِّرار وهو الضَّرر في مقابلة ضرر الغير. و(**الشَّراشِر**): الأثقال، الواحد شُرشُرة، و"ألقى" عليه شَراشِره، أي: جملته ونفسه، واهتمَّ به غاية الاهتمام. و(**المُعازَّة**): المُغالبة ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [ص ٢٣/٣٨]. و(**المُعارَّة**) من المَعرَّة: وهي الفساد، من عارَّ الظَّليم[٩] إذا صاح. و(**الخُطط**): الأمور العظام، وهي مفعول "لقائهم"، أي: مع اشتهارهم بلقائهم الأمور العظام عند المُدافعة عن أحسابهم.

---

١ **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٥٢٦.

٢ د: والبيان.

٣ ن: أو الفصاحة.

٤ **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٥٢٦.

٥ ن – حد.

٦ ن: يقم.

٧ ن: بعضهم.

٨ ن: وكذلك.

٩ ن: الظلم.

ورُكوبِهم في كلِّ ما يَرُومُونَه الشَّطَط، ....

«والحَسَب: ما يَعدُّه الإنسان من مفاخر آبائه، ويقال: حَسَبه دينه، ويقال: ماله، والرجُل حَسيب، وقال ابن السِّكِّيت: الحَسَبُ والكرم يكونان في الرجُل وإن لم يكن له آباء لهم شرفٌ، قال: والشرف والمجد لا يكون إلا بالآباء».[١] قال المُصنِّف في **الفائق** في تفسير قوله عليه السلام:

> «الحَسَبُ المالُ، والكرمُ التقوى»:[٢] هو ما يعدُّه من مآثره ومآثر آبائه، ومنه قولهم: من فاته حسب نفسه لم ينتفع بحسب أبيه. قال ذو الرُّمَّة:
>
> لـه قـدمٌ لا يُـنكرُ الـنـاسُ أنّـهـا   مع الحَسَبِ العاديّ طَمَّتْ على البحرِ[٣]
>
> والعادي: القديم. وطمَّت: غَلبت. وقال المُتَلمِّس:[٤]
>
> ومَن كان ذا نَسبٍ كريمٍ ولم يكنْ   له حَسَبٌ كان اللئيمَ المُذمَّما[٥]
>
> وفي حديث عمر: «من حسب الرجل نقاء ثوبيه»[٦] والمعنى أنّ ذا الحسب الفقير لا يُوقر ولا يُحتفل به، ومن لا حسب له[٧] إذا رُزق الثروة[٨] وُقِّر وجدَّ[٩] في العيون، وفي حديث آخر: «حسب الرجل خلقه وكرمه دينه».[١٠]

قوله: (**يَرومُونه**) الرَّوم: الطلب. و(**الشَّطط**): مجاوزة القدر في كلِّ شيء وفيه مبالغة، فكأنهم يجعلون مركبهم مجاوزة الحدِّ في طلب كلِّ ما يطلبونه.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «حسب». وكلام ابن السكّيت بلفظ قريب في **إصلاح المنطق**، ص ٣٢١-٣٢٢.

٢ **مسند أحمد**، ٢٩٤/٣٣ (٢٠١٠٢)؛ **سنن ابن ماجه**، ٦٢١/٥ (٤٢١٩)؛ **سنن الترمذي**، ٣١٠/٥ (٣٢٧١).

٣ **ديوان ذي الرُّمّة**، ص ٩٧٢. وفيه: «لكمْ قدمٌ... على الفخرِ».

٤ د: الملتمس. | وأثبتُّ ما في بقية النسخ وما في هامش د من نسخة.

٥ البيت للمُتَلمِّس الضُّبَعي في ديوانه، ص ١٦، وروايته فيه:
ومَن كان ذا عِرضٍ كريمٍ فلم يَصُنْ
له حَسبًا كان اللئيمَ المُذمَّما

٦ ن: ثوبه. | **مرقاة المفاتيح** للقاري، ١٢٦/٩؛ **تُحفة الأحوذي** للمباركفوري، ١٥٣/٩. وفيهما برواية «إنقاء ثوبيه».

٧ ن - له.

٨ ن: درن البردة.

٩ هامش ن: جلَّ. وفي مطبوع **الفائق**: جلَّ. | واستعمال "جلَّ" أو "جدَّ" صواب ههنا. قال الجوهري: «جدَّ فلان في عيني يجِدُّ جَدًّا بالفتح إذا عظُم». **الصحاح**، «جدد».

١٠ **الفائق** للزمخشري، ٢٨١/١، «حسب». وزاد عليه المصنِّف شرح الألفاظ في بيت ذي الرّمة. | والحديث الأخير في **مكارم الأخلاق** لابن أبي الدنيا، ص ١٧ (١). برواية «كَرَم الرجُل دينه، ومُروءته عقله، وحَسَبُه خُلُقه». وهو عن عمر رضي الله عنه في **كنز العمّال** للهندي، ٢٦٥/١٦ (٤٤٣٧٩). برواية «حَسَبُ الرجُل ماله، وكرَمُه دينه، ومُروءته خُلُقه، وأصله عَقله».

إنْ أتاهم أحَد بِمفخَرةٍ أَتوه بمفاخِرَ، وإنْ رَماهم بمأثُرَةٍ رَمَوْهُ بمآثِرَ، وَقد جَرَّدَ لَهُم الحجَّةَ أَولًا والسَّيفَ آخِرًا، فلمْ يعارضُوا إلّا السيَف وَحْده، على أنَّ السيفَ القاضِبَ مِخراقُ لاعبٍ إنْ لم تُمضِ الحجةُ حَدَّه، فما أَعْرضُوا عن مُعارضةِ الحجةِ

قوله: (إن أتاهم) بيان لقوله: "مع اشتهارهم"... إلخ. و"الأثر": الرواية، و"المَأثُرة": المَكرُمة؛ لأنّها تُؤثر، أي: تُذكر / ويأخذها قَرن عن قَرن يَتحدّثون [٦٦ظ] بها. و"المَفخرة" بفتح الخاء وضمِّها: المَأثُرة. وإنما قال: (رماهم)؛ لأنّ ذكر المَفخرة والمَأثُرة في المُضادَّة والمُضارَّة كالتعريض بالخصم وأنّه خالٍ منها موصوف بضدِّها.

قوله: (وقد جَرَّد) حال تنازع فيه "فلم يَتصدَّ" و"لم يَنهض" و"لم يَنبض"، أي: لم يَشتغلوا بالمُعارضة وما حاموا[١] حولها، مع أنه ابتدأ لهم بإظهار الحُجّة، وقال: إن لم تعارضوا الحُجّة وعَجَزتم عن معارضتها ثبت[٢] عليكم الحُجّة ووجب عليكم الإيمان، فإن أعرضتُم فالسيف مَصلوت، فاختاروا السيفَ ومعارضتَه مع أنهم قد علموا أنّ السيف القاطع لا يُفيدهم "إذا لم تُمض الحُجَّةُ[٣] حدَّ السيف"، يعني ينبغي أن يكون السيف مؤيَّدًا بالحُجّة بأن تُمضيَ الحُجّة حدَّ السيف، فإن لم تُمض الحُجّةُ حدَّ السيف فلا اعتداد بالسيف[٤] وحدَه، بل يكون السيف حينئذٍ مثل مِخراق اللاعب. و"المِخراق": «المِنديل يُلفُّ ليُضرب به»،[٥] كأنّه من الخِرقة. وقيل: هو السيف من الخشب.[٦] والضمير في "قد جرَّد" لله تعالى، وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾[٧] [البقرة ٢/٢٣]. وقوله: "والسيف آخرًا" إشارة إلى آية السيف.

قوله: (فما أعرضوا) جواب شرط محذوف، أي: إذا ظهر أنهم عدلوا إلى السيف مع أنّه غير مُفيد تبيَّن أنّهم علموا عجزهم عن معارضته ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ

---

١ ن: وماحوا.
٢ ن: تثبت.
٣ ن: بالحجة.
٤ ن + في حده.
٥ الصحاح للجوهري، «خرق».
٦ ما وقفت عليه فيما بين يديّ من المظانّ.
٧ ن + من مثله.

إِلَّا لِعِلْمهم أنَّ البَحْرَ قد زَخَرَ فَطَمَّ على الكَواكب، وأَنَّ الشمس قد أَشْرَقَتْ فَطَمَسَتْ نُورَ الكَواكِب.

والصَّلاةُ على خيرِ مَن أُوحِي إليه حَبيبِ الله أبي القاسم، محمدِ بن عبدِ الله بن عبد المطلب بن هاشم، ذِي اللِّواء المرفوعِ في بني لُؤَيّ، ذِي الفَرْع المُنيفِ

لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء ١٧/٨٨]. و(زخر) الوادي إذا امتدَّ جدًّا وارتفع، يقال: بحرٌ زاخرٌ. وكلُّ شيء كثُر حتى علا وغلب[١] فقد (طمَّ)، ويقال: فوق[٢] كلِّ طامَّة طامَّة، ومنه سميت القيامة طامَّة. و"كوكب" الشيء: معظمه، وكوكب الماء: مجتمعه، أي: غلب على الأمور العظام. و(أشرقَت) أي: أضاءت. و(طمسَت): محَت.

قوله: (والصلاة على خير مَن أُوحيَ إليه) عطف على قوله: "الحمد لله"، والصلاة من الله تعالى: الرحمة، ومن الملائكة: الاستغفار. و"مَنْ" مفرد اللفظ والمراد به الجمع ولذا أضيف "خير" إليه، هذا إذا كانت موصولة. ويجوز أن تكون موصوفة، كما تقول:[٣] زيد أفضل رجل، أي:[٤] إذا فُضِّل جنس الرجال[٥] فردًا فردًا، فهو خير من كلِّ واحد واحد. و"حبيب" بدل من "خير" ولا يجوز أن يكون بدلًا من "مَن"، وهو ظاهر. و"رِفعة اللِّواء" كناية عن رِفعة الشأن -والكناية: هو إطلاق اللازم وإرادة الملزوم- فإنّ رِفعة اللِّواء من لوازم رفعة الشأن. و"أناف" على الشيء، أي: زاد. و(لؤيّ) من أجداد النبيِّ عليه السلام. وقوله: (ذي اللِّواء) صفة "هاشم".

وبيان ذلك أن نقول: كان لعبد مناف أربعة بنين: هاشم والمُطَّلب وعبد شمس ونوفل، فجعل النبيُّ عليه السلام أولاد هاشم وأولاد المطَّلب من ذوي القربى، فأعطاهم خُمسَ خمس[٦] الغنيمة، ولم يعط أولاد عبد شمس ونوفل من خُمس الخُمس، فجاء جُبير[٧] بن مُطعِم وعُثمان بن عفّان رضي الله عنهما،[٨]

---

١ ن: غلب وعلا.
٢ ن: فرق.
٣ ن: يقال.
٤ ن - أي.
٥ ن: الرجل.
٦ ن - خمس.
٧ ن: حنين.
٨ د - رضي الله عنهما.

في عبدِ منافِ بن قُصيّ، المُثبَّتِ بالعصمة، المُؤيَّدِ بالحكمة، الشّادِخ الغُرَّة الواضحِ التَّحجيل، النبيّ الأميّ المكتوبِ في التوراةِ والإنجيل، ....

فقالا: يا رسول الله لا ننكر[١] أنّ بني هاشم أفضل منّا؛ لأنّهم أقرب إليك منّا لأنّ جدَّك وجدَّهم واحد وهو هاشم، وأمّا بنو المطلب فقرابتنا وقرابتهم منك سواء؛ لأنّ أباهم أخو هاشم وأبونا كذلك أخو هاشم، فقال عليه السلام: «إنّما بنو هاشم وبنو المُطَّلب شيء واحد»،[٢] يعني أولاد المُطَّلب كانوا مع أولاد هاشم في الكفر والإسلام ولم يكن بينهم مخالفة، وأمّا أولاد عبد شمس / ونوفل فكان بينهم [٧و] وبين أولاد هاشم مخالفة؛[٣] فلهذا حرمتهم من خُمس الخُمس. فظهر من هذا الحديث أنّ الرفعة التي لهاشم ليست لغيره من بطون لُؤي، فهو صاحب اللِّواء المرفوع فيهم. وكذا قوله: "ذي الفرع"... إلخ، صفة هاشم. والمراد بالفرع المُنيف هو النبي عليه السلام، أو قبيلة هاشم بتمامها لشرفهم وفضلهم بسبب النبيّ عليه السلام، ولا شبهة حينئذٍ أنّ الفرع المنيف والولد الشريف الذي لهاشم ليس لأحدٍ من أولاد[٤] عبد مناف، فهاشم هو صاحب الفرع المُنيف في قبيلة عبد مناف.

قوله: (**المُثبَّت بالعِصمة**) صفة "محمَّد" عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ [الإسراء ١٧/٧٤]. و(**الغُرَّة**): بياض الوجه، و«شَدخَتِ الغُرَّة، أي: اتّسعت في الوجه».[٥] و(**التحجيل**): بياض اليدين والرِجلين.[٦] قوله[٧] في **المُجمَل**:[٨] «والنبأ: الخبر»، ومنه (**النبيّ**) فعيل بمعنى فاعل، والنُّبوة والنَّباوة: ما ارتفع من الأرض، فإذا أُخذ منه النبيّ، أي: شرُف على الخلق، فأصله غير الهمز، وهو فعيل بمعنى مفعول.[٩] و(**الأمّيّ**) منسوب إلى أمّ القُرى[١٠] أو إلى الأمّ، أي:

---

١ ن: لا ينكر.

٢ **مسند أحمد**، ٣٠٥/٢٧ (١٦٧٤١)؛ **صحيح البخاري**، ٩١/٤ (٣١٤٠).

٣ ن - وأمّا أولاد عبد شمس ونوفل فكان بينهم وبين أولاد هاشم مخالفة.

٤ ن: أولاد.

٥ ن + الشّادخ الظاهر الواسع. | **الصحاح** للجوهري، «شدخ».

٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «حجل».

٧ ن: قاله.

٨ ن + قوله: "النّبي" إمّا من الإنباء فخبر، أو من النَّباوة: الارتفاع.

٩ انظر: **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «نبا».

١٠ ن + مكّة، وهم كانوا لا يعلمون الكتاب، ثمّ علموها بعد ذلك.

وعلى آلِهِ الأَطهار، وخُلفائه من الأَختان والأَصهار، وعلى جميعِ المهاجِرين والأنصار.

اعلَمْ أَنَّ متنَ كلِّ علمٍ وعَمُودَ كُلِّ صناعَةٍ طَبَقاتُ العلماء فيه مُتَدانِيَة، ......

هو على الحالة التي وُلد عليها لم يتعلَّمِ القراءة والكتابة. و(**آله**) بنو هاشم وبنو المُطَّلب. و"الخَتَن": زوج البنت. و(**الأصهار**): أهل بيت المرأة. و"مِن" بيان خلفائه. و"الأختان" إشارة إلى عُثمان وعليّ، و"الأصهار" إلى أبي بكر وعمر رضوان الله عليهم أجمعين. وقدَّم "الأختان" على "الأصهار" للسجع.

قوله: (**اعلم أنّ متن كلِّ علم**) المتنُ من الأرض: ما صلُب وارتفع، والجمع مِتان، و«المَتنان: مُكتنفا الصُّلب من العصب واللحم».[١] و"العَمود": ما يُتخذ من الحديد، والعمود أيضًا عمود الخيمة، وفي حديث عمرَ رضي الله عنه:[٢] «أيُّما جالبٍ جَلَب على عَمود بطنه فإنّه يبيعُ أنّى شاء ومتى شاء»،[٣] يعني الظهر؛ لأنّه قِوام البطن ومِساكه،[٤] ويقال: قرأ فلان عمود كتاب **سيبويه**، أي: مَتنه وفَصّه، واجعل هذا في عمود قلبك، أي: في وسطه.[٥] والمراد بالمَتن والعمود هنا: قواعدُ العلوم ومسائلها تشبيهًا بمتن الصُّلب وعمود الخيمة؛ إذ بهما القِوام والمِساك.

ثمّ اعلم أنّ معلومات كلِّ علم: إمّا أن تحصل بالتمرُّن على العمل، كحصول معلومات صناعة النحو[٦] بمطارحة[٧] الإعراب؛ أو بتتبُّع ما يُفيدها، كحصول معلومات صناعة البلاغة بتتبُّع خواصّ تراكيب الكلام؛ أو بالنظر والاستدلال.

---

١ ن: في اللحم. | **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «متن».

٢ د - رضي الله عنه.

٣ **موطّأ مالك**، ٢/١٧٩-١٨٠ (١٨٩٨). ولفظه فيه «أيّما جالبٍ جَلَب على عَمود كَبِده في الشتاء والصيف فذلك ضيف عمرَ، فلْيَبِعْ كيف شاء الله، ولْيُمسِكْ كيف شاء الله». وهو بلفظ قريب منه في **السنن الكبرى** للبيهقي، ١١/٤١٦ (١١٢٦٣)؛ و**جامع الأصول** لابن الأثير الجزري، ١/٥٩٣-٥٩٤ (٤٣٢).

٤ من قوله: "والعمود" إلى هنا بلفظ قريب في **المُغرِب** للمُطرِّزي، «عمد»؛ وبعضه في **الفائق** للزمخشري، ٣/٢٧.

٥ انظر: **أساس البلاغة** للزمخشري، «عمد».

٦ د ش - النحو. | وأثبتّ ما هو الأقرب إلى السياق، والمطابق لِما في **فتوح الغيب**.

٧ د ش: مطارحة. | وأثبتّ ما هو الأقرب إلى السياق، والمطابق لِما في **فتوح الغيب**.

وأَقْدامُ الصُّنَّاع فيه متقاربةٌ أو متساوِيَة، إنْ سَبَقَ العَالِمُ العالِمَ ....

ويُخَصُّ الأوّلان باسم الصناعة والثالثُ بالعلوم.[١] و"الطبقة" الدرجة والرُّتبة، والجمع طبقات. و"القَدم": ما يطأ عليه الإنسان من لدن الرُّسغ إلى ما دون ذلك، والجمعُ الأقدام، ويطلق ويراد به المَنزلة والرتبة؛ إذ به تحصل المَنزلة والرتبة. والضمير من "فيه" المذكور أوّلًا يعود إلى المتن، ومن "فيه" ثانيًا إلى العمود. والكلام مُشتمل[٢] على اللفِّ والنشر. وقوله: **(أو متساوية)** متعلِّق من حيث المعنى بالكلامين المُتقدِّمين، كأنّه قال: طبقات العلماء فيه مُتدانية أو متساوية، وأقدام الصنّاع فيه متقاربة أو متساوية؛ لأنّ معنى الكلامين متقارب، يعني: التقدُّمُ في العلوم والصناعات ليس باعتبار متن العلوم والصناعات بل بحسب الدَّقائق،[٣] كما سيجيء.

قوله: **(إن سبق)** بيان لِما مرَّ. و"الخُطوة" بالضمِّ: ما بين القَدمين، وجَمْع القِلَّة خُطُوات، والكثير خُطًى. فلو قال: خُطوات يسيرة، لكان أحسنَ / وأنسبَ، [٧ظ]
لكنّه استعار لفظ جَمْع الكثرة للقلّة،[٤] كما في قوله: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة ٢/٢٢٨] في موضع أقراء؛ وقرينته وصفه بـ"يسيرة". ويقال: «سُفتُ الشيء أسوفه سوفًا إذا شمِمْتَه، والاستياف: الاشتمام. و"المسافة": البعد، وأصلها من الشَّمِّ، وكان الدليل يأخذ التراب في الفلاة فيَشَمُّه ليَعلم أعلى قَصْد هو أم على جَور. قال[٥] رؤبة:

إذا الدليلُ استافَ أخلاقَ[٦] الطُّرقْ[٧]

ثمّ كثُر استعمالهم هذه الكلمةَ حتّى سمَّوا البُعد مسافة».[٨]

---

١ من قوله: "أنّ معلومات" إلى هنا بلفظ قريب في **مفتاح المفتاح** للشيرازي، ٧و. أورده الطِّيبي واعترض عليه في **فتوح الغيب**، ١/٦٤٥-٦٤٦.

٢ ن: يشتمل.

٣ ن: الحقائق.

٤ ن: في القلّة.

٥ د ش: قالت؛ ن: وقال.

٦ د ش: أخلاف؛ هامش د ش: أتراب. خ [اختصارًا من "نسخة"].

٧ **ديوان رؤبة**، ص١٠٤. وفيه «أخلاقَ الطُّرق». وكذا جاء في المصادر التي ورد فيها هذا القول مع الرّجز، وستُذكر قريبًا.

٨ **الصحاح** للجوهري، «سوف». وهو في **أدب الكاتب** لابن قتيبة، ص ١٦٣؛ و**إصلاح المنطق** لابن السِّكِّيت، ص ٣١٥-٣١٦.

لم يسبقْهُ إلَّا بخُطًى يَسيرة، أَوْ تَقدَّمَ الصَّانِعُ الصَّانِعَ لَمْ يتقدَّمه إلَّا بمسافةٍ قَصيرة، وإنما الذي تبايَنتْ فيه الرُّتَب، وتحاكَّتْ فيه الرُّكَب، ووقع فيه الاستباقُ والتَّناضُل، وعَظُمَ التَّفاوُتُ والتَّفاضُل، حتَّى انتهَى الأَمْرُ إلى أَمَدٍ مِنَ الوَهْمِ متَباعِد، وَترقَّى إلى أَنْ عُدَّ أَلْفٌ بِواحد، ما في العلوم والصِّنَاعاتِ مِن محاسِنِ النُّكَت والفِقَر، ومِن لطائفِ معانٍ يَدِقُّ فيها مباحثُ للفِكَر، ومِن غوامضِ أسرارٍ مُحتجِبةٍ وراءَ أَسْتارٍ ....

قوله: (تحاكَّت) أي: تلاصقت، من حكَّ الشيءَ على الشيء، يقال: ما بقي في فيه حاكَّة، أي: سنٌّ، وتحاكُّ الرُّكَب عبارة عن المُباحثة والمُجادلة.[١] و(التناضُل) هو الترامي.[٢] وقوله: (حتَّى انتهى) غايةٌ تنازعَ فيه الأفعالُ الأربعة المُتقدِّمة. وقوله: (من الوهم) متعلِّق بـ(مُتباعِد). والضمير في (ترقَّى) لـ(الأمر). و(عُدَّ ألفٌ بواحد) إشارةٌ إلى بيت البُحتري:

ولَمْ أرَ أمثالَ الرجالِ تفاوتتْ لدى المجد حتَّى عُدَّ ألفٌ بواحدِ[٣]

وقوله: (ما في العلوم) خبر "الذي". و"المَحاسن" ضد المَساوئ. و(النُّكت) جمع النُّكتة: وهي اللطيفة في الكلام،[٤] مِن: نكتَ الأرض إذا ضربها وخطَّ فيها، والنُّكتة: كلُّ نقطةٍ من بياضٍ في سوادٍ وسوادٍ[٥] في بياضٍ.[٦] "الفَقارة" بالفتح واحد فَقار الظهر، والفِقرة بالكسر مثلُها، والجمع فِقَر؛ وأجود بيت في القصيدة يُسمَّى فقرة تشبيهًا بفِقرة الظهر؛[٧] والفِقر: حُليٌّ من ذهب[٨] كهيئة الفَقار الصِّغار، تُشبَّه به دقائق المعاني ولطائف العلوم. و"الغامضُ" [مِن] الأرض: المطمئنُّ، والغامضُ من الكلام: خِلاف الواضح، وقد غمُض غُموضةً.[٩] و(وراء): يكون بمعنى القُدَّام وبمعنى الخَلف.

---

١ ن + قوله.

٢ ن: التراقي.

٣ ديوان البحتري، ص ٦٢٥. وفيه: «إلى الفَضل حتَّى عُدَّ».

٤ ن: كلام.

٥ ن: أو سواد.

٦ انظر: أساس البلاغة للزمخشري، «نكت».

٧ من قوله: "الفقارة" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «فقر».

٨ ن: الذهب.

٩ من قوله: "والغامض" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «غمض».

لا يكشف عنها مِنَ الخاصّة إلّا أوْحَديُّهُم وأَخَصُّهم، وإلّا واسطتُهم وَفَصُّهُمْ، وَعامَّتُهم عُماةٌ عن إدراك حقائقها بأَحْداقهم، عُنَاةٌ في يد التقليد لا يُمَنُّ عليهم بجزِّ نَواصِيهم وإطْلاقِهم.

ثُمّ إنَّ أَمْلأَ العلوم بما يَغْمُرُ القَرائح، وأَنهضَها بما يَبْهَرُ الألبابَ القوارِح،

قوله: **(لا يكشف عنها)** أي: لا يَكشف الأستار عن تلك الأسرار أحدٌ من الجماعة الخاصّة، فحَذف الموصوف وأقام مُقامه[١] الصفة. و"الأوحديُّ" مبالغة في الأوحد كأحمريّ في الأحمر. فـ"واسطة"[٢] القلادة الجوهر الذي في أوسطها وهو أجودُها. و"فَصُّ" الخاتم جمعه فُصوص.

قوله: **(حقائقها)** أي: حقائق الغوامض. و"الأحداق" جمع حَدَقة العين. و"العاني": الأسير جمعه عُناة. وإذا كان عامّة الخاصّة عُماةً عُناةً فما ظنُّك بمَن لم يكن من الخاصّة؟

قوله: **(بجزِّ نواصيهم)** كانتِ العرب إذا وقع في أيديهم أسير وأرادوا إطلاقه كانوا يجزُّون ناصيته، يعني:[٣] هؤلاء العامّة لا يتخلّصون من التقليد ولو بعد التعَب.

قوله: **(ثمّ إنّ أملأ العلوم)** لمّا أشار بقوله: "واعلم"... إلخ، أنّ التقدُّم في العلوم إنّما هو بالدقائق أشار إلى أنّ الدقائق واللطائف في علم التفسير أكثر منها في غيره. «والمَليء: الغنيُّ المقتدر، وقد مَلُؤ ملاءةً، وهو أَملأُ منه، على أفعل التفضيل، ومنه قول شُريح: "اختر أملأهم"، أي: أقدرهم».[٤] ولا يجوز أن يكون قوله: "أملأ العلوم" من قولهم: ملأتُ الإناء مَلئًا فهو مملوء؛ لأنّه متعدٍّ ولا معنى له ههنا.[٥] **(يغمر القرائح)** أي: يغلِب الطبائع. **(وأنهضَها)** أي: أنهضَ العلوم،

---

١ ش ن: مقامها.

٢ ش ن: وواسطة.

٣ ن: بمعنى.

٤ **المُغرب** للمُطرّزي، «ملأ».

٥ قال الطِّيبي بعد أن ساق المعنيين اللذَين ساقهما المصنِّف: «بل هذا الثاني أحسنُ، لكن على أنّه لازم ليتفرَّع على الاستعارة الترشيح وهو قوله: "بما يغمر القرائح" فإنّه لا يُناسب الغنيَّ المقتدر». **فتوح الغيب** للطِّيبي، ٦٥٤/١.

مِنْ غَرائبِ نُكَتٍ يَلْطُفُ مَسْلَكُها، ومُسْتُودَعَاتِ أَسْرارٍ يَدِقُّ سِلْكَها، علمُ التَّفسيرِ

من النهوض وهو القيام. "بهره": غلبه. و"قرَح" الخيلُ قُروحًا إذا انتهتْ أسنانه، وإنّما تنتهي في خمس سنين؛ لأنّه في السَّنة الأولى حَوْليٌّ ثمّ جذَع ثمّ ثَنيٌّ ثمّ رَباع ثمّ قارح، يقال: أجذعَ المُهر وأثنى وأربعَ وقرَحَ، هذه وحدَها بلا ألِف، والفَرس قارح والجمع قُرَّح والإناث قوارح. وشذوذ فواعل في جمع فاعل صفةً مشهورٌ، لكن ذَكر ابن الحاجب / في **شرح المُفصَّل** أنّه يجوز في فاعل [٨و] إذا كان ممّا لا يعقل أن يُجمع على فواعل قياسًا مطَّردًا، تقول في خيل ذكور: روافسُ، مِن الرَّفس: وهو الضربِ بالرِّجل؛ لأنّ الجمع فيما لا يَعقل من المذكَّر يجري مجرى المؤنَّث فيما يعقل.[١]

قوله: **(من غرائب)** بيان "ما". واعلم أنّه شبَّهها تارة بالمطلوب البعيد الطريق الذي يُحتاج في تحصيله إلى سَلك تلك الطرق اللطيفة[٢] الدقيقة، فقال: **(يلطُف مَسلكها)**. قال الشافعيُّ رضي الله عنه:

كيفَ الوصولُ إلى سُعادَ ودونها   قُلَلُ الجبال ودونهنَّ حُتوفُ
والرِّجلُ حافيةٌ ومالِيَ مَركبٌ   والكفُّ صِفرٌ والطريقُ مَخوفُ[٣]

وتارة بالدُّرر، فقال: **(يدقُّ سِلكها)** أي: خَيطها؛[٤] لمعنيين: **الأوّل**: أنّ دقَّة السِّلك لازمُ ضيق الثُّقبة، وضيقُ الثُّقبة[٥] مستلزمٌ عُسرَ نظم الدُّرِّ، فيكون عبارةً عن عُسر تحصيلها ويكون كنايةً عن المجاز؛ لأنّه يُنتقل فيه[٦] من اللازم إلى المَلزوم ثمّ من المَلزوم إلى اللازم؛ **والثاني**: أنّ دقَّة السِّلك لازمُ ضيق الثُّقبة وهو ملزومٌ لزيادة قيمته، فيكون أيضًا كنايةً عن المجاز.

قوله: **(علم التفسير)** خبر "إنّ". ثم وصَفه بأنّه لا يكون تامًّا لتناوله وإجالة الفكر فيه كلُّ صاحب علم، بل يكون ناقصًا فيه قاصرًا عنه.

---

١ انظر: **الإيضاح في شرح المفصّل** لابن الحاجب، ٥٢١/١.
٢ ن: الطريق اللطيف.
٣ **ديوان الشافعي**، ص ٧٨.
٤ ن: ضبطها.
٥ ن – وضيق الثقبة.
٦ ن – فيه.

الذي لا يَتِمُّ لِتعَاطيهِ وإجَالةِ النَّظرِ فيهِ كُلُّ ذِي عِلْمٍ كما ذَكَرَ الجاحظُ في كتابِ **نظمِ القرآنِ**، فالفَقيهُ وإن بَرَّزَ على الأَقْران في عِلْم الفَتَاوَى والأَحْكام، والمتكلِّمُ وإن بَذَّ أَهلَ الدنيا في صناعةِ الكلامِ، وحَافِظُ القِصَصِ والأَخْبار وإن كان منْ ابن القِرِّيَّةِ أَحْفَظَ، والواعظُ وإنْ كانَ من الحَسَنِ البَصْرِيِّ أَوْعَظ، ....

وأراد بقوله: **(لا يتمُّ)**... إلخ، السلب الكلِّيَّ. واستشهد بما ذكر الجاحظُ في تفسيره وأورد عبارته، وهو من قوله: "فالفقيه" إلى قوله: "مزالقه". وحاصلُ ما ذكره الجاحظ أنّ أحدًا من أصحاب العلوم لا يتمُّ لما ذُكر إلّا صاحب علم[١] المعاني والبيان، وهو أيضًا إنّما يتمُّ له بعد أن أخذ من سائر العلوم نصيبًا تامًّا بالشرائط التي ذكرها، فصحَّ كليَّةُ ما ادَّعاه المُصنِّف. والفاء للترتيب أو للسببيَّة المترتبة على المذكور في **كتاب الجاحظ**.

قوله: **(وإن برَّز)** أي: فاق على أصحابه؛ عطفٌ على محذوف،[٢] أي: إن لم يُبرِّز أو[٣] برَّز. و"القِرن" بالكسر: الكُفء في الشجاعة. يقال: "استفتيتُ" الفقيه فأفتاني، والاسم الفتوى والفُتيا. «واشتقاق الفتوى من الفتى؛ لأنّها جواب في حادثة، أو إحداثُ حكم، أو تقويةٌ لبيان مُشكل».[٤] والفتى يائيٌّ بدليل فِتيان وفَتيات، والياء في الفتوى قُلبتْ واوًا؛ لأنّه تُقلب ياءُ فَعلى اسمًا واوًا كتقوى. و**(الأحكام)** جمع حُكم: وهو خطابُ الله تعالى المتعلِّق بأفعال المُكلَّفين بالاقتضاء أو التخيير.[٥] فالفتوى أخصُّ من الحُكم، والخصوص حصل له من عارض عرَض له.

قوله: **(بذَّ)** غلب. و**(القِصَص)** بالكسر: جمع قصَّة وبالفتح مصدر واسم أيضًا. وأيوب **(بن القِرِيَّة)** أحد الفصحاء. و"اللُّغا": الصوت، وأصل اللغة لُغَيٌ أو لُغَوٌ، والهاء عوض من اللام والأوّل أظهر؛ إذ قال التصريفيُّون: الألف إذا كانت لامًا وجُهل[٦] أصلها حُملتْ على الانقلاب عن الياء، بخلاف ما إذا كانت عينًا

---

١ د - علم.
٢ ن: معطوف.
٣ هامش د ظ: وإن.
٤ **المُغرب للمُطرّزي**، «فتي».
٥ انظر: **المحصول** للرازي، ١/٨٩.
٦ ن: وجعل.

والنَّحْوِيُّ وإنْ كان أَنْحَى مِن سيبَوَيْهِ، واللُّغويُّ وإنْ عَلَكَ اللُّغاتِ بقوَّةِ لَحيَيْه، لا يَتَصَدَّى منهم أَحَدٌ لِسُلوك تلك الطَّرائِق، ولا يَغوصُ على شيءٍ من تلك الحقائق، إلَّا رجلٌ قَد بَرع في عِلمَيْن ....

فإنّها تُحمل على الانقلاب عن الواو، إذ غلبتِ[١] الياء على اللام والواو على العين. وجمع اللغة لُغًى مثل بُرة وبُرًى ولُغات أيضًا. وقال بعضهم: "سمعتُ لغاتَهم" بفتح التاء شبَّهها بالتاء التي يُوقف عليها بالهاء.[٢] وعلم اللغة: هو معرفة أفراد الكلم وكيفيّة أوضاعها.

قوله: (وإنْ عَلَكَ) يجوز أن يكون من العِلْك الذي يُمضغ. وقوله: (بقوة لَحييه) الجارُّ والمجرور متعلِّق بمحذوف، أي: مُلتبسًا أو مستعينًا / بقوّة لَحييه، و«"اللَّحْيُ": مَنبِت[٣] اللحية من الإنسان وغيره».[٤] شبَّهه في كثرة لغاته واحتياجه في حفظها ورعايتها إلى اجتهاد ومشقّة بمن يكون في فيه عِلك كثير يحتاج في علكه إلى قوّة اللَّحيين؛ ويجوز أن يكون من العَلَكة وهي[٥] شِقشِقة البعير عند الهدير. شبّه اللغات بالشِّقشِقة وشبّه حفظها وتقريرها[٦] بعَلْك العَلَكة، ثمّ ذكر اللغات وأراد الشِّقشقة ليكون استعارة بالكناية، وجعل نسبة العَلْك إليها قرينة. [٨ظ]

قوله: (لسُلوك) تشبيهٌ بالمطلوب الذي يُحتاج في تحصيله إلى سلوك الطُّرُق الوعرة، ثمّ بالدُّرِّ الذي يُحتاج في الهجوم عليه إلى غوص البحار. و"تلك" و"تلك"[٧] إشارتان[٨] إلى المذكور قبل ذلك[٩] في كتاب الجاحظ. ولا يَحسن أن يقال: هما إشارتان[١٠] إلى ما ذكره المصنّف من قوله: "يَلطُف مسلكها"، "يدِقُّ سِلكها"؛ إذ ما ذكر الجاحظ في كتابه لا يكون إشارة إلى المذكور في الكشّاف بعده بسنين. (برُع)[١١] الرجل: فاق أصحابه.

---

١ ن: أدغمت.
٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «لغو».
٣ ن – متعلّق بمحذوف، أي: ملتبسًا أو مستعينًا بقوّة لحييه، واللّحي: مَنبِت.
٤ **الصحاح** للجوهري، «لحى».
٥ ن – وهي.
٦ ن: وتقديرها.
٧ ن – وتلك.
٨ ن: إشارة.
٩ ن – قبل ذلك.
١٠ ن: إشارة.
١١ ضُبطت في د ش بفتح الراء وضمّها.

مختصَّينِ بالقُرآن، وهُما: عِلمُ المَعاني وعلمُ البَيَانِ، وتَمهَّلَ في ارتيادهما آوِنَة، وتَعِبَ في التَّنقير عنهما أَزْمِنة، وبَعَثَتْهُ على تَتَبُّع مَظَانِّهما همَّةٌ في مَعْرفةِ لطائفِ حجةِ الله، وحرصٌ على استيضاحِ مُعجِزةِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، بَعدَ أَن يكونَ آخذًا من سائرِ العلوم بحظّ، جامِعًا بين أمرين: تحقيقٍ وحِفْظ، كثيرَ المطالِعات، طويلَ المراجعات، قد رجَعَ زمانًا ورُجِعَ اليه، ورَدَّ ورُدَّ عليه، فارِسًا في عِلْم الإعراب، مُقَدَّمًا في حَمَلَةِ الكِتَاب، وكان مع ذلك مُسْترسِلَ الطبيعَةِ منقادَها، مُشْتَعِلَ القريحةِ وقَّادَها، يَقْظانَ النَّفْسِ درَّاكًا لِلَّمْحةِ وإنْ لَطُفَ شأنُها،

قوله: (**مختصَّين بالقرآن، وهما علم المعاني والبيان**) واختصاصهما به؛ إمّا لأنّهما لم يُستعملا في تركيب ما كاستعمالهما في **القرآن** أو لأنّهما شاهدان له بالإعجاز لا لغيره.[١] و(**تَمهَّل**) أي: تلبَّث. و"الارتياد": الطلب. و"الآونة" جمع أوانٍ وهو الزمان. و(**التنقير**): البحث.[٢] و"هِمَّة" فاعل "بعثَتْه". ما بعده صفته، أي: همَّة مستقرة في معرفة حُجَّة الله وهي **القرآن**؛ إذ به ثبتت[٣] الحجّة لنبوَّة نبينا عليه السلام. و(**بعد**) ظرف لقوله: "برُع".

قوله: (**سائر العلوم**) أي: باقي العلوم، ويكون سائر[٤] بمعنى الجميع.

قوله: (**جامعًا**) خبر بعد خبر لـ"كان"[٥] وكذا (**كثيرَ**)، (**طويلَ**).

قوله: (**قد رَجعَ**)[٦] بيانُ "طويلَ المراجعات". وحذفَ مفعول "رجع" و"ردَّ" للتعميم. و(**حمَلة الكِتَاب**) **حُفَّاظ كتاب سِيبويه.**

قوله: (**مُسترسِل**) أي: مُنبسط الطبيعة، استرسل إليه إذا انبسط، ومنه: **شَعر** مسترسِل، أي: سبِط[٧] غير جعْد. و"الكَزَازة": الانقباض. "جسأتْ" يده من العمل جسأً: صلُبتْ، والاسم الجُسْأة. "جفا" جنبه عن الفِراش وتجافى، أي: نبا وارتفع، والجفا غالب على أهل البدو، أي: الغِلَظ في العِشرة والخُرق في المعاملة.

---

١ ن: بغيره.
٢ د ش: البعث؛ هامش د ظ: البحث.
٣ د ش: ثبت.
٤ ش ن: السائر.
٥ ن – بعد خبر لـ"كان"؛ ن + يكون.
٦ ن + أي رجع إلى العلماء النحارير، ويرجع إليه.
٧ ن: بسط.

مُتَنَبِّهًا على الرَّمْزَةِ وإنْ خَفِيَ مكانُها، لا كَزًّا جاسيًا، ولا غليظًا جَافِيًا، مُتصرِّفًا ذا دُرْبَةٍ بأساليبِ النَّظْمِ والنَّثْر، مُرْتاضًا غيرَ رَيِّضٍ بتَلْقِيحِ بَناتِ الفِكَر، قد عَلِم كيفَ يُرتِّبُ الكَلامُ ويُؤلِّفُ، وكيفَ يُنظِّمُ ويُرَصِّفُ، طالما دُفِع إلى مَضَايقِه، ووقع في مَداحضِهِ ومَزالقِه.

ولقد رأيتُ إخْوتَنا في الدِّينِ ....

و"الدُّرْبة": التجربة والعادة. و"الأسلوب": النوع. و"المُرتاض" الذي تمَّت رياضته، و(**الرَّيِّض**) الذي يستحقُّ الرياضة ولم يُرض بعدُ. وتلقيح النخل[١] معروف، والمراد بـ(**بنات الفِكر**) المقدِّمات، و"تلقيحها": ترتيبها على وجه مُنتجٍ، وهو إشارة إلى علم الاستدلال.

وقد مرَّ أنّ "التأليف" في المفرد، و"النظمَ" في المركّب. ثمّ قد تُعتبر أجزاء الجملة الواحدة بعضُها إلى بعض ويُستعمل فيه التأليف ويكون المراد به تقديمَ الفاعل على المفعول أو بالعكس إلى غير ذلك؛ وتُعتبر الجمل المتعدِّدة[٢] بعضها إلى بعض ويُستعمل فيها[٣] النظم ويكون المراد به عطفَ الجملة على الجملة وترك العطف. قال ابن جنّي: "طالما" كلمة واحدة، وذلك أنّ "ما" دخلت على "طال" وجعلته في معنى المصدر. أي: دُفع دفعًا ذا طول، أي: دفعًا طويلًا.[٤] وقيل: "ما" مصدريّة،[٥] أي: طال دفعه. والمراد بـ"مضايق الكلام": المواضعُ المُشكلة العسِرة الفهم؛ وبـ(**مَداحضه ومزالقه**): مواضعُ الخطأ، يقال: دحَضتْ رجله، أي: زلِقت.

قوله: (**ولقد رأيتُ**) بعد أن بيَّن[٦] غزارة فوائد علم[٧] التفسير وكثرة فرائده[٨] وأنّه لا يتمُّ[٩] كلُّ ذي علم... إلخ، أشار إلى أنّه شرع في **الكشّاف** بالتماس فضلاء زمانه والتماس أمير / مكّة. وإنّما قال: (**إخوتَنا في الدين**) ولم يقل: إخواننا، [٩و]

---

[١] ن: الفحل.
[٢] ن: المتقدمة.
[٣] ن: فيه.
[٤] لم أقف على قول ابن جنّي فيما بين يدي من كتبه. غير أنّ الطِّيبي نقل عن المطرّزي نسبته إلى ابن جنّي. انظر: **فتوح الغيب للطِّيبي**، ١/٦٦٨.
[٥] هذا الوجه مذكور في فتوح الغيب للطِّيبي، ١/٦٦٨.
[٦] ن + فوائد.
[٧] د - عِلم.
[٨] ن: فوائده.
[٩] ن: يفهم.

مِن أفاضلِ الفِئةِ الناجِيَةِ العَدْليَّةِ، الجامِعِينَ بين علمِ العربيَّةِ والأصولِ الدينيَّة،

مع أنّ أكثر استعمال الإخوان في الصداقة، والإخوة في القرابة؛ لجعله اتّصال الدين كاتّصال النسب، وإنّما بيَّنهم بقوله: **(من أفاضل)**... إلخ، ليُعلم أنّهم من أهل الاعتزال؛ فلذلك أكّد اتّصالهم به وجعلهم كأقاربه الأدنَين. ويجوز أن تكون[1] "من" فيه للتبعيض، والجارُّ والمجرور نصب على الحال. و**(الفِئَة)** ووزنه الفِلَة: الطائفة، والهاء عوض من الياء التي نُقصت من وسطه، وأصله فِيءٌ على مثال فِيل؛ لأنه من فاءَ، أي: رجع، وجمعه فِئون وفِئات. وقوله: **(الناجِيَة)** إما من قولهم: نجوتُ من كذا نجاةً بالقصر ونجاءً بالمدِّ، أي: خلَصت[2] منه؛ أو من قولهم: نجوت نجاءً بالمدِّ، أي: أسرعتُ وسبقتُ.

وسمّى المعتزلةُ مذهبهم بالعدل؛ لأنّهم يُوجبون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. وغفلوا عن عدولهم عن الحقِّ بإيجاب الشيء على الله تعالى. وسمَّوا أيضًا مذهبهم بالتوحيد؛ لأنهم لا يُثبتون الصفاتِ القديمةَ المغايرة للذّات بل يقولون: الصفات عين[3] الذات. والمعتزلة وإن أنكروا الصفات القديمة لكنّهم قالوا بها في المعنى؛ لأنّهم أثبتوا في الأزل أحوالًا خمسةً هي: الموجوديّة والحييّة والعالِميّة والقادريّة والألوهيّة، وهذه الحالة الأخيرة أثبتها أبو هاشم علّةً للأربع[4] مميّزة للذات، أعني قال أبو هاشم: ذات الله تعالى تُساوي سائر الذوات في الذاتية وإنّما تخالفها وتمتاز عنها بصفة مخصوصة وهي الإلهيَّة، ثمّ قال: إنّ تلك الصفة تُوجب الأحوال الأربعة المذكورة.[5]

قوله: **(الجامعين بين علم العربيّة والأصول)** فإن قيل: ما معنى الجمع بين العلوم؟ فإنّ جمع العلوم مفهوم، وأمّا الجمع بينها[6] -بمعنى جعلِ البَيْن مفعولَ الجمعِ، بمعنى أنّه جمَعَ البينَ- فغير مفهوم. وإن جُعل ظرفه فما الذي هو المجموع

١ ش ن - تكون.
٢ ن: حصلت.
٣ ن: غير.
٤ ن: الأربع.
٥ انظر لذلك: **الأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبّار، ص ١٨٢-١٨٣، ٣٠١؛ **والاقتصاد في الاعتقاد** للغزالي، ص ٩٩-١٠٤؛ **وتبصرة الأدلة** للنسفي، ص ٢٦١-٢٨٠.
٦ ن: فيها.

كلَّما رجعوا إليَّ في تَفْسير آيةٍ فأَبْرَزْتُ لهم بعضَ الحقائق مِن الحُجُب، أَفَاضُوا في الاستحسان والتعَجُّب، واستُطِيرُوا شوقًا إلى مصنَّفٍ يَضُمُّ أطرافًا من ذلك، حتَّى اجتمعوا إليَّ مُقْتَرِحين عليَّ أَنْ أُمْلِيَ عليهم ....

في هذا الظرف؟ قلتُ: يجوز أن يكون هذا من إجراء المُتعدِّي مُجرى اللازم، فكأنّه قال: أوقَعوا الاجتماع بين تلك العلوم بجمعها[١] في أنفسهم؛ ويجوز أن يكون "بين" زائدًا. ثمّ إنّ العربيّة والأدب بمعنى واحد وأصل استعمالها "العلوم العربيّة"، ثمّ حُذف الموصوف وأُقيم الصفة مُقامها، ثمّ أُضيف العلم إليه إضافةَ العامّ إلى الخاصّ، وهي عبارة عن اثني عشر علمًا: اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان،[٢] والعروض، والقافية، والاشتقاق، وإنشاء النثر، أي: علم الرسائل والخطب، وقرض الشعر، وعلم الخطّ، والمحاضرات: وهي ما تُحاضر به صاحبك من حديث عجيب أو شعر أو نادرة أو مثَل سائر ومنها التواريخ.

قوله: **(كلّما)** تُستعمل في معنى المُجازاة. وقوله: **(فأبرزتُ)** عطف على **(رجعوا)**. و**(أفاضوا)** أي: شرعوا، عامل في "كلّما". يقال: "استُطير" فلان فرحًا إذا قلِق به كأنّه حُمل على الطيران لفرط خفَّته. و"الشوق" والاشتياق: نِزاع النفس إلى الشيء. و"إلى" متعلِّق بـ"شوقًا". و**(ذلك)** إشارة إلى بعض الحقائق أو إليها. و**(حتّى)** غاية **(استُطيروا)**.

قوله: **(مقترحين)** من قولهم: اقترحتُ الجملَ إذا ركبتَه قبل أن يُركب، كأنّه قال: انضمُّوا إليَّ مجتمعين سائلين شيئًا لم يكن لي[٣] قدرةٌ عليه وهو إملائي لهم؛ أو من / اقتراح الكلام وهو ارتجاله، كأنّهم سألوا من غير تفكُّر في أنّ [٩ظ]
هذا السؤال منه[٤] هل يكون مناسبًا أو لا. و"الإملاء" هو أن تقرأ شيئًا على غيرك ليكتبه أو ليحفظه: أمّا **الأوّل** فمشهور نحو: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة ٢٨٢/٢]؛ وأمّا **الثاني** فكقوله تعالى: ﴿ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الفرقان ٥/٢٥].

---

[١] ن: لجمعها.
[٢] ن - والبيان.
[٣] ن: فيّ.
[٤] ن - في أنّ هذا السؤال منه.

في الكشف عن حقائقِ التنزيلِ وعُيونِ الأقاوِيلِ في وجُوهِ التأويل، ....

قوله: (**في الكشف**) صفةُ محذوفٍ تقديره: كتابًا أو شيئًا في الكشف. و"الحقائق": جمع الحقيقة، وهي بمعنى فاعل من حقَّ يحِقُّ إذا ثبت، أو بمعنى مفعول من حققتُه أحقُّه إذا أثبتَّه، والمراد بها هنا الأمور المتقرّرة الثابتة بالنقل في معاني **القرآن** وأسباب نزوله وقصَّته.

«ولنذكر التفسير والتأويل والفرق بينهما: أمّا التفسيرُ فأصله الكشف والإظهار وكذلك جميع المُترَكِّب من "ف س ر" وتعكيسه،[1] ومنه سفرتِ المرأة: كشفتْ[2] وجهَها، وأسفر الصبح وسفر. والتأويل أصله الرجوع والكشف وكذلك جميع المستعمل من تعاكيس "أ و ل"، ومنه آل الشيء إذا رجع. فكأنّ التفسير: الوقوف على أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها ولا يجوز ذلك إلا بالسماع؛ والتأويل: ما يُرجع في كشفه[3] إلى معنى الكلمة. بيانُ ذلك لو قيل: ما[4] معنى: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة ٢/٢]؟ فنقول: لا شكَّ فيه، فهذا تفسيرٌ. فإن قيل: فقد نفيتَ الرَّيب وقد ارتابوا، فإن أجبتَ وقلتَ: إنّه في نفسه صدق وإذا تُؤمِّل وُجِد كذلك[5] فانتفى عنه، فهذا تأويلٌ. تلخيصه: التفسير ما يتعلَّق بالرواية، والتأويل ما يتعلَّق بالدراية».[6]

ولذلك[7] قال المصنِّف:(**في وجوه التأويل**) ولم يقل: في وجوه التفسير. فكأنّه قال: أذكرُ ما هو متحقِّق[8] ثابت بالنقل ممّا يتعلّق بالتفسير، وأمّا من التأويلات فلا أذكر إلا المُختار؛ فإنّ "عين" الشيء هو خياره وأنفَسه،[9] وأعيان القوم: أشرافهم؛ إمّا لأنّه لا يُنظر إلا إليهم أو لأنّهم كأنّهم عيونهم المُبصرة، ومن ذلك قولهم للأخوة لأبٍ وأمٍّ: بنو الأعيان. وقوله: "رأيتُ" إن كان بمعنى علمتُ

١ ن: وبعكسه.
٢ ن + عن.
٣ د ش: الشفة. | والتصحيح من تفسير **الكواشي**، ص ١٣٣.
٤ ن - ما.
٥ ش: لذلك.
٦ **تفسير الكواشي**، ص ١٣٢-١٣٣.
٧ ن: وكذلك.
٨ ن: مستحق.
٩ ن - وأنفسه.

فاستَعْفَيْتُ فَأَبَوْا إلَّا المُراجَعَة وَالاِسْتِشْفاعَ بِعُظَماء الدِّين وعلماءِ العدلِ والتوحيد. والذي حَدَاني على الاسْتِعفاءِ -على عِلمي أنهم طلَبوا ما الإجابةُ إليه عليَّ واجبةٌ؛ ....

كان قوله: "كلّما رجعوا" إلى قوله: "في وجوه التأويل" في محلِّ النصب لأنّه مفعول ثانٍ؛ وإن كان بمعنى أبصرتُ فحالٌ.

قوله: **(فاستَعفيتُ)** عطفٌ على قوله: "اجتمعوا".[١] «جعل صاحب **المقاييس**[٢] تركيب "ع ف و" دالًّا على أصلين: تركٍ وطلبٍ، إلا أنّ العفو غلب على ترك عقوبة من استحقها، والإعفاء على الترك مُطلقًا، منه إعفاء اللحية وهو ترك قطعها وتوفيرُها».[٣] وقولهم: أعفِني من الخروج معك، أي: دعني منه واتركني. فقوله: "فاستَعفيتُ" هو لطلب الثلاثيّ المزيد وهو الإعفاء، وليس لطلب الثلاثيّ المجرد وهو العفو. فإنّ استفعل قد تكون لطلب الثلاثيّ المجرّد نحو قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ﴾ [البقرة ٢/٢٨٢]، وقد تكون لطلب الثلاثيّ المزيد نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ [البقرة ٢/٢٣٣]، فإنّ المعنى طلب الإرضاع.

قوله: **(إلّا المراجعة)** استثناء مُفرَّغ، أي: أبَوا جميع الأشياء من الترك وقَبول العذر وجواز التأخير. وضمَّن قوله: **(حَداني)** معنى[٤] حملني؛ فلذا عدّاه بـ"على". وقوله: **(على علمي)** حال: إمّا من مفعول "حداني" أو من الفاعل المحذوف للاستعفاء، أي: حملني على أن استعفيت عالمًا بأنّهم. والضمير من "إليه" و"فيه" عائد إلى "ما" وهو الإملاء.

قوله: **(عليَّ)** متعلِّق بـ(واجبة) وقدَّمها للأهميّة؛ لأنّه يريد اختصاص الوجوب به.

---

١ ن: رأيت.

٢ د ش: المقائيس.

٣ الكلام بحروفه في **المُغرِب** للمُطرّزي، «عفو». وانظر: **مقاييس اللغة** لابن فارس، «عفو».

٤ ن - معنى.

لأنّ الخوضَ فيه كفرضِ العَين- ما أَرَى عليه الزمانَ مِن رَثاثةِ أَحْوالهِ ورَكاكةِ رِجَالِهِ، وتقاصُرِ هِمَمِهِم عن أَدْنى عُدَدِ هذا العلم، فَضْلًا أَنْ تَتَرَقَّى إلى الكلام المُؤَسَّسِ على عِلْمَي المَعاني والبَيَان، فأَمْلَيتُ عَلَيهم مَسْأَلَةً في الفواتح ....

/ قوله: (لأنّ الخوض) تعليل الوجوب وإنّما كان كفرض العين؛ لأنّ القيام بعلوم الشرع[1] والفتوى ودفع الشُّبَه، وإن كان من فروض الكفايات، لكنّه إذا تعيَّن شخصٌ في زمان لذلك وجب عليه، ويصير كفرض عين[2] بالنسبة إليه. [١٠و]

قوله: (ما أرى) خبر (الذي). وضمير (عليه) عائد إلى "ما". و(مِن) بيان "ما". و"رثَّ" الثوبُ، أي: بلِيَ، وثوب رثٌّ، أي: بالٍ، وجمعه رِثاث، وهيئة رِثَّة، ورَثاثة الهيئة: خُلوقة الثياب وسوء الحال. شبَّه الزمان الذي خلا أهله من الفضل والكرم بمن به خُلوقة الثياب وسوء الحال. و"ركَّ" الشيء: رقَّ وضعُف، والرَّكيك: الضعيف، وثوب ركيك النَّسج.[3] و(تقاصُر) من حيث المعنى مفعول "أرى"، أي: أرى قصور هِمم رجال الزمان عن أدنى عُدَد هذا العلم فاضلًا قُصورَ هممهم عن أدنى عُدَد هذا العلم على قصور هِمَمهم عن الترقي؛ أو التقدير: فضل قصور هِمَمهم فضلًا، والجملة حال. وحاصل المعنى أنّ قُصور هِمَمهم عن الترقي متحقِّق، وزاد على ذلك أنْ قصُر[4] هِمَمهم عن أدنى عُدَد هذا العلم. والعُدَد جمع عُدّة، والعُدّة: ما أعددته لحوادث الدهر، ويقال:[5] أخذ الأمير[6] عُدّته. وأدنى عُدَده اللغة والصرف. والمراد بـ"الكلام المؤسَّس على[7] المعاني والبيان" هو الكلام في تلك الطرائق والحقائق؛ لِما مرَّ أنّه لا يتصدَّى ولا يغوص إلا عالم المعاني والبيان بالشرائط المتقدِّمة.

قوله: (فأمليتُ) عطف على قوله: (فأبَوا). وقوله: "والذي حداني" إلى هنا[8] اعتراضٌ. و(الفواتح) جمع الفاتحة، وفاتحة الشيء أوّله. والمراد بها:

---

١ ن: الشرعية.
٢ ن: العين.
٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ركك».
٤ ن: قصور.
٥ ن: يقال.
٦ ن: للأمر.
٧ ن + علمي.
٨ ن: هذا.

وطائفةً من الكلام في حقائق سورة البقرة، وكان كلامًا مَبْسُوطًا كثيرَ السُّؤالِ والجَوابِ، طويْلَ الذيُول والأطْناب، وإنَّما حاوَلْتُ به التَّنْبِيهَ على غَزارة نكتِ هذا العِلم، وأنْ يكون لهم مَنارًا يَنْتحونَهُ ومثالًا يَحْتذُونَه.

فلمَّا صَمَّم العَزْمُ ....

ما في أوائل السوَر من ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة ١/٢]، و﴿صٓ﴾ [ص ١/٣٨]، و﴿نٓ﴾[1] [القلم ١/٦٨]، إلى غير ذلك.

قوله:[2] **(وكان)** الضمير فيه يجوز أن يكون عائدًا إلى المُملَى أو إلى الكلام أو إلى المذكور من قوله: **(مسألةً)** و**(طائفةً)**. وقوله: **(كثيرَ)** و**(طويلَ)** يجوز أن يكونا صفتَي **(مبسوطًا)**، أو صفةً بعد صفةٍ لـ**(كلامًا)**.

قوله: **(وإنّما حاولتُ به)** أي: بذلك الكلام المبسوط أو ببسط الكلام. و"الغزارة": الكثرة. و"المنار": العَلَم. و"الانتحاء": القصد. و"احتذى "مثاله إذا اقتدى به.

اعلم أنّ في كلامه نوعَ تَخالف؛[3] لأنّه لمّا قال: "رأيتُ إخوتنا في الدين" إلى قوله: "الدينيّة"، وقال: "والاستشفاعَ بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد"، عُلِم أنّ في زمانه علماءَ عاملين،[4] ولا شكّ أنّ الزمان الذي فيه أمثال هؤلاء يكون متزيِّنًا بهم، فكيف صحّ منه وصفُ زمانه برثاثة الحال ونقصان الرجال ووصفُ الرجال أيضًا بالقصور البالغ؟ مع أنّه يصف أيضًا بعد ذلك حاكم مكّة بقوله: "وهو النُّكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة[5] محاسنهم وجُموم مناقبهم". اللّٰهمّ إلّا أن يقال: كانوا قليلًا بالنسبة إلى غيرهم، وكان المَنصِب والغلبة للقاصرين.

قوله: **(فلمّا صمّم)** والتصميم: المُضيُّ في الأمر، وعزمٌ مُصمِّم وسيف مُصمِّم، بالكسر لا غيرُ.

---

[1] ن – و﴿نٓ﴾.
[2] ن – قوله.
[3] ن: تخاف.
[4] ش ن: عاملون.
[5] ن: كثير.

على مُعَاوَدَة جِوار الله، والإناخةِ بحرَمِ الله، فتوجَّهْتُ تِلْقاءَ مكةَ، وجَدْتُ في مُجْتازِي بكلِّ بلدٍ مَن فيه مُسْكةٌ من أهلها -وقليلٌ ما هم- عَطْشَى الأَكْبادِ إلى العُثُورِ على ذلك المُمْلَى، مُتَطلِّعينَ إلى إيناسِه، حِرَاصًا على اقتباسِه، فهَزَّ ما رأيتُ

قوله: (معاودة) يدلّ على أنّه توجّه إليه قبل ذلك. (فتوجَّهتُ) عطف على (صمَّم). (وجدتُ) جواب (لمّا). والاجتياز: السُّلوك، و"مجتازي" اسم مكان أو زمان أو مصدر ميميٌّ: فإن كان اسم مكان يكون (في مجتازي) ظرفًا لـ"وجدتُ"، و(بكلِّ بلد) بدلًا منه، والباء[1] بمعنى في، فكأنّه كرّر العامل؛ وإن كان اسم زمان فهو ظرف الزمان و"بكلِّ بلد" ظرف مكان؛ وإن كان مصدرًا فهو حال و"بكلِّ بلد" ظرفُ "وجدتُ" أو ظرف[2] "مجتازي" أو مفعول "مجتازي" بواسطة / الحرف. و"مَن" مفعول "وجدتُ". يقال: فيه (مُسكة) من خير، أي: [١٠ظ] بقية. والضمير في (أهلها) للبلد. و(قليل ما هم) اعتراض. و(عطشى) مفعول ثانٍ لـ"وجدتُ"، يقال: رجل عطشانُ وقوم عطشى. وفي نسبة العطش إلى الكبد نوعُ مبالغة. وهو عبارة عن الاستباق[3] فلذا عدّاه بـ"إلى". و(العثور): الاطلاع. و(مُتطلِّعين) مفعول ثانٍ بعد مفعول ثانٍ كتكرُّر خبر المبتدأ، ويقال: تطلّعت إلى ورود كتابك. وكذا (حِراصًا): وهو جمع حريص. ويجوز أن يكونا حالين من الضمير في "عطشى" فيكون من ترادف الحالين؛ أو الأوّل[4] من الضمير في "عطشى"، والثاني من الضمير في "متطلِّعين" فيكون من تداخل الحالين. و"الإيناس": الإبصار. و"الاقتباس": الاستفادة.

قوله: (فهزَّ) عطف على "وجدتُ" وهو كناية عن الفرح، قال الشاعر:

أهُــزُّ بـه فـي نَــدوة الـحَـيِّ عِطفَه   كمـا هَـزَّ عِطفِـي بالهِجـان الأَوارِكِ[5]

---

[1] ن + فيه.

[2] ن - مكان؛ وإن كان مصدرًا فهو حال و"بكلِّ بلد" ظرفُ "وجدتُ" أو ظرف.

[3] ن: الإشفاق.

[4] ن: والأوّل.

[5] البيت لتأبّط شرًّا في ديوانه، ص ١٥٠. | والندوة: أصله الجمع، ويقال: نداهم النادي، أي: جمعهم. وعِطف كل شيء: جانبه. والهِجان: الإبل البيض الكرام. والأوراك: التي رعتِ الأراك. يقول: أُحرِّك بالثناء جانبه كما حرَّك جانبي بعطيّته. انظر: **شرح الحماسة** للمرزوقي، ١/٩٤.

مِن عِطْفي، وحَرَّكَ الساكنَ من نَشَاطِي.

فلمّا حَطَطْتُ الرَّحْلَ بمكةَ -حرسَها اللهُ تعالى- إذا أنَا بالشُّعْبَةِ السَّنيَّةِ مِن الدَّوْحة الحَسنيَّة، الأميرِ الشَّريف الإمامِ شرفِ آلِ رسُولِ الله أبي الحسن عليِّ بن حمْزةَ بن وهَّاسٍ ....

و(**مِن**) للابتداء؛ كأنّه ابتدأ الهزَّ من العِطف، أو للتبعيض؛ كأنّه أخذ بعض عِطفه وحرّكه. ويقال:[١] نشَط العُقدة شدَّها[٢] أُنشُوطةً، وهي كعُقدة التِّكَّة في سهولة الانحلال، وأنشَطَها: حلَّها، والنشاط بالفتح فَعال من الإنشاط، أو من نشَط[٣] بمعنى أنشط وهو المَيل إلى الشيء والاهتزاز نحوه. و(**من نشاطي**) بيان (**الساكن**). فالمعنى: سرّني ذلك وحضّني على التصنيف. أو "هزَّ" استعارة، شُبّه حاله بحال مَن يُحرَّك عند[٤] الإيقاظ من النوم أو التنبيه على أمر، ويكون قوله: "وحرَّك" تقريرًا[٥] له.

قوله: (**فلمّا حططتُ الرَّحل**) أي: نزلتُ بمكّة فاجأتُ زمانَ أنا مُلتبس بالشُّعبة. و(**الشُّعبة**): الغُصن، وهي استعارة. و(**الدَّوْحة**): وهي الشجرة العظيمة، ترشيحٌ لها. والعامل في (**لمّا**) و(**إذا**) هو[٦] فاجأتُ، تقديره: وقتَ حطِّي فاجأتُ زمان أنا مُلتبس بالشُّعبة. نظيرُه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر ٤٥/٣٩]؛ فإنّ العامل في ﴿إِذَا ذُكِرَ﴾ هو العامل في[٧] "إذا" المفاجأة، تقديره: وقتَ ذُكِر الذين من دونه فاجئوا وقتَ الاستبشار. ومثله حديث عمر رضي الله عنه:[٨] «بينما نحن عند رسول الله عليه السلام إذ طلعَ علينا رجل»،[٩] والتقدير: وقتَ كوننا عند رسول الله عليه السلام فاجأنا وقتَ طلوع الرجل. الأوّل ظرف، والثاني مفعول به.

---

١ ن: يقال.

٢ ن: شرها.

٣ ن - أو من نشَط.

٤ د: عن.

٥ ن: تقديرا.

٦ ن + هو.

٧ ن - ﴿إِذَا ذُكِرَ﴾ هو العامل في.

٨ د - رضي الله عنه.

٩ مسند أحمد، ٤٣٥/١ (٣٦٧)؛ صحيح مسلم، ٢٣/١ (٨)؛ سنن أبي داود، ٢٢٤/٥ (٤٦٦٢).

أَدامَ اللهُ مجْدَه، وهو النكتةُ والشَّامَةُ في بني الحسن مع كثرةِ محاسنهم وجُمُومِ مَناقِبِهم، أَعْطَش الناسِ كَبِدًا، ....

وقوله: (أدام الله مجدَه) لا محلّ له، كما لا محلَّ لـ"صلّى الله عليه وسلّم" بعد ذِكر النبيّ، ولا لـ"عليه السلام" و"تعالى"؛ وذلك لأنّك إذا ذكرت اسم ذاتٍ استأنفتَ كلامًا يدلُّ على دُعائه أو تعظيمه. و(النُّكتة): كلُّ نقطة من بياض في سواد أو سواد[١] في بياض. و(الشامة): الخال، أي: هو زينة لهم. والجَموم بالفتح: البئر الكثيرة[٢] الماء، والجُموم بالضمّ: مصدر.

قوله: (أعطش) بالرفع والنصب على الخبريّة والحاليّة: الخبريّة على مذهب سيبويه، والحاليّة على مذهب الكسائيّ،[٣] بناءً على هذه المسألة وهي: "كنت أظنُّ أنّ الزُّنبور أشدُّ لَسعة من العقرب فإذا هو هي، وقيل: فإذا هو إيّاها"،[٤] ويجعل إيّاها حالًا على حذف المضاف فيكون المضاف المحذوف حالًا في المعنى مقدَّرًا بـ"مثل"، فكأنّه قال: فإذا هو مثلَها، ونُصب "مثلَها"[٥] على الحال، ثمّ[٦] حُذف المضاف وأُقيم المضاف إليه. هكذا ذُكر[٧] / في بعض **حواشي الكشّاف**.[٨] [١١و]

ولي فيه نظرٌ؛ لأنّ النصب متعيّن في "أعطشَ"؛ لأنّه حال من الشُّعبة إذ هو في حُكم المفعول، والتقدير: أنا مُلتبس بالشُّعبة حال كونه أعطش الناس، والفرق بينه وبين المسألة المذكورة لا يخفى على المتأمِّل. ولو قرئ "أعطشُ" بالرفع كان خبر مبتدأ محذوف، والجملة الاسميّة تكون حالًا خاليًا من الضمير لا على طريقة المسألة المذكورة.

١ ن: وسواد.
٢ ن: الكثير.
٣ ن: السكّاكي.
٤ انظر في المسألة الزُّنبوريّة: **الإنصاف في مسائل الخلاف** لأبي البركات الأنباري، ٢/٧٠٢-٧٠٦؛ **وشرح الرضي على الكافية**، ٣/١٩٤؛ ومغني اللبيب لابن هشام، ٢/٥٤-٥٨.
٥ ن – مثلها.
٦ ن – ثم.
٧ ن: ذكره.
٨ لم أقف عليه.

وأَلْهَبَهُمْ حَشًا، وَأَوْفاهُم رَغْبةً، حتى ذُكِرَ أَنَّهُ كان يُحَدِّثُ نَفْسَهُ في مُدَّةِ غَيْبَتِي عن الحِجازِ مع تَزاحُمِ ما هو فيه من المَشَادِهِ بقَطْعِ الفَيَافِي وَطَيِّ المَهَامِهِ، ....

و(**ألهبهم**) أي: ألهبَ الناس، «واللُّهْبة بالتسكين: **العطش**، وقد لهِب بالكسر يلهب لَهبًا».[١] و(**أوفاهم**) من وفى الشيءُ وُفِيًّا على فُعول، أي: تمّ. ولا بدّ لقوله: "أعطشَ" و"ألهبَ" و"رغبةً" من صِلة حذفَها؛ لدلالة قوله عن قريب: "عَطْشى الأكباد إلى العثور على ذلك" عليه.[٢] و(**الناس**) إمّا للاستغراق أو للعهد؛ وهم الذين وجدهم في مجتازه عطشى. و(**حتّى**) غاية شدّة عطشه ووُفيّ رغبته.

وإنّما قال: (**حتّى ذكر أنّه كان يُحدّث**) ولم يقل: حتّى كان يُحدّث؛ إمّا لأنّ المُلوك لا يُظهرون[٣] مثل هذه الأمور صَوْنًا لعِرضهم ورعاية لمَنصبهم إلّا عند شدّة رغبتهم، أو لأنّه لم يظهر له حديث نفسه إلّا بذكره فأَسند إليه، كما يقال: العُهدة على الراوي، وأتى بـ"كان" ليدلّ على التكرُّر[٤] كما يقال: كان[٥] حاتم يُكرِم الضَّيف. و(**الحِجاز**): مكّة، والمدينة، واليَمامة، وقُرى هذه المواضع كخَيبر للمدينة، والوَجّ: وهو وادي الطائف، والطائِف وما يُعزى إليها لمكّة. سُمّيت بالحِجاز؛ لأنّها حجزت، أي: فصلت بين الغَور ونجد، وقيل: بين الغور والشام وبين البادية، وقيل: احتجز بالجِرار والجبال، أي: أحاطت به، من احتجز الرجل بإزاره[٦] إذا شدَّه في وسطه.[٧] وشُدِه، أي: شُغِل. و(**المَشادِه**): الشواغل وقياس واحده مَشده، وهو لم يُستعمل. والباء في (**بقطع**) متعلّق بـ(**يُحدّث**). «والفَيفاء: الصحراء[٨] الملساء والجمع الفيافي، قال المبرّد: ألف فيفاء زائدة؛ لأنّهم يقولون: فَيف في هذا المعنى».[٩] و"المَهمَه":

---

١ ن – وقد لهِب بالكسر يلهب لَهبًا. | والكلام بنصّه في **الصحاح** للجوهري، «لهب».

٢ ن – عليه.

٣ ن: ينظرون.

٤ ن: التكرير.

٥ ن – كان.

٦ ن: بإزار.

٧ وانظر تفصيل الكلام على الحِجاز وما يتعلّق بها في **معجم البلدان** للحموي، ٢/٢١٨-٢١٩.

٨ ن: الحجر.

٩ **الصحاح** للجوهري، «فيف».

والوِفَادةِ علينا بخوارَزْمَ ليَتَوصَّل إلى إصابةِ هذا الغرض.

فقلتُ: قد ضاقَتْ على المُستَعْفي الحِيَل، وعَيَّتْ به العِلَل، ....

المفازة البعيدة والجمع المَهامِه. وفد فلان على الأمير وَفدًا، أي: ورد رسولًا والاسم (الوِفادة) أي: كان في خاطره ألا يَقنع بإرسال الرسول إلينا كما يُرسِل إلى الأمير، بل يريد أن يفِد إلى حضرتنا وَفدَ الرسول لهذا الغرض الجليل. (بخوارزم) حال من الضمير المتكلِّم في (علينا) أي: كان يريد أن يفِد علينا حال كوننا بخوارزم لا بموضع قريب من مكّة، وفيه مبالغة. وقد مدحه ابن وهّاس بهذين البيتين:

جميعُ قُرى الدنيا سوى القريةِ التي تبوَّءهـا دارًا فِـداءُ زَمَخشـرا

وأَحْـرِ بـأن تُزهى زَمَـخْشرُ بـامرئٍ إذا عُدَّ من أُسْدِ الشَّرى زَمَخَ الشَّرى[1]

«والزَّهْو: الفخر والكِبر، وزها الرجل فهو مزهو، أي: تكبَّر. وللعَرب كلمات لا يتكلَّمون بها إلّا على سبيل المفعول به وإن كان فاعلًا، نحو زُهِيَ الرجل وعُنِيَ بالأمر»،[2] وفيه لغة أخرى: زها يزهو. وزمخَ، أي: تكبَّر. والشَّرى: موضع كثير الأُسْد.

قوله: (فقلتُ) عطف على عامل "إذا" المفاجأة، أي: فلمّا حططتُ فاجأتُ فقلتُ. ولا يجوز أن يكون عطفًا على قوله: "ذكَر" لأنّه لا يصلح أن يكون غاية عطشِ الأمير ولهبِه. و(المُستعفي) هو المصنِّف؛[3] لأنّه قد استعفى قبلُ[4] فاللام فيه للعهد؛ لأنّ تعريف العهد ليس شيئًا غيرَ القصد إلى الحاضر في الذهن حقيقةً / أو مجازًا، كقولك: جاءني رجل فقال الرجل كذا، وقولِك: انطلق رجل [١١ظ]
إلى موضع كذا والمنطلق ذو جِدّ. ويقال: "عيِيتُ بأمري" إذا لم تهتدِ فيه لوجهه وأعياني هو، والباء فيه للتعدية وضميره للمُستعفي، أي: أعيا العللُ المُستعفي؛

---

[1] البيتان لابن وهّاس في معجم البلدان للحمَوي، ١٤٧/٣؛ والقاموس المحيط للفيروزآبادي، «زمخشر». وزمخشر موضع.

[2] الصحاح للجوهري، «زها».

[3] ن: المص [اختصارًا من "المصنّف"].

[4] ن: قبله.

ورَأيتُني قد أَخَذَتْ مِنِّي السِّنُّ وتَقَعْقَعَ الشَّنُّ، وناهَزْتُ العَشْرَ التي سَمَّتْها العَرَبُ: دَقَّاقَةَ الرِّقابِ.

فأخذتُ في طريقةٍ أَخصَرَ من الأُولى، معَ ضَمانِ التكثِيرِ من الفوائد والفَحْصِ عن السرائر، ووَفَّقَ اللهُ وسَدَّد، فَفَرغَ منه في مقدار مدةِ خلافةِ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضي الله عنه، وكان يُقَدَّرُ تمامُه في أكثرَ من ثلاثينَ سنةً، ....

لأنّه لم يجد في ردِّ التماس الأمير[١] عِلَّةً من العلل. و(رأيتُني) عطف على "فقلتُ"، أو على مقوله.

قوله: (قد أخذتْ) يعني أخذ (السِّنُّ) بعض قوايَ. و(الشَّنُّ): القِربة الخَلَق، شبَّه جلده بها، و(تقعقعَ الشَّنُّ) إذا صوَّت، وهو عند يُبسه ويراد[٢] به جَفاف الجلد. و(ناهزتُ) أي: أشرفتُ وقاربتُ.[٣] و(العَشرُ التي سمَّتها العرب دقّاقة الرِّقاب): من الستين إلى السبعين. (فأخذتُ) عطف على "فقلتُ". (من الأولى) أي: من الطريقة الأولى، وهي الطريقة التي سلكها في مسألة الفواتح وطائفة من الكلام.

قوله: (مع[٤] ضمان) يجوز أن يكون حالًا من الضمير في "أخصرَ"، جعلَ الطريقة ضامنة بالمجاز، أو من "أخذتُ" أي: أخذتُ ضامنًا. و"التسديد": التوفيق للسداد وهو الصواب والقَصد من القول والعمل. و"خلافة أبي بكر رضي الله عنه"[٥] سنتان وثلاثةُ أشهر وعشرة أيّام، وقيل: سنتان وأربعةُ أشهر وعشر ليالٍ. وذِكرُ خلافة أبي بكر رضي الله عنه[٦] غيرُ أجنبيٍّ ههنا لقوله: (وكان يقدَّر) يعني: يقدَّر[٧] تمامه في مدّة خلافة الخلفاء الراشدين وهي ثلاثون سنة، ففرغ منه في مدّة خلافة أقصرهم مُدّة. ثمّ اعلم أنّ خلافة الشيخين ثلاثَ عشرةَ سنة، وخلافة عثمان اثنتي عشرةَ سنة، وخلافة عليٍّ خمس سنين، رضوان الله عليهم أجمعين.

---

[١] د: الأمر.
[٢] ن: يزداد.
[٣] د: قرابت.
[٤] ن: من.
[٥] د - رضي الله عنه.
[٦] د ن - رضي الله عنه.
[٧] د - يعني يقدر.

وما هي إلّا آيةٌ من آياتِ هذا البَيْت المُحَرَّمِ، وبَرَكَةٌ أُفِيضَتْ عليَّ مِن بَركاتِ هذا الحَرَمِ المُعَظَّمِ، أَسْأَلُ اللهَ تعالى أَن يَجعل ما تعِبْتُ فِيه منه سَببًا يُنْجِيني، ونورًا لي على الصِّراط يَسْعَى بَيْنَ يدي وبِيَمِيني، ونِعْمَ المَسؤولُ.

قوله: **(وما هي)** أي:[1] هذه القِصَّة وهي الفراغ في هذه المدَّة إلَّا علامةٌ من علامات شرف هذا البيت.

قوله: **(فيه)** ضميره[2] عائد إلى **(ما)**، و**(منه)** بيان **(ما)**، والضمير للكتاب.

قوله: **(يسعى بين يديَّ وبيميني)** اقتبسه من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد ١٢/٥٧]؛ وذلك لأنّ السعداء يُؤتَون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين، كما أنّ الأشقياء يُؤتَونها من شمائلهم ووراء ظهورهم، فيجعل النور في الجهتين شعارًا لهم وآية؛ لأنّهم هم الذين بحسناتهم سَعدوا وبصحائفهم البِيض أفلحوا، فإذا ذُهب بهم إلى الجنَّة ومرُّوا على الصراط يَسعَون يسعى بسعيهم ذلك النور جَنيبًا لهم ومُتقدِّمًا.

قوله: **(ونِعمَ المسئولُ)** يجوز أن يُراد بالمسئول هو الله الذي سأل منه هذا المطلوب الذي هو النجاة وسعْيُ النور، فالتقدير: نعم[3] المسئولُ هو الله تعالى! ويجوز أن يراد بالمسئول هذا السؤالُ والمطلوب،[4] فالتقدير: نعم المسئول هذا السؤال![5] والله الموفِّق للصواب.

---

١ ن: إلا.
٢ ن: ضمير.
٣ ن – نعم.
٤ ن + الذي هو النجاة.
٥ ن + والمطلوب.

سورة فاتحة الكتاب

مَكيَّةٌ، وقيل: مكيَّةٌ ومدنيةٌ؛ لأنَّها نزلَت بمكةَ مرَّةً وبالمدينةِ أخرى.

وتُسمَّى: أمَّ القرآن؛ لاشتمالها على المعاني التي في القرآن؛ من الثَّناء على الله تعالى بما هو أهلُه، ومِن التَّعبُّدِ بالأمر والنَّهي، ومن الوَعْد والوعيد.

سورة فاتحة الكتاب

سُمِّيت فاتحة الكتاب؛ لأنَّها في أوّل الكتاب، أي: **القرآن**، وفاتحة الشيء: أوّله؛ أو لأنّ **القرآن** لمّا افتُتح بها فكأنّها[1] فَتحتِ **القرآنَ**.

قوله: (**وتسمّى أمَّ القرآن**) إلى قوله: "الوعيد" من "الثناء" بيانُ "المعاني". و(**الثناء**): الكلام الجميل، وأثنى عليه ثناءً، والاسم الثّناء. ولفظ (**هو**) يعود إلى الله تعالى، والضمير من (**أهلُه**) إلى (**ما**). والأهل: المختصُّ بالشيء. و"الثناء" من أوّل "الفاتحة" إلى قوله: / ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾. و(**التعبُّد**): الاستعباد، وهو [١٢و] أن يتَّخذه عبدًا، وكذا الاعتباد والإعباد والتعبيد.[2] وأراد به قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾؛ لأنّ العبادة إنّما تتأتّى على مناهجها بالامتثال للأوامر والانتهاء عن المناهي. و(**الوعد**) في ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾. و(**الوعيد**) في ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾. وأمُّ الشيء: أصله، وأمُّ الطريق: معظمُه.

والفروع لأصلها[3] كالجزئيّات لكُلِّيها؛[4] مثاله: زيد وعمرو للإنسان، والتفصيل لجملته كالأجزاء لكُلِّها، مثاله: "البقرة" و"آل عمران" للمِئين، والفروع غير موجودة في الأصل بالفعل بخلاف التفصيل الموجود في الجملة بالفعل،

---

١ ن: بكتابها.

٢ ن: التَّعبُّد.

٣ ن: لأقلّها.

٤ ن: لكلِّيتها.

وسورةَ الكَنْزِ والوافيةَ لِذلك.

وسورةَ الحمد.

والمَثَانيَ: لأنها تُثَنَّى في كلِّ ركعةٍ.

وإن[1] لم يكن مذكورًا معه بالفعل.

إذا عرفتَ ذلك فنقول: لمّا كانتِ "الفاتحة" مشتملةً على المعاني التي في بقيّة **القرآن** كان بقيّة **القرآن** تفصيلَ إجمالها، فكان نسبةُ بقيّة **القرآن** إليها نسبةَ الفرع[2] إلى الأصل، فسُمِّيت أمَّ **القرآن**؛ أو نقول: لمّا كان **القرآن** تفصيل إجمالها كان **القرآن** بسْط معناها فسُمِّيت أُمَّ **القرآن**، كما سُمِّيت مكّة أُمَّ القرى لدحْو الأرض من تحتها.

فإن قلتَ: لم يُذكَر فيه القِصص؟ قلنا: عنه جوابان: **الأوّل**: أنّ حاصل القِصص عائد إلى التعبّد أو الوعد والوعيد؛ **الثاني**: أنّها ذِكر[3] أحوال المُنعَم عليهم أو المغضوب عليهم.

قوله: (**وسورةَ الكنز**) عطف على "أمَّ **القرآن**". والكنز واحد الكنوز: وهو المال المدفون، تسمية بالمصدر، يقال: كنز المالَ كنزًا. (**والوافيةَ**) أي: التامّة.

قوله: (**لذلك**) أي: سُمِّيت بالكنز وبالوافية؛ لاشتمالها على المعاني التي في **القرآن**.

قوله: (**لأنها تُثنّى**) أي: تُكرَّر. (**في كلّ ركعة**) أي: صلاة.

وقال أبو عُبيدة: المَثاني تقع على ثلاثة أشياء: على **القرآن** كلِّه في قوله تعالى: ﴿كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزُّمر ٢٣/٣٩]، وعلى "الفاتحة" في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ [الحجر ٨٧/١٥]، وعلى سُوَر من **القرآن** دون المِئين وفوق المُفصَّل؛ وهي جمع مَثنى أو مَثناة من التثنية بمعنى التَّكرار. أمّا **القرآن**؛ فلأنّه تكرَّر فيه القِصص والأنباء والوعد والوعيد، وقيل: لأنّه يُثنّى في التلاوة

---

١ ن: فإن.

٢ ن: الفروع.

٣ ن – ذكر.

وسورةَ الصلاة: لأنها تكون فاضِلةً أو مُجزئَةً بقراءتها فيها.

وسورةَ الشفاء والشافيةَ.

فلا يُملُّ؛ وأمّا "الفاتحة"؛ فلأنّها تُثنّى في كلِّ صلاة، وقيل: لِما فيها من الثناء على الله تعالى؛ وأمّا السوَر؛ فلأنّ المِئين[1] مَبادٍ وهذه مثاني.[2]

وسُمِّيت (**سورةَ الصلاة**)؛ لأنّ الصلاة تكون "فاضلة" بقراءة "الفاتحة" فيها، على مذهب مَن يصحِّح الصلاة بدونها؛[3] وتكون "مُجزئة" بقراءة "الفاتحة" فيها على مذهب مَن لا يصحِّح الصلاة بدون[4] "الفاتحة".[5] والإجزاء: هو الأداء الكافي لسقوط التعبُّد به. وسُمِّيت (**سورةَ الشفاء**) لِما رُوي عن أبي سعيد الخُدري:

> أنّ ناسًا من أصحاب رسول الله عليه السلام كانوا في سفر فمرُّوا بحيّ من أحياء العَرب فاستضافوهم فلم يُضِيفوهم، فقيل لهم: هل فيكم راقٍ؟ فإنّ سيّد الحيّ لديغ، فقال رجل منهم: نعم، فأتاه فرَقاه بفاتحة الكتاب فبَرئ الرجلُ؛ فأُعطيَ قطيعًا من غنم فأبى أن يقبلَها، فقال: حتّى أذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم،[6] فأتى النبي عليه السلام فذكر ذلك له،[7] فقال: يا رسول الله، والله ما رقيتُ إلّا بفاتحة الكتاب، فتبسَّم وقال: ما يدريك[8] أنّها رُقية؟ ثمّ قال: خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم.

وهذا حديث متَّفق على صحَّته رواه مُسلم والبخاري.[9]

---

١ ن: الماتين.

٢ من قوله: "وقال أبو عبيدة" إلى هنا بلفظ قريب في **المُغرب** للمُطرّزي، «ثني». وفيه «عبيد» مكان «عبيدة». والكلام بمعناه مع اختلاف بالنقص والزيادة في **كتاب الغريبين** لأبي عُبيد الهروي، ١/٢٩٩.

٣ وهو مذهب أبي حنيفة. لتفصيل ذلك انظر: **أحكام القرآن** للجصّاص، ١/٢٠-٢٨؛ و**المبسوط** للسرخسي، ١/١٨-١٩؛ و**رءوس المسائل** للزمخشري، ص ١٤٨-١٤٩؛ و**بدائع الصنائع** للكاساني، ١/١١٠-١١١.

٤ ن: بدونها.

٥ ن - الفاتحة. | هو مذهب الشافعي والأكثرين. لتفصيل ذلك انظر: **المُهذَّب** للشِّيرازي، ١/٢٤٢-٢٤٤؛ و**أحكام القرآن** لابن العربي، ١/٦؛ و**تفسير الرازي**، ١/١٩٤، (الفاتحة، ١/١).

٦ د - صلى الله عليه وسلم.

٧ ن - له.

٨ ن: يديك.

٩ ش + رحمة الله عليهما؛ ن + رحمهما الله. | **صحيح البخاري**، ٦/١٨٧-١٨٨ (٥٠٧٧)؛ **صحيح مسلم**، ٢/١٠٤٩ (٢٢٠١).

وهي سبعُ آياتٍ بالاتفاق، إلّا أنّ منهم مَن عدَّ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ دون التسميةِ، ومنهم مَن مَذهبُه على العكس.

[١٢ظ] قوله: (إلّا أنّ منهم) يعني: اتّفقوا على أنها سبع / آيات، لكن اختلفوا في كيفيّة عدِّ الآيات. قال الإمام:

> رأيت في بعض الروايات الشاذّة أنّ الحَسن البَصريّ كان يقول هذه السورة ثمان آيات. وأمّا الرواية المَشهورة التي أطبق الأكثرون عليها أنّ هذه السورة سبعُ آيات؛ وبه فسّروا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر ١٥/٨٧]. إذا ثبت هذا فنقول: الذين قالوا: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آية من "الفاتحة" قالوا: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾ إلى الآخر آية واحدة. وأبو حنيفة لمّا أسقط التسمية من "الفاتحة" قال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية، و﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾... إلى الآخر آية. ومذهب الشافعي أولى؛ لأنّ مَقطع قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لا يُشابه مقاطع الآيات المُتقدِّمة، ورعايةُ التشابه في المقاطع لازمة؛ لأنّا وجدنا مقاطع القرآن على ضربين: متقاربة ومتشاكلة: والمتقاربة كما في سورة "ق"، والمُتشاكلة كما في سورة "القمر"، وقوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ليس من القسمين؛ فامتنع جعلُه من المقاطع.[١]

وأنا أقول: أمّا عند أبي حنيفة فالآية الأولى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، والثانية: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، والثالثة: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، والرابعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، والخامسة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، والسادسة:[٢] ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، والسابعة: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾. وأمّا عند الشافعي فالآية الأولى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، والثانية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، والثالثة: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، والرابعة: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، والخامسة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، والسادسة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، والسابعة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

---

١ تفسير الرازي، ١/٢٠٧ (الفاتحة، ١/١).

٢ ن: الشّاذة.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾

قُرَّاءُ المدينةِ والبَصْرةِ والشام وفُقهاؤُها على أن التسميةَ ليست بآيةٍ من الفاتحةِ ولا مِن غيرها من السُّورِ، وإنَّما كُتبتْ للفَصْل والتبرُّك بالابتداء بها كما بُدِئَ بذكرها في كلّ أمْرٍ ذِي بالٍ، وهو مَذْهبُ أبي حنيفة -رضي الله عنه- ومَن تابعه، ولِذلك لا يُجْهَرُ بها عندهم في الصَّلاة.

وقُرَّاءُ مكةَ والكوفةِ وفقهاؤهما على أنها آيةٌ مِنَ الفاتحةِ ومن كلِّ سورةٍ، وعليه الشافعيُّ رحمه الله وأصحابُه رحمهم الله، ولذلك يجهَرون بها، وقالوا: قد أَثْبتها السَّلفُ في المُصْحف مع تَوْصِيَتهم بتجريد القرآن، ولذلك لَمْ يُثْبِتُوا آمين، فلولا أنها من القرآن لَمَا أَثْبتوها.

قوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

قوله: (ولا من غيرها) لا ينتقض بقوله تعالى:[1] ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل ٣٠/٢٧]؛ لأنَّها هناك بعض آية. و(التبرُّك) بالشيء: التيمُّن به. (ذي بالٍ) أي: ذي شرف وخطر، والبال مصدر بمعنى المُبالاة، يقال: لا أُباليه ولا أُبالي به، أي: لا أَهتمُّ به ولا أكترث له،[2] ويقال: لم أُبالِ ولم أُبَلْ، فيحذفون الألف تخفيفًا، كما يحذفون الياء في المصدر، فيقولون: لا أُباليه مُبالاةً وبَالَةً، والأصل باليَةً، كعَافاه مُعافاةً وعافيةً، وحقيقة لا أُباليه ولا أُبالي له:[3] لا أُخابره؛ لقلَّة اكتراثي له،[4] مِن بلاه إذا خبَره وجرَّبه. وقولهم: ما لم يُبْلِ العذرَ،[5] أي: لم يُبيِّنه ولم يظهره، وهو في الأصل مُعدًّى إلى مفعولين، يقال: أبليتُ[6] فلانًا عذرًا إذا بيَّنتَه له بيانًا لا لوم عليك بعده، وحقيقته: جعلتُه باليًا لعُذري، أي: خابرًا له عالمًا بكُنهه.[7]

---

١ ن – تعالى.
٢ ن: به.
٣ ن: به.
٤ ن: به.
٥ ن: للعذر.
٦ ن: بليت.
٧ من قوله: "لا أباليه ولا أبالي به" إلى هنا بلفظ قريب في المُغرِب للمُطرِّزي «بلي»، وفي مطبوعه "جابرًا" بدل "خابرًا".

وعن ابن عباس رضي الله عنه: مَن تَرَكها فقد تَرَك مئةً وأربعَ عَشْرَةَ آيةً من كتاب الله تعالى.

فإنْ قلتَ: بِمَ تعلَّقت الباءُ؟

قلتُ: بمَحْذوفٍ تقديرُه: بسم اللهِ أَقْرأُ، أو: أَتْلو؛ لأنَّ الذي يَتْلُو التسميةَ مَقْرُوءٌ،

(وعن ابن عبّاس: «مَن تركها) أي: التسمية في القرآن **(فقد ترك مئة وأربعَ عشرةَ»)**.[1] قيل: كأنّ مذهبه أنّه كان في أوّل "براءة" "بسم الله الرحمن الرحيم" وتُرِك، وإلّا لقال ثلاث عشرة آية. والصواب أنّ هذا بناء على أنّ تارك التسمية من "النمل" تارك الآية؛ لأنّ ترك الجزء مُستلزِم ترك الكلّ. قال الإمام:

> روى الشافعي رضي الله عنه[2] بإسناده أنّ مُعاوية قدم المدينة فصلّى بهم فلم[3] يقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ولم يُكبّر عند الخفض إلى الركوع والسجود، فلما سلّم ناداه المُهاجرون والأنصار: يا معاوية[4] سرقتَ من الصلاة؛ أين ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؟ أين التكبير عند الركوع والسجود؟ ثمّ إنّه أعاد الصلاة مع التسمية والتكبير. قال الشافعي: إنّ معاوية كان سلطانًا عظيم القوّة شديد الشوكة؛ فلولا أنّ الجهر بالتسمية كان كالأمر / المتقرّر عند كلّ الصحابة لَما قدروا على إظهار[5] الإنكار عليه.[6] [١٣و]

قوله: **(لأنّ الذي يتلو)** من تلاه، أي: تبِعه، أي: لأنّ الكلام الذي يتبع **(التسميةَ مقروءٌ)**، وهذا بيان القرينة الدالّة على المحذوف وهو أقرأُ أو أتلو. والحاصل أنّه لمّا شرع في القراءة بعد التسمية عُلم أنّ المراد: أقرأُ باسم الله، فساغ حذفه.

---

[1] ن + آية. | انظر تفصيل الكلام عليه في **تخريج أحاديث الكشّاف** للزّيلعي، ٢١/١؛ **والكافي الشافي** لابن حَجر، ص ٢.

[2] د - رضي الله عنه.

[3] ن: ولم.

[4] ن - يا معاوية.

[5] ن - إظهار.

[6] تفسير الرازي، ٢٠٩/١، (الفاتحة، ١/١). وورد الخبر بألفاظ مختلفة بعض الاختلاف عما جاء هنا وبروايات متعددة في **تفسير الإمام الشافعي**، ١٨٩/١-١٩٠.

وكما إنَّ المسافِرَ إذا حلَّ أو ارتَحَل فقال: بسم الله والبَركاتِ، كان المعنى: بسم الله أَحُلُّ وبسم الله أَرْتَحِلُ، وكذلك الذَّابِحُ وكلُّ فاعلٍ يَبْدأُ في فعلِهِ ببسم الله كان مُضْمِرًا ما جَعَلَ التسميةَ مَبْدأً له.

قوله: **(كما إنّ)** خبر مبتدأ، أي: هذا كما، و"ما" كافَّة وهيَّأتِ الكاف للدخول[١] على الجملة، و"إنّ" بالكسر. و**(فقال)** عطف على **(حلّ)** أي: نزل. و**(كان)** جواب **(إذا)**. والمجموع خبر "إنّ". وكثُر قولهم: **(بسم الله والبركاتِ)** في السفَر عند الحلول والارتحال، حتّى[٢] قال شاعرهم:

ألا ليتَ شِعري هل أبيتنَّ ليلةً   بعيدًا منِ اسم اللهِ والبركاتِ[٣]

يريد: من الحلول والارتحال في السفَر، فيكون كناية.[٤]

قوله: **(وكذلك الذابح)** جملة. و**(كلُّ فاعل)** عطف على الذابح. و**(يبدأ)** إلى آخره، صفة "فاعلٍ". ولم يصف الذابح بمثله إذ لا بدَّ للذابح من ذكر التسمية خاصَّة على مذهبه؛[٥] لأنَّ متروك التسمية عنده حرام. و"كذلك" إشارة إلى **(المُسافر)** أي: "الذابح" و"كلُّ فاعلٍ" موصوف مثل "المُسافر". ويجوز أن يقال: "يبدأ"... إلخ. حالًا من الضمير في "الذابح"، أو "فاعل"[٦] بطريق التنازع؛ وقوله: "كان"... إلخ، جملة بيانيّة، و"ما" مفعول "مُضمِرًا". أو نقول: "الذابح" مبتدأ و"كلُّ" عطف عليه، و"كان"... إلخ، خبر، و"كذلك" إشارة إلى الإضمار، وهو صفةُ مصدرٍ محذوفٍ، أي: "الذابح" و"كلُّ فاعل"[٧] موصوفٍ مُضمِرٌ "ما جعل" إضمارًا مثل الإضمار[٨] المتقدِّم.

---

١ ن: المدخول.

٢ ن – حتى.

٣ البيت لجهم بن عوف العقيلي في **ربيع الأبرار** للزمخشري، ١/٤٨٥؛ وورد في ترجمة أبيه عوف بن الحصين العقيلي في **الإصابة** لابن حجر العسقلاني، ٨/٢٣٧. وجاء مثالًا للكناية عن السَّفر من غير عزو في **كنايات الأدباء وإشارات البلغاء** لأحمد بن محمد الجرجاني، ص ٢٤٦.

٤ أي: جعل هذا الدعاء كناية عن الحلول والارتحال في السفر، فيكون المعنى: بعيدًا منهما.

٥ ن: مذهب.

٦ ن: الفاعل.

٧ ن – و"كان"... إلخ، خبر. و"كذلك" إشارة إلى الإضمار، وهو صفةُ مصدرٍ محذوفٍ، أي: "الذَّابح" و"كلُّ فاعل".

٨ ش: إضمار.

ونظيرُه في حَذْف متعلَّقِ الجارِّ قوله عزَّ وجَلَّ: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ [النمل ١٢/٢٧]؛ أي: إذْهَبْ في تسع آياتٍ، وكذلِك قولُ العرب في الدعاء للمُعْرِس: بالرِّفاء والبنينَ، وقولُ الأعْرابيِّ: باليُمْنِ والبَرَكةِ، بمعنى: أعْرَسْتَ أو نكَحْتَ، ومنه قولُه:

قوله: (ونظيرُه) أي: نظير باسم الله. والخطاب[١] في "اذهب" لموسى.

قوله: (وكذلك قول العَرب) أي: قول العَرب نظير ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ في حذف متعلَّق الجارِّ. «والعَروس نَعْت قد استوى فيه الرجُل والمرأة ما داما[٢] في تعريسهما».[٣] وفي الكتاب المنسوب إلى الخليل:[٤] «رجل عروس في رجال عُرُس، وامرأة عروس في نساء عرائس. ويقال للرجل:[٥] "مُعرِس"؛ لأنّه أعرس، أي: اتَّخذ عُرسًا، والعُرس: طعام الوليمة، ويقال أيضًا: أعرس فلان بأهله إذا بنى بها وغشيها».[٦]

و"الرِّفاء": الالتحام والاتّفاق، ويقال: رفَّيتُه ترفية إذا قلت للمتزوّج: (بالرِّفاء والبنين)[٧] أي: أعرستَ حال الالتحام والاتفاق بينك وبين امرأتك وولادةِ البنين. قال ابن السِّكّيت: إن شئتَ كان معناه: بالسكون والطمأنينة، من قولهم: رفوتُ الرجُل إذا سكَّنتَه.[٨]

قوله: (فقلتُ إلى الطعام) أوّله:

---

١ ن: في الخطاب.

٢ د: ما دام.

٣ الصحاح للجوهري، «عرس». وفي مطبوعه "إعراسهما" بدل "تعريسهما".

٤ يعني كتاب العين، وجعله منسوبًا إلى الخليل؛ لأنّ الخليل هو مَن وضع الكتاب وصنع فكرته، ثمّ حشاه تلميذه الليث. انظر: المعجم العربيّ نشأته وتطوره لحسين نصّار، ٢١٩/١-٢٣٢.

٥ ن: الرجل.

٦ الصحاح للجوهري، «عرس». والذي في مطبوع العين، «عرس»: «يقال للرجل: مُعرِس؛ لأنّه أعرس، أي: اتّخذ عُرسًا. والعُرس: اسم الطعام الذي يُعرَس للعروس» فقط، وليس في مطبوعه بقيّة الكلام الذي ذكر المصنِّف أنّه فيه.

٧ من أمثال العرب. انظر: مجمع الأمثال للميداني، ١٠٠/١؛ والمستقصى للزمخشري، ٦/٢.

٨ انظر: الصحاح للجوهري، «رفأ». وفيه كلام ابن السِّكّيت منسوبًا إليه. انظر: إصلاح المنطق لابن السِّكّيت، ص ١٥٣.

فقلتُ إلى الطعامِ فقال مِنْهُمْ   فريقٌ نَحْسُدُ الإنْسَ الطعامَا

فإن قلتَ: لم قَدَّرْتَ المحذوفَ متأخِّرًا؟

قلتُ: لأن الأَهمَّ من الفعل والمتعلِّقِ به هو المتعلِّقُ به؛ لأنهم كانوا يَبْدؤُون بأسماءِ آلهتهم فيقولون: باسم اللات وباسم العزَّى، فوجبَ أنْ يَقصِد المُوحِّدُ

أتَوا ناري فقلتُ مَنُونَ أنتمْ   فقالوا الجنُّ قلتُ عِموا ظلاما

(فقلتُ إلى الطعام فقال منهمْ   فريقٌ نحسُد الإنسَ الطعاما)[١]

زعم أنّه أتاه الجِنُّ وهو عند ناره فسألهم مَن هم؟ فلمّا ذكروا أنّهم الجنُّ حيّاهم، ثمّ قال لهم: هلمُّوا إلى الطعام، فقال فريق منهم: نحن نحسد الإنسَ الطعامَ؛ لأنّهم يأكلون ونحن لا نأكل. والجِنُّ: خبر مبتدأ محذوف، أي: نحن الجِنُّ. ومعنى: عِموا ظلامًا: أنعِموا وهي كلمة تحية، كأنّه محذوف من نَعِم ينعِمُ بالكسر، كما يقال: كُلْ[٢] مِن أكَل يأكل. وظلامًا: تمييز أو ظرف. وقوله: مَنُونَ أنتم؟ فيه شذوذان: إلحاق العلامة في الدَّرْج، وتحريك النون، فإنّ وضعه على السكون، وتكون النون[٣] ساكنة.

قوله: **(قلتُ: لأنّ الأهمّ)** يعني: إنّما قدَّرت المحذوف متأخرًا؛ لأنّ الأهمّ من الفعل والجارّ المتعلِّق بالفعل هو[٤] الجارُّ المتعلِّق بالفعل، فقدَّم الجارَّ، وأخَّر الفعل تقديمًا للأهمّ. / بيان الأهميّة: أنّ المُشركين كانوا يبدءون بأسماء [١٣ظ]
آلهتهم فقُدِّر الفعل هنا متأخِرًا وقُدِّم اسم الله ليكون المعنى: أنّا[٥] نخصُّ اسم الله بالابتداء، أي: نبتدئ باسم الله دائمًا ولا نبدأ باسم اللات والعُزّى، ولو لم يقدَّر مقدَّمًا لم يدلَّ[٦] على أنّهم يخصُّونه بالابتداء لجواز[٧] أنّهم كانوا يبتدئون به تارة

---

[١] اختُلف في نسبة البيتين إلى تأبّط شرًّا وسُمَير (أو شُمَير أو شِمْر أو سَهْم) بن الحارث الضَّبي، وهما من الأبيات السائرة في كتب اللغة والأدب والنحو. وللوقوف على تفصيل الحديث عن نسبتهما ومصادر ورودهما انظر: **ديوان تأبّط شرًّا وأخباره**، وحواشي محقّقه، ص ٢٥٤-٢٥٧؛ **والنوادر في اللغة** لأبي زيد، ص ٣٨٠؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ٦/١٦٧-١٧٧.

[٢] ن - كُلْ.

[٣] ن - النون.

[٤] ن - هو.

[٥] ن: إنّما.

[٦] ن: يدل.

[٧] ن: لجاز.

معنى اختصاصِ اسم الله تعالى بالابتداء، وذلك بتقديمِهِ وتأخيرِ الفعلِ كما فُعل في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حيثُ صُرِّحَ بتقديم الاسم إرادةَ الاختصاص، والدليلُ عليه قولُه تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَا﴾ [هود ٤١/١١].

فإنْ قلتَ: فقد قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق ١/٩٦] فقدَّم الفعل؟!

ويبتدئون بغيره أخرى، كما أنّ غيرهم كانوا يبتدئون بغيره. فقوله: (بالابتداء) متعلِّق بـ"الاختصاص". و(ذلك) إشارة إلى "الاختصاص"، أي: اختصاص اسم[١] الله تعالى[٢] بالابتداء إنّما يحصل بتقديم اسم الله وتأخير الفعل؛ لأنّ التقديم يدلُّ على الاختصاص، كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فإنّه صرَّح بتقديم الاسم لإرادة الاختصاص، "والدليل على وجوب تقديره متقدِّمًا[٣] قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَا﴾ [هود ٤١/١١]"[٤]؛ فإنّه إذا ذُكر متعلَّق[٥] الجارِّ ذُكر متأخِّرًا، فعُلم أنّ تقديره التأخير حيث لم يُذكَر.

هذا ظاهر لفظه. وفيه بحث: وهو أنّ الجارَّ هنا ليس متعلِّقًا بـ﴿مَجْرِىٰهَا﴾ البتّة؛ لأنّه إمّا مصدر أو اسم زمان أو مكان؛ والمصدر لا يتقدَّم معمولَه، واسم الزمان والمكان لا يعمل، فقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا﴾: إن كان جملة واحدة فهو متعلِّق بـ"اركبوا" أي: اركبوا مُسمِّين وقتَ إجرائها، وإن كان جملتين فـ﴿مَجْرِىٰهَا﴾ مبتدأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ خبره. فالصواب أن نقول: أورد الآية لبيان أنّ التقديم يفيد التخصيص. رُوي أنّه كان إذا أراد أن تجريَ قال: "بسم الله" فجَرَتْ، وإذا أراد أن ترسوَ قال: "بسم الله" فرَسَتْ.

قوله: (فإن قلتَ: فقد قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق ١/٩٦] فقدَّم) اعلم أنّ هذا السؤال يصلح أن يكون مُعارضةً لقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا﴾، ثمّ أجاب بأنّ التقديم هنا أوقعُ. والصواب أن نقول: هذا السؤال كالنقض لِما أوجَب من تقديم الأهمّ.

---

[١] ن – اسم.

[٢] د ش – تعالى.

[٣] ن: مقدما.

[٤] ش: ﴿مُجْرَاهَا ومُرْسَاهَا﴾. | قرأ بضمّ الميم من السبعة: أبو عمرو وابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر. انظر: السبعة لابن مجاهد، ص ٣٣٣.

[٥] ن – متعلّق.

قلتُ: هُناك تقديم الفعل أوقعُ؛ لأنها أوَّلُ سُورَةٍ نزلَتْ، فكان الأمرُ بالقراءةِ أَهمَّ.

فإنْ قلتَ: ما معنَى تعَلُّقِ اسم الله بالقراءة؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أَنْ يتعلَّق بها تَعلُّقَ القَلم بالكِتْبَةِ في قولك: كتَبْتُ بالقلم، على معنى:

ثمّ اعلم أنّه قال المُصنِّف[1] في سورة "إقرأ": «محلُّ ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ النصب على الحال، أي: اقرأ مُفتتحًا باسم ربّك، قُل: باسم الله ثمّ اقرأ».[2]

وأنا أقول: كلامه في سورة "إقرأ" يدلُّ على أنّ الجارَّ ليس متعلِّقًا بـ"اقرأ"، فكيف يقال: قدّم الفعل، أي: الفعل الذي تعلَّق به الجارُّ، والذي تعلَّق به الجارُّ[3] يمكن أن يقدَّر متأخِّرًا، ويكون التقدير: اقرأ باسم ربّك مفتتِحًا، أي: افتتح به لا بغيره، ليدل على الحصر[4] كما في هذا الموضع؟ ويمكن أن يقال: اختار هنا أنّه متعلِّق بـ"اقرأ" واختار هناك أنّه متعلِق بمحذوف؛ إشارة إلى جواز الأمرين. ولا بُعد فيه. أو نقول: جعل تعلّقه بمعموله كتعلُّقه به.

قوله: **(أن يتعلَّق بها)** أي: يتعلَّق الاسم بالقراءة.

قوله: **(في قولك)** ظرفٌ لقوله: **(تعلُّق)**، أو حالٌ من **(القلم)**، أو **(الكِتْبة)**، والمجرور في ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ على هذا الوجه مفعول بالواسطة نحو ضربتُ بالسوط.

قوله:[5] **(على معنى)** تابع لقوله: "تعلُّق القلم"، إما بدل أو بيان أو صفة أخرى للمصدر المحذوف كما أنّ "تعلُّق" صفة له، فكأنّه قال: أن يتعلَّق الاسم بالقراءة تعلُّقًا مستقرًّا أو حاصلًا "على معنى أنّ المؤمن لمّا اعتقد أنّ فعله لا يصير مُعتدًّا به في الشرع حتّى يُصدِّر بذِكر اسم الله جَعل" أي: المؤمنُ "فعلَه مفعولًا باسم[6] الله".

---

[1] ن: المص [اختصارًا من "المصنِّف"].
[2] **الكشاف** للزمخشري، (العلق، ١/٩٦).
[3] ن - والذي تعلّق به الجارُّ.
[4] ن: الانحصار.
[5] ن - قوله.
[6] ن: به اسم.

أنَّ المُؤمِنَ لمّا اعتقَد أنَّ فِعْلَهُ لا يجيء مُعْتَدًّا به في الشرعِ واقعًا على السُّنَّةِ حتى يُصدَّر بذكر اسم اللهِ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لم يُبْدَأْ فيه باسمِ الله فهو أبْتَرُ»، وإلّا كان فِعْلًا كَلَا فِعْلٍ- جُعل فِعلُهُ مفعولًا باسم الله كما يَفْعَلُ الكَتَبُ بالقلمِ.

والثاني: أن يتعلَّقَ به تعلُّقَ الدُّهْنِ بالإنبات في قوله: ﴿تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾

قوله: (وإلّا) عطف على قوله: (لا يجيء)، وهو إنْ الشرطية أُدغِمتْ نونه في اللام، أي: وإن لم يُصدِّر فعله بذكر اسم الله كان فعلًا كلَا فعل، وهو ممّا قال في مثله المُطرزيُّ في المُغرِب:[1] إنّه من العطف الذي يكون للبيان. وقوله:[2] (كلا فعل) يجوز فيه الجرُّ والبناء على الفتح، وسيتحقّق في آخر "الفاتحة" إن شاء الله تعالى. وقوله: "جعل" جواب "لمّا".

[١٤و] قوله: (﴿تُنْبِتُ بِٱلدُّهْنِ﴾[3] [المؤمنون ٢٣/٢٠]) أي: تُنبِتُ الشجرةُ / الثمرَ مُلتبِسًا بالدُّهن، فعلى هذا يكون "تُنبِتُ" متعدّيًا ومفعوله محذوف، أي: تُنبِتُ زيتونها وفيه الزيت. قال صاحب الصحاح:[4] «أنبتَه الله[5] فهو مَنبوت، على غير القياس». وفي الآية وجه آخر: وهو أنّ أنبت بمعنى نبت،[6] قال زُهير:

رأيتُ ذوي الحاجاتِ حولَ بيوتهم قَطينًا لهم حتّى إذا[7] أَنبتَ البَقلُ[8]

والقَطين:[9] الخدم والأتباع. وعلى هذا يكون الباء في ﴿بِٱلدُّهْنِ﴾ للتعدية متعلِّقًا بـ"أنبت"، وخرجت عن الاستشهاد.

---

[1] المُغرِب للمُطرِّزي، «مثل».

[2] ن: قوله.

[3] قرأ أبو عمرو وابن كثير ورويس ﴿تُنبِتُ﴾ بضمّ التاء وكسر الباء، وهي المقصودة بالتفسير هنا. انظر: السبعة لابن مجاهد، ص ٤٤٥؛ والنشر لابن الجزري، ٢/٣٢٨. وجاءت في مطبوع الكشّاف برواية حفص عن عاصم.

[4] الصحاح للجوهري، «نبت».

[5] ن – الله.

[6] ذهب إلى هذا الطبري وأورد عليه بيت زهير. انظر: جامع البيان للطبري، ١٧/٣٢ (المؤمنون، ٢٣/٢٠)؛ وذكر هذا المعنى من غير تأويل الآية به الجوهريُّ، واستشهد عليه ببيت زهير من غير نسبته إليه. انظر: الصحاح للجوهري، «نبت».

[7] ن – إذا.

[8] البيت في شرح شعر زهير لثعلب، ص ٩٢. وفيه: «القطين: أهل الرجل وحَشَمه. والقطين: الساكن النازل في الدار... وقوله: أنبت البقل، أي: أخصب الناس».

[9] ن: القطن.

[المؤمنون ٢٠/٢٣] على معنى: متبرِّكًا باسم الله أَقْرأُ، وكذلك قولُ الدَّاعِي للمُعْرِسِ: بالرِّفاء والبَنين، معناه: أَعْرَسْتَ مُلْتبسًا بالرِّفاء والبنين، ....

قوله: (**على معنى: متبرِّكًا**) بعد قوله: (**تعلُّق الذُّهن**)، كقوله: "على معنى أنّ المؤمن"، بعد قوله: "تعلُّق القلم". وقوله: (**في قوله**) هنا بمثابة "في قولك" ثمَّة، فالتقريرات آتية.

واعلم أنّه ذكر أوّلًا أنّ الباء متعلِّق بمحذوف وقدَّر المحذوف متأخِّرًا، ثمّ ذكر أنّ لتعلُّقه وجهين، وعلى هذا الوجه الثاني لا يكون متعلِّقًا بـ"أقرأُ" على التحقيق، بل يكون متعلِّقًا بمعموله. وأيضًا لا يكون الباء متقدِّمًا على ما تعلَّق به؛ لأنّه قال: "مُتبرِّكًا باسم الله أقرأُ"، ولا يحصل الحصر المطلوب. فإن قيل: يلزم الحصر بسبب تقديم "متبرِّكًا" على "أقرأ"؛ قلنا: لا يلزم منه المطلوب؛ لأنّه وإن كان قراءته في حال التبرُّك فقط، لكن يجوز أن يكون تبرُّكه باسم الله وباسم غيره. ولو قال: باسم الله متبرِّكًا أقرأُ اندفع هذا السؤال.

وجواب الاعتراض أن نقول: لمّا قدّم قوله: "متبرِّكًا باسم الله تعالى"[١] على قوله: "أقرأُ" لزِم حَصْر قراءته في حال التبرُّك باسم الله، فلو فرض قراءته في حال عدم التبرُّك أو في حال التبرُّك بغير اسم الله تعالى[٢] لم يكن حَصْر قراءته حال التبرُّك باسم الله، وقد ظهر أنّ معناه الحصر، هذا خُلفٌ،[٣] فظهر صحّة ما قاله المُصنِّف.[٤]

قوله: (**وكذلك قول الداعي**) يعني أنّ تعلُّق اسم الله بالقراءة يحتمل وجهين كما مرّ. وأمّا قول الداعي فلا يحتمل إلّا هذا الوجه الأخير. فـ"قول[٥] الداعي" مبتدأ خبره[٦] "كذلك" وهو إشارة إلى الوجه الثاني. وقوله: (**معناه**)... إلخ، بيان للجملة المتقدِّمة. وقول الأعرابي مثل قول الداعي. وأمّا قوله:

---

١ د ش - تعالى.
٢ د ش - تعالى.
٣ د: هف [اختصارًا من "هذا خلف"].
٤ ن: المص [اختصارًا من "المصنِّف"].
٥ ن: قوله.
٦ ن: فخبره.

وهذا الوجهُ أَعْرَبُ وأَحْسَنُ.

فإنْ قلتَ: فكيف قال الله تبارك وتعالى: متبرِّكًا باسم الله أقرأُ؟

"فـقُـلـتُ إلـى الـطـعـام"[1]

فيحتمل وجهين: **الأوّل**: أن يكون متعلِّقًا بـ"هَلُمَّ" مفعولًا بواسطة، **والثاني**: أن يكون حالًا، أي: هَلُمَّ ساعيًا أو ماشيًا.

قوله: **(أعربُ)** أي: أفصحُ، من قولهم: كلامٌ عربيٌّ، أي: فصيح، وفصاحته من حيث إنّه تُوصِّل بتقليل اللفظ إلى تكثير المعنى؛ إذ[2] التقدير: اقرأ متبرِّكًا باسم ربِّك، مثل: يُكتَبُ[3] القرآنَ لي زيدٌ. أو هو بمعنى: أبيَنُ، من قوله عليه السلام: «الثيِّب يُعرِب عنها لسانها».[4] وقوله:[5] **(وأحسنُ)** إذ في الأوّل يُجعل اسمُ الله تعالى[6] كالآلة.

ثمّ اعلم أنّه قال بعضهم:[7] إنّ الاسم هنا موضوع موضعَ المصدر، أي: التسمية، نحو قوله:

وبـعـد عـطـائـكَ الـمِـئـةَ الـرِّتـاعـا[8]

أي: إعطائك. والرِّتاع جمع راتع، مثل نِيام جمع نائم.

وذكر أبو عُبيدة[9] أنّ قوله: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ معناه: بالله والاسم زيادة، نحو قول لبيد:

فقوما وقُولا بالذي قد عرفتُما ... ولا تخمِشا وجهًا ولا تحلقا الشعَرْ
إلى الحَول ثُمّ اسم السلام عليكما ... ومَن يبكِ حَولًا كاملًا فقد اعتذرْ[10]

---

[1] مضى تخريجه آنفًا.

[2] ن: أي.

[3] ن: كتب.

[4] بلفظه في **الفائق** للزمخشري، ٤٠٩/٢. وجاء بلفظ «الأيِّم أحقُّ بنفسها من وليِّها» في **صحيح مسلم**، ٦٤١/١ (١٤٢١).

[5] ن: قوله.

[6] د - تعالى.

[7] لعلّه أراد الإمامَ الطبري، إذ أفاض في هذا التأويل مُستشهدًا ببيت القطامي وغيره. انظر: **جامع البيان** للطبري، ١١٤/١-١١٦ (الفاتحة، ١/١).

[8] عجز بيت للقطامي في **ديوانه**، ص ٢٦٥. وصدره فيه:
أكُـفـرًا بـعـد ردِّ الـمـوت عـنِّـي

[9] **مجاز القرآن** لأبي عبيدة، ١٦/١. وردَّ هذا القول الطبري في **تفسيره**، ١٧٧/١-١١٩ (الفاتحة، ١/١). وانظر تفصيلًا لهذا القول ومذاهبه في **النكت والعيون** للماوردي، ٤٧/١.

[10] **شرح ديوان لبيد بن ربيعة**، ص ٢١٣-٢١٤.

قلتُ: هذا مقولٌ على أَلْسِنةِ العباد؛ كما يقولُ الرجلُ الشِّعْرَ على لسانِ غيره، وكذلك قولُه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى آخره، وكثيرٌ من القرآن على هذا المِنهاج، ومعناه: تعليمُ عباده كيفَ يَتبرَّكون باسمه وكيفَ يُحَمِّدونَه ويُمجِّدونَه ويُعظِّمونَه.

فإنْ قلتَ: مِن حقِّ حروف المعاني التي جاءَتْ على حرفٍ واحدٍ أَنْ تُبْنَى على الفتحةِ التي هي أُختُ السكون؛ نحو كافِ التشبيه، ولامِ الابتداء، وواوِ العطف وَفَائِهِ، وغيرِ ذلك، فما بالُ لامِ الإضافةِ وبائها بُنِيَتَا على الكسر؟

قوله: **(هذا مقولٌ)** قال المُصنِّف:[١] كما إذا أمرك إنسان أن تكتب رسالة من جهته إلى غيره، فإنّك تكتب: كتبتُ هذه الأحرف.

قوله: **(حروف المعاني)** سُمِّيت حروفَ المعاني؛ لأنّها تُوصل معاني الأفعال إلى الأسماء ولأنّ لها معانيَ. بخلاف حروف التهجِّي، أعني: مدلولات أسماء التهجّي، فإنّها لا معنى لها، وتُسمّى تلك حروفَ[٢] المباني؛ لأنّ الكلمات تُبنى منها.

قوله: **(فما بال لام الإضافة؟)** يريد إذا دخلت على الظاهر؛ فإنّها إذا دخلت / على المُضمَر تكون مفتوحة على الأصل، ولذلك قال في الجواب: أمّا اللام فللفصل، فإنّها إذا كانت داخلة على المُضمَر لا تحتاج إلى الفصل؛ لأنّه يقع بعد لام الجرِّ الضميرُ المجرورُ وبعد لام الابتداء الضميرُ المرفوعُ المُنفصل.[٣] [١٤ظ]

قوله: **(بُنيتا)** حال من لام الإضافة؛ لأنّها في معنى الفاعل؛ لأنّ معنى: ما لامُ الإضافة؟ ما صنع لام الإضافة؟ مثل: ما[٤] شأنك؟

قوله: **(أخت السكون)** وإنّما كان الفتح أُختَ السكون؛ لأنّ السكون عدم الحركة فهو قريب من أخفِّ الحركات، أي: الفتح.

قوله: **(وغيرِ ذلك)** كهمزة الاستفهام والنداء.

---

١ ش + رحمه الله؛ ن: المص [اختصارًا من "المصنِّف"].
٢ ن: الحروف.
٣ ن – المنفصل.
٤ ن – ما.

قلتُ: أمّا اللّامُ فلِلْفَصل بينها وبين لامِ الابتداء، كقولك: إنّ هذا لَزيدٌ، وأمّا الباءُ فلكونها لازمةً للحرفيَّة والجرِّ.

والاسمُ أحدُ الأسماء العَشَرة التي بَنَوْا أوائلَها على السكون، فإذا نَطقوا بها مُبْتَدِئِينَ زادُوا همزةً لئلا يقعَ ابتداؤُهم بالسَّاكِن؛ إذْ كان دَأْبُهُم ....

قوله: **(للحرفيّة والجرّ)** بخلاف الكاف، فإنّه ليس لازمًا للحرفيّة، وبخلاف غيره فإنّه ليس لازمًا للجرِّ. ولمّا كان لازمًا للحرفيّة والجرِّ جعلوا حركته مثل عمله. و**(الأسماء العشرة التي بنَوا أوائلها على السكون)** لوضعها في الدَّرْج: ابن وابنة وابنم، بمعنى ابن، واسم واست وامرؤ وامرأة واثنان واثنتان، وايمُنُ وفيه لغات: هذه، وايْمُ، وامُ، بفتح الهمزة وكسرها في الثلاثة، وهي من اليُمْن[1] بمعنى البَرَكة، فإذا قال المُقسِمُ:[2] ايمُنُ الله لأفعلَنَّ، فكأنّه قال: بَرَكةُ الله قسمي لأفعلَنَّ. و**(إذا[3] نطقوا بها[4] مبتدئين زادوا همزة)**، وإنّما تعيَّن الهمزة؛ لكونها أقوى الحروف، والابتداء بالأقوى أولى.

قوله: **(إذ كان دأبهم)** أي: عادتهم وشأنهم، يُشعر بأنّ الابتداء بالساكن ممكن، وبه قال بعضهم؛[5] لأنّ التلفُّظ بالحركة إنّما يحصل بعد التلفُّظ بالحرف،[6] وتوقيف الشيء على ما يحصل بعده مُحال. ورُدَّ بمنع أنّها بعده بل معه، وإلّا لَأمكننا الابتداء بالحرف[7] من غير الحركة، وإنّه مُحال؛ لأنّ الحرف المنطوق به إمّا مُعتمِد على حركته كباء بَكر، أو على حركة مُجاوره كميم عمرو، أو على لين قبله يجري مجرى الحركة كباء دابّة وصاد خُوَيصة، فمتى فُقد هذه الاعتمادات تعذَّر التكلُّم؛ دليله التجربة، ومَن أنكر ذلك فقد أنكر العِيان وكابر المحسوس. والمراد بـ"الابتداء": الأخذ في النطق بعد الصمت، لا الأخذ في النطق بالحرف

---

١ ن: اليمين.

٢ ن: المقيم.

٣ ن: فإذا.

٤ د ش - بها. | وهي مثبتة في مطبوع **الكشّاف** وما راجعته من أصوله.

٥ لعلّه أراد السكّاكي فهو قائل بذلك. انظر: **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٧٧. ونقل ذلك عن **المفتاح** مصرِّحًا به الطِّيبي في **فتوح الغيب**، ٦٩٥/١-٦٩٦.

٦ ن: بالحروف.

٧ ن: بالحروف.

أَنْ يَبْتَدِئُوا بالمتحرِّك ويَقِفوا على الساكنِ؛ لسلامةِ لُغتِهم من كلِّ لُكْنَةٍ وبَشَاعَةٍ، ولوضعها على غَايةٍ من الإِحْكَام والرَّصَانَةِ، وإذا وقَعَتْ في الدَّرْج لم يُفْتَقَر إلى زيادة شيء، ومنهم مَن لم يَزِدْهَا وَاسْتَغْنَى عنها بتحريك الساكن فقال: سِمٌ وسُمٌ؛ قال:

بعد ذهاب الذي قبله كما تخيَّله بعضهم[١] حتّى أَلزم وقوع الابتداء بالساكن. لكن يمكن أن يقال: قول المصنِّف:[٢] "دأبهم" إلخ. لا يقتضي إمكان الابتداء بالساكن، فكأنّه قال بطريق المُجاراة في الكلام وإرخاء العِنان: لا شكَّ أنّ عادتهم ذلك سواء أمكن خلافه أو لا، ثمّ علَّل عادتهم بوجهين:

الأوّل: أنّا لو سلمنا إمكان الابتداء بالساكن لكن لا شكَّ أنّه لا يخلو[٣] عن (لُكنة وبَشاعة) فاحترزوا[٤] عن ذلك. واللُّكنة: عِيٌّ وعجمة في اللسان، والبَشِع: كريه الطعم يأخذ في الحَلق.

الثاني: أنّ الابتداء للمُتكلِّم كالأساس للبنّاء، فكما[٥] أنّ البنّاء لا يبني على أساس ضعيف فالمُتكلِّم لا يبني كلامه إلّا على حركة. وأمّا الوقف على السكون؛ فلأنّ الوقف في الصناعة ضدُّ الابتداء، فأوجبوا أن تكون علامته ضدَّ علامة الابتداء، فلو وقفت على المُتحرِّك كان خطأ، بل الموقوف[٦] عليه لا يكون إلّا ساكنًا أو في حكمه، إلّا أنّ الابتداء بالمُتحرِّك ضروريٌّ لِمَا بينَّا، والوقف على الساكن استحسانيٌّ عند كلال اللسان مِن ترادف الحروف[٧] والحركات.

ثمّ ذَكَر[٨] أنّ بعضهم لا يزيد الهمزة في الابتداء ويُحرِّكها كقولهم في الابتداء: (سِم وسُم) بكسر السين وضمِّها، لِما اختلفوا في أنّ[٩] أصله: سِمو أو سُمو بالكسر أو الضمِّ؛ قال في **الصحاح**:[١٠] «وأسماء يكون جمعًا لهذا الوزن

---

١ ما عرفته.
٢ ن: المص [اختصارًا من "المصنِّف"].
٣ د: لا يخ [اختصارًا من "لا يخلو"].
٤ ن: واحترزوا.
٥ د: كما.
٦ ن: الوقوف.
٧ ن - الحروف.
٨ أي: صاحب **الكشّاف**.
٩ ن - أنّ.
١٠ **الصحاح** للجوهري، «سمو».

بسم الذي في كل سورة سِمُهْ

وهو من الأسماء المَحْذوفة الأَعْجاز كيَدٍ ودَمٍ، وأصله: سِمْوٌ، بدليل تصريفه:

[١٥و] مثل جِذْع وأجذاع وقُفل وأقفال». / ولذا[١] يُحرّكون في الدَّرْج كما في البيت، وأوّل البيت:[٢]

أَرسَلَ فيها بازلًا يُقَرِّمُه فهْوَ بها ينحو طريقًا يَعلمه
(باسم الذي في كلّ سورة سِمُه)[٣]

بزَل البعير: فَطَر نابه، أي: انشقَّ فهو بازل ذكرًا كان أو أنثى، وذلك في السنة التاسعة، وربّما بزل في السنة الثامنة. والقَرْم: الفَحْل المُكرَم الذي لا يُحمل عليه بل يُترك للفِحْلة، والمُقرَم: البعير المُكرَم لا يحمل عليه[٤] ولا يُذلَّل ولكن يكون للفِحْلة، وقد أقرمتُه فهو مُقرَم. وقوله: يُقرِّمه، أي: يتركه الراعي عن الركوب والعمل ويُودِعه للفِحْلة.[٥]

والباء متعلّق بـ"أرسل". ويُقرِّمه: صفة بازلًا؛ يعني: أرسل الراعي في النُّوق بازلًا تركه للفِحْلة فذلك[٦] البازل يَصرِف النُّوق في طريق يعلمه.

قوله: (**وأصله سِمْوٌ**)[٧] حُذفت الواو؛ لاستثقالهم تعاقب الحركات الإعرابيّة عليها، ونُقِل سكون الميم إلى السين؛ لتعاقب تلك الحركات عليها، وأُتيَ بهمزة الوصل، هذا مذهب البَصريين. وقال الكوفيون: أصله وَسْمٌ، أي: علامة؛[٨] لأنّ الاسم علامة للمُسمّى[٩] يُعرف بها.[١٠] والمُختار الأوّل؛ لأنّهم يقولون في تكسيره:

---

[١] ن: كذا.

[٢] ن - وأول البيت.

[٣] نسب أبو زيد الأنصاري الأبيات لـ«رجل زعموا أنه من كلب» في **النوادر في اللغة**، ص ٤٦١. وفي تخريجها وتفصيل الكلام عليها انظر: **ديوان شعر بني كلب بن وبرة**، وفيما أتحف به صانع الديوان غُنية ٣/٨١٧-٨١٨.

[٤] ن - بل يُترك للفِحلة، والمُقرَم: البعير المُكرَم لا يحمل عليه.

[٥] من قوله: "أرسل فيها" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «بزل»، «قرم».

[٦] ن: فكذلك.

[٧] بكسر السين وضمّها.

[٨] ن: بخلافه.

[٩] ن: المسمّى.

[١٠] بَسطُ الكلام على الخلاف بين المذهبين في **البسيط** للواحدي، ١/٤٣٩-٤٤١؛ و**الإنصاف في مسائل الخلاف** لأبي البركات الأنباري، ١/٦-١٦.

كأسماءٍ وسُمَيٍّ وسَمَّيْتُ، واشتقاقهُ مِن السُّموِّ؛ لأن التسميةَ تَنْويهٌ بالمسمَّى وإشادةٌ بذكرِه، ومنه قيل للَّقَبِ: النَّبزُ، من النَّبْز بمعنى النَّبْرِ وهو رَفعُ الصَّوْتِ، والنِّبْزُ: قِشْرُ النَّخْلَةِ الأَعْلَى.

فإنْ قلتَ: فلمَ حُذفت الأَلِفُ في الخَطِّ وأُثْبِتَتْ في قولِه: ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [الواقعة ٧٤/٥٦]؟

قلتُ: قد اتَّبعُوا في حذفها حُكمَ الدَّرْج -دون الابتداء الذي عليه وضعُ الخطِّ- لكثرة الاستعمال، وقالوا: طُوِّلَتِ الباءُ تعويضًا مِن طَرْحِ الألف، وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال لكاتبِهِ: ....

أسماء، وفي تصغيره: سُميٌّ، وعند استناد الضمير المرفوع المُتحرِّك سمَّيْتُ، فلو صحَّ المذهب[1] الثاني لقيل: أوسام كوقت وأوقات، ووُسيم كوجه ووُجَيه، ووسمْتُ كوعدْتُ.

و"ناه" الشيء ينوه نَوهًا إذا ارتفع فهو نائه،[2] ونوَّهتُه تنويهًا إذا رفعتَه، ونوَّهتُ باسمه إذا رفعتَ ذِكره. و"الإشادة": رفع الصوت بالشيء.

قوله: **(ومنه)** أي: ومِن أنّ[3] التسمية، أي: من أجل أنّ التسمية تنويه بالمُسمّى. و**(اللقب)** قسم من أقسام العَلَم؛ لأنّ العلم ثلاثة أقسام: اسم وكنية ولقب؛ لأنّ العَلَم لا يخلو إمّا أن يكون مُضافًا إليه أبٌ أو أمٌّ أو لا، فإن كان فهو الكنية، وإن لم يكن فلا يخلو إمّا أن يكون فيه دلالة على مدح أو ذمّ، فإن كان فهو اللقب وإن لم يكن فهو الاسم.

قوله: **(لكثرة الاستعمال)** متعلِّق بقوله: **(اتَّبعوا)**.

قوله: **(مِن طَرْحِ الألف)** أي: من الألف المطروح، ثمّ حذف الألف فاحتمل المطروح الألف وغيرَه،[4] فأُتيَ بالألف وأُضيف الطرح إليه فيكون الطرح بمعنى المطروح كالضرب بمعنى المضروب. وإنّما قدَّرنا كذلك؛ لأنّ الشيء

---

[1] ن: مذهب.
[2] ن: بابه.
[3] ن - أنّ.
[4] ن: أو غيره.

طَوِّل الباءَ وأَظهِرِ السِّينات ودَوِّر الميمَ.

و"اللهُ" أصله: الإلهُ، قال:

مَـعـاذَ الإلـــهِ أن تـكـونَ كـظَـبْـيَـةٍ

ونظيرُهُ: الناسُ، أصله: الأُنَاسُ، قال:

إنّما يكون عِوضًا عن شيء إذا لم يبقَ المُعوَّض[1] عنه وزال فيُجبر بالعِوض. ولا يمكن أن يقال: الطرح زال فعُوِّض الألف عنه. ولا يحسن أن يقال: التقدير: من النقصان الحاصل بسبب الطرح؛ لأنّه لا يَسلَم عن الاعتراض المذكور.

قوله: (السِّنَّات) جمع سِنَّة السين. وفي بعض النُّسخ: "السِّينات". إنّما أفرد الباء وجَمع السِّينات؛ لأنّ في رءوس[2] السين تعدُّدًا فكأنّها سِينات.

قوله: (أصله الإله، ونظيره "الناس" أصله "الأُناس") رفضوا الألف واللام[3] فيهما حتّى لم يُستعملا معهما إلّا نادرًا في شِعر، فنظروا إلى الأصل المرفوض "فحذفوا الهمزة وعوّضوا منها حرف التعريف". ذكر في المَطلع.[4]

قوله:

(معـــاذَ الإلـــه أن تكـــونَ كظبيـــةٍ) ولا دُميـــةٍ ولا عَقيلـــةِ رَبـــربِ[5]

يعني: لا أقول هي كظبية ولا كدُمية: وهي الصورة[6] المنقوشة. والعَقيلة: الكريمة. والرَّبرب: القطيع من بقر الوحش. وأصل "معاذَ الإله" أعوذ بالله مَعاذًا، حُذف الفعل فصار "بالله مَعاذًا"، ثمّ قُدِّم المصدر وأُضيف.

---

[1] ن: المعروض.

[2] ن: رأس. | كأنّها كذلك.

[3] د - واللام | وكان الناسخ قد كتب هذه الكلمة، ثمّ ضرب عليها بالحُمرة.

[4] يغلب على الظنّ أنّه يريد به التفسير المُسمّى: مَطلع المعاني ومَنبع المباني، لحسام الدين محمّد بن عثمان بن محمّد العليابادي السمرقندي (كان حيًا ٦٢٨هـ). ويُحال عليه باسم المَطلع، وبهذا الاسم أحال عليه الطِّيبيّ كثيرًا في فتوح الغيب، ١/٧١٠، ٢/٦١، ٥١٦، ٥٢٤، ٣/٦٢، ٦٤، ٧٦، وغيرها؛ وستأتي الإحالة عليه عند المُصنّف أيضًا في جملة من المواضع. ولم أقِف على هذا التفسير.

[5] البيت من حماسيّة للبَعيث بن حُرَيث. انظر: شرح الحماسة للمرزوقي، ١/٣٧٨؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ٢/٢٧٧.

[6] ن: كالصورة.

إن المَنايا يَطَّلِعْـنَ على الأُناسِ الآمِنينا

فحُذفت الهمزةُ وعُوِّضَ منها حرفُ التعريف، ولذلك قيل في النداء: يا أللهُ، بالقطع كما يقال: يا إلهُ.

والإله: من أسماءِ الأجناس كالرَّجُل والفَرَس؛ اسمٌ يقعُ على كلِّ معبودٍ بحقٍّ أو باطلٍ، ثمّ غَلَبَ على المعبودِ بحقٍّ؛ ....

قوله: (يطَّلعْنَ) / اطَّلع، أي: أشرف؛ يعني: إنّ المنايا -وهي جمع مَنيّة: وهي الموت، سُمّيَ بذلك؛ لأنّه مُقدَّر، يقال: مَنَى اللهُ ما تُحبُّ، أي: قدَّره- يدخُلْنَ "على الأناس" الغافلين من الموت في بيوتهم، وإن لم يكونوا داخلين[1] في المُحاربة؛ كقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء ٤/٧٨]. [١٥ظ]

قوله: (ثمّ غلب على المعبود بحقٍّ) يريد أنّه بعد حذف الهمزة[2] وتعويض اللام صار من الأعلام الغالبة، ولا[3] يريد أنّه قبل ذلك كذلك؛ لأنّه قبل التعويض لا يُستعمل مع اللام فلا يقال: الإله باللام إلّا نادرًا في الشِّعر. ويُستعمل بدون اللام ويُطلق على المعبود بالحقِّ والباطل، وهو في القرآن أكثر من أن يُحصى. قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية ٤٥/٢٣]. وأيضًا جواز تثنيته وجمعه ووصفه بالنكرة يُنافي كونه من الأعلام الغالبة. قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ [الصافات ٣٧/٩١]، وقال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل ١٦/٥١].

اعلم أنّ في هذا الكلام نظرًا؛ إذ لا يجوز أن يقال: "الله" بعد الحذف والتعويض من الأعلام الغالبة؛ لأنّه لم يُطلق أصلًا على غير الله تعالى، فكيف يكون من الأعلام الغالبة؟ فالصواب أنّ مُراده: أنّ الإله باللام[4] من الأعلام الغالبة ولا يُنافي ذلك كونُه قليل الاستعمال.

---

١ ن: دخلين.
٢ ن: المهموز.
٣ ن - ولا.
٤ ن - باللام.

كما أنَّ النجمَ اسمٌ لكلِّ كوكب ثم غَلَبَ على الثُّريَّا، وكذلك السَّنَةُ على عَامِ القحط، والبيتُ عَلَى الكعْبَةِ، والكتابُ على كتابِ سِيبويه.

قوله: **(كما أنّ النجم)** العلَم دالّ على شيء بعينه لا حاجةَ به إلى مُعرِّف آخرَ يَدخله، غير أنّ بعض الأعلام تَدخله لام التعريف، بأن كان اسم جنس في نفسه فغلب بالشُّهرة واختصَّ بواحد حتّى التحق بالأعلام، ألا ترى[١] أنّ النجم ينصرف إلى نجم عَهِده المُخاطِب والمُخاطَب أيَّ نجم كان، ثمّ غَلب النجم على الثُّريَّا حتّى يقول القائل: طلع النجم ويريد الثُّريا من غير عَهْد بينهما، ولا يَسوغ أن يقال لها: نجمٌ، بنزع[٢] اللام، وهو أشهر منازل القمر. و**(الثُّريّا)**: تحقير ثَرْوَى[٣] تأنيث ثَرْوان، وهو ذو ثروة؛ والأصل ثُرَيْوى قُلبت الواو ياءً[٤] وأُدغمت؛ أمّا ثروتها فلأنّها ستّة أنجم، وهي على هيئة العنقود. قال الشاعر:

خليليَّ إنّي للثُّريّا[٥] لحاسدٌ[٦] وإنّي على رَيب الزمان لَواجدُ
تَجمَّعَ منها شملُها وهي ستّةٌ وأفقِدُ من أحببتُه وهو واحدُ[٧]

وأمّا تحقير ثروتها فواضح.

قوله: **(وكذلك السَّنة على عام القَحط)** أي: غلب "السَّنة" على "عام القحط" غلَبًا مثل ذلك الغلَب، وهو غلَبُ النجم. فالسَّنة: فاعلُ فعلٍ محذوف دلَّ عليه السياق.

وهنا بحثٌ: وهو أنّ السَّنة لو كانت علَمًا كانت علَم الجنس لا علَم الشخص، وعلم الجنس لا يُصار[٨] إليه إلّا لضرورة تُلجئ إليه، من مَنع صَرفه

---

١ د: يُرى.
٢ ن كأنها: بشيوع.
٣ ن: يودى.
٤ ش ن - الواو ياءً.
٥ ن: للتربة.
٦ ن: حاسد.
٧ مختلف فيهما: فيُنسبان إلى أبي القاسم أحمد بن محمّد الرَّبَتي، وإلى أبي عثمان الخالدي أو إلى ابن أخيه، وإلى المُهلّبي الوزير. انظر: **يتيمة الدَّهر** للثعالبي، ٤٩٨/١، ٢١٩/٢. وصدر البيت الثاني فيها «أبقى جميعًا شملُها وهي سبعة»؛ و**من غاب عنه المُطرب** للثعالبي، ص ٩٨؛ و**وفيات الأعيان** لابن خلّكان، ١٢٩/١؛ و**تاج العروس** للزَّبيدي، «رسس». وجاءا بلا نسبة ومثالًا لقريب ممّا أورده الجاربردي هنا في **شرح المُفصَّل** لابن يعيش، ٤١/١.
٨ ن: يضاف.

وأمّا "الله" بحذفِ الهمزة فمُختَصٌّ بالمعبودِ بالحقِّ لم يُطلَق على غيره،

وامتناع وصفه بالنكرة وجواز تأخير الحال عنه وجواز الترخيم. ولا يمكن الاستدلال على عَلَميَّتها بشيء من ذلك: أمّا منع الصرف فلأنّه مُنصرِف قطعًا، كيف وفيه اللام؟ وأمّا[1] امتناع وصفه بالنكرة وجواز تأخير الحال عنه فلِلام،[2] وأمّا جواز الترخيم فلِلتاء.[3] وأيضًا لو كان علَمًا لَما ساغ[4] حذف اللام منه،[5] وستعلم أنّه يجوز. والصواب ما ذكر المُطرّزيّ في **المُغرِب**: وهو أنّ السَّنة «غَلَبت على القحط غَلَبةَ الدابّة على الفرس؛ فيكون من المنقولات العُرفيّة. ومنها حديث عمرَ رضي الله عنه:[6] 'لا قطع في عامِ سَنةٍ'[7] على الإضافة، أي: لا يُقطع السارق في القَحط. وفي الحديث:[8] 'كسِنِي[9] يوسف'».[10]

[١٦و] قوله: (**وأمّا "الله" / بحذف الهمزة**) يريد أن لفظة "الله" ليست كقولك: النجم والبيت والسَّنة؛ فإنّ لفظة "الله" إنّما جُعلت مِن الأعلام بعد الحذف والتعويض ولم تُطلق كذلك على غير المعبود بحقٍّ، وأمّا النجم وغيره فقد غلَب باللام، وهي كذلك[11] كانت جائز الإطلاق على غير[12] ما هي[13] عَلَمُه الآن، ويجوز إطلاق الكتاب على غير[14] **كتاب سيبويه** والبيت على غير[15] الكعبة، لكن باعتبار آخر غير اعتبار العلَميّة، وذلك الاعتبار هو ألا[16] يُجعل اللام جزءًا،[17] ومثل هذا لا يجوز في لفظ[18] "الله".

---

١ ن – أما.
٢ ن: فاللام.
٣ ن: فللفاء.
٤ ن: شاع.
٥ ن – منه.
٦ د ن – رضي الله عنه.
٧ **كتاب الأموال** للقاسم بن سلّام، ٢/٢٣٥؛ **مرقاة المفاتيح** للقاري، ٧/١٦٥.
٨ **مسند أحمد**، ٦/١٠٦ (٣٦١٣)؛ **صحيح البخاري**، ١/١٦٠ (٨٠٤)؛ **صحيح مسلم**، ١/٣٠٣ (٦٧٥).
٩ د: كسنيني.
١٠ **المُغرِب** للمُطرِّزي، «سنو». وليس في مطبوعه عبارة «فيكون من المنقولات العُرفيّة».
١١ د: لذلك | وكان الناسخ قد كتب راية الكاف، ثمّ ضرب عليها.
١٢ ن: غيره.
١٣ ن: ماضي.
١٤ ن – غير.
١٥ ن – غير.
١٦ ن – ألا.
١٧ ن: جبرًا.
١٨ ش ن: لفظة.

وِمن هذا الاسمِ أُشتُقَّ: تَأَلَّهَ وأَلَّهَ واستَأْلَه، كما قيل: إِسْتَنْوَقَ واستَحْجَرَ، في الاشتقاق من الناقةِ والحجرِ.

فإن قلتَ: أَسْمٌ هُو أَمْ صفةٌ؟

قلتُ: بل اسمٌ غيرُ صفةٍ، أَلَا تَرَاكَ تَصِفُهُ ولا تَصِفُ بهِ، لا تقول: شيءٌ إلهٌ؛ كما لا تقول: شيءٌ رَجُلٌ، وتقول: إلهٌ واحِدٌ صَمَدٌ؛ كما تقول: رَجُلٌ كريمٌ خَيِّرٌ.

وأيضًا: فإنَّ صفاتِهِ تعالى لا بدَّ لها من موصوفٍ تَجرِي عليه، فلو جَعَلْتَها كلَّها صِفاتٍ بَقِيَتْ غَيْرَ جاريَةٍ على اسمٍ موصوفٍ بها وهذا محالٌ.

فإن قلتَ: هل لهذا الاسم اشتقاقٌ؟

قوله: **(ومن هذا الاسم اشتُقَّ)** يعني: الأصل في الأفعال أن تُشتقَّ من المصادر، وهذه الأفعال مُشتقَّة من لفظة "الله"، وهو ليس بمصدر، ومثل[١] ذلك يُسمّى اشتقاقًا جَعْليًا. و**(تألَّه)** أي: تعبَّد. و**(أَلَه)**: بفتح اللام عَبد.[٢] و**(استأله)**: استَعبد. وفي المثل «استنوقَ الجمل»،[٣] أي: صار ناقة. يُضرب هذا المثل لرجل يكون في حديث أو صفةِ شيءٍ ثمّ يخلِطه بغيره؛ وأصله أنّ طَرَفة كان عند بعض الملوك فأَنشد[٤] شاعرٌ شِعرًا في وصف جمل ثمّ حوَّله إلى[٥] نعت ناقة، فقال طَرَفة: «استنوقَ[٦] الجمل».[٧]

قوله: **(أَسْمٌ هو؟)** همزته[٨] للاستفهام، وهمزة الوصل سَقطٌ.

قوله: **(فلو جعلتَها)** الضمير يعود إلى الكلمات أو الأسماء؛ لدلالة قوله: **(صفاته)** أو سياق الكلام عليها، ولا يجوز أن يعود إلى "صفاته"؛ إذ لا يصحُّ أن يقال: فلو جعلتَ صفاتِه كلّها صفاتٍ.

---

١ د: مثل.
٢ ن - عبد.
٣ **مجمع الأمثال** للميداني، ٩٣/٢. برواية «قد استنوق الجمل»؛ **المستقصى** للزمخشري، ١٥٨/١.
٤ ن: فأنشده.
٥ ن - إلى.
٦ ش: قد استنوق.
٧ قصّة المَثل بألفاظ قريبة جدًا مما ورد ههنا في **كتاب الأمثال** للقاسم بن سلّام، ص ١٢٩.
٨ ن: همزة.

قلتُ: معنى الاشتقاقِ: أَنْ يَنْتَظِمَ الصيغتَيْن فصاعدًا معنًى واحدٌ، ....

قوله: (**قلتُ**:[١] **معنى الاشتقاق**) حاصل الجواب: أنّ معنى الاشتقاق مُتحقِّقٌ[٢] هنا فيكون مُشتقًّا. ثمّ اعلم أنّه نفى بقوله: "ومِن هذا الاسم اشتُقَّ تألَّه"... إلخ، أنّه مُشتقٌّ،[٣] وأثبت هنا أنّه مُشتقٌّ من أَلِه إذا تحيَّر. ولا[٤] تَناقُض. ثمّ اعلم أنّ التحقيق في هذا الموضع أن يقال: إنّ المُصنِّف جعل "تألَّه" و"أَلَه"[٥] و"استأله" مُشتقًّا من لفظ الله اشتقاقًا جَعليًا، ثمّ أشار إلى أنّ للفظة الله اشتقاقًا حقيقيًا من "أَلِه" إذا تحيَّر. قالوا: أصل أَلِه بالكسر يأَله ألهًا: وَلِه يَوْلَه وَلَهًا، وهو[٦] شدَّة التحيُّر مِن الشوق إلى مَن غاب عنك وترجو الوصول إليه، فالوالهة: المرأة التي غاب عنها ولدها، وأمّا التي مات ولدها فهي ثَكْلى. فعَلى هذا سُمّيَ تعالى به؛ لأنّ الخلق يتحيَّرون في عظمته وجبروته ويشتاقون إلى لقائه[٧] ورؤيته.

ولا يلزم مما ذكرنا أن يكون صفة؛ فإنّه بيان لرعاية التناسب عند الوضع لا لصحَّة الإطلاق. يؤيِّده ما ذكر العلّامة سراج الدين السكّاكي[٨] في **المفتاح**، وهو قوله:

> واعتبار التناسب في التسمية مَزِلَّة أقدام رُبّما شاهدتَ فيها من الزلل ما تعجَّبتَ، فإيّاك والتسوية بين تسمية إنسان له حُمرة بأحمرَ[٩] وبين[١٠] وصفه بأحمرَ أن تزلَّ؛[١١] فإنّ اعتبار المعنى في التسمية لترجيح الاسم على[١٢] غيره حال تخصيصه بالمُسمّى، واعتبار المعنى في الوصف لصحَّة إطلاقه عليه، فأين أحدهما من الآخر؟ وإنّ كثيرًا سوَّوا، ثمّ سمعونا نقول: الله عزَّ اسمه سُمّي الله لكونه محارَ[١٣] عقول اشتقاقًا من كذا،

---

١ ن - قلت.
٢ ن: مستحق.
٣ ن + منها.
٤ ن: وفيه.
٥ ن - وأله.
٦ ن - هو.
٧ ن: الغاية.
٨ ش + رحمه الله.
٩ ن: يا حمرون.
١٠ ن - وبين.
١١ ن: مزل.
١٢ ن - على.
١٣ ن: مجازًا.

وصيغةُ هذا الاسم وصيغةُ قولهم: أَلِهَ، إذا تَحيَّرَ -وَمِن أَخَوَاتِه: دَلِهَ وعَلِهَ- يَسْتَظِمُهما معنى التحيُّر والدَّهْشَةِ، وذلك أَنَّ الأَوْهامَ تتحيَّرُ في مَعْرِفَةِ المعبود وتُدْهَشُ الفِطَنُ، ولذلك كَثُرَ الضَّلال وفَشَا الباطلُ وقلَّ النَّظرُ الصحيحُ.

فإن قلتَ: هل تُفَخَّمُ لامُه؟

قلتُ: نَعَمْ، قد ذكرَ الزجّاجُ أَنَّ تفخيمَها سُنَّةٌ، وعلى ذلك العربُ كلُّهُم، وإِطْباقُهم عليْهِ دليلُ أَنَّهم وَرِثُوهُ كابِرًا عن كابرٍ.

و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: فعْلانُ مِن رَحِمَ؛ كغَضْبانَ وسَكْرانَ مِن غَضِبَ وسَكِرَ.

وكذلك ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: فَعيلٌ مِنْهُ؛ كمَرِيضٍ وَسَقيْمٍ مِن مَرِضَ وسَقِمَ.

أو لكونه معبودًا اشتقاقًا من كذا، فظنُّونا أسأنا؛ فأخذوا يَرمون، والمَرمى
حيث باتوا وظلُّوا. إلَه الخلق[١] غَفْرًا.[٢]

قوله: (فصاعدًا) نُصب بعامل مُضمر، نحو "أخذتُه بدرهم فصاعدًا"، أي: فذهب الثمن صاعدًا، والتقدير هنا: فتذهب[٣] الصِّيغة[٤] صاعدًا.[٥] وفشا الخبر يفشو، أي: ذاع.

قوله: (أنّ تفخيمها سُنَّة) أي: تغليظ لام "الله" طريقة / مَرضيّة، يعني بعد الفتح نحو ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [البقرة ٢/٢٠]، أو الضمّ نحو ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام ٦/١٢٤]. وأمّا بعد الكسر فلم يجز إلّا الترقيق؛ لأنّ الانتقال من الكسرة إلى اللام المُفخَّمة ثقيل، والترقيقُ قريب من الإمالة فيُناسب الكسر. قال الإمام: أطبق القرّاء على ترك تغليظ اللام في قوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ و﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾. قال: والغرض من التفخيم الفرق بينه وبين اللات في الذِّكر، وأيضًا أنّ التفخيم مُشعِر بالتعظيم.[٦] وهذا التفخيم من خاصّيّة هذا الاسم، كأشياء أخرَ خصّوها به: كالتاء في القسم، و"اللّهمّ" في النداء بجعل الميم المشدَّدة عِوضًا عن حرف النداء، وإدخال "يا" عليه. [١٦ظ]

قوله: (كابرًا) أي: ورثه العرب حال كون كلِّ واحد من الوارثين الآخذين كابرًا، أي: كبيرًا شريفًا آخذًا عن كبير شريف.

---

١ ن: الحق.
٢ مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٧٠.
٣ ن: مذهب؛ ش: فيَذهب.
٤ ن: الصفة.
٥ ن: ما عدا.
٦ انظر: تفسير الرازي، ١/١١٠-١١١ (الفاتحة، ١/١).

وفي ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ مِنَ المبالغةِ ما ليس في ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ ولِذلكَ قالوا: رَحْمنُ الدُّنيا والآخرة ورَحِيمُ الدُّنيا، ويقولون: إنَّ الزيادةَ في البناء لزيادة المعنى.

وقال الزجّاج في الغَضْبان: هو المُمْتلِئُ غَضَبًا.

وممَّا طَنَّ على أُذُني من مُلَح العربِ: أنَّهم يُسمُّون مَركبًا من مَرَاكِبهم بالشُّقْدُفِ، وهو مَرْكبٌ خفيفٌ ليس في ثِقَلِ محامِلِ العِراقِ، فقلتُ في طريق الطَّائف لِرجُلٍ منهم: ما اسمُ هذا المَحْمِلِ؟ أردتُ المَحْمِلَ العِرَاقيَّ، فقال: أليس ذاكَ اسمُهُ الشُّقْدُفُ؟ قلتُ: بَلى، قال: فهذا اسمُه الشِّقِنْداف، فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمَّى.

قوله: (**وفي ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ منَ المبالغة ما ليس في ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾**) "ما" مبتدأ موصول ما بعده صلته. و"في الرحمن" خبره. و"مِن" في "مِنَ المبالغة" للبيان، حال من الضمير المُستتر في الخبر العائد إلى "ما"، ولا يكون حالًا من الضمير في "ليس" العائد إلى "ما"؛ لأنّ ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله.

قوله: (**لزيادة المعنى**) يعني: إذا وُضِع لفظ لمعنى، ثمّ وُضِع لفظ آخرُ مُركَّبٌ من حروفه الأصول لذلك المعنى، وحروف الثاني أكثر من حروف الأوّل، فينبغي أن يكون للثاني زيادة معنًى. وأمّا إذا كان كلُّ واحد من اللفظين موضوعًا لمعنى غير معنى الآخر، أو لم يشتركا في الحروف الأصول فلا يَلزم ذلك، نحو جبل وهو معروف، وعَبَوْثران: وهو نبت طيِّبة الريح، وأمثاله كثيرة.

قوله: (**طَنَّ**) أي: صوَّت. و"المُلحة" بالضمّ واحدة المُلَح من الأحاديث، يعني أنّ ذاك الرجل -واسمه حامية من بني كعب- قاله بطريق المُلَح لا على التحقيق؛ يؤيِّده قوله: (**فزاد في بناء الاسم لزيادة المُسمّى**). و(**المَحمِل**) بوزن المَجلِس: واحد مَحامل الحاجّ. وأمّا المِحمَل بكسر الميم الأوّل وفتح الثاني فعِلاقة السيف، وهو السِّير الذي يُقلِّده المُتقلِّدُ.

قوله: (**ذاك**) إشارة إلى المَحمِل الحِجازيّ. و(**الشُّقْدُف**) بضمّ الشين والدال وسكون القاف. وصحَّ بالنصب فهو خبر "ليس"، واسمه بدل من "ذاك". و(**الشِّقِنداف**) بكسر الشين والقاف.

وهُوَ مِنَ الصفاتِ الغالبة كالدَّبَرانِ والعَيُّوقِ والصَّعِقِ، لم يُسْتَعْمَلْ في غير اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كما أَنَّ "الله" من الأَسْمَاء الغالبة.

وأمَّا قولُ بَنِي حَنِيفَةَ في مُسَيْلِمَةَ: ....

قوله: **(وهو)** أي: الرحمن. اعلم أنّ الأعلام الغالبة قسمان: قسم يكون اسمَ جنس في الأصل غيرَ صفة يغلبُ على بعض موارده، مثل الإله والنجم؛ ومنه ما يكون صفةً في الأصل فيغلب على بعض ما يوصَف **(كالدَّبَران)**، فيصير علمًا بالغلَبة. و"الدَّبَران" فَعَلان بمعنى الفاعل، كالعَدَوان للعادي من العَدْو. وهم يذكرون أنّه يَدبُر الثُّريّا خاطبًا لها، وهو مَنزِل من منازل القمر، كوكب مضيء يَضرِب إلى الحُمرة، وهو على عين الثور، وهو مع الكواكب التي على وجه الثور على شكل الدال، وهو على طرف ذلك الدال، وقد يخسِفها القمر أحيانًا. و**(العَيُّوق)** فَيْعول بمعنى الفاعل، كالقَيُّوم بمعنى القائم؛ سُمِّيَ بذلك لزعمهم أنّ الدَّبَران خطب الثُّريَّا وساق لها كواكب صغارًا، والعَيُّوق بينهما فكأنّه يَعوقه عنها.

اعلم أنّ الكواكب الثابتة في جِرم الفَلَك الثامن على ما ظنُّوا، وهي كثيرة العدد بحيث يعجز العادُّ عن أن يأتي بجميعها، والعلماء أدركوا منها بأرصادهم ألفًا واثنين وعِشرين كوكبًا، وحصروها[١] في ثمانٍ وأربعين صورة، بأن نظروا إلى كلِّ جملة منها يتشكَّل بشكل / حيوان أو غيره، فتوهَّموا حولها خطوطًا ليَصير [١٧و]
متميِّزًا عن غيرها وسمَّوها باسم الصورة التي تتشبَّه بها. منها مُمسِك العِنان: هو أربعةَ عشرَ كوكبًا، وصورته صورة رجُل قائم، بإحدى يديه سَوط وبيده الأخرى عِنان، من كواكبه كوكب نيِّر يُسمَّى العَيُّوق.

و**(الصَّعِق)** رجلٌ اسمه خُويلد،[٢] قيل: كان يُطعم الناس بتِهامة فهبَّت ريح فسَفَتْ في جِفانه التراب، فشَمَّها فرُمِيَ بصاعقة فقَتلته.

قوله: **(وأمّا قول بني حنيفة)** جواب عن سؤال يَرِد على قوله: "الرحمن من الصفات الغالبة"، وهو أنّ بني حنيفة كانوا يُطلقون "الرحمن" على مُسيلمة الكذّاب،

---

[١] د: وحصروا.

[٢] هو خُويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب بن ربيعة.

رَحْمَنُ اليَمامَةِ، وقولُ شاعرِهم فيه:

وأنــتَ غَيْـثُ الــوَرَى لا زِلْــتَ رَحْـمانا

فبَابٌ مِن تَعنُّتِهم في كُفْرِهِم.

ويقولون له: **(رحمن اليمامة)**. وهو رجل ادّعى النبوّة في زمان نبيّنا عليه السلام، وقُتِل في زمان خلافة أبي بكر رضي الله عنه.[1] وقال شاعر بني حنيفة في حقِّ مُسيلمة -شعر-:[2]

سَموتَ بالمَجد يا بنَ الأكرمين أبًا **(وأنتَ غيثُ الوَرى لا زِلتَ رَحمانا)**[3]

وتقرير الجواب أنّا لا نُسلِّم[4] أنّ هذا الإطلاق صحيح؛ فإنّهم مِن غاية كفرهم أطلقوا الاسم الخاصّ بالله تعالى عليه. و"التعنُّت" الوقوع في العَنَت: وهو الإثم. وقوله: **(في كفرهم)** حال، أي: من تعنُّتهم كافرين، يعني: كانوا يزدادون الإثمَ مع كفرهم.

وهنا بحث: وهو أنّ العلماء اختلفوا في استلزام المَجازِ الحقيقةَ،[5] فمَن قال: لا يَستلزم،[6] تمسَّك بأنّ "الرحمن" مجاز في الباري تعالى؛ لأنّه موضوع للواحد المُذكَّر الموصوف بالانعطاف، إذ الألف والنون فيه للمُذكّر وليس له حقيقة؛ لأنّه لم يُستعمل إلّا في الله تعالى. واعتُرض عليه بأنّه كان يقال على رَحمن اليمامة.[7] وأُجيب عن الاعتراض: بأنّه تعنُّت في الكُفر. وقيل: في الجواب نظر؛ لأنّه لا يَنفي الاستعمال في غير الباري تعالى، غايته أنّه يُعلِّل الواقعُ وهو يؤكِّد الاستعمال لكنّه ضعيف؛ إذ لا اعتداد[8] بالاستعمال إذا كان

---

١ د ن - رضي الله عنه.

٢ ن - شعر.

٣ لم أهتدِ إلى قائله. وعجزه في **تفسير النسفي**، ٢٩/١، و**الدرّ المَصون** للسمين الحلبي، ٣٤/١، و**البرهان** للزركشي، ٥٠٣/٢. وأتمّه الطِّيبي في **فُتوح الغيب**، ٧١١/١.

٤ د: لا نم [اختصارًا من "لا نُسلِّم"].

٥ انظر في تفصيل هذه المسألة: **المختصر** لابن الحاجب، ص ٢٣٧؛ و**شرح العَضُد على المختصر**، ١٥٣/١؛ و**البحر المحيط** للزّركشي، ٢٢٣/٢-٢٢٤.

٦ ذهب إلى ذلك الآمدي في **الإحكام في أصول الأحكام**، ٥٤/١. وعزاه ابن الساعاتي إلى المُحقِّقين في **بديع النظام**، ٤١/١.

٧ ن + قلنا على سبيل المجاز أيضًا: معناها مُنعِم اليمامة.

٨ د: لا اعتاد.

فإنْ قلتَ: كيف تقول: اللهُ رَحْمنُ، أتَصْرِفُه أمْ لا؟

قلتُ: أَقِيسُهُ على أخواتِهِ من بَابِه، أعني نحوَ: عَطْشانَ وغَرْثانَ وسكْرانَ فلا أصْرِفُه.

فإنْ قلتَ: قد شُرِطَ في امتِناع صَرْفِ فَعْلانَ أن يكون فَعْلانَ فَعْلَى، وَاخْتِصَاصُهُ باللهِ يَحْظُرُ أنْ يكون فَعْلانَ فعْلَى، فَلِمَ تَمْنَعُه الصرفَ؟

قلتُ: كما حَظَرَ ذلك أن يكون له مُؤنَّثٌ على فَعْلَى كعَطْشَى، فقد حَظَرَ

على خلاف أصل الوضع مُضادًّا له مُنافيًا إياه. وظهر من هذا الكلام أنّه مَجاز ليس له حقيقة.

وفي كون مثل هذا من الصفات الغالبة بحثٌ؛ لأنّه ليس كالدَّبَران الصالح لكلِّ ما يُوصَف بالدَّبور؛ لأنّه ليس صالحًا لجميع ما يُوصف بالانعطاف، بل بشرط كونه مذكَّرًا. لكن يُمكن أن يقال: هو صالح للجميع لكن للبعض بالحقيقة وهو المُذكّر منهم مثلًا، وللبعض بالمَجاز، ثمّ غَلب في المَورد المَجازيّ فيكون من الصفات[١] الغالبة. وأيضًا تشبيهه بالدَّبَران يقتضي كونَه من الأعلام الغالبة، وليس كذلك بل هو صفة؛ لأنّه لو كان اسمًا لَما اختُلِف في مَنع صرفه إذ كفى فيه العلَميّة،[٢] ولم يُشترط[٣] انتفاء فَعْلانة ولا وجود فَعْلى. وأيضًا[٤] لو كان عَلمًا لكان بدلًا من الله أو بيانًا له، فلا يكون صفة؛ إذ العلَم يُوصَف ولا يُوصَف به، وقد اتّفقوا على كونه صفة. وأيضًا لو كان عَلمًا لم يدخله[٥] اللام ولم يُنزَع ولم يُضَف ولم يُقطَع.

قوله: **(الله رَحمن)** مبتدأ وخبر، وكأنّ هذا القول بظاهره يَحتمل أن يكون سؤالًا عن الإعراب والبناء، وعن كيفيّة الإعراب في الجزأين أو أحدهما، وعن الصرف وعدمه، فبيَّنه بقوله: **(أتصرفه أم لا؟)**.

قوله: **(كما حَظَر)** أي: منع **(ذلك)** أي: اختصاص الرحمن بالله تعالى. وتقريره أن يقال: الأصل أن يقتضي[٦] للرحمن فَعلى كأكثر أخواته نحو عَطشان

---

١ ن: الصفة.
٢ ن: للعلميّة.
٣ ن: يشترطا.
٤ ن - أيضًا.
٥ ن: لم يدخل.
٦ ن: يقيض.

أَنْ يكـون لَـهُ مؤنَّـثٌ علـى فَعْلانـة كندمانـةٍ، فـإذًا لا عِبْـرةَ بامتنـاع التأنيـث للاختصَاصِ العَارض، فوجَبَ الرجُوعُ إلى الأصل قَبْل الاختصاصِ وهو القياسُ على نظائره.

فإن قلتَ: ما مَعْنى وَصْفِ الله تعالى بالرحمة ومَعْناها: العَطْفُ والحُنُوُّ، ومنها: الرَّحِمُ؛ لِانعِطافِها على ما فيها؟

قُلتُ: هو مَجَاز عَن إنعامِهِ على عباده؛ لأن المَلِكَ إذا عَطَفَ على رَعيَّته ورَقَّ لهـم أَصَابَهـم بمَعْرُوفهِ وإِنْعامِه؛ كما أنـه إذا أَدْرَكتْـه الفَظَاظـةُ والقَسْـوةُ

وسَكران وغَرثان،[١] والعارض -وهو اختصاصه بالله تعالى- مَنَع منه، وهذا العارض كما اقتضى أَلّا يكون له فَعْلى اقتضى أَلّا يكون له[٢] فَعْلانة، ثـمّ إنّ عدم فَعْلى يقتضي الصرف وعدم فَعْلانة يقتضي عدم الصرف فتعارضا، فنقطع النظر عن امتناع التأنيث الحاصل للاختصاص / العارض؛ لأنّه كما اقتضى أمرًا [١٧ظ] يوجب الصرف اقتضى أمرًا يمنعه، فنقطع النظر عنه وننظر إلى الأصل، والأصل قياسه على نظائره، أي: إلحاقه بنظائره كعطشان وسكران؛ لأنّ إلحاق الفرد[٣] بالأعـمّ الأغلب أولى فيمتنع من الصرف. وقوله: "للاختصاص" مُتعلّق بامتناع.

قوله: **(العطفُ والحنوُّ)** معناهما: المَيل.

قوله: **(هو مجاز)** أي: وَصفُ الله تعالى بالرحمة مجاز عن إنعامه؛ لأنّ العطف والرقّة سبب الإصابة بالمعروف والإنعام كما ذكَر، فأطلق السبب وأراد المُسبَّب فيكون مجازًا. و"العُنف": خلاف الرفق، نقول منه: عَنُف به وعَنُف عليه -بضمّ النون فيهما- عُنفًا وعَنافة. و"النِّحرير": البليغ في العلم، كأنّه ينحر الشيء عِلمًا، ويقال: نحرتُ كتاب كذا عِلمًا، أي: علِمتُه حقَّ العِلم. وعليه حمل بعضهم قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء ١٥٧/٤].[٤]

---

١ د: غُريان.

٢ د - له.

٣ ن: العرف.

٤ أورد هذا التأويل في الآية جملة من المفسِّرين. انظر لذلك: **معاني القرآن للفرّاء**، ٢٩٤/١؛ **وجامع البيان للطبري**، ٦٦١/٧-٦٦٢ (النساء، ١٥٧/٤)؛ **ومعاني القرآن وإعرابه للزّجاج**، ١٢٩/٢؛ **والكشّاف للزمخشري**، (النساء، ١٥٧/٤).

عَنَّفَ بهم ومَنَعَهم خَيْرَهُ ومَعْروفَهُ.

فإن قلتَ: فَلِمَ قُدِّمَ ما هُوَ أَبْلغُ من الوَصْفين على ما هو دونَهُ، والقياسُ التَّرَقِّي من الأَدْنى إلى الأَعْلَى؛ كقولهم: فلانٌ عالمٌ نِحريرٌ وشُجاعٌ باسلٌ وجَوادٌ فيّاضٌ؟

قلتُ: لمّا قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ فتناولَ جلائلَ النِّعَم وعَظائِمَها وأصولَها أَرْدَفَهُ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ كالتَّتِمةِ والرَّدِيفِ ليتناوَلَ ما دَقَّ مِنها ولَطُفَ.

قوله: (فتناول)[1] عطفٌ. و(أردفه) جواب (لمّا). (منها) أي: من النِّعم. وحاصل الجواب أنّ الأصل ألّا يُوصف الله تعالى إلّا بما يدلُّ على جلائل النِّعم، فوُصِفَ[2] بالرحمن لذلك، ثمّ بالرحيم ليتناول ما دقّ.[3] قال الإمام:

> الكبيرُ العظيمُ لا يُطلب منه الشيء اليسير الحقير؛ حُكيَ أنّ بعضهم ذهب إلى بعض الأكابر، وقال: جئتك لمُهمٍّ يسير؛ فقال: اطلب للمُهمِّ اليسير رَجلًا يسيرًا. فكأنّه تعالى يقول: لو اقتصرتُ على ذِكر الرحمن لاحتشمتَ عنّي، ولتعذّر عليك سؤال الأمور اليسيرة، ولكن كما علِمتني رحمانًا تطلب مِنّي الأمور العظيمة فأنا أيضًا رحيم؛ فاطلب مِنّي شِراك نعلكَ ومِلح قِدْرك.[4]

وتحقيق الجواب أن يقال: الترقّي من الأدنى إلى الأعلى معنًى قد يُراعونه ولا تَلزم رِعايته في جميع المواضع، إذ يجوز أن يُعدَل عنه إلى معنى آخر كما في هذا الموضع، فإنّه عُدِل عن رِعاية هذا المعنى إلى رِعاية معنى آخر.[5]

---

١ ن: فيتناول.

٢ د: فيُوصَف.

٣ ن: دقائقها.

٤ تفسير الرازي، ١/٢٣٨-٢٣٩ (الفاتحة، ١/٣).

٥ والتحقيق فيه ما ذكره الفالي، وهو أنّ القياس الترقّي من الأدنى إلى الأعلى فيما كان الثاني من جنس الأوّل وفيه زيادة، والرحمن يتناول جلائل النعم وأصولها، والرحيم دقائقها وفروعها، فلم يكن في الثاني زيادة على الأوّل، بل كأنّه جنس آخر. انظر: التقريب في التفسير للفالي، ٢و؛ وفتوح الغيب للطيبي، ١/٧١٣.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾

الحَمْدُ والمدحُ أَخوَانِ، وهو الثناءُ والنِّداءُ على الجميلِ مِن نِعمةٍ وغيرها، تقول: حَمِدْتُ الرجلَ على إِنْعامِه، وحَمِدْتُه على حَسَبِه وشَجَاعته. وأَمَّا الشكرُ فعلى النِّعْمَةِ خاصةً، ....

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.[١]

(الحمد): هو[٢] الثناء بالفضيلة التي يكون للمُثنى عليه[٣] فيها[٤] اختيار من نعمة وغيرها. و(الثناء): الكلام الجميل، وقيل: هو من قولهم: أثنى عليه خيرًا، ويكون على النعمة وغيرها.[٥] و(النداء على الجميل):[٦] عبارة عن الإشادة به وتشهيره.[٧] وندى الصوت بُعدُ مذهبه، وإنّه أندى لصوتك، أي: أبعد وأشدُّ، وهو من النَّدوة: الرُّطوبة؛[٨] لأنّ الحلق إذا جفَّ لم يَمتدَّ صوته. وهو أخصُّ من "المدح" مطلقًا؛ لأنّ المدح: الثناء بالفضيلة سواء كان للمُثنى عليه فيها[٩] اختيار أو لا، ويكون على النعمة وغيرها، تقول: حَمِدته لعِلمه وشجاعته، ومدحته لعِلمه وشجاعته، وتقول: مدحتُه لطول قامته وصَباحة وجهه، كقوله تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة ٢/٢٤٧]،[١٠] ولا تقول: حمِدته لطول قامته وصَباحة وجهه. وأمّا أنّهم يقولون: "حمِدتُ الله" ولا يقولون: "مدحتُ الله"، فلا يقدح فيما ذكرنا؛ لأنّ ذلك بناء على أنّ إطلاق الألفاظ على الله تعالى[١١] موقوف على الإذن، لا باعتبار مفهوم اللفظ. ثمّ إنّ قوله: **(الحمد والمدح أخوان)** يُوهِم أنّهما بمعنى واحد، أي: متساويان، وليس كذلك؛ لِما مرَّ أنّ الحمد أخصُّ.

فإن قلنا: المُراد بالجميل ما يكون فيه اختيار لم يصحَّ هذا التقييد في تفسير المدح، وإن قلنا: الجميل أعمُّ ممّا يكون فيه اختيار أو لا لم يصحَّ هذا التعميم

---

١ ن - ﴿لِلَّهِ﴾.
٢ ن - الحمد: هو.
٣ ن - عليه.
٤ ن: فيه.
٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ثني».
٦ د: الجميع.
٧ ن: ويشهده.
٨ ن: والرُّطوبة.
٩ ن: فيه.
١٠ انظر: **تفسير الكواشي**، ص ١٣٨.
١١ د ش - تعالى.

وهو بالقَلْبِ واللِّسانِ والجوارحِ، قال:

أَفَـادَتْـكُـم الـنَّـعْـمَـاءُ مِـنِّـي ثَـلاثَـةً   يـدِي ولِسـانـي والضَّمِيـرَ المُحَجَّبَـا

والحَمْدُ باللسان وَحْده، فهو إحْدى شُعَبِ الشُّكْرِ، ومنه قولُه عليه الصلاة والسلام: «الحمدُ رأسُ الشكر، ما شكرَ اللهَ عَبْدٌ لم يَحْمَدْهُ»، وإنما جَعَلَه رأسَ الشكرِ لأن ذكرَ النِّعمةِ باللسان والثناءَ على مُولِيهَا أَشيَعُ لها ....

في تفسير الحمد. فالصوابُ أن نقول: قال أوّلًا: هما أخوان، أي: مُتشابهان من بعض الوجوه، ثمّ فسّر الحمد، إذ المقصود هنا ذِكرُه، وتَركَ المدحَ.

[١٨و] وقوله: (هو) عائد إلى الحمد لا إلى كلٍّ واحد منهما. والمُراد / بالجميل: ما يكون فيه اختيار. وفيه نظر. والصواب أن نقول: إنّ قوله: "هو" عائد إلى ما دلَّ عليه سياق الكلام، فإنّ قوله: "الحمد والمدح أخوان" في معنى قولك: يَشترك الحمد والمدح في أمر، والضمير عائد إلى ذلك الأمر، فكأنّه قال: وذلك الأمر المُشترَك فيه هو الثناء والنداء على الجميل. ثمّ إنّه يمتاز أحدهما من الآخر بقيد مخصوص، وهو كونُ ذلك الجميل بالاختيار ليكون حمدًا، وكونُ ذلك الجميل أعمَّ من أن يكون بالاختيار وغيره ليكون مدحًا.

وبين الحمد والشكر عموم من وجه؛ لأنّ الشكر: ما تُجازى به النعمة من تعظيم المُنعِم في القلب وثناء عليه باللسان وتحقيق مَراضيه بالجوارح. فمِن حيث إنّه يكون بالقلب واللسان والجوارح والحمد باللسان وحده يكون أعمَّ من الحمد، ومِن حيث إنّه لا يكون إلّا في مُقابلة النعمة أخصُّ منه.

قوله: (أفادتكم النَّعماءُ)[١] أي: إنعامكم عليَّ. والنعمة: اليد والصَّنيعة[٢] وما أُنعم به عليك، وكذلك النُّعمَى بالضمّ والقصر، وإن فتحتَ النون مددتَ وقلتَ: النَّعماء.

قوله: (وإنّما جعله) أي: جعل النبيُّ[٣] الحمدَ. والضمير من (مُولِيها) و(لها)

---

[١] ما عرفت قائل البيت. وهو بلا عزو في غريب الحديث للخطابي، ٣٤٦/١؛ والفائق للزمخشري، ٣١٤/١؛ والدرّ الفريد لابن أيدمر، ٤٧٥/٣.

[٢] ن: والصفة.

[٣] ن: التي.

وأدلُّ على مكَانِها من الاعتقادِ وإدْآبِ الجوارح؛ لخفاءِ عملِ القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمالِ، بخلافِ عملِ اللسان وهو النُّطقُ الذي يُفْصِحُ عن كلِّ خفيٍّ ويُجَلِّي كلَّ مُشْتَبِهٍ.

والحمدُ نقيضُه الذَّمُّ، والشكرُ نقيضه الكُفْرَانُ.

و(مكانِها) لـ(النعمة)، ولفظ "مكان" زائد، أي: عليها. وشاع الخبر، أي: ذاع، وأشاع الخبرَ: أذاعه. والإدآب: الإتعاب، يقال: دَأَب في عمله، أي: جَدَّ وتعِبَ، دَأْبًا[١] ودُءوبًا فهو دَئِبٌ،[٢] وأَدْأَبْتُه أنا. فقوله: (إدآب الجوارح) إضافة للمصدر إلى المفعول.

قوله: (لخفاء عمل القلب) مُتعلِّق بقوله: (من الاعتقاد).

قوله:[٣] (وما في عمل الجوارح) أي: لِما في عمل الجوارح، مُتعلِّق بقوله: "وإدآب الجوارح"، ففيه لفٌّ ونشرٌ.

قوله: (وهو) أي: عمل اللسان. وكذا بين المدح والشُّكر عموم من وجه، تقول: مدحتُه لإنعامه وشَكرتُه لإنعامه، ومدحتُه لطول قامته، ولا تقول فيه: شكرتُه. ويكون الشُّكر بالقلب والجوارح دون المدح.

اعلم أنّ ما ذكرنا من الفرق بين معنى المدح والحمد على الوجه المذكور هو[٤] مذهب كثير من العلماء. وأمّا المُصنِّف فلا يُفرِّق بينهما، وقد صرَّح بذلك في "سورة الحجرات" حيث قال: «ومعنى تحبيب[٥] الله تعالى وتكريهه:[٦] اللطفُ والإمداد بالتوفيق، وسبيله الكناية، وكلُّ ذي لُبٍّ وراجع إلى بصيرة لا يغبى عليه أنّ الرجُل لا يُمدَح بغير فعله، وحَملُ الآية على ظاهرها يُؤدِّي إلى أن يُثنى عليهم بفعل الله، وقد نعى الله هذا[٧] على الذين أُنزِل فيهم: ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ [آل عمران ٣/١٨٨]».[٨] ثمّ أورد سؤالًا على[٩] نفسه: وهو أنّ العرب تَمدح بالجمال

---

١ دأْبًا ودأَبًا، بسكون الهمزة وفتحها. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «دأب».

٢ في **الصحاح** للجوهري «فهو دائبٌ»، «دأب».

٣ ن - قوله.

٤ ن: وهو.

٥ ن: بحسب.

٦ ن: وتكريمه.

٧ ن - هذا.

٨ **الكشّاف** للزمخشري، (الحجرات، ٧/٤٩).

٩ ن - على.

وارتفاعُ ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ بالابتداء، وخبرُه الظرفُ الذي هو "لله"، وأصلُه النصبُ الذي هو قراءةُ بعضِهم بإضمارِ فعلِه على أنَّه من المصادر التي تنصبُها العربُ بأفعالٍ مُضْمَرةٍ في معنى الإخبار؛ كقولهم: شُكْرًا، وكُفْرًا، وعَجَبًا، وما أشبهَ ذلك، ومنها: سبحانك، و: مَعاذَ اللهِ، ....

وحُسن الوجوه وذلك فعل الله، وهو مدح مقبول عند الناس غيرُ مردود، وأجاب بوجهين: **الأوّل**: أنّ ذلك لدلالته على المَخبر المَرضيّ، **والثاني**: مَنعُ صحته.

قوله: **(خبرُه الظرفُ)** أهل الإعراب يُسمُّونه ظرفًا؛ لأنّ تقديره: الحمد مُستقرٌّ أو ثابتٌ لله، وكلُّ ما يستقرُّ فيه الشيء فهو ظرف. قال المُصنِّف:[١] ولأنّ الحمد اختصَّ بالله فكأنّه مُستقَرُّه، وكلُّ مُستقَرٍّ ظرفٌ، ولأنّ حرف الجرّ يُقدَّر معها الفعل فكان للظرف.

قوله: **(على أنّه)** متعلِّقٌ من حيث المعنى بقوله: **(النصب)** أي: أصله أن يُنصَب على أنّه من المصادر كما يقال: نُصِب على المصدر. والقراءة بالنصب شاذّة.[٢]

قوله: **(في معنى)** صفةُ **(أفعال)** أي: بأفعال في معنى الإخبار لا الأمرِ، لِما سيجيء. وإنّما حمله على أنّ أصله النصبُ ثمّ عُدِل عنه إلى الرفع؛ لِما فيه من التأكيد بذِكر الفعل مع المصدر والتوصُّلِ بتقليل[٣] اللفظ إلى[٤] تكثير المعنى، لأنّه / بعد الحذف والعُدول أفاد الثبات، ولأنّ القراءة بالنصب دلَّت[٥] عليه، [١٨ظ]
فإنّ القرآن يُفسِّر بعضُه[٦] بعضًا. ومنها، أي: من المصادر المذكورة **(سُبحانَك)** **والأصل**:[٧] أُسبِّحكَ سُبحانَ. وأصل **(مَعاذَ الله)** أعوذ بالله مَعاذًا، ثمّ حُذِف الفعل فصار "بالله مَعاذًا"، ثمّ حُذِف الجارُّ وأُضيف المصدر فقيل: "معاذَ الله".

---

[١] لم أقف على قوله فيما عدت إليه من مصنّفاته.

[٢] ن - قوله: (على أنّه) متعلِّق من حيث المعنى بقوله: "النصب"، أي: أصله أن يُنصَب على أنّه من المصادر كما يقال: نُصِب على المصدر. والقراءة بالنصب شاذّة. | انظر للقراءة بالنصب: شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٩؛ وشواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٠؛ وإعراب القراءات الشواذّ للعكبري، ١/٨٧.

[٣] ن: تقليل.

[٤] ن - إلى.

[٥] ن: دلّ.

[٦] ش: بعضها.

[٧] ن: أي.

يُنَزِّلُونها منزلةَ أفعالها ويَسُدُّونَ بها مَسَدَّها، ولذلك لا يَسْتَعْملونها معها، ويَجعلون اِسْتَعْمالَها معها كالشريعةِ المنسوخةِ، والعُدُول بها عن النصبِ إلى الرفعِ على الابتداء للدَّلالةِ على ثباتِ المعنى واستقرارِه، ومنه قولُه تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾ [هود ٦٩/١١] رُفِعَ السلامُ الثاني للدَّلالة على أنَّ إبراهيمَ عليه السلام حَيَّاهم بتحيَّةٍ أَحْسنَ من تحيَّتهم؛ لأن الرفع دالٌّ على معنى ثباتِ السلام لهم دونَ تجدُّدِه وحُدُوثِه.

والمعنى: نَحْمدُ اللهَ حمدًا، ولذلك قيل: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ ....

قوله: (**يُنزِّلونها**) أي: يُنزِّلون تلك المصادر منزلةَ أفعال تلك المصادر، ويَسدُّون بالمصادر مَسَدَّ الأفعال، فلا يستعملون الأفعال مع تلك المصادر، فقولُ من قال: "حمِدتُ الله حمدًا وشكرتُه شُكرًا وعجبتُ عجبًا" ليس من استعمال العَرب العاربة.

قوله: (**والعدل**)[1] مبتدأ، والباء للتعدية، أي: صَرفُ تلك المصادر. و(**على**) مُتعلِّق بالرفع. و(**للدلالة**) الخبرُ. والجملة عطف على قوله: (**أصلُه النصبُ**) أي: أصلُه النصب وكذا أصلُ غيره، على ما مرَّ. وصرفُه وصرفُ غيره من المصادر إلى الرفع للدلالة على الثبات.

قوله: (**ومنه**) أي: من العدل، يعني ممَّا عُدِل بالمصدر عن النصب إلى الرفع. وقوله: (**حيّاهم**) أي: الملائكة.

قوله: (**والمعنى: نَحمد**) جملة معطوفة على "أصلُه[2] النصبُ"، يعني: أصله أن يكون منصوبًا على ما مرَّ، وإنّما عُدِل للدلالة على الثبات، والمعنى: نحمد اللهَ حمدًا، على ما كان في حال النصب. وليس المعنى على الأمر، أي: احْمَدوا الحمدَ، أو قُولوا الحمدَ لله؛ لِما مرَّ أنّه مَقول على ألسنة العِباد.

قوله: (**ولذلك**) أي: لأنّ المعنى: نحمدُ الله، بالنون الذي للمُتكلِّم مع غيره، (**قيل: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾**). وهذا دليل واضح على أنّه ليس التقدير -كما ذكره بعضهم-

---

[1] في مطبوع **الكشّاف**: والعدول.

[2] ن: أصل.

لأنّه بيانٌ لحَمْدهم له؛ كأنّه قيل: كيف تَحْمَدون؟ فقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

فإنْ قلتَ: ما معنى التعريفِ فيه؟

قلتُ: هو نحوُ التعريفِ في:

أرسلَها العِراكَ

من: احمدوا الحمدَ،[١] أو قولوا: الحمدُ لله.[٢] قال ابنُ الأنباريّ: يحتمل أن يكون إخبارًا أخبر الله[٣] تعالى به، والفائدة فيه أنّه بيّن أنّ حقيقة الحمد له لا لغيره. ويَحتمل أن يكون ثناءً أثنى به على نفسه، علّم عباده في أوّل كتابه ثناءً عليه وشُكرًا له يكتسبون بقوله وتلاوته أعظمَ الثواب، ويكون المعنى قولوا:[٤] الحمدُ لله، بإضمار القول.[٥] ومعنى هذا اللام المِلك أو الاستحقاق،[٦] أي: الحمد مِلكه[٧] ليس مِلك غيره، أو يستحقُّه ولا يستحقُّه أحد غيره. والذي ذكره المُصنِّف أحسنُ وأولى.

قوله: (**ما معنى التعريف فيه؟**) التعريف: جعل الشيء معرفة، فكأنّه أجراه مُجرى اللازم، فلذلك لم يقُل: تعريفه، فكأنّه قال: ما معنى إيقاع هذا الفعل في اسم الله؟ كقوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف ١٥/٤٦]، أي: اجعل الصلاح فيهم. أو نقول: معنى[٨] "ما معنى التعريف؟" أيُّ شيء قَصَد بالتعريف؟ فالتعريف مفعول من حيث المعنى، و"فيه" حال منه.

قوله: (**هو نحو التعريف في "أرسلَها العِراكَ"**)[٩] لام التعريف: إمّا أن يُشار بها إلى الحقيقة من حيثُ هي تلك الحقيقة، وهو المراد بتعريف الحقيقة،

---

١ انظر: **إعراب القراءات الشواذّ** للعكبري، ٨٧/١.

٢ انظر: **جامع البيان** للطبري، ١٣٩/١ (الفاتحة، ٢/١)؛ **والكشف والبيان** للثعلبي، ٣٧٦/٢ (الفاتحة، ٢/١).

٣ د ش – الله.

٤ ن: قوله.

٥ لم أجِد قول ابن الأنباري فيما وقفت عليه من كتبه. ولعلّه في كتبه التي لم تنتهِ إلينا كـ"**المشكل في معاني القرآن**" أو غيره. وجاء هذا القول منسوبًا إلى ابن الأنباري بلفظه الذي أورده المُصنّف به ههنا في **الوسيط** للواحدي، ٦٥/١-٦٦. وجاء عن ابن الأنباري بزيادة بَسط عما ورد عليه ههنا في **البسيط** للواحدي، ٤٦٤/١-٤٦٦.

٦ ن: والاستحقاق.

٧ ن – ملكه.

٨ ن – معنى.

٩ جزء بيت للبيد، سيأتي بتخريجه قريبًا.

....

ولا يلزم من ذلك أن تكون أسماءُ الأجناس -نحو رجُل وفَرس، وضَرْب وقَتْل- معرفةً؛ لأنّا نمنع أنّ الإشارة بها تقع إلى الحقيقة من حيثُ هي، فإنّها لَمَّا احتملتِ الفرديَّة والحقيقة من حيثُ هي لم يتعيَّن فيها الإشارة إلى الحقيقة من حيثُ هي، بخلافها إذا دخلتْها اللام لتعريف الحقيقة، فإنّ الإشارة تكون حينئذٍ إلى الحقيقة من حيث هي. وإمّا أن يُشار بها إلى الحقيقة حالَ حضورها أو تقدير حضورها في الذهن، فتكون حينئذٍ إشارة إلى مُعيَّن[١] حاضر في الذهن معهود بين المُتكلِّم والمُخاطَب حقيقةً أو مجازًا، كقولك: جاءني رجل فقال الرجل كذا، وقولك: انطلق رجل إلى موضع كذا والمُنطلِق ذو جِدٍّ، / سواء كان المعهود مفردًا كما مرَّ، أو متعدِّدًا كما إذا قال قائل: [١٩و]
جاءني رجلان من قبيلة كذا أو رجال، فتقول: أعرف الرجلين اللذَين جاءاك أو الرجالَ الذين جاءوك، قال تعالى: ﴿وَٱبۡعَثۡ فِى ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۞ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۞ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ [الشعراء ٢٦/٣٦-٣٨]. وإمّا أن يُشار إلى الحقيقة مع قيد العموم والاستغراق.

إذا عرفتَ ذلك فقول المُصنِّف: "هو نحو التعريف في 'أرسلَها العِراكَ'" إشارةٌ إلى أنّ اللام فيه[٢] لتعريف الحقيقة، فكأنّه لمَا سُئل[٣] عن معنى التعريف فيه قال: لا بدَّ لنا أن نُبيِّن أوّلا أنّه من أيِّ أقسام التعريف ثمّ نُقرِّرُ[٤] معناه، فذكر أنّه لتعريف الحقيقة، ثمّ قال: معنى ذلك التعريف الإشارةُ[٥] إلى جنس الحمد الذي يعرفه كلُّ أحد، الممتازِ من سائر الأجناس، يعني: لو لم تكنِ اللام داخلة فيه كان يحتمل أن يُراد به جنس الحمد وحقيقته من حيثُ هو، ويحتمل أن يراد به الحمد المُعيَّن، أي: باعتبار قيامه ببعض أفراده، فلمَّا دخل اللام أفاد تعيين حقيقة الحمدِ من حيثُ هي، فصار المعنى: حقيقة الحمد وجنسه لله تعالى.

---

١ ن: معنى.
٢ ن - فيه.
٣ ن: شكَّ.
٤ ن: نقدِّر.
٥ ن - الإشارة.

وهو تعريفُ الجنسِ، ومعناه: الإشَارةُ إلى ما يَعْرِفُهُ كلُّ أحدٍ من أنَّ الحمدَ ما هو، والعراكَ ما هو من بين أَجْناسِ الأفعال. والاسْتغراقُ الذي يتَوهَّمُهُ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ وَهْمٌ منهم.

فهذا معنى قوله: (معناه الإشارة)... إلخ.[١] ثمّ أفاد بقوله: "هو نحو التعريف في 'أرسلَها العِراكَ'" إلى أنّ الاسم المُعرَّف هذا التعريف قريب من الاسم المتروك غيرَ معرَّف؛ لوقوعه حالًا.

فنقول: أمّا الفرق بينهما فهو: أنّ الاسم المعرَّف بهذا التعريف يكون مُتعيّنًا للإشارة إلى تلك الحقيقة من حيثُ هي، وأنّ الخاليَ عن هذا التعريف يَحتمل الإشارة إلى الحقيقة من حيثُ هي والإشارة إليها مع قَيد الوَحدة، فلا تتعيَّن فيه الحقيقة من حيثُ هي. وأمّا القرب فلأنّ الحقيقة من حيثُ هي لا بدَّ أن تكون قائمًا بشخص، فإذا لم يتعيَّن ذلك الواحد ولم يُرَدِ الاستغراقُ فيكون كالنكرة؛ فيصحُّ وقوعه حالًا. قال لبيد:

فأرسلَها العِراكَ ولم يَذُدها ولم يُشفِق على نَغَص الدِّخالِ[٢]

يقال: اعتركوا، أي: ازدحموا في المُعترَك، ويقال: أَوردَ إبله العِراكَ، إذا أوردها جميعًا الماء. والدِّخال في الوِرْد: أن يَشرب البعير ثمّ يُردَّ مِنَ العَطَن[٣] إلى الحَوض ويُدخَل بين بعيرين عَطشانين ليشرَب منه ما عساه لم يكن شَرِب.[٤] والشاعر يصف العَيْر والأُتُن.[٥] فالضمير[٦] المُستتر في "فأرسلَها"[٧] للعَير، والبارز للأُتُن.

قوله: (وَهْمٌ) أي: غلَط؛ وذلك لأنّه ليس هنا صيغة من صيغ العموم فلا يجوز الحُكم بالعموم، فإنّ المُفرد المُعرَّف باللام لا يُفيد العموم على المُختار؛

---

[١] ن: إلى ما يعرفه.

[٢] البيت في ديوان لبيد، ص ٨٦. والرواية فيه «فأوردَها». وهو في كتاب سيبويه، ٣٧٢/١؛ وشرح المُفصَّل لابن يعيش، ٦٢/٢؛ وشرح الرَّضي على الكافية، ١٧/٢؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ١٩٢/٣.

[٣] العَطن للإبل: كالوَطن للناس، وقد غلَب على مَبرَكها حول الحَوض. لسان العرب لابن منظور، «عطن».

[٤] ن: تشرب.

[٥] ما أورده المصنِّف في تفسير البيت جاء في الصحاح للجوهري، «عرك»، «دخل»؛ وشرح الرَّضي على الكافية، ١٧/٢. وقال الجوهري: «نغِص الرجل بالكسر ينغَص نَغَصًا إذا لم يتمّ مراده. وكذلك البعير إذا لم يتمّ شربه»، ثمّ مثَّل ببيت لبيد. الصحاح، «نغص».

[٦] د: والضمير.

[٧] ن: أرسلها.

وقرأ الحسنُ البصريُّ: "الحمدِ للهِ" بكسر الدَّالِ لإتْبَاعِها اللامَ.

لأنّه لا يُفهَم العموم من قول القائل: لبستُ الثوب وشربتُ الماء، ولا يُؤكّد بما يُؤكّد به الجمع، لا يقال: جاء الرجل كلُّهم، ولا يُوصَف بما يُوصَف به،[١] فلا يقال: جاء الرجل القِصَار والفَرس الدُّهْم. وأمّا قول الناس: "أَهلك الناسَ الدرهم البِيض والدينار الصُّفر" فمجاز لعدم الاطِّرد. واحتجَّ من قال: إنّه[٢] يُفيد العموم، بجواز[٣] الاستثناء منه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر ١٠٣/٢-٣]. وأُجيب بأنّه مجاز؛ إذ لم يَطَّرِد، لعدم جواز: رأيتُ الإنسانَ إلّا المؤمنين.[٤]

قال الإمام:

الحمد لفظه مُفردٌ دخل عليه حرف التعريف، وفيه قولان: **الأوّل** أنّه إن كان مسبوقًا بمعهود سابق انصرف إليه، وإلا حُمِل على الاستغراق صونًا للكلام عن الإجمال؛[٥] والقول **الثاني** أنّه لا يُفيد العموم إلّا أنّه يُفيد[٦] الماهيّة. فإن قلنا بالقول الأوّل أفاد أنّ كلَّ ما كان حمدًا وثناء فهو لله، فيلزم أنّ / ما سواه لا يَستحقُّ الحمدَ؛ وإن قلنا بالقول الثاني كان معناه أنّ[٧] ماهيّة الحمد حقُّ الله تعالى[٨] وملكه،[٩] وذلك ينفي كونَ فرد من أفراد هذه الماهيّة لغير الله. فثبت على القولين أنّ قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ينفي حصول الحمد لغير الله. [١٩ظ]

فإن قيل: أليسَ المُنعم يستحقُّ الحمد من المُنعَم عليه، والأستاذ من التلميذ، والسلطان العادل من الرعيّة؟ وقال عليه السلام: «مَن لم يحمدِ الناس لم يحمدِ[١٠] الله»؛[١١] قلنا: كلُّ من أنعم على غيره فالمُنعِم بالحقيقة هو الله[١٢] تعالى؛ لأنّه لولا أنّه تعالى خلق تلك الداعية في قلب المُنعِم

---

١ ن - به.
٢ ن: بأنه.
٣ ن: لجواز.
٤ انظر: **المحصول** للرازي، ٢/٣٦٧-٣٧٠.
٥ ن: الإهمال.
٦ ن - العموم إلّا أنّه يفيد.
٧ ن: فإن.
٨ د ش - تعالى.
٩ ن: لملكه.
١٠ ن - النّاس لم يحمد.
١١ الحديث بلفظ قريب في **مسند أحمد**، ٣٨٠/١٧ (١١٢٨٠)؛ و**سنن الترمذي**، ٥٠٥/٣ (١٩٥٥).
١٢ ش - الله.

وقرأ إبراهيم بنُ أبي عَبْلَةَ: "الحَمْدُ لُلهِ" بِضَمِّ اللّام لإتْباعها الدالَ.

والذي جَسَّرَهُما على ذلك -والإتْباعُ إنَّما يكون في كلمةٍ واحدةٍ كقولهم مُنْحَدرُ الجَبَلِ ومغِيرَةُ- تَنَزُّلُ الكلمتَيْنِ مَنْزِلَةَ كلمةٍ واحدةٍ لكثرةِ استعمالهما مُقْتَرِنَتَينِ، وأَشَفُّ القِراءَتَيْن قراءةُ إبراهيمَ حيثُ جَعَلَ الحَرَكةَ البنائيّة تابعةً للإعْرابيَّةِ التي هي أَقْوى، بخلافِ قِراءةِ الحَسَنِ.

وخلق تلك النعمة وسلّط المُنعِم عليها ومكّن[١] المُنعَم عليه من الانتفاع، لَما حصل الانتفاع بتلك النعمة، فالمُنعِم بالحقيقة هو[٢] الله تعالى.[٣]

قوله: **(لإتْباعِها)** من قولهم: أَتبعتُ زيدًا عمرًا جعلتُه تابعًا له، فقوله: "إتباعِها" مضاف إلى المفعول الأوّل، والفاعل محذوف. والقراءة المَنسوبة إلى الحَسَن وإبراهيمَ شاذّة.[٤]

قوله: **(والذي)** مبتدأ، **(تنزُّلُ)** خبره. و**(الإتباعُ)**... إلخ، جملة مُعترِضة. و"الجَسارة": الإقدام، والجَسور: المِقدام. وجسَّره تجسيرًا،[٥] أي: جعله جَسورًا. و"الانحدار": الانهباط، تقول: انحدرتُ إلى البَصرة، والموضع مُنحدَر بفتح الدال، وجاء الضمُّ للإتباع.

قوله: **(تنزُّلُ الكلمتين)** اعلم أنّ تنزُّل الكلمتين، أي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ منزلةَ الكلمة الواحدة سبب؛[٦] لنزول[٧] القرآن على هذا الوجه؛ لأنّه نزل بلغة العرب، ونزوله على هذا[٨] الوجه سبب لسماعهما، وسماعهما هو الذي جسَّرهما، فأسند[٩] المُصنِّف إلى السبب البعيد. وإنّما حملنا كلامه على ذلك؛ لأنّ القراءة[١٠] لا تجوز إلّا بالنقل والسماع. و"الأشفُّ": الأفضل. وإنّما كانتِ الحركة الإعرابيّة أقوى؛ لأنّها تدلُّ على معنى بخلاف البنائيّة.

---

١ ن: وتكن.

٢ ش ن - هو.

٣ **تفسير الرازي**، ١/٢٢٥ (الفاتحة، ١/٢).

٤ انظر: **شواذ القرآن** لابن خالويه، ص ٩؛ **والمغني في القراءات** للنُّوزاوازي، ص ٣٦٠-٣٦١.

٥ ن: يجسره.

٦ ن: بسبب.

٧ ن: نزول.

٨ ن - هذا.

٩ ن: فاستند.

١٠ ن: القرآن.

"الربُّ": المالك، ومنه قولُ صَفْوانَ لأبي سُفْيانَ: "لَأَنْ يَرُبَّنِي رجلٌ من قرَيْشٍ أحَبُّ إليَّ مِن أَنْ يَرُبَّني رَجُلٌ من هَوَازِنَ".

قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

(الربُّ) في اللغة له معنيان: **أحدهما**: أن يكون من الربِّ بمعنى التربية، يُقال: ربَّ فلان الصنيعة يرُبُّها ربًّا إذا أتمَّها وأصلحها فهو رَبٌّ مثل بَرٍّ وطَبٍّ، والطبُّ: العالم، والفحل الماهر بالضِّراب. قال الشاعر:

يَـربُّ الـذي يـأتي مـنَ الـخير إنّـه إذا فَـعل الـمعروف زاد وتـمّما[١]

والمعنى على هذا: أنّه يُربِّي الخلق ويَغذوهم بما يُنعم عليهم؛ **والثاني**: أن يكون الربُّ بمعنى المالك، وهو الذي ذكره المُصنِّف، وأشار إلى أنّه يجوز أن يكون صفة مُشبَّهة بمعنى المالك، ويجوز أن يكون مصدرًا وُصِف به للمبالغة، يُقال: رَبَّه، أي: مَلَكه، يَربُّه رَبًّا فهو رَبٌّ. فقوله: "ويجوز" عطف على قوله: "الربُّ: المالك". ويقال: "نَمَّ الحديثَ على فلان ينُمُّه وينِمُّه" بالضمِّ والكسر إذا قَتَّه، والاسم النميمة، ورجل نَمٌّ ونمَّام، أي: قَتَّات، والكسر في هذه اللغة شاذٌّ؛ لأنّهم لزموا الضمَّ في المُضاعف المتعدِّي ممّا ماضيه على فعَل.

رُوي أنّ أبا سُفيان لمّا رأى للمسلمين هزيمةً استبشر وقال: غَلبتْ والله هَوَازنُ،[٢] وكان صفوانُ عنده فزجره وقال: بفيك الكِثكِثُ؛ («**لأن يرُبَّني) أي: يملِكُني (رجل)**، يعني: محمّدًا عليه السلام، **(أحبُّ إليَّ من أن يَرُبَّني[٣] رجل من هَوَازن»)**،[٤] يعني مالكَ بن عوف سيِّد بني هَوَازن.[٥] والكَثكَث والكِثكِثُ:[٦] فُتات الحِجارة والتراب.

---

١ البيت لرجُل من بني ضِنَّة في **الأمالي** للقالي، ٣١٥/٢؛ وبلا نسبة في **الزاهر** لابن الأنباري، ٤٦٧/١، وفيه «من العُرف» بدل «من الخير»؛ **والبسيط** للواحدي، ٤٨٦/١؛ **والوسيط** للواحدي، ٦٦/١.

٢ ن: هواذن. | وكذلك وردت بالذال في المواضع اللاحقة من هذه النسخة.

٣ ن + أي: يملكني.

٤ بلفظ قريب في **صحيح ابن حِبّان**، ٩٥/١١-٩٦ (٤٧٧٤)؛ **والسنن الكبرى** للبيهقي، ٣٥٥/١٣-٣٥٦ (١٣٢٣٠). وانظر تفصيل الكلام عليه في **تخريج أحاديث الكشّاف** للزَّيلعي، ٢٥/١؛ **والكافي الشافي** لابن حَجر، ص ٢-٣.

٥ انظر الخبر شاهدًا على نحن فيه ههنا في: **البسيط** للواحدي، ٤٨٦/١؛ **والمحرَّر الوجيز** لابن عطيّة، ٧٣/١.

٦ ن - والكثكث.

تقول: رَبَّهُ يَرُبُّهُ فهو رَبٌّ؛ كما تقول: نَمَّ عليه يَنُمُّ فهو نَمٌّ.

ويجوزَ أَنْ يكون وصفًا بالمصدر للمبالغة كما وُصِفَ بالعَدْلِ.

ولم يُطْلِقُوا الرَّبَّ إلَّا في اللهِ وَحْده، وهو في غيره على التقييدِ بالإضافة؛ كقولهم: رَبُّ الدار، ورَبُّ الناقةِ، وقولِه تعالى: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف ١٢/٥٠] ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ [يوسف ١٢/٢٣].

وهذا من الربِّ بمعنى المالك؛ لأنّ المعنى: إن غلب المسلمون ومَلَكني محمّد كان أحبَّ إليَّ من أن تَغلب هَوَازن ويملِكني مالك بن عوف، وليس من الربِّ بمعنى التربية؛ إذ ليس المراد أنّ تربية هذا أحبُّ / إليَّ من تربية ذاك.[١] وهو ظاهر. [٢٠و]

قوله: (ولم يُطلقوا) هو من الإطلاق خلاف التقييد، أي: لم يستعملوا الربَّ مُطلقًا إلّا في حقّ الله تعالى؛ ولذلك قال: (إلّا في الله)، ولم يقل: إلّا على الله.

قوله: (وحدَه) منصوب بفعل محذوف، أي: يَحِدُ وَحدَه. والجملة[٢] يجوز أن تكون في محل النصب على الحال، أي: في حال انفراده بهذا الإطلاق، فكأنّه قال: لم يستعملوه[٣] مطلقًا إلا فيه مُنفردًا. ويجوز أن يقال: لا محلَّ له؛ لأنّه للثناء، كما يقال: عزَّ وجلَّ.

قوله: (وقوله) أي: وكقوله تعالى حكاية عن يوسف في خطابه ساقيَ المَلِك حين جاء يوسفَ، فقال: يدعوك المَلِك فأجِبْه، فأبى يوسف، وقال للساقي: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف ١٢/٥٠]؛ وكقوله: (﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ [يوسف ١٢/٢٣])، وهو أيضًا حكاية عن قول يوسفَ حين راودته زَليخا عن نفسه، وغلّقتِ الأبواب، وقالت: هيتَ لك، قال يوسف: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾. والضمير في "إنّه" ضمير الشأن. المعنى: زوجكِ سيّدي أحسنَ مثوايَ حين أوصاكِ بإكرامي، فما جزاؤه أن أخونَه.

---

[١] ن: ذلك.

[٢] ن: الجملة.

[٣] ن: لم يستعملوا.

وقرأ زَيْدُ بنُ عليّ رضي الله عنهما: "رَبَّ العالمين" بالنَّصب على المَدح، وقيل: بما دَلَّ عليه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ كأنَّه قيل: نَحْمدُ اللهَ ربَّ العالمين.

"العالَمُ": اسمٌ لذوي العِلْم من الملائكة والثَّقَلين، وقيل: كلُّ ما عُلم به الخالقُ من الأَجْسام والأَعْراضِ.

قوله: (وقرأ زَيد بن عليّ) عليٌّ هذا هو زينُ العابدين لا عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه،[١] وزيد هذا[٢] هو الذي يُنسب إليه الزيديّة من الشِّيعة، ومذهب الشِّيعة أنّه إمام وليس أبوه زينُ العابدين إمامًا؛ لأنّ مِن شرط الإمامة عندهم الخروجَ ودعوى الإمامة،[٣] وادَّعى زيد ولم يدَّعِ زينُ العابدين.

قوله: (كأنّه قيل)[٤] يعني: النصبُ فيه على محلِّ "لله". وهذه القراءة شاذّة.[٥]

قوله: (العالَم: اسم لذوي العِلم)... إلخ، المفهوم من هذا الكلام أنّ العالَمَ مشتقٌّ من العِلم، وفيه وجهان:

الأوّل: أنّه اسم لجميع أفراد كلّ جنس من الأجناس التي أفرادها ذو عِلم، وهي الملائكة والإنس والجنُّ، فيقال لجميع أفراد المَلَك: عالَم، وكذا لجميع أفراد الإنس،[٦] وكذا لجميع أفراد الجنّ، لا لكلّ فردٍ فردٍ[٧] من أفراد المَلَك أو أفراد الإنس أو الجنّ؛ فيكون العالَم اسم جنس يُطلَق على البدل على هذه المجموعات الثلاث، أي: مجموع أفراد المَلَك، ومجموع أفراد الإنس، ومجموع أفراد الجنّ، لاشتراكها في معنى العِلم. كما أنّ الرجُل[٨] اسم جنس للذكر[٩] من بني آدم، يُطلَق على البدل على كلّ واحد منهم لاشتراكهم في معنى واحد، وهو كونهم ذكرًا من بني آدم، إلا أنّ الرجُل يُطلَق على كلّ فردٍ فردٍ، والعالَم يُطلق على كلّ مجموع مجموع.

---

١ د ن - رضي الله عنه.

٢ ن - هذا.

٣ ن: والدعوى للإمامة.

٤ ن: قال.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١؛ والمغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٣٦٢.

٦ ن: الإنسان.

٧ ن - فرد.

٨ ن - الرجل.

٩ ن: للمذكر.

فإنْ قلتَ: لم جُمِعَ؟

قلتُ: لِيَشمَلَ كلَّ جنسٍ مما سُمِّيَ به.

فإنْ قلتَ: فهو اسمٌ غَيْرُ صفةٍ، وإنما تُجْمَعُ بالواو والنُّون صفاتُ العُقَلاءِ أو ما في حُكْمِهَا مِن الأَعْلامِ؟

قلتُ: ساغَ ذلك لمعنى الوَصْفيَّةِ فيه، وهي الدِّلالةُ على مَعْنَى العِلْمِ.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾

والوجه **الثاني**: أنّه[١] اسم جنس يُطلق على البدل على جميع أفراد كلّ جنسٍ جنسٍ من الأجناس التي يُعلَم بها الخالق[٢] من الأجناس والأعراض، على الطريقة المذكورة في الوجه الأوّل، وجمَعَه على هذين الوجهين ليشملَ كلّ جنس، أي: جميع أفراد كلِّ جنس معًا، كما يُجمع الرجُل ليشمل كلَّ فرد من أفراد ذلك الجنس.

ثمّ أورد سؤالًا وهو: أنّ الاسم إنّما يُجمع بالواو والنون إذا كان صفة العاقل، أو ما في حكم صفة العاقل من الأعلام كالزيدين، فإنّ أصل العَلَم ألّا يُثنّى ولا يُجمع، كما ذُكِر في موضعه،[٣] إلّا بهذا التأويل، وهو المُشترِكون في هذا الاسم. ولمّا لم يكن هذا صفةً ولا علمًا فكيف جُمِع بالواو والنون؟ وأجاب:[٤] "بأنّه في معنى الصفة لدلالته على معنى العِلم"، وغُلِّب فيه العقلاء على غيرهم فجُمِع بالواو والنون.

قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

قرأ عاصمٌ والكسائيُّ من القُرّاء السبعة ﴿مَٰلِكِ﴾ بالألف جرًّا وهما كوفيّان، وقرأ / غيرهما من القُرّاء السبعة بكسر اللام بغير ألف جرًّا.[٥] فقوله: [٢٠ظ]

---

١ ن - أنه.

٢ ن: الحقائق الخالقة.

٣ انظر تفصيل ذلك في شرح التسهيل لابن مالك، ١/١٨٠-١٨١.

٤ ن: أجاب.

٥ انظر: السبعة لابن مجاهد، ص ١٠٤؛ والتيسير للداني، ص ١٢٩؛ والنشر لابن الجزري، ١/٢٧١.

قُرِئَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّين﴾، و: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

و: "مَلْكِ" بتخفيف اللام.

وقرأ أبو حنيفة رحمه الله: "مَلَكَ يَوْمَ الدِّيْن" بِلَفْظِ الفِعْل ونَصْبِ اليَوْم.

وقرَأَ أبو هريرةَ رضي الله عنه: "مالِكَ" بالنصْبِ.

وقرأ غَيْرُه: "مَلِكَ" وهو نَصْبٌ على المَدْحِ.

ومنهم مَن قرأ: "مَالِكُ" بالرَّفْع.

و﴿مَلِكِ﴾ هو الاخْتِيارُ؛ لأنَّهُ قِرَاءةُ أَهْلِ الحَرَمَيْنِ، ولقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾

(قراءةُ أهل الحرمين) أي: نافع وهو مدنيٌّ، وابن كثير وهو مكِّيٌّ، لا يريد به أنّهما قرأا بهذه القراءة دون غيرهم من القُرّاء السبعة؛ لأنّ حمزة وهو كوفيٌّ وأبو عمرو البَصريُّ وابنُ عامر الشاميُّ أيضًا قرءوا بها؛ وإنّما خصَّهما لشرف الحَرمين، ولأنّ مكّة والمدينة مَهبِط الوحي. و"الفاتحة" نزلتْ بمكّة مرَّةً وبالمدينة أخرى، فساكن المدينة ومكّة لا شكَّ أنّه يكون أعلمَ بأمر الوحي من غيره. وباقي القراءات التي ذكرها شاذّة.[1] وقراءة أبي حنيفة تَحتمل أنْ تكون من المُلْك أوِ المِلْك.

قوله: (غيره) أي: قرأ[2] غيرُ أبي هريرة[3] بلفظ اسم الفاعل بكسر اللام والنصب.[4] وقوله: (هو الاختيار) أي: هو المُختار، والمَصدر بمعنى اسم المفعول؛ أو المعنى ذو الاختيار، والمُضاف محذوف. واستدلَّ على اختيار[5] ﴿مَلِكِ﴾ بكسر اللام بأربعة دلائل:

---

١ انظر: شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٩؛ وشواذّ القراءات للكرماني، ص ٤١-٤٢؛ والمغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٣٦٢-٣٦٣..

٢ ن - قرأ.

٣ ذُكِرت في هذا الموضع لأبي هريرة جُملة من القراءات في كتب القراءات والتفسير: فذكر ابن خالويه أنّ قراءته ﴿مالكَ﴾، وأورد له الكرماني قراءتين: ﴿مَلِكَ﴾ و﴿مَلِكُ﴾، وقراءته عند أبي حيّان ﴿مالكُ﴾. انظر: شواذ القرآن، ص ٩؛ وشواذ القراءات، ص ٤١؛ والبحر المحيط، ١/٣٦ (الفاتحة، ١/٤).

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن السَّميفع وعثمان بن أبي سليمان وغيرهما. انظر: شواذ القراءات للكرماني، ص ٤١؛ والبحر المحيط لأبي حيّان، ١/٣٦ (الفاتحة، ٢/٤).

٥ ن - اختيار.

[غافر ٤٠/١٦]، ولقوله: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، ولأنَّ المُلكَ يَعمُّ والمِلْكَ يَخُصُّ.

الأوّل: أنّه قراءة أهل الحَرمين.

والثاني: قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر ٤٠/١٦]، وهو دليل واضح على قراءة مَن قرأ بغير ألف؛ لأنّ اسم الفاعل من المُلْك: المَلِكُ، فإذا قال: المُلك له ذلك اليوم، فهو بمنزلة: هو مَلِكُ ذلك اليوم. وهذا مُعارَض بما قال أبو عليّ الفارسيُّ في **الحُجّة** وهو قوله:

> وممّا يَشهد لمَن قرأ ﴿مَٰلِكِ﴾[1] قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار ٨٢/١٩]؛ لأنّ قولك: الأمرُ له، وهو مالكُ الأمرِ بمعنًى، ألا تَرى[2] أنّ لام الجرّ معناه المِلك والاستحقاق، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [الانفطار ٨٢/١٩] يقوّي ذلك، والتقدير: مالكُ يومَ الدِّين من الأحكام ما لا تَملكه نفْس لنفْس، ففي هذا تَقوية لقراءة من قرأ ﴿مَٰلِكِ﴾ بالألف.[3]

والثالث: قوله تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس ١١٤/٢]. وهذا أيضًا مُعارَض بقوله تعالى: ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران ٣/٢٦]، فإنّه كما وُصِف بـ"مَلِك" في هذه الآية وُصِف بـ"مالك" في تلك الآية.

والرابع: قوله: **(ولأنّ المُلْك يعمُّ، والمِلْك يخصُّ)** ميم الأوّل مضموم والثاني مكسور، يريد أنّ "مَلِك" أعمُّ من جهة المعنى، أي: أشمل وأتمُّ؛ لأنّه يكون مالكٌ ولا مُلْكَ له ولا يكون مَلِكٌ إلا وله مِلْك، فكلُّ مَلِك مالكٌ وليس كلُّ مالكٍ مَلِكًا. وعُلِم ممّا ذكرنا أنّ العُموم والخُصوص ليسا بالمعنى المُصطلح المشهور، ولو كُسِر في الأوّل وضُمّ في الثاني لكانا بالمعنى المُصطلح. وهذا الوجه أيضًا مُعارَض بأنّ مالكًا أجمَعُ وأوسَعُ؛ لأنّه يقال: مالكُ البيت والطير والوحوش وكلِّ شيء، ولا يقال: مَلِكُ كلِّ شيء، إنّما يقال: مَلِك الناس، ولا يكون مالكَ الشيء إلّا وهو يملِكه وقد يكون مَلِكَ الشيء ولا يملِكه،[4] كقولهم:[5]

---

[1] ن: بمالك.

[2] د: يُرى.

[3] الحُجّة لأبي علي الفارسي، ١/١٩.

[4] نقل الطيبيُّ هذا الاعتراض عن صاحب المطلع. انظر: فتوح الغيب للطيبي، ١/٧٣٤.

[5] ن: لقولهم.

و"يومُ الدِّين": يَوْمُ الجزاء، ومِنْه قولُهم: كما تَدِينُ تُدَانُ، وبيتُ الحَماسَةِ:

ولــم يــبــقَ سِـــوَى الــعُــدْوا نِ دِنَّاهُـــم كمـــا دانـــوا

فإن قلتَ: ما هذه الإِضَافةُ؟

مَلِك العَرَب والعَجَم؛ وذلك لأنّ المِلْك -بكسر الميم- عبارة عن القُدرة الشرعيّة على الشيء، وبالضمّ عن القُدرة الحسيّة العامّة.

والحقُّ أنّه لا تَعارُض بين القراءتين، إذ هما ثابتتان[١] بالتواتر، لكلّ منهما معنًى لا يُنافي معنى الآخر.

قوله: («**كما تَدين تُدان**»)،[٢] أي: كما تُجازِي تُجازَى،[٣] أي: كما تفعل تُجازَى، إذ[٤] الأوّل ليس بجزاء لكن سُمّي جزاءً للمُشاكلة. والمُشاكلة: «أن تَذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته».[٥] كقوله:

قالوا اقترِحْ شيئًا نُجِدْ لكَ[٦] طَبخه قُلتُ اطبخوا لي جُبَّة وقميصا[٧]

وكقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة ٢/١٩٤]، وكذا البيت:

فـلــمّـا صــرَّح الــشــرُّ فــأمــسَــى وهْـــوَ عُــريــانُ

(ولــم يــبــقَ سِــوى الــعُــدوا ن دِنّــاهــم كــمــا دانـــوا)[٨]

---

١ ن: بإثبات.

٢ طرف حديث في **الزهد** لأحمد، ص ١١٧ (٧٦٥). وانظر تفصيل الكلام عليه في **تخريج أحاديث الكشّاف** للزّيلعي، ٢٦/١؛ **والكافي الشافي** لابن حَجر، ص ٣. وهو من أمثال العرب، مذكور في **جمهرة الأمثال** للعسكري، ١٦٨/٢؛ **ومَجمع الأمثال** للميداني، ١٥٥/٢، **والمُستقصى** للزمخشري، ٢٧١/٢.

٣ ن – تجازى.

٤ ن – إذ.

٥ ن: صحته. | **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٥٣٣.

٦ ن – لك.

٧ البيت لجَحظة البَرمكي أو أبو الرَّقَعْمَق. انظر: **جمهرة الأمثال** للعسكري، ٢٧٧/١؛ **والمُحبّ والمحبوب** للسَّري الرَّفّاء، ٢٢٢/٤ برواية: «قالوا اقترح لونًا يُجاد طبيخه»؛ **ومعاهد التنصيص** للعباسي، ٢٥٢/٢. وجاء مثالًا للمُشاكلة، وبلا نسبة في **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٥٣٣؛ **والإيضاح** للقزويني، ص٤٩٤.

٨ البيتان لشَهْل بن شَيبان المُلقَّب بالفِنْد الزِّمّاني. انظر: **الأغاني** للأصفهاني، ٩١/٢٤؛ **وشرح الحماسة** للمرزوقي، ٣٤/١-٣٥؛ **وخزانة الأدب** للبغدادي، ٤٣١/٣.

قلتُ: هي إضافةُ اسم الفاعل إلى الظَّرْفِ على طريق الاتِّساعِ مُجرًى مُجرى المَفْعول به، كقولهم:

يـا ســـارِقَ الـلَّـيْـلَـةِ أهْـــلَ الـــدارِ

صرَّح بمعنى: انكشف، ومثله بيَّن بمعنى: تبيَّن، ونبَّه[1] بمعنى: تنبَّه. والعُريان: الظاهر. والعُدوان: الظلم. دِنّاهم: جزيناهم. أي: لمّا ظهر الشرُّ وصار مكشوفًا عُريانًا / ولم يبقَ سوى الظلم والعُدوان جازيناهم على فعلهم جزاءً مثل فعلهم.[2] وجوابُ "لمّا": "دِنّاهم". [٣٦و]

قوله: (**مُجرًى مُجرَى المفعول به**) الأوّل اسم مفعول من "أجرى" حال من الظرف، والثاني اسم مكان، أي:[3] مُجرًى مكانَ المفعول به، أو الثاني مَصدر بمعنى الإجراء، أي: مُجرًى إجراءً كإجراء المفعول به.

قوله: (**كقولهم**) خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هذا -يعني: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾- كقولهم.[4] ولا يَحسن أن يكون حالًا من الضمير في "مُجرًى"، أو حالًا من قوله: (**الظرف**)؛ إذ يصير المعنى على التقديرين: الظرفُ كقولهم: (**يا سارقَ الليلةِ**) ولا يستقيم إلا بزيادة تقدير ولا حاجةَ إليه.

قوله: (**أهلَ الدار**)[5] أي: بادرهم واحذرهم. قال في **الحُجّة**:

واعلم أنّ الإضافة إلى ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ في كلتا القراءتين من باب:

يـا ســـارقَ الـلـيـلـةِ أهـــلَ الـــدار[6]

اتُّسِع في الظرف فنُصِب نصبَ المفعول به، ثمّ وقعت الإضافة إليه، وليس إضافة اسم الفاعل هنا إلى اليوم كإضافة المصدر إلى الساعة في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف ٤٣/٨٥]؛ لأنّ الساعة مفعول بها على الحقيقة، وليس على أن جُعِل الظرف مفعولًا به على السَّعة، ألا ترى[7] أنّ الظرف

---

١ ن: فنبّه.

٢ ن - جزاءً مثل فعلهم.

٣ ن - أي.

٤ ن - كقولهم.

٥ الرجز بلا نسبة في كتاب سيبويه، ١/١٧٥؛ ومعاني القرآن للفرّاء، ٢/٨٠؛ وشرح المُفصَّل لابن يعيش، ٢/٤٥؛ وشرح الرضي على الكافية، ١/٥٠٢؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ٣/١٠٨.

٦ مضى تخريجه آنفًا.

٧ د: يُرى.

والمَعْنى على الظَّرفيّة، ....

إذا جُعل مفعولًا على السَّعة فمعناه مُتَّسعًا فيه معنى الظرف، فلو جعلتَه ظرفًا لكان المعنى: يعلمُ في الساعة، فلم يكن بالسهل؛ لأنّ القديم[١] تعالى يعلم في كلّ وقت، وإنّما معنى يعلم الساعة: يعرفها وهي حقٌّ، وليس الأمر على ما الكُفّار عليه من إنكارها ورَدِّها.[٢]

وأنا أقول: اعلم[٣] أنّه قد يُذهَب بالظرف عن أن يُقدَّر فيه معنى "في" اتّساعًا، فيُجرى لذلك[٤] مُجرى المفعول به، فلا يقدَّر فيه حرف الجرّ، فيقال: سِرتُ يومَ الجمعة، ويُنزَّل ذلك منزلةَ "زيدًا" في "ضربتُ زيدًا"، ويظهر هذا بالإخبار بـ"الذي"[٥] نحو: الذي سِرتُه يومُ الجمعة، فقوله: الذي سِرتُه يومُ الجمعة، بمنزلة: الذي ضربتُه زيدٌ، فكما[٦] جُرِّد "الذي" القائم مَقام "زيد" في: الذي ضربتُه زيد، كذلك جُرِّد "الذي" القائم مَقام "يومُ الجمعة" في المثال الآخر[٧] عن معنى "في"، ولذا لم يقل: الذي سرتُ فيه يومُ الجمعة، حتى لو قلتَ: سرتُ يوم الجمعة، وقدَّرتَ فيه معنى "في"، وأردتَ الإخبار عنه بـ"الذي" فعليك أن تقول: الذي سرتُ فيه يومُ الجمعة،[٨] ولا تقول: سِرتُه. هذا هو الفرق بين الظرف المُتَّسع فيه وبين غيره لفظًا، أمّا الفرق بينهما من حيث المعنى فغير ثابت.

وإنّما قلنا: إنّ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ إضافة إلى الظرف لا إلى المفعول به؛ لأنّه لا يَستقيم أن يقال: هو مَلِك اليومَ، بمعنى أن يكون مِلكًا لليوم، وكذا على قراءة مَن قرأ ﴿مَٰلِكِ﴾؛[٩] لأنّ تفسيره: مالكِ الأمورِ في ذلك اليوم، لا مالكِ ذلكَ اليوم. وإنّما كان على طريق الاتّساع لا إلى الظرف[١٠] الحقيقيّ؛ لأنّ الإضافة إلى الظرف بمعنى "في"[١١] من غير الاتّساع إنّما يكون في إضافة الشيء إلى ظرفه،

---

١ ن: الله.
٢ الحُجّة لأبي علي الفارسي، ١/٢٠-٢١.
٣ ن - اعلم.
٤ ن: كذلك.
٥ ن: بالأسماء.
٦ ن: فلمّا.
٧ ن: الأخرى.
٨ ن - وقدَّرتَ فيه معنى "في"، وأردتَ الإخبار عنه بـ"الذي" فعليك أن تقول: الذي سرتُ فيه يومُ الجمعة.
٩ مضى تخريجها في أوّل الكلام على هذه الآية.
١٠ ن: على الظرف.
١١ ن - في.

ومعناه مالك الأمر كله في يوم الدين، كقوله: ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر ٤٠/١٦].

فإن قلت: فإضافةُ اسم الفاعل إضافةٌ غيرُ حقيقيةٍ فلا تكونُ مُعطيةً معنى التعريف، فكيف ساغ وقوعُهُ صفةً للمعرفة؟

قلت: إنما تكونُ غيرَ حقيقيةٍ إذا أُريدَ باسم الفاعل الحالُ أو الاستقبالُ، فكان في تقدير الانفصال، كقولك: مالكُ الساعةَ أو غدًا، فأمّا إذا قُصد معنى الماضي كقولك: هو مالكُ عبدِهِ أمسِ، أَوْ زمانٌ مُستمرٌ كقولك: زيدٌ مالكُ العبيد،

نحو ضاربِ اليومِ لا كضاربٍ[1] اليومَ، إذ "اليوم" ليس ظرفًا للمالك على الحقيقة، كيف والمراد بالمالك الباريَ تعالى؟[2] وكذا تقول في: "سارقَ الليلةِ"، فإنّه ليس "الليلة" ظرفًا للسارق، غايته أنّه ظرفٌ لسرقته.

قوله: (ومعناه مالكُ الأمر) هو واحد الأمور لا واحد الأوامر. اختار "مَلِك" بغير ألف ثم فسره هنا بمالك؛ لأنّ المَلِك يكون مالك الأمر. «واليوم: هو المدّة من طلوع الشمس إلى غروبها عرفًا، ومن طُلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس شرعًا، وهو الوقت لغةً ليلًا كان أو نهارًا، طويلًا أو قصيرًا. / والمراد في الآية الوقت لعدم الشمس ثمّة[3] والدِّين: الجزاء في الخير والشرّ، سُمِّي به يوم القيامة؛ لأنّ الجزاء فيه يقع»[3] وخُصَّ يوم القيامة بالذِّكر؛ لزوال مُلك المُلوك من الولاة والقضاة في ذلك، وانقطاع أمرهم ونهيهم. وهو معنى قوله: "كلِّه"، وهو "كقوله" تعالى: ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر ٤٠/١٦].

قوله: (فكان) عطف على (أُريدَ)، يعني: إذا أريد الحال أو الاستقبال لم تُفِد[4] الإضافة اختصاص المضاف بالمضاف إليه، وإذا انتفى الاختصاص كان اسم الفاعل المضاف من حيث المعنى مُنفصلًا عن المُضاف إليه.

قوله: (أو زمانٌ) عطف على قوله: (معنى الماضي).[5]

---

١ ـ كضارب
٢ ـ ثم
٣ تفسير الكواشي، ص ٤٠
٤ ن: يقدر
٥ ن - الماضي

كانت الإضافةُ حقيقيّةً، كقولك: هو مَوْلَى العبيد، وهذا هو المعنى في ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

ويجوز أنْ يكونَ المعنى: مَلِكَ الأمورِ يومَ الدِّين؛ كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف ٧/٤٤]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ [الأعراف ٧/٤٨]؛ ....

و"المولَى" مفعَل من الوَلْي بمعنى: القُرْب، وهو على وجوه: ابنُ العمّ، والعَصبةُ كلُّها، منه قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ﴾ [مريم ١٩/٥]؛ والرَّبُّ[1] والمالكُ، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الأنعام ٦/٦٢]، ومنه مولى العبيد؛ والناصرُ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد ٤٧/١١]؛ والحليفُ وهو الذي يقال له: مولى المُوالاة؛ والمُعتِقُ: وهو مولى النِّعمة؛ والمُعتَق في قوله عليه السلام: «مَولَى القوم مِن أنفُسهم»[2] يعني: موالي بني هاشم وبني المُطَّلب في حُرمة الزكاة.[3]

قوله: (وهذا) إشارةٌ إلى قوله: "زمانٍ مُستمرّ"؛ وذلك لأنّ مُلكَ[4] الله تعالى لا يختصُّ بزمان دون[5] زمان؛ لأنّه تعالى مع جميع صفاته قديمة دائمة.[6] فدلّت الآية على أنّ الله تعالى يُوصف بمُلك ما ليس بموجود وملكِه، ولذلك نقول: إنّه تعالى لم يزل خالقًا ورحيمًا وجوادًا وسميعًا، كما نقول: ربُّ كلِّ شيء وإله كلّ شيء، وإن كانت الأشياء حادثة بعدُ.

قوله: (ويجوز) عطف على قوله: "هذا"، يعني يجوز أن يكون معنى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ معنى الفعل الماضي، بتنزيل[7] المُستقبل منزلة الماضي لتحقُّق صدقه، ثمّ أُخبر عنه بلفظ الماضي، كما في قوله: (﴿وَنَادَىٰٓ﴾ [الأعراف ٧/٤٤]، ﴿وَنَادَىٰٓ﴾[8] [الأعراف ٧/٤٨])، فإنّهما من تنزيل المُستقبَل منزلة الماضي؛

---

[1] ن: في الرب.
[2] مسند أحمد، ٢٨٩/٣٩ (٢٣٨٦٣)؛ صحيح البخاري، ١٥٥/٨ (٦٧٦١)؛ سنن أبي داود، ٢٦٨/٢ (١٦٤٧).
[3] من قوله: "والمولى مفعل" إلى هنا بلفظ قريب في المُغرِب للمُطرِّزي، «ولي».
[4] ن - ملك.
[5] ن: أو في.
[6] ن - دائمة.
[7] ن: ينزل.
[8] ن - ﴿وَنَادَىٰٓ﴾.

والدليلُ عليه قراءةُ أبي حنيفة رضي الله عنه: "مَلَكَ يومَ الدين".

وهذه الأَوْصَافُ التي أُجْرِيَتْ على الله سُبْحانَه وتعالى؛ مِن كَوْنِهِ رَبًّا مالكًا للعَالَمِينَ لا يخرج مِنْهم شيءٌ مِن مَلكوتِهِ ورُبُوبيّته، ومِن كَوْنِهِ مُنْعِمًا بالنِّعم كلِّها الظَّاهِرَةِ والبَاطنَةِ والجلائِل والدَّقائِق، ومِن كَوْنِهِ مَالِكًا للأَمْرِ كلِّهِ في العَاقبةِ يومَ الثَّوابِ والعِقاب، بَعْد الدِّلالَة على اختصاصِ الحَمْدِ بهِ وأَنَّه بهِ حقيقٌ

لأنّ نداء أصحاب الجنّة وأصحاب الأعراف -وهو سور بين الجنّة والنار- إنّما يكون بعد قيام الساعة. و(الدليل) على أنّ[1] المعنى "مَلَكَ" (قراءةُ أبي حنيفة)، فإنّه ماضٍ مُنزَّلٌ[2] مَنزلة المُستقبل، والقرآن يُفسِّر بعضُه[3] بعضًا. قال في الحُجّة: لم يُمِل أحد ﴿مَٰلِكِ﴾،[4] والإمالة فيه غير مُمتنع في القياس؛ وليس كلّ ما جاز في قياس العربيّة يَسوغ التِّلاوة به حتّى ينضمّ إلى ذلك الأثرُ المُستفيض بقراءة السلف له وأخذِهم به.

قوله: (وهذه الأوصاف) مبتدأ، خبره (دليل). و(مِن) بيان. وقوله: (ربًّا) أي: ربًّا للعالمين، وفسّر "ربًّا" بـ(مالكًا). وقوله: (لا يخرج) أفاده جَمعُ "العالَم" ليَشمل[5] كلَّ جنس. وقوله: (من كونه) عطف على (من كونه). و(الجلائل والدقائق) دخل تحت ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. و(يومَ) بدل من محلِّ (في العاقبة). و(بعد) ظرف (أُجريَتْ). وقوله: (على اختصاص)؛ لأنّ التعريف في ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ تعريف الجنس، ولام الجرّ للتمليك أو الاختصاص، فتكون حقيقة الحمد ثابتًا له مختصًا به.[6] و(أنّه) عطف على "اختصاص"، أي: بعد الدلالة على أنّ الله تعالى حقيقٌ بالحمد. فالباء مُتعلِّق بـ(حقيق). يقال: حقيق به ومَحقوق به، أي: خليق له.

---

[1] ن - أنّ.

[2] ن: ينزل.

[3] د: بعضها.

[4] إلى هنا ينتهي كلام أبي علي الفارسي في مطبوع الحُجّة، ٨/١. وقال ابن عطيّة: «وقال أبو علي: ولم يُمِل أحد من القرّاء ألف ﴿مَٰلِكِ﴾، وذلك جائز إلّا أنّه لا يُقرأ بما يجوز إلّا أن يأتي بذلك أثر مُستفيض». المُحرَّر الوجيز، ٧٦/١ (الفاتحة، ٤/١). فإمّا أن يكون في مطبوع الحُجّة سَقط، وإمّا أن يكون التمامُ من كلام ابن عطية لا من كلام أبي علي. وهو قريب من ألفاظ الجاربردي فيما أتمّه ههنا.

[5] هامش د: لشموله.

[6] ن - به.

في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾= دليلٌ على أَنَّ مَن كانَتْ هذه صِفاتَه لم يَكُنْ أَحَدٌ أَحَقَّ منه بالحَمْدِ والثناءِ عليه بما هو أَهْلُه.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾

"إِيّا" ضميرٌ منفصلٌ للمَنْصُوبِ، واللَّوَاحِقُ التي تَلْحَقُه من الكَافِ والهاء

و(في) يجوز أن يكون بمعنى الباء مُتعلِّقًا بـ(الدلالة)، وأن يكون بمعناها؛ كأنّه قال: أَوقعِ الدلالة على الاختصاص في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

قوله: (هذه) إشارة إلى "الأوصاف". و(لم يكن) خبر (أنّ). وضمير (منه) و(عليه) و(هو) عائد / إلى (مَن). وضمير (أهلُه) لـ(ما).[1] وحاصل المعنى: أنّه [٢٢و] ذُكر أوّلًا بطريق الإخبار[2] والادِّعاء أنّ[3] حقيقة الحمد وجنسه مختصٌّ به تعالى، ثمّ ذكر الصفاتِ الدالّةَ[4] على اختصاص الحمد به، فكأنّه استدلَّ بذِكر الصفات[5] المذكورة على أنّه ليس أحد أحقَّ بالحمد منه، فتكون حقيقة الحمد مُختصّة به، فالمذكور آخرًا تقرير[6] وتحقيق للمذكور أوّلًا. وقوله: (لم يكن أحد أحقَّ) وإن كان اسم التفضيل فإنّه يُفيد أنّ أحدًا لا يَستحق الحمد مثلَ استحقاقه، فإنّ اسم التفضيل في النفي يُفهم منه[7] مثلُ هذا المعنى عُرفًا، كقوله عليه السلام: «والله ما طلعت الشمسُ ولا غربتْ على أحد بعد النبيّين أفضلَ من أبي بكر».[8] فإنّه يدلُّ على أنّه ليس لأحد بعد النبيّين فضلٌ مثلُ فضله. وكذا مسألة الكُحل: "ما رأيت رجلًا أحسنَ في عينه الكحلُ منه في عين زيدٍ".[9]

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

قوله: (للمنصوب) إشارة إلى أنّ[10] أصل الاستعمال[11] للظواهر، والمُضمرات

---

١ ن: بما.
٢ ن: الإضافة.
٣ ن: لأن.
٤ ن: الدلالية.
٥ ن – الصفات.
٦ ن: تقريره.
٧ ن – منه.
٨ **فضائل الصحابة** لأحمد بن حنبل، وحواشي محقِّقه ١/١٥٢-١٥٣، ٤٢٣ (١٣٥، ٦٦٢)؛ **حلية الأولياء** لأبي نُعيم الأصفهاني، ٣/٣٢٥.
٩ انظر تفصيل هذه المسألة في **شرح التسهيل** لابن مالك، ٣/٦٥.
١٠ ن – أنّ.
١١ ن – الاستعمال.

والياء في قَوْلِكَ: إيَّاكَ وإيَّاهُ وإيَّايَ، لبيَان الخطَاب والغَيْبَة والتكلُّم، ولا محلَّ لها مِنَ الإعْراب كما لا محلَّ للكاف في: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ [الإسراء ٦٢/١٧]، ولَيْسَتْ بأسماءٍ مُضمرةٍ بل حروفٌ، وهو مذهبُ الأَخْفش وعليه المحقِّقونَ.

كالنائب عن الأسماء التي كانت[1] تكون مرفوعًا أو منصوبًا أو مجرورًا. هذه العبارة[2] قريب من قوله في **المُفصَّل**: ولكلّ من المُتكلِّم والمُخاطَب والغائب ضمير.[3] وقوله: "واللواحق" مبتدأ، وقوله: "لبيان" خبره. وضمير "تلحقه" عائد إلى "إيّا".[4] و"مِن" بيان.

اختلف الناس في "إيّاك" وأخواته:

فذهب بعضهم إلى أنّ "إيّا" ضمير، والكلمات التي تتّصل بها من الكاف ونحوها نحو "إيّاه وإيّاي" للدلالة على أحوال المرجوع إليه من الخطاب والغَيبة والتكلُّم والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، ولا محلَّ لتلك اللواحق من الإعراب، إنّما هي علامات كتاء التأنيث وياء النسب والتنوين، وهو مذهب المُتأخِّرين وهو الصحيح؛ بدليل أنّه على وجه واحد لا تتوارد عليه وجوه الإعراب، وذلك آية كونه مُضمرًا فتمتنع إضافته إلى ما بعده؛ لأنّ المُضمر لا معنى له[5] سوى الإشارة التي هي للتعريف، وعند الإضافة يَنسلخ الاسم عن التعريف فيلزم من تجويز الإضافة تعطيله عن المعنى رأسًا وهو ممتنع.

وقيل: إنّ "إيّا" اسم أُضيف إلى ما بعده كإضافة "بعض" و"كلّ"، وهو مذهب المُبرِّد.

وقال الخليل: "إيّا" اسم[6] مُضمَر أُضيف إلى الكاف، ولا يُعرف اسم مُضمَر أُضيف غيره، كأنّه فرضه مُنسلخًا عن التعريف ثمّ سوَّغ إضافته.

---

١ ن – كانت.
٢ ن: إجازة.
٣ انظر: **المُفصَّل** للزمخشري، ص ١٦٦.
٤ ن: إياك.
٥ ن – معنى له.
٦ ن – اسم.

وأمّا ما حَكاهُ الخليلُ عَن بعْضِ العَرَب: إذا بلغ الرَّجلُ السِّتِّينَ فإيَّاه وإيَّا الشَّوابِّ، فشيءٌ شاذٌّ لا يُعمَل عليْه.

ويَقرب هذا مِن مذهب من يُجوِّز أن يُوصَف المُضمر، كما سيجيء في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة ١٠٩/٥، ١١٦].

ومنهم من قال: اسم ظاهر أُضيف إلى الكاف، وهو مذهب الزَّجّاج، ويُشبهُ قولَ المُبرِّد.

وقال الكوفيُّون: "إيّا" عُمدة والكاف هو المُضمر كما في "نصرني". وبطلانه بأنّ الشيء لا يُعمد بما هو أكبر منه. ومنهم من يقول: "إيّاك" بكماله هو المُضمر. ويُضعِّفه بقاء الأوّل واختلاف صيغ الآخِر.

واستدلَّ الخليل بما حكاه وقال: لولا أنّ هذه اللواحق مجرورة لَما انجرَّ "الشوابّ". والشوابُّ: جمع شابّة، أي: إذا بلغ الرجُل ستين سنة فليحذَر نفسَه أن يتعرَّض للشوابّ وليَحذَر الشوابَّ أنْ يفتِنَّه.[١] ومنه قول الشاعر:

دَعني وإيّا خالدٍ فلأقطعنَّ عُرا نِياطِه[٢]

والنِّياط: عِرق يتعلَّق به القلب.

والجواب أنّه شاذٌّ. وهذا هو الجواب عن قول من قال: "إيّا" مُظهَر بدليل الإضافة.[٣]

وقوله: (لا يُعمَل) كأنّه قال: لا يُعمَل التركيبُ بناءً عليه، أي: لا يُقاس عليه في التراكيب، فإنّ القياس فيه معنى البناء؛ ولذلك[٤] يُعدَّى بـ"على" في / قولهم: [٢٢ظ]

---

١ ن: نفسه.

٢ الشعر لأبي عُيَينة، في هجاء ابن عمّه. انظر: **الأغاني** للأصفهاني، ١١٢/٢٠؛ **والبصائر والذخائر** لأبي حيّان التوحيدي، ٤٥/٥؛ **ولسان العرب** لابن منظور، «أيي»؛ **والتذييل والتكميل** لأبي حيّان الأندلسي، ٢٠٨/٢.

٣ ما أورده المُصنِّف ههنا من تلخيص المذاهب النحوية في "إيّاك" قريب من عبارة ابن الحاجب عنها في **الإيضاح في شرح المُفصَّل**، ٤٤٠/١. وما ساقه من الاحتجاج والردود يكاد يكون منتزعًا في أكثره من **الإنصاف في مسائل الخلاف** لأبي البركات الأنباري، ٦٩٥/١-٧٠٢؛ **والتخمير** للخوارزمي، ١٤٦/٢. وانظر لتفصيل تلك المذاهب: **الإغفال** لأبي علي الفارسي، ٧٣/١-٨١؛ **وسرّ صناعة الإعراب** لابن جني، ٣١٢/١-٣٢٠؛ **والبسيط** للواحدي، ٥٠٥/١-٥١١، **وشرح المُفصَّل** لابن يعيش، ٩٨/٣-١٠١؛ **والتذييل والتكميل** لأبي حيّان الأندلسي، ٢٠٥/٢-٢١٤.

٤ ن: وكذلك.

وتَقديمُ المَفْعُول لِقَصْد الاختصاص؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾ [الزمر ٣٩/٦٤]، ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ [الأنعام ٦/١٦٤]، والمَعْنى: نَخُصُّكَ بالعِبَادة ونَخُصُّكَ بطلب المَعُونَة.

قاس عليه، يعني: ليس من قسم الشواذّ التي يُعوَّل عليها، يعني: هو مع شذوذه مردود. وإنّما قال ذلك؛ لأنّ النُّحاة قالوا: الشاذُّ على ثلاثة أضرب: شاذٌّ عن القِياس، وشاذٌّ عن الاستعمال، وشاذٌّ عنهما جميعًا. والأوّل كالقَوَد والصَّيَد، وكقوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [المجادلة ٥٨/١٩]، أي: غلب، فإنّ القياس قَلْبُ حرف العِلَّة فيها ألفًا، والاستعمال بخلافه؛ والثاني كقول الشاعر:

وأُمَّ أَوْعـــــالٍ كَهـــــا أو أَقربـــــا[1]

وأمّ أوعال: اسم هضبة؛ والثالث كقول الشاعر:[2]

ويَستخرجُ اليَربوعَ من نافِقائه ومِن جُحره بالشِّيْحة اليَتَقصَّعُ[3]

أي: يَستخرج الصيادُ اليَربوع الذي يتقصَّعُ[4] بالشِّيحة. من نافقائه: هي إحدى جِحْرته. والشِّيحة: نبت. وقوله: يتقصَّعُ، أي: يدخل في قاصِعائه: وهي إحدى جِحْرته أيضًا. فأدخل اللام في الفعل وهو خِلاف القياس والاستعمال. و"لا محلَّ للكاف في 'أرأيتَك'"؛ لأنّه حرف زِيدَ لتأكيد معنى الخطاب، ومعناه أخبرني كمعنى أرأيتَ. ووجه دلالتها على أخبرني أنّ الرؤية هنا بمعنى العِلم والعِلم بالشيء سبب للإخبار عنه، فكأنّه قال: أتُخبرني، والاستفهام قد يكون بمعنى الطلب فكأنّه قال: أَخبرني.

قوله: (﴿أَفَغَيْرَ﴾ [الزمر ٣٩/٦٤]) الفاءُ للعطف على محذوف، أي: أأُشرك فأَعبدُ غير الله تَأْمُرُونّي بذلك.

---

[1] الرجز للعَجّاج في ملحقات **ديوانه**، وفيما خرّجه محققه مقنع، ٢/٢٦٩. والشذوذ فيه دخول الكاف على الضمير. انظر لذلك: **كتاب سيبويه**، ٢/٣٨٤؛ و**المُفصَّل** للزمخشري، ص ٣٨٥؛ و**التخمير** للخوارزمي، ٤/٢٩-٣٠؛ و**شرح المُفصَّل** لابن يعيش، ٨/٤٤.

[2] ن - "وأمّ أوعال كها أو أقربا". وأمّ أوعال: اسم هضبة؛ والثالث كقول الشاعر.

[3] الشعر لذي الخِرَق الطُّهَوي. انظر: **النوادر** لأبي زيد، ص ٢٧٦. والرِّواية في مطبوعه «المُتقصِّعُ»؛ و**شرح المفصّل** لابن يعيش، ١/٢٥؛ و**شرح الرضي على الكافية**، ٣/١٥؛ و**خزانة الأدب** للبغدادي، ١/٣٥.

[4] ن: ينقطع.

وقُرِئَ: "إِيَاكَ" بتخفيف الياء، و: "أَيَّاك" بفتح الهمْزَة والتشديد، و: "هِيَّاك" بقَلْب الهَمْزَةِ هاءً؛ قال طُفَيْلٌ الغَنَوِيُّ:

فهِيَّاك والأَمْـرَ الـذي إنْ تَراحَبَتْ مـوارِدُه ضَـاقَـتْ عليكَ مَصَـادِرُهْ

والعبادةُ أقصى غايةِ الخُضوع والتَّذَلُّلِ، ومنه: ثوبٌ ذو عَبَدةٍ، إذا كان في غايةِ الصَفَاقَةِ وقوّةِ النَسْجِ، ولذلك لم تُسْتَعْمَلْ إلّا في الخضوع لله تعالى لأنَّه مُولي أَعْظَمِ النِّعَمِ، ....

قوله: (قُرِئ) هذه القِراءات الثلاث شاذَّة،[1] وإنّما خُفِّفَتْ كراهة التضعيف مع ثقل اليائين والتشديد. وإبدال الهمزة هاءً مسموع كثير في: هَرقتُ الماء، أي: أرقتُه، وهَرحتُ الدابَّة، أي: أرحتها: رَددتُها إلى المَراح. و(هيَّاك) وأصله إيّاك؛ وإنّما أبدلوا الهمزةَ هاءً في هذه الصوَر لأنّ الهمزة حرف شديد مُستثقَل والهاء حرف مهموس ومخرجاهما متقاربان.[2] ومعنى قول الشاعر: احذر عن الأمر الذي إن سهُل عليك الدخول فيه عسُر عليكَ الرجوع عنه، أي: ينبغي أن تدخل فيما تعلم أنّك تَقدِر على الخروج منه بسهولة.

قوله: (ومنه) أي: ومن معنى العبادة، يريد أنّ العبادة[3] مُشتملة على معنى القُوّة. قال في **المُجمَل**: «يقال: ناقة ذات عَبَدةٍ، أي: قوَّة وشِدَّة، وما لِثوبكَ عَبَدة، أي: شِدَّة، وبه سُمِّيَ عَبَدة أبو عَلْقَمة.[4] والمُعبَّدة: السفينة المَطليَّة بالشحم والقار».[5]

قوله: (ولذلك) أي: لأجل أنّ العبادة أقصى غاية الخضوع لم تُستعمَلِ العبادة إلا في الخضوع لله تعالى.

قوله: (مُولي أعظمِ النِّعم) أي: مُعطيه. أقول: يجوز أن يكون من الوَلْي

[1] انظر: **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩؛ و**المُحتسَب** لابن جنّي، ١/٣٩-٤٠؛ و**شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٢-٤٣.
[2] انظر: **المُحتسَب** لابن جنّي، ١/٣٩-٤٠؛ و**إعراب القراءات الشواذّ** للعُكبَري، ١/٩٣-٩٥.
[3] ن - يريد أنّ العبادة.
[4] يقصد الشاعر الجاهلي عَلقمة بن عَبَدة، المُلقَّب بـ"عَلقمة الفَحل".
[5] **مُجمل اللغة** لابن فارس، «عبد». | والقار: شيء أسود تُطلى به السُّفن يَمنع الماء أن يدخل. انظر: **لسان العرب** لابن منظور «قير».

فكان حقيقًا بأقصى غايةِ الخضوع.

فإن قلتَ: لمَ عُدِلَ عن لَفْظ الغَيْبَةِ إلى لفظ الخطاب؟

قلتُ: هذا يُسمَّى الإلتفاتَ في علم البيان، وقد يكون من الغَيْبَةِ إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغَيْبةِ، ومن الغَيْبةِ إلى التكلُّم؛ كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس ٢٢/١٠]، وقولِه: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ﴾ [فاطر ٩/٣٥]، ....

بمعنى «حصول الثاني بعد الأوّل من غير فصل، فالأوّل يليه[١] الثاني والثاني يليه[٢] الثالث»،[٣] فإنّ مُعطي الشيء مُحصِّله للمُعطَى له. ويجوز أن يكون من الوَلْي بمعنى القُرب.

قوله: **(حقيقًا)** يُقال: حُقَّ[٤] لكَ أن تفعل هذا، وهو حقيق به ومَحقوق، أي: خليق، والجمع أحِقَّاء ومَحقوقون.[٥]

قوله: **(يُسمّى هذا الالتفاتَ)**[٦] اعلم أنّ السؤال كان عن سبب العدول فأجاب بأنّ هذا يُسمّى... إلخ. ووجه ذلك أنّه كأنّه[٧] تَصوّر إنكارًا من السائل فقال: ليس كما زَعمتَ، هذا باب من أبواب علم البيان وضعوا له اسمًا وأثبتوه[٨] وبحثوا عنه. ثمّ قال: وهو كثير الوقوع: **(يكون مِن الغَيبة إلى الخِطاب)** كما في هذا الموضع ولذا لم يَذكر له مثالًا، وكما في قوله تعالى: **﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗا﴾** [المائدة ١٢/٥]؛ **(ومن الخِطاب إلى الغَيبة كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾** [يونس ٢٢/١٠])، أي: جَرتِ الفُلكُ؛ **(ومن الغيبة إلى التكلُّم**[٩] **كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ﴾** [فاطر ٩/٣٥]).

---

١ ن: ثلثة.

٢ ن: ثلثة.

٣ **المُغرِب** للمُطرِّزي، «ولي».

٤ ش: حَقّ.

٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «حقق».

٦ كذا وردت هذه العبارة في الأصول. وفي مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله: هذا يُسمّى الالتفات.

٧ ن: كان.

٨ ن: وأثبتوا.

٩ ن: المتكلم.

وقد التَفَتَ امْرؤُ القَيْسِ ثلاثَ الْتِفَاتاتٍ في ثلاثة أَبْياتٍ:

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بالأَثْمُدِ ونَامَ الخَلِيُّ ولَم تَرْقُدِ
وبَاتَ وبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ كلَيْلَةِ ذِي العائِرِ الأرْمَدِ
وذلِكَ مِنْ نَبَإٍ جاءني وخُبِّرْتُهُ عَنْ أبي الأَسْوَدِ

وذلك على عادَةِ افتنانهم في الكلام وتَصَرُّفهم فيْهِ، ولأنَّ الكلامَ إذا نُقِلَ

ثمّ قَرَّر كثرته[1] في كلام الفصحاء بالتفات[2] الشاعر الفصيح (**ثلاثة**[3] **التفاتات في ثلاثة أبيات**) مُتوالية: الالتفات:[4] **الأوّل في (لَيلُكَ)**، **والثاني في (باتَ)**، / **والثالث في (جاءَني)**. وقال ذلك الشِّعرَ حينَ جاءه خبر موت أبيه. (**الأَثمُد**) بفتح الهمزة وضَمِّ الميم: مَوضِع. وهذا[5] اللفظ ممّا[6] اعتُرض به على قول النحويين: إنّ "أفعُلا" من الأبنية المُختصَّة بالجموع فإنّ هذا مفرد. وأُجيبَ عنه: بجواز أن يكون جمعًا للثَمْد بالسكون، فإنّ الثَّمْد والثَّمَد: الماء القليل الذي لا مادَّة له. و(**الخَليُّ**): الخالي[7] من العِشق. و(**العائر**):[8] الرَّمَد. ولطائف هذه الالتفاتات مذكورة في **المفتاح**.[9] وأمّا معناها فيقول: طال الليل بهذا الموضع من السُّهاد عليكَ، ولم ترقد فيه حينَ رَقد الخَليُّ الذي لا همّ له، وبتُّ بليله ذي الرَّمَد، وذلكَ السُّهاد والقَلق من خبر أُخبرتُه عن أبي الأسود. [٢٣و]

قوله: (**وذلك**) إشارة إلى فوائد الالتفات. ذَكر فائدتين عامّتين: **الفائدة الأولى**: "افتنانُ الكلام". فإنّ العرب كانوا يُحسِّنون قِرى الأشباح ويُخالفون في ذلكَ القِرى بين لَون ولَون وطَعم وطَعم، فأرادوا أن يُحسِّنوا قِرى الأرواح ويُخالفوا فيه بين أسلوب وأسلوب؛ وذلك لأنّ الكلام المُفيد عند مَن يكون إنسانًا

---

١ ن: كثير بين.
٢ ن: بأبيات.
٣ كذا وردت في د ش ن، وفي مطبوع **الكشّاف** وما راجعته من أصوله: ثلاث.
٤ ن – في ثلاثة أبيات مُتوالية: الالتفات.
٥ د ش ن: وعلى هذا. | ولا يستقيم بـ"على" السياق؛ ولذا وُضِع فوقها في د ش حرف "ذ"، كأنّ المراد بها "كذا"، إشارة إلى إشكالها.
٦ ن: بما.
٧ ن: الخال.
٨ ن: العامد.
٩ انظر: **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٣٠١-٣٠٣.

مِن أُسْلوبٍ إلى أسلوبٍ كان ذلك أَحْسنَ تَطْرِيَةً لِنَشَاطِ السامع وإيقاظًا لِلْإِصْغاء إِلَيْه مِن إِجْرائِهِ عَلَى أُسْلُوبٍ وَاحِدٍ.

وقَدْ تَخْتَصُّ مَوَاقِعُه بِفوائدَ، وممّا اخْتَصَّ به هذا المَوْضِعُ: أنّه لمّا ذكرَ الحقيْقَ بالحَمْدِ وأجْرَى عَلَيْه تِلْكَ الصِّفَاتِ العِظَامَ، تَعَلَّقَ العِلْمُ بمَعْلومٍ عظيمِ الشأنِ حَقِيقٍ بالثناء وغايةِ الخضوع والاسْتِعَانَةِ في المُهِمّاتِ، فخُوطِبَ ذلك المعلومُ المتميّزُ بتلك الصفات العِظَام فقيل: إيّاك يا مَن هذه صِفاتُه نَخُصُّ بالعبَادةِ والإسْتعانةِ لا نَعْبُد غَيْرَكَ ولا نَسْتَعِينُه؛ ليكون الخطابُ أَدَلَّ على أَنَّ العِبادَةَ له لذلك التَّميُّزِ الذي لا تَحِقُّ العبادةُ إلّا به.

بالمعنى لا بالصورة أشهى[١] غذاءً لروحه وأطيبُ قِرى لها.[٢] **الفائدة الثانية**: "أنّه إذا نُقِل الكلام من أسلوب إلى أسلوب يُفيد تَطرِيَة"، أي: تجديدًا وإحداثًا **(لنشاط السامع)**، ويُفيد "إيقاظ السامع للإصغاء إلى الكلام"، يقال: أصغيتُ إلى فلان، إذا مِلتَ بسمعكَ نحوه.

ثمّ أشار بقوله: **(وقد تختصُّ مواقعه)** أي: مواقع الالتفات، إلى أنّ له فوائدَ أخرَ تختلف باختلاف المَحالّ. ومِن فوائده هنا أنّه لمّا **(تعلّق العِلم)** به على الوجه الذي ذكَر خُوطب بأنّا نعبدكَ يامَن هذه صفته ولا نعبد غيرَك، ليكون الخطاب أدلَّ على أنّ العبادة له، أي: على أنّ عبادته تعالى إنّما هي لأجل اتصافه بهذه الصفات، فمن ليس له هذه الصفات لا نعبده ولا نستعينه. وإنّما قال: **(أدلّ)**؛ لأنّ الغَيبة أيضًا كانت دالّة على أنّا نعبد الموصوف بهذه الصفات لا غيرَه، لكن في الغَيبة من الاحتمال ما ليس في الخِطاب. وقوله: **(أنّه)** مبتدأ، و**(ممّا اختُصّ)** خبر مُقدَّم، والضمير مِن **(به)** راجع إلى "ما". وقوله: "تعلَّقَ" جواب **(لمّا)**. والمجموع خبر "أنّه". و**(فخُوطِبَ)**[٣] عطف على "تعلَّقَ". وقوله: **(بتلك)** متعلّق بـ**(المُتميّز)**.[٤] وضمير **(به)** عائد إلى **(الذي)**.

---

١ ن: انتهى.

٢ من قوله: «فإنّ العرب كانوا» إلى هنا، جاء بلفظ قريب جدًا في **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٢٩٦.

٣ ن: فخوطب.

٤ ن: بالتمييز.

فإنْ قلتَ: لم قُرِنَتْ الاِسْتعانَةُ بالعبادة؟

قلتُ: ليُجْمَعَ بَيْنَ ما يَتقرَّبُ به العِبادُ إلى رَبِّهم وبَيْنَ ما يَطْلبونَه ويَحتاجُونَ إليهِ مِن جهته.

فإنْ قلتَ: فلمَ قُدِّمَت العبادةُ على الاِسْتعانةِ؟

قُلْتُ: لأنَّ تقديم الوسيلة قَبْلَ طلَبِ الحاجةِ؛ ليستَوْجِبُوا الإجابةَ إليها.

فإن قلتَ: لم أُطْلِقَت الاسْتعانةُ؟

والفائدةُ في تكرير ﴿إِيَّاكَ﴾ -وإن كان يتمُّ الكلام بقوله: "ونستعين"- المبالغةُ في تخليص الاستعانة، كالمبالغة في تخليص العبادة وتخصيصه بها، ونفيُ احتمال: نستعينُ بغيركَ.

قوله: **(ليُجمَع)**... إلخ، الضمير مِن **(جهته)** عائد إلى **(ما يتقرَّب به)** وهو العبادة، ومِن **(يطلبونه)** و**(إليه)** إلى "ما يَطلبونه" وهو الاستعانة. وقوله: "مِن جهته" متعلِّق بـ**(يَحتاجون)**. والحاصل أنّهم يتقرَّبون بالعبادة ويطلبون ما هو المُحتاج إليه في هذه العبادة، وهو إعانة الله تعالى إيَّاهم على العبادة المُتقرَّب بها. وحينئذٍ يكون وجه إتيان الفاء في قوله: **(فلِمَ قُدِّمت)** ظاهرًا، يعني: لمّا كانت الاستعانة مُحتاجًا إليها في العبادة فهلَّا قُدِّمت الاستعانة على العبادة تقديمًا للمُحتاج إليه على المُحتاج.[1] فأجاب بأنّ العبادة وسيلة للطلب، و**(تقديم الوسيلة)** أولى، والتقديم هنا بمعنى الإتيان. ثمّ إنّه يجوز أن يكون **(قبل)** ظرف "تقديم"، و**(ليستوجبوا)** خبر، أي: تقديم الوسيلة قبل الطلب إنّما كان لاستيجاب الإجابة. ويجوز أن يكون "قبل" ظرفًا لمحذوف، والجملة خبرًا لـ**(أنّ)**، و"ليَستوجبوا" مُتعلِّقًا بالظرف، أي: تقديم الوسيلة إنّما كان قبل طلب / الحاجة للاستيجاب. وقوله: "ليَستوجبوا" على مذهبه، وعلى مذهب أهل السُّنّة ليَستأهلوا. [٢٣ظ]

---

١ ن - إليه على المُحتاج.

قلتُ: ليتناولَ كلَّ مُستعانٍ فيه، والأَحْسنُ أنْ تُرادَ الاِسْتعانةُ به وبتوفِيقِهِ على أَداء العبَادَةِ، ويكونَ قوله: ﴿اَهْدِنَا﴾ بيانًا للمطلوب من المعونَة؛ كأنَّه قِيل: كَيْفَ أُعِينُكم؟ فقالوا: ﴿اَهْدِنَا الصِّرَٰطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وإنما كان أَحْسنَ لتلاؤُم الكلام وأَخْذِ بَعْضِهِ بحُجْزَةِ بَعْضٍ.

وقرأ ابنُ حُبَيْش: "نِسْتَعِيْنُ" بكسر النون.

قوله: **(به)** أي: بالله تعالى **(وبتوفيقه)**. وقوله: "به" لتَوطئة الكلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة ٦٢/٩]، أي: ورسوله أحقُّ أن يُرضُوه.[١]

قوله: **(مِنَ المَعونة)** بيان **(المطلوب)** أي: المطلوب الذي هو المَعونة.

قوله: **(ويكونَ)** عطف على قوله: **(تُرادَ)**. وإذا تأملت قوله: **(والأحسن)**... إلخ، ظهر لكَ أنّه وإن كان من حيث الظاهرُ عطفًا على جملة قوله: **(لِتتناولَ)**...[٢] إلخ، لكنّه من حيث المعنى عُدول إلى طريقة أخرى من الكلام، فكأنّه قال: ليس المراد مُطلقَ الاستعانة وإن أُطلقتْ في اللفظ، بل المراد الاستعانة بتوفيقه على العبادة، وتَركُ التقييد في اللفظ للقرينة: وهو ذِكرُ ﴿اَهْدِنَا﴾ بعده، أو ذكر ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قبله، أو المجموع.

قوله: **(وإنّما كان)** اسمُه ضميرٌ يَرجع إلى "أن تُراد" ويكون بتأويل المذكور، أي: إنّما كان ما ذكرنا -وهو أن تُراد الاستعانة على العبادة، وأن يكون ﴿اَهْدِنَا﴾ بيانًا- أحسنَ. و"لاءمْتُ" القوم مُلاءمة، أي: أصلحتُ وجمعتُ. و"حُجْزَة" الإزار: مَعقِده، وحُجْزَة السَّراويل ما فيه من التِّكَّة.[٣] ووجه "تلاؤم الكلام" حينئذٍ أنّه ذَكر أوّلًا أنّ جنس الحمد له تعالى، ثمّ وَصفه بالأوصاف التي قرَّرتْ وأَثبتَتْ كون جنس الحمد له، فحَصل العلم بموجودٍ عظيمِ الشأن على الوجه المذكور، فاقتضى الحالُ أن يُخاطَب ويقال: يا مَن هذه صفته نعبدكَ

---

[١] د ش: تُرضوه.
[٢] ن: تتناول.
[٣] ن: التكّة.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

"هدَى" أصله أنْ يَتعدَّى باللام أو بـ"إلى"؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء ٩/١٧] ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى ٥٢/٤٢] فعُومِلَ معامَلةَ "اخْتار" في قوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف ١٥٥/٧].

ونستعينكَ،[١] ثمّ يُبيِّنَ[٢] المطلوب بالاستعانة بقوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾ إلى آخر السورة، فاتّصل الكلام بعضه ببعض كالبُنيان المَرصُوص. والقراءة بكسر نون "نستعين" شاذّة،[٣] وهي على لغة[٤] مَن يكسر حرف المُضارَعة.[٥]

قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

معنى الهداية في اللغة: الدلالة، يقال: هداه في الدِّين يَهْديه هُدى، وهَداه يَهديه هِدَاية إذا دلَّه على الطريق. وفيه بحث يذكر عند قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إن شاء الله تعالى.[٦]

قوله:[٧] **(هُدى)** في محلّ المبتدأ، وقوله: **(أصله أن يتعدَّى)** أي: إلى المفعول الثاني **(باللام أو بـ"إلى")** جملةٌ وقع خبرًا. وذَكر لكلٍّ[٨] مثالًا بطريق اللف. **(قوله تعالى: ﴿لِلَّتِى﴾ [الإسراء ٩/١٧])** أي: للملَّة التي هي أقْوَم المِلَل. ونظيره "أوحى" قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل ٦٨/١٦]، وقال: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة ٥/٩٩]. وقوله: **(فعُومِل)** جزاءُ شرط محذوف، أي: إذا كان أصله أن يتعدَّى بأحد[٩] الحرفين فقد عُومِل، أي: حُذِف الحرف[١٠] كما **"في قوله تعالى:**

---

١ ن: ونستعين بك.

٢ ش: بيَّن.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ وعُمير بن عُبيد والأعمش. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١؛ وشواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣؛ والمُغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٣٦٥.

٤ ن: لغة.

٥ وهي لغة تميم وأسد وقيس وربيعة. انظر: إعراب القرآن للنحّاس، ١٧٣/١؛ والمُحتسب لابن جنّي، ٣٣٠/١، والصّاحبي لابن فارس، ص ٢٨؛ والمُغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٣٦٥.

٦ سيأتي في سورة (البقرة، ٢/٢).

٧ ن - قوله.

٨ ن - لكلّ.

٩ ن: بإحدى.

١٠ ن: بالحرف.

ومَعْنى طلبِ الهدايةِ -وهم مُهْتَدُونَ-: طلبُ زيادةِ الهُدَى بمَنْحِ الألْطافِ، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد ١٧/٤٧] ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت ٦٩/٢٩].

وعن عليّ وأُبيّ رضي الله عنهما: ﴿ٱهْدِنَا﴾: ثَبِّتْنا، وصِيغةُ الأمرِ والدعاء واحدةٌ لأنّ كلّ واحدٍ منهما طلبٌ، ....

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف ١٥٥/٧]"؛ لأنّ الاختيار يقتضي التبعيض، إذ الاختيار ليس إلّا أخذ البعض منَ الكلّ، فيلزم أن تكون "مِن" التبعيضيّة محذوفة، والتقدير: مِن قومه.

قوله: (وهم مهتدون) حال من الفاعل المحذوف من المصدر. وقوله: (بمَنح) مُتعلّق بالزيادة. وقوله: (ومعنى)... إلخ، جوابُ سؤال، وهو أن يقال: ما[1] معنى طلبِ المؤمنين الهدايةَ في حال اهتدائهم؟ فأجاب عنه من وجهين:

الأوّل: أنّ معناه "طلب الزيادة"، وذلك "بأن يَمنحهم الألطافَ"، وقرّره بقوله تعالى: (﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد ١٧/٤٧])؛ فإنّه دلّ على أنّ زيادة الهدى شيءٌ غيرُ الاهتداء، وبقوله تعالى: (﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟﴾ [العنكبوت ٦٩/٢٩])؛ فإنّ المُجاهدة في الله لا تكون إلا بالاهتداء، و﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾ هو زيادة الهدى.

والوجه الثاني: ما رُوي (عن عليّ وأُبيّ رضي الله عنهما)[2] وهو أنّ معنى سؤالِ المسلمين الهُدى وهم مُهتدون: طلبُ التثبيت على الهُدى، كما تقول للقائم: قمْ لي حتّى أعود إليكَ، أي: اثبُتْ على قِيامك. فقوله: "وعن عليّ"... إلخ، عطف من حيث المعنى على قوله: / (طلبُ زيادةِ). [٣٤و]

قال نجم الدِّين الخوارزميّ في كتاب **الصفوة**:[3]

اللُّطف في عرف المُتكلِّمين: ما يَختار عنده المُكلَّف الطاعة تركًا وإثباتًا

---

[1] ن - يقال: ما.

[2] د - رضي الله عنهما.

[3] لم أقف على هذا الكتاب. ولم أجده مذكورًا في مواضع ترجمة مؤلّفه نجم الدين الزاهدي.

وإنما يتفاوتان في الرُّتبَةِ.

أو يُقرِّب[١] منه، مع تمكُّنه في الحالين، فإنّ التمكين مُحصِّل أو مُقرِّب ولا يُسمّى لُطفًا.[٢] ثمّ اللُّطف[٣] إذا كان مُحصِّلًا للواجب يُسمّى توفيقًا، وإذا[٤] كان مُحصِّلًا[٥] لترك القبيح يُسمّى عِصمة، وإذا كان مُقرّبًا من الواجب أو ترك القبيح يُسمّى لُطفًا مُقرّبًا. ثمّ اللُّطف[٦] إذا كان من أفعال العباد كالشرعيّات والتوحيد يجب بالإجماع، وإذا كان من[٧] أفعاله تعالى كالأرزاق والأعواض[٨] يجب عند عامّة المُعتزلة. ورزق الله: هو أن يُمكِّن[٩] من الانتفاع بالشيء أو من اكتساب سببه ولم يمنعه منه، وعلى هذا طعام[١٠] الضيف رِزقُه، وعلَف البهائم رِزقُها، وكذلك الدار المُستأجرة، والمُستعار، بخلاف الغَصْب ونحوه؛ لأنّه مُنِع مِن الانتفاع به.[١١]

هذا هو المذكور في **الصفوة**. ويَظهر منه أنّ اللُّطف واجب على الله تعالى عندهم، فكيف يصحُّ طلب اللُّطف على مذهبهم؟ فكأنّه يَطلب من الله تعالى ما هو واجب عليه، وهذا يكون عبثًا.[١٢]

قوله: (**يتفاوتان**) تفاوَت الشيئان، أي: تباعد ما بينهما تفاوُتًا، بضمّ الواو وفتحها وكسرها، وهو على غير القياس؛ لأنّ مصدر "تفاعَلَ" بضمّ العين، إلا ما رُوي في هذا الحرف. و(**الرُّتبة**) والمَرتبة: المَنزلة، أي: لا يفترق الأمر والدعاء في شيء إلّا في مرتبة الطالب.[١٣]

وهذا على مذهب المُعتزلة: وهو أنّ الطلب إنّما يكون أمرًا إذا كانتِ الصيغة صادرة من عَالٍ نحوَ أَدْوَنَ منه، قالوا: لأنّه لا يصحُّ أن يقال: أمرتُ الأميرَ.

---

١ ن: ويقرب.
٢ ن: لطائف.
٣ ن: اللفظ.
٤ ن: وإن.
٥ ن: تحصيلًا.
٦ ن: اللفظ.
٧ ن - أفعال العباد كالشرعيّات والتوحيد يجب بالإجماع، وإذا كان من.
٨ ن: والأعراض.
٩ ن: يكون.
١٠ ن: إطعام.
١١ نقل شيئًا من هذا الكلام عن الصفوة للخوارزمي الطيبيُّ في **فتوح الغيب**، ١٤٠/٢.
١٢ ن - عبثًا.
١٣ ن: الطلب.

وقرأ عَبْدُ اللهِ: "أَرْشِدْنا".

"السِّراط": الجادَّة، مِن سَرِطَ الشيءَ: إذا ابتَلَعه، لأنَّه يَسْتَرِطُ السَّابِلَةُ إذا سَلَكوه، كما سُمِّي لَقَمًا لأنَّه يَلْتَقِمُهم، و"الصِّراط" مِن قَلْبِ السين صادًا

وجوابه مَنعُ الصحة. واعتبر[1] أبو الحُسين الاستعلاء، ولم يعتبر أصحابنا شيئًا منهما. لنا قولُه تعالى حكاية عن فرعون لقومه: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء ٢٦/٣٥]، وقولُ عمرو بن العاص لمعاوية:

أمرتُـكَ أمـرًا حازمًـا[2] فعصيتَنـي ... وكـان مِن التوفيق قتلُ ابن هاشمِ[3]

مع أنّ رُتبة معاوية كانت أعلى من رُتبة عمرو بن العاص، وقولُ حُباب بن المُنذر[4] ليزيدَ بن المُهلَّب أميرِ خُراسان:

أمرتُـكَ أمـرًا حازمًـا[5] فعصيتَنـي ... فأصبحتَ مسلوبَ الإمـارة نادما[6]

وهذه الاستعمالات دلّت على عدم اعتبار شيء من الاستعلاء والعُلُوّ.[7]

وقراءةُ عبد الله بن مسعود (﴿أَرشِدْنا﴾) بدل ﴿اَهْدِنَا﴾ شاذّة.[8]

قوله: (**الجادّة**): هي مُعظم الطريق، والجمع جوادُّ.

قوله: (**لأنّه**) أي:[9] لأنّ السِّراط[10] (**يَسترِطُ**) أي: يبتلع (**السابلة**) أي: أبناء السبيل. و"اللَّقَم"[11] بالتحريك: وسط الطريق. قال في **الحُجّة**: «الأصل السين بدلالة قولهم:

---

١ ن: فاعتبر.

٢ ن: جازمًا.

٣ الشعر لعمرو بن العاص في **الكامل** للمبرِّد، ١/٣٤٥.

٤ الصواب أنه حُضَين بن المُنذر الرَّقاشي أبو ساسان. انظر في اسمه وبيت الشِّعر وخبره: **تاريخ الطبري**، ٦/٣٩٦؛ و**شرح الحماسة** للمرزوقي، ص ٨١٤؛ و**التذكرة الحَمدونيّة** لابن حَمدون، ٣/٣١٤، وفي مطبوع الأخيرين «حُصَين»، ونبّه مُحقّق **شرح الحماسة** على أنّه بالضاد. وانظر في ضبطه: **توضيح المُشتبِه** لابن ناصر الدين، ٣/٢٦٦؛ و**خزانة الأدب** للبغدادي، ٤/٣٧-٣٨. والظاهر أنّ المُصنِّف تابعَ الرازي على هذا الخطأ. انظر: **المحصول** للرازي، ٢/٣٢.

٥ ن: جازمًا.

٦ مضى تخريجه آنفًا في التعليق على اسم صاحبه.

٧ من قوله: "وهذا على مذهب المعتزلة" إلى هنا بلفظ قريب في **المحصول** للرازي، ٢/٣٠-٣٢.

٨ انظر: **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩؛ و**المُغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٣٦٦.

٩ ن - أي.

١٠ ن: السرائط.

١١ ن: اللقم.

لأَجْل الطاء؛ كقولك: "مُصَيْطِرٌ" في "مُسَيْطر"، وقد تُشَمُّ الصادُ صوتَ الزاي، وقُرئ بهنَّ جميعًا.

سَرْطَم، وسِرِطْراط، والأخذُ سُرِّيط».[١] وأنا أقول: السَّرطَم: واسع الحلق؛ كأنّه يبتلع الشيء بسرعة. وسِرِطراط: الفالوذ؛[٢] لسهولة ازدراده.[٣] وقولهم: «الأخذ سُرَيِّط والقَضاء ضُرَيِّط»،[٤] أي: يَسترط ما يأخذ من الدَّين وإذا تقاضاه صاحبه أضرَط به. وإنّما قلب[٥] السين لأنّها مُنخفضة[٦] والطاء مُستعلية وبينهما تنافُر فأُبدل للمُجانسة[٧] وحُسن الصوت؛ لأنّ الصاد يُوافق السين في الهَمس والصفير ويُوافق[٨] الصاد في الاستعلاء. و"المُسَيطِر": المُسلَّط على الشيء ليُشرف عليه ويَتعهد[٩] أحواله ويَكتب عملَه.

قوله: (وقد تُشَمُّ) الإشمامُ[١٠] في عُرف القُرّاء يُطلَق باعتبارات أربعة: **أحدُها**: خلطُ حرف بحرف كما في "الصِّراط" و"مصيطر"،[١١] **والثاني**: خلطُ حركة بأخرى كما في "قِيل" و"غِيض" وأشباههما، **والثالث**: إخفاء الحركة فيكون بين الإسكان[١٢] والتحريك كما يأتي في: ﴿لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف ١١/١٢]، على ظاهر عبارة صاحب **التيسير**،[١٣] **والرابع**: ضمُّ الشفتين[١٤] بعد سكون الحرف وهو الذي يأتي في الوقف.

قوله: (وقُرئ[١٥] بهنّ[١٦] جميعًا) / أي: قرئ ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ في الموضعين بالسين [٢٤ظ]

---

١ **الحُجَّة** لأبي علي الفارسي، ٥٢/١.

٢ الفالوذ: ضرب من الحلواء، يُسوَّى من لُبّ الحِنطة، فارسي مُعرَّب. انظر: **المعرَّب** للجواليقي، ص ٤٨٠؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «فلذ».

٣ الازدراد: الابتلاع. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «زرد».

٤ من أمثال العرب، ويروى «الأخذ سُرَّيطى والقضاء ضُرَّيطى». انظر: **إصلاح المنطق** لابن السكِّيت، ص ٢٠٨؛ و**الصحاح** للجوهري، «سرط»؛ و**مجمع الأمثال** للميداني، ٤١/١؛ و**المستقصى** للزمخشري، ٢٩٧/١.

٥ ن: قلت.

٦ ن: متخطية.

٧ ن: المجانسة.

٨ ن: يوافق.

٩ ن: ويتعمد.

١٠ ن: بالإشمام.

١١ ن: ومسطر.

١٢ ن: الإشكال.

١٣ **التيسير** لأبي عمرو الداني، ص ٣٨٩.

١٤ ن: الشيئين.

١٥ د: قرئ.

١٦ ن: بها.

وفُصْحاهُنَّ: إخْلاصُ الصَّاد، وهي لغةُ قريشٍ، وهي الثابِتةُ في "الإمام".

ويُجْمَع: صُرُطًا؛ نحو: كتابٍ وكُتُبٍ، ويُذَكَّر ويؤنَّثُ كالطريق والسَّبِيل.

والمراد به: طريقُ الحَقِّ، وهو ملَّةُ الإسْلام.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بَدلٌ من ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ وهو في حُكمِ تكريرِ العامل؛ كأنَّه قيل: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ اهْدِنا صراطَ الذين أنعمتَ عَلَيْهم؛ كما قال: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾ [الأعراف ٧/٧٥].

فإنْ قلتَ: ما فائدةُ البدلِ؟ وهلَّا قيل: اهدنا صراطَ الذين أنعمتَ عَليهم؟

قلتُ: فائدتُه التوكيدُ لِمَا فيه من التَّثْنِيَة والتَّكرير، ....

والصاد الخالصتين وبالإشمام في السبعة.[١] قال في **الحُجّة**: رُوِيَ عن ابن كثير السين والصاد، وعن أبي عمرو السين والصاد والمُضارعَة بين الزاي والصاد، والباقون بالصاد، غير أنّ حمزة يلفظ بها بين الصاد والزاي.[٢] وأقول: هنا قراءة شاذّة لم يذكرها المُصنِّف وهي بالزاي[٣] الخالصة.[٤] قال في **الحُجّة**: رواه الأصمعيُّ عن أبي عمرو.[٥]

قوله: **(وفُصحاهُنّ)** هو تأنيث "الأفصح".

قوله: **(وهي)** أي: القراءة الفصحى في المُصحَف الذي هو **(الإمام)**: وهو مُصحَف عثمان رضي الله عنه.[٦]

قوله: **(فائدته)** أي: فائدة البدل.

قوله: **(لِما فيه)** أي: لِما في البدل، واللام مُتعلِّق بمحذوف، أي: إنّما أفاد التأكيد لِمَا في البدل من **(التكرير)**، أو هو مُتعلِّق بـ"فائدة". فقوله: **(التثنية)**

---

١ انظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٠٥-١٠٧؛ و**التيسير** للداني، ص ١٢٩؛ و**النشر** لابن الجزري، ١/٢٧١-٢٧٢.

٢ ن: الزاء. | انظر: **الحُجّة** لأبي عليّ الفارسي، ١/٤٩.

٣ ن: الزاء.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأصمعي عن أبي عمرو، وابن أبي سُرَيج، والشِّيزَري عن الكسائي، والفرّاء بن زكريا عن حمزة. **المُغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٣٦٦.

٥ انظر: **الحُجّة** لأبي عليّ الفارسي، ١/٤٩.

٦ د - رضي الله عنه.

والإشعارُ بأنَّ الطريقَ المستقيمَ بيانُه وتفسيرُه صراطُ المُسْلمين؛ ليكونَ ذلك شهادةً لصراطِ المسلمين بالاستقامةِ على أبلغِ وَجْهٍ وآكَدِهِ؛ كما تَقول: "هَلْ أَدُلُّك على أكرمِ الناس وأَفْضَلِهم؟ فلانٍ"، فيكون ذلك أَبْلغَ في وَصْفهِ بالكرم والفَضْلِ من قَوْلك: "هَلْ أَدُلُّك عَلَى فلانٍ الأَكْرمِ والأَفْضَلِ؟" لأنَّك ثَنَّيْتَ ذكرَه مُجْمَلًا أَوَّلًا ومَفصَّلًا ثانيًا، وأَوْقعتَ "فلانًا" تَفْسيرًا وإيضاحًا لـ"الأَكْرَم الأَفْضَلِ" فجعَلْتَه علَمًا في الكرَم والفَضْل؛ فكأنَّكَ قلتَ: مَن أراد رَجُلًا جامعًا للخَصْلَتَيْن فعلَيه بفلانٍ، فهو المُشخصُ المعيَّنُ لاجتماعهما فيه غيرَ مُدَافَع ولا مُنَازَعٍ.

و﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: هم المؤمنون، وأُطْلق الإنعامُ ليشمَل كلَّ إنعامٍ؛

هنا بمعنى التكرير. وقوله: (**الإشعارُ**) عطف على التوكيد. فـ(**بيانه**) مبتدأ، و(**تفسيره**) عطف، و(**صراط**) خبره، والجملة خبر (**أنّ**). وقوله: (**ليكون ذلك**)[١] متعلِّقٌ بـ"الإشعار" علَّةٌ له. واللام مِن (**لصراط**) والباء من (**بالاستقامة**) متعلِّقان بـ"الشهادة". وقوله:[٢] (**على أبلغ وجه**) صفة شهادة، أي: له فائدتان: الأوّل التأكيد، والثاني الإعلام بأنّ الطريق المستقيم هو طريق المسلمين لا غير؛ لأنّ طريق المسلمين وقع تفسيرَ الطريق المستقيم، كما إذا قلت: "هل أدلُّكَ على أكرم الناس فلانٍ؟"، بجرّ "فلانٍ"، فإنّه يُفيد أنّ الأكرم هو فلان لا غيره؛ لأنّ "فلانًا وقع تفسيرًا للأكرم".

قوله: (**لاجتماعهما**) اللام متعلِّق بـ(**المُشخَّص**[٣] **المُعيَّن**) فكأنّه تركَّب منهما، وتعيَّن لسبب اجتماعهما فيه.

قوله: (**غيرَ مُدافَع**) حال من الضمير في (**فيه**).

قوله: (**لِيَشملَ**) علَّل الإطلاق بالشمول، ثمّ علَّل الإطلاق للشمول بأنّ المُنعَم عليه[٤] بالإسلام مُنعَمٌ عليه بجميع النِّعم، فناسب أن يذكر الإنعام عليه مُطلقًا غير مُقيَّد.

---

١ ش ن – ذلك. | هامش ش: "ذلك، أي: ذلك البيان والتفسير". من غير تصحيح.

٢ ن: فقوله.

٣ ن: الشخص.

٤ ن – عليه.

لأنَّ مَن أنعم الله عَليه بنعمةِ الإسلام لم تَبْقَ نِعْمَةٌ إلا أصابَتْه واشتَمَلت عَلَيْه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هم أصحابُ مُوسَى عليه السلام قَبْلَ أَن يُغَيِّروا.

وقِيل: هم الأنبياءُ عليهم السلام.

وقرأ ابنُ مسعود: "صراطَ مَن أَنْعمتَ عَلَيْهم".

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بَدَلٌ من ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ....

قوله: (إلّا أصابته) استثناء مُفرَّغ، أي: لم يبقَ نعمة موصوفة بصفة من الصفات إلا بهذه الصفة، وهي أنّها أصابتْه. والضمير المُستتر في "أصابته" لـ"النّعمة"، والبارز لـ(مَن أنعم)؛ وكذا ضميرا[١] (اشتملت عليه).[٢] قال الإمام: النِّعمة: عبارة عن المَنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير، أمّا قولنا: المَنفعة؛ فلأنّ المَضرَّة المَحضة لا تكون نعمةً، وقولنا: المفعولة على جهة الإحسان؛ لأنّه لو كان نفعًا وقصَد الفاعلُ به نفعَ نفسه لا يكون نعمة، كمن أحسن إلى جاريته ليُزيح عِلّتها.[٣]

و"قراءة ابن مسعود" رضي الله عنه[٤] شاذّة.[٥] وحيثُ[٦] أَطلَق ابنَ مسعود في هذا الكتاب كان المرادُ عبدَ الله بن مسعود.[٧] قال في **الحُجّة**:

قرأ[٨] حمزة وحدَه ﴿عَلَيْهُمْ﴾ و﴿لَدَيْهُمْ﴾ و﴿إِلَيْهُمْ﴾، هذه الثلاثة بضمّ الهاء وإسكان الميم، وقرأ الباقون ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وأخواتها بكسر الهاء.

---

١ ن: ضمير ما.

٢ يريد أنّ الضمير المستتر في "اشتملتْ" لـ"النعمة"، والضمير البارز في "عليه" لـ"من أنعم".

٣ ن: ليربح عليها. | انظر: **تفسير الرازي**، ٢٢٥/١ (الفاتحة، ٧/١). وفي مطبوعه «ليربح عليها» بدل «ليُزيح عِلّتها».

٤ د ن – رضي الله عنه.

٥ انظر: **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩؛ و**شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٥؛ و**المُغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٣٦٧.

٦ ن: حيث.

٧ ليس في ذِكر "ابن مسعود" مطلقًا اشتباه حتّى ينبّه عليه. وكان حقُّ هذا الكلام أنّ يكون في الموضع الذي يذكر فيه الزمخشريُّ "عبد الله" مطلقًا، إذ يريد به ابن مسعود، كما هو اصطلاحه، وهو ما نبّه عليه الطيبيُّ في **فتوح الغيب**، ٧٥٥/١.

٨ ن: قراءة.

....

واختلفوا في الميم: فكان ابن كثير يصِل الميم بواو انضمتِ الهاء قبلها أوِ انكسرت، فيقول: ﴿عليهُمو غَيْرِ المَغضُوبِ عَلَيهُمو ولا الضَّالِّين﴾ و﴿عَلَى قُلُوبِهُمو وعلى سَمْعِهُمو وعلى أَبْصَارِهُمو غِشَاوة﴾ [البقرة ٢/٧]، في جميع القرآن. وروى قالون عن نافع الهاءَ مكسورة والميم مضمومة أو مُنجزِمة. وروى وَرش عنه الهاء مكسورة والميم موقوفة، إلا أن تَلقى الميمَ ألفٌ[١] أصليَّة فإذا لَقِيَتها ألف أصليّة ألحق في اللفظ واوًا، مثل قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمو ءَأَنْذَرْتَهمو أمْ لَمْ تُنْذِرْهِمو﴾ [البقرة ٢/٦].

وكان أبو عمرو وعاصم وابن عامر والكسائيُّ[٢] يكسِرون الهاء ويُسكِّنون الميم، فإذا لقي الميمَ حرفٌ ساكن اختلفوا: فكان ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر يَمضُون على كسر الهاء و[٣]يَضمُّون الميم، إذا لقيها ساكن مثل قوله: ﴿عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [البقرة ٢/٦١]، و﴿مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ﴾ [القصص ٢٨/٢٣]، وما أشبه ذلك. وكان أبو عمرو يكسر الهاء أيضًا ويكسر الميم فيقول: ﴿عَلَيْهِمِ الذِّلَّة﴾ و﴿إِلَيْهِمِ اثنين﴾[٤] [يس ٣٦/١٤]، / وما أشبهه.[٥] وكان حمزة والكسائيُّ يَضمّان الهاء والميم فيقولان: ﴿عَلَيْهُمُ الذِّلَّة﴾، و﴿مِنْ دُوْنِهُمُ امرَأَتَيـْنِ﴾ وما أشبه ذلك. [٢٥و]

قال أبو بكر أحمد[٦] بن موسى: وكلُّ هذا الاختلاف في كسر الهاء وضمِّها إنّما هو في الهاء التي قبلها كسرة أو ياء ساكنة، فإذا جاوزتَ هذين لم يكن في الهاء إلا الضمُّ، وإذا لم يكن قبل الميم هاء قبلها كسر أو ياء ساكنة لم يجز في الميم إلا الضمّ أو التسكين، مثل "مِنكمُ" و"أنتمُ".[٧]

قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.[٨]

إذا جعلتَ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ بدلًا يكون بدل الكلّ من الكلّ، فوجب أن يكونَ الأوّل في حُكم المطروح ويكونَ مدلولُ الثاني مدلولَ الأوّل، مع أنّ الثاني[٩]

---

١ ن: ألفًا.
٢ ن – والكسائي.
٣ ن – يَمضُون على كسر الهاء و.
٤ د ش – اثنين.
٥ ن: أشبه.
٦ ن – أحمد.
٧ انظر: **الحُجّة لأبي علي الفارسي**، ١/٥٧-٥٩.
٨ ن – ﴿عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.
٩ ن + في.

على معنى: أنّ المنعَمَ عليهم هم الذين سَلِموا من غَضَب الله والضَّلالِ، أَوْ صِفَةٌ على مَعْنى: أنهم جَمَعُوا بينَ النِّعْمَةِ المطلَقة وهي نِعْمَةُ الإيمان وبَينَ السلامةِ مِن غضب اللهِ والضَّلالِ.

فإن قلتَ: كَيْفَ صَحَّ أَنْ يقعَ ﴿غَيْرِ﴾ صفةً للمَعْرفةِ وهو لا يتعرَّف وإنْ أُضِيفَ إلى المَعَارِفِ؟

قلتُ: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ لا تَوْقِيتَ فيه، فهو كقوله:

بيان للأوّل كما عرفتَ، فيكون **(المُنعَم عليهم هم الذين سَلِموا من غضب الله)** تعالى. وإن جعلتَه صفة يكون دالًّا على معنى في مَتبوعه مع إرادة المعنى الظاهر الذي يدلُّ عليه المتبوع؛ لأنّ الصفة ليست في حُكم تنحية الموصوف، فيكون المعنى: "أنهم جمعوا[١] بين النِّعمة المُطلَقة وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من الغضب والضلال".

قوله: **(لا توقيتَ فيه)** أجاب عن السؤال من وجهين:

الأوّل: أنّه لا تعيين ولا تعريف فيه، وأصل التوقيت: التحديد في الوقت، ثمّ استعمل في كلّ تحديد اتِّساعًا، كما أنّ الإحلاب المَعونة على الحَلَب، يقال: أَحْلِبني بقطع الألف، أي: أَعِنّي على الحَلَب، ثمّ استُعمِل في كلِّ إعانة اتّساعًا، ومنه المُحلِب: الناصر.[٢] قال[٣] الشاعر:

عَـرانيـنَ لا يـأتيـه للنصر مُـحلِـبُ[٤]

وحاصل هذا الوجه أنّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قريب من النكرة؛ لأنّ تعريف الموصول بصلته على الصحيح، وصلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ههنا عامٌّ غير واحد، فبسبب ذلك قرُبَ من النكرة فجاز أن يقع ﴿غَيۡرِ﴾ صفة له. ثمّ شبّهه[٥] بقوله:

---

١ ن: أجمعوا.

٢ من قوله: "أحلبني" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «حلب».

٣ د: قول.

٤ عجز بيت لبِشر بن أبي خازم، وصدره:

أشـارَ بهم لـمعَ الأصـمِّ فأقبلوا

وهو في ديوانه، ص١٠؛ و**الصحاح** للجوهري، «حلب». قال ابن منظور في شرح البيت: «قوله: لمع الأصمّ، أي: كما يُشير الأصمُّ بإصبعه... يقول: لا يأتيه أحدٌ ينصره من غير قومه وبني عمّه. وعَرانين: رؤساء». **لسان العرب**، «حلب».

٥ ن: شُبّه.

ولقد أمرُّ على اللئيمِ يَسُبُّني

(ولقد أمرُّ على اللئيم يَسبُّني) فمَضيتُ ثُمّتَ قلتُ لا يَعنيني[١]

فإنّه لمّا لم يُرِد[٢] لئيمًا بعينه ولا كلَّ اللِّئام حَكم بأنّ "يسبُّني" صفة له، فكذلك ﴿ٱلَّذِينَ﴾ لمّا لم يُرَد به[٣] قوم بأعيانهم جاز أن يكون غيرَ صفة له. والسبُّ: الشتمُ. وقوله: لا يَعنيني، أي: لا يُريدني، مِن عَناه يَعنيه: أراده، وقيل معناه: لا يُهمُّني جوابه. قال عليه السلام: «مِن حُسن إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يَعنيه»،[٤] أي: لا يُهمُّه. يصِف حلمه وإعراضه عن الجاهلين، وأنّه يمرُّ على اللئيم الذي يسبُّه ويقول: إنّه لا يريدُني بتلك المَسبّة. فقد قيل: أُذُن الكِرام عن الفحشاء صمّاء.

والوجه **الثاني**: أن تقول: إنّ ﴿غَيْرِ﴾ في هذا الموضع معرفة، وبيان ذلك أن تقول:

حُكم كلِّ مضافٍ إلى معرفة إضافةً معنويّة أن يكون معرفةً، وإنّما تنكّرت[٥] "غير" و"مثل" مع إضافتهما إلى المَعارف من أجل معناهما، وذلك أنّك إذا قلت: رأيتُ غيرَكَ، فكلُّ شيء ترى سوى المخاطب هو غيرُه، وكذلك إذا قلت: رأيتُ[٦] مثلَكَ، فما هو مثلُه لا يحصى، يجوز أن يكون مثلَه في خُلقه وخَلقه وعِلمه[٧] ونَسبه. وإنّما صارا نكرتين من أجل هذا المعنى، فأمّا إذا كان[٨] شيء معرفة[٩] له ضدٌّ واحد وأردتَ إثباته ونفي ضدِّه[١٠] وعلم ذلك السامع فوصفته بـ"غير"

---

١ مُختلَف في نسبته: فهو لرجل من سلول في **كتاب سيبويه**، ٢٤/٣؛ ولشِمر بن عمرو الحَنفي في **الأصمعيّات** للأصمعي، ص ١٢٦؛ ولعُمَيرة بن جابر الحنفي في **حماسة البحتري**، ص ٣٤٠. وانظر في الكلام على البيت **خزانة الأدب** للبغدادي، ٣٥٧/١.

٢ ن + بقوله.

٣ ن – لئيمًا بعينه ولا كلَّ اللِّئام حَكم بأنّ "يسبُّني" صفة له، فكذلك ﴿ٱلَّذِينَ﴾ لمّا لم يُرَد به.

٤ **موطّأ مالك**، ٤٨٧/٢ (٢٦٢٨)؛ **مسند أحمد**، ٢٥٦/٣ (١٧٣٢). بلفظ: «إنّ مِن حُسْن إسلام المرء، قِلّة الكلام فيما لا يَعنيه»؛ **سنن الترمذي**، ١٤٨/٤ (٢٣١٧).

٥ ن: نكّرت.

٦ ن – غيرَكَ، فكلُّ شيء ترى سوى المخاطب هو غيرُه، وكذلك إذا قلت: رأيتُ.

٧ ن: وعمله.

٨ ن – كان.

٩ ن: بمعرفة.

١٠ ن: هذه.

ولأنّ المَغْضوبَ عَلَيْهم والضَّالِّين خلافُ المُنْعَم علَيْهِم، فلَيْس في "غيْر" إذَنْ الإبهامُ الذي يأبى علَيْه أَنْ يتعرَّف.

وأضفتَ "غير"[1] إلى ضدِّه فهو معرفة، وذلك[2] نحو قولك: "عليكَ بالحركة غيرِ السكون" فـ"غير السكون" معرفة وهو الحركة، فكأنّك كرَّرتَ الحركة تأكيدًا، فكذا قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فـ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لا عقيبَ لهم إلا ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾،[3] وكلُّ من أُنعِمَ عليه بالإيمان فهو غيرُ المغضوبِ عليه، وكلُّ من لم يُغضَب عليه فقد أُنعِم عليه، فـ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم الذين أُنعِم عليهم، فهو مساوٍ[4] له / في معرفته.[5] هذا الذي يَسبق [٣٥ظ] إلى أفئدة الناس وعليه كلامهم.[6]

فمتى كانت[7] "غير" بهذه الصِّفة وقُصِد بها هذا القصد فهي معرفة، وإليه أشار بقوله: "فليس في 'غير' الإبهام الذي يأبى[8] عليه"، أي: على "غير"، "أن يتعرَّف"، أي: يصير معرفة. وكذلك لو عُرِف إنسان بأنّه مثلُك في ضرب من الضُّروب فقيل فيه: قد جاء مثلُك، لكان معرفة إذا أردتَ المعروف بشَبَهك. والنكرة والمعرفة بمعانيهما، وكلُّ شيء خلص لك بعينه من سائر أمّته فهو معرفة. ومَن جعل ﴿غَيْرِ﴾ بدلًا فقد استغنى عن هذا البيان؛ لأنّ النكرة قد تُبدل عن[9] المعرفة.

وحاصل الجوابين أنّه منع أوّلًا أنّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ معرفة، ثمّ منع ثانيًا أنّ ﴿غَيْرِ﴾ لا تتعرّف. فقوله: **(ولأنّ المغضوب)** عطف على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من حيث المعنى، فكأنّه قال:[10] إنّما صحّ[11] وقوع ﴿غَيْرِ﴾ صفة؛ لأنّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ لا توقيتَ فيه، ولأنّ المغضوب... إلخ.

---

١ ن – غير.
٢ ن: وهو.
٣ ن – ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فـ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لا عقيبَ لهم إلا ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.
٤ ن: ماو.
٥ ن: المعرفة.
٦ من قوله: "حكم كلّ مضاف" إلى هنا كلام لابن السَّرّاج، نقله عنه أبو عليّ الفارسي في **الحجّة**، ١٤٣/١-١٤٤. وأورد أكثره ابن عطيّة في **المُحرَّر الوجيز**، ٩١/١ (الفاتحة، ٧/١). والظاهر أنّ المصنِّف نقله بمعناه عن **الحجّة**.
٧ ن: كان.
٨ ن: يأتي.
٩ ن: من.
١٠ ن – قال.
١١ د: يصحّ.

وقُرئ بالنَصْب على الحال، وهي قراءةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعُمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، ورُوِيت عن ابن كَثِيرٍ، وذو الحال الضميرُ في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ والعاملُ ﴿أَنْعَمْتَ﴾.

وقيل: المَغْضوبُ عَلَيْهم هم اليَهُود؛ لقوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة ٦٠/٥] والضالُّون هم النَّصارَى؛ لقوله: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة ٧٧/٥].

قوله: (**وقرئ بالنصب**) هذه قراءة شاذّة.[١]

قوله: (**وهي قراءة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم**)[٢] جميع القراءات مرويّة عن رسول الله عليه السلام، وكان عليه السلام يَعرِض **القرآن** على جبرئيل عليه السلام في كلِّ عام مرّة، وكان يُنسَخ بعضها ويَبقى بعضها مِنَ الكلمات والقراءات، حتّى كان العام الذي قُبِض فيه عليه السلام، فإنّه عرَض فيه مرّتين، فما بقي في ذلك[٣] العَرْض[٤] هو المُتواتر المحكوم بأنّه من السبعة، وما سواه قد سُمع منه عليه السلام لكن صار منسوخًا، فربَّما سمعه سامع في الأوائل ويرويه عن الرسول عليه السلام، بناءً على أنّه بعد سماعه غاب من حضرة الرسول عليه السلام أو لم يَسمع بعد ذلك.

قوله: (**والعامل ﴿أَنْعَمْتَ﴾**) كأنّه قال: أنعمتَ عليهم لا مغضوبًا عليهم، أي: في[٥] حال انتفاء الغضب عنهم. قال في **الحُجّة**: يجوز أن يكون النصب على أعني. وقال: يجوز على الاستثناء.[٦] وأنا أقول: ينبغي أن يكون هذا الاستثناء منقطعًا لأنّ ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لا تتناول ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

قوله: (**وقيل: المغضوبُ عليهم**) عطف من حيث المعنى على قوله: (**على معنى أنّ المُنعَم عليهم**)... إلخ؛ لأنّ حاصل ذلك الكلام أنّ المراد

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش وابن محيصن وإبراهيم بن أبي عبلة والخليل عن ابن كثير. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩؛ **والمُغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٣٦٩.

٢ د - عليهم.

٣ ن: هذا.

٤ ن: العصر.

٥ ن - في.

٦ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١٤٢/١-١٤٣.

فإنْ قلتَ: ما مَعنى غَضَبِ اللهِ؟

من ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ جميعُ الكافرين، فإنّهم غضب الله عليهم وضلُّوا، فالمُنعَم عليهم هم الذين سَلِموا من الغضب والضلال. وحاصل هذا الكلام أنّ "المغضوبَ عليهم اليهودُ، لقوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ﴾ [المائدة ٦٠/٥]"، فهؤلاء اليهودُ، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة ٦٥/٢]. و"الضالُّون النصارى؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة ٧٧/٥]".

فيكون معنى الآية على الوجه **الأوّل**: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالإسلام ولم تَغضَب عليهم[١] ولم يَضلُّوا، فيكون السؤال عامًّا على التبرّي عن أنواع الكفر؛ وعلى الوجه **الثاني**: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالإسلام ولم تَغضَب عليهم كما غضبتَ على اليهود، ولم يَضِلوا عن الحقّ كما ضلَّتِ النصارى، فيكون الدعاء مقصورًا على التبرّي عن أهل هذين[٢] الكُفرين،[٣] وإذا تبرّى عنهم مع أنّهم من أهل الكتاب فعن غيرهم أولى.

قال الإمام: المشهور أنّ ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ اليهودُ، و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ النصارى. وقيل: هذا ضعيف؛ لأنّ مُنكري الصانع والمشركين أخبثُ دِينًا من اليهود والنصارى، فكان الاحتراز / عن دينهم أولى.[٤] وأقول:[٥] ما ذكرته آنفًا يصلح جوابًا عن هذا. ثمّ قال الإمام: [٣٦و]

> الأَولى أن يُحمَل المغضوبُ عليهم على كلِّ من أخطأ في الأعمال الظاهرة، وهم الفُسّاق؛ ويُحمَل الضالُّون على كلِّ من أخطأ[٦] في الاعتقاد، لأنّ اللفظ عامٌّ فتقييده خلاف الأصل. أو نقول: المغضوب عليهم الكُفّار، والضالُّون

---

١ د – صلّى الله عليه وسلم.
٢ ن: دين.
٣ ن: الكفر.
٤ انظر: **تفسير الرازي**، ٢٦٤/١ (الفاتحة، ٧/١).
٥ ن + إنّ.
٦ ن – في الأعمال الظاهرة، وهم الفُسّاق؛ ويُحمَل الضالُّون على كلّ من أخطأ.

قلتُ: هو إرادةُ الانتقام من العُصاة وإِنْزالِ العُقُوبةِ بهم، وأَنْ يَفْعلَ بهم ما يَفْعلُه المَلِكُ إذا غضب على مَن تَحْتَ يَدِه، نَعوذُ بالله من غضبهِ ونَسْألُه رضاه ورَحْمتَه.

فإنْ قلتَ: أيُّ فرقٍ بين ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الأولى والثانيةِ؟

المنافقون؛ لأنّه تعالى بدأ بذكر المؤمنين والثناء عليهم في "سورة البقرة" في خمس آيات، ثمّ أَتبعه بذكر الكُفّار وهو المراد من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة ٦/٢]، ثمّ أَتبعهم بذكر المنافقين بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة ٨/٢]. فكذا هنا بدأ بذِكر المؤمنين وهو قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ثمّ بذِكر الكفار وهو ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾، ثمّ بذِكر المنافقين وهو ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.[١]

قوله: **(وإنزالِ)** جَرٌّ عطفٌ على **(الانتقام)** وكذا **(أن يفعل)**. وإنّما حَمل الغضب على هذا المعنى؛ لأنّ معناه الحقيقي -وهو تغيُّر يحصل عنده غَليان دم القلب لشهوة الانتقام- يَستحيل على الله تعالى. فنقول: الغضبُ سبب إرادة الانتقام فأُطلِق السبب وأُريد[٢] المُسبَّب فيكون مجازًا. قال الإمام:

هنا قاعدة كُلّيّة وهي أنّ جميع الأعراض النفسانيّة، أعني: الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والغَيرة والمَكر والخِداع والاستهزاء لها أوائل ولها غايات. مثاله الغضبُ، فإنّ أوّله غَليان دم القلب، وغايتُه إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه، فلفظ الغضب في حقّ الله تعالى لا يُحمل على أوّله الذي هو غلَيان دم القلب، بل على غرضه الذي هو إرادة الإضرار. وأيضًا الحياءُ له أوّل وهو انكسار يحصل في النّفس، وله غرضٌ وهو ترك الفعل، فلفظ الحياء في حقِّه تعالى يُحمل على ترك الفعل لا على انكسار. وهذه قاعدة شريفة في هذا الباب.[٣]

ثمّ قال:

هنا سؤالٌ: ما الحكمة في أنّه تعالى جعل المقبولين طائفة واحدة وهم ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، والمردودين فريقين:[٤] ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾؟

---

١ انظر: تفسير الرازي، ٢٦٤/١-٢٦٥ (الفاتحة، ٧/١).

٢ ن + به.

٣ تفسير الرازي، ٢٦٥/١ (الفاتحة، ٧/١).

٤ ن: فرقتين.

قلتُ: الأولى محلُّها النَّصْبُ على المَفْعوليَّةِ، والثانيةُ محلُّها الرَّفْعُ عَلَى الفاعليّةِ.

والجواب: أمّا الذين كمَلتْ نِعمُ الله عليهم هم الذين جمعوا بين معرفة الحقّ لذاته والخير لأجل العمل به فهم المُرادون بالمُنعَم عليهم، فإن اختلَّ قَيدُ العمل فهم الفَسَقة وهم المغضوبُ عليهم، كما قال ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [النساء ٤/٩٣]، وإن اختلَّ قَيدُ العِلم فهم الضَّالُّون، لقوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس ١٠/٣٢].[١]

وأصل الضلال في اللغة: الغيبوبة، يقال: ضلَّ الماء في اللبن إذا غاب فيه، وضلَّ الكافر إذا غاب عن الطريق المستقيم، ومن هذا قوله تعالى: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة ٣٢/١٠]، أي: غبنا فيها بالموت وصرنا ترابًا.

قوله: **(الأُولى: محلُّها[٢] النصب على المفعولية)** ولو قيل: لا محلَّ لـ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الأولى والثانية، بل المجرور الأوّل محلُّه النصب والمجرور الثاني محلُّه الرفع لكان أَصوبَ؛ لأنّ الفعل تعلّق بالاسم المجرور بواسطة الجارّ، ففي محلّ النصب أو الرفع هو المجرور لا الجارُّ والمجرور. والذي ذكره[٣] المُصنِّف هو مثل ما قاله أبو علي في **الحُجّة** حيث قال:

كثيرًا ما يجتمع في الشيء الواحد الشَّبه من وجهين وأصلين، فمن ذلك حروف الجرّ في "مررتُ بزيد" ونحوه: هو[٤] من جهة بمنزلة جزء من الفعل، ومن أخرى بمنزلة جزء من الاسم: أمّا الجهة التي كان فيها بمنزلة جزءٍ من الفعل فلأنّه قد أنفذَ الفعل إلى المفعول وأوصله، كما أنّ الهمزة في نحو "أذهبتُه" قد فعلت ذلك، وكما أنّ تضعيف العين في "خرّجتُه" و"فرّحتُه" قد فعل ذلك؛ وأمّا كونه بمنزلة جزء من الاسم فهو أنّك قد عطفتَ[٥] عليه بالنصب في نحو "مررت بزيد وعَمرًا"، لمّا كان موضعُ الجارّ والمجرور نصبًا، ومن ثَمّ قدّمتَ الاسم في نحو "بمن تمرُرْ / أمرر به".[٦] [٣٦ظ]

---

١ **تفسير الرازي**، ٢٦٦/١ (الفاتحة، ٧/١).

٢ د ش ن: محله. | وأثبتُّ ما في مطبوع **الكشّاف** وما راجعته من أصوله.

٣ ن: ذكر.

٤ ن - هو.

٥ ن: عطفت.

٦ **الحجّة** لأبي علي الفارسي، ١٥٧/١.

فإنْ قلتَ: لمَ دخلت ﴿وَلَا﴾ في ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؟

قلتُ: لِمَا في "غَيْر" من مَعْنَى النفي، كأنَّه قيل: لا المَغْضوبِ عليهم ولا الضالين، وتقول: أنا زيدًا غَيْرُ ضارب، مع امتناعِ قولكَ: أنا زيدًا مِثْلُ ضارب،

هذا كلامه. وأنا أقول: لمّا ذكر أنّ الحرف أَوصلَ الفعل إلى المفعول لزم أن يكون محلُّ المجرور نصبًا لا محلَّ الجارّ والمجرور؛ لأنّ الجارَّ كالجزء من الفعل، والعطفُ الذي ذكره لم يتعيَّن أن يكون عطفَ المنصوب على الجارّ والمجرور؛[١] لجواز أن يكون على محلّ المجرور.[٢]

قوله: (**لِمَ دخلت "لا" في ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؟**) أي: مع أنّه لا منفيَ قبله، وإنّما يؤتى بـ"لا"[٣] بعد حرف العطف إذا كان قبله منفيٌّ، تقول: ما جاء زيد ولا عمرو، ولا يقال: جاء زيد ولا عمرو.

قوله: (**وتقول: أنا زيدًا**) هذا بيانُ أنّ في "غير" معنى "لا" النافية. وتقريره أن نقول: منَ الأصول المُقرَّرة عند النحاة أنّ وقوع المعمول في موضع لا يقع فيه عامله ممتنعٌ، مثاله قولنا: لم أضربْ زيدًا، فـ"زيد" معمول "أضرب"، فكما لا يجوز تقدُّم "أضرب" على "لم" لا يجوز تقدُّم[٤] "زيدًا" على "لم"، فلا يقال: زيدًا لم أضرب، ففي قولك: (**أنا زيدًا مثلُ ضارب**)، "مثل"[٥] مضاف إلى "ضارب" و"زيدًا" معمول "ضارب"، فكما لا يجوز تقدُّم "ضارب" على المثل؛ لأنّ المثل مضاف إلى الضارب،[٦] لا يجوز تقدُّم[٧] "زيدًا" على المثل.[٨] وعلى هذا الأصل كان ينبغي ألّا يجوز (**أنا زيدًا غيرُ ضارب**)؛ لأنّ "زيدًا" معمول "ضارب" ولا يجوز تقديم "ضارب" على "غير"؛ لأنّ غيرًا أُضيف إليه،

---

١ ن – لأنّ الجارّ كالجزء من الفعل، والعطفُ الذي ذكره لم يتعيَّن أن يكون عطفَ المنصوب على الجارّ والمجرور.

٢ ن + الذي ذكره لم يتعيَّن أن يكون عطفَ المنصوب على الجارّ والمجرور.

٣ ن – بـ"لا".

٤ ن: تقديم.

٥ ن – مثل.

٦ ن: ضارب.

٧ ن: تقديم.

٨ ن + الأول.

لأنّه بمنزلة قولك: أنا زيدًا لا ضاربٌ.

ولمّا جاز "أنا زيدًا غيرُ ضارب" عُلِم أنّ غيرًا مُتضمِّن معنى "لا" النافية، فكما جاز (**أنا زيدًا لا ضارب**) جاز ذلك أيضًا. قال في **الحُجّة**:

قال قوم: تقول: "أنت غير القائم ولا القاعد"، تريد وغير القاعد، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، قالوا: ولم يجيء هذا في المعرفة العَلَم، فلا يجوز "أنت غير زيد ولا عمرو"، وهذا وإن لم يُسمع كما قالوا فإنّه لا يَمتنع أن يُقاس فيُجوَّز على ما سُمِع، وذلك أنّ هذا إنّما جاء لِما في "غير" من معنى النفي، فكما أجازوا "أنا زيدًا غيرُ ضارب" لمّا كان المعنى معنى النفي فجعلوه بمنزلة حرفه، ولم يُجعل بمنزلة "مثل" وما كان نحوه من الأسماء المضافة، فكذلك يجوز أن يُجعل بمنزلة حرف النفي في المعرفة المُؤقَّتة فتُكرَّر معه "لا" كما كُرِّرت مع غير العَلَم.

فإن قلت: مِن الناس مَن يحمل[١] انتصاب "زيدًا" في "أنا زيدًا غيرُ ضارب" على مضمر ولا يحمله على "ضارب" هذا، كما لا يَحمله عليه إذا قال: "أنا زيدًا مثلُ ضارب"؛ قيل: إنّ حمله على المعنى وعلى ما في اللفظ من هذا العامل الظاهر أبينُ؛ لأنّهم قد جعلوا الكلام على المعنى في النفي في مواضعَ غيرِ هذا: ألا ترى[٢] أنّهم يقولون: "قلَّ رجل يقول ذلك إلا زيدٌ"، فجعلوا "قلَّ" وإن كان فعلًا بمنزلة الحرف النافي لمّا كان مثله، فكذلك "غير" إذا كان معناه النفي جُعِل بمنزلة حرف النفي، فلحقت "لا" معه كما تلحق "لا" مع حرف النفي. وقالو: "إنّما سِرتُ حتّى أدخلَها" فلم يجز الرفع بعد "حتّى"، كما لم يجز مع حرف النفي إذا قلتَ: "ما سِرتُ حتّى أدخلَها"، وذلك إذا احتُقر المَسير إلى الدخول. وقالوا: "نشدتُكَ الله إلا فعلتَ"؛ فإذا جازت في هذه الأشياء الثلاثة أن تجري مَجرى النفي فكذلك ما ذكرناه.

ومَن جعل "غير" استثناء لم يَمتنع على قوله دخول "لا" بعد الحرف العاطف،[٣] كما لم يمتنع في قولهم: "أنت غير القائم ولا القاعد"؛ وذلك أنّ الاستثناء يشبه النفي، ألا ترى[٤] أنّ قولك: "جاءني القوم إلّا زيدًا"

---

[١] ن: يجعل.
[٢] د: يُرى.
[٣] د: العاطفة.
[٤] د: يُرى.

....

بمنزلة قوله: "جاءني القوم لا زيد". ويجوز أن تجعلها زيادة في هذا الوجه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر ٣٥/٢٢]. وكذا يجوز زيادة "لا" في قول من جعلها حالًا.[١]

ثمّ قال في **الحُجّة**: ما معناه أنّ "لا" تقع في النكرة على أربعة أوجُه:

الوجه **الأوّل**: أن يكون زائدًا[٢] لفظًا ومعنى. قال جرير:

وقـد عَـلاكَ مَـشـيـبٌ حـيـنَ لا حـيـنِ[٣]

[٢٧و] لا فيه زائدة، / والتقدير: حينَ حينٍ؛ لأنّك إذا قلتَ: عَلاكَ مَشيبٌ حينًا فقد أثبتَّ حينًا علاه فيه المَشيب، فلو جعلتَ "لا" غيرَ زائدة لنفيتَ ما أثبتَّ حيث[٤] كان النفي بـ"لا" عامًّا مُنتظِمًا لجميع الجنس، فلمّا لم يَستقم حملُه[٥] على النفي حَكمتَ بزيادتها، فصار التقدير: حينَ حينٍ. وهذه الإضافة من باب "حَلقة فِضَّةٍ" و"خاتم حديدٍ"؛ لأنّ "حين" يقع على الزمان القليل كالساعة ونحوها. يدلُّ على ذلك قوله:

تُـطـلِّـقُـهـا حـيـنًـا وحـيـنًـا تُـراجِـعُ[٦]

ويقع على الزمان الطويل كقوله تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم ١٤/٢٥].[٧]

وأنا أقول:[٨] فالمراد بالحِين الثاني في قول جرير: الزمانُ الطويلُ، وبالحِين الأوّل: الزمانُ القصيرُ الذي يكون جزءًا من أجزائه، فكأنّه قيل: عَلاكَ مَشيب

---

١ انظر: **الحُجّة لأبي علي الفارسي**، ١/١٦١-١٦٣.
٢ ن: زيدًا.
٣ صدره:
ما بالُ جهلكَ بعد الحِلم والدين
والبيت في **ديوانه**، ص ٥٥٧؛ و**كتاب سيبويه**، ٢/٣٠٥؛ و**شرح الرضي على الكافية**، ٢/١٦٣.
٤ ن: حين.
٥ ن: جمعه.
٦ عجز بيت للنابغة الذُّبياني يذكر حيّة لَدغت رجلًا، وصدره:
تناذرَها الراقون من سُوء سَمِّها
والبيت في **ديوانه**، ص ٣٤. برواية «تُطلِّقه طورًا وطورًا تُراجعُ». | و«تناذر القوم كذا، أي: خوَّف بعضهم بعضًا». **الصحاح** للجوهري، «نذر». وتُطلِّقه: تفارقه. **شرح شواهد الإيضاح** لابن بري، ص ١٥٢. «يعني أنّ السَّمَّ يخفُّ ألمه وقتًا ويعود وقتًا». **المُغرِب** للمُطرِّزي، «حين».
٧ انظر: **الحُجّة لأبي علي الفارسي**، ١/١٦١-١٦٣.
٨ ن: وأما قول.

في ذلك الزمان المُعيَّن من الشهر الفلاني أو السَّنة الفلانية لِما ورد عليه في ذلك الزمان من غمٍّ أو بلاءٍ ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل ١٧/٧٣].

ثمّ قال أبو عليّ: «فصار "حينَ حينٍ" كقول الآخر:

ولــولا يــومُ يــومٍ[١] مــا أَرَدْنــا جــزاءكَ والقُــروضُ لهــا جــزاءُ»[٢]

وأنا أقول: اليومُ في البيت بالمعنى اللغويّ وهو الوقت طويلًا كان أو قصيرًا، والمراد باليوم الأوّل الزمان القصير وبالثاني الطويل، وفي الكلام حَذفٌ، أي: لولا ما صدر منك في ذلك الزمان المُعيَّن من الشهر الفُلاني لَما جازيناكَ، لكن ما فعلتَ في ذلك الزمان كالقَرض فلا بدَّ له من جزاء، ويَحتمل أن يكون المرادُ باليوم[٣] الأوّل الحربَ الذي كان بينهم، فإنّه يُذكَر اليوم ويُراد به الحرب، وعلى هذا لا يكون البيت ممّا ذكره أبو عليّ في **الحُجّة**.

الوجه الثاني من الوجوه الأربعة: أن يكون غيرَ زائد[٤] وهو على ضربين: الأوّل أن يكون "لا" مع الاسم بمنزلة اسم واحد نحو "خمسةَ عشرَ"، كقولهم: "غضِبتَ من لا شيءٍ" و"جئتَ بلا مالٍ" فـ"لا" مع الاسم المذكور[٥] في موضع جرٍّ[٦] بمنزلة "خمسةَ عشرَ"؛ والضرب الثاني أن يُنصَب الاسم بـ"لا"[٧] لإضافته[٨] نحو:

حنّتْ قَلوصي حينَ لا حينَ مَحنّْ[٩]

وليس هذا كقوله:

وقد عَــلاكَ[١٠] مَشيبٌ حينَ لا حينِ[١١]

---

١ ن: يومك.

٢ **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١٦٦/١. والبيت للفرزدق في ديوانه، ٩/١. انظر: كتاب سيبويه، ٣٠٣/٣؛ وشرح الرضي على الكافية، ١٤٤/٣؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ٤٤٠/٦.

٣ ش: بيوم.

٤ ن: زائدة.

٥ ن: المنكر.

٦ ن: جزء.

٧ ن - بـ"لا".

٨ ن: بالإضافة.

٩ الرجز للعجّاج في مطبوع كتاب سيبويه، ٣٠٤/٢. وممّا يُشكل ههنا قول البغدادي فيه: «هذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يُعرف قائلها ولا تتمّة لها». **خزانة الأدب**، ٤٧/٤. وليس في ديوانه ولا في مُلحقاته.

١٠ ن: علاه.

١١ مضى تخريجه آنفًا.

....

لأنّه في قوله: "حينَ لا حينَ محنُّ" نافٍ حينًا مخصوصًا لا ينتفي[1] بنفيه جميعُ الأحيان، كما كان ينتفي بالنّفي العام جميعها، فلم يلزم أن تكون "لا" زيادة في هذا البيت، كما لزم زيادتها في "حينَ لا حينِ".[2]

وأنا أقول: المَحَنُّ مصدر ميميٌّ بمعنى الحنين، والحنين: الشوق وتَوَقان النفس، «وحنينُ المرأة: نِزاعها إلى ولدها وإن لم يكن لها عند ذلك صوت، وقد يكون حنينها صوتَها، وعلى هذا ما جاء في الحديث من[3] حنين الجِذْع».[4]

والوجه الثالث: ألّا تعمل "لا" في اللفظ ويُرادَ بها معنى النفي، فتكون صورتها صورةَ الزيادة ومعنى النفي فيه مع هذا صحيح، كقول النابغة:

أمسَى ببلدةٍ لا عَمٍّ ولا خالِ[5]

وقول الشَّمّاخ:

إذا ما أَدلَجتْ وصَفتْ يداها   لها إدلاجَ ليلةٍ لا هُجوعِ[6]

وأنا أقول: الإدلاج بالتخفيف: السير من أوّل الليل. والهُجوع: النوم ليلًا. يصفُ ناقة بحُسن السير في الليل، يعني: إذا سارت في الليل تصِفُ[7] يداها وتُبيِّن سيرَ الليل أنّه كيف يكون وكيف ينبغي أن يكون. وفيه مبالغة، أي: حُسن السير إنّما يُعلم من سَيرها، كقولهم: يَصف وجهُه الحُسنَ، يعني: مَن نَظر إلى وجهه يعلم أنّ الحسنَ كيف يكون، فكأنّ وجهه يصِف للناس الحُسنَ؛ لأنّه في غاية الحُسن،[8] ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل ٦٢/١٦].

والوجه الرابع: أن تعمل في اللفظ ولا يُرادَ[9] بها معنى النفي. أنشد أبو الحَسن:

---

١ ن: لأنّه نفي.
٢ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١٦٦/١-١٦٧.
٣ ن - الحديث من.
٤ **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «حنّ». | والحديث الذي أشار إليه ابن فارس في **مسند أحمد**، ٢٢٧/٤ (٢٤٠٠)؛ و**صحيح البخاري**، ١٩٥/٥ (٣٥٨٣).
٥ عجز بيت، صدره:
بعد ابن عاتكةَ الثاوي لدى أبوى
وهو في **ديوان النابغة**، ص ١٨٨؛ و**شرح الحماسة** للمرزوقي، ص ٩١٠.
٦ انظر: **الحجّة** لأبي علي الفارسي، ١٦٧/١-١٦٨. | **ديوان الشمّاخ**، ص ٢٢٦.
٧ د ش: يصف؛ ن - تصف.
٨ ن - الحسن.
٩ ن: ويُراد.

وعن عمرَ وعليٍّ رضي الله عنهما أنهما قرءَا: "وغَيْرِ الضالين".

وقرأ أيُّوب السُّخْتِيَانيُّ: "ولا الضَّأْلِّين" بالهمز، كما قرأ عَمْرُو بن عُبيْد: "ولا جَأْنٌّ"، وهذه لغةُ مَن جَدَّ في الهرب من الْتِقاء الساكنَين، ومنها ما حكاه أبو زيد من قولهم: شَأَبَّةٌ ودَأَبَّةٌ.

"آمينَ" صوتٌ سُمِّي به الفِعْلُ الذي هو: اسْتَجِبْ، ....

لو لم تكنْ غَطفانٌ لا ذُنوبَ لها إليَّ لامَتْ ذوو أحسابها عُمَرا[١]

أقول: معناه[٢] لو لم تكن[٣] لقبيلة غَطفان ذُنوب وعُقوبات في حقِّي بحيث تستحقُّ أنْ[٤] تُعاتب[٥] عليها لَلامتْ ذوو شرف تلك القبيلة عمرَ على / ما فعل بها. [٣٧ظ]
وهذا البحث كثير الفوائد، يُظهر لك جواز الجرِّ والبناء على الفتح في مثل قول المُصنِّف في أوّل التسمية: «وإلّا كان فعلًا كلا[٦] فعلٍ»،[٧] وكذا في قول صاحب **الحاوي**: «تخلَّلتْ بلا عينٍ».[٨]

قوله: **(وعن عمرَ وعليٍّ رضي الله عنهما)**[٩] هذه القراءة والتي بعدها شاذّة.[١٠] و**(السَّخْتِيانّي)** بالخاء المعجمة والتاء بعدها؛ وإنّما ذكرتُ ذلك لأنّه توهَّم بعضهم أنّه السِّجستانيُّ بسينين وجيم بينهما.

قوله: **(ومنها)** أي: مِن لغة مَن جَدَّ.[١١]

قوله: **("آمين" صوت)** إنّما سُمِّيَ أسماءُ الأفعال أصواتًا؛ لأنّ مدلولها لفظ كما أنّ مدلول الأصوات لفظ.[١٢]

---

١ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١٦٨/١-١٦٩. | والبيت للفرزدق في ديوانه، ٣٦٩/١. انظر: **خزانة الأدب** للبغدادي، ٣٠/٤.
٢ ن – معناه.
٣ ن + معناه.
٤ ن – أن.
٥ ن: يعاقب.
٦ ن: كلما.
٧ **الكشّاف** للزمخشري، (الفاتحة، ١/١).
٨ **الحاوي الصغير** للنجم القزويني، ص ١١٨.
٩ د – رضي الله عنهما.
١٠ انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٥؛ و**المُغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٣٧٠.
١١ ن: جر.
١٢ انظر تفصيل هذا المعنى في **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٥٤/١. ونقله عنه الطيبيُّ في **فتوح الغيب**، ٧٦٧/١.

كما أَنَّ "رُوَيْدَ" و"حَيَّهلَ" و"هَلُمَّ" أَصْواتٌ سُمِّيَتْ بها الأفعالُ التي هي: أَمْهِلْ وأَسْرِعْ وأَقْبِلْ.

وعن ابن عَباسٍ رضي الله عنهما: سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن مَعْنَى آمين فقال: «اِفْعَلْ».

وفيه لغتان: مَدُّ أَلِفِه وقَصْرُها، قال:

يا رَبِّ لا تَسْلِبْني حُبَّها أبدًا   وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قالَ آمِينَا

قوله: (**كما أنّ "رُويدَ"**)... إلخ، فيه لفٌّ ونشرٌ، وهو ظاهر.

قوله: (**ويَرحمُ الله**)... البيت. حُكِيَ أنّ قائل هذا البيت قَيس المجنون، فإنّه لمّا اشتدَّ أمره في حُبِّ ليلى أشار الناس على أبيه ببيت الله الحَرام، وإخراجه إليها والدعاء له، فعسى الله أن يُسلِّيَه[1] عنها ويُعافيَه، فذهب به أبوه إلى مكّة وأراه المَناسك، فأنشأ يقول:

ذكرتُكِ والحجيجُ لهم ضجيجُ   بمكّةَ والقلوبُ لها وجيبُ
فقلتُ ونحن في بلدٍ حَرامٍ   به لله أَخلصَتِ القلوبُ
أَتوبُ إليكَ يا رحمنُ ممّا   عمِلتُ فقد تظاهرتِ الذُّنوبُ
وأمّا من هوى ليلى وحُبّي   زيارتَها فإنّي لا أتوبُ
وكيفَ وعندها قلبي رَهينٌ   أتوبُ إليكَ منها أو أُنيبُ[2]

ثمّ ذهب به إلى باب الكعبة لِيدعوَ الله لعلَّه يُخفِّف عنه حبَّ ليلى، فأخذ بحَلْقة الباب وقال:[3]

يا ربِّ إنّكَ ذو مَنٍّ ومغفرةٍ   بَيِّتْ بعافية ليلَ المُحبِّينا
الذاكرينَ الهوى مِن بَعد ما رقدوا   والنائمين على الأيدي مُكبِّينا[4]
يا ربِّ لا تَسلُبَنّي حُبَّها أبدًا   (**ويَرحمُ الله عبدًا قال آمينا**)[5]

---

١ د: يَسلُبه.

٢ **ديوان مجنون ليلى**، ص ٥٣. وفيه «به والله أخلصت القلوب».

٣ د - وقال.

٤ ن: لبينا.

٥ **ديوان مجنون ليلى**، ص ٢١٩. وفيه «الساقطين على الأيدي المُكبِّينا». وقد يُنسب البيت الأخير لعُمر بن أبي رَبيعة. انظر: **إسفار الفصيح** للهَروي، ص ٨٤٩. ونَسب الهَروي البيت إلى مجنون ليلى في كتابه **التلويح في شرح الفصيح**، ص ٨٦.

وقال:

أمِيـنَ فـزادَ اللهُ مـا بَيْـنـنَـا بُـعْـدَا

وأوّل البيت الثاني:

تـبـاعَـدَ عـنّـي فَـطْـحَـلٌ إذ رأيـتُـه (أمينَ)... البيت.[١]

وفَطحَل في هذا البيت بفتح الفاء والحاء: اسمُ رجل.[٢] وأمّا الفِطَحْل بوزن قِمَطْرٍ[٣] فقال الجرميُّ: سألتُ أبا عُبيدة عنه[٤] فقال: الأعرابُ تقول: هو زمنٌ كانتِ الحجارة فيه رَطبة.[٥] وأنشد للعَجّاج:[٦]

وقـد أتـاه زمـنَ الـفِـطَـحْـلِ والـصخـرُ مُـبتـلٌّ كطيـن الـوَحـلِ[٧]

وقال صاحب المُجمَل: الفِطَحْلُ: دهرٌ لم يُخلَقِ الناسُ بعدُ.[٨] ومعنى البيت أنّ القائل استمنحَه،[٩] فما منحه وتباعَد عنه، فدعا عليه بالبُعد. و"أمينَ" هنا بالقَصر. وقوله:[١٠] "ما بيننا" "ما" موصول[١١] صلته "بيننا"،[١٢] وهو المفعول الأوّل، و"بعدًا"[١٣] المفعول الثاني. والمراد بـ"ما بيننا" المسافة أو الفراق، أي: زاد الله المسافة[١٤] التي بيننا بُعدًا. و"أمينَ" بتقدير[١٥] التأخير، أي: زاد الله ما بيننا بُعدًا أمينَ.

---

١ البيت لجُبير بن الأضبط في التلويح في شرح الفصيح للهروي، ص ٨٦؛ وتهذيب إصلاح المنطق للتبريزي، ص ٤٣٩؛ وشرح الفصيح للخمي، ص ٢٤٤. وهو بلا عزو في معاني القرآن وإعرابه للزّجاج، ١/٥٤؛ وإصلاح المنطق لابن السِّكّيت، ص ١٧٩؛ والصحاح للجوهري، «فطحل»؛ وشرح الفصيح للزمخشري، ص ٦٥٠.

٢ انظر الصحاح للجوهري، «فطحل». قال الهروي في هذه اللفظة من البيت: «فَطحَل بفتح الفاء والحاء: اسم رجل، ويقال: فُطحُل بضمّهما». إسفار الفصيح، ص ٨٤٨. وذكر الوجهين فيها الزمخشري في شرح الفصيح، ص ٦٥٠.

٣ ن: قطر. | وللفظة قِمَطْر جُملة من المعاني: منها: الجَمل القوي السريع، والرجُل القصير الضخم، وما تُصان فيه الكتب، وغيرها. انظر: لسان العرب لابن منظور، «أبي».

٤ ن: منه.

٥ انظر: الصحاح للجوهري، «فطحل».

٦ ن: العجّاج.

٧ ن: الرجل. | والبيتان يُنسبان إلى العجّاج كما في الصحاح للجوهري، «فطحل». وفيه «وقد أتانا». ونسبهما الجاحظ للعَجّاج أو لابنه رؤبة في الحيوان، ٤/٢٠٢. انظر تفصيل الكلام عليهما في حواشي محقق ديوان العَجّاج، ٢/٣٥٨. وهما لابنه رؤبة في ديوانه، ص ١٢٨. والأوّل فيه:

أو عُـمُـرَ نُـوحٍ زمـنَ الفِـطَـحْـلِ

٨ انظر: مُجمَل اللغة لابن فارس، «فطحل» ص ٧٢٤.

٩ ش ن: استمحنه.

١٠ ن: قوله.

١١ ن: موصولة.

١٢ ن - بيننا.

١٣ ن: وبعد.

١٤ ن - أو الفراق، أي: زاد الله المسافة.

١٥ ن: تقدير.

....

قوله:[١] (وفيه) أي: في "آمين" لغتان: وأصلُه القصر ليكونَ على وزن فعيل، وأمّا "آمين" بالمدّ[٢] فوزنه[٣] فاعيل، وليس هذا البناء من أبنية كلام العرب، وإنّما هو من بناء كلام العجم كقابيل وهابيل.[٤] ووجهه أنّه أشبع فتحة الهمزة فتولّدت منها ألف،[٥] كقراءة حمزة ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾[٦] [طه ٧٧/٢٠]، والوجه "لا تَخْشَ" لأنّه معطوف على ﴿لَا تَخَفْ﴾، وتولّدت الألف من إشباع فتحة الشين.[٧] قال ابن هَرْمة:[٨]

وأنتَ مِن الغوائل حينَ تُرمى ... ومِن ذمّ الرجال بِمُنتزاحِ[٩]

والمُنتزَح: المَبعَد. وكذا الضمة والكسرة تُشبعان فيَلحقهما الواو والياء. أنشد أحمد بن يحيى:

وإنّني حَوْثُما يَثني الهوى بصري ... من حَوْثُما سَلكوا أثني فأنظُورُ[١٠]

حَوْثُ لغة في حيثُ. ويَثني، أي: يَصرف. وفأنظُورُ أصله: فأنظُر، فأُشبع الضمّة. ومن إشباع الكسرة قول الشاعر:

لمّا نَزلنا نَصبنا ظِلَّ أَخبيةٍ ... وفار للقوم باللحم المَراجيلُ[١١]

---

١ ن - قوله.

٢ ن - بالمدّ.

٣ ن: بوزن.

٤ ذهب إلى هذا أبو الحسن الأخفش، وفصَّل أبو علي الفارسي في عَرض مذهبه في ذلك وردِّه. انظر: **المسائل الحلبيّات**، ص ١١٠-١١٤؛ و**شرح الفصيح** للخمي، ص ٢٤٦. وذكر ابن السّكيت أنّ "آمين" بالمدِّ لغة بني عامر. انظر: **إصلاح المنطق**، ص ١٧٩. وعند ابن الجبّان أنها ليست عربية في لُغتيها. انظر: **شرح الفصيح** له، ص ٢٩٨.

٥ ذهب إلى هذا أبو علي الفارسي، واستشهد ببيت ابن هَرْمة وبما أنشده أحمد بن يحيى ثعلب على إشباع الحركات. انظر: **المسائل الحلبيّات**، ص ١١٢؛ و**شرح الفصيح** للخمي، ص ٢٤٥.

٦ انظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ٤٢١؛ و**التيسير** للداني، ص ٤٣٣؛ و**النشر** لابن الجزري، ٣٢١/١.

٧ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، واستشهد على الإشباع ببيت ابن هرمة وبغيره، ٢٣٩/٥-٢٤٠.

٨ ن: برهة.

٩ البيت في **ديوانه**، ص ٨٧. وانظر تخريج محققه.

١٠ البيت لإبراهيم بن هَرْمة في **ديوانه** ص ١١٨. وتمام تخريجه في عمل محقّقه.

١١ البيت لعَبْدة بن الطبيب في **ديوانه**، ص ٧٣. وانظر تخريج محقّقه. ورواية الشطر الأوّل في الديوان:

لمّا وردنا رفعنا ظلّ أرديةٍ

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لَقّنني جبريل آمين عِنْدَ فَراغِي مِنْ قِرَاءة فَاتِحَةِ الكتابِ وقال: إنَّه كالخَتْمِ على الكتاب»، وليسَ مِن القرآنِ بدَليل أنّه لم يُثبَتْ في المَصاحِفِ.

وعَن الحسَنِ: لا يقولُها الإمامُ لأنّه الداعي.

وعن أبي حنيفة رضي الله عنه مِثْلُه، والمشهورُ عنه وعن أصحابه أنه يُخْفِيها.

ورَوى الإِخْفاءَ عَبْدُ الله بنُ مُغَفَّلٍ وأنسٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والأخبية: جمع الخِباء يكون من وبر أو صوف ولا يكون من شعَر، فهو على عمودين أو ثلاثة، وما فوق ذلك فهو بيت. وفارتِ القِدر تفوُر فورًا وفوَرانًا: جاشت. والمِرجَل: قِدر من نحاس، / وجمعه المَراجِل، أُشبعتِ الكسرة فتولَّدتِ الياء. [٢٨و]

قوله: (**وعن النبيّ عليه السلام**) اعلم أنّه[1] يُستحبُّ للقارئ أن يقول بعد قراءة الفاتحة: آمين، مع سكتةٍ على نون ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ لِيتميَّز ما هو قرآن ممّا ليس بقرآن.

قوله: (**وقال: إنّه**)، يعني: قال جبرئيل[2] عليه السلام للنبيّ عليه السلام: إنّ "آمين" للفاتحة (**«كالخَتم على الكتاب»**).[3] والكتاب: المكتوب، ومنه: كرَمُ الكتابِ خَتمُه.

قوله: (**وليس من القرآن**) ابتداءُ كلامٍ مِن المُصنِّف.

قوله: (**في المصاحف**) يعني أنّ "آمين" لم يُكتب في مُصحف عثمان وعليّ وابن مسعود وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قوله: (**لا يقولها**) أي: كلمة "آمين".

قوله: (**أنّه**) أي: الإمام يُخفي كلمة "آمين".

---

١ ن – أنّه.

٢ ش ن: جبريل.

٣ انظر تفصيل الكلام عليه في تخريج أحاديث الكشّاف للزَّيلعي، ٢٧/١؛ والكافي الشافي لابن حَجر، ص ٣.

وعند الشافعي رحمه الله: يَجْهَرُ بها، وعَن وَائل بن حُجْرٍ: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: «آمينَ» ورَفع بها صَوْتَه.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لِأبيِّ بنِ كعْبٍ: «ألَا أُخْبِرُكَ بسُورةٍ لم يُنْزَلْ في التَّوْرَاةِ والإِنْجيل والقرآنِ مِثْلُها؟» قلتُ: بلى يا رسولَ الله! قال: «فاتحةُ الكتاب؛ إنها السبعُ المثاني والقُرْآنُ العَظيمُ الذي أُوتِيتُه».

وعَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمانِ رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ القَوْمَ لَيَبْعثُ اللهُ علَيْهم العَذابَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، فيَقْرأُ صَبيٌّ مِنْ صِبْيَانهم في الكُتَّاب ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ....

قوله عليه السلام: («إنّها السبع المَثاني»). قد عرفتَ وجه تسمية "الفاتحةِ" بالسبع المَثاني. وسُمِّيت القرآنَ العظيم؛ لاشتمالها على المعاني التي في القرآن كما مرَّ.[1] وقوله عليه السلام: («الذي أُوتيتُه»)[2] للمبالغة، فكأنّه قال عليه السلام: («القرآن العظيم»)[3] الذي تعلمون أنّي أُوتِيتُه فهو هذه "الفاتحة".

قوله عليه السلام: («حتمًا») الحَتم هنا: القَضاء، وجمعه حُتُوم. قال أميَّة بن أبي الصَّلت:

عِبادُكَ يُخطِئون وأنتَ ربٌّ بكفَّيكَ المَنايا والحُتومُ[4]

قوله:[5] («في الكُتَّاب») «أَكتبَ الغلامَ وكتَّبه: علَّمه الكتاب، ومنه سلَّم غلامَه إلى مُكتِبٍ، أي: إلى مُعلِّم[6] الخطِّ، رُويَ بالتخفيف والتشديد».[7] «قال الحسنُ:

---

١ أورد الجاربردي هذه التسميات وأسبابها في مفتتح سورة الفاتحة.

٢ ن - لاشتمالها على المعاني التي في القرآن كما مرَّ. وقوله عليه السلام: («الذي أُوتيتُه»).

٣ سنن الترمذي، ٥/٥ (٢٨٧٥). وهو بلفظ قريب في مسند أحمد، ٢٤/٥٠٥-٥٠٦ (١٥٧٣٠)؛ وصحيح البخاري، ٦/١٧ (٤٤٧٤). وفيهما من حديث أبي سعيد بن المُعلّى. وانظر تفصيل الكلام عليه في تخريج أحاديث الكشّاف للزَّيلعي، ١/٢٨؛ والكافي الشافي لابن حَجر، ص ٣.

٤ البيت في ديوان أميّة، ص ٤٨١. وانظر ما جمع محققه في تخريجه والكلام على روايته. والبيت مع ما قبله في الصحاح للجوهري، «حتم».

٥ ن - قوله.

٦ ن: متعلم.

٧ المُغرِب للمطرزي، «كتب».

فَيَسْمَعُه اللهُ تعالى فيَرْفَع عَنْهم بذلك العذابَ أَرْبعينَ سَنَةً».

كانَ الحَجّاج مُكْتِبًا بالطائف، يعني: مُعلِّمًا».[1] «وأمّا **الكُتَّاب والمَكتب** فمكان التعليم، والجمع الكتاتيب. وقيل: الكُتَّاب: الصِّبيان».[2] «قال ابن الأعرابيّ: **الكاتب** عندهم العالِم. قال تعالى: ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ [الطور ٥٢/٤١]».[3]

قوله عليه السلام: («**فيَسمعُه**»)،[4] أي: يَقبله ويَرتضيه، مَجاز من باب إطلاق السبب على المُسبَّب، كقولك: "سمعَ اللهُ لِمَن حَمِده"، أي: أجاب لِمَن دعاه.

---

١ الصحاح للجوهري، «كتب».
٢ المُغرِب للمطرزي، «كتب».
٣ الصحاح للجوهري، «كتب».
٤ ن - فيسمعه. | انظر تفصيل الكلام عليه في تخريج أحاديث الكشّاف للزّيلعي، ٣٠/١؛ والكافي الشافي لابن حَجر، ص ٣.

سورة البقرة

مَدنيَّةٌ، وَهي مئتَانِ وَسَبْعٌ وَثمانونَ آيَةً كوفية.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿الٓمٓ ①﴾

اعلم أنَّ الألفاظ التي يُتَهَجَّى بها أَسْماءٌ مُسَمَّياتُها ....

سورة البقرة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿الٓمٓ﴾.

قوله: (**اعلم أنّ الألفاظ التي يُتهجَّى بها**) يُريد أن يُبيِّن[1] أنّ قولهم: "ألف با تا" إلى آخرها (**أسماءٌ**)، ومعانيها حروف وهي: "أَ بَ تَ"... إلى آخرها، ليلزمَ من ذلك أن تكون فواتحُ السوَر -نحو ﴿الٓمٓ﴾، و﴿الٓر﴾ [يونس ١/١٠]، و﴿صٓ﴾ [ص ١/٣٨]، إلى غير ذلك- في الأصل أسماءً، (**مُسمَّياتُها**) ومدلولاتُها "حروفٌ"، ثمّ يتدرَّج بعد ذلك إلى وجه وقوع تلك الأسماء فواتح السوَر. يقال: هجوتُ الحرف هَجوًا وهِجاءً،[2] وهجَّيْتُها تَهجِئة،[3] وتَهجَّيتُها تهجِّيًا، كلُّها بمعنى واحد، وذلك المعنى هو تعديد الحروف بأسمائها. فإذا أردت تعديد هذه الحروف، وهي "جَ دَ عَ" مثلًا، قلتَ: "جيم دال عين"، فتعديد هذه الحروف بتلك الأسماء هو التهجِّي، كما إذا كان أشخاص من الأناسيّ ولهم أسماء كزيد وعمرو وبكر مثلًا،

---

١ ن – أن يبيّن.
٢ ن + وهجاء.
٣ ن – تهجئة.

الحروفُ المَبْسوطةُ التي منها رُكِّبَتْ الكَلِمُ، فقولك: ضادٌ، اسمٌ تُسمَّى به ضَه مِن "ضَرَبَ" إذا تَهجَّيْتَه، وكذلك: رَا با، اسْمانِ لقولكَ: رَه بَه.

وتَريد تعديد تلك الأشخاص، فإنّما[1] تُعدِّدها بذكر الألفاظ الموضوعة لها، فإذا قلتَ: زيدٌ بكرٌ عمرٌو فقد عدَّدتَ تلك الأشخاص بأسمائها.

قوله: **(المَبسوطة)** أي: المُفردة المَنثورة، وسُمِّيت مبسوطة؛ لأنّها بسيطة غير مُركَّبة من حروف أخرى. أو نقول لمّا كانتِ الكلمات مُركَّبة من تلك[2] الحروف سمّى تلك الحروف بسائطَ، أي: أجزاءَ المُركَّبات. وقد ألَمَّ المُتنبّي بهذا المعنى حيث قال:

حُروفُ هجاءِ[3] النـاسِ فيه ثلاثةٌ   جَـوادٌ ورُمـحٌ ذابـلٌ وحُسـامُ[4]

والضمير من قوله: "فيه" يعود إلى الجيش. ذَكر في الأبيات المُتقدِّمة أنّه يَبعث الجيش إلى الأعداء للمُحاربة كما يَبعث غيرُه المكتوب للرسالة، فهذا الجيش قائم مقام المكتوب، لكن[5] حروف هجائه: الجَوادُ والرُّمحُ والحُسامُ، يعني: كما تتركَّب الكلمات من حروف الهجاء يتركَّب جيشه من هذه الأشياء الثلاثة.

قوله: **(إذا تَهجَّيتَه)** ظرف لقوله: **(يُسمّى)**، وهو من التسمية، مصدر / قولهم: سمّيتُ زيدًا، أي: ذكرتُه، لا من التسمية التي[6] بمعنى وضع الاسم للمُسمّى. والضمير من "تهجَّيتَه" عائد إلى "ضَهْ"، يعني: إذا أردتَ أن تَذكر **(ضَهْ مِن: ضرب)** تقول: **(ضاد)**؛ لأنّ طريق ذِكر الشيء هو ذِكر لفظه الموضوع له، وكذا في غيره. ولا يَحسن أن يقال: ضمير "تهجَّيتَه" عائد إلى "ضاد"؛ لأنّه يقال: تهجَّيتُ الحرف، ولا يقال: تهجَّيتُ الاسم. وينبغي ألّا يُلفَظ بالهاء في "ضَهْ" من "ضرب"، وإنّما كُتبتِ الهاء؛ لأنّ الواقف عليها يقف بالهاء، ومَبنى الكتابة على الوقف.[7] [٣٨ظ]

---

١ ن: فإنّها.

٢ ن - تلك.

٣ ن: الهجاء.

٤ البيت في شرح الواحدي لديوان المتنبي، ١٥٢٤/٣.

٥ ن: كان.

٦ ن + هي.

٧ ن: الوقوف.

وقد رُوعيَتْ في هذه التَّسْمِيَةِ لَطِيفَةٌ، ....

قوله: **(قد رُوعيَتْ في هذه التسمية لَطيفة)** وتلك[١] اللطيفة هي رِعاية المُناسبة بين اللفظ والمعنى. واعلم[٢] أنّ العلماء اختلفوا في أنّ دلالة الألفاظ على معانيها: هل هي لأجل المُناسبة الذاتيّة بين اللفظ والمعنى؟ أو لا لذلك،[٣] بل لأجل الوضع: وهو تخصيص الألفاظ بالمعاني. والأوّل باطل؛ لأنّه لو كانت المُناسبة الذاتيّة مُتحقِّقة بين اللفظ والمعنى لَامتنع نقل اللفظ من مدلوله الحقيقيِّ إلى المَجاز، ولَامتنع ألّا تدلَّنا[٤] الألفاظ الهِنديّة على معانيها؛ لأنّ ما بالذات لا يَزول، فهي لأجل الوضع. لكنّ الواضع لمّا أراد تخصيص الألفاظ بالمعاني راعى الخواصَّ التي في الحُروف كالجَهر والهَمس والشِّدة والرَّخاوة: فوَضَع الفَصْمَ -بالفاء الذي هو حرف رِخو- لكسر الشيء من غير أن يَبين، والقَصْمَ -بالقاف الذي هو[٥] حرف شديد- لكسر الشيء حتَّى يَبين؛ ووضع الثلْمَ -بالميم الذي هو حرف خفيف ما بَينيٌّ- للخَلَل في الجِدار، والثلْبَ -بالباء[٦] الذي هو حرف شديد- للخَلَل في العِرْض؛ ووَضَع الزفير -بالفاء- لصوت الحمار، والزئير -بالهمز الذي هو شديد- لصوت الأسد. وكذا راعى الخَواصَّ التي في التراكيب: فوضع النَّزَوان والحَيَدَى -بالتحريك- لِمَا فيه تحرُّك واضطراب. وحمار حَيَدَى، أي: يحيد عن ظِلِّه لنشاطه، ويقال: كثير الحُيود، ولم يجئ في نُعوت المُذكَّر شيء على فَعَلى غيره؛ ولذلك لم يُعِلَّ "حَيَوَانًا" ليوافقَ مدلوله في التحرُّك، وحَمل "مَوَتانًا" عليه. وهذه هي المُناسبة المَرعيّة بين اللفظ والمعنى.

ولمّا كان مدلول أسامي الحروف ألفاظًا كهِيَ[٧] وأَمكنَهم رِعاية المُناسبة اللفظيّة بين الاسم والمُسمّى راعَوا تلك المُناسبة؛ وذلك لأنّ كلَّ واحد من الحروف التي هي المُسمّيات على حرف واحد، وأسماؤها على ثلاثة أحرف،

---

١ ن: وذكر.
٢ ن: اعلم.
٣ ن: كذلك.
٤ ن: أن تدلنا.
٥ ن: التي هي.
٦ ش ن: بالثاء.
٧ ن: أي.

وهي: أَنَّ المسمَّياتِ لمّا كانت أَلفاظًا كأَسامِيها وهي حروفٌ وُحْدَانٌ، والأسامي عَدَدُ حروفها مُرْتَقٍ إلى الثلاثةِ، اتَّجَهَ لهم طَرِيقٌ إلى أَنْ يَدُلُّوا في التَّسْمَيةِ على المسمَّى، فلم يُغْفِلُوها، وجَعلوا المسمَّى صَدْرَ كلِّ اسمٍ منها كما ترَى، ....

فوضعوا المُسمّى في أوّل الاسم ليكون دالًا على أنّ ذلك الاسمَ اسمٌ لهذا المُسمّى. فإنّ الواضع لمّا وضع "قاف" لقولك: "قَ"، و"كاف" لقولك: "كَ" كان دلالة الاسم على المُسمّى أقوى من دلالته لو وَضَع "قاف" لقولك: "كَ"، و"كاف" لقولك: "قَ". وقوله: (لمّا كانت ألفاظًا) إشارة إلى أنّ المُسمّيات التي لو[١] لم يَكُنَّ ألفاظًا لم يُمكِنهم رِعاية هذه المُناسبة اللفظيّة فيها، فراعَوا هناك المُناسبة المعنويّة، وأمّا هنا فلمّا أَمكنَهم راعَوها.

قوله: (هي حُروفٌ وُحْدانٌ)، يعني: كلُّ واحد من تلك المُسمّيات على حرف واحد. ويُفهم منه ذلك؛ لأنّ مُقابلة الجمع بالجمع يُفيد مُقابلة الأفراد بالأفراد، نحو: رَكب القوم أفراسَهم. والوُحدان: جمع واحد، كـ"حُجْران" جمع حاجر. ويريد بقوله: (مُرْتَقٍ) أنّ الأسماء مُركّبة من "ثلاثة" أحرف، أي: هي[٢] واقعة على هذا الوجه. والحاصل أنّ عدد حروف الأسماء أكثر من عدد حروف المُسمّيات.

قوله: (اتَّجهَ) جواب (لمّا) أي: ظهر وسَنَح.

قوله: (فلمْ يُغفِلُوها) عطف على قوله: "اتّجه". والضمير يجوز أن يكون لـ(الأسامي)،[٣] / أي: لم يجعلوا الأسامي غُفْلًا، أي: مُهملة خالية عن علامة دالّة على مُسمّاها. والأغفال بالفتح: المَوات، يقال: أرض غُفْلٌ لا عَلَم بها ولا أثَرَ عِمارة، ودابّة غُفْل لا سِمَة عليها وهي بالفارسيّة "بى نشان". ويجوز أن يكون الضمير لـ"الطريق"، يقال: أغفلتُ الشيء، أي: تركتُه، يعني:[٤] ما تركوا تلك الطريق بل سلكوها. وأمّا عَوْد الضمير إلى الألفاظ وهي المُسمّيات فضعيف. [٣٩و]

---

١ ش ن - لو.
٢ ن - هي.
٣ ن: للأسماء.
٤ ن: بمعنى.

إلَّا الألفَ فإنهم استعاروا الهمزةَ مكانَ مسمَّاها لأنه لا يكونُ إلَّا ساكنًا، وممَّا يُضَاهِيها في إيداعِ اللفْظِ دِلالةً على المعنى: التَّهْلِيلُ والحَوْلَقَةُ والحَيْعلَةُ والبَسْملَةُ.

قوله: (إلّا الألف) مُستثنى من قوله:[١] (كلِّ اسم)، يعني: وضعوا المُسمّى في أوّل كلّ اسم إلّا في أوّل الألف، فإنّهم ما وَضعوا[٢] مُسمّاها في أوّلها، بل استعاروا الهمزة ووَضعوها في مَوضعٍ كان القياس أن تكون فيه[٣] الألف، وهو صدر الاسم؛ وذلك لسكون الألف. قال في **الصحاح**: «الألف[٤] على ضربين: لَيِّنة ومُتحرّكة. فاللّيِّنة تُسمّى ألفًا والمُتحرِّكة تُسمّى همزة».[٥]

وأنا أقول: ما ذكره[٦] المُصنِّف من الاستعارة إنّما هو[٧] في الألف الليّنة، وأمّا الألف المُتحرِّكة، أي: الهمزة فعلى القياس، فإنّ "أَ" موضوع في أوّل الألف، وهو اسمه. وإنّما اختُصَّت الهمزة بالاستعارة؛ لتقاربهما في المَخرج، ولأنّهما تُسمّيان ألفًا، ولأنّ الهمزة إذا كانت أوّلًا كُتِبت على صورة الألف، ولأنّهم إذا احتاجوا إلى تحرُّك الألف قلبوها همزة.

قوله: (وممّا يُضاهيها) أي: وممّا يُشابه هذه الأسماء (التهليلُ): وهو التلفُّظ بـ"لا إله إلا الله"، و(الحَولَقة):[٨] وهو التلفُّظ بـ"لا حول ولا قوَّة إلا بالله"، و(الحَيْعَلة): وهي التلفُّظ بـ"حَيَّ على الصلاة"، أو "حَيَّ على الفلاح"،[٩] و(البَسملة): وهو التلفُّظ بـ"بسم الله". ووجه المُشابهة إيداع اللفظ دلالة على المعنى وإن تغايرا من وجه، وهو أنّ المُسمّى موضوعُ صدرِ[١٠] الاسم في القِسم الأوّل بخلاف القِسم الثاني. فعلى ما ذكرنا يكون الضمير مِن "يُضاهيها" عائدًا إلى الأسامي. وقيل: هو عائد إلى التسمية، وهو ضعيف؛ إذ لا يَحسن أن يقال:

---

١ د ش ن: قولهم.
٢ ن: وضعوا.
٣ هامش د ش ن: فيها.
٤ ن - الألف.
٥ **الصحاح** للجوهري، ٢٥٤٢/٦ (باب الألف الليِّنة).
٦ ش ن: ذكر.
٧ د: هي.
٨ ن: الحوقلة.
٩ ن: أو حيَّ على الفلاح.
١٠ ش: في صدر؛ ن: على صدر.

وحُكْمُها ما لم تَلِها العَوامِلُ: أَنْ تكونَ ساكنةَ الأَعْجاز مَوْقوفَةً كأسماء الأَعْداد، فيُقالَ: أَلِفْ لامْ ميمْ؛ كما تقول: واحدْ اثنانْ ثلاثةْ، فإذا وَلِيَتْها العَوامِلُ أَدْركها الإعرابُ؛ كقولك: هذه أَلِفٌ، وكتَبْتُ أَلِفًا، ونظرْتُ إلى أَلِفٍ، وهكذا حكمُ كلِّ اسمٍ عمَدْتَ إلى تأدِيَةِ ذَاتِهِ فحسبُ قبل أن يَحْدُثَ فيه بدخولِ العوامل شيءٌ مِن تأثِيرَاتِها

ممّا يُضاهي التسميةَ التهليلُ، فإنّه مُشابه[١] للاسم[٢] لا للتسمية.[٣] اللّٰهمّ إلا أن يُقدَّر مُضاف، أي: وَضعُ التهليلِ، ولا حاجة إليه.

قوله: (**وحُكمُها**) أي: حُكم هذه الأسماء أن تكون ساكنةَ الأواخر قبل دخول العامل، وأمّا أنها تكون حينئذٍ مُعربة أو مَبنيّة فسَيَجيء. و"الوَلْيُ": القُرب. يقال: تباعدْنا بعد وَلْي، «وكُلْ ممّا يَليكَ»،[٤] أي:[٥] ممّا يُقاربك. ووَلِيَه يَلِيه، بالكسر فيهما، وهو شاذٌّ.[٦] و(**ما**) مصدرية، والمُدَّة معها محذوفة، والعامل فيها "حُكم".

قوله: (**موقوفةً**) يجوز أن يكون معناها: مقطوعةً عن الحركة، فتكون[٧] كالتأكيد لقوله: (**ساكنة الأعجاز**). ويجوز أن يكون إشارة إلى أنّها مقطوعة عمّا بعدها حُكمًا؛ إذ المُتلفِّظ[٨] بها لا يريد استنادها إلى ما بعدها، ولا إضافتها إليها، ولا الربط بينهما بوجه آخر، فلذا يجوز فيها التقاء الساكنين.

قوله:[٩] (**وهكذا كلُّ اسم**).. إلخ، "كلُّ اسم" مبتدأ، و(**عَمَدتَ**)... إلى آخره، صفته. (**فحَسْبُ**) عطف على "عمدتَ"، أي: قصدتَ إلى التأدية فكفاك ذاك، أي: لم يكن لكَ قَصْدٌ[١٠] إلى إسناده إلى شيءٍ أو إسناد شيءٍ إليه، بل قصدتَ إلى تعديده فقط. وقوله: (**قبل**) ظرف لـ"عمدتَ"،[١١] أو لقوله: (**تأديةِ**). و(**هكذا**) خبر المبتدأ،

---

[١] ن: مشابهة.
[٢] ن: الاسم.
[٣] ن: التسمية.
[٤] طرف حديث في مسند أحمد، ٢٥٠/٢٦ (١٦٣٣٠)؛ وصحيح البخاري، ٦٨/٧ (٥٣٧٦)؛ وصحيح مسلم، ٩٧٢/٣ (٢٠٢٢).
[٥] ن – أي.
[٦] من قوله: "والولي" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «ولي».
[٧] ش – فتكون.
[٨] ن: التلفظ.
[٩] ن – قوله.
[١٠] ن: قصدًا.
[١١] ن: لعمت.

فحَقُّكَ أنْ تَلْفِظَ به مَوْقوفًا، ألا تَرى أنك إذا أَرَدْتَ أَنْ تُلْقِيَ على الحاسِبِ أَجْناسًا مختلفَةً ليَرْفَعَ حُسْبانَها كيْفَ تَصْنَعُ وكيْفَ تُلْقِيها أَغْفالًا مِن سِمَةِ الإعرابِ، فَتَقُولُ:

إشارة إلى أسماء الحروف، يعني: كلُّ اسم موصوف بما ذكرْنا حُكمُه حُكمُ أسماءِ الحروف قبل دخول العوامل[١] فيها.

قوله: (فحَقُّكَ) جزاءُ شرطٍ محذوف، أي: إذا كان كذلك فحقُّك التلفُّظ بها موقوفًا. وقوله: "ألا ترى"...[٢] إلخ، تقرير لِمَا سلف وتبيين له بالاستقراء. ولا يَحسُن / أن يقال: "كلُّ اسمٍ" مبتدأ، "فحقُّك"... إلخ، خبره، و"هكذا" صفةُ مصدرٍ من قوله: [٢٩ظ]
(موقوفًا)، أو من قوله: (أن تَلفظ)؛ لِمَا يلزم من تقديم معمولِ "ما" بعد "أنْ" عليها.

قوله: (أن تُلقي) المراد بالإلقاء: الإملاء، وبـ"الرفع": الضبط والاعتبار.[٣] والحُسبان: الحِساب. وقوله: (تَصنع) جواب (إذا)، ومفعوله محذوف، وهو إمّا إلقاؤها أغفالًا وإمّا إلقاؤها فقط. و(كيف) حالٌ من المُستتِر في "تَصنع"، وهو للسؤال[٤] عن الحال، وتلك الحال: إمّا عبارة عن كون إلقائها أغفالًا مقبولًا أو غيرَ مقبول، حَسَنًا أو غيرَ حسن، إلى غير ذلك، أي: إذا أردتَ إلقاء الأجناس تَصنعُ إلقاءَها أغفالًا أَفِي[٥] حال حُسْن هذا الإلقاء تَصنع ذلك أو في حال قُبحه؟ يعني: لا شكَّ أنْ تُلقيَها أغفالًا، فما تقول في حقِّ هذا الإلقاء أَحَسَن مقبول هو أو قبيح مردود؟ يعني: هو مقبول حَسَن. وإمّا عبارة عن الأغْفال وعدم الأغْفال، يعني: إذا أردتَ إلقاء الأجناس تَصنع الإلقاء أَفِي[٦] كَونِ الأسماء أغفالًا تَصنع الإلقاء أو في حال عدم كونها أغفالًا؟ يعني: بل تَصنع في حال كَونها أغفالًا.

قوله: (وكيف تُلقيها) عطف على "كيف تصنع؟"، كالبيان له. و"كيف" هنا للسؤال[٧] عن الحال التي هي كون الإلقاء أغْفالًا مقبولًا أو غير مقبول، حسنًا أو غير حسن. و"السِّمة": العلامة، وإضافتها إلى (الإعراب) إضافة العامِّ إلى الخاصِّ.

---

١ ن: العامل.
٢ د: يرى.
٣ لم أجدها فيما وقفت عليه من المعجمات.
٤ ن: السؤال.
٥ ن: في.
٦ ن: أو.
٧ ن: السؤال.

دَالٌ غلامٌ جَارِيَةٌ ثوبٌ بساطٌ، ولَو أَعْرَبْتَ رَكِبْتَ شَطَطًا.

فإنْ قلتَ: لِمَ قَضَيْتَ لِهذِه الأَلْفاظِ بالاسْمِيَّةِ؟ وهلَّا زَعَمْتَ أنها حروفٌ كما وقَعَ في عبَارَاتِ المُتقدِّمينَ.

قوله:[١] **(ولو أعربتَ)** عطف على قوله: "كيف تصنع؟"، أي: إذا أردتَ الإلقاء، فلو أعربتَ حينئذٍ جاوزتَ القَدْر. و"الشَّطَط": مجاوزة القَدْر في كلّ شيء. قال الإمام: «لأنّ جوهر اللفظ موضوع لجوهر المعنى، وحركات اللفظ دالَّة على أحوال المعنى، فإذا أُريد إفادة جوهر المعنى وجب إخلاء اللفظ عن الحركات».[٢]

فإن قيل: المراد بقوله: "ألا ترى"...[٣] إلخ، بيانُ أنّ الأسماء قبل أن تليَها العوامل تكونُ ساكنةَ الأعجاز موقوفةً. وما[٤] ذَكر عليه بهذا القول حُجّةً، بل ما زاد إلّا إعادة الدعوى؛ قُلنا: كون البيان هو الدعوى[٥] بعينه يدلُّ على أنّ الدعوى واضح بنفسه غيرُ مُحتاج إلى دليل، وإنّما أُعيد ذِكره بعبارة أخرى للتنبيه. أو نقول: هذا تذكير[٦] للاستقراء، فإنّ مَن يتوقَّف ذِهنه عند حُكم أوّليّ يُنبَّه عليه بالاستقراء.

وله: **(كما وقع)** صفة مصدر محذوف. و"ما" يجوز أن تكون موصولةً، أي: زَعمًا مثل الزعم الذي وَقع في عبارات المُتقدِّمين؛ أو مَصدريّةً، أي: هلَّا زعمتَ أنّ تلك الكلماتِ، أي: التي يُتهجّى بها حروف زَعمًا مثل زَعم المُتقدِّمين. فإنّ قوله: "وقع في عبارات المُتقدِّمين" في معنى قولكَ: زعمَ المُتقدِّمون ذلك. أو التقدير: هَلَّا وقع[٧] في عبارتكَ أنّها حروف وُقوعًا مثلَ وُقوع ذلك في عبارات المُتقدِّمين. وفاعل "وَقع" الضمير، وهو عائد إلى "ما" إن جُعِلتْ موصولة، وإن جُعِلت مصدريّة فهو عائد إلى قوله: **(أنّها حروف)**.

---

١ ن – قوله.
٢ **تفسير الرازي**، ٣/٢ (البقرة، ١/٢)
٣ د: يُرى.
٤ كَتب ناسخ د تحت "ما": نفي. يريد أنّ "ما" ههنا نافية.
٥ ن: المدعى.
٦ ن: يذكر.
٧ ن: أوقع.

قلتُ: قد استَوْضَحْتُ بالبُرْهان النَّيِّرِ أنَّها أسماءٌ غيرُ حروفٍ، فعَلِمْتُ أنَّ قولهم خَليقٌ بأَنْ يُصْرَفَ إلى التَّسامُحِ، وقدْ وجَدْناهم مُتَسامحينَ في تسميةِ كثيرٍ من الأسماء التي لا يَقْدحُ إشْكالٌ في اسميَّتها -كالظروفِ وغَيْرِها- بالحروف، ومُسْتَعمِلينَ الحرفَ في معنى الكلمة.

قوله: **(قد استَوضحتُ)** أي: طَلبتُ الوُضوحَ. يقال: استَوضحتُ الشيءَ إذا وَضعتَ يدكَ على عينكَ تنظرُ لتراه، فكأنّه[١] شبَّه ترتيب مُقدِّمات البُرهان لإعداد[٢] الذِّهن وتقوية البصيرة بوضع اليد قُربَ العين لجَمع نور البصر. وقوله:[٣] **(فعَلمتُ)** عطف على "استَوضحتُ". ويقال: استَوضِحْ عنه يا فُلانُ، أي: بيِّنْه لي وأوضِحْه لي، واستَوضحْتُه الأمرَ والكلامَ إذا سألتَه أن يُوضِّحَه لكَ. ومنه قول **المفتاح**: «فاستَوضِحْ ما أَجبنا به عن تَعلُّم / عِلمِ الاستدلال»،[٤] [٣٠و] أي: أُبيِّنكَ[٥] جوابَ هذا الإشكال ما أَجبنا به أن نُوضِّحه لكَ. فيجوز أن يكون قول المُصنِّف أيضًا منه، وتكون الباء في **(بالبُرهان)** زيادةً، كقولهم: ألقى بيَدِه، يعني:[٦] سألتُ البُرهانَ أن يُوضِّحه لي، وتكون الفاء في "**فعَلمتُ**" فاءً فصيحةً، أي: فسَألتُه البرهانَ أن يُوضِّحه لي فعَلمتُ. و"الخَليق": الجَدير. و"المُسامَحة": المُساهَلة. وقوله: **(في اسميَّتها)** مُتعلِّق بقوله: **(لا يَقدح)**.

قوله: **(كالظروف)** فإنّهم قالوا: "إذا" حرفُ الظرف، أي: كلمة الظرف، ويقولون: "قبل" و"بعد" مِن حروف الجرّ، أي: كلمات تكونُ مُضافةً إلى ما بعدها، وكذا يقولون: "إذا" و"متى" و"مَن" مِن حروف الشرط. وقوله: **(بالحروف)** مُتعلِّق بقوله: **(تَسميةِ)**. و**(مُستعمِلين)** عطف على **(مُتسامِحين)**. وإنّما استعملوا[٧] الحرف في معنى الكلمة لاستعمال اسم النوع مكان اسمِ الجنس.

---

١ ن: كأنّه.

٢ ن: لاعتداد.

٣ ن - وقوله.

٤ **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٢٥١.

٥ ش: أنبّئك.

٦ ن: بمعنى.

٧ ن: استعمل.

وذلك أنّ قولك: ألف، دلالتُه على أوْسَط حرُوف "قال" و"قام" دلالةُ فرسٍ على الحيوانِ المخصوصِ، لا فَضْلَ فيما يَرْجِعُ إلى التسميَةِ بين الدلالتَيْن، ألا ترى أنّ الحرفَ ما دلَّ على معنًى في غيرِه، وهذا كما تَرى دالٌّ على معنًى في نفسه؟

ولأنّها مُتصَرَّفٌ فيها بالإمالةِ كقولك: با تا، وبالتفخيم كقولك: يَا هَا،

قوله: **(وذلكَ)** إشارةٌ إلى **(البُرهان النَّيِّر)**.

قوله: **(دلالتُه)** مبتدأ، و**(على)** مُتعلِّق به، و**(دلالةُ "فَرسٍ")** خبره، أي: مثلُ دلالة "فَرسٍ". والجملة خبر أنّ.[١]

قوله:[٢] **(لا فَصلَ)**... إلخ، جملة مؤكِّدة للجملة المُتقدِّمة. وحاصل معنى هاتين الجُملتين أنّها تدلُّ على معنى في نفسه، ثمّ أشار إلى أنّه لمّا ظهر[٣] دلالتُها على معنى في نفسه لا يجوز أن تكون حرفًا؛ لأنّ **(الحرف: ما دلَّ على معنًى في غيره)**. وقد ظهر لكَ أنّها تدلُّ على معنى في نفسه.

قوله: **(ولأنّها مُتصرَّفٌ فيها)** عطف على قوله: **(وذلكَ أنّ قولكَ)**. وهذا هو البُرهان الثاني، أي: ولأنّ تلكَ الكلمات مُتصرَّف فيها بالإمالة. وقال[٤] في **الحُجّة**: إنّما أُميلَتْ؛ لأنّها أسماءٌ لِما يُلفظ[٥] بها من الأصوات المُتقطِّعة في مخارج الحروف، كما أنّ "غاقِ" اسم للصوت الذي يُصوِّت به الغُراب، فجازتِ الإمالة فيها ليتبيَّن أنّها أسماء.[٦] ثمّ قال: فإن قلتَ: هل يُستدلُّ بجواز الإمالة فيها[٧] على أنّ الألف مُنقلبة عن الياء، كما نقول في "ذا": إنّ الألف فيه مُنقلبة عن الياء؛ فالقول: إنّ الاستدلال بجواز الإمالة أنّ الألف فيه مُنقلِبة عن الياء لا يصحُّ؛ لأنّه إنّما أُميلَ عندهم لِما قُدِّم ذِكرُه.[٨] وأنا أقول: سنزيدُ ذلك وضوحًا في أوّل "سورة يونس" إن شاءَ الله تعالى.

---

[١] ن: خبر لو.

[٢] ن - قوله.

[٣] ن: ظهره.

[٤] ش: قال.

[٥] ن: يتلفَّظ.

[٦] انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢٤٤/٤.

[٧] ن - ليتبيَّن أنّها أسماء. ثمّ قال: فإن قلتَ: هل يُستدلُّ بجواز الإمالة فيها.

[٨] انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢٤٨/٤.

وبالتعريف والتنكير، والجَمْعِ والتَّصْغير، والوَصْفِ والإسْناد والإضافة، وجميعِ ما للأسْماء المُتصَرِّفةِ.

ثـمَّ إنِّي عَثَرْتُ من جانب الخليلِ بن أحمد عَلَى نَصٍّ في ذلك؛ قال سيبويه: قال الخليلُ يومًا وسَأَل أَصْحابه: كيف تقولون إذا أَرَدْتـم أَنْ تَلْفِظُوا بالكاف التي في "لك" والباءِ التي في "ضَرَبَ"؟ فقيل: نقول: باءْ كافْ، فقال: إنما جئتُم بالاسم ولـم تَلْفظُوا بالحرْف، وقال: أقول: كَهْ بَهْ.

قوله: **(وبالتعريف)** نحو الألف، **(والتنكير)** أَلِفٌ، **(والجمع)** أَلِفات، **(والتصغير)** أُلَيف، **(والوصف)** أَلِف مقصورة أو ممدودة، **(والإسناد)** حَسُنَت الألفُ، **(والإضافة)** ألفُ التثنية.

قوله: **(ثمّ إنّي عثرتُ)** أي: اطَّلعتُ، عطف على قوله: "قد استَوضحتُ". تمسَّكَ أوّلًا بدليلين عقليين، ثمّ بدليلين نقليين: أحدهما نصُّ الخليل، والثاني نصُّ أبي عليّ الفارسيّ، فإنّهما من أئمّة هذه الصناعة ومن فُحولة[1] هذا الفنّ.

قوله: **(قال سيبويهِ)** بيان النصّ؛ فلذلك لم يَعطِفه.

قوله: **(قال الخليل)** مَقولُ قول سيبويهِ.

قوله: **(وسأل أصحابَه)** حالٌ. و**(كيفَ)**... إلخ، مَقول قول الخليل، أي: قال الخليل: كيفَ تقولون؟ والحالُ أنّه سأل أصحابه عن ذلكَ.

قوله: **(فقيل)** عطف على "قال الخليل". **(فقال)** أي: الخليل، عطف على "فقيل". **(وقال)**[2] عطف على "فقال". وقوله: **(كَهْ، بَهْ)** يُكتَب بالهاء ولا يُفصَحُ بها. كذا ذكر في حواشي **نسخة صَمْصام**،[3] ونُقِلَ عن الإمام شمس الدِّين المُعزِّي[4]

---

[1] ن: فحول.

[2] ن: وفلا.

[3] من نُسَخ **الكشّاف** المَروية عن الزمخشري. وصرح بالتعويل عليها الطيبيُّ لتحرير بعض مواضع متن **الكشّاف**، وذلك في حاشيته **فتوح الغيب**، ٣٤٢/٢، ١٤/٣، ٢٨٧، وغيرها. وورد ذكرها في حواشي **الكشّاف** للتفتازاني، اللوح ١٤٩و.

[4] نسخة المُعزّي من **الكشّاف** المَرويّة عن الزمخشري، عوَّل عليها الطيبيُّ لتحرير بعض مواضع متن **الكشّاف**، وذلك في حاشيته **فتوح الغيب**، ٣٤٢/٢، ٢٥٨، ٤٧٣، وغيرها. وورد ذكرها في حواشي **الكشّاف** للتفتازاني، اللوح ١٤٩و.

وذكر أبو عليّ في كتاب **الحُجَّةِ** في "ياسين" وإمالةِ "يا": أنهم قالوا: "يا زَيْدُ" في النداء، فأمالوا وإنْ كان حَرْفًا، قال: فإذا كانوا قد أمالوا ما لا يُمَالُ من الحروف مِن أَجْلِ الياءِ فلَأَنْ يُمِيلوا الاسمَ الذي هو "يَاسين" أَجْدَرُ، ألَا تَرَى أنَّ هذه الحروفَ أسْماءٌ لِمَا يُلْفَظُ بها؟

فإنْ قلتَ: من أيِّ قَبيلٍ هي من الأسماءِ: أَمُعْرَبةٌ أم مَبْنِيَّةٌ؟

بإفصاح الهاء لعدم الوصل.

قوله: **(وذَكر أبو عليّ)** عطف على جملة قوله: "ثمّ إنّي عثرتُ". وإنّما صَرف العبارة ولم يقل: ومن جانب أبي عليّ على نصّ، كما قال كذلك[١] لأجل الخليل؛ لأنّ الخليل أستاذ سيبويهِ وأبو عليّ تلميذه،[٢] وكلام الخليل[٣] ممّا يتمسَّك به / سيبويهِ مع أنّه[٤] المُقتدَى في هذا الفنّ، وأين أبو[٥] عليّ منه! هذا مع أنّا لا نُنكر فضل أبي عليّ وأنّه لا يُجاريه[٦] أحد بعد سيبويهِ، ولكن فوق كلّ ذي عِلم عليم. [٣٠ظ]

قوله: **(لِمَا يُلفَظ بها)** إلى هُنا كلام أبي عليّ، أي: إنّ هذه الكلماتِ التي يُتهجّى بها أسماءٌ للحروف[٧] التي يُتلفَّظ بها، يعني: مدلولاتها ألفاظ.

قوله: **(مِن أيّ قَبيل هي؟)** "هي" مبتدأ "من أيّ قَبيل" خبره. و**(مِن الأسماء)** حال مِن المُستتر في الخبر، أي: مُبتدَأةً[٨] مِن الأسماء. ولمّا كان هذا السؤال[٩] مُحتمِلًا أن يكون عن كونها من المعارف أو النكرات، ومن المُعرَب والمَبنيّ، ومن المُنصرِف[١٠] وغير المُنصرِف،[١١] بيَّن وجه السؤال بقوله: **(أمُعرَبة[١٢] أم مبنيّة؟)**.[١٣]

---

١ ن: كره لك.
٢ بمعنى أنّه جاء بعده وتربّى بكتابه، لا بمعنى التلمذة التي فيها الأخذ باللقاء، وذلك لا يخفى، لِما بينهما من بُعد الزمان.
٣ ن – لأنّ الخليل أستاذ سيبويهِ وأبو علي تلميذه، وكلام الخليل.
٤ د: أنّ.
٥ ن: أبي.
٦ د ن: يحاذيه.
٧ ن: الحروف.
٨ ش: مبتدئة.
٩ ن: الصواب.
١٠ ن: المنصوب.
١١ ن: المنصوب.
١٢ ن: أو معربة.
١٣ ن: أو مبنية.

قلتُ: بل هي أسماءٌ مُعْربةٌ، وإنما سَكنَت سكونَ زيْد وعمرٍو وغيرِهما مِن الأسماء حَيْثُ لا يَمَسُّها إعْرَابٌ لفَقْدِ مُقْتضيهِ ومُوجِبه، ....

قوله: (بل) إضراب عن مُقدَّر، فكأنّه قال: ليست مَبنيّة بل هي مُعرَبة، بناءً على أنّ الأسماء قبل التركيب ليس يَجب أن يكون مبنيًّا عنده؛ إذ المراد بالمُعرَب عنده: هو ما كان بحيث لو دخل فيه عامل لاختلف آخره. وإنّما لم يَدخلها الإعراب لفقد مُقتضي الإعراب فيه، وهو التركيب.

فإن قلتَ: إذا لم يُوجَد فيه الإعراب لا يكون مُعربًا؛ لأنّ المُعرَب يَستلزم الإعراب؛ لأنّ حقيقة المُعرَب: ما حصل فيه الإعراب، وأيضًا المُعرَب اسم مفعول من أعربتُ الكلمة إذا جعلتَ ذلك فيها، فثَبت أنّ قوله: "هي مُعرَبة" مع قوله: **(لا يَمسّها إعراب؛ لفقد مُقتضيه)** مُتنافيان؛ قلتُ: لا مُنافاة بينهما، فإنّ[1] المُراد بالمُعرَب: ما هو بحيث لو دخله عامل لاختلف آخرُه به، وهذا لا يَستلزم الإعراب.

وقوله: حقيقة المُعرَب: ما حصل فيه الإعراب،[2] ممنوعٌ، فإنّه لو كان الأمرُ كذلك لَوجب أن يكون المُعرِب بكسر الراء لا بالفتح. ذكره ابن الحاجب في شرح المُفصَّل.[3]

وأمّا قوله: هو اسم مفعول من "أَعربتُ الكلمة" فغلَط؛ فإنّ مفعول "أَعربتُ" يُغاير المُعرَب في الاصطلاح، بدليلِ صحّة قولكَ: "ما أعربتَ الكلمةَ" وهي مُعرَبة، فيمن قال: "ضَربْ[4] خالدْ جعفرْ" بإسكانهما، و"أعربتَها" وهي غير مُعرَبة في "هؤلاء"، ولو كان كما ذكروه لكان تناقُضًا.[5]

---

١ ن + كان.

٢ ليس هذا بلفظ الزمخشري في **الكشّاف** ولا في **المُفصَّل**، ولعلّه ممّا صاغه ابن الحاجب من معنى كلامه. انظر **الإيضاح في شرح المُفصَّل**، ٧٢/١. وقد يكون حاشية ممّا علقه الزمخشري أو ممّا سُمِع منه وعُلِّق به عنه.

٣ انظر: **الإيضاح في شرح المُفصَّل** لابن الحاجب، ٧٢/١.

٤ د ش ن: ضربت. | وأثبتُّ ما هو الظاهر من هامش ش، وما ورد في مطبوع **الإيضاح في شرح المُفصَّل** لابن الحاجب، ٧٢/١.

٥ انظر: **الإيضاح في شرح المُفصَّل** لابن الحاجب، ٧٢/١.

والدليل على أنّ سكونها وَقْفٌ وليس بناءٍ: أنها لو بُنِيَتْ لحُذِيَ بها حَذْوَ كيفَ وأينَ وهؤلاء، ولم يُقَلْ: صادْ قافْ نونْ مجموعًا فيها بين السَّاكنَيْن.

وأمّا مَن يقول: المُعرَب هو المركّب الذي لا يكون مُشابهًا مَبنيَّ الأصل فيَحكم ببنائها. والحقُّ أنّ هذا نِزاع لفظيٌّ. ثمّ استدلَّ على أنّها معربة وأنّ سكونها ليس سكون بناء بأنّها لو كانت مبنيّة لم تُبنَ على وجه يَلزم منه التقاء الساكنين؛ لأنّ المبنيّات إمّا مبنيّة على الحركة أو السكون على وجه لا يَلزم منه التقاء الساكنين.

قوله: **(أنّ سكونها وقف)** أي: سكونها سكون وقف لا سكون بناء، يريد[١] بالوقف هنا الوقف المُصطلح: وهو قَطع الكلمة عمّا بعدها. فإنّ التقاء الساكنين عنده في هذه الأسماء للوقف، وإن وُصِل بما بعده لفظًا؛ لأنّه يكون حينئذٍ وصلًا في نيّة الوقف. وأمّا من[٢] ذهب إلى أنّها مبنيّة فيقول: المبنيّات قسمان: قسم يكون مبنيًّا لكونه مشابهًا مَبنيّ الأصل، وقسم يكون مبنيًّا لانتفاء سبب الإعراب. ونقول: جوّزوا التقاء الساكنين في القسم الثاني دون الأوّل فرقًا بينهما ولم يعكسوا؛[٣] لأنّ أكثر الأسماء المبنيّة إنّما بُنِيت لوجود المانع، وهو مُشابهة مَبنيّ الأصل، فأجرَوا الكثير على الأصل.

قوله: **(لَحُذِيَ بها)** أصل هذا التركيب: لحُذِيَ بها أين وكيف حَذوًا، ثمّ قُدِّم المصدر، يقال:[٤] حذوتُ النعل بالنعل إذا قدَّرتَ كُلَّ واحدة على صاحبتها. يقال: حَذوَ القُذّة بالقُذَّة:[٥] وهي رِيش السهم. فمعنى "لَحُذِيَ"... إلخ، لَجعلوها مُماثِلًا لها في السلامة عن التقاء الساكنين. وقال ابن السِّكّيت: / حَذوْتُه، أي: قعدتُ بحذائه.[٦] أقول: فمعنى "لَحُذِيَ"... إلخ، أي: لَأجلسوها في مقابلتها، يعني: جَعلوا حُكمها كحُكمها. [٣١و]

---

١ ش: ويريد.

٢ ن + حيث.

٣ ن: يعكس.

٤ ن: فقال.

٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «حذو».

٦ انظر: **إصلاح المَنطق** لابن السِّكّيت، ص ٢٤٣؛ و**الصحاح** للجوهري، «حذو».

فإنْ قلتَ: فلِمَ لَفَظَ المتَهَجِّي بما آخرُه ألفٌ منها مَقْصورًا، فلمَّا أَعْرِبَ مَدَّ فقال: هذه باءٌ وياءٌ وهاءٌ، وذلك يُخَيِّلُ أنَّ وِزانَهَا وِزانُ قولِكَ: "لا" مَقْصورةً فإذا جَعَلْتَها اسمًا مَدَدْتَ فقلتَ: كَتَبْتُ لاءً؟

قلتُ: هذا التَّخييلُ يَضْمَحِلُّ بما لَخَّصْتُه من الدليل، والسبَبُ في أَنْ قُصِرَتْ مُتهجَّاةً ومُدَّتْ حِين مَسَّهَا الإِعْرابُ: أَنَّ حال التَّهَجِّي خَلِيقَةٌ بالأخفِّ الأَوْجَزِ واستعمالَها فيه أَكْثَرُ.

قوله: (**فلِمَ لَفظَ؟**)[١] هذا السؤال اعتراض على جَعله ألفاظ التهجِّي أسماء. وتوجيهُه أن يقال: هلَّا زعمتُم أنّها حروف، وإذا وَقع في التركيب ويكون المراد به اللفظ يصير اسمًا، نحو (لا) و(**كتبتُ لاءً**)، فإنّ تَلفُّظَ المُتَهجِّي مقصورًا بما آخره ألف من تلك الألفاظ يُخيِّل أنها حروف.[٢] ووجه التخييل ما ذكر في **الحُجّة** من أنّ «الأسماء لا تكون على حرفين آخِرهما[٣] حرف لِين، وإنّما تكون على هذه الصفة الحروفُ».[٤] ويُمكن أن يكون هذا السؤال اعتراضًا على جَعل تلكَ الألفاظ مُعرَبة بعد تسليم كونها أسماءً بأن يقال: لِمَ لا يجوز أن يكون لها حالان الإعراب والبناء، كـ"لا" له حالان: الاسميَّة والحرفيَّة؟ ويُؤيده إيراد هذا السؤال بعد تقرير كونها أسماء، لكنّ الظاهر هو الأوّل.

واعلم أنّ تَوجيه هذا الكلام أن يكون مُعارضة، أي: ما ذَكرتُم وإن دلَّ على أنّ هذه الكلماتِ أسماءٌ فعندنا دليل يدلُّ على أنّها حروف.

قوله: (**يَضمَحلُّ**) أي: يَذهَب ويبطُل، يقال: اضمحلَّ الشيء، أي: ذهب. وكذا امضَحلَّ بتقدُّم[٥] الميم. واضمَحلَّ السحاب: تَقشَّع. يعني: هذا التوهُّم الذي ذَكرتُم يذهَب ويَبطُل بالبُرهان النَّيِّر الذي أَقمتُه على كونها أسماء.

---

١ ن – لفظ.

٢ ن – وإذا وَقع في التركيب ويكون المراد به اللفظ يصير اسمًا، نحو (لا) و(كتبتُ لاءً)، فإنّ تَلفُّظَ المُتَهجِّي مقصورًا بما آخره ألف من تلك الألفاظ يُخيِّل أنها حروف.

٣ ن: أحدهما.

٤ **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢٤٤/٤. وفي مطبوعه «أحدهما حرف لين».

٥ ن: بتقديم.

....

واعلم[١] أنه قد ذَكر أربعة دلائل على كونها أسماء، لكنّ المُعتمَد هو الأوّل؛ لأنّ الإمالة قد تقع في الحروف، وكلامُ الأئمّة الذين ذكرهم لا يَصير حُجَّة على الخصم، هذا على التوجيه الأوّل للاعتراض.[٢] وأمّا على التوجيه الثاني فالمراد بـ(الدليل) هو قوله: (والدليل على أنّ سكونها)... إلخ.

ثمّ قال: "والسببُ في قصرها مُتهَجّاة الخِفَّة"، فإنّ استعمال ألفاظ التهجِّي في التهجِّي أكثر من استعمالها في غير التهجِّي.

وأمّا قولهم: هي على حرفين آخِرهما[٣] حرف لِين فأجاب أبو عليّ عنه في **الحُجّة**:

> بأنّ هذه الأسماء لم يمتنع أن تكون على حرفين آخرهما حرف لِين؛[٤] لأنّ التنوين لا يلحقها حالَ التهجِّي، فيُؤمَن أن تبقى على حرف واحد، وإذا أُمِن ذلك لم يمتنع أن يكون الاسم على حرفين آخرهما[٥] حرف لِين. ألا ترى[٦] أنّهم قالوا: هذه شاة، فجاء على حرفين أحدُهما حرف لِين لمّا أُمِن لحاق التنوين به لاتِّصال[٧] علامة التأنيث به، وكذلك إذا قلتَ: رأيتُ رجلًا ذا مالٍ، لاتِّصال المضاف إليه به، وكذلك[٨] قولهم: كسرتُ فا زَيدٍ، ومن ذلك "اللا" في معنى اللائي هو على حرفين آخرهما[٩] حرف لِين؛ لأنّ التنوين لا يَلحقه من حيث لم يَلحق "ذا" لا[١٠] من حيث كانت فيه الألف واللام. ويُنشِد البَغداديُّون في ذلك:
>
> فدُومي على العهد الذي كان بيننا   أَمَ انتِ مِنَ اللا ما لهنّ عُهودُ[١١]

---

١ ن: اعلم.
٢ ن – للاعتراض.
٣ ن: أحدهما.
٤ ن – فأجاب أبو علي عنه في **الحُجّة**: بأنّ هذه الأسماء لم يمتنع أن تكون على حرفين آخرهما حرف لين.
٥ ن: أحدهما.
٦ د: يُرى.
٧ ن: لاتصاف.
٨ ن: ومن ذلك.
٩ ن: أحدهما.
١٠ ش: دالًا.
١١ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢٤٥/٤–٢٤٧. والبيت بلا نسبة في كتاب **الشِّعر** لأبي علي الفارسي، ٤٢٥/٢؛ **وأمالي ابن الشجري**، ٦١/٣. ونسبه أبو حيّان الأندلسي إلى الكُميت في **التذييل والتكميل**، ٣٨/٣. وليس في **ديوان الكُميت**.

فإنْ قلتَ: قد تَبيَّنَ أنّها أسماءٌ لحروفِ المُعْجَم، وأنّها من قبيل المُعْرَبَةِ، وأنَّ سكونَ أَعْجازِها عند الهِجَاءِ لأَجْلِ الوقفِ، فما وَجْهُ وُقوعِها على هذه الصورة فواتِحَ للسُّوَرِ؟

قلت: فيه ثلاثةُ أَوْجهٍ:

قوله: **(قد تبيَّن أنّها)** الضمير في "أنّها" و(**أنّها**) و(**أعجازها**) و(**وُقوعها**) للألفاظ التي يُتهجّى بها. «والعَجْمُ: النَّقْط بالسواد، مثل التاء عليه نُقطتان، يقال: أَعجمتُ الحرف. والتعجيم مثله. ولا تقل: عَجَمتُ. ومنه حروف المُعجَم: وهي الحروف المُقطَّعة التي يختصُّ أكثرها بالنُّقَط من سائر حروف الأُمم. ومعناه حروف الخَطِّ المُعجَم، كما تقول: مَسجدُ الجامع، أي: مَسجدُ اليومِ الجامع. وناسٌ يجعلون المُعجَم بمعنى الإعجام مصدرًا مثل المُخرَج والمُدخَل، أي: من شأن هذه الحروف أن تُعجَم. وأَعجمتُ الكِتاب: خلاف قوله: أعربته».[١]

وهنا تقرير[٢] آخرُ ذُكر في **المُجمَل** وهو أن تقول:

الأعجميُّ الذي لا يُفصِح وإن كان من العَرَب. والعَجميُّ[٣] مَنسوب إلى العَجم وإن كان فصيحًا. والعَجماء: البَهيمة؛ وإنّما سميَّت عَجماء لأنّها لا تتكلَّم، كذلك كلُّ من لم يَقدر على الكلام: فهو أعجمُ ومُستعجِم. / وبابٌ مُعجَم، أي: مُقفَل. ورُويَ عن الخليل: أنّها إنّما هي الحروف المُقطَّعة؛ لأنّها أعجمية. فإن كان عنه[٤] ذلك[٥] صحيحًا[٦] فإنّ الحرف وحدَه لا يدلُّ على ما تدلُّ عليه الحروف المُوَصَّلة، وكأنّ أمرَها مُستعجَمٌ، فإذا وَصلتَ أعربتَ وبيَّنتَ.[٧] [٣١ظ]

قوله: **(فما وجهُ؟)** أي: ما معنى وقوعها أو ما سببُ وقوعها؟ فكأنّه قال: لِمَ وقع؟

قوله: **(فيه أوجُه)**، والضمير من "فيه" عائد إلى "وجه". وقوله: "أوجُه"، أي: أقوال. فالوجهُ المذكور ثانيًا ليس بمعنى الوجه المذكور أوّلًا. ولا يَحسنُ أن يُقال:

---

١ ن – وأَعجمتُ الكِتاب: خلاف قوله: أعربته. | **الصحاح** للجوهري، «عجم».
٢ ن: تقدير.
٣ ن: العجم.
٤ ن: ذلك.
٥ ن: عنه.
٦ ن – صحيحًا.
٧ انظر: **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «عجم».

أحدُها وعليه إطْباقُ الأكثرِ: أنها أسماءُ السُّوَرِ، وقد تَرْجَمَ صَاحبُ الكتاب الباب الذي كسَرَه على ذِكْرها في حدِّ ما لا يَنصرف بـ: "باب أَسْماء السُّوَر"، وهي في ذلك على ضربَيْن:

أحدهما: ما لا يتأتّى فيه إعْرابٌ؛ نحو: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ و﴿الٓمٓر﴾.

والثاني: ما يتأتّى فيه الإعْرابُ، وهو إما أَنْ يكونَ اِسْمًا فردًا كـ"صادْ" و"قافْ" و"نونْ"، أو أَسْماءً عِدَّةً مجموعُها على زِنَةِ مُفْرَدٍ كـ"حاميم" و"طاسين" و"ياسين" فإنها موازِنَةٌ لِقابِيلَ وَهَابيلَ، وكذلك "طاسِينَ ميم" يتأتّى فيها

الضمير عائد إلى "وقوعها"، فكأنّ السائل لمّا قال: ما وَجهُ وقوعها؟ قال: في وقوعها وجوه. وإنّما قلنا: لا يَحسنُ؛ لأنّه ليس الوجوه في وقوعها؛[1] لأنّ وقوعها مُتحقّق، وإنّما الكلام في سبب وُقوعها، ومعنى وُقوعها.

قوله: (**وقد ترجمَ**) كالتقوية والدليل لهذا الوجه بقول سيبويهِ، وهو أنّه وضع بابًا لبيان فواتح السوَر في قسم غير المُنصرِف[2] من **كتابه**، وسمّاه بـ(**"باب أسماءِ السوَر"**).[3] فدلّ هذا على أنّ هذه الفواتح عنده أسماءُ السوَر.

قوله: (**كَسَره**) أي جمعه ورتّبه. يقال: كَسرَ الطائر جناحَيه، أي: ضمّهما[4] للنُّزول. وقوله: (**على ذِكرها**) أي: ذِكر فواتح السوَر. وقوله: (**في حدِّ**) حال من (**الباب**)، أو ظرف لـ(تَرجمَ) أو "كسر" أو "ذِكْر". وقوله: "بباب" متعلّق بـ"ترجم".

قوله: (**وهي**) أي: الفواتح في كونها أسماءً للسوَر على ضربين. وإنّما قيّده بهذا القيد؛ لأنّ هذه الألفاظ من حيث هي لا تنقسم قسمين، بل من حيث هي يتأتّى، أي: يتسهّل ويتيسّر فيها الإعراب.

قوله: (**وكذلكَ طاسِين ميم**) يريد أنّ "طاسين" كـ"هابيل"، ثمّ ضُمّ إليه "ميم"، فيجعل "طاسين" كاسم واحد، ضُمَّ إليه اسم آخر وأُبقيَ فيه الفتحة

---

١ ن – قال: في وقوعها وجوه. وإنّما قلنا: لا يَحسنُ؛ لأنّه ليس الوجوه في وقوعها.
٢ ن: المنصوب.
٣ كتاب سيبويه، ٣/٢٥٦.
٤ ن: ضمها.

أن يُفْتح نونُها وتُصَيَّرَ "ميمُ" مَضْمومةً إلى "طاسين" فَيُجْعَلا اسمًا واحِدًا كـ"دَارابَجِرْدَ" فالنوعُ الأول مَحْكِيٌّ ليس إلَّا.

كـ(دَرابَجِرْدَ)، فإنّه ضُمَّ "جِرْد" إلى "دَرابَ"[١] وأُبقيَ فتحة الباء، فهذا وجه الشبه. ولا تفاوت في أنْ ليس "طاسين ميم" على وزن "دَرابَجِرْدَ"؛ لوجود الألف بعد الطاء دون الدال.

وفي بعض النُّسخ "دارابَجِرْدَ" بألف بعد الدال،[٢] و"طاسين ميم" على وزنه من غير إشكال. وهو اسم قرية بناها مَلِك اسمه "داراب"، فهو تعريب[٣] "داراب كِرْدَ"، يعني: مصنوع داراب.

فالنوع الأوّل -وهو الذي لا يتأتّى فيه الإعراب- يتعيَّن فيه الحِكاية، وسيجيء معناها. وقوله: (ليسَ إلا) أي: ليس إلا[٤] الحكايةَ. والمُستثنى يجوز حذفها عند قيام قرينة دالّة على خُصوصية المُستثنى المحذوف، فلو قيل: "جاء القوم[٥] إلا" لم يجز، وإذا قلت: "ضربتُ زيدًا ليس إلا" جاز؛ لتقدُّم المُشعِر بالمحذوف.

و"محمّد بن طلحةَ بنِ عُبيد الله السَّجّادُ"، أي: المُتعبِّد، كان من آل رسول الله عليه السلام، طعنه شُرَيح بن أوفى بالرُّمح يومَ الجمل، ولمّا غلب شُرَيح وأراد طعنَه قرأ محمّد بن طلحة قوله تعالى:[٦] ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى ٤٢/٢٣]، يعني: أنا من ذوي القُربى فيجب عليكَ الكفُّ عن قتلي وإيذائي، فلم يلتفت شُرَيح إلى قوله، وقال شُرَيح: ذكَّرَني الآيةَ التي في "حاميم" بعد المُبارزة والتقدُّم، فلِمَ لم يقرأها قبل المُبارزة والتقدُّم؟ يعني:

---

١ ش: داراب.

٢ وكذلك وردَت في معجم البلدان للحموي، ٤١٩/٢. ولكنّها وردت من دون الألف بعد الدال في مطبوع كتاب سيبويه، ٢٥٨/٣. وقال التفتازاني مُعلِّقًا على هذا الموضع من الكشّاف: «وفي النُّسخة التي بخطِّ المُصنِّف "دَرابَجِرْدَ"، بدون الألف بعد الدال». حواشي الكشّاف، اللوح ١٨و. ودارابجرد: ولاية بفارس، وقرية من كُورة إصطخر، وموضع بنيسابور.

٣ ن - "داراب"، فهو تعريب.

٤ ن: إلا له.

٥ ش + ليس.

٦ ن - قوله تعالى.

وأمّا النوعُ الثاني: فسائغٌ فيه الأمران: الإعْرابُ والحكَايةُ، قال قاتِلُ محمدِ بنِ طَلْحَةَ السَّجَّاد وهو شُرَيْحُ بنُ أَوْفى العَنْسِيُّ:

يُذَكِّرُنِي حَامِيمَ وَالرُّمْحُ شاجِرٌ   فَهَلَّا تَلَا حامِيمَ قَبْلَ التَّقدُّمِ

فأَعْرَبَ "حاميمَ" ومَنَعَها الصَرْفَ، وهكذا كلُّ ما أُعْرِبَ مِن أخواتها؛ لاجتماعِ سَبَبي مَنعِ الصَّرْفِ فيها، وهُما: العَلَمِيَّةُ والتأنيثُ.

والحكايةُ: أَنْ تجيءَ بالقول بَعْدَ نَقْلِه على اسْتِبْقاءِ صُورتِهِ الأولى؛ كقولك: دَعْنِي من تمرتانِ، و: بدأتُ بالحمدُ للهِ، و: قرأت سورةٌ أنزلناها، وقال:

وَجَدْنا في كتابِ بني تميمٍ   أحقُّ الخيلِ بالرَّكْضِ المُعَارُ

لِمَ لم يشتغل بالقراءة[١] ولم يُعرِض[٢] عن المُقاتلة حتّى يَسلَم؟ يقال: شَجَر بين القوم أمرٌ وخُصومة، والتشاجُر: التخاصم. ونِسبة الشَّجْر إلى الرُّمح مَجاز.

قوله: (فأعربَ) عطف على (قال).

قوله: (وهكذا)، يعني: يكون غير مُنصرف. (من أخواتها) أي: من أخوات "حاميم".

قوله: (دَعني مِن تمرتان) في جواب مَن قال: هل يكفيك تمرتان؟ فكأنّه قال في جوابه: أيْشٍ يكون تمرتان حتّى يكفيني، فدعني من ذِكرهما. و"مِن" متعلِّق[٣] بـ"دعني"، ضمّنه معنى بعِّدني، أي: بعِّدني منه. وأثبتَ همزة "الحمدُ" في الدَّرْج[٤] بطريق الحكاية فرفعَه، ورفَعَ ﴿سُورَةٌ﴾ [النور ١/٢٤] كذلك.

[٣٢و] قوله: (وَجدْنا)... البيت، / يقال: عارَ[٥] الفرس، أي: انفلتَ[٦] وذهب ههنا وههنا من نَشاط.[٧] وأعاره[٨] صاحبه، أي: هيَّجه ليذهبَ وينفلتَ، فهو مُعار.[٩]

---

١ ن: بالقرآن.
٢ ضُبطت في د ش: يَعرِض.
٣ ن: يتعلّق.
٤ ن: المدرج.
٥ ن: غار.
٦ ن: انقلب.
٧ ن: نشاطه.
٨ ن: وأغاره.
٩ ن: مغار.

وقال ذو الرُّمَّة:

سمعتُ: الناسُ يَنْتَجعُونَ غيثًا فقلتُ لِصَيْدَحَ انتَجِعي بلالًا

ومنه[١] قول الطِّرمّاح: وَجدْنا... البيت.[٢]

قال أبو عُبيدة: الناس يعتقدون أنّه منَ الإعارة التي منها العاريَّة. فيكون المعنى أنّ الخيل إذا لم يكن مِلكًا له بل يكون في يده عاريَّة فيَركضُه[٣] ولا يُبالي بما يَلحقه منَ التعب. واعتقادهم خطأ؛[٤] لأنّ المُراد أنّ الفرس إذا هيَّجَه صاحبه لينفلتَ[٥] ويجيءَ ويذهبَ ثمّ يَركضُه، يكون عَدْوه قويًا. وكأنّه تضمين هذا البيت:

أَعِيروا خيلكم ثمّ اركضُوها أَحقُّ الخيل بالركض المُعارُ[٦]

و«الركض: تحريك الرِّجل، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾ [ص ٤٢/٣٨]. وركضتُ الفَرس برجلي، أي: استحثثتُه ليعدوَ، ثمّ كثُر حتّى قيل: رَكضَ الفَرسُ إذا عدا وليس بالأصل، والصواب رُكِضَ الفَرس، على ما لم يُسمّ فاعله، فهو مركوض».[٧]

وقول ذي الرُّمَّة: (سمعْتُ) والنُّجعة بالضمّ: طلب الكَلأ. تقول منه: انتجعتُ، وانتجعتُ فلانًا، إذا أتيتَه تطلب معروفه. والغَيث: المطر. وصَيْدَح:

---

١ ن: وفيه.

٢ البيت لبِشر بن أبي خازم في **ديوانه**، ص ٧٨؛ وهو من قصيدة له في **المفضّليّات** للضبّي، ص ٣٤٤. ونسبه إلى الطِّرمّاح الجوهري في **الصحاح**، «عير»، وتابعه على ذلك المُصنِّف ههنا. وقد نبّه العلماء قديمًا على هذا الإشكال في نسبة البيت. انظر: **مَجمع الأمثال** للميداني، ٢٠٣/١-٢٠٤؛ **والتنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح** لابن بري، «عير»؛ **والتكملة والذيل والصلة** للصغاني، «عير». ونقل معنى كلام الصغاني في هذا الطيبيُّ في **فتوح الغيب**، ١٦/٢-١٧.

٣ ن: فركضه.

٤ انظر لقول أبي عبيدة: **الصحاح** للجوهري، «ركض»؛ **ومجمع الأمثال** للميداني، ٢٠٣/١-٢٠٤.

٥ ن: لينقلب.

٦ ن: المعارة. | البيت بلا نسبة في **مجمع الأمثال** للميداني، ٢٠٣/١؛ **والتنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح** لابن بري، «عير»؛ **والتكملة والذيل والصلة** للصغاني، «عير».

٧ **الصحاح** للجوهري، «ركض».

وقال آخرُ:

تَــنـــادَوْا بـــالــرَّحِــيـــلِ غـــدًا   وفـــي تَـــرْحَـــالِـــهـــم نَـــفْـــسـي

عَلَم ناقةِ ذي الرُّمَّة. وبلالُ بن أبي بردة قاضي البصرة، وقيل: أميره. وكان جوادًا فيّاضًا. يعني: سمعتُ هذا[1] القولَ وهو: (النّاسُ يَنتجعون غيثًا)،[2] أي: يطلبون الخِصب والسَّعة من المطر،[3] فأعرضتُ عنه وقلتُ لناقتي: تعالَي نطلب الخِصب وسَعة العيش من بلال بن أبي بُردة؛ فإنّ نواله أكثر من نوال الغيث. ومثلُه قول آخرَ في حقِّ آخرَ:

مـا نَـــوال الـغَـمـامِ وقـتَ ربيعٍ   كـنَـــوال الأمـيـــر يـــومَ سـخـاءِ
فـنَـــوالُ الأمـيـــر بَـــدرةُ عَـيـنٍ   ونَـــوال الـغـمـامِ قـطـرةُ مـــاءِ[4]

وهذا معنى لطيف لو لم يُخاطب ناقته؛ ولهذا قال بلال بن أبي بُردة لمّا أنشده ذو الرُّمّة قصيدتَه:[5] يا غلامُ اعلف صَيْدحَ قَتًّا ونوًى.[6]

قوله: (تنادَوا)... البيت.[7] رَحَلتُ البعير رَحْلًا من باب "مَنَع"، أي: شددتُ عليه الرحل. والرحل للبعير: كالسرج للدابّة. ورحل فلان من البلد[8] وترحَّل وارتحل، أي: سار. والاسم الرحيل، والتَّرحال مصدر بمعنى الرَّحْل، أي: تنادوا بهذا الكلام، وهو: الرحيلُ غدًا، أي: حاصلٌ غدًا. ثمّ قال: وفي تَرحالهم تَرحال رُوحي. يجوز أن يريد: لو رحلوا وتركوه لَمات وفارق رُوحه؛ وأن يريد: أنّ فيهم مَن هو بمثابة روحه فلو رَحلوا لَفارق رُوحه.

---

١ د – هذا.

٢ البيت في ديوان ذي الرمّة بشرح الباهلي، ١٥٣٥/٣.

٣ ن – من المطر.

٤ هما لرشيد الدين الوطواط في كتابه حدائق السِّحر، ص ١٧٨. وبلا نسبة في نهاية الإيجاز للرازي، ص ١٧٨؛ ومفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٥٣٥.

٥ ن – قصيدته.

٦ انظر: الكامل للمُبرِّد، ٥٦٨/٢؛ والمُوشَّح للمَرزُباني، ص ٢٣٢.

٧ ما عرفت قائل البيت. وهو بلا عزو في سرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، ٢٣٢/١؛ وشرح الرضي على الكافية، ١٧٧/٤. وانظر تفصيل الكلام عليه في خزانة الأدب للبغدادي، ١٨٢/٩-١٨٣.

٨ ن: بين.

ورُوِيَ منصوبًا ومجرورًا.

ويقول أهل الحجاز في اسْتعلامِ مَن يقول: "رأيتُ زيدًا": مَن زيدًا؟

قوله: (ورُوِيَ) أي: البيت الأخير (منصوبًا ومجرورًا): أمّا النصب فعلى الحِكاية أيضًا، أي: ارحَلوا الرحيلَ غدًا، وأمّا الجرُّ فظاهر. وقيل: المعنى رُوِيَ "سمعتُ الناسَ" منصوبًا، و(بالرحيلِ) مجرورًا. ففيه لفٌّ ونَشرٌ.

قوله: (ويقول أهل الحجاز) اعلم أنّه إذا استفهم مُستفهِم بـ"مَن" عن نكرة، فإنْ وقف على "مَن" قابَل حركته التي كانت في لفظ المُخبِر بما يُجانسها من حروف المدِّ: فتقول إذا قال: جاءني رجل: مَنو؟ وإذا قال: رأيت رجلًا: مَنَا؟ وإذا قال: مررت برجل: مَنِي؟ وإنّما شُرِط الوَقف؛ لأنّها زيادة على خلاف الأصل، فشُرِط له الوقف؛ لأنّ الوقفَ[1] محلٌّ يقبل التغيير. فالواصل يقول في جميع ذلك: مَنْ يا فتى؟ وشُرِط أن يكون المُستفهِم نكرة؛ لأنّه الذي يُحتاج إلى تمييزه بالاستفهام في الغالب. ألا ترى[2] أنّك إذا قلتَ: جاءني رجل ورأيتُ رجلًا ومررتُ برجل، كان اللفظُ واحدًا والمعنى مُختلفًا، فدلّ ذلك على أنّ النكرات يُحتاج إلى تمييزها في الاستفهام عنها أكثرَ من احتياج غيرها، فكانت الزيادة بها أَلْيَق، فزادوا حُروف اللِّين لِيُدلُّوا على المُستفهَم عنه بما يُجانس إعرابه. وأمّا المَعرفة فقياسه أنّه غير / مُحتاج احتياج النكرة. [٣٢ظ]

فمَذهب بني تميم: أن يرفعوا في المعرفة البتَّةَ، عَلَمًا كان أو غير عَلَم؛ فيقولون لمَن قال: رأيت زيدًا: مَن زيدٌ؟ ولمَن قال: رأيتُ الرجُلَ: مَن الرجُلُ؟ بالرفع فيهما. ومذهب أهل الحِجاز: أنّ المعرفة إذا كان عَلَمًا أن يحكيَه المُستفهِم كما نطق به، فيقول لمَن قال: جاءني زيدٌ: مَن زيدٌ؟ ولمَن قال: رأيتُ زيدًا: مَن زيدًا؟ ولمَن قال: مررتُ بزيد: مَن زيدٍ؟ وإذا كان غير عَلَم فالرفع لا غيرُ، فيقول لمَن قال: رأيتُ الرجُلَ: مَن الرجُلُ؟

---

[1] ن: الوقوف.
[2] ن: يُرى.

وقال سيبويه: سمعتُ مِنَ العَربِ: لا مِنْ أينَ يا فَتَى.

فإن قلتَ: فما وَجْهُ قراءةِ مَن قرأَ: "صادَ" و"قافَ" و"نونَ" مَفْتُوحاتٍ.

وإنّما جرى في العَلَم الحِكاية عند أهل الحِجاز لِمَا تطرّق إليها من الإجمال؛[1] لكثرة[2] المُسمّيات بالعَلَم الواحد، فجرى فيها مَن اللَّبس المُقدَّر مثلُ ما يجري في النكرة، فقصدوا حِكايتَها ليُعرف منها ما قُصِد بالاستفهام عنه؛ ولم يُجعل العمل فيها كالعمل في النكرة فرقًا بين المَعرفة والنكرة، ولم يعكسوا لِمَا ذكرنا من أنّ الأكثر الاستفهامُ عن النكرة، فلو عكسوا لكثُر اللفظ وقلَّ الاختصار؛ لأنّ قولك: مَنُو؟[3] أخصرُ من قولك: مَن زيدٌ؟ ولأنّه لا يمكن حِكاية النكرة؛ لأنّك إن حَكيتَها وهي على لفظها استعملتَ اسم الجنس بعد تقدُّم ذِكره غير مُعرَّف باللام، وليس بجيّد. ألا ترى[4] أنّك لو قلتَ: جاءني رجل، ثمّ قلت بعد ذلك: رأيتُ رجلًا، وأنت تعني الدلالة عليه، لم يكن مستقيمًا، ولو حَكيتَ بالألف واللام لكنتَ حاكيًا لفظًا غير اللفظ الواقع في كلام مَن يحكيه، بخلاف العَلَم فإنّ ذلك غيرُ جارٍ فيه.

قوله: (لا مِن أين؟) يقول الرجل لآخر: مِن أين يا فتى؟ أي: من أين أنت يا فتى؟ فيقول الآخر[5] في جوابه: لا مِن أين يا فتى؟ وهذا بطريق الحكاية؛ لأنّ المُجيب لا يُريد أن يُخاطب السائل ويُناديه بهذا الكلام، بل غرضه أن يَذكر قوله بطريق الحكاية[6] ويقولَ له: لا تقل معي[7] هذا الكلام، ولا تسألني[8] عن مقامي؛ فإنّ ذلك ليس مَوضعَ السؤال، واسألني عن[9] مَناقبي وشرفي.

قوله: (فما وَجهُ قراءةِ؟) هذا سؤال على قوله: (والحكاية: أن تجيء)... إلخ، أي: لمّا كان "صادْ، قافْ، نونْ" في حال الحكاية سواكن فلِمَ قُرِئتْ[10]

---

[1] ن: الاحتمالات.

[2] ن: الكثيرة.

[3] د: منوا.

[4] ن: يُرى.

[5] ن: الرجُل.

[6] ن - لأنّ المُجيب لا يُريد أن يُخاطب السائل ويُناديه بهذا الكلام، بل غرضه أن يَذكر قوله بطريق الحكاية.

[7] ن: معنى.

[8] ن: ولا تسلني.

[9] ن - مقامي؛ فإنّ ذلك ليس مَوضعَ السؤال، واسألني عن.

[10] ن: فلو قُرِئت.

قلتُ: الأَوْجَهُ أن يقال: ذاك نَصْبٌ وليس بفَتْحٍ، وإنَّما لم يَصْحَبْه التنوينُ لامتناعِ الصَّرْف على ما ذكرْتُ، وانْتصابُها بفعلٍ مُضْمرٍ نحوَ: "اُذْكرْ"، وقد أجازَ سيبويه مِثْلَ ذلك في حاميم وطاسين وياسين لَوْ قُرِئَ به، وحَكَى أبو سَعيد السِّيرافيُّ أن بعضَهم قَرأَ: "ياسينَ".

ويجوزُ أن يقال: حُرِّكَتْ لِالْتِقاء السَّاكنَيْنِ؛ كما قَرأَ مَن قَرَأَ: "ولا الضَّألِّينَ".

فإنْ قلتَ: هلَّا زَعْمتَ أنها مُقْسَمٌ بها، وأنها نُصِبَتْ نَصْبَ قولِهِم: نَعَمَ اللهَ لأفعلنَّ،

في هذه[1] القراءة الشاذّة مفتوحاتٍ؟ وأجاب بأن الأَولى أن يقال: ذلك نَصبٌ بفعل مضمر وليس فتحًا، أي: حركةً بنائيّةً، لدفع[2] التقاء الساكنين، كما هو مذهب بعضهم؛ لأنّ التقاء الساكنين جائز في مثله كما مرَّ. وقد أجاز سيبويه النصب في "حم"، و"طس"، و"يس"، لو ورد به القراءة، يعني: قال سيبويه: النصب فيها بحسب العربيّة جائز،[3] لكن لمّا لم تَرد القراءة بالنصب لا يجوز أن تُقرأ بالنصب؛ لأنّ القراءة سُنّة مُتَّبعة، وليس كلُّ ما جاز في العربيّة جاز القراءة به.[4]

قوله: **(وحكى أبو سعيد)** كالاستدراك على المفهوم من قول سيبويه.

قوله: **(ويجوز)** عطف على قوله: **(الأوجَهُ)**، يعني: يجوز أن يقال: الفتح في "صاد"، و"قاف"، و"نون" فتحة بناء للفرار من التقاء الساكنين، وإن كان جائزًا على حِكاية حال الوقف، كالفرار في تحريك الهمزة مِن ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة ٧/١]، وإن كان التقاء الساكنين جائزًا في المُدغَم قبله لِينٌ في كلمة.

قوله: **(هلَّا زعمتَ)**، يعني: قد قلتَ إنّ "صاد"، و"قاف"، و"نون" منصوبات بفعل مُقدَّر. فلِمَ ما قلتَ: إنّها مُقسَم بها حُذِف منها حرف الجرّ، وأُوصِل الفعل إليها فنُصِب نَصبَ قولهم: نَعِمَ اللهَ؟ أصلُه: نَعِمْ واللهِ لَأفعلنّ، ثمّ حُذِف حرف[5] الجرّ وأُوصِل فعل القَسَم فنُصِب، فكأنّه قال: أَحلِفُ اللهَ، أي: أحلفُ باللهِ.

---

[1] ن: بهذه.

[2] ن: لرفع.

[3] انظر: كتاب سيبويه، ٢٥٧/٣.

[4] د - قوله: (وحكى أبو سعيد) كالاستدراك على المفهوم من قول سيبويه.

[5] ن - حرف.

و: إيَ اللهَ لأفعلنَّ، على حَذْف حرف الجرّ وإعْمالِ فعلِ القسم. وقال ذُو الرُّمَّةِ:

أَلَا رُبَّ مَـــن قَلْبـــي لــــه اللهَ ناصِـــحٌ

و"نَعَمْ" حرف تصديق، وقد يُكسر العين منه،[١] وهو هكذا في هذا المَوضع. رُوِيَ أنّ عُمر رضي الله عنه[٢] سأل قومًا عن شيء فقالوا: "نَعَمْ" بالفتح؛ فقال عمر رضي الله عنه:[٣] إنّما النَّعَمُ الإبل، فقولوا: نَعِمْ.[٤]

قوله: (وإيَ اللهَ لَأفعلنّ) أصله: إيْ واللهِ، حُذِف[٥] حرف القَسَم وانتَصب الاسم، كقوله تعالى: / ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ [الأعراف ١٥٥/٧]. فيجوز في "إيَ [٣٣و]
اللهَ" ثلاثة أوجه:[٦] **أحدها**: أن يُفتح الياء لالتقاء الساكنين على خلاف القياس في مثله؛ لأنّ قياس الساكنين في مثله إذا كان الأوّل حرف مدٍّ ولِينٍ أن يُحذَف[٧] الأوّل، ولكنّهم كَرِهوا ههنا؛ لئلّا يجيء لفظ كلفظ اسم اللهِ تعالى مكسورًا همزته فلا يُعرف معناه، ففتحوا ليظهر أمرُها بالفتح. **والثاني**: أن يُجمع بينها وبين الساكن الذي بعدها، وهو خلاف القياس أيضًا؛ لأنّ الساكنين في كلمتين، لكن شُبِّه بمثل "ضالّين" تشبيهًا للمُنفصل بالمُتَّصل كراهةَ أدائه إلى ما ذكرناه.[٨] **والثالث**: -وهو الجاري على القياس- حذفُ الياء لالتقاء الساكنين، فيكون لفظه "اللهَ". (**وقال ذو الرُّمّة**:

ألا رُبَّ مَـن قلبـي لـه اللهَ ناصـحٌ)[٩] ومَـن قلبه لي في الظِّباء السوانحِ[١٠]

سَنح الظَّبيُ يَسنَح سُنوحًا إذا مرَّ من مَياسرك إلى مَيامنك. فالسانح: ما ولّاك مَيامنه من ظبي أو طائر أو غيرهما. والعرب تتيمَّن بالسانح. وبَرح الظبيُ بُروحًا

---

[١] ن: فيه. | ذكر الزمخشري أنّها لغة بني كنانة. انظر: **المُفصَّل**، ص ٤١٦.
[٢] ن - رضي الله عنه.
[٣] ن - رضي الله عنه.
[٤] انظر: **المُفصَّل** للزمخشري، ص ٤١٦-٤١٧.
[٥] ن: بحذف.
[٦] انظر في هذه الوجوه: **شرح كتاب سيبويه** للسِّيرافي، ٢٤١/٢؛ **والمُخصَّص** لابن سِيده، ١١٤/١٣.
[٧] ن: أو بحذف.
[٨] ن: ذكرنا.
[٩] ن: قوله.
[١٠] البيت في ملحقات **ديوان ذي الرُّمّة**، ١٨٦١/٣؛ **وكتاب سيبويه**، ٤٩٨/٣؛ **وشرح المُفصَّل** لابن يعيش، ١٠٣/٩.

وقال الآخرُ:

فـــذاكَ أمَانـــةَ اللهِ الثَّرِيـــدُ

إذا ولّاكَ مَياسره، يَمرُّ[١] من مَيامنك[٢] إلى مَياسرك. والعرب تتشاءم به؛ لأنّه لا يُمكنك أن ترميَه حتّى تتحوَّل.[٣] وفي المَثَل: «مَن لي بالسانح بعد البارح».[٤] والقعيد من الوحش والظِّباء: ما يأتيك من ورائك. والنطيح والناطح: الذي يأتيك من أمامك من الطير والوحوش. أي: رُبَّ مَن قلبي ناصح له باللهِ، أي: أَحلِفُ باللهِ، يعني: أنا أُحبُّه وقلبه نافر عني نُفور الظبي، وشبَّهه بالظبي وجعله سانحًا لكونه مُباركًا عليه. وقيل: معنى البيت: رُبَّ أحدٍ ناصح قلبي له، وقلبه ناصح لي في محبّة الظباء، أي: النساء. "وقال آخر":

إذا مـا الـخُـبـزُ تـأدِمُـه بـلحـمٍ (فـــذاكَ أمانـــةَ اللهِ الثريـــدُ)[٥]

يقال أدمَ الخبز يأدِمُه، بالكسر. والإدام: ما يُؤتدَم به. يعني: أحلِفُ بأمانة الله أنّ الخبز[٦] إذا أُكِل مع اللحم فذاكَ الثريدُ. ولمّا كان الثريد طعامًا معتبرًا عندهم فضَّل الخُبز مع اللحم إظهارًا لفضل الخُبز مع اللحم. قال المُطرِّزي في **المُغرِب**:

> الأمانة: خلاف الخِيانة، وهي مصدر أَمُنَ الرجُل أمانةً، فهو أمين إذا صار كذلك. هذا أصلها ثـمّ سُمِّيَ ما تأتمِن عليه صاحبك أمانة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ [الأنفال ٢٧/٨]. والأمين من صفات الله تعالى، عن الحسن. وقولهم: أمانة الله من إضافة المصدر إلى الفاعل، وارتفاعه على الابتداء. ونظيره "لَعمرُ الله" في أنّه قَسَم، والخبر مُقدَّر. ويُروى بالنصب. ومَن قال: وأمانةِ الله، بواو القسم صحَّ.[٧]

---

١ ن: ثمّ.

٢ ن: ميامنك.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «سنح»، «برح». وفيه المَثَل: «مَن لي بالسانح بعد البارح».

٤ **جمهرة الأمثال** للعسكري، ٢٥٩/٢؛ **مجمع الأمثال** للميداني، ٣٠١/٢؛ **المستقصى** للزمخشري، ٢٥٩/٢.

٥ البيت بلا نسبة في **كتاب سيبويه**، ٦١/٣؛ و**المُفصَّل** للزمخشري، ص ٤٨٧؛ و**شرح المُفصَّل** لابن يعيش، ١٠٢/٩. ولا يُعرَف قائله. قال سيبويه قبل إيراد هذا البيت: «ويقال: وَضعَه النَّحْويون».

٦ ن: الخبز.

٧ **المُغرِب** للمُطرِّزي، «أمن».

قلتُ: إنَّ "القُرآن" و"القلَم" بَعْدَ هذه الفواتِحِ مَحْلوفٌ بهما، فلَو زَعَمْتَ ذلك لَجمَعْتَ بينَ القَسَمَيْنِ على مُقْسَمٍ عليه واحدٍ، وقد اسْتكرَهُوا ذلك، قال الخليلُ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [الليل ٩٢/١-٣]: الوَاوانِ الأُخرَيانِ لَيْستَا بمنزلةِ الأُولَى، ولكنَّهما الواوان اللَّتان تَضُمّان الأَسماءَ إلى الأسْماء في قولك: مررتُ بزيدٍ وعمرٍو، والأُولى بمنزلة الباء والتاء.

قال سِيبَوَيْه: قلتُ للخليل: فلِمَ لا تكونُ الأُخْرَيانِ بمنزلةِ الأولى؟

قوله: (**إنّ "القرآن" و"القلم"**)، يعني: لا يجوز أن تكون هذه الفواتح مُقسمًا بها ومنصوبةً نَصبَ ما ذكرتُم من الأمثلة على حذف حرف الجرّ وإعمال الفعل؛ لأنّ "**القرآن**" في قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص ٣٨/١]، ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق ٥٠/١]، و"القلم" في قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم ٦٨/١] محلوف بها. وإذا كان ما بعد هذه الفواتح مَحلوفًا بها، فلو كان هذه الفواتح مَحلوفًا بها لَزِم الجمعُ بين قَسَمين على مُقسَم عليه واحد، "والجمع بين قَسَمين على مُقسَم عليه واحد[1] مُستكرَه":

أمّا بيان أنّه يلزم الجمع بين قَسَمين على مُقسِم عليه واحد؛ فلأنّ الواو بعد هذه الفواتح إمّا للعطف أو للقَسم، لا يجوز أن يكون للعطف للمُخالفة في الإعراب فإنّ "صاد"، و"قاف"، و"نون" منصوبات، و"**القرآن**"، و"القلم" مجروران، فتعيَّن أن تكون الواو للقَسم، فيلزم اجتماع القَسمين على مُقسَم عليه واحد. وأشار إلى هذه المُقدِّمة بقوله: (**ولا سبيل**)... إلخ.

وأمّا بيان أنّه مُستكرَه؛ فلِما قال الخليل: "مِن أنّ[2] الواوين[3] الأخريين[4] في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [الليل ٩٢/١-٣] ليستا في مرتبة الواو الأولى"؛ لأنّ الأولى حرف جرّ تَعمل بالأصالة، والأخريان كالنائب لأنّهما للعطف، والواو الأولى للقَسم بمنزلة الباء. / وسأله سيبويهِ وقال: [٣٣ظ]

---

١ ن – والجمع بين قَسمين على مُقسَم عليه واحد.
٢ ن – من أنّ.
٣ ن: الواوان.
٤ ن: الأخيران.

فقال: إنَّما أَقْسَمَ بهذه الأَشْياءِ على شيءٍ واحد، ولو كان انْقَضَى قَسَمُه بالأَوَّلِ على شيءٍ لجازَ أَنْ يَسْتَعْمِلَ كلامًا آخرَ، فيكونَ كقولك: باللهِ لأَفْعلَنَّ باللهِ لأَخْرجَنَّ اليَوْم، ولا يَقْوَى أن تقول: وحَقِّك وحَقِّ زَيْدٍ لأَفْعلنَّ، والوَاو الآخِرةُ واوُ قَسَمٍ لا يَجوُز إلَّا مُسْتَكْرهًا.

قال: وتَقول: وحَياتِي ثُمَّ حياتِكَ لأفْعلنَّ، فـ"ثُمَّ" هاهُنا بمَنْزلةِ الوَاوِ.

"لِمَ لا يجوز أن يكون الأخريان أيضًا للقسَم كالأول؟" فقال الخليل: لأنّه إنّما أقسم بهذه الأشياء الثلاثة[١] على شيء واحد[٢] فلا يجوز أن تكون الواوان الأخريان للقسَم أيضًا.

ثمّ قال الخليل: **(ولو كان انقضى قَسَمه بالأوّل على شيء)**، يعني: لو ذَكر المُقسَم عليه للأوّل "لجاز أن يَستأنف كلامًا آخر" و**(يكون كقولكَ: بالله لأفعلنَّ، تالله[٣] لأخرجنَّ)**، وأمّا إذا لم ينقضِ فلا يجوز. ثمّ استدلَّ الخليل على ما ذَكر[٤] بقوله: **(ولا يقوى)** أي: لا يكون فصيحًا، أي: ليس في كلام الفصحاء مثل قولكَ: بالله تالله لَأقومنَّ، **(وحقِّك وحقِّ زيد لأفعلنَّ)**، بجعل **(الواو الآخِرة[٥] واوَ قسمٍ)**. ثمّ قرّره[٦] وأكّده[٧] بقوله: **(لا يجوز إلا مُستكرَهًا)**، يعني: يكون ضعيفًا غيرَ فصيح. وكلامُ الله تعالى لا يجوز حمله على ما يكون مُستكرَهًا.[٨]

ثمّ قال الخليل: ويكون قويًّا فصيحًا أن **(تقول: وحياتي ثمّ حياتِك لأفعلنَّ؛ فـ"ثمّ" ههنا بمنزلة الواو)** في الآية. وحاصله: استدلال آخر على أنّ الواوين الأُخرَيين للعطف، بأنّك لو جَعلتَ موضعهما الفاء وثمّ لكان المعنى على حاله، وهما حرف عطف فكذا الواو. إلى هنا قول الخليل.[٩]

---

١ ن - الثلاثة.
٢ ن ش - واحد. | وكان ناسخ ن كتبها ثمّ ضرب عليها.
٣ ن: بالله. | وفي مطبوع الكشّاف: بالله. | وأثبتُّ ما في د ش، وما هو الموافق لِما راجعتُ من أصول الكشّاف.
٤ ن: ذكره.
٥ ن: الأخيرة.
٦ ن: قدره.
٧ ن: وأكد.
٨ ن - يعني: يكون ضعيفًا غيرَ فصيح. وكلامُ الله تعالى لا يجوز حمله على ما يكون مُستكرَهًا.
٩ انظر ما أورده من أقوال الخليل وسيبويه في كتاب سيبويه، ٣/٥٠١-٥٠٢.

هذا وَلا سَبيلَ ....

وأنا أقولُ: الظاهر أنّه إنّما لم يَجُز ذلك؛ لأنّكَ إذا جَمعتَ[١] بين قسَمين على مُقسَم عليه واحد فلا بدَّ من حرف إشراك يُشرِك بينهما فيه، وإذا لم يكن ثمّة حرف عطف يُشرِك بينهما فيه فلا يجوز. بخلاف ما إذا جعلت الواو للعطف فإنّه حينئذٍ يجوز؛ لأنّه يُشرِك بينهما.

قوله: **(هذا)** أي: خذ هذا، أو هذا[٢] الذي ذكره. ثمّ قال: **(لا سبيلَ)**...[٣] إلخ؛ لدَفْع قول من يقول: لِمَ لا يجوز أن يكون فيما نحن فيه أيضًا كذلك، بأن تكون الواو للعطف؟ وحاصله بيان اللزوم على ما مرّ؛ فأجاب بالمُخالفة في الإعراب. و"الصَّدَد": القُرب. يقال: داري[٤] صَددَ دار فلان، أي: قُبالتها، نُصِبَ على الظرف. وقيل: إنّهما واوا قسمٍ آخر، وإلا لَزم العطف على عاملين مختلفين، وإذا كان فيه للقسم فكذا فيما نحن فيه.

أمّا بيان لزوم العطف على عاملين مختلفين فهو أنّ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ [الليل ١/٩٢] مجرور بواو القسم، و﴿إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل ١/٩٢] منصوب بالفعل المقدَّر الذي هو "أُقسِمُ"، فثبتَ أنّهما معمولان لعاملين مختلفين، فلو كان الواو في ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل ٢/٩٢] للعطف كان النهار مجرورًا عطفًا على الليل، و﴿إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ نصبًا عطفًا على ﴿يَغۡشَىٰ﴾. والجواب: أنه لمّا تنزّلتْ[٥] واو القَسَم بمنزلة[٦] الباء والفعل صارت كأنّها العاملة نصبًا وجرًّا، وكلُّ عامل أعمالُه مُتعدِّدة جاز العطف على معمولاته باتفاق، نحو: ضربَ زيدٌ عمرًا يومَ الجمعة وبكرٌ خالدًا يومَ السبت. هذا تقرير هذا المَوضع.

وأنا أقول: يجوز هنا أيضًا أن يكون الفواتح منصوبًا وما بعدها مِن "القرآن" و"القلم" معطوفًا على محلِّها بتقدير وجود حرف القَسَم والجرّ.

---

١ ن: جعلت.

٢ ن: وهذا.

٣ ش: ولا سبيل.

٤ ن - داري.

٥ ن: نزلت.

٦ ش ن: منزلة.

....

وهذا كما سأل سيبويهِ الخليلَ عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون ٦٣/١٠] فقال: لِمَ جُزم أكنْ؟ فقال الخليل: جُزِم؛ لأنّ الفعل الأوّل يكون مجزومًا[١] حين لا فاء فيه، والفعل الأوّل موضع دخول الفاء وسقوطه، و"لولا" للتخصيص، والمراد به هنا: الطلب والدعاء، فكأنّه قيل: أخِّرني إلى أجل قريب أصدَّقْ وأكنْ منَ الصالحين. ثمّ قال الخليل:[٢] هذا[٣] كقول[٤] عمرو بن مَعدي كَرِب:[٥]

دَعْـــــنـــي فـــأذهـــبَ جـانـبًـا ... يـــومًـــا وأكْـــفِـــكَ جـانـبـا[٦]

جزمَ "أكفِكْ"؛ إذ هو موضع يصلح أن يقال فيه: دَعني أذهبْ جانبًا وأكفكْ جانبًا. وكقوله:

بـدا لـيَ أنّـي لسْتُ مُـدركَ ما مضى ... ولا ســابِقٍ شــيئًا إذا كان جائيــا[٧]

---

١ ن: محذوفًا.

٢ هذا الكلام الذي تابع فيه المصنِّفُ الزَّمخشري يُوهِم أن استشهاد الخليل بالبيت منقول في كتاب سيبويه. والذي فيه استشهاد الخليل ببيت زهير الآتي بعده فحسب. ونبَّه على ذلك البغدادي بقوله: «بيت ابن مَعدي كَرِب لم يُورده سيبويه في كتابه البتَّة، لا هُنا ولا في موضع آخر». **خزانة الأدب**، ٩/١٠٠-١٠١.

٣ ن: هكذا.

٤ ن: يقول.

٥ ن + قوله.

٦ أورده محقِّق شعر عمرو بن مَعدي كَرِب في الشِّعر الذي ضعُفت نسبتُه إلى عمرو، ص ١٩٧. ونسبَه إلى عمرو الزمخشري في **المفصَّل**، ص ٣٣٦. وهو بلا نسبة في **شرح الرضي على الكافية**، ٤/١٢١. قال البغدادي عنه: «هذا البيت لم أجده في ديوان عمرو بن مَعدي كَرِب، فإنّي تصفَّحتُ ديوانه فلم أره فيه، كما أنّ غيري تصفَّح ديوانه فلم يجده فيه. والله أعلم». **خزانة الأدب**، ٩/١٠٢.

٧ البيت مُختلف في نسبته. قال البغدادي: «البيت نسبه سيبويه تارة لزهير بن أبي سُلمى، وتارة إلى صِرمة الأنصاري. وقال ابن خلف: وهو الصحيح. ويروى لابن رواحة الأنصاري». **خزانة الأدب**، ٩/١٠٥. وهو برواية «ولا سابقي شيءٌ» في **شرح شعر زهير لثعلب**، ص ٢٠٨. وقال ثعلب في أوّل القصيدة التي منها هذا البيت: «وزعم بعض الناس أنّها لصِرمة بن أبي أنس الأنصاري». ص ٢٠٦. انظر: **كتاب سيبويه**، ١/٣٠٦، ٣/٢٩، ٥١، ١٠٠. ونقل البغدادي في حديثه عن البيت: «قال الأصمعي: ليست هذه القصيدة لزهير لأنّها لا تُشبه شعره». **شرح أبيات المغني**، ٢/٢٤٤. وانظر: **ديوان عبد الله بن رواحة**، ص ١٦٦. والبيت بلا نسبة في **المفصَّل** للزمخشري، ص ٣٣٧.

فِيما نحْنُ بصَدَده إلى أن تَجْعلَ الواوَ للعَطْفِ؛ لمخالفةِ الثاني الأَوَّلَ في الإعْرابِ.

فإنْ قلتَ: فقَدِّرْها مَجْرُورةً بإضمارِ الباء القسميَّة لا بحَذْفِها، ....

أي: كما جرُّوا الثاني؛ لأنّ الأوّل قد تدخله الباء، فكأنّها[1] ثابتة فيه. فكذلك جَزموا الثاني؛ لأنّ الأوّل يكون مجزومًا ولا فاء فيه، فكأنّه مَجزوم.[2]

[٣٤و] واعلم أنّ هذا الذي / ذكرناه ليس اعتراضًا على كلام الخليل، بل هو اعتراض على كلام المُصنِّف حيث قال: **(لا سبيلَ فيما نحن بصدده إلى جَعْل الواو للعطف)**؛ فإنّه يمكن جَعْلُ الواو للعطف، كما مرَّ في هذه المواضع.

قوله: **(فقدِّرها)**، يعني: إذا ظهر أنّه لا يُمكن أن يكون "صاد" و"قاف" و"نون" منصوبًا بحذف حرف الجرّ وإيصال فعل القَسم للمحذور[3] الذي ذكرتُم، فاجعَلْها "مجرورة بإضمار باء القَسم لا بحذفها"، واجعل الواو للعطف؛ حتّى يتمَّ لكَ المصير إلى ما أشرتَ[4] إليه من أن الجمع بين القَسمين على مُقسَم عليه واحد، إنّما يجوز بواسطة حرف العطف. والمراد بـ"المحذوف": هو الذي تُرِك رأسًا ولا يكون في الكلام أثره، كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف ٨٢/١٢]، ولو أُبقيَ[5] أثر المحذوف لانجرَّ "القرية". وبـ"المضمر" خلاف ذلك، كقوله تعالى: ﴿ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء ١٧١/٤]. ثمّ إنّ حذف الجارّ وإيصالَ الفعل كثير في كلامهم، وأمّا إضمارُ الجارّ والجرُّ به[6] مضمرًا فقليل؛ فلذا قال المصنِّف: "فقدِّرها"... إلخ، وأتى بالفاء ليكون جوابَ شرط محذوف، أي: إذا تعذَّر الحذف الذي هو كثير فاعدِلْ إلى الإضمار. وقول المُصنِّف بعد ذلك: **(هذا لا يَبعُد عن الصواب)** يدلُّ أيضًا على ما قلنا.

والدليلُ على أنّ الحذف كثير والإضمار قليل قولُ ابن الحاجب في شرح المُفصَّل:

---

١ ن: فكتبها.

٢ جُلُّ هذا الكلام في **المفصَّل** للزمخشري، ص ٣٣٧؛ وبعضُه في **كتاب سيبويه**، ٣/١٠٠-١٠١.

٣ ن: المحذوفة.

٤ ن: أشرف.

٥ ن: بقي.

٦ ن: والمجرور.

فقَدْ جاءَ عَنْهم: "اللهِ لأَفْعلنَّ" مَجْرُورًا، ونظيرُه قوْلُهم: "لَاهِ أبوكَ"، ....

حذف حرف الجرّ يجيء تارة سماعًا في موضع، وقياسًا في موضع: فالسماعيُّ: طريقه النقل بمواضعه، كقولك: أستغفر اللهَ ذنبي، أي: من ذنبي؛ لأنّ الاستغفار يُستعمل بـ"مِن"، وأمرتُك الخيرَ، أي: بالخير، وإذا حذفتَ حرف الجرّ وجب النصب؛ لأنّه مفعول فلا وجه فيه إلا النصب.

والقياسيُّ: حذف حرف الجرّ مع "أنْ" و"أنّ" على اختلاف ألفاظها، تقول: عجبتُ أنّكَ قائم، وجئت أنّكَ أكرمتَني، أي: "من أنّك" و"لأنّك"، وإذا حذفتَ حرف الجرّ مع "أنْ" و"أنّ" فالصحيح أنّها في موضع نصب، إجراءً لها مُجرى ما حُذِف منه أوّلًا حرف الجرّ فيما تقدَّم على الوجه المذكور. وقد زعم الخليل أنّها في موضع خفض، وهذا يدلُّ على أنّه قدَّرها مُضمرة مثلَها في قولهم: اللهِ لَأفعلنَّ، بالخفض. فبقيَ النظر في: إنّ الحذفَ أولى أو الإضمارَ. والأَوْلى الحذف؛ لأنّه الكثير الشائع، والإضمار قليل نادر، فكان حَملُ هذا المُلبِس[1] على ما هو كثير في كلامهم أَولى من حمله على النادر.[2]

قوله: **(فقد جاء)** هذه الفاء للسببيّة، أو جواب شرط محذوف أيضًا، أي: إن أضمرتَها فلا بُعدَ فيه؛ لأنّه قد جاء. وهذا الكلام أيضًا يدلُّ على قِلّته.

قوله: **(اللهِ لأفعلنَّ)** أصله: واللهِ، أُضمِر حرف الجرّ فبقيَ الاسم مجرورًا، كقول رُؤبة: "خيرٍ" بالجرِّ؛ إذا قيل له: كيف أصبحتَ؟[3] قال المُصنِّف في **المُفصَّل**: ولكثرة القَسم في كلامهم أكثروا التصرُّف فيه؛ توخَّوا ضروبًا من التخفيف، من ذلك حذف الفعل في "باللهِ"، والخبرِ[4] في "لَعمرُك"، وحرفِ القَسم في "اللهِ".[5]

قوله: **(لاهِ أبوكَ)** أُضمِرتِ اللام الأُولى فبقيَ لامان، أُولاهما ساكنة، ولا يُمكن الابتداء بالساكن؛ فحُذِفت اللام الأولى، فبقيَ "لاهِ أبوكَ".

---

١ ن: الملتبس.

٢ انظر: **الإيضاح في شرح المُفصَّل** لابن الحاجب، ١٥٣/٢-١٥٤. **والخصائص** لابن جنّي، ٢٨١/٢؛ **والإنصاف في مسائل الخلاف** لأبي البركات الأنباري، ٣٩٨/١.

٣ انظر لقول رؤبة: **الكامل** للمُبرِّد، ٦١٧/٢؛

٤ ن: والجر.

٥ انظر: **المُفصَّل** للزمخشري، ص ٤٨٢.

غيْرَ أنّها فُتِحَتْ في مَوْضع الجَرِ لكَوْنها غيرَ مَصْروفَةٍ، وَاجْعَلِ الواوَ للعطف حتى يَسْتَتِبَّ لك المَصِيرُ إلى نحوِ ما أَشَرْتَ إليه.

قلتُ: هذا لا يَبْعُد عن الصَّواب، ويَعْضُده ما رَوَوْا عَن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أنّه قال: أَقسَمَ اللهُ بهذه الحروف.

فإنْ قلتَ: فما وَجْهُ قراءةِ بعضِهم: "صادِ" و: "قافِ" بالكِسر؟

قلتُ: وَجْهُها ما ذَكرتُ من التحريك لالتقاءِ الساكنَيْن، والذي يَبْسط مِن عُذْر المحرِّك: أن الوَقْفَ لمّا اسْتَمَرَّ بهذه الأَسَامِي شاكلَتْ لذلك ما اجْتَمعَ

قوله: (غيرَ أنّها) استثناء مُنقطع، أي: قدِّرها مجرورة، لكنّها "تكون مفتوحة في موضع الجرّ".

قوله: (واجعل الواو) عطف على "فقدِّرها". و"استتبّ: الأمر، أي: تهيّأ واستقام، كأنّه من التَّباب: وهو الهلاك، فكأنّه إذا تمّ طلبَ الهلاك. قال الشاعر:

إذا تـــمّ أمـــرٌ دنـــا نقصُـــه[1] توقَّـــعْ زوالًا[2] إذا قيـــل تـــمّ[3]

[٣٤ ظ] قوله: (فما وجه؟) أي:[4] إذا ثبتَ وجهُ قراءةٍ من قرأ بالنصب، / فبَيِّنْ أنّ "مَن قرأ بالكسر" فما وجه قراءته؟

قوله: (وجهُها ما ذكرتُ)، يعني: وجهُ قراءة مَن قرأ بالكسر (التحريكِ[5] لالتقاء الساكنين)، ولا يُمكن أن يكون بإضمار حرف القَسَم، وإلّا لكان جرُّها بالفتح لأنّها غير مُنصرف.

قوله: (والذي يَبسط من عُذر المُحرِّك) اعلم أنّه ذَكر فيما مرَّ أنّه يجوز أن يكون الفتح في "صاد" و"قاف" و"نون" لالتقاء الساكنين، وذَكر أيضًا هنا أنّ الكسر فيها إنّما هو لالتقاء الساكنين، وقد مرّ أنّ التقاء الساكنين فيها جائز،

---

١ ن: بعضه.
٢ ن: رفالًا.
٣ البيت لأبي بكر الخوارزمي في يتيمة الدهر للثعالبي، ٢٥٩/٤. وهو بلا نسبة في المصون لأبي أحمد للعسكري، ص ١٤٩؛ وتفسير الرازي، ١٥٠/٣٢ (النصر، ١/١١٠).
٤ ن: إنما.
٥ ن: والتحريك.

في آخره ساكنانِ من المَبْنِيَّات، فعُومِلَتْ تارةً مُعَامَلَةَ "الآنَ" وأُخْرَى مُعَاملةَ "هؤلاءِ".

فإنْ قلتَ: هَلْ تُسوِّغُ لي في المَحْكيَّةِ مِثْلَ ما سَوَّغْتَ لي في المُعْرَبَةِ مِن إرادةِ مَعْنى القَسَم؟

فقال: عُذر المُحرِّك "أنّ الوقف مُستمرّ مع هذه الكلمات"؛ لأنّ المُتلفِّظ بها لم يُرِد إسناد شيء منها إلى ما بعدها، ولا الربط بين شيء منها وبين ما بعدها بوجه آخر، فكأنّ كُلًّا منها موقوف عليها وإن وُصِل لفظًا بما بعدها، و"لمّا استمرّ الوقف بها شابهَت المَبنيّات التي في آخرها ساكنان" لِلزوم السكون في آخرها، (**فعُوملت تارة مُعاملة "الآن"**) فحُرِّكت بالفتح، "وتارة مُعاملة 'هؤلاء'" فحُرِّكت بالكسر. قال المُصنِّف في **المُفصَّل**: «الآن: هو الزمان الذي يقع فيه كلام المُتكلِّم، وقد وَقعت في أوّل أحوالها بالألف واللام، وهي عِلّة بنائها».[1] وقال ابن الحاجب في **شرحه**:

> عِلّة بناء "الآن" هو تضمُّنها حرف التعريف، ولا يقال: إنّ الألف واللام فيه للتعريف؛ إذ ليس هو "آن" دخلت عليه الألف واللام، بل هو موضوع في أوّل أحواله بالألف واللام، وليس حُكمُ لامِ التعريف ذلك، فوجب أن يكون تعريفه بأمر مُقدَّر، وهو تَضمُّنه معنى لام التعريف. وهو معنى كلامه في قوله: "فقد وقعت في أوّل أحوالها بالألف واللام وهو عِلّة بنائها"؛ لأنّها لمّا وقعت كذلك وهي مُعرَّفة وجب أن تكون مُعرَّفة بحرف تعريف مُقدَّر، فوَجب بناؤه.[2]

وأمّا على الفتح فلِلخفَّة أو لتُشابهَ حركته حركةَ ما يَستحقُّه الظرف مِن النصب، وأمّا بناء "هؤلاءِ" على الكسر فعلى أصل التقاء الساكنين. وقوله: "مِن عُذر" للتبعيض، فكأنّه عُذرٌ غيرُ تامّ.

قوله: (هل تُسوِّغ؟) التسويغ: التجويز، يُشير إلى أنّه يجوز "في الفواتح المَحكيّة ما جاز في الفواتح التي أُعرِبت، من إرادة معنى القَسَم"، لكن يُشترط فيه أيضًا أن يقدَّر حرف القَسَم مُضمرًا عاملًا في ﴿حم﴾ [الزخرف ١/٤٣] عملَ الجرّ،

---

١ **المُفصَّل** للزمخشري، ص ٢١٥.

٢ **الإيضاح في شرح المُفصَّل** لابن الحاجب، ٤٩٤/١.

قلتُ: لا عَليكَ في ذلك، وأَن تُقدِّر حَرفَ القَسم مُضمرًا في نَحْو قَوْله عزَّ وعَلا: ﴿حمٓ ۝ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الزخرف ٤٣/١-٢]، كأنَّه قِيل: أُقْسِمُ بهَذه السُّورة وبالكتابِ المُبيْنِ ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ [الزخرف ٤٣/٣]، وأَمَّا قَوْله صلى الله عليه وسلم: «حم لَا يُنْصَرون»، فَيَصْلُح أنْ يُقْضَى له بالجَرِ والنَّصْبِ جَمِيعًا على حَذْفِ الجارِّ وإِضْمارِه.

ولا يجوز تقديرُ حذف الجارّ وإعمالُ فعل القَسَم؛ لئلّا يلزم الجمع بين قَسَمين على مُقسَم عليه واحد، إذ لا يُمكن جَعلُ الواو للعطف، للمُخالفة بين المعطوف والمعطوف عليه في الإعراب، على ما مرّ، وإن كان في الأوّل مُقدَّرًا وفي الثاني ملفوظًا. وإنّما قال: **(لا عليكَ)** أي: لا بأس عليكَ -مع ما اشتهر من أنّه لا يقال: لا بأس إلّا فيما فيه نوعُ بأس- لأنّ إعمال الجارّ مُضمرًا لا يخلو عن ضعف. وقوله: **(وأن تُقدِّر)** عطفٌ على قوله: **(ذلك)** أي: لا بأس في هذا المجموع، وهو إرادة معنى القَسَم مع "تقدير حرفه مُضمرًا"، فلو قُدِّر محذوفًا لامتنع، على ما مرَّ، فيُناسب أن تكون الواو في "وأن تُقدَّر" بمعنى "مع".

وقوله: **(في نحو قوله عزَّ وعلا: ﴿حمٓ ۝ وَٱلْكِتَٰبِ﴾ [الزخرف ٤٣/١-٢])** إشارة إلى أنّ تقدير حرف القَسَم مضمرًا إنّما يُحتاج[1] إليه إذا كان بعد الفواتح اسم مجرور بعد الواو، وأمّا إذا لم يكن بعدها اسم مجرور نحو: ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلٌ﴾ [غافر ٤٠/١-٢] فلا حاجة إلى ذلك على التعيين، بل يجوز النصب والجرُّ على الحذف والإضمار. وكذا **(قوله عليه السلام: «حم لا يُنصرون»)**.[2] لقيَ النبيُّ عليه السلام العدُوَّ في بعض مَغازيه، فقال عليه السلام: «حم لا يُنصرون».

فقيل في معناه: إنّ "حم" من أسماء الله تعالى: من أنّ المعنى: اللّٰهمّ لا يُنصرون. وفيه نظر؛ لأنّ "حم" ليس بمذكور في أسماء الله تعالى،[3] ولأنّ أسماءه[4] تعالى

---

[1] ن: احتاج.

[2] مسند أحمد، ٢٧/١٦٢ (١٦٦١٥)؛ سنن أبي داود، ٣/٢٥٥ (٢٥٩٠)؛ سنن الترمذي، ٣/٣٠٧ (١٦٨٢). وانظر تفصيل الكلام عليه في تخريج أحاديث الكشّاف للزّيلعي، ١/٣٤-٣٨.

[3] د - من أنّ المعنى: اللّٰهمّ لا يُنصرون. وفيه نظر؛ لأنّ "حم" ليس بمذكور في أسماء الله تعالى. | ووردت هذه الزيادة تعليقًا في هامش د، من غير تصحيح أو إشارة إلى أنها من المتن.

[4] ن: أسماء الله.

فإنْ قلتَ: فما مَعْنى تسْميةِ السُّوَرِ بهذه الألفاظِ خاصَّةً؟

ما منها شيء[١] إلّا وهي مُفصِحة / عن ثناء وتمجيد،[٢] و"حم" ليس إلّا اسمَيْ حرفين من حروف المُعجَم، فلا معنى تحته يَصلح لأن يكون به بتلك المثابة، ولأنّه لو كان اسمًا كسائر الأسماء لَوجب أن يكون في آخره إعراب؛ لأنّه عار[٣] عن عِلل البناء. والذي[٤] يؤدّي إليه النظر أنّ السوَر السبع التي[٥] في أوائلها "حم" سور[٦] لها شأن؛ فأقسم النبيُّ عليه السلام بها، فيكون مجرورًا بإضمار الجارّ أو منصوبًا بحذفه، وجوابه "لا يُنصَرون"، والله تعالى يَبَرُّ[٧] قَسَمه، أو أخبره جبرئيل[٨] أنّهم لا يُنصرون، فأقسم عليه السلام للإخبار بأنّهم لا يُنصرون. أو نقول: نبّه عليه السلام على أنّ ذِكرها لشَرف منزلتها وفَخامة شأنها عند الله تعالى ممّا يُستعان به على استِنزال رحمة الله ونُصرة المسلمين[٩] وفَلَّة[١٠] شَوكة الكافرين. وقوله عليه السّلام: "لا يُنصرون" كلام مُستأنَف؛ كأنّه حين قال: "حم" قيل له: ماذا يكون؟ فقال: لا يُنصرون.[١١] [٣٥و]

قوله: **(فما معنى تسمية السوَر؟)** أي: إذا ثبت أنّها أسماء السوَر، وثبَت ما جاز فيها من الإعراب والحكاية، فبَيِّن لنا أنّه[١٢] ما معنى تسمية السوَر بها، أي: ما الحكمة في أنْ سُمِّيت السوَر بهذه الألفاظ التي هي أسماءُ الحروف دون غيرها؟ فإنّه لم يَرِد في شيء من **القرآن** تسميةُ سورة من سوَره بغير ألفاظ التهجّي، وهو معنى قوله: **(خاصّة)**. وأجاب: بأنّ هذه الألفاظ لمّا كانت أسماءَ الحروف جُعِلتْ أسماءً للسوَر إشعارًا بأنّ **القرآن** ليس إلّا ألفاظًا عربيّة مُركَّبة من هذه الحروف.

---

١ ن – شيء.
٢ ن: تحميد.
٣ ن – لأنّه عار.
٤ ن: الذي.
٥ ن: الذي.
٦ ن: سورة.
٧ ن: بيّن.
٨ ش ن: جبريل.
٩ ن: للمسلمين.
١٠ ش ن: قلّة. | الفَلّة والفَلّ: الثَّلْم في السيف، جمعه فلول: وهي كُسور في حدّه. انظر: لسان العرب لابن منظور، «فلل».
١١ من قوله: "فقيل في معناه" إلى هنا بلفظ قريب في التكملة والذيل والصّلة للصغاني، «حمم».
١٢ ن: كنهَ.

قلتُ: كأنَّ المعنى في ذلك: الإشعارُ بأنَّ الفُرقانَ لَيسَ إلَّا كلِمًا عربيَّةً مَعْروفَةَ التَّرْكيبِ مِن مُسمَّياتِ هذه الألفاظ؛ كما قال عزَّ مِن قائلٍ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف ١٢/٢].

فإن قلتَ: فما بالُها مكتوبةً في المُصْحفِ ....

قوله: (**معروفة التركيب**)،[١] أي: يَعلم كلُّ أَحد منهم أنَّ الكَلِم العربية مُركَّبة من هذه الحروف. وفي قوله: (**الإشعار**) إشارةٌ إلى رِعاية المُناسبة بين اللفظ والمعنى. وقوله: (**ليس إلّا كَلِمًا**)...[٢] إلى آخره، يُمكن أن يكون إشارة إلى مذهبه؛ لأنَّ الكلام النفسيَّ ليس ثابتًا عندهم، والقرآن عندهم ليس غيرَ هذه الحروف. ويُمكن أن يكون مراده أنَّ القرآنَ المُنزَل ليس إلّا كَلِمًا عربيّة، كما هو مذهب الكُلّ من غير النظر إلى ثُبوت معنًى آخر وعدمه، فتكون إشارةً إلى أنّ هذا كالتنبيه للسامعين على أنّهم لمّا عَجَزوا عن الإتيان بمثله، مع تركُّبه[٣] من عين الحروف التي يَنظمون منها كلامهم، دلّ ذلك على أنّه ليس بكلام البشر، وأنّه[٤] كلام خالق القُوَى[٥] والقُدَر، كما ستجيء الإشارة إلى مثله في الوجه الثاني.

قوله: (**كما**) خبر مبتدأ محذوف، أي: هذه التسمية كقوله تعالى؛ فإنّ معناه: إنّا أنزلناه مُركَّبًا من الحروف التي تُركِّبون منها كلامكم، وإذا عَجَزتم عن الإتيان بمثله تحقّق أنّه كلامُنا، ليس من كلام البشر.

قوله: (**فما بالُها مكتوبةً؟**) تقريره أن نقول: لمّا كان هذه الألفاظ، أي: الفواتح أسماءً للسوَر[٦] يكون مُسمّاها هو السوَر لا مَحالة، والاسم الموضوع للسوَر هذه الألفاظ التي هي الأسماء، فالقياس أن تُكتب هذه الألفاظ التي هي الأسماء على صورة نفسها، لا على صورة الحروف التي هي مُسمّاها في وضع آخر، كما لو سَمَّيت شخصًا بزيد أو عمرو أو عَين مثلًا، فإنّك حالَ الكتابة تَكتبُ الاسم لا المدلول. فلِمَ كُتِبت هذه الأسماء "في المُصحَف على صوَر[٧] الحروف

---

١ ن: التراكيب.
٢ ن - كلمًا.
٣ ن: تركيبه.
٤ ن: أو أنّه.
٥ ن: العرى.
٦ ن: السوَر.
٧ ن: صورة.

على صُوَرِ الحُرُوف أَنْفُسِها لا على صُوَرِ أَسَاميها؟

قلتُ: لأن الكَلِم لمَّا كانت مركبَةً مِن ذواتِ الحروف، واسْتمرَّتِ العادةُ متى تُهُجِّيَتْ ومتى قِيل للكاتب: اُكْتُبْ كَيْتَ وكَيْتَ، أَنْ يُلْفَظَ بالأسماءِ وتقعَ في الكتابة الحروفُ أَنْفُسُها= عُمِلَ على تلك الشَّاكِلَةِ المألوفةِ في كتابة هذه الفواتح.

لا على صوَر[١] أسامي الحروف؟" وقوله: "مكتوبةً" حال مِن الضمير المجرور في "بالُها"؛ لأنّه في معنى الفاعل، لأنّ معنى قولك: ما بالُ زيد؟ قريب من معنى قولك: ما شأنُ زيد؟ أي: ما تَصنعُ الحروف مكتوبةً؟ وقوله: **(أنفُسِها)**[٢] بدل من **(الحروف)**، فكأنّه قال على صوَر[٣] أنفُسِ الحروف.

قوله: **(لأنّ الكَلِم)** اعلم أنّه لمّا كان معنى قوله: "فما بالُها؟"... إلخ: لِمَ كُتِبت على صور[٤] الحروف؟ / حَمل المُصنِّف الكلام على المعنى، وأجاب بقوله: "لأنّ الكلم"...[٥] إلخ، وإلّا فحقُّ جواب قوله: "فما بالُها؟"... إلخ، أن يقال: بالُه كذا وكذا.[٦] إذا عَرفت هذا فنقول: أجاب عن السؤال من ثلاثة أوجه: **الأوّل**: أنّ الكلمات لمّا كانت مركَّبة من نَفْس الحروف، وجرَت العادة متى تُهُجِّيَت الحروفُ على أن يُلفظ بالأسماء، ويقال: "عين ميم دال"، و"متى قيل للكاتب: اكتبْ"، على أن يَكتب الحروف نحو "عَ مَ دَ"، عُمِل في كتابة هذه الفواتح على تلك الطريقة المألوفة في كتابة أسماءِ الحروف. وتكريرُ لفظ "متى" في **(متى تُهُجِّيتْ)** و**(متى قيل)** يدلُّ على أنّ المراد اللف والنشر على الوجه الذي ذكرنا. وقوله: "متى تُهُجِّيتْ" ظرف لقوله: **(استمرَّت)**، فكأنّه قال: استمرَّتِ[٧] العادة في أوقات التهجّي. وقوله: **(أن يُلفَظ)** أي: على أن يُلفَظ، كان الجارُّ مُتعلِّقًا بـ"استمرَّت" فحُذِفَت. وقوله: **(عُمِل)** جواب **(لمّا)**. و**(الشاكلة)**: الطريقة. وفائدة قوله: **(لمّا كانت مُركَّبة مِن ذوات الحروف)** أن يُشير إلى أنّ هذه الألفاظ وإن لم تكن أسماءً للحروف في الفواتح، [٣٥ظ]

---

١ ن: صورة.
٢ ن: نفسها.
٣ ن: لا على صور.
٤ ن: صورة.
٥ ن: الكلام.
٦ ن - وكذا.
٧ ن - فكأنّه قال: استمرّت.

لكنّها أسماءٌ للسوَر المُركّبة[١] من الحروف لا مَحالة، فلمّا كانت مُركّبة من الحروف واستمرّتِ العادة المذكورة ناسب أن تُكتَب الحروفُ.

واعلم أنّ قوله: "ذوات الحروف" مُحتاج إلى تقرير؛[٢] فنقول: "ذو" بمعنى صاحب يقتضي شيئين: موصوفًا ومضافًا إليه، تُوصَف به النكرة والمَعرفة: فإن وَصَفتَ به النكرة أضفتَه إلى النكرة، وإن وَصَفت به المعرفة أضفته إلى المُعرَّف.[٣] تقول: جاءني رجلٌ ذو مالٍ، بالواو في الرفع، وبالألف في النصب، وبالياء في الجرّ؛ وتقول للمُؤنّث: امرأةٌ ذاتُ مالٍ، وللتثنيين:[٤] ذواتا[٥] مالٍ.[٦] قال تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٍ﴾ [الرحمن ٤٨/٥٥]. وقال في **الصحاح**: تقول: هاتان ذواتا مالٍ. وبه استُدلّ على أنّ أصل ذُو: ذَوًى مثل عَصًى. وتقول للجماعة: ذوات مالٍ.[٧]

وتحقيق ذلك أنّ أصل "ذات"[٨] في المؤنث "ذَوَيَة"، قُلِبت الياء ألفًا فصار ذَوات، ثمّ حُذِف الواو على غير القياس فصار ذات، ولمّا أُرِيد تثنيته ثُنِّيَ أصله، أعني: "ذوات"، فصار "ذواتا"، وكذا لمّا أُرِيدَ[٩] جَمعُه جُمِع "ذوات" فصار "ذواتات"،[١٠] ثمّ حُذِف التاء لاجتماع التائين كما في "مُسلمات"، فالتقى ألفان فحَذَف أحدِهما،[١١] فصار "ذوات".

هذا أصل الكلمة. ثمّ اقتطعوا عنها مُقتضَيَيْها، وأجرَوها مُجرَى الأسماء التامّة المُستقلّة بأنفسها غيرِ المُقتضية لِما سواها، فقالوا: ذات مُتميّزة[١٢] وذات قديمة أو مُحدَثة، ونَسبوا إليها كما هي من غير تغيير[١٣] علامةَ التأنيث، فقالوا:

---

١ ن: والمُركّبة.
٢ ن: تقدير.
٣ ن: المعرفة.
٤ ن: وللشيئين.
٥ ن: ذوا.
٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، ٢٥٥١/٦ (باب الألف الليّنة)؛ و**المُغرِب** للمُطرِّزي، «ذو».
٧ انظر: **الصحاح** للجوهري، ٢٥٥١/٦ (باب الألف الليّنة).
٨ ن: ذا.
٩ ن: ما أُريد.
١٠ ن: ذواتان.
١١ ن: أحدهما.
١٢ ن: مميزة.
١٣ ن – تغيير.

وأيضًا: ....

الصفات الذاتيّة، واستعملوها استعمال النفْس. ومنه قوله: "ذواتِ الحروف"، أي: أنفُسُ الحروف. وتُستعمل أيضًا بمعنى الشيء. عن أبي سعيد: كلُّ شيء ذات وكلُّ ذات شيء. وحكى صاحب **التكملة**[١] قول العَرَب: جعل الله ما بيننا في ذاته. قيل، أي: لأجله. وعليه قول أبي تمّام:

ويَـضـرِبُ فـي ذاتِ[٢] الإلـه فـيُـوجِـعُ[٣]

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران ١٥٤/٣] فمن الأوّل، أي: بالأمور المُصاحبة للصدور. وكذا قولهم: فلان قليل[٤] ذات اليد، وقلَّت ذات يده؛ لأنّ المعنى: الأموال المُصاحبة لليد. وكذا قولهم: أصلِحْ ذات بينهم، وذو اليَد أحقُّ.[٥]

قوله: **(وأيضًا)** هذا هو الجواب **الثاني**. وتقريره أن نقول: لمّا أمِنوا من وقوع الالتباس كتبوا على صوَر أنفُس الحروف لا على صُور أساميها؛ للخِفّة. وبيان الأمن من وجوه ثلاثة:[٦]

الأوّل: أنّ أمر تلك الفواتح كانت مشهورة، وكانتْ تُقيمها ألسُنُ[٧] الناس؛ فلذلكَ أمِنوا اللَّبس. ومعنى الإقامة: حِفظها من أن يقع فيه لَبس أو زَيغ. والمراد بالأسود والأحمر: العَرَب والعَجَم.

---

١ لم أقف على القول في مطبوع **التكملة والذيل والصلة** للصغاني. ولعلّه يريد كتاب **الصلة** لأحمد بن محمّد البشتي المعروف بالخارْزَنجي، ألّفه تكملةً لكتاب **العين** المنسوب إلى الخليل. وورد ذِكر الخارْزَنجي في مواضع من التفاسير السابقة على المُصنِّف، مثل: **الكشف والبيان** للثعلبي، **والبسيط** للواحدي، **وتفسير الرازي**، **وتفسير القرطبي**. وتعرّض الأزهري للخارْزَنجي وانتقد عمله في **التكملة** انتقادًا شديدًا وعدّد جُملًا من خطئه وتصحيفه فيه، وذلك في مقدمة **تهذيب اللغة**، ٣٢/١-٤٠.

٢ ن: ذاته.

٣ ن: فيرجع. | والشعر في **ديوان أبي تمّام**، ٣٢٦/٢. وصدره:

يقول فيُسمِعُ ويمشي فيسرِعُ

٤ ن: قيل.

٥ من قوله: "هذا أصل الكلمة" إلى هنا بلفظ قريب في **المُغرِب** للمُطرّزي، «ذو».

٦ ن – ثلاثة.

٧ ن: أنفُس.

فإنَّ شهرةَ أَمْرِها، وإقامَةَ أَلْسُنِ الأسودِ والأَحْمر لها، وأنَّ اللافِظَ بها غيْرَ مُتَهجَّاةٍ لا يَخْلَى بطَائلٍ مِنْها، وأَنَّ بعضها مُفردٌ لا يُخطِرُ ببالٍ غيرَ ما هو عليه من مَوْردِهِ= آمَنت

الثاني: أنّ اللافظ[١] بتلك الألفاظ من غير أن يتهجّاها بأن يقول: مثلًا "كَ هَ يَ" لا يَظفر / بفائدة، وإذا تلفّظ[٢] بها مُتهجَّاة[٣] يَشتمل تلفُّظه على فائدة، فإذا كُتِبت على صوَر[٤] الحروف لا يَلتبس أنّ المراد هو المُشتمِل على الفائدة لا العاري[٥] منها. قال في **الصحاح**: «تحلّى بالحُليّ: تزيّن به. قولهم:[٦] لم يَحْلَ منه بطائل، أي: لم يَستفِد منه كثيرَ فائدة. ولا يَتكلّم به إلّا مع الجَحد».[٧] والطَّوْل بالفتح: المَنُّ والفضل. ويقال: هذا أمرٌ لا طائل فيه إذا لم يكن فيه غِنًى[٨] أو مَزيَّة. وقوله: **(غيرَ مُتهجّاة)** حال من الضمير في **(بها)**. [٣٦و]

الثالث: أنّ بعض تلك الفواتح مُفرَد مثل "ص"، ولا يخفى على مَن رآه ما هو المراد منه، وهو "صاد"، ولا يَظُنُّ من رآه أنّ المراد منه "صَ". والضمير في **(يُخطِر)** راجع إلى **(مُفرَد)**. وما قيل: مِن أنّها عائد إلى قوله: **(أنّ بعضها)**، ليس بشيء. و**(غيرَ)** مفعول[٩] "يُخطِر". وقوله: **(هو)** عائد إلى "مُفرَد".[١٠] وضمير **(عليه)** عائد إلى **(ما)**، و**(مِن)** بيان "ما". وضمير **(مَورِده)** عائد إلى "مُفرَد". فعلى ما قرّرنا ظهر لكَ أنّ المُصنِّف جَعل "صاد" مَورِدَ "صَ"؛ لأنّه إذا[١١] كُتِب "صَ" وأُرِيدَ بها "صاد" فتكون "صَ" واردًا[١٢] على "صاد".[١٣] وقوله:[١٤] **(آمَنَتْ)** خبر **(إنّ)**. والضمير المُستتر فيه عائد إلى "الشهرة" وما عُطِفَ عليها.

قوله: **(وأنّ اللافظ)** وقوله: **(وأنّ بعضَها)** كلاهما بفتح "أنّ" عطف على قوله: **(شهرةَ أمرِها)**، فتكون مع[١٥] اسمها وخبرها في محلّ النصب عطف على اسم "إنّ"،

---

١ ن: اللفظ.
٢ ن: لفظ.
٣ ن: يتهجى.
٤ ن: صورة.
٥ ن: القاري.
٦ ن: قوله.
٧ **الصحاح** للجوهري، «حلي».
٨ ن: غناء.
٩ ن: معقول.
١٠ ن: مقدر.
١١ ن - وضمير "مورده" عائد إلى "مفرد". فعلى ما قررنا ظهر لك أنّ المُصنِّف جَعل "صاد" مَوردَ "صَ"؛ لأنّه إذا.
١٢ ن: وارد.
١٣ ن - صاد.
١٤ ن: قوله.
١٥ ن - مع.

وقُوعَ اللَّبسِ فيها، وقد اتَّفقَتْ في خطِّ المُصْحف أشياءُ خارجةٌ عن القياسات التي بُني عليها عِلمُ الخطِّ والهِجاء، ثم ما عاد ذلك بضَيْرٍ ولا نُقْصانٍ؛ لاستقامةِ اللَّفْظِ وبقاءِ الحِفْظِ، وكان اتِّبَاعُ خَطِّ المُصْحفِ سُنَّةً لا تُخالَفُ.

قال عبدُ الله بنُ دَرَسْتوَيْهِ في كتابه المُتَرْجَم بـكتَاب **الكتاب المُتَمِّم**: في الخطِّ والهِجَاءِ خَطَّانِ لا يُقاسان: خَطُّ المُصْحَفِ لأنَّهُ سُنَّةٌ، وخَطُّ العَرُوضِ لأنَّه يثبُتُ فيه ما أَثْبَتَهُ اللَّفْظُ ويَسْقُطُ عنه ما أَسْقَطه.

فيلزم دخول "إنّ" على "أنّ"، وذلك[1] وإن لم يجز[2] ظاهرًا يجوز[3] تقديرًا، نحو "رُبَّ شاةٍ وسَخلتِها بدِرهم"، ولو قلتَ: "رُبَّ سَخلتِها بدرهم" لم يَجُز.

قوله: **(وقد اتفقَتْ)** هذا هو الجواب **الثالث**. وتقرير هذا الوجه أن نقول: إنّما كُتِبت كذلك في المصاحف؛ لأنّ عثمانَ رضي الله عنه[4] وغيرَه مِن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كَتبوا في المُصحَف أشياءَ كثيرة خارجةً عن قياس الخطِّ، وكان اتِّباع ذلك الخطِّ طريقةً لا تجوز مُخالفتها، ومن جملة ذلكَ كتابة هذه الفواتح؛ فلذلكَ وقع كذلكَ. فقوله: **(وكان)** عطفٌ على قوله: "وقد اتفقتْ". وأمّا قوله: **(ثمّ ما عاد)**[5] إلى قوله: **(الحفظِ)** جواب عن سؤال، وهو أن يقال: كيف جاز أن يُكتَب بخلاف القياس؛ فإنّه مُوجِبٌ للضرر، وهو الوقوع في الزيادة والنقصان؟ فأجاب: بأنّ ذلك لا يُوجِب الضرر؛ لأنّ لفظ القرآن يكون محفوظًا بتوفيق الله تعالى فيُؤمَن ذلك. وقوله: **(ذلك)** إشارة إلى اتِّفاق الأشياء الخارجة عن القياس. و"الضَّير":[6] الضَّرُّ.[7]

قوله: **(الكِتَاب)** بكسر الكاف وتخفيف التاء، وهو بمعنى الكتابة. وفي بعض النُّسخ بالضمِّ والتشديد.

---

١ ن – وذلك.
٢ ن: وإن يجز.
٣ ن – يجوز.
٤ د – رضي الله عنه.
٥ ن: عاد.
٦ ن: الضرّ.
٧ ن: والضرر.

والوَجْهُ الثاني: أَنْ يكونَ ورُودُ هذه الأَسْماءِ هكذا مَسْرُودةً على نَمَطِ التَّعْديد

قوله: (والوجهُ الثاني) عطف على قوله: "أحدُها" في قوله: (**قلتُ: فيه أوجُه: أحدُها وعليه إطباقُ الأكثر**). هذا قول المُبرِّد، واختاره جمع عظيم من المُحقِّقين، وهو أنّ الله تعالى ذَكَرَها احتجاجًا على الكفار؛ وذلك أنّ رسول الله عليه السلام لمّا تحدّاهم بمثل القرآن أو بعَشر سوَر أو سورة واحدة فعَجَزوا عنه أُنزِلتْ هذه الحروف، أي: أسماء الحروف في أوائل السوَر بطريق التعداد؛ للتنبيه[1] على أنّ هذا الكلام الذي عَجَزوا عن الاتيان بمثله مُنتظَم من الحروف التي يَنظمون منها كلامهم، ليَتحقَّقوا أنّهم إذا عَجَزوا عن الاتيان بمثله مع فصاحتهم، فليس سببُ[2] ذلك العَجز إلّا أنّه كلام الله تعالى.

قوله: (مَسرودةً) حالٌ من قوله: (**هذه الأسماء**)؛ لأنّه فاعل (ورود). لا لأنّه مفعولٌ معنًى. ويتفاوت المعنى بالاعتبارين: فإنّه إذا كان حالًا منه لكونه فاعلًا يَلزم أن يكون ورودُها حالَ كونها مَسرودةً، ولا يَلزم أن تكون الإشارة[3] مِن القائل في تلكَ الحال. ولو جُعل حالًا منه لكونه مفعولًا معنويًا يَلزم أن تكون الإشارة حال كونها مَسرودةً، ولا يلزم أن يكون وروده في تلك الحال. كما إذا قلتَ: "جاء / هذا راكبًا": لو جُعل "راكبًا" حالًا من "هذا" لكونه فاعلًا يكون [٣٦ظ] المجيء حال الرُّكوب لا مَحالة، ولا يلزم أن تكون الإشارة في تلك الحال؛ ولو جُعِل حالًا منه لكونه مفعولًا معنويًّا يَلزم أن تكون الإشارة في تلك الحال، ولا يَلزم كونُ المجيء في تلك الحال. يُقال: سَردتُ الحديث سَردًا، أي: أتيتُ به على وِلائه، أي: لفظًا بعد لفظ. و(على) حال من الضمير في "مَسرودة"، أو من "هذه الأسماء" على الوجه الذي مرّ. وعلى التقديرين فهو مُتعلِّق بمحذوف. ولا يَحسُن أن يكون[4] مُتعلِّقًا بـ"مَسرودة". يُعرَف بالتأمُّل. «والنمط: الطريق[5] والمَذهب. ومنه تكلّموا على نَمط واحد. وفي حديث عليّ رضي الله عنه:[6]

---

١ ن: التنبيه.
٢ ن – سبب.
٣ ن: الأودة.
٤ ن: أن يكون.
٥ ش ن: الطريقة.
٦ د – رضي الله عنه.

كالإيقاظِ وقَرْعِ العَصَا لمن تُحُدِّي بالقُرآن وبغرَابةِ نَظْمِهِ، وكالتحريك ....

'خيرُ[١] هذه الأمَة النَّمط الأوسط، يَلحق بهم التالي[٢] ويَرجع إليهم الغالي'.[٣] يعني: الجماعة. قال أبو عُبيدة: 'كَرِه رضي الله عنه الغُلُوَّ والتقصير'».[٤]

فقوله: (**هكذا**) إشارة إلى الحال المذكورة. و"مَسرودةً على نمط واحد" كالتفسير له. أو "هكذا" صفة مصدر محذوف، و"مَسرودةً" حال. وقوله: (**كالإيقاظ**) خبر (**يكون**). و(**قَرعُ العصا**) عبارة عن التنبيه. وفي المثل «لا تُقرَعُ له العصا ولا تُقلقَلُ له الحَصى»،[٥] يُضرَب للمُجرَّب المُحنَّك. وقوله: "وقَرعُ العصا" إشارة إلى قول الشاعر:

وزَعمتُمُ ألّا حُلومَ لنا ... إنّ العصا قُرِعت لذي الحِلْمِ[٦]

أي: إنّ الحَليم[٧] إذا نُبِّه انتبه. وأصله أنّ حَكَمًا في العَرب عاش حتّى خَرِف، فقال لابنته: إذا أنكرتِ شيئًا من حُكمي فاقرعي لي المِجَنَّ بالعصا لأرتدِعَ؛ فكانت إذا أخطأ في الحُكم[٨] تَقرعُ العصا، فيَنتبه ويَحكم بالصواب.[٩] قيل: فهذا أيضًا مِن فَهمه وعَقله. وتَنازَع "الإيقاظ"[١٠] و"القَرع" في (**لِمَن**[١١] **تُحُدِّيَ**) تَنازُعَ الفعلين في المفعول له، بجري الإيقاظ[١٢] مَجرى اللازم، أي: فُعِل الإيقاظ والقَرع لأجلهم. أو نقول: لمّا كان قَرعُ العصا عبارةً عن التنبيه ساغ أن يكون "لِمَن تُحُدِّي" مُتعلِّقًا به،

١ د: خبر.

٢ ن: الثاني.

٣ **المُصنَّف** لابن أبي شيبة، ١٥٥/١٩ (٣٥٦٣٩). بلفظ «خير الناس هذا النمط...».

٤ **المُغرِب** للمُطرّزي، «نمط». وفي مطبوعه: «قال أبو عبيد». والكلام في **غريب الحديث** لأبي عبيد، ٣٧٥/٥. ونقل قبله كلامًا في معنى "النمط" عن أبي عُبيدة؛ فلعلَّ هذا ما سبَّب الخلط بينهما ههنا. وانظر: **تهذيب اللغة** للأزهري، «نمط»، ٣٧٨/١٣.

٥ **مجمع الأمثال** للميداني، ٢٤١/٢.

٦ البيت للحارث بن وَعْلة، والبيت له في **البيان والتبيين** للجاحظ، ٣٨/٣؛ و**جمهرة الأمثال** للعسكري، ٤٠٧/١؛ و**شرح الحماسة** للمرزوقي، ٢٠٥/١. وذهب الشطر الثاني منه مَثلًا. انظر: **مَجمَع الأمثال** للميداني، ٣٧/١؛ و**المُستقصى** للزمخشري، ٤٠٨/١.

٧ ن: الحكيم.

٨ ن - في الحكم.

٩ وقصة المثل مع قصص أخرى له في **مَجمَع الأمثال** للميداني، ٣٧/١-٣٩.

١٠ ن: الألفاظ.

١١ ن - لمن.

١٢ ن: الألفاظ.

للنَّظَر في أنَّ هذا المتلُوَّ عليهم -وقد عجَزُوا عنه عن آخرهم- كلامٌ مَنْظومٌ من عَيْنِ ما يَنْظِمُون مِنه كلامَهم؛ ليُؤَدِّيَهم النَّظرُ إلى أنْ يَسْتَيْقِنُوا أنْ لم تَتَساقَطْ مَقدرَتهم دونَه، ....

على أن يكون مفعولًا به، لا مفعولًا له. فالتنازعُ[١] يكون تنازُعَ الفعلِ في المفعول به. وينبغي أن يُقدَّر لـ"التحريك" مِثلُه، أي: كالتحريك لِمَن تُحُدِّيَ. وقوله: (للنظر) عِلَّةُ هذه الأفعال، أعني: المصادر الثلاثة. ثمّ إن كان قوله: "لِمَن تُحُدِّيَ" في محلّ المفعول به فظاهر، وإن كان في مقام المفعول له: فإمّا أن نقول: قوله: "للنظر" عِلَّةٌ لها بعد تَقيُّدها؛ فإنّ عِلَّة الإيقاظ والقَرع والتحريك لِمَن تُحُدِّيَ هي النظرُ؛ وإمّا أن نقول: هو بدل من قوله: "لِمَن تُحُدِّيَ" بدلَ الاشتمال، أي: لنَظَرهم، بمعنى: لِيَنظروا.

قوله: (وقد عَجَزوا) حال من (هذا المَتلوّ) وهو مفعول معنويٌّ، أو مِن الضمير في (عليهم)،[٢] أو في "المَتلوّ" العائد إلى اللام. وقوله: (عن آخرهم) أي: مِن أوّلهم إلى آخرهم. والتحقيق أنّه حال من الضمير في "عَجَزوا"، أي: مُتجاوِزًا عن آخرهم، بفتح الواو. كأنّك إذا مررتَ عليهم فردًا فردًا[٣] حتّى جاوزتَ عن آخرهم رأيتَ كُلَّهم عاجزين. وقوله: (كلام) خبرُ (أنّ). وقوله: (ليُؤدِيَهم) مُتعلِّق بقوله: "للنظر". فعُلِّل هذه الأفعال[٤] بالنظر ثمّ النظرُ بالتأدِيَة. ويجوز أن يُقال: عُلِّلت هذه الأفعال بالنظر، ثمّ هذه الأفعال المُعلَّلة بالنظر عُلِّلت بالتأدية. و(إلى) مُتعلِّق بـ"يُؤدِيَهم".

قوله: (مَقدَرَتهم دونه) أي: دون القرآن. يُقال: ما لي عليكَ مَقدَرة ومَقدُرة ومَقدِرة، أي: قُدرة.[٥] ومنه قولهم: «المَقدُرة تُذهِب الحفيظة».[٦] وأمّا من القضاء

---

[١] ن: بالتنازع.

[٢] ن: علتهم.

[٣] ن - فردًا.

[٤] ن - الأفعال.

[٥] ن - أي: قدرة. | **الصحاح** للجوهري، «قدر».

[٦] ن: الحفظة. | **جمهرة الأمثال** للعسكري، ٢٤٨/٢. ورد في سياق كلامه على المثل «إذا مَلكتَ فأسجِحْ»؛ **مَجمَع الأمثال** للميداني، ١٤/١؛ **المُستقصى** للزمخشري، ٣٤٩/١. والظاهر أن المُصنِّف نقله عن **الصحاح** للجوهري، «قدر».

ولم تظْهَر مَعْجَزَتُهم عَن أَنْ يأتوا بِمثْلِهِ بَعْدَ المراجعَاتِ المتطاوِلةِ، وهم أُمراءُ الكلام وزُعماءُ الحِوَارِ، وهم الحِرَاصُ على التَّساجُلِ في اقْتضابِ الخُطَب، والمتَهالِكونَ على الافْتِنانِ في القَصِيدِ والرَّجَزِ، ....

والقَدر فالمَقدَرة، بالفتح لا غيرُ. قال الهُذَليُّ:

وما يَبقى على الأيّام شيءٌ ... فيَا عَجبًا لمَقدَرة الكتابِ[1]

[٣٧و] و(**لم تَظهَر**) عطفٌ على / (**لم تتساقَط**). و(**عن**) مُتعلِّق بـ(**مَعجَزَتُهم**).[2] وقوله: (**بعد المُراجعات**): يجوز أن يكون ظرفًا لقوله: (**يأتوا**)؛ ويجوز أن يكون قد تنازَع فيه "تَتساقط" و"تَظهر". ولكلٍّ وجهٌ.

قوله: (**وهم أُمراءُ الكلام**) حال من فاعل "المراجعاتِ" المحذوف، أي: بعد أن رَجعوا قادرين، أو مِن "هم" في "مَقدَرتُهم" و"مَعجَزَتُهم" على طريق التنازُع، أي: عَجَزوا مع أنّهم أمراء الكلام. و"الزعَماء": جمع زعيم، وزعيم القوم: سَيِّدهم. والمُحاورة و(**الحِوار**): المُجاوبة. يقال: كلَّمتُه فما أحارَ، أي: ما أجابَ.[3]

قوله: (**وهمُ الحِراص**) الواو للعطف على "هم أمراء"، فصاحبُه صاحب مَتبوعه، أو للحال: إمّا من التداخُل[4] فذو الحال ضمير "الأمراء" أو "الزعماء"؛ وإمّا مِن الترادُف فصاحبُه صاحب الأوّل. و"المُساجَلة": المُفاخرة بأن تصنع مثل صنيعه[5] في حَرب أو سَقْي، وأصله من السَّجْل: الدلْوُ. واقتضبه: اقتطعه من الشيء، و(**اقتضاب**) الكلام: ارتجاله. و"التهالُك" على الشيء: التساقُط عليه حِرصًا. و"افتنَّ" الرجُل في حديثه وفي خُطبته إذا جاء بالأفانين. و(**القَصيد**): جمع قصيدة من الشِّعر. و(**الرَّجَز**): من الشِّعر، وهو أن يجيء "مُستفعل"

---

[1] البيت لمَعقِل بن خُويلد الهُذَليّ، والبيت له في شرح أشعار الهُذليين لأبي سعيد السُّكَّري، ٣٨٨/١. والرِّواية فيه:

وما يَبقى على المَأثور شيءٌ ... فيا عجبا لمَصدَرة الكِتابِ

وذكر السُّكَّري أنّه يُروى «لمَقدَرة الكتابِ». والبيت للهُذَلي بالرِّواية التي أوردها المُصنِّف مع الكلام قبله في لسان العرب لابن منظور، «قدر».

[2] بفتح الجيم وكسرها.

[3] ن: فما أجاب.

[4] ن: أو من التداخُل.

[5] ن: صنعه.

ولَمْ يَبْلُغْ من الجَزالَةِ وحُسْنِ النَّظْم المَبَالِغَ التي بذَّت بَلاغَةَ كلِّ ناطِقٍ، وشقَّتْ غُبارَ كلِّ سَابِقٍ، ولَمْ يَتجاوَزِ الحدَّ الخارجَ مِن قُوَى الفُصحاء، ولم يقَعْ وراءَ مَطَامح أعْيُنِ البُصَراء= إلّا لأنّه لَيْسَ بكلامِ البَشر، بل كلامُ خالِقِ القُوَى والقُدَر.

وهذا القَوْلُ من القوَّةِ والخَلاقَةِ بالقَبُول بمَنْزِلٍ، ....

ستَّ مرّات.[١] سُمِّيَ به[٢] تشبيهًا بالناقة الرَّجِز: وهي المُرتعِشة عند القيام؛[٣] لِداءٍ يأخُذها في رُكبتها. فإنّ في أوّل كلّ جُزء سببين، فيكون معه حركة وسكون ثمّ حركة ثمّ سكون، كما في الناقة المُرتعِدة. وقال بعضُهم: إنّه ليس بشِعر.[٤] فكأنّه لذلكَ عطفَه على "القصيد". أو أراد بكُلٍّ نوعًا.

قوله: **(ولم يبلُغ)** عطفٌ على قوله: "لم تتساقط"، وكذا **(لم يتجاوز)** و**(لم يقع)**. و**(الجَزالة)**: الضخامة. و"بذَّه" بذًّا: غلبَه وفاقَه. و"شَقُّ[٥] الغُبار": عبارة عن الوصول إلى السابق.[٦] وطَمَح بصرَه إلى الشيء: رفع. فـ"طَمحُ البصر": عبارةٌ عن المُتوقَّع الذي[٧] يُرجى الوصول إليه، أو عن المُدرَك بالبصر أو البصيرة.[٨]

قوله: **(إلّا لأنّه)** استثناء مُفرَّغ، أي: لم تتساقط مَقدِرتهم لشيء من الأشياء إلّا لأنّه.

قوله: **(والخَلَاقة)** مصدر قولكَ: هو[٩] خليقٌ بكذا، أي: جديرٌ به.

قوله: **(بمَنزِل)** فيه ضمير مُستتر عائد إلى **(هذا القول)**، ووقع قوله: **(من القُوَّة والخَلَاقة بالقبول)** حالًا منه. ويَلزم منه تقدُّم الحال على العامل المَعنويّ. ويجوز أن يكون "من القُوَّة والخَلَاقة" حالًا من هذا القول. وهو الوجهُ.

---

١ انظر: **القسطاس** للزمخشري، ص ٤٧.

٢ ن – به.

٣ انظر: **تهذيب اللغة** للأزهري، «رجز»، ٦١٠/١٠.

٤ نسب الأزهري هذا القول إلى الخليل في **تهذيب اللغة**، «رجز»، ٦١٠/١٠. وانظر تفصيله في **العُمدة** لابن رشيق، ٢٩٦/١.

٥ ن: رشق.

٦ ن: السابق.

٧ ن: التي.

٨ ن: بالبصيرة.

٩ ن – هو.

ولِناصِرِه على الأَوَّل أنْ يقولَ: إنَّ القُرْآنَ إنما نَزَلَ بلِسَانِ العَرَبِ مَصْبوبًا فِي أساليبهم واسْتعمالاتِهِم، والعَرَبُ لم يتجاوَزْ ما سمَّوا به مَجْمُوعَ اسْمَيْن، ولَم يُسَمِّ أحدٌ مِنْهم بمجمُوعِ ثلاثةِ أسماءٍ وأَرْبَعَةٍ وخمسةٍ، والقولُ بأنَّها أسماءُ السُّور حقيقةً يُخْرِجُ إلى ما لَيْسَ في لغةِ العربِ، وَيُؤَدِّي أَيْضًا إلى صَيْرورة الاسْمِ والمسمَّى وَاحِدًا.

قوله: **(ولناصره)** أي:[1] ولناصر الوجه **الثاني** -وهو أن يكون وُرود هذه الأسماء على نَمط التعداد-[2] **(على)** الوجه **(الأوّل)**: وهو أنّها أسماءُ السوَر، يعني: يُمكن ترجيح الوجه **الثاني** على الوجه **الأوّل** بطريقين:

الأوّل: أنّه يُخرِج، أي: هذا القول -وهو أنّ هذه الفواتحَ أسماءُ السوَر- هذه[3] الفواتحَ إلى ما ليس في لغة العَرب، وهو التسمية بثلاثة أسماء، كما في ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة ١/٢]، و﴿الٓرۚ﴾ [يونس ١/١٠]؛ وبأربعة أسماء، كما في ﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعراف ١/٧]، و﴿الٓمٓرۚ﴾ [الرعد ١/١٣]؛ وبخمسة أسماء، كما في ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم ١/١٩]، و﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى ١/٤٢-٢]. وإنّما قال: **(حقيقةً)**؛ لأنّ ما اشتهر من أنّها أسماءُ السوَر مجازٌ، على ما سيأتي.

والثاني: **(صيرورة الاسم والمُسمّى واحدًا)**؛ لأنّ[4] هذه الفواتح من السوَر التي هي فاتحتها، فلو جعلناها[5] أسماء للسوَر لكانت أسماءً لأنفسها، وكون الشيء اسمًا لنفسه مُحالٌ. قال الإمام في **التفسير الكبير**:

> المُختار أنّ الاسم غيرُ المسمّى وغيرُ التسمية، وقبل الخوض في ذكر الدلائل لا بدّ من التنبيه على مُقدّمة، وهو أنّ قول القائل: الاسم هو نَفْس المُسمّى أم لا؟ يجب أن يكون مَسبوقًا ببيان: أنّ الاسم ما هو؟ وأنّ المُسمّى ما هو؟ حتّى نَنظر بعد ذلك في أنّ الاسم هل هو نفس المُسمّى أو لا؟ فنقول: إن كان المراد بالاسم / هذا اللفظ الذي هو أصوات [٣٧ظ]

---

١ ن - أي.
٢ ن: التعدي؛ ش: التعديد.
٣ ن: وهذه.
٤ ن: لا أنّ.
٥ ن: جعلتها.

....

مُقطَّعة وحروف مُؤلَّفة، والمُسمّى تلك الذوات في أنفُسها وتلك الحقائق بأعيانها، فالعِلمُ الضروري حاصل بأنّ الاسم غير المُسمّى. وإن كان المراد بالاسم ذات المُسمّى، وبالمُسمّى أيضًا تلكَ الذات[١] كان قولنا: الاسم هو[٢] المُسمّى معناه أنّ ذات الشيء عينُ ذات الشيء. وهذا وإن كان حقًّا إلّا أنّه من باب إيضاح الواضحات، وهو عَيبٌ.[٣] فثبَت أنّ الخَوض في هذا البحث على جميع التقادير عَيبٌ.[٤]

واستدلُّوا على أنّ الاسم غير المُسمّى بأنّ كون[٥] الاسم اسمًا للمُسمّى من باب المُضاف، وأحد المُضافين لا بدَّ أن يكون مُغايرًا للآخر. وأيضًا قد يكون الاسم مَوجودًا والمُسمّى معدومًا، فإنّ قولنا:[٦] مَعدوم مَنفيٌّ موجود، ومُسمّاهما معدوم، وقد يكون بالعكس، مثل الحقائق التي لم تُوضَع لها أسماءٌ.

واحتجَ من قال بأنّ الاسم هو المُسمّى بالنص والحُكم: أمّا النصُّ فقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن ٧٨/٥٥]، والمُتبارَك[٧] هو الله تعالى،[٨] لا الصوت والحرف؛ وأمّا الحُكم فهو أنّ الرجُل إذا قال: "زينبُ طالقٌ" وَقعَ عليها الطلاق، ولو كان الاسم[٩] غيرَ المُسمّى لكان قد أوْقعَ الطلاق على غير تلكَ المرأة، فكان يجب ألّا يَقع الطلاق.

وجواب **الأوّل**: أنّه كما يَجب علينا أن نعتقد كونَه تعالى مُنزَّهًا عن النقائص، فكذلك يَجب علينا[١٠] تنزيه الألفاظ المَوضوعة لتعريف ذات الله تعالى وصفاته عن العَيب والرَّفَث وسُوء الأدب. وعن **الثاني**: أنّ قولنا: "زينبُ طالقٌ" معناه أنّ الذات[١١] التي يُعبَّر عنها بهذا اللفظ طالقٌ، فلهذا وقع الطلاق.

---

١ ن: الذوات.

٢ ن: و.

٣ ن: عبث. | وكذلك وردت هي والتي بعدها في مطبوع **تفسير الرازي**، ١١٦/١ (الفاتحة، ١/١)

٤ ن: عبث.

٥ ن: يكون.

٦ ن: قلنا.

٧ ن: المتبارك.

٨ ش - تعالى.

٩ ن + هو.

١٠ ن + أن نعتقد.

١١ ن: المرأة.

فإنِ اعْتَرَضْتَ عليْهِ بأنَّه قَولٌ مقولٌ على وَجْه الدَّهْرِ، وأنّه لا سَبيل إلى رَدِّه، أجَابَك بأنَّ له مَحْملًا سِوَى ما يُذْهَبُ إلَيْهِ، وأَنَّهُ نظِيرُ قَوْلِ الناسِ: فلانٌ يَرْوِي: "قِفَا نَبْكِ" و"عَفَتِ الدِّيَارُ".

ويقولُ الرَّجلُ لصَاحِبه: ما قرأتَ؟ فيقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ و﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة ١/٩] و﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء ١١/٤] و﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور ٣٥/٢٤].

وليسَتْ هذه الجُمَلُ بأَسَامِي هذه القصائدِ وهذه السورِ والآيِ، وإنما تُغْنَى به رِوَايَةُ القَصِيدَةِ الَّتي ذاك اسْتهلالُها، وتِلاوةُ السُّورة أو الآيةِ التي تلك فاتحتُها، فلمَّا جَرَى الكلامُ على أُسْلوبِ مَن يَقْصِدُ التَّسْمِيةَ، واسْتُفِيدَ مِنْها ما يُسْتَفادُ من التَّسْمية، قالوا ذلك على سَبِيْل المجازِ دُونَ الحَقيقةِ.

وأمّا أنّ الاسم غيرُ التسمية؛ فلأنّ التسمية: عبارةٌ عن تعيين اللفظ المُعيَّن لتعريف الذات المُعيَّنة، وذلك التعريف معناه: قَصْدُ الواضع وإرادته؛ وأمّا الاسم: فهو عبارة عن ذلك اللفظ المُعيَّن؛ والفرق بينهما معلوم بالضرورة.[١]

قوله: (**فإن اعترضْتَ**) أي: فإن اعترضْتَ على مَن يَنصُر القول الثانيَ على القول[٢] الأوّل: بأنّ القول الأوّل قول مَشهورٌ بين العلماء مَقبول بين الأئمّة، فكيف يُمكن ردُّه؟ أجابكَ الناصر للقول الثاني: بأنّ للقول الأوّل مَحمِلًا[٣] آخرَ سوى ظاهره، وهو أن يَحمِله على المجاز، كما[٤] في الأمثلة المذكورة. وذكر سِتّة أمثلة؛ لأنّه يُريد أن يذكر[٥] مِن كلّ واحد مِن الشّعر والسورة والآية مثالين. و"ما" في (**ما قرأتَ؟**) استفهاميّة. وقوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [النور ٣٥/٢٤] ينبغي أن يُقرأ[٦] بقطع الهمزة. و(**استهلالها**): مَطلَعها.

---

١ انظر: تفسير الرازي، ١١٥/١-١١٨ (الفاتحة، ١/١).
٢ ن: بالقول.
٣ ن: محمل.
٤ ن - كما.
٥ ن: يتذكر.
٦ ن + به.

وللمجيب عن الاعْتراضَيْن على الوَجْه الأوَّل أن يقولَ: التَّسْمية بثلاثة أَسْماءٍ فصاعدًا مُسْتَنْكَرةٌ لَعَمْرِي وخُروجٌ عن كلام العرب، ولكنْ إذا جُعِلَت اسْمًا واحدًا على طريقةِ "حَضْرَمَوْتَ"، فأَمَّا غَيْرَ مركبةٍ مَنْشورةً نَثْرَ أَسْماءِ العَدد فلا اسْتِنْكارَ فِيها؛ لأنَّها مِن باب التَّسْمية بما حقُّهُ أَنْ يُحْكَى حكايةً؛ ....

قوله: (**وللمُجيب**) وهو مَن يَنصُر المذهب **الأوّل** -وهو أنّها أسماءُ السوَر- على المذهب **الثاني**: وهو أنّ وُرودها على نمط التعديد. **وأحدُ**[١] **الاعتراضين**: أنّ القول به يُخرِج إلى ما ليس في لغة العَرب؛ **والثاني**: أنّه يُؤدِّي إلى صيرورة الاسم والمُسمّى واحدًا. (**فصاعدًا**) حالٌ عاملُه محذوف، والتقدير: فتَذهب الأسماء صاعدًا. وقوله: "فتذهب"[٢] عطف على (**التسمية**)؛ لأنّه في تقدير "أن يُسمّى"، فكأنّه قال: أن يُسمّى بثلاثة أسماء فتذهبُ الأسماء صاعدًا.[٣] ومثلُه "أخذتُه بدرهم فصاعدًا"، أي: أخذته بدرهم فذهب[٤] الثمن صاعدًا. حُذِف صاحب الحال والعامل جميعًا للتخفيف. ومنه قوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۞ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ [القيامة ٧٥/٣-٤]، أي: بلى نجمعُها قادرين.

قوله: (**على طريقة "حَضْرَمَوْتَ"**) أي: في اعتبار الإعراب في آخره. وهو اسم مكان واسم قبيلة أيضًا.

قوله: (**غيرَ مُركَّبة**) حال ممّا دلَّ عليه الضمير المجرور في "فيها"[٥] العائد إلى التسمية بثلاثة أسماء فصاعدًا، وأصل هذا التركيب: مهما يكن مِن شيء فلا استنكار في التسمية بثلاثة أسماء فصاعدًا غيرَ مُركَّبة، أي: تلك الأسماء. حُذِف الفعل وعُوِّض مِن "مهما": (**أمّا**)، وعُوِّض بينها وبين "**فإنّها**" جزءٌ ممّا في حَيِّز الفاء، / وهو (**غيرَ مركّبة**)،[٦] بقيَ "أمّا غير مركّبة فلا استنكار فيها". [٣٨و]

---

[١] ن: آخر.

[٢] لم ترد في كلام الزمخشري بلفظها، وإنّما قَصد المُقدَّرة في كلامه، على نحو ما قدَّره المصنّف آنفًا.

[٣] ن - وقوله: "فتذهب" عطف على "التسمية"؛ لأنه في تقدير "أن يُسمّى"، فكأنّه قال: أن يُسمّى بثلاثة أسماء فتذهبُ الأسماء صاعدًا.

[٤] د: فيذهب.

[٥] ن: فيها.

[٦] ن - أي: تلك الأسماء. حُذِف الفعل وعُوِّض مِن "مهما": "أمّا"، وعُوِّض بينها وبين "فإنّها" جزءٌ ممّا في حَيِّز الفاء، وهو "غيرَ مركَّبة".

كما سَمَّوْا بـ"تأَبَّط شَرًّا" و"بَرَقَ نَحْرُه" و"شابَ قَرْناها"، وكما لَو سُمِّي بـ"زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ" أَوْ بـ"بَيْت شِعْرٍ".

وناهِيكَ بتسْويةِ سيبويه بَين التَّسْميَةِ بالجُمْلة والبَيْتِ مِن الشِّعْرِ، وبَيْنَ التَّسْمِيَةِ بطائفةٍ مِن أسْماء حروفِ المُعجَمِ= دِلَالَةً قاطعةً على صحَّةِ ذلك.

و(**تأَبَّط شرًّا**) رجلٌ اسمه ثابتُ بن جابر، جَعل سيفه تحت إبطه يومًا فخرج، فسُئلتْ عنه أُمّه فقالت: لا أدري، إلّا أنّه تأبّط شرًّا وخرج؛ فسُمِّي تأبَّط شرًّا.[1] وكان نَحْرُ[2] (**بَرَقَ نحرُه**) بريقًا؛ فقيل: بَرَقَ نحرُه، فغَلَب. و(**شابَ قَرناها**) سُمِّيت بذلك؛ لقول الشاعر في أبنائها:

كَذبتُم وبيتِ الله لا تَنكِحونها   بني شابَ قَرناها تَصُرُّ وتَحلُبُ[3]

أي: يا بَني التي شابَ قَرناها، أي: شابَ جانبا رأسِها[4] في الصرّ[5] والحَلْب،[6] كعادة الراعيات، فغَلَبَ عليها ذلك. ويُقال: صررْتُ[7] الناقة، أي: شددتُ عليها الصِّرارَ[8] وهو خَيط يُشَدُّ فوق الخِلف والتَّوْدِية لئلّا يَرضَعها ولدُها، وجمع التَّودية التَّوادي: وهي الخَشبات التي تُشدُّ على خَلفِ الناقة إذا صُرَّت.

قوله: (**ناهيكَ**) «يقال: هذا رجلٌ ناهِيك من رجل، ونَهيُكَ من رجل، ونَهاكَ من رجل، وتأويله أنّه بجِدّه وعِنايته يَنهاكَ عن تَطلُّبِ[9] غيره. وهذا امرأة ناهِيَتُكَ من امرأة. يُذكّر ويُؤنَّث ويُثنّى ويُجمع؛ لأنّه اسم فاعل. وإذا قلت: نَهيُك من رجل لم يُثنَّ ولم يُجمَع؛ لأنّه مصدر. وتقول في المعرفة: هذا عبد الله ناهِيَكَ مِن رجل، فتَنصب "ناهيَكَ" على الحال».[10] ويظهر لكَ من هذا أنّ قوله: (**بتسويةِ**) مبتدأ،

---

[1] تفسير اسمه بهذا الخبر ورد بألفاظ قريبة جدًّا في **المُبهج** لابن جنّي، ص ٧٨.

[2] د: نحو.

[3] البيت لرجل من بني أسد في **مجاز القرآن** لأبي عُبيدة، ١/٤٧، ١٠٠، ٢/٢٢٦؛ و**الصحاح** للجوهري، «قرن». وهو بلا نسبة في **كتاب سيبويه**، ٢/٨٥؛ و**الكامل** للمُبرِّد، ٢/٤٩٧؛ و**جامع البيان** للطبري، ١/١٥٥ (الفاتحة، ١/٤). وليس في ديوان بني أسد.

[4] ن: قرائنها.

[5] ن: الضرّ.

[6] ن: والجلب.

[7] ن: ضررتُ.

[8] ن: الضرار.

[9] ن: التطلب.

[10] **الصحاح** للجوهري، «نهي».

وأمّا تَسْميةُ السُّورةِ كلِّها بفاتحتِها فليْسَتْ بتَصْيير الاسْمِ والمسمَّى واحِدًا؛ لأنّها تَسْميةُ مؤلَّفٍ بمُفْرَدٍ، والمؤلَّفُ غيرُ المُفْرَد، ألَا تَرى أنهم جَعَلُوا اسمَ الحرفِ مؤلَّفًا منه ومن حَرفَيْن مضمومَيْن إليه؛ كقولهم: "صاد" فلم يكن ....

والباء زائدة، والخبر "ناهيك". ولا يجوز العكس؛ لأنّ "ناهيك" نكرة، لجواز وقوعه حالًا. والمراد بتسوية سيبويهِ بالجملة والبيت من الشِّعر هو[1] قوله في باب الترخيم: لو رَخَّمت تأبَّط شرًّا من الأسماء لَرَخَّمتُ رجُلًا يُسمَّى قولَ عنترة:[2]

يـا دارَ عـبـلـةَ بـالـجِـواء تـكـلَّـمـي[3]

ثمّ سوّى سيبويهِ في موضع آخر من كتابه[4] بين هذه التسمية والتسمية بطائفة من حُروف المُعجَم، وهذا يدلُّ على جواز التسمية بحروف المُعجَم، وإن كانت أكثر من ثلاث[5] كلمات.

قوله: **(وأمّا تسمية السورة)** عطف من حيث المعنى على قوله: **(التسمية بثلاثة أسماء)**... إلخ؛ لأنّه جواب عن الاعتراض **الأوّل**، وهذا عن الاعتراض **الثاني**. ومجموع الجوابين مَقول قوله: **(أن يقول)**.

قوله: **(منه)** أي: من الحرف.[6]

قوله: **(فلم يكن)** عطف على قوله:[7] **(جعلوا)**.

---

[1] ن: وهو.

[2] ن – قول عنترة.

[3] انظر: **كتاب سيبويه**، ٢/٢٦٩. وفي مطبوعه «يُسمّى بقول عنترة». | ومعنى عبارة سيبويه: أنّ العَلَم الذي جاء جُملةً مثل "تأبّط شرًّا" لا يُرخَّم، كما لا يُرخَّم العَلَم إن كان بيتًا من الشِّعر، كبيتِ عنترة مثلًا. قال أبو حيّان الأندلسيُّ بعد سَوقه عبارة سيبويه هذه: «فهذا نصٌّ منه أنّ الحِكاية لا تُرخَّم، وتعليلٌ منه أنّه لا يُرخَّم إلّا ما غيَّره النداءُ، يعني ما يُحدِث فيه النداءُ البناءَ». **التذييل والتكميل**، ١٤/٣٥. وكلام سيبويه جاء في باب الترخيم، وليس الحديث هنا منه بسبيل، لكنّ الزمخشري استنبط منه تسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والتسمية ببيت مِن الشِّعر؛ ولذلك بيَّن الجاربردي أنّ كلام سيبويه جاء في باب الترخيم دفعًا لِما قد يقع مِن إشكال. | والشعر صدر بيت من مُعلّقة عنترة، عجُزه:

وعِمِي صباحًا دارَ عبلة واسلَمِيْ

وهو في **ديوانه**، ص ١٨٣. وفيه: «وقوله: بالجِواء: هو جمع جَوٍّ، وهو المطمئنُّ من الأرض المُتَّسع. ويقال: هو مَوضِع بعينه».

[4] انظر: **كتاب سيبويه**، ٣/٢٦٦-٢٦٧.

[5] ن: ثلاثة.

[6] ن: الحروف.

[7] د ش ن: قولهم.

مِن جَعْلِ الاسم والمسمَّى واحدًا، حَيْثُ كانَ الاسْمُ مؤلَّفًا والمسمَّى مُفْردًا.

وَالوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنْ تَرِدَ السُّوَرُ مُصَدَّرَةً بذلك؛ ليكونَ أَوَّلُ ما يَقْرعُ الأَسْماعَ مستقلًّا بوَجهٍ من الإغْرابِ، وتقدِمَةٍ من دلائلِ الإِعْجاز.

قوله: **(الوجهُ الثالث)** هذا هو الوجه الأخير من الوجوه الثلاثة؛ لبيان معنى وقوع ألفاظِ التهجّي على هذه الصورة فواتحَ للسوَر.[١] وحاصل هذا الوجه: أنّ أساميَ الحروف ما كان يَعلمه مِن العَرب إلّا مَن[٢] كان يَعلم الخطَّ، بخلاف أنفُس الحروف، فإنّه يَعلمها كلُّ واحد من العَرب؛ لأنّ ألفاظهم مُركَّبة منها. فإذا وَرد في أوائل السوَر شيءٌ من هذه الألفاظ خاصّة -على الوجه الذي سنُشير إليه: من أنّها نِصف حروف المُعجَم مُشتمِل[٣] على نصف كلّ جنس من أجناسها، كالمَجهورة والمَهموسة والشديدة والرِّخوة، إلى غير ذلك، في تسعة وعِشرين موضعًا، على عدد حروف المُعجَم- كان ذلك نوعًا من الإعجاز.

قوله: **(مُصدَّرةً)** حال. وقوله: **(بذلك)** أي: بالمذكور، وهو ألفاظ التهجّي. وقوله: **(ليكونَ)** مُتعلِّق بقوله: **(تَرِد)**. وإنّما قال: **(أوّلُ ما يَقرع)**؛ لكون تلك الألفاظ في أوائل السوَر. و"استقلَّ"، أي: ارتفع. والباء للتعدية. و"أغربَ" الرجُل: جاء[٤] بشيء غريب. فـ"المُستقلُّ بالإغراب": هو الحامل له، أي: يكون في نفسه إعجازٌ، مع قطع النظر عن شيء آخرَ؛ وذلك لأنّها تدلُّ على الإعجاز من غير النظر إلى معناها وإلى كونها فصيحة، لغرابة الإتيان بها ممّن لم يَجرِ منه[٥] تَعلُّم.

قوله: **(وتَقدِمةٍ)** عطف على **(بوجهٍ)**. و"التقدِمة": ما قدَّمته أو أرسلتَه مُتقدِّمًا كالسَّريَّة[٦] من الجيش،[٧] والبعض من الكلّ. و**(مِن)** للتبعيض.

---

١ ن: السور.
٢ ن: لا مَن.
٣ ن: يشتمل.
٤ ن – جاء.
٥ ن – منه.
٦ ن: كان سرية.
٧ ن: الجنس.

وذلك أنَّ النُّطْقَ بالحُرُوفِ أَنْفسِها كانتِ العربُ فيه مُسْتَوِيَةَ الأَقْدام: الأُمِّيُّونَ مِنهم وأَهْلُ الكتابِ، بخلاف النُّطْق بأسامي الحرُوف فإنَّه كانَ مُخْتَصًّا بمَن خَطَّ وَقرأَ وخَالط أهْلَ الكتاب وتَعَلَّمَ مِنْهم، وكانَ مُسْتَغْرَبًا مُسْتَبْعَدًا مِن الأميِّ

[٣٨ظ] / قوله: (**وذلك**) إشارةٌ إلى أنّ الورود ليكون الأوّلُ مُستقلًّا بالإغراب. وقوله: (**أنّ**) أي: لأنّ، فحُذف،[١] أي: إنّما كان الورود مُفيدًا ما ذكرنا؛ لأنّ النطق. وقوله: (**أنفُسِها**) بدل من (**الحروف**).

قوله: (**فيه**) يجوز أن يكون خبرَ "كان"، أي: كانت العَرب مُستقرِّين[٢] فيه، أي: كان ذلك المعنى حاصلًا لهم، وكانوا مُتمكِّنين منه. فعلى هذا يكون (**مُستويةَ**) حالًا[٣] من الضمير المُستتر في "فيه". ويجوز أن يكون الخبرُ "مُستويةً"، و"فيه" ظرفه؛ وهذا أَوْجَهُ. و"استواء الأقدام": عبارةٌ عن استواء المَرتبة. وقوله: "الأميُّون وأهلُ الكتاب"، أي: الكتابة، بدلٌ مِن (**العَرب**).

قوله: (**بخلاف**) حال من الضمير في "فيه" العائد إلى (**النطق**)، والعامل فيه "فيه"،[٤] إن جُعِل "فيه" خبرَ "كان"، وإن جُعِل الخبر قوله: "مُستويةً" فالعامل في الحال "مُستويةً"، أي: استووا في النطق بالحرف حالَ كَون النطق بالحروف مُخالفًا للنطق بأسامي الحروف.

قوله: (**فإنّه**) بيانُ المُخالفةِ، أي: فإنّ الشأن كان النطق بأسامي الحروف (**كان مُختصًّا**) بهذا البعض. فالضمير في "إنّه"[٥] للشأن،[٦] وفي "كان" للنطق. ولا يَحسُن أن يُقال: ضميرُ "إنّه" للنطق؛ لأنّه عطفٌ على خبر "إنّ".

قوله: (**وكان مُستغرَبًا**) وليس في هذه الجملة ضميرٌ عائد إلى "النطق" الذي هو اسم "إنّ"؛ لأنّ قوله: (**بها**) عائد إلى الأسامي. اللّٰهمّ إلّا أن يقال: التكلُّم بأسامي الحروف بمعنى النطق بأسامي الحروف، فكأنّه وضَع هذا الظاهر مَوضِع الضمير. وقوله:[٧] (**منهم**) أي: من أهل الكتاب، مُتعلِّق بـ(**تعلَّم**). وقوله: (**مُستبعَدًا مُستغرَبًا**)،

---

١ ن: يحذف.
٢ د ش: مستقرون.
٣ د ش: حال.
٤ ن – فيه.
٥ ن – إنّه.
٦ ن: الشأن.
٧ ن: من قوله.

التَّكلُّمُ بها استبْعادَ الخطِّ والتِّلاوةِ؛ كما قالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت ٤٨/٢٩]، فكانَ حُكمُ النُّطْق بذلك مع اشتهارِ أنَّه لم يكُنْ ممَّن اقْتَبَسَ شيئًا مِن أَهْلِهِ حُكْمَ الأقاصِيصِ

يعني: يَعدُّون النطق من الأمّيّ بعيدًا، فكأنّهم يَعتقدون أنّه لا يقع منه، أو يقولون: لا يقع منه، وإذا وقع يَستغربونه ويقولون: هو غريبٌ بخلاف العادة. وقوله: (**التكلُّمُ**) اسم "كان". وقوله: (**استبعادَ الخَطِّ**) مفعول مُطلَق، أي: كان مُستبعدًا استبعادًا مثل استبعادِ الخطِّ.[١] ولا يجوز أن يكون صفة "مُستبعَدًا"؛ لأنّ المُستبعَد لا يُوصَف بالاستبعاد ولا بمثل الاستبعاد، إذ لا يصحُّ حَمله عليه. وقوله: (**كما قال**) خبرُ مبتدأ محذوف، أي: ما قلنا من استبعاد النطق بأسامي الحروف من الأمّيّ دون الكاتب مثل ما قاله تعالى: (﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ**﴾)... إلخ [العنكبوت ٤٨/٢٩]. فكأنّه تعالى قال: لا تَخطُّه لئلّا يرتابوا فيظنُّوا[٢] أنّ عِلمكَ بأسامي الحروف والإتيان بها على الوجه المذكور لكونكَ كاتبًا، وأمّا إذا لم تكن كاتبًا فلا يرتابوا ويعلموا أنّ ذلك مُعجزة وإغراب.

قوله: (**فكان حُكم النطق**) جوابُ شرطٍ محذوف، أي: إذا كان النطق بأسامي الحروف مُختصًّا بمَن خطَّ وقرأ فكان حُكم النطق، أي: حُكم نطق النبيّ عليه السلام.

قوله: (**بذلكَ**) أي: بأسامي الحروف.

قوله: (**مع اشتهار**) ظرف النطق، فكأنّه قال: زمانَ اشتهار.

قوله: (**أنّه**) يعني النبيّ عليه السلام (**مِن أهله**) أي: من أهل ذلك، يعني: من أهل أسامي الحروف.

قوله: (**حُكمَ الأقاصيص**) خبر "كان"، أي: كما أنّ الأقاصيص حاصلةٌ له من جهة الوحي، فكذلك النطق بأسامي الحروف حاصلة[٣] على الوجه المذكور.

---

١ ن - مفعول مُطلَق، أي: كان مُستبعدًا استبعادًا مثل استبعادِ الخطِّ.

٢ ن: فظنُّوا.

٣ ن: خاصة.

المَذكورةِ في القرآن -التي لم تكُنْ قرَيْشٌ ومَن دانَ بدِينها في شيءٍ من الإحاطَةِ بها- في أنَّ ذلك حَاصِلٌ له مِنْ جهَةِ الوَحْي، وشَاهِدٌ بصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ، وبمنزلةِ أنْ يتكلَّمَ بالرَّطَانَةِ مِن غَيْرِ أنْ يَسْمَعَها مِن أَحَدٍ.

واعْلم أنك إذا تأمَّلْتَ ما أَوْرَدَهُ اللهُ عزَّ سُلْطانُه في الفواتِح من هذه الأَسماءِ

وهذا إشارة إلى **أنَّ القرآن** كما كان مُعجزًا من جهة فَصاحة لفظه، كذلكَ هو مُعجِز من جهة اشتمال معناه على الإخبار عن الغيب وغير ذلك. وقوله: **(التي)** صفة "**الأقاصيص**". يقال: **(دانَ)** بكذا دِيانةً، أي: مَن يذهب مَذهبهم ويجري مَجراهم. و**(في شيء)** خبر **(لم يكن)**. و"مِن" في **(مِن الإحاطة)** للابتداء، حال من الضمير المُستتر في "في شيء" العائد إلى قريش.

قوله: **(بها)** أي: بتلك الأقاصيص.

قوله: **(في أنّ ذلك)**[1] هو وجه الشبه بين النطق بأسامي الحروف والإخبار / عن الأقاصيص، أي: حُكم النطق بها حُكم الأقاصيص في أنّ ذلك حاصل. [٣٩و] فقوله: "في أنّ ذلك"[2] ظرف لقوله: "حُكم الأقاصيص". و"حُكم" مصدرٌ مضاف إلى ما هو مفعول معنى. فكأنّه قال: يُحكَم[3] على النطق بالأسامي بمثل ما يُحكَم به على الأقاصيص، في أنّ الأقاصيص حاصل للنبيّ عليه السلام من الوحي.

قوله: **(وشاهد)** عطف على قوله: **(حاصل)**.

قوله: **(بمنزلة)** عطف على قوله: "حُكم الأقاصيص"، أي: حُكم النطق بذلكَ بمنزلة أن يتكلّم النبيّ عليه السلام بالعَجَميَّة. قال أحمد بن فارس في **مُجمَل اللغة**: «الرَّطانة: كلام لا يُفهم، ويُخصُّ بذلك كلامُ العَجَم».[4]

قوله: **(مِن غير)** حال من الضمير في **(يتكلَّم)** أي: غيرَ سامعها مِن أحد.

قوله: **(واعلم أنّك إذا تأمّلتَ)** إشارة إلى تحقيق وجه الإعجاز في ورود هذه الفواتح.

---

١ ن: أن في ذلك.
٢ ن: أن في ذلك.
٣ ن: حكم.
٤ **مجمل اللغة** لابن فارس، «رطن».

وجَدتَها نِصْفَ أَسَامي حروف المُعْجَمِ أَرْبعةَ عشَرَ سواءً، وهي: الألفُ واللامُ والميمُ والصادُ والراءُ والكافُ والهَاءُ والياءُ والعينُ والطاءُ والسينُ والحاءُ والقافُ والنونُ، في تِسْعٍ وعشرين سُورةً على عَدَد حروف المُعْجَم.

ثم إذا نَظَرْتَ في هذه الأَرْبعةَ عَشَرَ وجَدْتَها مشتمِلةً على أَنْصاف أَجْناسِ الحروف، بيانُ ذلك: أَنَّ فيها مِن المَهْموسةِ نِصْفَها: الصادَ والكافَ والهاءَ والسينَ والحاءَ.

قوله: **(نِصفَ أسامي حروف المُعجَم)** جعل المُصنِّف تارةً حروف المُعجَم ثمانيةً وعشرين، فقال: "نصفَ أسامي حروف المُعجَم أربعةَ عشرَ"؛ وجعلها أخرى تسعة وعشرين، فقال:[١] **(في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المُعجَم)**. فيمكن أن يقال: إنّ ذلك على عَدِّ الهمزة حرفًا غير الألف تارة، وعدم عَدِّها أخرى. والأَوْلى أن يقال: جَعلَها تسعة وعشرين وليس لها نصف على الحقيقة، فجعل أربعةَ عشرَ نصفها لقربها منه. كما فعل مثل ذلكَ في أجناس الحروف حيثُ قال: **(ومِن المُستعلِية نصفَها: القاف والصاد والطاء)**، فأورد ثلاثة أحرف، مع أنّ المُستعلِية سبعة. وهكذا فعل في حروف القَلقَة. وخير منهما أن نقول: قال: "نصف أسامي حروف المعجم"؛ لأنّ الأسامي ثمانية وعشرون. وقال: "في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم"؛ لأنّ عدد الحروف هكذا. وهذا[٢] معنًى لطيف.

واعلم أنّ الحروف تَنقسم بحسب الصفات إلى انقسامات كثيرة، وفائدة هذه الصفات الفَرق بين ذوات الحروف؛ لأنّها لولا هي لاتّحدت أصواتها فكانت كأصوات البهائم لا تدلُّ على معنًى، فسُبحانَ من دقَّت في كلِّ[٣] شيء حِكمته:

فالحروف (المَهموسة): ما لا يَنحصر، أي: لا يَحتبس جريُ النفَس مع تحرُّكه؛ وذلك لأنّها ضَعُفت في نفسها فضَعُفَ الاعتماد عليها، ولضعف اعتمادها لا تَقوى على مَنع النفَس، فيجري معها النفَس، وجريُ النفَس مع الحروف ممّا يُضعِفها.

---

١ ن - فقال.

٢ ن: وهكذا.

٣ ن - كلّ.

ومِنَ **المَجْهورة بِنِصْفِها: الألفَ واللامَ والميمَ والراءَ والعينَ والطاءَ والقافَ والياءَ والنونَ.**

ومِنَ الشَّديدةِ بِنِصْفِها: الألفَ والكافَ والطاءَ والقافَ.

وسُمِّيتْ مَهموسة أخذًا من الهَمْس: الذي هو الإخفاء؛ لأنّه لمّا جرى النفس معها لم يقوَ التصويت بها قوّتَه في المَجهورة، فصار في التصويت بها نوعُ خَفاءٍ، لانقسام النفَس عند النطق بها. ويَجمعها "حثَّه شَخصٌ فسَكَت"، وهي عشرة أحرف أورد منها خمسة.

و(**المَجهورة**): ما يَنحصر جريُ النَّفَس مع تحرُّكه؛ وذلك لأنّه يكون قويًّا في نفسه، وقَوِيَ الاعتماد عليه في موضع خروجه، فلا يخرج إلّا بصوت قويّ شديد، ويَمنع النفَس مِن الجَريِ معه.[١] يجمعها قول الشاعر:

ظِــلُّ قَــوٍ رَبَــضٌ إذ غــزا جُنــدٌ مُطيــعٌ[٢]

والقَوُّ: اسم قبيلة. والرَّبَض: السُّوْر. وهذه تسعةَ عشرَ حرفًا، ذَكر منها تسعة. وسُمِّيَت المجهورة[٣] مَجهورة من قولهم: جَهرتُ بالشيء إذا أعلنتَه؛ وذلك أنّه لمّا امتنع النفَس أن يجري معها انحصر الصوت بها فقَوِيَ التصويت بها.

والحروف (**الشديدة**): حروف يَنحصر جَريُ صوتها عند إسكانها في مَخرجها فلا يجري. وهي ثمانية أحرف، يجمعها "أجِدُكَ قَطَّبْتَ". ومعنى قَطَّبتَ: عَبستَ مِن العُبوس، أو مِن قَطبتَ بمعنى مَزجتَ الشراب بالماء. وسُمِّيتْ / شديدةً [٣٩ظ]
مأخوذةً من الشِّدّة: التي هي القُوّة؛ لأنّ الصوت لمّا[٤] انحصر في مخرجه فلم يجرِ اشتدّ، أي: امتنع قَبوله للتليين، لأنّ الصوت إذا جرى في مَخرجه أشبهَ حروف اللِّين. ومثّلوا لها بـ"الحَجّ"؛ فإنّك لو وقفتَ على قولكَ: "الحَجّ" وجدتَ صوتك راكدًا[٥] محصورًا، حتّى لو رُمتَ مدَّ صوتكَ لم يُمكنك.

---

١ ن: معها.

٢ لم أقف على قائله. والبيت بلا نسبة في **الصحاح** للجوهري، «جهر»؛ و**شرح الرضي على الشافية**، ٢٥٩/٣؛ وهو في **فتوح الغيب** للطِّيبي، ٣٨/٢، وساقه المحقِّق مساق النثر.

٣ د - المجهورة.

٤ ن: إنّما.

٥ ن: داكرًا.

وَمِنَ الرِّخْوةِ نِصْفَها: اللامَ والميمَ والراءَ والصادَ والهاءَ والعينَ والسينَ والحاءَ والياء والنونَ.

ومن المطبَقةِ نِصْفَها: الصادَ والطاءَ.

ومن المنفتِحَةِ نِصْفَها: الألفَ واللامَ والميمَ والراء والكافَ والهاء والعَيْنَ والسيْنَ والحاءَ والقافَ والياءَ والنونَ.

والحروف (الرِّخوة) بخلافها: فهي حروف لا يَنحصر جَريُ صوتها عند إسكانها. والرِّخوة مأخوذة مِن الرَّخاوة: التي هي اللِّين؛ لقَبوله التطويل لجَريِ الصوت في مخرجه عند النطق، فإنّك لو وقفتَ على قولكَ: "الطَّشّ": وهي المطر الضعيف وجدتَ صوت الشِّين جاريًا بمَدّةٍ إن شئتَ. وهي ما عدا حروف "أَجِدُكَ قَطَّبْتَ"، أحدٌ وعِشرون، أورد منها عشرة. هذا تقرير ما ذَكر المُصنِّف.

والحقُّ أنّ الحروف بهذا الاعتبار تَنقسم إلى الشديدة، والرِّخوة، وما بينهما: وهي ما لا يَتمُّ له الانحصار ولا الجريُ. وهي ثمانية يجمعها "لِمَ يَرُوعُنا". فالرِّخوة على هذا ثلاثةَ عشرَ حرفًا. لكنّ المُصنِّف جَعل كلَّ ما ليس بشديدة رِخوًا.

والحروف (المُطبَقة): ما يَنطبِق اللسان معه على الحَنَك، فيَنحصر الصوت حينئذٍ[1] بين اللسان وما حاذاه مِن الحَنَك الأعلى. وهو الصاد والضاد والطاء والظاء. وهي في الحقيقة اسم مُتجوَّز فيها؛ لأنّ المُطبَق إنّما هو اللسان والحَنَك، وأمّا الحرف فهو مُطبَق عنده، فاختُصر[2] فقيل: مُطبَق، كما قيل للمُشترَك فيه: مُشترَك. ومثله كثير في اللُّغة.

و(المُنفتِحة) ما عدا المُطبَقة: وهي[3] ما لا يَنحصر الصوت عند النطق بها بين اللسان والحَنَك، بل يكون ما بين اللسان والحَنَك مُنفتِحًا. والكلام في التسمية بالمُنفتِحة كالكلام في المُطبَقة؛ لأنّ الحروف[4] لا تَنفتح، وإنّما يَنفتح عندها اللسان عن الحَنَك. وهي خمسة وعِشرون حرفًا، ذَكر منها اثنيْ عشرَ.

---

١ ن - حينئذٍ.
٢ ن: فاختصَ.
٣ ن: وهو.
٤ د ش ن: الحرف.

وَمِنَ المُسْتَعلِيَةِ نِصْفَها: القافَ والصادَ والطاءَ.

ومن المُنْخَفِضَةِ نِصْفَها: الألفَ واللامَ والميمَ والراءَ والكافَ والهاءَ والياءَ والعينَ والسينَ والحاءَ والنونَ.

ومن حُروفِ القَلْقلَةِ نِصْفَها: القافَ والطاءَ.

و(**المُستعلِية**): يرتفع اللسان إلى الحَنَك. وهي الحروف المُطبَقة والخاء والغين والقاف، فهي سبعة، ذَكر منها ثلاثة. ولا يَلزم من الاستعلاء إطباق، ويلزم من الإطباق الاستعلاء؛[١] ألا تَرى[٢] أنّك إذا نطقتَ بالخاء والغين والقاف استعلى أقصى اللسان إلى[٣] الحَنَك من غير إطباق، وإذا نطقتَ بالصاد وأخواتها استعلى اللِّسان أيضًا، وانطبق الحنك على وسط اللسان. وسُمِّيت مُستعلِية؛ لأنّ اللِّسان يَستعلي عندها إلى الحَنَك، فهو مُستعلٍ عندها اللسانَ، وتُجوّز في تسميتها مُستعلِية كما تُجوّز في قولهم: "ليلٌ نائمٌ". ويجوز أن سُمِّيتْ مُستعلِية؛[٤] لخروج صوتها من جهة العُلْوِ.[٥] وكلُّ ما حَلَّ من عالٍ فهو مُستعلٍ.

و(**المُنخفِضة**) ما عدا المُستعلِية، ويقال لها: المُتَسفِّلة[٦] أيضًا؛ لأنّ اللسان لا يستعلي[٧] بها عند النطق إلى الحَنَك كما يَستعلي بالمُستعلي. وهي اثنان[٨] وعِشرون حرفًا، ذَكر منها أحدَ عشرَ.

و(**حروف القَلقَة**): ما ينضمُّ فيها إلى الشِّدَّة ضَغط في الوقف.[٩] والضغط: العَصر، ويُقال: «ضغَطه يَضغَطه ضَغطًا: زَحَمه إلى حائط ونحوه».[١٠] وهي خمسة أحرف، يجمعها "قد طَبَج" مِن الطَّبْج: وهو الضرب على الشيء الأجوف كالرأس ونحوه، ويقال أيضًا: طبَج الرجُل يطبَج فهو أطبجُ، وهو الأحمق. وهي خمسة،

---

١ ن: استعلاء.

٢ د: يُرى.

٣ ن: على.

٤ ن – لأنّ اللسان يَستعلي عندها إلى الحَنَك، فهو مُستعلٍ عندها اللسانَ، وتُجوّز في تسميتها مُستعلية كما تُجوّز في قولهم: "ليلٌ نائمٌ". ويجوز أن سُمِّيتْ مُستعلية.

٥ ضُبِطت في د بكسر العين، ويجوز فيها الضم والكسر.

٦ ن: المُستعلية.

٧ ن: يستعلي.

٨ د: اثنتان.

٩ ن: الوتب.

١٠ الصحاح للجوهري، «ضغط».

....

ذَكر منها اثنتين. والقَلقَة شِدَّة الصوت. وسُمِّيت حروف[١] قلقلة: إمّا لأنّ صوتها صوتُ أشدِّ الحروف، أخذًا مِن القَلقَة التي هي صوت الأشياء اليابسة؛ وإمّا لأنّ صوتها لا يكاد يَتبيَّن به سُكونُها ما لم يُخرَج إلى شِبه التحريك، لشدَّة أمرها، من قولهم: قَلقَله إذا حَرَّكه. / وإنّما حصل[٢] لها ذلك؛ لاتِّفاق كونها شديدة مجهورة، [٤٠و]
فالجَهر يمنع النفَس أن يجري معها، والشِّدَّة تَمنع أن يَجريَ صوتها؛ فلمّا اجتمع لها هذان الوصفان، وهو امتناع النفَس معها وامتناع جَريِ صوتها، احتاجت إلى التكلُّف في بيانها، فلذلك يَحصل ما يَحصل مِن الضغط للمُتكلِّم عند النطق بها ساكنة، حتّى يكاد يَخرج إلى شِبه تحرُّكها لقصد بيانها؛ إذ لولا ذلكَ لم يتبيَّن.

واعلم أنّ قوله: **(وجدتَها مُشتمِلة على أنصاف أجناس الحروف)** يُشكِلُ بحروف الذَّلاقة. وهي سِتَّة، يجمعها "مُرْ بِنَفَل"، والنَّفَل: الغنيمة. ذَكر المُصنِّف منها أربعة: الميم والراء والنون واللام. وسُمِّيَت حروف الذَّلاقة؛ لأنّ الذَّلاقة، أي: السرعة في المنطق إنّما هي بطرف أَسَلة[٣] اللسان والشفتين، وهما مدرجتا[٤] هذه الحُروف الستّة، وهذه الحروف أحسنُ الحروف امتزاجًا بغيرها، ولا تجدُ كلمة رُباعية أو خُماسية إلّا وفيها شيء منها،[٥] فمتى رأيتَها خالية عنها فهو دخيل في العربية، كالعَسْجَد: وهو الذهَب، والدَّهدَقة: وهو الكسر.[٦]

ويُشكِلُ بحرف المُصمَتة أيضًا، وهي ما عداها: اثنان[٧] وعِشرون حرفًا، ذَكر منها عشرة: الألف والحاء والسين والصاد والطاء والعين والقاف والكاف والهاء والياء. وسُمِّيت مُصمَتة؛ لأنّهم لمّا لم يَجعلوها منطوقًا بها حُكم بأنّهم أَصمتوها، أي: جعلوها صامتة، أي: أَصمتَ المُتكلِّمون أن يَجعلوا منها رباعيًا أو خماسيًا.

---

١ ن + القلقة.
٢ ن: جعل.
٣ ن: أمثلة.
٤ ن: مدرجة.
٥ ن - منها.
٦ ن: الكسرة.
٧ د ش: اثنتان.

ثُمَّ إذا اسْتَقْرَيْتَ الكَلِمَ وتراكيبَها رَأيْتَ الحرُوفَ التي أَلْغَى اللهُ ذِكْرَها مِن هذه الأَجْنَاس المَعْدودةِ مَكْثُورَةً بالمَذْكورةِ منها، فسُبحانَ الذي دَقَّتْ في كُلِّ شَيءٍ حكْمَتُه.

وقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مُعْظَمَ الشَّيءِ وجُلَّه يُنزَّلُ منزلةَ كلِّه، ....

وكأنّه إنّما ذَكر الأكثرَ من حُروف الذَّلاقة والأقلَّ من المُصمَتة لسهولة حروف الذَّلاقة؛ ولذلك لم ينفكَّ رباعيٌّ أو خماسيٌّ عن شيء منها،[١] ولثقل[٢] المُصمَتة؛ ولذلك صُمِت عنها في بناء رباعي أو خماسي[٣] عن شيء منها، فترك أكثرها.[٤]

قوله: (ثمّ إذا استقريتَ) هذا الكلام يَصلح لجواب مَن يقول: وإذ ذُكر نصف حروف المعجم، فلِمَ خُصَّ هذا النصف دون ما عداه؟ وكذا نقول في أنصاف أجناس الحروف، وكذا فيما ليس له نصف كامل ذُكر من البعض منها الأقلُّ مِن النصف[٥] ومن بعضها الأكثر منه، وكذا في حروف الذَّلاقة والمُصمَتة. ووجهُ أنّه ذكر ما هو أكثر استعمالًا الاستقراءُ. فقوله: (ألغى) أي: ترك، يقال: ألغاه عن العدد، أي: ألقاه منه.

قوله: (مِن هذه الأجناس) حال من (الحروف). و"مِن" للتبعيض. وقوله: (مَكثُورة) أي: مَغلوبة بالكثرة، أي: المذكورة غالبةٌ وغيرها مغلوبةٌ، يعني: بحسب الاستعمال. ومنه: كاثَره، أي: غالَبه. ويدلُّ على أنّ[٦] المُراد كثرةُ الاستعمال قولُه بعد ذلك: (وممّا يدلُّ)... إلخ.

قوله: (فسُبحان الذي دقَّت في كلّ شيءٍ حِكمتُه) ومن حِكمته في هذا الموضع أنّه لمّا أراد ذِكر البعض ذَكر ما هو أكثر استعمالًا.

قوله: (وقد علمتَ) إشارة إلى فائدة أخرى لذِكر[٧] البعض الكثير الاستعمال،

---

١ ن - منها.

٢ ن: ليقل.

٣ ن - أو خماسي.

٤ ن - فترك أكثرها. | وما ذكره الجاربردي في صفات الحروف من قوله: "واعلم أنّ الحروف تنقسم بحسب الصفات" إلى هنا أكثره مذكور بلفظ قريب في الإيضاح في شرح المفصَّل لابن الحاجب، ٥٠٢/٢-٥٠٨؛ وشرح الرضي على الشافية، ٢٥٧/٣-٢٦٤.

٥ ن - من النصف.

٦ ن - أنّ.

٧ ن: كذلك.

وهو المُطَابِقُ لِلَطائِفِ التَّنْزِيلِ واخْتِصَارَاتِه، فكأَنَّ اللهَ عَزَّ اسمُه عَدَّدَ على العرب الألفاظَ التي مِنها تراكيبُ كلامهم إشارَةً إلى ما ذَكَرْتُ مِنَ التَّبْكِيتِ لهم وإِلْزَامِ الحجَّةِ إيَّاهم.

وممَّا يدلُّ على أنَّه تُعُمِّدَ بالذِّكْر مِن حُرُوفِ المُعْجَمِ أكثرُها وُقُوعًا في تَراكيبِ الكَلِم: أَنَّ الألفَ واللامَ لمَّا تكاثَرَ وقُوعُهما فيها جاءتا في مُعْظَمِ هذه الفواتِحِ

وهي أن يكون كذِكر[١] الكلّ.

قوله: (وهو المُطابق) أي: تنزيل مُعظَم الشيء مَنزِلة كلِّه.

قوله:[٢] (فكأنّ الله عزَّ اسمه) وإنّما ذَكر بلفظ "كأنّ"؛ لأنّه ذَكر بعضه، لكنّه مُنزَّل منزلة الكلّ لِما ذَكر. ويريد بـ(الألفاظ) حروفَ المُعجم التي هي المُسمَّيات بدليل قوله: (منها تراكيبُ كلامهم)، فإنّ التراكيب من الحروف لا من أسمائها، وإنّما قال: "الألفاظ"، أي: الحروف، مع أنّ المذكور الملفوظ هو أسماء الحروف؛ لأنّ عدَّ المدلول إنّما يكون بذكر الأسماء الدالَّة عليها، كما عرفتَ أنّ التهجّيَ تعديدُ الحروف بأسمائها.

قوله: (إلى ما ذكرتُ من التبكيت) إمّا لأنّه كالإيقاظ وقَرْع العصا لمَن تُحدِّيَ بالقرآن إلى آخر ما ذَكره، وإمّا ليكون أوّلَ ما يقرع الأسماع مُستقلًّا[٣] بوجه من الإغراب. قال في الصحاح: التبكيت: كالتقريع / والتعنيف. وبكَّتَه بالحُجَّة: غَلبَه.[٤] [٤٠ظ]

قوله: (أكثرها) قائم مقام فاعل (تُعُمِّد)، والضمير لـ(حروف المعجم). وقوله: (وقوعًا) تمييز من الضمير المستتر في "أكثر" العائد إلى موصوفه المحذوف. والتقدير: الحروف التي هي أكثر الحروف وقوعًا. و(أنّ الألف) مبتدأ، "ممّا يدلُّ" خبره.

قوله: (وقوعُهما) أي: وقوع الألف واللام فيها، أي: في تراكيب الكلام[٥] جاءتا، أي: الألف واللام. وقوله: (في مُعظَم هذه الفواتح) أي: في المُعظَم

---

١ ن: كذلك.
٢ ن – قوله.
٣ ن: مستعملًا.
٤ انظر: الصحاح للجوهري، «بكت».
٥ ش: الكلم؛ ن: العلم.

مُكرَّرتَين، وهي: فَواتحُ سُورةِ البقرةِ وآلِ عمْرانَ والرُّومِ والعَنْكبوتِ ولقمانَ والسَّجْدةِ والأَعْرافِ والرَّعْدِ ويُونسَ وإبْراهيمَ وهُودٍ ويُوسفَ والحجْرِ.

فإنْ قُلتَ: فهلَّا عُدِّدَتْ بأَجْمَعِها في أوّلِ القُرْآن، وما لَها جَاءَتْ مُفرَّقةً عَلَى السُّوَرِ؟

قلتُ: لأنَّ إعادةَ التَّنبيهِ على أنَّ المُتحدَّى به مؤلَّفٌ مِنها لا غَيْرُ، وتجدِيدَه في غَيْرِ مَوْضعٍ واحدٍ أَوْصَلُ إلى الغَرضِ وأَقَرُّ له في الأَسْماعِ والقُلُوبِ مِن أن يُفْرَدَ ذِكْرُه مرّةً، ....

من هذه الفواتح. ولمّا كان السوَر التي فيها هذه الفواتح مُعظمًا جعل فواتحها مُعظمًا. **(مُكرَّرتين)** أي: كرّة بعد كرّة.

قوله: **(وهي)** عائد إلى "مُعظم"، والتأنيث: إمّا بالنظر إلى الخبر، أو لاكتساب التأنيث بالإضافة، أو لأنّ المُراد بالمُعظَم ليس الواحد بل الكثير، وهي التي عدَّها[1] من "سورة البقرة" إلى "الحجر". قيل: هذا على ترتيب النزول، والله أعلم به.

قوله: **(فهلَّا عُدِّدتْ)** أي: أسماء الحروف.

قوله: **(وما لها؟)** "ما" استفهامية. و**(جاءتْ)** حال من ضمير "لها"؛ لأنّه في معنى الفاعل أو المفعول.

قوله: **(منها)** أي: من هذه الحروف التي يَنظمون منها كلامهم، لا مِن غيرها.

قوله: **(وتجديدَه)** أي: تجديد التنبيه. نصب عطف على "الإعادة". **(في غير موضع)** أي: بل في مواضع كثيرة. **(أَوْصَلُ)** خبر **(أنّ)**.[2] يقال: «قرَرْتُ على رأسه دَلْوًا مِن ماء بارد، أي: صببْتُ. وقرَّ الحديثَ[3] في أذنه يَقُرُّه كأنّه صبّه فيها».[4] و**(له)** أي: للغرض. و**(مِن)** مُتعلِّق بـ"أَوْصَلُ" أو **(أَقَرُّ)** على التنازع. **(ذِكره)** أي: ذِكر التنبيه.

---

[1] ن: عدُّوها.

[2] ن: خبره.

[3] ن: وفي الحديث.

[4] الصحاح للجوهري، «قرر».

وكذلك مَذْهَبُ كُلِّ تَكْرِيرٍ جاء في القُرْآن فمطلوبٌ به تمكِينُ المكرَّرِ في النُّفوسِ وتَقْرِيرُه.

فإن قلتَ: فهلَّا جاءَتْ على وَتِيرَةٍ واحدَةٍ، ولِمَ اخْتَلَفَتْ أَعْدادُ حُرُوفِها فورَدَتْ: صادٌ وقافٌ ونونٌ على حرفٍ، و﴿طه﴾ و﴿طسٓ﴾ و﴿يسٓ﴾ و﴿حمٓ﴾ على حرفَيْن، و﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓر﴾ و﴿طسٓمٓ﴾ عَلَى ثلاثةِ أَحْرُف، و﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿الٓمٓر﴾ عَلَى أَرْبعةِ أَحْرفٍ، و﴿كٓهيعٓصٓ﴾ و﴿حمٓ ۞ عٓسٓقٓ﴾ على خمسة أَحْرُفٍ؟

قلتُ: هذا على عَادةِ افتِنانِهم في أسَاليبِ الكلام، وتصَرُّفِهم فيه على طُرُقٍ شتَّى ومَذاهِبَ عدة، ....

قوله: **(كلِّ تكرير)** مثل: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات ١٥/٧٧]، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن ١٣/٥٥]، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر ١٧/٥٤]، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القمر ١٦/٥٤]. وقوله: "مذهبُ كلّ تكرير" مبتدأ، **(كذلك)** خبره. وقوله: **(تمكين)** مبتدأ، **(فمطلوب)** خبره. والجملة جواب شرطٍ محذوف.

قوله: **(وَتيرةٍ)** أي: طريقة وسَجيّة. وأصلها من التواتر: التتابع. ومنه "جاءوا تَترى"، أي: مُتتابعين وِترًا بعد وِترٍ. وإنّما فصَل ﴿حمٓ ۞ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى ٤٢/١-٢] في الكتابة؛ لأنهما[١] آيتان على ما سنذكر.[٢]

قوله: **(فيه)** أي: في الكلام. و**(مَذاهبَ)** عطف على **(طُرُقٍ)**.[٣] والشتيت: المُتفرّق، والجمع **(شتّى)**. ويقال: جاءوا أشتاتًا، أي: مُتفرّقين واحده شَتٌّ.[٤]

قوله: **(هذا على عادةٍ)**... إلخ، أجاب المُصنِّف عن هذا السؤال من وجهين: **الأوّل**: أنّه على عادة افتناناتهم في تراكيبهم، تارة بطريق الإيجاز وأخرى بطريق الإطناب، وتارة بطريق[٥] الغَيبة وأخرى بطريق الخِطاب فكذا هذه.

---

١ ن: لأنها.

٢ ن: على سنذكره.

٣ ن: طرف.

٤ ن: شتيت.

٥ ن - أنّه على عادة افتناناتهم في تراكيبهم، تارة بطريق الإيجاز وأخرى بطريق الإطناب، وتارة بطريق.

وكما أنَّ أَبْنِيَةَ كلماتِهم على حَرْفٍ وحَرْفَيْن إلى خمسَةِ أَحْرفٍ لم يتجاوَزْ ذلك، سُلِكَ بهذه الفواتح ذلك المَسْلك.

فإن قلتَ: فما وَجْهُ اخْتصاصِ كلِّ سُورةٍ بالفاتحةِ التي اخْتُصَّتْ بها؟

قلتُ: إذا كان الغرضُ هو التَّنبيهَ -والمبادِئُ كلُّها في تأدِيَةِ هذا الغَرضِ سواءٌ لا مُفَاضَلةَ- كانَ تَطَلُّبُ وَجْه الاخْتصاص ساقِطًا؛ كما ....

الثاني: أنّها وردت على ما هو[١] طريقة[٢] أبنية كلماتهم في أصل الوَضع. فقوله: **(في أساليب)** مُتعلِّق بقوله: **(افتنانِهم)**، و**(تصرُّفِهم)** عطف على "افتنانِهم"، و"على" مُتعلِّق بـ"تصرُّفهم". وقوله: **(على حرف)** خبر "أنّ". وقوله: **(إلى خمسة أحرف)** حالٌ[٣] من الضمير المستتر في الخبر العائد إلى "الأبنية". وقوله: **(لم تتجاوز)** خبرٌ[٤] بعد خبر. **(كما أنّ)**[٥] إلى آخره،[٦] صفةُ مصدرٍ محذوف لقوله: **(سُلِك)**. وقوله: **(ذلك المَسلك)** إشارة إلى الكون على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف، فكأنّه قال: سُلِكَ بهذه الفواتح المَسلكُ المذكور سَلكًا[٧] مثل كونِ أبنيةِ، أو سلكًا مُشبَّهًا[٨] بكَون[٩] أبنيةِ كلماتهم... إلخ.

قوله: **(هو التنبيهَ)** اللام فيه للعهد، إشارة إلى قوله: "كالإيقاظ وقَرْع العَصا".

قوله: **(والمَبادئُ)** مبتدأ، **(كلُّها)** تأكيد، و**(سواءٌ)** الخبر، بمعنى مُستوٍ. و**(في تأدية)** متعلِّق بالخبر. وقوله: **(لا مُفاضلة)** جملة محذوفةُ الخبر، أي: لا مُفاضلة بين المَبادئ. وهذه الجملة كالتأكيد للجملة المُتقدِّمة. وقوله: "والمبادئ"... إلخ، جملة معترضة. و(كان) جواب **(إذا)**.

قوله: **(خصَصتَ)** بتخفيف الصاد.

[٤١و] / قوله: **(كما)** خبرُ مبتدأ محذوف، و"ما" كافّة مُهيِّئة لدخول الكاف

---

١ ن – ما هو.
٢ ن: طريق.
٣ ن – حال.
٤ ن: خبره.
٥ ش: وكما أنّ
٦ ن: آخره.
٧ ن: وسلكًا.
٨ ن: شبهًا.
٩ ن: يكن.

إذا سَمَّى الرَّجل بَعْضَ أَوْلادِهِ زَيْدًا وَالآخَرَ عَمْرًا، لمْ يُقَلْ لهُ: لمَ خَصَصْتَ وَلَدَك هذا بزَيْدٍ وذاك بعَمْرٍو؟ لأنَّ الغرضَ هو التمييزُ، وهو حاصلٌ أيَّةَ سَلَك.

وكذلك لا يُقالُ: لِمَ سُمِّيَ هذا الجِنْسُ بالرَّجُلِ وذاك بالفرس؟ ولِمَ قيل للاعتمادِ: الضَّربُ، وللانتصابِ: القيامُ، ولنقِيضه: القعُودُ؟

فإن قلتَ: ما بَالُهُم عَدُّوا بَعْضَ هذه الفَواتح آيةً دونَ بَعْضٍ؟

قلتُ: هذا عِلْمٌ تَوْقِيفيٌّ لا مجالَ للقِياس فيه كمَعْرفةِ السُّوَرِ:

أَمَّا ﴿الٓمٓ﴾ فآيةٌ حَيْثُ وَقعَتْ من السوَرِ المُفْتَتَحَةِ بها، وهي ستٌّ.

على الجملة، و(لم يقل) جواب "إذا".

قوله: (أيَّة) موصولة[١] ظرف لقوله: (حاصلٌ) أي: أيَّة طريق سلكها. والضمير المستتر عائد إلى (الرجُل).

قوله: (ولِمَ قيل؟) عطف على (لِمَ سُمِّي؟). والاعتماد: وقوع شيء على شيء.

قوله: (هذا عِلم توقيفيٌّ) أي: معرفة ما ذكرتُم من العِلم بكون بعض الفواتح آيةً دون بعض موقوف على السماع. فقوله: "هذا" إمّا إشارة إلى "عَدِّ البعض دون بعض"، والمضاف محذوف، أو إشارة إلى العِلم بالعَدّ، فلا حذف.

قوله: (كمعرفة السوَر) وهو أنّه لِمَ كان هذا المقدار سورةً لا أَزْيدَ ولا أَنْقصَ؟ والضمير في (المُفتتَحة) لـ(السوَر)، وفي (بها) لـ(﴿الٓمٓ﴾).

قوله: (حيثُ وقعت) ظرف من حيثُ المعنى لِما دلَّ عليه (آية)، فكأنّه قال:[٢] يُحكم بكونه آية في جميع مواضع وقوعه. وقوله: (مِن السوَر) مُتعلِّق من حيث المعنى بقوله: "آية"،[٣] كما يُقال: آية منه، أو بعض منه.

قوله: (وهي سِتٌّ) أي: السوَر التي في أوائلها ﴿الٓمٓ﴾ ستٌّ: "البقرة"، و"آل عمران"، و"العنكبوت"، و"الرُّوم"، و"لقمان"، و"سجدة".

---

١ ن: موصول.

٢ ن – قال.

٣ ن – في جميع مواضع وقوعه. وقوله: (مِن السوَر) مُتعلِّق من حيث المعنى بقوله: "آية".

وكذلك ﴿الٓمٓصٓ﴾ آيةٌ.

و﴿الٓمٓرٓ﴾ لم تُعَدَّ آيةً.

و﴿الٓر﴾ ليسَتْ بآيةٍ في سُوَرِهَا الخَمْسِ.

و﴿طسٓمٓ﴾ آيةٌ في سُورتيها.

و﴿طه﴾ و﴿يسٓ﴾ آيتان.

و﴿طسٓ﴾ ليسَتْ بآيةٍ.

و﴿حمٓ﴾ آيةٌ في سورها كلِّها.

و﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ آيتان.

و﴿كٓهيعٓصٓ﴾ آيةٌ واحدةٌ.

و"صاد" و"قاف" و"نون" ثلاثتُها لم تُعَدَّ آيةً.

هذا مذهَبُ الكوفيين، ومَن عَدَاهُمْ لم يَعُدُّوا شَيْئًا مِنها آيَةً.

فإن قلتَ: فكيْفَ عُدَّ ما هُو في حُكْم كلمةٍ واحدةٍ آيةً

قلتُ: كما عُدَّ ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ وحدَه و﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ وحدَها آيتَيْن على طريق التَّوْقيفِ.

فإن قلتَ: ما حُكْمُها في باب الوَقْفِ؟

قلتُ: يُوقَفُ على جميعها وَقْفَ التَّمَام إذا حُمِلَتْ على معنًى مُسْتَقِلٍّ

قوله: (في سُورها الخمس) هي "يونس"، و"هود"، و"يوسف"، و"إبراهيم"، و"الحجر".

قوله: (ثلاثتها) أي: جُملتها. قيل: هي عبارة سيبويه.[1]

قوله: (هذا) أي: ما ذكرنا من عَدِّ بعض هذه الفواتح آية دون بعض مذهبُ الكوفيين. وأمّا غيرُهم فلم يَعدُّوا شيئًا من الفواتح آية.

قوله: (ما حُكمها؟) أي: حُكم[2] الفواتح، أي: أيُوقَف عليها أم لا؟ وإذا وُقِف عليها فهو وَقْفٌ تامٌّ، أو حَسنٌ، أو غيرُ ذلك؟

---

[1] لم أقف على القول.

[2] ن + هذه.

غَيْرِ مُحتاجٍ إلى ما بَعْدَه، وذلك إذا لم تُجعل أسماءً للسور ونُعِقَ بها كما يُنْعَقُ بالأصواتِ، أو جُعلَتْ وَحْدها أَخْبارَ ابتداءٍ مَحذوفٍ كقوله عزَّ قائلًا: ﴿الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران ٣/١-٢]؛ أي: هذه ﴿الٓمٓ﴾، ثم ابتدأ فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

فإنْ قلتَ: هل لهذه الفواتح مَحلٌّ من الإعراب؟

قلتُ: نَعَمْ، لها محلٌّ فيمَن جَعَلها أسماءً للسُّوَر؛ لأنها عنده كسائرِ الأسماءِ الأَعْلامِ.

فإن قُلْتَ: ما محلُّها أسماءً؟

قلتُ: يحتمِل الأوجُهَ الثلاثةَ: أمَّا الرفعُ فَعَلى الابتداء، وأمَّا النصبُ والجرُّ فلِمَا مرَّ مِن صحةِ القَسَم بها وكونِها بمنزلةِ: اللهَ واللهِ على اللغتين.

ومَن لم يَجْعلْها أَسْماءً للسُّوَرِ لم يُتَصَوَّرْ أَنْ يكونَ لَها محلٌّ في مَذْهبِه؛ كما لا محلَّ للجُمل المبتدَأةِ وللمُفْرداتِ المُعَدَّدةِ.

قوله: **(وذلك)** أي: الحمل على المعنى المُستقلِّ إنّما يَحصل إذا لم تُجعل الفواتح أسماءَ السوَر؛ لأنّه حينئذٍ لا تكون مُتعلِّقة بما بعدها. وقوله: **(أو جُعِلت)** عطفٌ على قوله: **(إذا لم تُجعل)** أي: أو جُعِلت أسماءُ السوَر. و"جُعِلت" مع هذا خبرُ مبتدأ محذوف. وإنّما قَيَّد بقوله: **(وحدَها)**؛ لأنّه لو جُعِل ﴿الٓمٓ﴾ خبرَ مبتدأ محذوف، و﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ خبرًا بعد خبر، لا يكون مُستقِلًّا.

قوله: **(بمَنزلة "اللهَ" و"اللهِ")**، يعني: النصبَ بحذف حرف الجرِّ وإيصالِ الفعل، والجرَّ بإضمار الجارّ.

قوله: **(ومَن لم يَجعلها)** "مَن" شرطيّة أو موصولة، **(لم يُتصوَّر)** جزاؤه أو خبره، والجملة عطف على جملةِ قوله: **(نَعَمْ، لها محلٌّ في مَن جَعلها أسماء للسوَر)**.[1] وأمّا التقييد بما يُشعر العطف على "مَن"[2] في "مَن جَعَلها" ففاسد؛ إذ لا يَصلح أن يقال: نعم لها مَحلٌّ في مَن لم يجعلها[3] أسماءً للسوَر[4] لم يُتصوَّر... إلخ.

قوله: **(المُعدَّدة)** نحو رَجل جَبل جَمل، أو واحد اثنان ثلاثة أربعة.

---

١ ن: السوَر.
٢ ن - مَن.
٣ ن: جعلها.
٤ ن: السوَر.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾

ثمّ اعلم أنّ هنا أقوالًا[1] أُخر في تفسير الحروف المُقطَّعة لم يذكرها المُصنِّف: فذهب قوم إلى أنّ الله تعالى لم يَجعل لأحد سبيلًا إلى إدراك[2] معانيها، وأنّها ممّا استأثر الله تعالى بعلمها، فنحن نُؤمن بظاهرها ونكِلُ عِلمها إلى الله تعالى. قال داود بن أبي هند: كنتُ أسأل الشَّعبيَّ عن فواتح السوَر، فقال الشَّعبيُّ:[3] «يا داود إنّ لكلّ كتاب سِرًّا وإنّ سِرَّ القرآن فواتح السوَر؛ فدَعْها وسَلْ عمّا سِوى ذلك».[4] وفسّرها الآخرون، فقال ابن عبّاس في رواية سَعيد بن جُبير وأبي الضُّحى: «﴿الٓمٓ﴾ أنا الله أعلم».[5] وهو اختيار الزَّجّاج؛[6] قال: «والدليل على ذلك أنّ العَرب قد تَنطق بالحرف الواحد تَدلُّ به على الكلمة التي هو منها».[7] وأنشد:

قلتُ لها قِفي لنا قالتْ قافْ   لا تَحسَبي[8] أنّا نَسينا الإيجافْ[9]

فنطق بـ"قافْ" والمراد "أقِفُ".[10]

والإيجاف:[11] إسراع المَركَب، أي: قلتُ لها: لا تحسَبي.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾.

---

[1] د ش ن: أقوال.

[2] ن: درْك.

[3] ن ش - الشعبي.

[4] قال الطبري: «وقال بعضهم: لكلّ كتاب سرٌّ، وسرّ القرآن فواتحه». جامع البيان للطبري، ٢١٠/١ (البقرة، ١/٢). وأورده الثعلبي عن أبي بكر رضي الله عنه برواية «لله عزّ وجلّ في كلّ كتاب سرٌّ، وسرّ الله في القرآن أوائلُ السوَر». الكشف والبيان للثعلبي، ١٩/٣ (البقرة، ١/٢). وهو بلفظه الذي ساقه الجاربردي عن الشعبي في معالم التنزيل للبغوي، ٥٨/١ (البقرة، ١/٢).

[5] جامع البيان للطبري، ٢٠٧/١-٢٠٨ (البقرة، ١/٢)؛ تفسير ابن أبي حاتم، ٣٢/١ (البقرة، ١/٢)؛ الكشف والبيان للثعلبي، ١٩/٣ (البقرة، ١/٢)؛ معالم التنزيل للبغوي، ٥٨/١ (البقرة، ١/٢).

[6] معاني القرآن وإعرابه للزَّجّاج، ٦٢/١.

[7] معاني القرآن وإعرابه للزَّجّاج، ٦٢/١.

[8] ن: لا تحسبن.

[9] الرجز للوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط في شرح أبيات شواهد الشافية للبغدادي، ٢٧١/٤. وأورد أبو الفرج الأصفهاني الثاني منهما مع أبيات أخرى في الأغاني، ١٨٧/٥. وهو بلا عزو في جامع البيان للطبري، ٢١٦/١؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزَّجّاج، ٦٢/١.

[10] من قوله: "فذهب قوم" إلى هنا بمعناه في الوسيط للواحدي، ٧٥/١-٧٦ (البقرة، ١/٢).

[11] ن: الإيجاب.

فإنْ قلتَ: لم صحَّتِ الإشارةُ بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما ليسَ ببعيدٍ.

قلتُ: وقعتِ الإشارةُ إلى ﴿الٓمٓ﴾ بَعْدَ ما سَبَقَ التكلُّمُ به وتَقَضَّى، والمنقَضِي في حُكْمِ المتباعِدِ، وهذا في كلِّ كلامٍ: يُحدِّثُ الرَّجُلُ بحديثٍ ثم يقولُ: وذلك ما لا شكَّ فيه، ويَحْسُبُ الحاسبُ ثمَّ يَقولُ: فذلك كذا وكذا، وقال الله تَعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة ٦٨/٢]، وقال: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف ٣٧/١٢]،

قوله: (**لِمَ صحَّت الإشارة بـ"ذلك" إلى ما ليس ببعيد؟**) هذا السؤال إنّما يرد على تقدير أن يكون ﴿الٓمٓ﴾ اسمًا / للسورة، فإنّه يقال: حينئذٍ ﴿الٓمٓ﴾ اسم للسورة، [٤١ظ] ولفظة "ذلك" إشارة إليه، مع أنّه موضوع للإشارة إلى البعيد؛ لأنّ "ذا" اسم إشارة، والكاف حرف الخِطاب لا محلّ لها من الإعراب، واللام حرف أُتي بها للدلالة على بُعد المُشار إليه، فكيف وجه صِحّته؟ وأمّا إن قلنا: ورود هذه الأسماء على نمط التعديد، أو قلنا:[١] وَرَدت السوَر مُصدَّرة بها ليكون أوّل السوَر مُستقِلًّا بوجه من الإعْراب، فلا يَرِد هذا السؤال؛ لأنّه حينئذٍ لا يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ﴿الٓمٓ﴾.

قوله: (**وقعتِ الإشارة**) أي: وقعت الإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ﴿الٓمٓ﴾، لكن بعد انقضاء التكلُّم بـ﴿الٓمٓ﴾، وإذا انقضى التكلُّم به يكون في حُكم الغائب المُتباعد فتكون الإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى البعيد.

قوله: (**وهذا في كلّ كلام**) أي: هذا الذي ذكرنا من أنّ ما سَبق التكلُّم به وانقضى يُجعل في حُكم المُتباعد، ويُشار إليه بلفظة[٢] "ذلك" يقع في كلّ كلام.

قوله: (**يُحدِّث**) إلى قوله: (**فيه**)[٣] مثال وبيان للجملة المُتقدِّمة؛ فإنّ قوله: (**ذلك**) إشارة إلى حديثه مع قُربه. وكذا قوله: (**ويَحسُب**) أي: يَعُدُّ إلى قوله: (**وكذا**). وقوله تعالى: (﴿**ذَٰلِكَ**﴾ [البقرة ٦٨/٢]) إشارة إلى الفارض والبِكر مع قُرب ذِكرهما باعتبار المذكور. والفارض: المُسِنُّ. والبِكر: الفَتيّة الصغيرة التي لم تَلِد قطُّ أو ولدتْ مرّة. وقوله تعالى: (﴿**ذَٰلِكُمَا**﴾)[يوسف ٣٧/١٢] إشارة إلى "الإنباء"

---

١ ن: وقلنا.
٢ ن: بلفظ.
٣ ن - فيه.

ولأنه لمّا وَصَل من المُرْسِل إلى المُرْسَل إليه وقعَ في حدِّ البُعْد؛ كما تقول لصاحبك وقَدْ أعطيتَه شيئًا: احْتَفِظْ بذلك.

وقيلَ: معناه: ذلك الكتابُ الذي وُعِدُوا به.

فإن قلتَ: لمَ ذُكِّرَ اسمُ الإشارة، والمشارُ إليه مؤنَّثٌ وهو السورةُ؟

في قوله تعالى حكاية عن يوسف مع صاحبَي السِّجن: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف ١٢/٣٧].

قوله: **(ولأنّه)** الضمير فيه ضمير الشأن، أو عائد إلى ﴿الٓمٓ﴾. والضمير في **(وَصل)** عائد إلى ﴿الٓمٓ﴾. وقوله: **(وَقع)** جواب "لمّا". وقيل قوله: "ولأنّه" عطف على قوله: "وقعت الإشارة". والأَولى أن نقول: هو عطفٌ من حيثُ المعنى على قوله: **(بعد ما سبق)**. وتقريره أن نقول: ذَكر أوّلًا أنّ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ﴿الٓمٓ﴾، وبيَّن بُعده من وجهين: **الأوّل**: أنّه لمّا انقضى كان في حُكم البعيد؛ **والثاني**: أنّه لمّا وَصل من المُرسِل إلى[1] المُرسَل إليه وقع في حدِّ البُعد. فكأنّه قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ﴿الٓمٓ﴾ لكن بعد سَبق التكلُّم بـ﴿الٓمٓ﴾، أو بعد وصول ﴿الٓمٓ﴾ من المُرسِل إلى المُرسَل إليه. ثمّ ذكر ثانيًا أنّ ﴿ذَٰلِكَ﴾ ليس إشارة إلى ﴿الٓمٓ﴾، بل هو إشارة إلى الكتاب الموعود، وإن كان ﴿الٓمٓ﴾ اسمًا للسورة.[2] وعلى هذا[3] بُعده يكون[4] ظاهرًا، فيكون قوله: **(وقيل)** عطفًا من حيث المعنى على قوله: "وقعت الإشارة"، فكأنّه قال: وَقَعت الإشارة إلى﴿الٓمٓ﴾، وبيان بُعده من وجهين؛ أو وَقَعت الإشارة إلى الكتاب الموعود وبُعده يكون ظاهرًا.

والمراد[5] بـ"الوعد": إمّا الوعد على لسان موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام أجمعين؛ أو المراد بالوعد قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل ٧٣/٥]، فإنّه لمّا نزل هذه الآية كان النبيُّ عليه السلام واثقًا بوعد الله إيّاه،

---

١ ن – المُرسِل إلى.
٢ ن: اسم السورة.
٣ ن + يكون.
٤ ن – يكون.
٥ ن: أو المراد.

قلتُ: لا أَخْلو مِن أَنْ أَجْعلَ ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ خبَرَهُ أو صفتَهُ:

فقيل: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ الموعود. وعلى التقديرين يكون الضمير في "وُعِدوا" للنبيّ عليه السلام وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين. لكنّ الوعد إمّا على لسان الأنبياء، أو بقوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى﴾.

وهنا وجه آخرُ لم يَذكره المُصنِّف، وذَكره[1] صاحب **المِفتاح**:

> وهو أنّه يُؤتى باسم الإشارة إذا أريد بيان القُرب والبُعد والتوسط، كقولك: هذا وذلك وذاك. ثمّ يَتفرّع عليه اعتبار لطيف: وهو أن يُراد بقُربه تحقيرُه واسترذاله، وبِبُعده تعظيمه أو خِلاف تعظيمه. مثال **الأوّل** قوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [البقرة ٢٦/٢]، كانوا يُريدون تحقير المَثَل / بالذباب والعنكبوت وغيرهما؛ وقوله تعالى حكاية عن الكفار أيضًا: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان ٤١/٢٥]. ومثال **الثاني** قولك في مقام التعظيم: ذلك الفاضل، وأولئك الفحول، وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ ذهابًا إلى بُعد[2] دَرَجه،[3] وقوله تعالى حكاية عن زَلِيخا: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف ٣٢/١٢]، ولم تقل: "فهذا" ويوسف حاضر؛ رفعًا لمنزلته في الحُسن، واستبعادًا لمحلِّه، وإشارة إلى استحقاقه أن يُحَبَّ ويُفتتَن.[4] وكما تقول في مقام خِلاف التعظيم: ذلك اللعين، وأولئك الفُسّاق.[5] [٩٤٢و]

قوله: **(لا أخلو)** حاصل الجواب أنّه إن كان ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ خبر ﴿ذَٰلِكَ﴾ تكون الإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى المؤنّث وهو السورة، لكن ذُكِّر حملًا على المعنى. وإنّما قلنا: إنّه حينئذٍ تكون الإشارة إلى السورة؛ لأنّه حُكم على السورة بأنّها[6] الكتاب. وأمّا إن كان ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ صفة فتكون الإشارة إلى المُذكّر، وهو ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ لأنّه حُكم على السورة بأنّها ذلك الكتاب. وتحقيقه ما ذكره المُصنِّف. فقوله:

---

١ ن: وذكر.

٢ د ش: بعده

٣ ن: درجته. | دَرَجُ البناء ودُرَّجُه: مراتب بعضها فوق بعض، واحدته دَرَجة ودُرَجة. لسان العرب لابن منظور، «درج». وفي اختيار السكّاكي لفظَ الجمع ههنا دِقّة.

٤ ن: يفتن.

٥ انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٢٧٦-٢٧٨.

٦ ن: ذلك.

فإنْ جعَلْتَه خبَره كانَ ﴿ذَٰلِكَ﴾ في مَعْناه، ومسمَّاهُ مسمَّاهُ، فجازَ إجْراءُ حُكْمِهِ علَيْهِ في التَّذْكير كما أُجْرِي علَيْه في التأنيث في قولهم: مَن كانَت أُمُّكَ؟

وإنْ جعَلْتَه صفَتَه فإنَّما أُشِيرَ به إلى ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ صريحًا؛ لأن اسم الإشارة مشارٌ به إلى الجِنْس الواقع صفةً له، تقول: هِنْدٌ ذلك الإِنْسانُ -أو: ذلك الشَّخْصُ- فَعَل كذا، وقال الذُّبْيَانِيُّ:

نُبِّئْتُ نُعمًا على الهِجْرَانِ عَاتِبةً ... سَقيًا ورَعيًا لِذَاكَ العاتِبِ الزَّارِي

فإن قلتَ: أَخْبرني عن تأليف ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ مع ﴿الٓمٓ﴾.

(فإن جعلتَه) أي:[١] فإن جعلتُ ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ خبرَ (﴿ذَٰلِكَ﴾) كان "﴿ذَٰلِكَ﴾" أي: لفظ "ذلك" في معنى "الكتاب"، ومُسمّى "ذلك" مُسمّى "الكتاب"؛ فجاز إجراء حُكم الخبر وهو "الكتاب" على المبتدإ وهو "ذلك" في التذكير، كما أُجريَ حُكم الخبر على المبتدأ في التأنيث. فقوله: (في التأنيث) حالٌ من الضمير في قوله: (أُجريَ). وقوله: (في قولهم) ظرف "أُجريَ". وأُنِّث الضمير في (كانتْ)، وإن كان عائدًا إلى (مَن) وهو مُذكَّر لفظًا؛ لتأنيث[٢] "الأمّ". «عن أبي عمرو بن العلاء قال: سمعتُ أعرابيًا يقول: فلان لَغوب جاءتْه كِتابي فاحتقرها؛ فقلتُ: أتقولُ: جاءتْه كتابي؟ فقال:[٣] أليس بصحيفة؟ فقلت:[٤] ما[٥] اللَّغوب؟ فقال: الأحمقُ».[٦]

قوله: (وإن جعلتَه) أي: ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ صفة ﴿ذَٰلِكَ﴾ فإنّما أُشِير بـ"ذلك".

قوله: (هند) مبتدأ، (ذلك الإنسان) صفته،[٧] و(فعَل كذا) خبره. (قال الذُّبيانيُّ):

عُوجوا فحَيُّوا لِنُعْمٍ دِمنةَ الدارِ ... ماذا تُحيُّون مِن نُؤيٍ وأحجارِ
لَقد أُراني ونُعْمًا لاهِيَين بها ... والدهرُ والعيشُ لم يُهمِم بإمرارِ
(نُبِّئتُ نُعْمًا على الهِجْران عاتبةً ... سَقيًا ورَعيًا لِذاكَ العاتبِ الزاري)[٨]

---

١ ن - (فإن جعلتُه)، أي.
٢ ن: التأنيث.
٣ ن: فقلت.
٤ ن: فقلنا.
٥ ن: أمّا.
٦ الصحاح للجوهري، «لغب».
٧ ن: صفة.
٨ الأبيات في ديوان النابغة الذبياني، ص ٢٠٢. وفيه: «في الدهر» بدل «والدهر»، و«أُنبِئتُ» بدل «نُبِّئتُ».

قلتُ: إنْ جُعِلَتْ ﴿الٓمٓ﴾ اسمًا للسُّورة ففي التأليف وجُوهٌ:

أَنْ يكونَ ﴿الٓمٓ﴾ مُبْتدأً، و﴿ذَٰلِكَ﴾ مُبْتدأً ثانيًا و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ خبَرَه، والجُمْلةُ خبرَ المُبْتدأ الأوَّلِ، ....

العَوْج: عطفُ رأس البعير بالزِّمام. ونُعْم: اسم المحبوبة، على وزن فُعْل. جاز صَرفه وعدم صَرفه كهِنْد. والدِّمْنة: ما تلبَّد من البَعَر والقُمامة، وربّما نبت فيها النبات الحَسَن، وفُسِّر قوله عليه السلام: «إيّاكم وخَضراء الدِّمَن» بـ: «المرأة الحسناء في مَنبَت[١] السُّوء».[٢] والنُّؤْي: حُفَيرة تُحفر حول الخباء لئلّا يَدخله ماء المطر. واللاهيَين: من اللهو. ولم يُهِم: من أَهَمَّ بالشيء إذا أراده. بإمرار:[٣] بإعطاء المُرّ. وبيت **الكشّاف** "نُبِّئتُ"، أي: أُخبرتُ، مفعوله **الأوّل** قائم مَقام الفاعل، **والثاني** "نُعْمًا"، **والثالث** "عاتبة على الهجران". وسَقيًا ورَعيًا مصدر، أي: سَقاها[٤] الله ورَعاها سَقيًا ورَعيًا. و"الزاري": مِن زَرى[٥] عليه، أي: عابه.[٦] «قال أبو عمرو: الزاري على الإنسان: الذي لا يَعدُّه شيئًا، ويُنكر عليه فِعله».[٧] و"ذاك":[٨] اسم الإشارة مُشار به إلى الجنس الواقع صفة له. يعني: أُخبِرتُ أنّ نُعمًا عَتبت على الهِجران، سَقاها الله ورَعاها.

قوله: **(أن يكون)** إمّا خبرُ مبتدإٍ محذوف، أي: **الأوّلُ** أن يكون، وكذا المعطوفات[٩] عليه، أي: **والثاني** أن يكون، **والثالث** أن يكون، **والرابع** أن يكون. وإمّا بدلٌ عن "وجوه"، هو والمعطوفات عليه، بدلَ الكُلّ من الكُلّ.

قوله: **(والجملة خبرُ المبتدأ الأوّل)**[١٠] إن قيل: أين العائد؟ قُلنا: اسمُ الإشارة قام مَقام الضمير، كما ينوب تعريف الجنس عن الضمير في قولك: نِعمَ الرجُلُ زيدٌ! على قول مَن يقول: "زيد" مبتدأ، "نِعمَ الرجُل" خبرُه.

---

١ ن: المنبت.
٢ **غريب الحديث** للقاسم بن سلّام، ٣/٤٩٠؛ **جمهرة الأمثال** للعسكري، ١/١٧؛ **جامع الأحاديث** للسيوطي، ٣/٤١٥-٤١٦.
٣ ن: بامران.
٤ ن: أن سقاها.
٥ ن: روى.
٦ ن: عاتبه.
٧ **الصحاح** للجوهري، «زري».
٨ د ش ن: ذلك. | وهي في البيت "ذاك".
٩ ن: المعطوفان.
١٠ ن – الأوّل.

ومَعْناه: أنَّ ذلك هو الكتابُ الكامِلُ كأنَّ ما عَدَاه مِنَ الكتب في مُقابَلتِهِ ناقِصٌ، وأنَّهُ الذي يَسْتأهِلُ أنْ يُسمَّى كتابًا؛ كما تَقول: هو الرَّجلُ؛ أي: الكامِلُ في الرُّجُوليَّة، الجامِعُ لِمَا يكون في الرِّجال مِن مَرْضِيَّاتِ الخِصالِ، وكما قال:

قوله: (**ومعناه: أنّ ذلك هو الكتاب**) تحقيق هذا المَوضِع موقوف على تقريرٍ ذَكَرَه صاحب **المِفتاح**، فنقول:

[٤٢ط] الحقيقة من حيثُ هي هي ليست / مُتعدِّدة؛ لأنّها قد تتحقَّق مع الوَحدة، ولا مُتّحدة؛ لأنّها قد تتحقّق مع التعدُّد. وهي صالحة للتوحُّد والتكثُّر، ولا تنفكُّ في الوجود عن أحدهما. فمَرجع[١] استغراق الحُكم وعدم استغراقه إلى مُقتضى المَقام: فإذا كان خَطابيًّا،[٢] مثل قوله عليه السلام: «المُؤمِن غِرٌّ كريم، والمُنافق خِبٌّ لئيم»،[٣] حُمِل المُعرَّف باللام مُفردًا كان أو جمعًا على الاستغراق؛ لأنّ القصد إلى فرد دون آخرَ مع تحقُّق الحقيقة فيهما يَقود إلى ترجيح أحد المُتساويين. وإذا كان المَقام استدلاليًّا حُمِل اللفظ على أقلّ ما يَحتمله، وهو الواحد في المفرد[٤] والثلاثة في الجمع، فلا يُوجَب في مثل "حصِّلِ الدرهم" إلّا واحد، ولا في مثل "حصِّلِ الدراهمَ" إلّا ثلاثة، بناء على أنّ أقلّ الجمع ثلاثة.

وإذا عرفتَ هذا، فنقول: متى قلنا: زيدٌ المنطلِقُ أو المنطلِقُ زيدٌ، في المَقام الخطابيّ، لَزِم ألّا يكون غيرُ زيد منطلقًا. ولذلك[٥] يُنهى أن يقال: زيدٌ المنطلِقُ وعمرٌو، بالواو؛ لأنّ قولك: زيدٌ المنطلِقُ اقتضى ألّا يكون غيرُ زيد منطلقًا، فلو عَطفتَ "عمرًا" بالواو لَزِم أن يكون غيرُه منطلِقًا، فيتناقض؛ ولا يُنهى أن يقال: زيدٌ المنطلِقُ لا عمرٌو؛ لأنّ "لا عمرٌو" يكون كالتأكيد.

ثمّ إذا كان الأمر في نفسه كذلك، كما إذا قلت: الله الخالق، حُمِل على الانحصار[٦] حقيقة، وإن لم يكن الأمر في نفسه كذلك، كما في قولك:

---

[١] ن: فموضع.

[٢] ن: خابيا.

[٣] مسند أحمد، ٥٩/١٥ (٩١١٨). برواية «إنّ المؤمن غِرٌّ كريم، وإنّ الفاجر خِبٌّ لئيم»؛ الأدب المُفرَد للبخاري، ص ١١٣ (٤١٨)؛ سنن أبي داود، ٢٧١/٥-٢٧٢ (٤٧٥٧)؛ سنن الترمذي، ٥١٢/٣ (١٩٦٤). وفيها: «الفاجر» بدل «المنافق».

[٤] ن: الفرد.

[٥] ن: وكذلك.

[٦] ن: الاختصار.

هُـمُ الـقَـومُ كـلُّ الـقَـومِ يـا أُمَّ خَـالِـدِ

وأَنْ يَكونَ ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ صفَةً، ومعناه: هو ذلك الكتابُ المَوْعُود.

حاتِمٌ الجوادُ وخالدٌ الشجاعُ، وقوله عزَّ وعلا: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾، حُمِل على الانحصار مُبالغةً وتنزيلًا لجُود غير حاتم وشجاعةِ غير خالد وكونِ غير القرآن كتابًا مَنزلةَ العدم لجهات اعتباريّة.[1]

ومَرجعُ المعنى إلى إرادة الكامل، فكأنّه قيل: إنْ كان الجواد والشجاع والكتاب هكذا، فغير هؤلاءِ ليس جوادًا ولا شجاعًا ولا كتابًا.[2] قال الشاعر:

وإنّ الـذي حـانَـتْ بفَلـجٍ دِماؤهُـمْ   **(هُمُ القومُ كُلُّ القومِ يا أمَّ خالدِ)**[3]

يقال: حان دمُه، أي: لم يُطلَب بثأره، من الحَيْن:[4] الهَلاك. وفَلْج: اسم[5] موضع بالبصرة، وفَلْج أيضًا: اسم نهر صغير.[6] والقوم: الرجال خاصّة.

قوله: **(همُ القومُ كُلُّ القومِ)** أي: هم المشهورون بالرجوليّة والبراعة، الموصوفون بكمال الشهامة والشجاعة، الجامعون لِمَا يكون في الرجال من مَرضيّات الخصال. وحَذَف النونَ من "الذين" تخفيفًا، فقال: "الذي"، كقوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ [التوبة ٦٩/٩].

قوله: **(وأن يكون ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ صفة)** عطفٌ على قوله: **(أن يكون ﴿الٓمٓ﴾ مبتدأً)**... إلخ، هذا هو الوجه **الثاني**: وهو أن يكون ﴿الٓمٓ﴾ مبتدأً، و﴿ذَٰلِكَ﴾ خبرًا، و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ صفةَ ﴿ذَٰلِكَ﴾. **(ومعناه: هو)** أي: هذه السورة ذلك الكتاب الموعود. ثمّ نقول: إن كان المراد بالموعود الموعودَ بقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل ٥/٧٣] فالمعنى ظاهر، وإن كان المراد بالموعود

---

[1] انظر: **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٣١٧-٣١٩.

[2] انظر لهذا المعنى **دلائل الإعجاز** للجرجاني، ص ١٧٩.

[3] البيت للأشهب بن رُمَيلة في **كتاب سيبويه**، ١٨٦/١-١٨٧؛ و**مجاز القرآن** لأبي عُبيدة، ١٩٠/٢. وبلا عزو في **معاني القرآن** للأخفش، ٩١/١؛ و**الصحاح** للجوهري، «الذي». وانظر تفصيل الكلام عليه وعلى صاحبه في **خزانة الأدب** للبغدادي، ٢٥/٦-٣٤.

[4] ن: حين.

[5] ن - اسم.

[6] انظر: **معجم البلدان** للحموي، ٢٧٢/٤.

وأن يكون ﴿الٓمٓ﴾ خبرَ مُبْتدأٍ مَحْذوفٍ؛ أي: هذه ﴿الٓمٓ﴾ ويَكونُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبرًا ثانيًا أو بَدلًا على أنَّ ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ صِفَةٌ.

الموعودَ على لسان الأنبياء فالمراد بـ﴿الٓم﴾، وإن كان **بمعنى السورة هو القرآن؛ لأنّه من القرآن.** فكأنّه قال: هذه السورة، **أي: القرآن هو الكتاب الموعود** على لسان الأنبياء، فجَعل هذه السورة الكتابَ؛ **لأنّها معظمه ومُشتملة على المعاني الكثيرة.**

قوله: (**وأن يكون ﴿الٓم﴾ خبرَ مبتدأ محذوف**) هذا هو الوجه **الثالث**، معطوف على قوله: "أن يكون ﴿الٓم﴾ مبتدأ"، وهو أن يكون ﴿الٓم﴾[١] خبرَ مبتدأٍ محذوف، والمبتدأ المحذوف هو (**هذه**). ثمّ هنا احتمالان **الاحتمال الأوّل**: أن يكون ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ خبرًا ثانيًا: **إمّا بأن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ** ثانيًا، و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ خبرَه، والجملة خبرًا بعد خبر لقوله: "هذه"، أي: للمبتدأ المحذوف؛ وإمّا بأن يكون ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ صفةَ ﴿ذَٰلِكَ﴾، والموصوف مع الصفة خبرًا ثانيًا للمبتدأ المحذوف. والاحتمال **الثاني** بعد كَون ﴿الٓم﴾ خبرَ مبتدأ محذوف: أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ بدلًا من ﴿الٓم﴾، ويَتعيَّن على ذلك الوجه أن يكون ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ صفةَ ﴿ذَٰلِكَ﴾. / ولا يجوز أن يكون خبرًا عن ﴿ذَٰلِكَ﴾، والجملة بدلًا؛ لأنّ البدل عن المفرد لا يكون جملة. فقوله: (**على أنّ ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ صفة**) [٤٣و]
مُتعلِّق[٢] بقوله: (**بدلًا**)؛ لأنّ تعيين[٣] الصِّفتيّة في الكتاب مختصٌّ بكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ بدلًا، لِمَا عرفتَ أنّ ﴿ذَٰلِكَ﴾ لو كان خبرًا جاز في ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ الوجهان. لكنّ كلام المُصنِّف حينئذٍ لا يخلو عن نوع مُساهلة؛ لأنّه إذا جعل ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ خبرَه، والجملة خبرًا ثانيًا، فلا يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبرًا[٤] ثانيًا، بل الجملة تكون خبرًا ثانيًا. والمُصنِّف حَكم بكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبرًا ثانيًا على التقديرين.

---

١ ن - مبتدأ، وهو أن يكون ﴿الٓم﴾.
٢ ن: يتعلّق.
٣ ن: جملة يعني.
٤ ن - خبرًا.

وأَنْ يكونَ: "هذه ﴿الٓمٓ﴾" جُمْلةٌ و﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ جُمْلةٌ أُخرى.

وإنْ جُعلَتْ ﴿الٓمٓ﴾ بمنزلةِ الصوتِ كان ﴿ذَٰلِكَ﴾ مُبتدأً خبرُه ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾، أي: ذلك الكتابُ المُنزَلُ هُوَ الكتابُ الكامِلُ.

أو ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ صِفَتُه والخَبرُ ما بَعْدَه، ....

قوله: (**وأن يكون: "هذه ﴿الٓمٓ﴾" جملةً**) هذا هو الوجه الرابع معطوفًا[١] أيضًا على قوله: "أن يكون ﴿الٓمٓ﴾ مبتدأ". وعلى هذا الوجه هما جملتان، وأمّا الربط الذي بينهما فسيتحقَّق[٢] بعد قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إن شاء الله تعالى.[٣]

قوله: (**وإن جُعِلتَ ﴿الٓمٓ﴾ بمنزلة الصوت**) عطفٌ على قوله: (**إن جُعِلتَ ﴿الٓمٓ﴾ اسمًا للسورة**)، وأراد بجَعل ﴿الٓمٓ﴾ بمنزلة الصوت الوجهين الآخرين[٤] من الوجوه الثلاثة المذكورة في تفسير ﴿الٓمٓ﴾: وهما أن يكون وُرود هذه الأسماء بطريق التعديد؛ للتنبيه على أنّ الذي عَجَزوا عن الإتيان بمثله مُركَّب من الحروف التي يَنظمون منها كلامهم، ليَستدلوا بذلك على أنّ عجْزهم يدلُّ على أنّه كلام الله تعالى؛ وأن يكون وُرود السورة مُصدَّرة بذلك ليكون أوّلُ السورة مُستقلًا بوجه من الإعراب. وإنّما جَعلهما المُصنِّف بمنزلة الأصوات؛ لأنّ مدلول تلك الأسماء على هذين الوجهين ليس إلّا الحروف. ولهذا التقدير أيضًا ذَكر وجوهًا، الوجه **الأوّل** ظاهر. فقوله: (**ذلك الكتاب المُنزَل**) تفسير للفظة "ذلك" الواقع في **القرآن**، وقوله: (**هو الكتاب الكامل**) تفسير "الكتاب". وأشار بقوله: "هو الكتاب الكامل"[٥] إلى[٦] إفادته الحصر، كما مرَّ عن قريب.

قوله: (**أو ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ صفتُه**) عطفٌ على قوله: (**خبرُه**[٧] **﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾**). وهذا هو الوجه **الثاني**: وهو أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ صفةُ ﴿ذَٰلِكَ﴾،

---

١ شن ن: معطوف.

٢ ن: فيتحقَّق.

٣ د - إن شاء الله تعالى.

٤ ن: الأخيرين.

٥ ن - تفسير "الكتاب". وأشار بقوله: "هو الكتاب الكامل".

٦ ن: أي.

٧ ن: خبر.

أو قَدِّر مُبتدأٌ مَحْذوفٌ؛ أي: هو -يَعْني: المؤلَّفُ مِن هذه الحروف- ذلك الكتابُ. وقرأ عبدُ الله: "الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه"، وتأليفُ هذا ظَاهِرٌ.

والخبر ما بعد ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾، يعني قوله تعالى:[١] ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾.

قوله: **(أو قُدِّر مبتدأ محذوف)** عطفٌ على قوله: "كان ذلك مبتدأ". وهذا هو الوجه الثالث: وهو أن يكون ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ خبرَ مبتدإٍ محذوف، وذلك المبتدأ المحذوف قولك: "هو"، وقولك: "هو" يعود إلى المُؤلَّف من هذه الحروف؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ بطريق التعداد يدلُّ عليه، فـ"هو" يكون مبتدأ، و﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ خبره، وهذا الخبر[٢] يحتمل أن يكون مُفردًا أو جملة على الوجه الذي مرَّ.

واعلم أنّه لم يَجعل لقوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ على هذا التقدير -وهو أن يكون ﴿الٓمٓ﴾ بمنزلة الصوت- مَحلًّا من الإعراب؛ لِمَا مرَّ أنّ مَن لم يجعل الفواتح أسماء للسوَر لم يتصَوَّر أن يكون لها محلٌّ في مذهبه، كما لا محلَّ للجُمل المُبتدأة وللمفردات[٣] المُعدَّدة.

وقراءة **(عبد الله)** بن مسعود شاذّة.[٤] و"تأليفه ظاهر" ممّا[٥] مرَّ؛ فإنّك إن جعلتَ ﴿الٓمٓ﴾ اسمًا للسورة يجوز أن تكون ﴿الٓمٓ﴾ مبتدأ، ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ خبره، ﴿لَا رَيۡبَۛ﴾ خبرٌ بعد خبر، وأن يكون ﴿الٓمٓ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوف، و﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ خبرًا بعد خبر، أو خبرَ مبتدأ محذوف، وإن جَعلتَ ﴿الٓمٓ﴾ بمنزلة الصَوت يكون ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ مبتدأ ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ خبرُه، أو ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ خبرًا لمبتدأ محذوف، ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ خبرًا بعد خبر، أو خبرَ مبتدأ محذوف. وغيرُ ما ذكرنا من الوجوه المُحتملة لا يخفى على المُتأمِّل فيما مرَّ.

هذا الذي ذَكرنا تقريرُ ما ذكره المُصنِّف.

وأقول: "الكتاب" في الأصل مصدر كتبتُ؛ سُمِّيَ[٦] المكتوب كِتابًا تسميةً للمفعول بالمصدر. قال تعالى: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان ١١/٣١]، أي: مَخلوقه.

---

[١] د ش - تعالى.
[٢] ن - وهذا الخبر.
[٣] ن: المفردات.
[٤] **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٣٧١.
[٥] ن: كما.
[٦] ش: ويُسمّى.

والرَّيْبُ: مَصْدرُ رَابَنِي إذا حَصَّلَ فيكَ الرِّيبَةَ.

وهذا الدِّرهم ضَرْب الأمير، أي: مَضروبه. وهذا الثوب نَسْج اليَمن، أي: مَنسوجه. / وأصل الكَتْبِ في اللغة: الجَمع والضمُّ. يقال: كَتبتُ البغلةَ إذا ضَممتَ[١] بين شُفريها بحَلْقة،[٢] وشُفر الرَّحِم بالضمّ وشافرها: حُروفها. وتقول: كَتبتُ السِّقَاء إذا خرزتَه.[٣] والكُتَب: الخُروز،[٤] واحدتها كُتْبة.[٥] وسُمِّيَ الكِتاب كِتابًا؛ لاجتماع حروفه بعضها إلى بعض.[٦] [٤٣ظ]

قوله تعالى: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾.

قوله: (**الرَّيْب: مصدر رابَني إذا حصَّل فيك الرِّيبة**) بمعنى[٧] فَعلَ فِعلًا صرتَ بسببه قلِقًا مضطربًا. قال في **الحُجَّة**:

> قال سيبويه: «قالوا: أَرابَ، أي: صار صاحب رِيبة، كما قالوا: أَلامَ، أي: استحقَّ أن يُلام. وأمَّا رَابني فتقول: جَعل فيَّ رِيبة، كما تقول: قطعتُ النخلَ، أي: أوصلتُ إليه القَطعَ واستعملتُه فيه».[٨] قال أبو زيد: رابني من فلان أمرٌ رأيتُه[٩] منه رَيبًا، إذا كنتَ مُستيقنًا منه بالرِّيبة، فإذا أسأتَ به الظنّ ولم تَستيقن منه بالرِّيبة قلتَ: أرابني من فلان أمرٌ هو فيه، إرابةً. قال أبو عُبيدة: «﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾، أي، لا شكَّ فيه».[١٠]

وأقول: الرَّيْب على ما تَقرَّر: تَحصيل الرِّيبة، فالرَّيْب مُستلزِمٌ للرِّيبة، والرِّيبة على ما ستعرف من لوازم الشكّ، فإطلاق الرَّيْب على الشكّ يكون من باب المَجاز عن الكناية؛ لأنّ في المَجاز انتقالًا من الملزوم إلى اللازم، وفي الكناية من اللازم إلى الملزوم.[١١]

---

١ هامش د: جمعت. | وكذلك هي في **الصحاح** للجوهري، «كتب». وفي هامش ش إشارة إلى أنها في **الصحاح**: "جمعت".

٢ د: بحَقْلة.

٣ ن: أحررته.

٤ ن: الحروف.

٥ ن: الكتيبة. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «كتب».

٦ انظر: **تفسير الكواشي**، ص١٥٧ (البقرة، ٢/٢)

٧ ن: يعني.

٨ **كتاب سيبويه**، ٤/٦٠.

٩ ن – أمرٌ رأيتُه.

١٠ انظر: **الحجَّة** لأبي علي الفارسي، ١/١٧٩-١٨٠. وقول أبي عُبيدة في **مجاز القرآن**، ١/٢٩.

١١ انظر: **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٥٢٣.

وحقِيقةُ الرِّيبَةِ: قَلَقُ النَّفْسِ واضْطِرَابُها، ومنه ما رَوى الحسنُ بنُ عليٍّ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبك، ....

قوله: **(وحقيقة الرِّيبة: قلقُ النفس واضطرابها)** أي: المعنى الحقيقيُّ للرِّيبة. وبيان ذلك أنّ الحقيقة[١] فعيل بمعنى مفعول من حَقَقتُ الشيء أحُقُّه بالضمّ[٢] إذا أثبتُّه، أو فعيل بمعنى الفاعل من حقَّ يحِقُّ بالكسر، أي: ثَبتَ، فمعناها المُثبَت أو الثابت، ثمّ نُقِل بحسب الاصطلاح إلى اللفظ المُستعمَل فيما وُضِع له[٣] أوّلًا. ويظهر لك من هذا أنّ الحقيقة صفة اللفظ، وأصل استعمالها: الكلمة الحقيقة، أي: الكلمة المُستعمَلة فيما وُضِع له في اصطلاح[٤] التخاطب.[٥] ثمّ حُذِف الموصوف واستُعمل غيرَ مُجراة على الموصوف؛ ولذلك قالوا: التاء فيه لتقدير لفظ الحقيقة قبل التسمية صفةً مؤنث غيرَ مُجراة على الموصوف. وإذا عرفتَ أنّ الحقيقة: هو اللفظ المُستعمَل فيما وُضِع له أوّلًا: فإمّا أن نقول: إضافة الحقيقة إلى الرِّيبة من باب إضافة العامّ إلى الخاصّ؛ لأنّ الحقيقة على ما عرفتَ أعمُّ من الرِّيبة المُستعمَلة في معناها، ولا تصحُّ هذه الإضافة على ظاهرها بل لا بدّ من إضمارٍ، أي: ذا حقيقة الرِّيبة، أي: معناها الحقيقيّ. وإمّا أن نقول:[٦] الحقيقة -وهي الكلمة المُستعمَلة فيما وُضِع له أوّلًا- مُستلزِمٌ للمعنى الحقيقيّ، فأُطلِقت وأُريدَ بها المعنى الحقيقيُّ.

قوله: **(ومنه)** أي: من الرَّيْب. وقوله: عليه السلام: **(«دَعْ ما يَرِيبُكَ»)** أي: اترك الشيء الذي يَجعلُك قلِقًا مُضطرِبًا، يعني: لا يَستقرُّ خاطرُكَ عليه ولا يَرضى به. وقوله عليه السلام: **(«إلى ما لا يَرِيبُكَ»)** مُتعلِّق بمحذوف حال من الضمير في "دَعْ"، أي: ذاهبًا إلى ما لا يَريبُكَ، يعني: حَصِّل الشيء الذي إذا تصوَّرته

---

١ ن: بأنّ الحقيقة.

٢ ن – بالضمّ.

٣ ن – له.

٤ ن + به.

٥ انظر تعريف الحقيقة في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٦٧-٤٦٨.

٦ ن: لأن نقول.

فإنَّ الشكَّ رِيبَةٌ وإنَّ الصِّدقَ طُمأنينَةٌ»؛ أي: فإنَّ كَوْنَ الأمر مَشْكوكًا فِيه مما تَقْلَقُ له النَّفْسُ ولا تَسْتَقِرُّ، وكوْنَه صَحيحًا صادقًا ممَّا تَطْمَئِنُّ له وتَسْكُنُ.

يَصير خاطرِكَ ثابتًا عنده راضيًا به.[١] وهذا من خواصِّ المُؤمِن الكامل الإيمان، يقلق قلبه من الأمور والاعتقادات المُشتمِلة على الفساد والبُطلان. قوله عليه السلام: (**«فإنّ الشكَّ رِيبة»**)،[٢] الشكُّ هنا: مصدر بمعنى المفعول، والمضاف محذوف، أي: المَشكوك ذا رِيبة والصِّدق ذا طُمأنينة. وهذا كالتعليل للأمر بترك ما يَريب وتَحصيل ما لا يَريب.

واعلم أنّ القول والاعتقاد الذي يدلُّ على الأمر الخارجيّ حالُ ذلك القول أو الاعتقاد باعتبار نسبة الأمر إليه، إذا كان مطابقًا له يُسمَّى حقًّا، وحالُ / ذلك [٤٤و] القول أو الاعتقاد[٣] باعتبار نِسبته إلى الأمر صِدق. فالصدق المراد هنا هو حال القول أو الاعتقاد المُطابق لِمَا في الخارج، إذا اعتُبر نِسبته إلى الأمر، والحقُّ: هو حال القول أو الاعتقاد المطابق لما في الخارج إذا اعتُبر نِسبة الأمر إليه. قال الشاعر:

لـيس فـي الـحـقّ يـا أُمـامـةُ رَيْـبٌ   إنّـمـا الـرَّيْـبُ مـا يـقـول الـكَـذوبُ[٤]

فكأنّه عليه السلام قال: إذا كان الاعتقاد مُطابقًا تَطمئنُّ نفسُ المؤمن الكامل الإيمان به[٥] فلْيَثْبُتْ عليه ولا يَدَعْه، وإذا لم يكن مُطابقًا تَقلَقُ النفْس وتضطرب فلْيَدَعْه. ويَتحقَّق لكَ من هذا أنّ المراد بالشكّ[٦] هنا ليس معناه المشهور،

---

١ ن – به.

٢ الحديث بلفظ قريب في مسند أحمد، ٢٤٨/٣-٢٤٩ (١٧٢٣)؛ وسنن الترمذي، ٢٨٦/٤ (٢٥١٨)؛ وصحيح ابن حِبّان، ٤٩٨/٢ (٧٢٢). وانظر تفصيل الكلام عليه في تخريج أحاديث الكشّاف للزَّيلَعي، ٣٨/١-٣٩.

٣ ن: والاعتقاد.

٤ نُسب البيت إلى عبد الله بن الزِّبعرى في النكت والعيون للماوردي، ٦٧/١ (البقرة، ٢/٢)؛ وتفسير القرطبي، ١٥٩/١ (البقرة، ٢/٢). والرواية فيهما:

لـيس فـي الـحـقّ يـا أُمـيـمـة رَيْـبٌ
إنّـمـا الـرَّيْـبُ مـا يـقـول الـجـهـولُ

وليس في ديوانه ولا في ملحقاته. وهو بلا نسبة وبالرِّواية التي أوردها المُصنّف ههنا في الوسيط للواحدي، ٧٨/١ (البقرة، ٢/٢)؛ وزاد المسير لابن الجوزي، ٢٤/١ (البقرة، ٢/٢).

٥ ش ن – به.

٦ ن – وإذا لم يكن مُطابقًا تقلقُ النفس وتضطرب فلْيَدَعْه. ويَتحقَّق لك من هذا أنّ المراد بالشكّ.

ومنه: رَيْبُ الزمان، وهو ما يُقلِقُ النُّفُوسَ ويَشْخَصُ بالقلوبِ مِن نوَائبِهِ.

ومنه: أنّه مرَّ بظَبيٍ حاقِفٍ فقال: "لا يَرِبْهُ أَحَدٌ بشيءٍ".

بل الاعتقاد الذي لا يكون مطابقًا لذِكر[١] الصدق في مُقابلته، ولو رجعتَ إلى نفسك دلَّكَ[٢] الذوق[٣] السليم والطبع المُستقيم[٤] على ما قلنا. وكلام المُصنِّف أيضًا يدلُّ على ما ذكرنا؛ لذِكره[٥] الصحيح الصادق في مُقابلة المَشكوك فيه. ورُبَّ شيء يكون راجحًا في اعتقاد المُعتقِد، ومع هذا تقلق له النفس، ولا يكون صحيحًا صادقًا، فالمراد بالمَشكوك غيرُ المُطابق لنفس الأمر.

قوله: (ومنه) أي: من الرَّيْب المذكور أيضًا، (رَيْب الزمان): وهو حوادث الدهر، فالرَّيْب فيه بمعنى الرائب.

قوله: (ويَشخَص بالقلوب) شخَص بالفتح شُخوصًا: ارتفع، والباء للتعدية، أي: يَرفع القلوب؛ وذلك أنّه إذا كثُر الغمُّ وتراكم الخوف على الشخص تَنتفخ الرِّئة ويَرفَع القلبَ، فيَرتفع حتّى يبلُغ الحَناجر، ويكاد يخرُج إلى الفَم لولا ضيق المَنفَذ.

قوله:[٦] (من[٧] نوائبه) بيانُ (ما)، والضمير للزمان. ونابه أمر وانتابه،[٨] أي: أصابه، والنائبة: المصيبة، واحدة نوائب الدهر. وإضافة نوائبه لَامِيَّة؛[٩] لأنَّ الحوادث يُرسِلها الزمان ويُوقِعها مَجازًا. والحاقف: المائل. وفي الحديث: («أنّه» عليه السلام (مرَّ بظَبيٍ حاقف) في ظِلّ شجرة»). وهو الذي انحنى وتثنّى في نومه. قيل: كان عليه السلام وأصحابه مُحرِمين،[١٠] (فقال) لبعض أصحابه: «قِفْ هنا حتّى يمرَّ[١١] الناس؛ (لا يَرِبْه») أي: لا يَجعله («أحدٌ») قلقًا مضطربًا («بشيء»)[١٢] مِن الضرب أو التهييج.

---

[١] ن: لذلك.

[٢] ن: ذلك.

[٣] ن: الذوق.

[٤] ن - السليم، والطبع المستقيم.

[٥] ن: كذكر.

[٦] د ن - قوله.

[٧] ن: قوله.

[٨] ن: أو نهابه.

[٩] هامش د: أي الإضافة بمعنى اللام.

[١٠] د ش ن: محرمون. | وفي الحديث أنّهم كانوا مُحرِمين. انظر: مسند أحمد، ٢٥/٢٠-٢١ (١٥٧٤٤). وتمام التخريج فيما سيأتي.

[١١] ن: كي يمرّ.

[١٢] الحديث بلفظ قريب في موطّأ مالك، ١/٤٧٢ (١٠٨٨)؛ وسنن النسائي، ٥/١٨٢-١٨٣ (٢٨١٨). وانظر تفصيل الكلام عليه في تخريج أحاديث الكشّاف للزَّيلَعي، ١/٣٩-٤٠.

فإن قلتَ: كيْفَ نُفِيَ الرَّيْبُ على سَبيْلِ الاِسْتغراق، وكم مِن مُرْتابٍ فيه؟

قلتُ: ما نُفِيَ أنَّ أحدًا لا يَرْتابُ فيه، ....

قوله: **(على سبيل الاستغراق)** صفةُ مصدر محذوف، أي: نفيًا على سبيل الاستغراق.[١] وقوله: **(وكم)** خبريّة زِيدَت **(مِن)**[٢] في مُميّزه. و**(فيه)** ظرف **(مرتاب)**. وخبر "كم" محذوف، وهو: حاصل أو موجود، فكأنّه قال: وكثير من المُرتابين في القرآن حاصل أو موجود، وهذه الجملة حال من الرَّيْب، أي: نُفِيَ الرَّيْب نفيًا استغراقيًا حالَ كثرة المُرتابين. و**(كيف)** سؤال عن الحال، فيه معنى التعجب والإنكار. وبيانه أنّ نافيَ الرَّيْب: إمّا أن ينفيَه حالَ العِلم بكثرة المُرتابين، أو حالَ عدم العِلم بها، فلا واسطة بين الحالين. فإذا قيل: كيف نُفِيَ الرَّيْب نفيًا استغراقيًا؟ توجّه السؤال[٣] إلى حال العِلم بالمُرتابين وعدم العلم؛ لأنّ لهذا النفي[٤] زيادةَ اختصاص بالعِلم بالمرتابين وعدم العِلم بهم، فكأنّه قال: أفي حال العِلم بكثرة المرتابين نُفِيَ الارتياب أو في حال[٥] عدم العِلم؟ ثمّ لمّا قيّد قوله: **(كيف نُفيَ الرَّيْب؟)** بقوله: "وكم مِن مُرتاب!"، وصار المعنى: كيف نُفِيَ الرَّيْب نفيًا استغراقيًا؟ والحال حال العِلم بكثرة المرتابين؛ لأنّ كثرتهم واقع، والله تعالى عالم بجميع الأشياء، صار نَفيُ الرَّيب مَظِنَّة تعجُّب وإنكار؛ لأنّ نفي الرَّيْب من الله تعالى العالمِ بجميع الأشياء المُنزَّه من جواز الكذب مَظِنَّةُ تعجُّب.

قوله: **(ما نُفِيَ أنّ أحدًا لا يَرتاب فيه)** الظاهر يقتضي أن يكون التركيب هكذا: ما نُفِيَ أنّ أحدًا يَرتاب فيه، بدون "لا"؛ لأنّ المعنى على نفي الرَّيْب لا على / نفي عدم الرَّيْب، وإذا كان[٦] كذلك فالوجه أن نقول: في "نُفِيَ" ضمير [٤٤ظ] مستتر عائد إلى الرَّيْب، وحرف الجرّ من "أنّ" محذوف، والتَّقدير: ما نُفِيَ الرَّيْب؛ لأنّ أحدًا لا يَرتاب فيه، أي: ليس نفي الرَّيْب لأجل عدم المُرتاب،

---

١ ن – صفةُ مصدر محذوف، أي: نفيًا على سبيل الاستغراق.
٢ ن – من.
٣ ن – السؤال.
٤ ن: العلم.
٥ ن: وفي حال.
٦ ن: قال.

وإنَّما المَنْفِيُّ كونُه متعلّقًا للرَّيْب ....

وإنّما المَنفي كونه مُتعلَّق الرَّيْب.[١] هذا معنًى لطيف، لكن يأباه قوله: **(وإنّما المَنفي كونُه مُتعلَّق الرَّيْب)**[٢] نوعَ إباءٍ؛ فإنّ المُناسب حينئذٍ أن يكون التركيب هكذا: ما نُفِيَ أنّ أحدًا لا يَرتاب فيه، وإنّما نُفِيَ؛ لأنّه ليس مُتعلَّقًا للرَّيْب، ليصير المعنى: ما نُفِيَ الرَّيْب لعدم المُرتاب، وإنّما نُفِيَ الرَّيْب، لأنّه ليس مُتعلَّقًا للرَّيْب. لكن نقول: ما ذكره يكون عدولًا من الظاهر إلى حاصل المعنى. ويجوز أن يقال:[٣] "لا" زائدة، والمعنى: ما نُفِيَ أنّ أحدًا يَرتاب فيه،[٤] فإنّه كما جاء[٥] زيادتُها في النفي، نحو: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد ٢٩/٥٧]، جاء[٦] زيادتها في الإثبات كثيرًا. قال الله[٧] تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف ١٢/٧]. وقال الشاعر:

أَفَعَنكَ لا بَرقٌ كأنّ[٨] وَميضَه غابٌ تَسنَّمَه[٩] ضِرامٌ مُثقِبُ[١٠]

وقال:

وقد عَلاكَ مَشيبٌ حينَ لا حينِ[١١]

وقال:

في بئرِ[١٢] لا حُورٍ سَرى وما شَعَرْ[١٣]

وهو أكثر من أن يحصى.

---

[١] ضعف الطِّيبيّ هذا الوجه في فتوح الغيب، ٥٣/٢.

[٢] ن - هذا معنًى لطيف لكن يأباه قوله: "وإنّما المَنفي كونُه مُتعلَّق الرَّيْب". | في مطبوع الكشّاف وما وقفت عليه من أصوله: "متعلَّقًا للرَّيْب". والمثبت هو المذكور في أصول حاشية الجاربردي. والظاهر أنّه من روايات الكشّاف.

[٣] ش ن: يقول.

[٤] ضعف الطِّيبيّ هذا الوجه أيضًا في فتوح الغيب، ٥٣/٢.

[٥] ن: جاز.

[٦] ن: جاز.

[٧] د ش - الله.

[٨] ن: سكان.

[٩] ن: فيسميه.

[١٠] البيت لساعِدة بن جُؤيَّة الهُذلي في شرح أشعار الهذليين للسُّكَّري، ١١٠٣/٣. وفيه «تَشيَّمه» بدل «تسنَّمه». وذكر السُّكَّري في الشرح أن معنى تشيَّمه: دخل فيه. وجاء بهذه الرِّواية منسوبًا إلى ساعدة في أساس البلاغة للزمخشري، «شيم».

[١١] مضى تخريجه في تفسير الفاتحة، ٧/١.

[١٢] ن: بين.

[١٣] ن: شعره. | الرجز للعجّاج في ديوانه، ٢٠/١. وهو له في مجاز القرآن لأبي عُبيدة، ٢٥/١؛ وجامع البيان للطبري، ١٩٠/١ (الفاتحة، ٧/١)، والمُفصَّل للزمخشري، ص ٤٢٤.

وَمَظِنَّةً له؛ لأنَّه مِن وضوحِ الدلالة وسُطوعِ البُرْهان بحيثُ لا ينبغي لِمُرْتابٍ أَنْ يقعَ فيه، ....

ويجوز أن يقال: وقعتْ زيادة "لا" في **الكشّاف** من الناسخ، أو من طُغيان القلم، وبقيَ غير مُتأمَّل فيه.

قوله: **(ومَظِنَّةً له)** أي: للرَّيْب. «مَظِنَّة الشيء: موضعه ومَألَفه الذي يُظَنُّ كونُه فيه، والجمع مَظانُّ. ويقال: موضع كذا مَظِنَّة من فلان، أي: مَعلَمٌ[1] منه. قال النابغة:

فإنْ يكُ عامرٌ قد قال جَهلا فإنَّ مَظِنَّةَ الجهلِ الشَّبابُ[2]

ويُروى 'السِّباب'.[3] ويُروى 'مَطيَّة'».[4]

قوله: **(لأنّه)**[5] تعليل عدم كونه مُتعلَّق الرَّيْب. وقوله: **(بحيث)**... إلخ، خبر "أنّ". و"مِن" في **(مِن وضوح)**[6] للابتداء، حال من اسم "أنّ"، أي: مُبتدئًا من وضوح، أو مِن الضمير المُتحرِّك[7] في الخبر؛ ويَلزم تقدُّم الحال على العامل المعنويّ. ويجوز أن يكون التقدير: لأنّه بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه من وضوح الدلالة، ثمّ حُذِف وفُسِر بقوله: "بحيث"... إلخ. و"السُّطوع": الارتفاع، وقد مرّ معنى سطوع البرهان.

قوله: **(أن يقع فيه)** يجوز أن يكون من قولهم: وَقع فيه وَقيعة، أي: طَعن فيه وعابه،[8] كما يقال: فلان يَقع في أعراض الناس، أي: يَغتابهم. وهو رجل وقّاع ووقّاعة: يغتاب الناس. يعني لا يَتيسَّر لمُرتاب الطعن فيه بأنّه محلُّ الرِّيبة، أو بأنّه ليس بحقّ؛ لأنّ[9] دلائل حَقيَّته واضحة وبراهين صدقه ساطعة. والضمير في "يقع" للمرتاب، وفي "فيه" لاسم "أنّ"، وهو عبارة عن الكتاب.

---

١ ن: يعلم.

٢ **ديوان النابغة**، ص ١٠٩. وعامر المذكور هو عامر بن الطُّفيل العامري.

٣ ن: الشباب.

٤ **الصحاح** للجوهري، «ظنن».

٥ ن: لأنّ.

٦ ن: موضع وضوح.

٧ ن: المستتر.

٨ ن: رعاية.

٩ ن - لأنّ.

ألا ترى إلى قوله: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [البقرة ٢/٢٣]، فما أَبْعَدَ وُجودَ الرَّيْبِ مِنهم وإنَّما عرَّفَهم الطريقَ إلى مُزيل الرَّيْبِ،

ويجوز أن يكون من قولهم: وقع وقوعًا: سَقط، وعلى هذا يَحتمل أن يكون ضمير "يقع" للمُرتاب، وضمير "فيه" للرَّيْب. وفي الكلام حذف فكأنّه قال: هو في مكان[١] ومَرتبة لا يقع المُرتاب في الرَّيْب عنده، أي: عند رؤيته وسماعه. ويَحتمل أن يكون ضمير "يقع" للرَّيب و"فيه" للمُرتاب، أي: لا يقع الرَّيْب في المُرتاب عنده، والمراد بالمُرتاب: مَن مِن شأنه[٢] أن يرتاب لا مَن فيه الرَّيْب بالفعل، فتأمَّل.

قوله: (**ألا يُرى إلى قوله تعالى**)... إلى آخره، كالدليل على أنّه ليس المراد بقوله تعالى: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ نفيَ الرَّيْب عن الكتاب، بل المراد نفي كونه مُتعلَّقًا للرَّيْب، لوضوح الدلالة وسطوع البرهان؛ وذلك أنّ قوله تعالى: (﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [البقرة ٢/٢٣]) يدلُّ بفحواه على أنّ فيهم من له رَيْب، فأشار إلى طريق إزالة الرَّيْب، وذلك الطريق أن ينظروا في فصاحة القرآن وبلاغته، ثمّ يَمتحنوا قُواهم هل يتمكّنون من الإتيان / بمثله، فإذا علِموا عَجْزهم تحقَّقوا أنّه كلام الله تعالى. وقوله: "ألا يُرى"[٣] مُتضمِّن معنى الطلب. [٤٥و]

والفاء في قوله: (**فما أَبعَد**) للسببيّة و"ما" للنفي، كأنّه قال: انظر إلى هذه الآية لِتعلَم أنّ المُراد ما قلنا، فإنّ الآية، أعني: ﴿وَإِن كُنتُمۡ﴾ لم يُبعِد الرَّيْب منهم. و"الحَزْر":[٤] التقدير. و"الرَّوْز": التجرِبة. والمراد بتقدير النفْس أن يَنظروا في قَدْرها: هل تقدر على القيام في مَقام المُعارضة أم تَفِرُّ فرار النقَد[٥] من الأسد؟ وهل تكون تامًّا كاملًا لهذا الأمر أو تكون ضئيلًا[٦] ضعيفًا صغيرًا دونها، أي: دون المعارضة؟

---

١ ن: مكانه.
٢ ن: شأنه.
٣ د: يُرى.
٤ د ش: والحِرز.
٥ النَّقَد: صِغار الغَنم، واحده نَقَدة، وجمعه: نِقاد. انظر: لسان العرب لابن منظور، «نقد».
٦ ن – ضئيلًا.

وهو أَنْ يَحْزِرُوا أنْفسَهم ويَرُوزُوا قُواهم في البَلاغةِ: هل تتِمُّ للمعارضَةِ أم تتَضاءَلُ دونَها؟ فيتحقَّقُوا عِنْد عَجْزِهم أنْ ليسَ فيه مجالٌ للشُّبْهةِ ولا مَدْخلٌ للرِّيبَةِ.

فإن قلتَ: فهلَّا قُدِّم الظَّرْفُ على الرَّيْبِ كما قُدِّم على الغَوْل في قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات ٣٧/٤٧].

قلتُ: لأن القَصْدَ في إيلاء الرَّيْبِ حرفَ النَّفي نَفْيُ الرَّيْبِ عنهُ ....

وقوله: (**هل تتمُّ**) مُتعلِّق بمحذوف، أي: يُجرِّبوا أنفسهم يَنظرون[١] ليعلموا هل تتمُّ؟ لتكون الجملة الاستفهاميّة في مقام المفعول للعِلم الجائز تعليقه. وقوله: (**فيَتحقَّقوا**) عطف على (**يَحزِروا**).[٢]

اعلم أنّ بعض المُفسِّرين أجاب عن السؤال بأنّه يجوز أن يكون ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ خبرًا في معنى النهي، أي: لا يرتابوا.[٣] كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة ٢/١٩٧]، والمعنى: لا تَرفُثوا ولا تَفسُقوا ولا تُجادلوا، ولم يذكره المُصنِّف.

قوله: (**فهلَّا قُدِّم**) أي: لِمَ لم يُقدَّم الظرف ولم يقل: **لا فيه رَيبٌ**.[٤]

قوله: (**كما**) الكاف صفة مصدر محذوف، و"ما" مَصدريَّة، أي: تقديمًا مثلَ تقديم الظرف على الغَوْل في قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات ٣٧/٤٧]. (**الغَوْل**): اغتيال العقول،[٥] وقيل: **غائلة الصُّداع**.[٦] ويُنزفَون: من نُزِف الرجُل يُنزَف، على بناء المجهول، إذا ذهب عقله من السُّكْر، فهو كقوله[٧] تعالى: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة ٥٦/١٩].

قوله: (**قلتُ: لأنّ القصد**) حاصلُ الجواب أنّه لم يُقدَّم الظرف على اسم "لا" في قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ لأنّه لو قُدِّم الظرف أفاد تخصيص نفي الرَّيب **بالقرآن**،

---

١ ن + هل.

٢ د ش: يحرزوا. | وضُبِطت الراء في النسختين بالضمّ والكسر معًا.

٣ انظر: **تفسير الكواشي**، ص ١٥٧ (البقرة، ٢/٢).

٤ ن: لا ريب فيه.

٥ ن: العقل. | هذا المعنى في **مجاز القرآن** لأبي عبيدة، ٢/١٦٩؛ ونقله عنه الجوهري في **الصحاح**، «غول».

٦ ذكره الجوهري في **الصحاح**، «غول».

٧ ن: مثل قوله.

وإثْباتُ أنّه حَقٌّ وصِدْقٌ، لا بَاطلٌ وكِذْبٌ كما كان المُشركون يَدَّعونَه، ولو أُولِيَ الظَّرْفَ لقُصِدَ إلى ما يَبْعُد عَن المراد، وهو أنَّ كتابًا آخرَ فيه الرَّيْبُ لا فيه؛ كما قُصدَ في قولِه: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ تَفْضِيلُ خَمْرِ الجَنَّةِ على خُمورِ الدُّنيا ....

ويَصير دليلَ خطاب على تحقُّق الرَّيْب في سائر كُتب الله تعالى كالتوراة والإنجيل، وليس المراد ذلك، بل المراد نفيُ الرَّيْب عن القرآن لا إثباتُ الرَّيْب في غيره. وقُدِّم الظرف على اسم[1] "لا" في قوله تعالى: (﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾)؛ ليكون كالتعريض بخمور الدنيا، ويصير المعنى: أنّ خمور الآخرة على الخُصوص لا تغتال العقول اغتيال خمور الدنيا. و"الإيلاء": التقريب والإتباع.

قوله: (كما كان) صفة (باطلٌ وكذبٌ). و"ما" موصولة، أي: لا باطل وكذب كالباطل والكذب الذي يدَّعيه المشركون.

قوله: (ولو أُوليَ) أي: لو أُوليَ حرفُ النفي الظرفَ.[2]

قوله: (وهو) عائد إلى (ما يَبعُد). وقوله: (آخرَ) صفة (كتابًا). و(فيه الرَّيْب) خبر (أنّ). وقوله: (لا فيه) أي: لا فيه[3] ريب، عطف على جملة قوله: "أنّ كتابًا آخر فيه الرَّيْب". وليس عطفًا على قوله: "فيه[4] الرَّيْب"؛ لأنّ قوله: "فيه الرَّيْب" خبر "أنّ" ولا يصلح قوله: "لا فيه" لأن يكون خبر "أنّ"؛ إذ لا يصحُّ أن يقال: إنّ كتابًا لا في القرآن الرَّيْب. والحاصل أنّ البعيد عن المراد هو مجموع هاتين الجملتين، وهو أنّ كتابًا آخر فيه الرَّيْب، وليس في القرآن الرَّيْب، وهذا المجموع يَلزم من تقديم الظرف فلا يجوز تقديمه. ويجوز أن يكون "لا" في قول المُصنّف: "لا فيه" لنفي الجنس لا عاطفة. والمعنى على ما مرَّ.

قوله: (كما قُصِد) صفةُ مصدر لقوله: (لَقُصِد)، فكأنّه قال: لو قُدِّم الظرف في ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لقُصِد التخصيص الذي ليس بمراد، قصدًا مثلَ قَصدِ التخصيص الذي هو المراد بتقديم الظرف في قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾، والتخصيص المُراد أفاد التفضيل.

---

[1] ن: في اسم.
[2] ن – الظرف.
[3] ن – أي: لا فيه.
[4] ن – فيه.

بأنَّها لا تَغْتَالُ العقُولَ كما تغتالُها هي؛ كأنَّه قِيلَ: ليسَ فيها ما في غَيْرِها مِن هذا العَيْب والنَّقِيصة.

وقَرأَ أَبو الشَّعْثَاءِ: "لا رَيْبٌ فيه" بالرَّفْع، والفرقُ بينها وبين المَشْهورةِ: أَنَّ المشهورةَ تُوجِب الاستغرَاقَ وهذه تُجوِّزُه.

قوله: (بأنّها) مُتعلِّق بـ"التفضيل".

قوله: (ليس فيها) أي: في خَمر الجنَّة ما في غير خَمر الجنَّة. و(مِن) بيان (ما).

"وقراءة أبي الشَّعثاء" برفع "ريبٌ" على أنّ "لا" بمعنى "ليس" قراءةٌ شاذّة.[١] والفرق بين قراءة أبي الشَّعثاء والقراءة المشهورة: أنّ[٢] المشهورة تُوجِب الاستغراق؛ لكون "لا" لنفي الجنس، وقراءةَ أبي الشَّعثاء لا تُوجِب، / بل تُجوِّز الاستغراق وعدمه؛ لأنّ "لا" بمعنى "ليس" لا يُوجِب الاستغراق ولا يُنافيه، فتَصحُّ إرادة[٣] الاستغراق منه، كما هو المراد.[٤] [٤٥ظ]

قال الإمام:

> واعلم أنّ القراءة المشهورة تُوجِب ارتفاع الرَّيْب بالكليَّة، والدليل عليه أنّ قوله: ﴿لَا رَيْبَ﴾ نفيٌ لماهيّة الرَّيْب، ونفيُ الماهيّة يَقتضي نفيَ كلّ فرد من أفراد الماهيّة؛ لأنّه لو ثبَت فرد من أفراد تلك الماهيّة لَثبَت الماهيّة، وذلك يُناقض نفيَ الماهيّة. ولهذا السرّ كان قولنا: لا إلهَ إلّا اللهُ نفيًا لجميع الآلهة سوى الله تعالى.[٥] وأمّا قولنا: لا ريبٌ فيه -بالرفع- فهو نقيض لقولنا: ريبٌ فيه، وهذا يُفيد ثُبوت فردٍ واحدٍ، فذلك النفي يوجب انتفاء جميع الأفراد ليَتحقَّق التناقض.[٦]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي الشعثاء جابر بن زيد وأبي نَهيك والقاسم بن محمّد الأمدي وزهير الفرقبي. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٠؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٧؛ و**المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٣٧١.

٢ ن + القراءة.

٣ ن: إراد.

٤ ن + قوله.

٥ د - تعالى.

٦ انظر: **تفسير الرازي**، ٢٢/٢ (البقرة، ٢/٢).

والوَقْفُ على ﴿فِيهِۛ﴾ هو المَشْهورُ، وعن نافعٍ وعاصمٍ أنّهما وقَفَا على ﴿لَا رَيْبَۛ﴾ ولا بدَّ للواقف من أن يَنْويَ خبرًا، ونظيرُه قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ﴾ [الشعراء ٢٦/٥٠]، وقولُ العرب: لا بأسَ، وهي كثيرةٌ في لسَان أهْل الحجاز. والتقدير: "لا ريبَ فيه، فيه هدًى...".

قوله: (ولا بدَّ للواقف) أي: لا بدَّ لمَن يَقِف على ﴿لَا رَيْبَۛ﴾ أن ينويَ لـ"لا" خبرًا، مثل "قوله تعالى: ﴿لَا ضَيْرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء ٢٦/٥٠]"، أي: لا ضيرَ علينا. و(لا بأس) أي: لا بأسَ عليك.

قوله: (وهي) أي: نيّة الخبر بعد الحذف. وإنّما قال: (في لسان أهل الحجاز)؛ لأنّ بني تميم لا يُثبتونه، لأنّ النفي أغنى عنه، كما يُغني النفي في قولك: "انتفى القيامُ" عن تقدير[1] خبر له.

قوله: (والتقدير) الجملة عطفٌ على جملة قوله: "لا بدَّ"... إلخ، أي: لا بدّ من نيّة الخبر، ويكون تقديره: لاريبَ فيه فيه[2] هدى، بتكرير[3] "فيه". قال الإمام: القراءة الأُولى أَولى؛ لأنّه على هذه القراءة يكون الكتاب نفسه هدًى للمُتَّقين، وفي الثانية لا يكون؛ بل يكون فيه هدى. والأُولى[4] أَولى؛ لِما تكرَّر في القرآن من أنّ القرآن نور وهدى.[5]

قال في الحُجّة:

قال أحمد بن موسى:[6] قرأ نافع: ﴿فِيهِ هُدًى﴾، و﴿عَلَيْهِ إِنَّهُۥ﴾ [البقرة ٢/٣٧]، ﴿وَمَآ أَنسَانِيهُ إِلَّا﴾ [الكهف ١٨/٦٣]، وما أشبه ذلك، إذا كان قبل الهاء ياء ساكنة حرّكها حركة مُختلَسة من غير أن يَبلغ بها الياء. وروى الكسائيُّ عن إسماعيل[7] عن نافع أنّه قرأ: ﴿عَلَيْهِ﴾ بإثبات الياء في كلّ القرآن. فإذا كان قبلها واو ساكنة مثل ﴿نَدْعُوهُۖ إِنَّهُۥ﴾ [الطور ٥٢/٢٨]، أو ألف مثل

---

[1] ن: تقديم.
[2] ن – فيه.
[3] ن: بتكرُّر.
[4] ش ن: الأوّل.
[5] انظر: تفسير الرازي، ٢/٢١-٢٢ (البقرة، ٢/٢).
[6] هو أبو بكر بن مجاهد.
[7] هو إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري.

﴿ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ﴾ [النحل ١٢١/١٦]، ضمَّ الهاء ضمًّا من غير أن يبلغ بالضمّة الواوَ. فإذا كان قبل الهاء حرف غير الواو والألف والياء وهو ساكن حرَّك الهاء أيضًا حركة خفيفة من غير بلوغ واو مثل "منه" و"عنه"، إلّا في قوله: ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه ٣٢/٢٠]، فإنّ المُسيَّبيَ[1] رُوِيَ عنه الصِّلة بالواو في هذا الحرف وحدَه. فإذا كان ما قبل الهاء مُتحرِّكًا، وكانت الحركة كسرة كَسر الهاء ووَصلها بياء في اللفظ كقوله تعالى: ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۞ وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ [عبس ٣٥/٨٠-٣٦]، ﴿وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة ٢٨٥/٢]، وما أشبه ذلك. فإذا كان الحركة قبل الهاء ضمّة أو فتحة ضَمَّ الهاء ووَصل الهاء بواو مثل: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾ [البقرة ٢٧٠/٢]، ﴿فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾ [سبأ ٣٩/٣٤]، ﴿خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس ١٩/٨٠]، و﴿يَسَّرَهُۥ﴾ [عبس ٢٠/٨٠]، و﴿فَأَقۡبَرَهُۥ﴾ [عبس ٢١/٨٠]، وما أشبه ذلك، يَصل ذلك كله بواو، ويقف بغير واو. وكذلك مذهب أبي عمرو وعاصم، إلّا في قوله: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الكهف ٦٣/١٨]، فإنّ أبا بكر وحفصًا اختلفا فيه عن عاصم: فروى أبو بكر عن عاصم: ﴿أَنسَىٰنِيهِ﴾ بكسر الهاء من غير بلوغ ياء، ومثله ﴿بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهِ ٱللَّهَ﴾ [الفتح ١٠/٤٨]، و﴿يَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان ٦٩/٢٥]، وروى حفص عنه ﴿أَنسَىٰنِيهُ﴾ بضمّ الهاء من غير واو. وكذلك اختلفا في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾ فضمَّ حفص الهاء وكَسَر أبو بكر في سائر **القرآن**. ومثله ﴿يَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ فإنّ حفصًا روى عن عاصم أنّه يصل الهاء بياء، وحذفها أبو بكر عن عاصم. وهو مذهب حمزة والكسائي وابن عامر، إلّا ما روى حفص عن عاصم في ﴿أَنسَىٰنِيهُ﴾ و﴿عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾ و﴿فِيهِۦ مُهَانًا﴾ فأشبع الكسرة. فأمّا ابن كثير، فإنّه كان يصل الهاء بياء أو واو في كلّ ذلك إذا كان قبلها ياء أو واو أو ألف أو حرف ساكن أو متحرّك، فيقول: ﴿فِيهِۦ﴾ و﴿عَلَيۡهِ﴾ و﴿إِلَيۡهِ﴾ و﴿ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ﴾، و﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾، و﴿مِنۡهُ﴾، و﴿عَنۡهُ﴾، وكلُّ ما كان مثلَه في **القرآن**.[2]

[1] هو محمّد بن إسحاق المسيّبي، كما صرّح بذلك ابن مجاهد مرارًا في **السبعة**، ص ٥٨، ٥٩، ٦١.

[2] انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١/١٧٥-١٧٨. والكلام كلّه من قوله: "قرأ نافع" بلفظ قريب في **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٢٨-١٣٠.

﴿هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الهدى مصدرٌ على فُعَلٍ كالسُّرَى والبُكَى، ....

[٤٦و] قال أبو بكر روايةُ مَن / روى عن أبي عمرو وغيره أنّه كان يُشِمّ ويُدغِم محالٌ[١] لا يمكن الإدغام مع شيء من هذا؛ وذلك أنّه لا فصل[٢] بين الحرفين إذا أُدغما في حال من الأحوال، لا بقَطع ولا بحركة ولا ضرب من الضُروب، وإنّما يصيران كالحرف الواحد للزوم اللسان بموضع واحد. وإنّما كان أبو عمرو يَختلس ويُخفي فيُظَنُّ به الإدغام، فكيف يكون مُتحرِّك مدغمًا؟ فيجب أن يكون مُتحرِّكًا ساكنًا. قال: وقال أبو حاتم: أراد أبو عمرو ونافع الإخفاء؛ فلذلك أَشمّا الضمَّ والكسر، ولو أدغما إدغامًا[٣] صحيحًا أسكنا الهاء الأولى.[٤]

قوله تعالى: ﴿هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

قوله: (الهُدى مصدرٌ على فُعَل، كالسُّرَى والبُكَى). قال في **الحُجّة**:

قال سيبويه: «لا تكاد تراه مَصدرًا من غير بنات[٥] الياء والواو».[٦] وما جاء في باب اعتلال[٧] اللام فهو اسم أُقيم مُقام المَصدر؛ وذلك لأنّه جاء المصدر في هذا الباب على فِعَل بالكسر، نحو قَلَيتُه قِلًى، وقَرَيتُه قِرًى، فأشركوا بينهما؛ لأنّ فِعَل وفُعَل أخوان، ألا ترى أنّ قياس جَمع فِعْلة بالكسر: فِعَل بالكسر أيضًا، نحو لِقْحَة[٨] ولِقَح،[٩] ثمّ قالوا: كِسوَة وكُسًى، وجِذوَة وجُذًى، وصُوَّة[١٠] وصُوًى،[١١] بضمّ الفاء في جُموع الثلاثة -والجِذوة: الجَمرة، والصُوَّة:[١٢] علامة الطريق من الحجارة- ومِن العَرب من يقول: رِشوة ورُشًى بكسر الراء في المفرد وضَمّها في الجمع، ومنهم مَن يقول بالعكس.[١٣]

---

١ ن: بحال.

٢ ن: لا فضل.

٣ ن - إدغامًا.

٤ الكلام بلفظ قريب في **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١٧٩/١. وانظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ١١٧-١٢٢.

٥ ن: ثبات.

٦ **كتاب سيبويه**، ٥٤٠/٣.

٧ د: إعلال؛ هامش د: اعتلال؛ ن: اعتدال.

٨ ن: لحقة.

٩ ن: ولحق.

١٠ ن: صنوة.

١١ ن: صنوى.

١٢ ن: والصنوة.

١٣ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١٨٠/١-١٨١.

وهو الدلالةُ الموصلةُ إلى البغْيَةِ، ....

ثمّ قال أبو عليّ: «وقد يَجوز[١] أن يكون فُعَل مصدرًا اختُصّ به المعتلُّ وإن لم يكن في الصحيح، كما كان كَينونةٌ ونحوُه مصادرَ، ولا يكون فَيْعُلُولة عنده ولا فَعلُولة عند مَن خالفه مصدرًا في الصحيح».[٢]

ثمّ قال أبو عليّ:

ويُؤكِّد الأوّل أنّ ناسًا من النحْويين يَزعمون أنّه قد تُجرى الأسماء التي ليست بمصادر مُجرى المصادر، فيقولون: عَجبتُ من دُهْنكَ لِحيتَك. ويُنشدون:

وبعد عطائك المئةَ الرِّتاعا[٣]

فيُجرونه مُجرى الإعطاء. والرِّتاع: جمع راتع. فكذلك[٤] يكون الهُدى والسُّرى والتُّقى استُغنيَ بها عن المصدر، كما قالوا: هو يَدَعُه تركًا شديدًا.[٥]

وقال صاحب **الصحاح**: «السِّراية: سُرى الليل، وهو مصدر، وقلَّ[٦] في المصادر أن تَجيء على هذا البناء؛ لأنّه من أبنية الجمع، يدلُّ على صحة هذا أنّ بعض العرب يُؤنِّث السُّرى والهُدى، وهم بنو أسد، تَوهُّمًا أنّهما جمعا سُرْيَة وهُدْيَة».[٧]

وقال صاحب **الكواشيّ** فيه: «الهُدى: كلُّ ما يُهتدى به».[٨] أقول:[٩] وهذا يدلُّ على أنّ الهُدى ليس مَصدرًا عنده.

قوله: **(وهو الدلالة)** أي: الهُدى: هي الدلالة **(المُوصِلة إلى البُغية)**، فلو لم تكن مُوصِلة إليه لا يُسمّى هُدًى. يقال: دلّه على الطريق دَلالة ودِلالة ودُلولة،[١٠] والفتح أعلى. والبِغية بكسر الباء: الحاجة والمطلوب. كذا ذكر في **المُغرِب**[١١] **والمُجمَل**.[١٢] وذَكر في **الصحاح** أنّه «يقال: في بني فلان بِغية وبُغية،

---

١ ن: ويجوز.

٢ **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١/١٨١-١٨٢.

٣ مضى تخريجه في تفسير الفاتحة، ١/١.

٤ ن: فلذلك.

٥ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١/١٨٢-١٨٣.

٦ ن: قيل.

٧ **الصحاح** للجوهري، «سري».

٨ **تفسير الكواشي**، ص ١٥٨ (البقرة، ٢/٢).

٩ ن - أقول.

١٠ ن - ودُلولة.

١١ انظر: **المُغرِب** للمُطرّزي، «بغي».

١٢ انظر: **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «بغي».

بدليل وقوعِ الضَّلَالة في مقابَلته؛ قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة ١٦/٢]، وقال تعالى: ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ ٢٤/٣٤] ويقال: "مَهْدِيٌّ" في مَوْضع المَدْح كمهتَدٍ، ولأنَّ اهْتَدى مطاوعُ هَدَى، ولن يكونَ المطاوعُ في خلافِ معنَى أصلِه، ألَا ترى إلى نحوِ: غَمَّهُ فاغتمَّ، وكسَره فانْكسَرَ، وأشْباهِ ذلك.

أي: حاجة. والبِغية مثال[١] الجِلسة: الحال التي تبغيها، والبِغية: الحاجة نفسها، عن الأصمعيّ».[٢]

واستدلَّ المُصنِّف على أنَّ الهُدى هي الدلالة المُوصِلة إلى المطلوب بوجوه ثلاثة:

الأوّل -وإليه أشار بقوله: **(بدليل وُقوع الضلالة[٣] في مُقابلته)**- أنّه: لمّا كانت الضلالة هي الدلالة الصارفة عن البُغية وَجبَ أن يكون الهُدى الواقع في مُقابلته هي الدلالة المُوصِلة إلى البُغية وبيَّن وقوع الهُدى في مُقابلتها بآيتين.

والثاني -وإليه أشار بقوله: **(ويقال مَهديٌّ في مَوضِع المدح كمُهتدٍ)**، فهو عطف من حيث المعنى على قوله: "بدليل"... إلخ- أنّهم: يقولون مَهديٌّ في مَقام المدح، كما يقولون مُهتدٍ في مقام المدح، والمُهتدي: هو الذي وَصل إلى الحقّ ونجا من الباطل، فوَجب أن يكون المَهديُّ: / هو الذي أوصلوه إلى الحقّ، وخلَّصوه من الباطل، وإلّا لم يكن مدحًا، ولا في مُقابلة المُهتدي. أو يقول: لتقرير هذا الوجه لو لم يكن مِن شرْط الهُدى كون الدلالة مُوصِلة إلى البُغية لم يكن الوصف بكونه مَهديًا مدحًا؛ لاحتمال أنّه هُدِيَ فلم يَهتدِ. [٤٦ظ]

والثالث -وإليه أشار بقوله: **(ولأنّ اهتدى)**... إلخ، فهو أيضًا عطف عليه- أنّه يقال: هديتُه فاهتدى، كما يقال: كسرتُه فانكسر، وقطَعتُه فانقطع، فيكون اهتدى **(مُطاوع هَدى)**، وإذا كان مُطاوِعًا له وَجب أن يكون معنى هَدى:

---

١ ن: مثل.

٢ **الصحاح** للجوهري، «بغي». وفي مطبوعه: «يقال: لي في بني فلان...».

٣ ن: الضلال.

أَوصلَ إلى الحقّ، كما أنّ معنى اهتدى: وصل إلى الحقّ؛ لأنّه "لا يكون المُطاوِع في خِلاف معنى أصله" وهو المُطاوَع؛ بدليل الاستقراء[١] في نحو: غممتُه فاغتمَّ، وكسَّرتُه فتكسَّر،[٢] إلى غير ذلك. وذكر الإمام في **التفسير الكبير** لبيان هذا الوجه: أنّه «كما أنّ[٣] الانكسار والانقطاع لازمان للكسر والقطع، وجبَ أن يكون الاهتداء من لوازم الهُدى».[٤]

وأنا أقول: هذا الذي ذكره المُصنِّف والإمام ضعيف، بل مردود؛ لأنّ الفعل المُطاوَع -بفتح الواو- إنّما يدلُّ على مُعالجة الفاعل في إيصال فعله إلى المفعول، ولا يدلُّ على أنّ المفعول قَبِلَ الفعل أو لم يَقبَل. وأمّا هذا المعنى: وهو أنّ المفعول قَبِلَ الفعل أو لم يَقبَل فهو معنًى فُهِمَ من الفعل المُطاوِع، بكسر الواو. فقولك: كسرتُ الشيء يدلُّ على مُعالجتكَ في إيصال الفعل إلى المفعول، فإذا قلت: فانكسر، عُلِمَ أنّه قَبِل الفعل، وإذا قلت: لم يتكسَّر عُلِمَ أنّه لم يقبله. وما ذُكر من أنّ المُطاوِع لا يكون في خِلاف معنى أصله: إنْ أُريد به المُوافقة[٥] من جميع الوجوه فباطل،[٦] وإن أُريد المُوافقة في أصل المعنى[٧] فحقٌّ، ولا يلزم منه ما ذكروه. وأيضًا فقد قالوا: قولهم: أمرتُه فائتمر،[٨] أي: امتثل، فيه المُطاوِع على خلاف أصله. وقال المُطرِّزيّ في **المُغرِب**: «الائتمار من الأضداد، وعليه قولُ شيخنا في **الأساس**: يقال: أمرتُه فائتمرَ وأبى أن يأتمِر، أي: أمرتُه فاستبدَّ برأيه ولم يَمتثل. والمراد بالمؤتمِر: المُمتثِل».[٩] قال الإمام في **التفسير الكبير**: «الهُدى عبارة عن الدلالة».[١٠] ثمّ قال: «وقال صاحب **الكشّاف**: الهُدى الدلالة المُوصِلة إلى البُغية. وقال آخرون:

---

١ ن + كما.

٢ ن: فانكسر.

٣ د ش ن: كان.

٤ **تفسير الرازي**، ٢/٢١-٢٢ (البقرة، ٢/٢).

٥ ن: الموافقة.

٦ ن - فباطل.

٧ ن - المعنى.

٨ هذا الاعتراض مذكور في **تفسير الرازي**، ٢/٢٢ (البقرة، ٢/٢)؛ و**التقريب في التفسير** للفالي، ٣ظ.

٩ **المُغرِب** للمُطرِّزي، «أمر». وانظر: **أساس البلاغة** للزمخشري، «أمر».

١٠ **تفسير الرازي**، ٢/٢٢ (البقرة، ٢/٢).

....

الهُدى: الاهتداء والعلم».[١] ثمّ استدلّ الإمام في التفسير الكبير على صحة القول الأوّل وفساد الثاني والثالث بما معناه:[٢]

أنّه لو كان كَون الدلالة مُوصِلة إلى البُغية مُعتبَرة في مُسمّى الهُدى لامتنع حصول الهُدى عند عدم الاهتداء؛ لأنّ كَون الدلالة مُوصِلة إلى البُغية[٣] يَستلزم تحقُّق الاهتداء عند الهُدى، فيَمتنع تحقُّق الهُدى بدون الاهتداء، لكن قد أثبتَ الله تعالى الهُدى مع عدم الاهتداء[٤] في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت ١٧/٤١].[٥]

ثمّ أورد الإمام الوُجوه الثلاثة المذكورة في الكشّاف. وقال: «والجوابُ عن الأوّل: أنّ الفرق بين الهدى والاهتداء معلوم بالضرورة، فمُقابل الهُدى هو الإضلال، ومُقابل الاهتداء هو الضلال، فجَعْلُ الهدى في مُقابلة الضلال مُمتنِع».[٦]

أقول: هذا الذي ذكره الإمام كلام صحيح. وتقريره على وجه يَرِدُ على كلام صاحب الكشّاف أن يقول: لا نُسلِّم[٧] أنّ الهُدى في مُقابلة الضلالة، وسَنده ما ذكرنا، وأمّا ما ذكرتم من[٨] الآيتين فلا يدلُّ على وقوع الهُدى في مُقابلة الضلالة؛ لجواز أن يكون معنى الآية الأولى: أنّهم رضُوا بضلالتهم، وما طلبوا الهُدى وما توجهوا إليه ليَحصل لهم الاهتداء، فمُقابل الضلالة بالحقيقة الاهتداء، لكنّ الهُدى مقدمتُه وسببه، فسبب تعييرهم أنّهم ما طلبوا السبب المُوصِل إلى الاهتداء؛ وأن يكون معنى الآية الثانية: أنّكم مُستقِرُّون في الضلالة غيرُ طالبين [٤٧و] / لسبب النجاة منها، وهو الهُدى المُوصِل إلى الاهتداء، ونحن طالبون الهُدى المُوصِل إلى الاهتداء. ولم يَقل: لَعَلى الاهتداء؛ تَواضعًا وحَطًّا لمنزلتهم عمّا هم فيه، وهو المُناسب للمَقام؛ ولذلك صَرف الآية عن التصريح بأن يقول:

---

١ تفسير الرازي، ٢٢/٢ (البقرة، ٢/٢).
٢ د: بمعناه.
٣ ن – إلى البُغية.
٤ ن – لكن قد أثبتَ الله تعالى الهُدى مع عدم الاهتداء.
٥ انظر: تفسير الرازي، ٢٢/٢ (البقرة، ٢/٢).
٦ تفسير الرازي، ٢٢/٢ (البقرة، ٢/٢).
٧ د: لا نم، [اختصارًا من "لا نُسلِّم"].
٨ د + أنّ.

فإن قلتَ: فلمَ قيل: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ والمتقون مُهْتَدونَ؟

قلتُ: هو كقَوْلك للعَزيز المكرَّم: أَعَزَّك اللهُ وأَكرمَك، ....

إنّا على هدى وإيّاكم في ضلال. ويُعلم ممّا ذكرنا أنّ تفسير الضلالة فيما مرَّ بما ذَكرنا غير صحيح.

قال الإمام:

وعن **الثاني**: أنّ المُنتفِع بالهُدى سُمِّيَ مَهديًا، وغير المُنتفِع به لا يُسمَّى مَهديًا؛ لأنّ الوسيلة إذا لم تُفضِ إلى المقصود كانت نازلةَ مَنزلةَ المعدوم.

وعن **الثالث**: أنّ الائتمار مُطاوِع الأمر، يقال: أمرتُه فائتمر، ولم يَلزم[1] منه أن يكون مِن شَرْط كونه آمرًا حُصول الائتمار، فكذا هذا لا يَلزم من كونه هُدى أن يكون مُفضيًا إلى الاهتداء. على أنّه مُعارَض بقوله: "هديتُه فلم يَهتدِ". وممّا يدلُّ على فساد قول مَن قال: الهُدى: العِلم خاصَّة، أنّ الله تعالى وصف **القرآن** بأنه هُدى، ولا شكَّ أنّه في نفسه[2] ليس[3] بعِلم؛ فدلَّ على أنّ الهُدى: هو الدلالة لا الاهتداء.[4]

قوله: (**فإن قلتَ فلِمَ قيل: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾؟**) وجه السؤال أن يقال: لمّا كان المراد بالهُدى هو الدلالة المُوصِلة إلى البُغية، وهي الصراط المُستقيم هنا، والمُتَّقون لا بدّ أن يكونوا واصلين إلى البُغية، حاصلين على الطريق المُستقيم، وإلّا لم يكونوا مُتَّقين، امتَنع أن يكون **القرآن** هِداية لهم؛ لامتناع إيصال الواصل.

قوله: (**هو كقولك**)... إلخ، أجاب عن هذا السؤال من وجهين: **أمّا الوجه الأوّل**: فبتسليم أنّ المراد بالمُتَّقين هم المُهتدون. وفي جوابه هنا طريقان: **الطريق الأوّل**: أنّ المراد بالهُدى طلب الزيادة، كما تقول للعزيز: (**أعزَّك الله**)، فإنّ العِزَّة حاصلة للمُخاطَب؛ إذ الكلام فيمن هو عزيز، والمراد بالدعاء طلب ضمّ زيادة العِزّ إلى العِزّ الذي هو حاصلٌ للمخاطب وثابتٌ فيه.[5] **الطريق الثاني**: أن يكون المراد بالهُدى طلبَ دوام اهتداء المُهتدي وثباته على التقوى.[6]

---

١ ن: ولا يلزم.
٢ ن - في نفسه.
٣ ن: في نفسه.
٤ تفسير الرازي، ٢٢/٢ (البقرة، ٢/٢).
٥ ن: عنه.
٦ ن: الهُدى.

تُريد طلبَ الزِّيادة إلى ما هو ثابتٌ فيه واسْتدامَتَه؛ كقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

ووَجْهٌ آخر: وهو أنَّه سمَّاهم عندَ مُشارَفتهم لاكْتِساء لباس التَّقْوَى متَّقين؛ كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قتَل قَتِيلًا فله سَلَبُه».

وعَن ابن عباس رضي الله عنه: «إذَا أرادَ أحدُكم الحجَّ فلْيُعَجِّلْ فإنَّهُ يَمْرَضُ المرِيْضُ وتَضِلُّ الضَّالَّةُ وتَكُفُّ الحاجَةُ».

فسُمِّي المُشارِفُ للقَتْلِ والمَرضِ وَالضَّلال: قَتيلًا ومَريضًا وضَالةً.

قوله: (واستدامتَه) عطفٌ على قوله: (طلب) أي: استدامة ما هو ثابت، أي: استدامة العزّ الذي هو ثابت في العزيز. وقوله: (كقوله: ﴿ٱهۡدِنَا﴾ [الفاتحة ٦/١]) مُتعلِّق بهذين الطريقين، فإنّه مُحتمِل لطلبِ الزيادة وللاستدامة.[١]

وأمّا الوجه الثاني: فبِمنع أنّ المراد بالمُتَّقين هم المُهتدون، بل المراد هم الضالُّون، أي: الكافرون الذين يعلم الله تعالى منهم أنّهم سيدخلون في الإيمان ويصيرون مُهتدين، وإنّما سمّاهم مُتَّقين باعتبار ما يَئول إليه. ووجه حُسنِه قَصْد المَجاز المُستفيض نوعُه، وهو وَصْف الشيء بما يَئول إليه، وفائدة أخرى سيُشير[٢] إليها إن شاء الله تعالى. وإلى هذا الوجه الثاني أشار بقوله: (ووجهٌ آخرُ) أي: وهنا وجه آخر. وهو عطفٌ من حيث المعنى على جملة قوله: "هو كقولك"... إلخ.

و"شارفتُ" الشيءَ، أي: أشرفتُ عليه، يعني: اطَّلعتُ عليه من فوق، هذا بحسَب الأصل، ثمّ يُستعمل في معنى القُرب مُطلقًا. و"السَّلَب": المَسلوب. وعن الليث والأزهريّ:[٣] كلُّ ما على الإنسان من اللباس فهو سَلَب،[٤] وللفقهاء فيه كلام.

وقوله: ("فإنّه")[٥] أي: فإنّ الأمر والشأن. ثمّ هنا لفٌّ ونَشر في موضعين؛ لأنّ قوله: (قتيلًا ومريضًا وضالَّة) مُتعلِّق[٦] بقوله: (للقتل والمرض والضلال) بطريق اللفّ، وقوله: (فسُمِّيَ المُشارِفُ)... إلخ، مُتعلِّق أيضًا بطريق اللفّ

---

١ ن: والاستدامة.
٢ ن: سنشير.
٣ ن: الأزهري.
٤ انظر: العين المنسوب للفراهيدي، ٢٦١/٧ «سلب»؛ والزاهر للأزهري، ص ٣٨٥.
٥ وهو من حديث ابن عبّاس عن الفضل أو أحدهما عن الآخر في مسند أحمد، ٣٣٣/٣ (١٨٣٤).
٦ ن: يتعلّق.

ومنه قولُه تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح ٢٧/٧١]؛ أي: صائرًا إلى الفُجُور والكُفْرِ.

بحديث النبيّ صلى الله عليه وسلّم[1] وأَثَر الصحابي. وقوله: "فسُمِّيَ المُشارفُ"، أي: سَمّى النبيُّ عليه السلام المُشارفَ للقتل: ("قتيلًا")،[2] إذ لا يصحُّ حمله على ظاهره؛[3] فإنّه لا يُمكن قَتلُ القتيل، فالمراد بالقتيل مَن دخل الحرب للمُقاتلة، فإنّه قَرُب[4] مِن أن يُقتل، ولذلك أُلحِق التحام القِتال بمرض الموت؛ والمراد بالمريض / مَن أَشرف على المرض؛ والمراد بالضالَّة[5] البعير والناقة التي مِن شأنها أن تَضلَّ. والكفُّ: المنع. والحاجة: الفقر، أي: يَعرِض الفقر فيَمنع[6] مِن الحجّ فمن قدَر فعليه ألّا يُؤخِر من سَنة إلى سَنة. [٤٧ظ]

وهذا الأمر عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى[7] محمول على الإيجاب؛ لأنّه لا يُجيز تأخير الحجّ من سَنة الإمكان إلى[8] سَنة أخرى.[9] وعند الشافعيّ رضي الله عنه[10] على الندب.[11] وهو قريب من معنى قوله عليه السلام: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابَك قبل هَرَمك، وصحّتك قبل سَقَمك، وغِناك قبل فقرك، وفراغَك قبل شُغلك، وحياتَك قبل موتك».[12]

قوله: (ومنه) أي: مِن المذكور، وهو تسمية الشيء بما يَئول إليه، فإنّ المولود قبل أن يُولَد لا يكون فاجرًا[13] كفّارًا، وإنّما سمّاهم بذلك؛ لأنّ مَن تولّد

---

١ د ش – صلى الله عليه وسلّم.

٢ لفظة من الحديث الذي أورده صاحب **الكشّاف**. وهو في **صحيح البخاري**، ٩١/٤ (٣١٤١)؛ و**صحيح مسلم**، ٨٣٦/٢ (١٧٥١). ولفظه في مُسلم «مَن قَتل قتيلًا له عليه بيّنة فله سَلَبه».

٣ ن: ظاهر.

٤ ن: قريب.

٥ ن: بالضلالة.

٦ ن: فيمتنع.

٧ د – رحمه الله تعالى.

٨ ن – الإمكان إلى.

٩ انظر تفصيل ذلك في **بدائع الصنائع** للكاساني، ١١٩/٢.

١٠ د – رحمه الله تعالى.

١١ ن: التقرُّب. | انظر تفصيل ذلك في **روضة الطالبين** للنووي، ٧/٣.

١٢ الحديث بلفظ قريب في **المُصنَّف** لابن أبي شيبة، ٥٧/١٩-٥٨ (٣٥٤٦٠)؛ و**المُستدرَك** للحاكم، ٥٦٠/٧ (٨٠٥٨)؛ و**حلية الأولياء** لأبي نُعيم، ١٤٨/٤، و**شُعَب الإيمان** للبيهقي، ٤٧٦/١٢ (٩٧٦٧).

١٣ ن: إلّا فاجرًا.

فإن قلتَ: فهلَّا قيل: هدًى للضَّالين.

قلتُ: لأنَّ الضَّالِّين فريقان: فَرِيقٌ عُلم بقاؤُهم على الضَّلالة وهم المطبُوع على قلوبهم، وفريقٌ عُلِمَ أنَّ مصيرَهم إلى الهُدَى، فلا يكون هُدًى للفَريقِ الباقينَ على الضلالة، فبقي أنْ يكون هُدًى لهؤلاء، فلو جيءَ بالعبارة المُفْصِحَةِ عن ذلك من هؤلاء الكفار كانوا يصيرون إلى الكفر والفجور، فوَصفَهم بالشيء الذي عُلِم مآلُ أمرهم إليه.

قوله: (**فهلَّا قيل**) هذا السؤال يَرِد على الوجه الأخير، وهو أن يكون المراد بالمُتَّقين الضالِّين الذين سيَتَّصفون بالتقوى. ووجه السؤال أن يقال: لِمَ عدل عن الحقيقة إلى المجاز؟ ولِمَ لم يُسمِّهم ضالِّين اعتبارًا للحقيقة؟ وأجاب عن السؤال من وجهين:

الأوَّل: أنّه عدل عن الحقيقة إلى المجاز للاختصار. وقوله: (**فلا يكون هُدًى للفريق الباقين[1] على الضلالة**)،[2] لِمَا مرَّ أنّ الهُدى هو الدلالة المُوصِلة إلى البُغية، فمَن بقيَ على الضلالة لا يكون **القرآن** هُدًى له. وقوله: (**المُفصِحة**) أي: المُبيِّنة عن المراد، وهو أنّه هُدى لهؤلاء دون هؤلاء، وهذا[3] الجواب بناءً على أنّ المراد بالهُدى الدلالة المُوصِلة إلى البُغية. وأمّا مَن يقول: الهُدى: الدلالة، فيكون **القرآن** هُدى للمُؤمن والكافر، ويُؤيِّده أنّه عليه السلام رحمة للعالمين، وإنّما خَصَّ المُؤمنين بأنّ الكتاب هُدًى لهم دون الكافرين الذين لم يهتدوا به؛ لانتفاعهم به[4] دونهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ [النازعات ٧٩/٤٥]، وكان عليه السلام منذرًا مَن خَشِيَ ومن لم يَخش. وقال ابن الأنباري: «معناه هُدًى للمُتَّقين والكافرين، فاكتفى بأحد الفريقين من الآخر كقوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل ١٦/٨١]، أراد: الحَرَّ والبَرد، فاكتفى بذِكر أحدهما».[5]

---

١ ن: الثاني.

٢ ن - على الضلالة.

٣ ن: وهو.

٤ ن - لانتفاعهم به.

٥ **الوسيط** للواحدي، ١/٧٩ (البقرة، ٢/٢).

لقيلَ: هُدًى للصَّائرين إلى الهُدى بَعْدَ الضَّلالِ، فاختُصِرَ الكلامُ بإجْرائه على الطريقةِ التي ذكرنا فقيل: ﴿هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

وأيضًا فقَدْ جُعِلَ ذلك سُلَّمًا إلى تَصْدِير السورة التي هي أُولَى الزَّهراوَيْن وسَنامُ القُرآنِ ....

والوجه **الثاني**: أنّه عدل عنها[1] لتصدير السورة بذكر الأولياء، وإليه أشار بقوله: **(وأيضًا)**، وهو عطف من حيثُ المعنى على قوله: **(لأنّ الضالّين)**... إلخ؛ لأنّ حاصل قوله: "لأنّ الضالّين"... إلخ، أنّه عدل للاختصار؛ وحاصل **الثاني** أنّه عدل للتصدير. ولا يحسن أن يقال: هو عطف من حيثُ المعنى على قوله: **(فاختُصر)**؛ لأنّ قوله: "فاختُصر"... إلخ، جزء[2] من الدليل[3] **الأوّل**، وهذا ليس كذلك، بل دليل مُستقِلٌّ. وقوله: **(جُعِل ذلك)** أي: العُدول من الحقيقة[4] إلى المَجاز.[5] ولا يَحسُن أن تكون إشارة إلى الاختصار. و"السُّلَّم": المِرقاة. وكان المُصنِّف ضَمَّنه معنى الوسيلة؛ فلذلك تعلَّق قوله: **(إلى)** به.

والمراد بـ**(الزهراوَين)** "البقرة" و"آل عمران". وفي الحديث: «إنّهما الزهراوان وإنّهما يُظِلَّان صاحبهما يوم القيامة كأنّهما غَمامتان أو غَيَايتان أو فِرْقان من طير صوافَّ».[6] والأزهر: النَّيِّر، والمُؤنَّث الزَّهراء. سُمِّيَتا بذلك؛ لشَرفهما واشتمالهما على المعاني الكثيرة من الأحكام وغيرها. والغَيَاية: ضَوء شُعاع الشمس، وليس هو نفسَ شُعاع الشمس. قال أبو عمرو: الغَيَاية كلُّ شيء أظلَّ الإنسان[7] فوق رأسه مثل السحابة.[8] والفِرْق والفِلْق من الشيء إذا انفلق، يقال: صفَّت الإبل قوائمها فهي صافَّة وصوافُّ.

قوله: **(وسَنام القرآن)** يجوز أن يكون واحدَ أَسنِمة الإبل؛ لأنّه أرفَع موضع فيه،

---

[1] في د ش تحت "عنها" تعليق: الحقيقة.

[2] ن - جزء.

[3] ن: والدليل.

[4] ن: المجاز.

[5] ن: الحقيقة.

[6] الحديث بلفظ قريب في مسند أحمد، ٤٦٢/٣٦ (٢٢١٤٦)؛ وسنن الدارمي، ص ٧٧١ (٣٧١٢)؛ وصحيح مسلم، ٣٦١/١ (٨٠٤).

[7] د - الإنسان.

[8] الصحاح للجوهري، «غبي».

وأوّلُ المَثاني بِذِكْرِ أَوْلياءِ الله والمرتضَيْن مِن عباده.

والمتَّقي في اللُّغة اسمُ فاعلٍ مِن قولِهم: وَقَاهُ فاتَّقَى.

والوِقَايةُ: فَرْطُ الصيانة، ومنه: فرسٌ واقٍ، وهذه الدابَّة تَقي مِن وَجَاها،

وأنْ يكونَ من سَنام الأرض وهو حُرُّها[1] وخالصُها. وسُمِّيَت هذه السُّورة به؛ لشرفها وعِظَمِها، / وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل ٥/٧٣]، أي: عظيم القدر. [٨٤و]

قوله: (**وأوّلُ المَثاني**) أي: أوّلُ القرآن. و"المَثاني": يَقع على كلّ **القُرآن**؛ ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر ٢٣/٣٩]، وعلى "الفاتحة"؛ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ [الحجر ٨٧/١٥]، وعلى سُوَر دونَ المِئين وفوق المُفصَّل. وتمام تقريره ذُكِر في أوّل "الفاتحة".[2]

وقوله: (**بذِكْر**) متعلِّق بقوله: "التصدير"، والتصدير: هو جعل الشيء في الصدر، أي: في الأوّل. و(**المُرتضَين**): جمع المُرتضى بفتح الضاد، وهو اسم مفعول من ارتضى، ورضيتُه وارتضيتُه بمعنًى. و(**مِن**) للتبعيض، حالٌ من الضمير في "المُرتضَين".

قوله: (**والمُتّقي**) أصله: المُوتَقي قُلِب الواو تاءً وأُدغِم. قال في **الصحاح**: «فَرس وَاقٍ، إذا كان يَهاب المشيَ[3] من وَجَع يجِده في حافره».[4] وقال في **المُجمَل**: «الواقي: أن يَضلَع الفَرس شيئًا يسيرًا قدرَ ما تَستبينُه».[5]

قوله: (**مِن وَجاها**) ليس من صلة (**تَقي**)، بل المعنى: تَقي حافرها مِن أجل وَجاها. ووَجِيَ الفَرس، بالكسر: وهو أن يَجد وَجعًا في حافره، فهو وَجٍ.

---

١ الحُرُّ من كلّ شيء: أعتَقُه، وحُرُّ كلّ أرض: وسطها وأطيبها. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «حرر».

٢ انظر ما مضى في كلامه على الآية الأولى من الفاتحة.

٣ د ش ن: الشيء.

٤ **الصحاح** للجوهري، «وقي».

٥ **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «وقي». وفي مطبوعه: «الوَقْيُ: أن يَظلَع». | والضَّلْع: الاعوجاج خِلقة يكون في المَشي من المَيْل، فإن لم يكن خِلقة فهو الضَّلْع بسكون اللام. والظَّلْع: العَرَج في المَشي. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «ضلع»، «ظلع».

إذا أصابه ظَلَعٌ مِن غِلظِ الأرض ورِقَّةِ الحافر، فهو يَقي حافِرَه أنْ يُصيبَه أدْنى شيءٍ يُؤْلِمُهُ.

قوله: **(إذا أصابه)** صحَّ هكذا بتذكير الضمير. وكذا قوله: **(فهو يَقي)**؛ والضمير إمّا للفَرس، وإمّا للدابّة بتأويل الحيوان. والصواب أن نقول: الضمير لكلّ واحدٍ واحدٍ مِن الفَرس والدابّة، ولذلك كان التأنيث في "أصابها[١] فهي تَقي" -على ما هو في بعض **النُّسخ**- مردودًا. و"الضَّلْع"، بسكون اللام: عَرَجٌ ضعيف. وقوله: **(أن يَصيبه)** مفعول ثانٍ لقوله: "يَقي"، وهو يتعدّى إلى المفعول الثاني بنفسه وبمِن. قال في **المُغرِب**: «وَقاكَ الله تعالى[٢] كُلَّ سُوء، ومن السُّوء، أي: صانَك وحَفِظك».[٣] فقوله: "أن يَصيبه" يجوز أن يكون ممّا عُدِّيَ إليه الفعل بنفسه وأن يكون ممّا عُدِّيَ إليه الفعل بحرف الجرّ، فحُذِف لِمَا عرفتَ أنّ حذف الجارّ مع "أنْ" و"أنّ" قياس مُستمِر. وأمّا قوله بعد ذلك: **(يَقي نفسَه تعاطيَ)** فمِمّا تعدّى إليه الفعل بنفسه؛ لأنّ حذف الجارّ من مثله ليس بقياس.

وقوله: **(يُؤلِمه)** صفة **(شيء)**، ولا يَحسن أن يكون صفة **(أدنى)**؛ إذ ليس المعنى على الحِفظ من الأدنى المُؤلِم، بل المعنى أنّه يَحفَظ من إصابة أدنى شيء من الأشياء المُؤلِمة؛ فتأمَّل. وأضاف قوله: "أدنى" إلى المُفرَد[٤] مع أنّ أصل اسمِ التفضيل الإضافة[٥] إلى المُتعدِّد ليكون بعضًا منه؛ وإنّما أضاف هذا إلى المُفرَد[٦] ليصير المعنى: إذا فصَّل الأشياء المُؤلِمة فردًا فردًا[٧] يكون هذا أدنى مِن كلّ فرد فرد.[٨]

وتقرير هذا المعنى أن نقول: إذا قَصدتَ التفضيل على المعروف بطريق الإضافة أضفتَها إلى المعرفة وقلتَ: أفضل الرجُلين، وأفضل القوم، وإن قصدتَ تفضيل عدد على عدد مثلِه من ذلك الجِنس أضفته إلى العدد الذي قصدتَه مُنكَّرًا،

---

١ ن: أصلها.
٢ ن – تعالى.
٣ **المُغرِب** للمُطرّزي، «وقي».
٤ ن: المفرد.
٥ ن: للإضافة.
٦ ن: المفرد.
٧ ن – فردًا.
٨ ن – فرد.

وهو في الشريعَة: الذي يَقِي نَفْسَه تَعَاطيَ ما يَستحِقُّ به العُقُوبَةَ مِن فِعْلٍ أو تَرْكٍ.

واختُلف في الصَّغائر، وقيل: الصحيحُ أَنَّهُ لا يتناوَلُها؛ لأنَّها تقع مُكفَّرَةً عن مُجْتَنِبِ الكبائر.

فإذا قلتَ: هو أفضل رجل، فالمعنى: إذا فُصِّل الجِنس رجُلًا رجُلًا فهو أفضل رجُل،[١] وإذا قلت: هُما أفضل رجُلين، فالمعنى: إذا فُصِّل الجِنس رجُلين رجُلين فهما أفضل رجُلين، وكذا الجَمع.

فالحاصل أنّك إذا قلتَ: زيدٌ أفضل رجُل، فهو تفضيل لزيد على جميع الرجال، لكن على سبيل التفصيل[٢] بأنْ تُفصِّل[٣] كلَّ واحد منهم، ويقال: زيدٌ أفضل من عمرو، وأفضل من بكر، وأفضل من خالد، إلى أن يُؤتى على الكُلّ. وإذا قلتَ: زيدٌ أفضل رجُلين فهو تفضيل له على جميع الرجال لكن بالتفصيل، بأن يقال: زيد أفضل من العالِمَين، وأفضل من الفاضلَين، وأفضل من الزاهدَين، إلى أن يُؤتى على الكلّ. وإذا قلت: زيد أفضل رِجال فهو مُفضَّل على الجميع، لكن بعد أن يفصَّل ويقال: زيد أفضل من العُلماء، وأفضل من الكُرماء، وأفضل من الزُّهَّاد، إلى أن يُؤتى على الجميع.

[٤٨ظ] والسرُّ فيما ذَكرنا / أنّ التفضيل[٤] لا يتحقّق إلّا إذا كان الفَضل مُشتَرَكًا بين المُفضَّل والمُفضَّل عليه، ليُمكن إثبات الزيادة على المعنى المُشترَك؛ ليتحقَّق التفضيل والترجيح، وإذا قلتَ: زيدٌ أفضل رجل، فقد أَوقعتَ الشِّرْكة بين زيد وبين هذا الجنس كلِّه، ثمّ أثبتَّ الزيادة له على كلّ واحد منهم على سبيل البدل، إذ لا تتناول هذه اللفظة إلّا واحدًا. وعلى هذا التثنيةُ والجَمع.

قوله: (**وهو في الشريعة**)، يعني: المُتَّقي في اللغة ما ذكرنا، وفي الشريعة: هو الذي يَقي نفسه تناوُل ما يَستحقُّ به العقوبة. واختُلِف في أنّ: اسم المُتَّقي

---

١ ن - رجل.
٢ ن: التفضيل.
٣ ن: تُفضِّل.
٤ ن: التفصيل.

وقيل: يُطْلَقُ على الرَّجل اسمُ المُؤمن لظاهرِ الحال، والمتَّقي لا يُطلقُ إلَّا عن خِبْرة؛ كما لا يَجُوزُ إِطْلاق العَدْل إلَّا على المُختَبَر.

ومحلُّ ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الرفعُ لأنه خَبرُ مبتدأ محذُوفٍ، ....

هل يَتناول الصغائر؟ بمعنى: أنّ مَن أُطلِق عليه المُتَّقي يجب أن يكون مُجتنِبًا عن الصغائر.[١] والصحيح: لا؛ لأنّ الصغائر تصير مُكفَّرة باجتناب الكبائر،[٢] فمَن أتى بالواجبات وانتهى عن الكبائر فقد وَقى نفسه تناوُل[٣] ما يَستحق به العقاب؛ لأنّ الصغائر مُكفَّرة عنه، فيكون مُتَّقيًا. قال الإمام: «ولا نِزاع في وجوب التوبة عن الكلّ،[٤] إنّما النِّزاع في أنّه إذا لم يَتوقَّ الصغائر هل يَستحق هذا الاسم؟».[٥]

وأنا أقول: الحقُّ أنّ للتقوى مَراتب: فأدناها: اتِّقاء الشِّرْك، فالمُتَّقي: هو الذي اتَّقى الشِّرك؛ ولذلك قال بعض المُفسِّرين: «المراد بالمُتَّقين في هذه الآية: المُؤمنون الذين اتَّقوا الشِّرْك، وجعلوا إيمانهم حاجزًا بينهم وبين الشِّرك».[٦] وأعلاها: اتِّقاء الكُفر وجميعِ المعاصي صغيرةً وكبيرةً، والإتيان بجميع المَأمورات. كما قالوا: التقوى: هو تَركُ ما لا بأس به حذرًا لِمَا به البأس. وأوسطُها: اتِّقاء الكُفر، والإتيان بالواجبات، وترك الكبائر، ولا يُشترط فيه[٧] تَركُ الصغائر؛

إن تغفِرِ اللّٰهمّ تَغفرْ جَمّا   وأيُّ عبدٍ لكَ لا أَلَمّا[٨]

قوله: (ومحلُّ ﴿هُدًى﴾)، يعني: يجوز أن يكون محلُّ ﴿هُدًى﴾ رفعًا ونصبًا:

أمّا الرفع: فإمّا (لأنّه خبر مبتدأ)،[٩] أو لأنّه (مبتدأ).[١٠] فإن جعلتَه خبرَ مبتدأ: فيجوز أن يكون مبتدؤه محذوفًا، فكأنّه لمّا تمّ الكلام قيل: هو هُدى؛

---

١ انظر: تفسير الرازي، ٢٣/٢ (البقرة، ٢/٢).

٢ ن - الكبائر.

٣ ن - تناوُل.

٤ ن - على الكلّ.

٥ **تفسير الرازي**، ٢٣/٢ (البقرة، ٢/٢).

٦ **الوسيط** للواحدي، ٧٩/١ (البقرة، ٢/٢).

٧ ن - فيه.

٨ البيت لأميّة بن أبي الصلت، ورواه بعضهم لأبي خِراش الهُذلي. وهو في **ديوان أميّة**، ص ٤٩١. واستقصى مُحقِّقه تخريجه وفصّل في الكلام على نسبته. انظر لذلك تخريج **الديوان**، ص ٦٠٠-٦٠١.

٩ ن + محذوف.

١٠ ن - أو لأنّه (مبتدأ).

أو خَبرٌ مع ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ لـ﴿ذَٰلِكَ﴾، أو مبتدأٌ إذا جُعل الظرفُ المقدَّمُ خبرًا عَنْهُ. ويَجُوز أَنْ يُنْصَب على الحال، والعاملُ فيه مَعْنى الإشارةِ أو الظَّرْف.

ويجوز أن يكون مبتدؤه ﴿ذَٰلِكَ﴾، بأن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ صفته، و﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ خبره، و﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ خبرٌ[1] بعد خبر. وإليه أشار بقوله: (خبر مع ﴿لَا رَيۡبَ﴾) أي: خبرٌ بعد خبر. وقوله: (لـ﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: للفظة ﴿ذَٰلِكَ﴾. وإن جعلتَه مبتدأ يكون "الظرف المُقدَّم[2] وهو ﴿فِيهِۛ﴾ خبرَه"، بأن يكون الوَقف على قوله: ﴿لَا رَيۡبَۛ﴾، كما تقدَّم، أي: ذلك الكِتاب لا ريبَ ولا شكَّ، كأنّك قُلتَ: ذلك حقًّا؛ لأنّ "لا شكَّ" بمعنى حقًّا، ثمّ قيل بعدُ: فيه هُدًى. وإليه أشار بقوله: (أو مبتدأ)... إلخ، فقوله: "أو مبتدأ" عطف على قوله: "خبر مبتدأ".

و"أمّا النصب فعلى الحال"، و(العامل فيه): إمّا (معنى الإشارة)، وإمّا (الظرف)، فإن جعلتَ العامل معنى الإشارة فذو الحال إمّا "ذا" أو ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾. وتقريره[3] أن نقول: إن جعلتَ ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ مبتدأ وخبرًا يكون ذو الحال "ذا"؛ لأنّه مفعول معنويٌّ، فيصحُّ تقييده بالحال؛ لأنّ التقدير أُشير إليه في حال كونه هاديًا، ولولا ذلك لم يَستقم الحال، ألا ترى أنّك لو قلتَ: زيدٌ قائمًا أخوكَ، لم يستقم؛ ولو قلتَ: هذا قائمًا أخوكَ، لاستقام. ولو جعلتَ ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ صفة ﴿ذَٰلِكَ﴾ يجوز أن يكون ذو الحال هو ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾؛ لِمَا مرَّ أنّ اسم الإشارة مُشار به إلى الجنس الواقع صفة له،[4] تقول: هندٌ[5] ذلك الإنسان، أو ذلك الشخص فعل كذا، وإذا كان الإشارة إلى ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ يكون مفعولًا[6] معنويًّا، فيصحُّ أن يكون ﴿هُدٗى﴾ حالًا منه.

وهنا بحث، وهو أن نقول: التحقيق أنّ ذا الحال والعاملَ محذوفٌ، والتقدير: أُشير إليه هاديًا، والعامل "أُشير" المُقدَّر يدلُّ عليه ما نُقِل عن المُصنِّف أنّه قال:

---

[1] ن - خبر.

[2] ن: المُتقدِّم.

[3] ن: وتقدير.

[4] مضى في أوّل تفسير هذه الآية من سورة البقرة.

[5] ن - هند.

[6] ن - مفعولًا.

والذي هو أَرْسَخُ عِرْقًا في البلاغة أَنْ يُضرَب ....

/ سُئلتُ بمكّة عن ناصب الحال في قوله تعالى:[١] ﴿هَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا﴾ [هود ٧٢/١١]؛ فقلت: العامل ما في حرف التنبيه أو في اسم الإشارة من معنى الفعل. فقيل لي: أمَا استقرَّ في أصولهم أنّ العامل في الحال وذي الحال يجب أن يكون واحدًا، وقد اختلف العامل هنا؛ حيث جعلتَه في الحال المعنى الذي ذكرتَه، والعامل في ذي الحال هنا[٢] معنى الابتداء؛[٣] قلتُ: تحقيق الكلام فيه أنّ تقدير[٤] ﴿هَٰذَا بَعۡلِي﴾: أُنبِّه عليه شيخًا، أو أُشيرُ إليه شيخًا، فالضمير[٥] هو ذو الحال، والعامل فيه وفي الحال واحد.[٦] [٤٩و]

وإن جعلتَ العامل الظرفَ فذو الحال الضميرُ المجرور في ﴿فِيهِۛ﴾؛ لأنّه مفعول معنويٌّ أيضًا،[٧] تعلَّق به الاستقرار[٨] بواسطة الجارّ، والعامل فيه الاستقرار. ولا يجوز أن يكون حالًا من الضمير المستتر المرفوع باعتبار أنّه فاعل لأنّه عائد إلى الرَّيْب، ولا يَستقيم وقوع الحال منه هنا؛ لأنّ الرَّيْب لا يكون مَحكومًا عليه بالهُدى، والحالُ في المعنى حُكمٌ على ذي الحال، فليس هذا مثل قولك: زيدٌ في الدار قائمًا، فـ"قائمًا" حال من الضمير في "في الدار"؛ لأنّه في المعنى فاعل فصحَّ أن يُقيَّد باعتبار ما هو في المعنى فاعلٌ. فقوله: **(ويجوز أن يُنصب)** عطفٌ على جملة قوله: "ومحلُّ ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ الرفع". ويجوز أن يكون عطفًا على قوله: "الرفع"، إذ يصحُّ أن يُقال: ومحلُّ ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ يجوز أن يُنصب.

قوله: **(والذي)** مبتدأ، خبرُه **(أن يُضرَب)**. و"رسخ" الشيء، أي: ثبَت، والراسخ: الثابت. ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران ٧/٣]. وقوله: **(عِرْقًا)** تمييز من نسبة "أرسخ" إلى فاعله العائد إلى **(هو)**. و**(في)** مُتعلِّق بـ"أرسخ".

---

١ د ش – تعالى.

٢ ن: هذا.

٣ ن – الابتداء.

٤ ن: التقدير.

٥ ن: والضمير.

٦ نقل الطيبيُّ هذا القول، وذَكر أنّ صاحب **الإقليد** رواه عن الزمخشري. انظر: **فتوح الغيب**، ٧٠/٢. وانظر طرفًا من رأي الزمخشري هذا في **مُفصَّله**، ص ٧٩؛ و**كشّافه** (هود، ٧٢/١١).

٧ ن: إن.

٨ ن: الاستقراء.

عن هذه المحالِّ صَفْحًا، وأنْ يقالَ: إن قوله: ﴿الٓمٓ﴾ جملةٌ برأسها أو طائفةٌ من حروفِ المُعْجم مستقلّةٌ بنفسها، و﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ جُملةٌ ثانيةٌ، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ثالثةٌ، و﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ رابعةٌ، وقد أُصِيبَ بتَرْتيبها مَفْصِلُ البلاغة ومُوجَبُ حُسْنِ النَّظْمِ، حَيْث جيءَ بها متناسِقَةً هكذا مِن غيرِ حَرْفِ نَسَقٍ، وذلك لمجيئها مُتآخيَةً

وقوله: "أن يُضرَب" هو من قولهم: ضَربَ في الأرض، أي: ذهب فيها. قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المزمل ٢٠/٧٣]. فإذا قلتَ: ضَربَ عنه فكأنّك قلتَ: ذهب عنه. والذهاب عن الشيء: هو الإعراض عنه. و"الصفح" أيضًا: الإعراض. فقوله: (صفحًا) مصدر من غير لفظ "يُضرب". والمَحالُّ: جَمعُ المحلّ الإعرابيّ. ويريد بقوله: (هذه المَحالِّ) محلَّ قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾، وقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وقوله:[١] ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

قوله: (﴿الٓمٓ﴾ جملةٌ برأسها) بأن يكون خبرَ مبتدأ محذوف، وهذا على تقدير أن يكون ﴿الٓمٓ﴾ اسم السورة، وهو الوجه الأوّل من الوجوه الثلاثة. ومعنى قوله: "جملةٌ برأسها"، أي: جملة مُلتبِسة برأسها لا برأس غيرها. وهذا كالتشبيه بشخص مُستقلّ، لا يحتاج إلى انضمام أحد إليه في أموره وأحواله، فهو مُلتبِس برأسه ولا مُلابَسة له برأس غيره، وهو كقولك: جملة بنفسها، فهو من إطلاق الجزء وإرادة الكُلّ.

وقوله: (أو طائفة من حروف المُعجم) وهذا على الوجهين الأخيرين: وهما أن يكون ورود هذه الأسماء مَسرودة على نمط[٢] التعديد كالتنبيه للنظر ليعلموا أنّه كلام الله تعالى، وأن تَرِد السوَر مُصدَّرة بها[٣] لِوجه من الإغراب ودلائل الإعجاز. وقوله: (حيث) ظرف لقوله: (أُصيبَ).

وقوله: (مُتآخية) أي: مُتشابهة يقال: آخاه مُؤاخاة وإخاءً، والعامّة تقول: وَاخاهُ، وتآخيا على تفاعلا، يعني: يكون بينهما ارتباط معنويٌّ ناشئ من مضامين هذه الجمل، على الوجه الذي سنَذكره، وهذا الربط المعنويُّ الذي بينها

---

١ ن: وقوله.

٢ ن: لفظ.

٣ ن: بها.

آخذًا بَعْضُها بِعُنُقِ بعضٍ، فالثانيةُ متَّحدةٌ بالأولى مُعْتَنِقَةٌ لها، وهَلُمَّ جَرًّا إلى الثالثةِ والرَّابعةِ.

يغني عن الربط على الوجه[١] الذي سنذكره،[٢] إن شاء الله تعالى. ويكون أحسنَ من الربط بالحرف، كما إذا كانت جماعة يُرافِق[٣] بعضهم بعضًا، ولا يُفارق أحدهم الآخر بسبب الأُلفة والمُناسبة المعنويّة التي تكون بينهم، فهذا يكون أحسنَ التئامًا وأفضلَ اتّصالًا من أن يُربط بينهم بالحبال والأواخي.[٤]

وهذا[٥] يحتاج إلى تقرير[٦] ذكره صاحب المِفتاح، فَلْنُورد معنى كلامه، وإن كان أكثرُه بعبارته:

[٤٩ظ] اعلم أنّ / تمييز موضع العطف عن غير موضعه نوعان: نوع قريب التعاطي، ونوع بعيده. فالقريب: أن يُقصد العطف بغير الواو أو بالواو، ولكن يكون للمعطوف عليه محلٌّ من الإعراب، سواءٌ كان ذلك بين المفردات أو الجمل؛ والبعيد: أن يُقصد العطف بالواو، وليس للمعطوف عليه محلٌّ من الإعراب، ولا يكون ذلك إلّا بين الجمل. وسببُ قُرب الأوّل وبُعد الثاني أنّ العطف يعتمد[٧] معرفة أصول ثلاثة: **أحدها**: الموضع للعطف من حيثُ الوضع، **وثانيها**: فائدته، **وثالثها**: وجهُ كونه مقبولًا. وأنت إذا أتقنتَ معانيَ: الفاء، وثُمّ، وحتّى، ولا، وبل، ولكن،[٨] وأو، وأم، وإمّا، حصلتَ لك الأصول الثلاثة؛ لدلالة كلّ واحد من تلك الحروف على معنى مخصوص، مُستدعٍ مَحلًا مخصوصًا مُشتمِلًا على فائدة العطف وكونِه مقبولًا[٩] هناك، فظهر لك أنّ معرفة محلّ العطف بغير الواو سهلُ المأخذ.

---

١ ن – على الوجه.

٢ د – وهذا الربط المعنويُّ الذي بينها يغني عن الربط على الوجه الذي سنذكره. | وفي هامش د ما هو قريب من هذه الزيادة، وفي آخره إشارة إلى أنّه تعليق، ولم يَرِد ما يشير إلى أنّه من المتن.

٣ ن: يوافق.

٤ الأواخي، جمع الآخيّة: وهي عود أو قطعة من حبل يُدفن طرفاه في الحائط أو في الأرض، ويظهر منه مثل العُروة، تُشدُّ إليه الدابّة. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «أخي».

٥ ن: هذا.

٦ ن: تقدير.

٧ د: بعد. | وما أُثبِتَ جاء في مطبوع **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٣٥٧.

٨ ن – ولكن.

٩ ن: معقولًا.

....

فنقول لبيان العطف بالواو في صور[١] يكون للمعطوف عليه فيها محلّ من الإعراب: إذا عرفتَ أنّ الإعراب صنفان: صِنف ليس بتَبَع، وصِنف تَبَع؛ وعلمتَ أنّ الثاني مُنحصِر في البدل، والوصف، والبيان، والتأكيد، وإتباع الثاني الأوّلَ في الإعراب بتوسُّط[٢] حرف؛ وعلمتَ كون المتبوع في البدل في حكم المُنحّى والمُضرَب عنه؛ وعلمتَ في الوصف، والبيان، والتأكيد، أنّ التابع فيها هو المتبوع، فـ"العالم" في: زيدٌ العالم،[٣] ليس غير "زيد"، و"عمرو" في: عمرٌو[٤] أخوك عندي، ليس غيرَ "أخوك"، و"نفسُه" في: جاء خالد نفسُه، ليس غير "خالد". ثمّ تحقّقتَ أنّ الواو يَستدعي معناه ألّا يكون معطوفه هو المعطوف عليه؛ لامتناع أن يقال: جاء زيد وزيد، وأن يكون زيد الثاني هو زيد الأوّل، حصل لكَ أنّ الصِنف الأوّل ليس موضعًا للعطف بأيِّ حرف كان؛ لفوات شرط العطف فيه، وهو تقدُّم مَتبوعٍ. وحصل لكَ أيضًا أنّ الأنواع الأربعة من الصِنف الثاني ليس واحد منها موضعًا للعطف: إمّا لفوات شرط العطف حكمًا، كما في البدل؛ لنزول قولك: سُلِب زيدٌ ثَوبُه، إذا عطفتَ فيه، منزلةَ: سُلِب وثَوبُه حكمًا؛ وإمّا لفوات[٥] شرط[٦] معناه، كما في الوصف، والبيان، والتأكيد، إنّما موضعه النوع الخامس.

ثمّ إذا علمتَ أيضًا أنّ كلّ واحد من وجوه الإعراب دالٌّ على معنًى، كما تشهد لذلك قوانين علم النحو، حصل فائدة الواو، وهي مُشاركة المعطوفِ المعطوفَ[٧] عليه في ذلك المعنى، فيكون عندكَ[٨] من الأصول الثلاثة أصلان: معرفة موضعه، ومعرفة فائدته. وإذا عرفتَ أنّ شرط كون العطف أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة، مثل ما ترى في نحو: الشمس والقمر والأرض والسماء مُحدَثة،

---

١ ن: صورة.
٢ ن: بوسط.
٣ ن - العالم.
٤ ن - في عمرو.
٥ ن - لفوات.
٦ ن: لشرط.
٧ ن - المعطوف.
٨ ن - عندك.

....

بخلاف: الشمس والأرنب ورِجل الضِفدع ودين[1] المجوس والباذنجان مُحدَثة، حصلت لك الأصول الثلاثة. فظهر أنّ معرفة النوع الأوّل من العطف -وهو أن يكون العطف بغير الواو أو بالواو، ولكن للمعطوف عليه محلّ من الإعراب- قريبُ المتناول.

وأمّا توسيط[2] الواو بين جمل لا محلَّ لها من الإعراب فإنّما بَعُدَ تعاطيه؛ لِكَون[3] الأصول الثلاثة في شأنه غيرَ مُمهَّدة، لكن إذا تأمّلتَ ما لخَّصتُ لك في النوع الأوّل ظهر لك[4] هذا النوع بإذن الله تعالى بأدنى تنبيه، وهو أنّ الجملة متى[5] نَزَلت في كلام المُتكلِّم منزلةَ الجملة العاريَة عن المعطوف عليها، كما إذا أُرِيد بها البدل عن الجملة المُتقدِّمة لم يكن موضعًا للعطف، وكذا إذا تَنزَّلت من الأولى منزلةَ نفسها؛ لكمال اتِّصالها بها، كما إذا كانت مُوضِحة / ومُبيِّنة أو مُؤكِّدة ومُقرِّرة،[6] لم يكن مَوضعًا لدخول الواو، وكذا إذا لم يكن بينهما جهة جامعة لكمال الانقطاع، على الوجه الذي سيَتقرَّر[7] في مَوضِعه إن شاء الله تعالى.[8] وإنّما تكون الجمل مَوضعًا لدخول الواو إذا توسَّطت بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع.[9] [٥٠و]

مثال البدل قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون ٢٣/٨١-٨٢]، فَصَل ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا﴾ عن ﴿قَالُواْ مِثْلَ﴾؛ لقصد الأوّل، أو القطع، أي: الاستئناف لِمَا[10] في قوله تعالى:[11] ﴿قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [المؤمنون ٢٣/٨١] من الإجمال المُحرِّك للسامع أن يسأل ماذا قالوه.[12]

---

١ ن: وهو دين.

٢ ن: بوسط.

٣ ن: لكن.

٤ ن + في النوع الأوّل ظهر لك.

٥ ن: هي.

٦ ن: ومُبدلة.

٧ ن: سيُقرَّر.

٨ سيأتي تفصيله في تفسير الآية السادسة من سورة البقرة.

٩ انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٣٥٧-٣٦٠.

١٠ ن: كما.

١١ د ش - تعالى.

١٢ انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٣٧٦.

بيانُ ذلك: أنّه نُبِهَ أوّلًا على أنّه الكلامُ المتحدَّى به، ثم أُشِيرَ إليه بأنّه الكتابُ المَنْعوتُ بغايَةِ الكَمال، فكانَ تقريرًا لجهَةِ التَّحدِّي وشَدًّا مِن أَعْضَاده، ثـمّ نُفِيَ عنه أنْ يَتَشبَّثَ به طَرَفٌ مِن الرَّيب فكانَ شَهادةً وتَسْجِيلًا له بكمالِهِ؛ لأنه لا كَمالَ أكْمَلُ ممّا للحَقِّ واليَقِين، ولا نَقْصَ أنْقَصُ ممّا للباطل والشُّبْهَةِ؛ وقيل لبعض العلماء: فيمَ لَذَّتُكَ؟ فقال: في حجَّةٍ تَتَبَخْتَرُ اتِّضاحًا، وفي شُبْهةٍ تَتَضَاءَلُ افتِضَاحًا.

ثمّ أُخبِرَ عنه بأنّه هُدًى للمتقينَ، فقُرِّر بذلك كونُهُ يَقِينًا لا يَحُومُ الشَّكُّ حَوْلَه، وحَقًّا لا يأتِيه الباطلُ مِن بَيْنِ يدَيْه ولا مِن خَلْفِه.

وباقي الأمثلة يجيء في موضعه إن شاء الله تعالى؛[١] وإنّما أوردنا هذا الكلام هنا لاحتياج تحقيق هذا المَوضِع إليه.

قوله: (وذلك)[٢] إلى قوله: (ولا مِن خَلفه). الحَدْوُ بالإبل وكذا الحُداء به: زَجرُها والغِناءُ لها. ويقال: حَدوتُه على كذا، أي: بعثتُه عليه. وفلان يَتحدّى فلانًا إذا كان يُباريه ويُنازعه الغَلَبة. ويقال: أنا حُديَّاك، أي: ابرُز لي وحدي.[٣] و(التحدِّي): هو الدعاء إلى المُعارضة ليَظهر عَجزُ المُتحدّى عن الإتيان بمثل المُتحدّى به. و"التشبُّث":[٤] التعلُّق. و"التبختُر": التحدِّي والاختيال في المَشي. ورجُل "ضئيل"[٥] الجسم، أي: صغير الجسم نحيف. وقد ضَؤلَ ضآلةً، ورجل مُتضائل، أي: شَخْتٌ نحيف الأعضاء.[٦] قال:

فتًى قُـدَّ قَـدَّ[٧] السيفِ لا مُتَضائلٌ[٨]

و"الحَوْم": الدَّوْر حول الشيء.

---

١ سيأتي بسط الأمثلة في تفسير الآية السادسة من سورة البقرة.

٢ ن: بيان ذلك. | وهو الموافق لِما في مطبوع الكشّاف وما راجعتُ من أصوله.

٣ انظر: الصحاح للجوهري، «حدا».

٤ ن: التثبّت.

٥ ن - ضئيل.

٦ انظر: الصحاح للجوهري، «ضأل».

٧ ن: مدّ.

٨ صدر بيت عجزه:

ولا رَهِـلٌ لَـبّاتُـه وبـآدِلُـه

والبيت لأخت يزيد بن الطَّثْريّة في البيان والتبيين للجاحظ، ١/٢١٦-٢١٧؛ وللعُجير السَّلولي في شرح الحماسة للمَرزوقي، ٣/٩٢٠؛ وصدره بلا نسبة في الصحاح للجوهري، «ضأل».

....

يُريد: أنّه إنّما لم يَتخلَّل العاطفُ بين هذا الكلام؛ لأنّ المراد بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾[١] التنبيه على أنّه الكلام المُتحدّى به: إمّا على الوجه **الأوّل**: وهو أن يكون ﴿الٓمٓ﴾ اسمًا للسورة، فلِمَا عرفتَ أنّ معنى تسمية السورة[٢] بهذه الألفاظ خاصّة للإشعار[٣] بأنّ القرآن ليس إلّا كَلِمًا عربية مُركَّبة من مُسمَّيات هذه الألفاظ؛ لتكون تنبيهًا للسامعين على أنّهم لمّا عَجَزوا عن الإتيان بمثله مع تَركُّبه من عَين الحروف التي يَنظمون منها كلامهم دلَّ على أنّه ليس بكلام البشر، وأنّه كلام خالق القُوَى والقُدَر. وكذا على الوجه **الثاني**: وهو أن يكون وُروده على نَمط التعديد، للتحريك والبَعث على النظر؛ ليؤديَهم النظر إلى أن يَستيقنوا أنّه كلام الله تعالى. وكذا على الوجه **الثالث**: وهو أن يكون الغرض تصدير السوَر بشيء من الإغراب[٤] وتَقدِمةِ دلائل الإعجاز.[٥] فثَبت أنّ سَوق قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ للتنبيه على أنّه الكلام المُتحدّى به.

ثُمّ إنّ قوله تعالى:[٦] ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ مُقرّر ومؤكِّد لجهة التحدِّي، وتقوية للتحدّي؛[٧] للمبالغة في وصف الكتاب ببلوغه[٨] الدرَجة القُصيا من الكمال والوُفور في شأنه تلك المبالغة: حيثُ جعل المبتدأ لفظةَ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الموضوع للإشارة إلى البعيد، المُؤذِن بذهاب المُشار إليه في باب التعظيم إلى المقام البعيد عن مقام الناظر، كما تقول في مقام التعظيم: ذلك الفاضل، وأولئك الفُحول، كما مرّ تقديره. وحيثُ أدخل على الخبر حرف التعريف المُفيد للمُبالغة بسبب الحصر المُستفاد منه؛ لِمَا مرَّ[٩] أنّا إذا قلنا: زيدٌ المُنطلِق أو المُنطلِق زيدٌ في المقام[١٠] الخطابيّ لزم ألّا يكون غيرُ زيد مُنطلقًا، ولذلك[١١] يُنهى أن يقال: زيدٌ المُنطلِقُ وعمرٌو، بالواو، ولا يُنهى أن يقال: زيدٌ المُنطلِقُ لا عمرٌو.[١٢]

---

١ ن - ﴿الٓمٓ﴾.
٢ ن: الشيء رة.
٣ ن: الإشعار.
٤ ن: الإعراب.
٥ ن: للإعجاز.
٦ ن: بعد.
٧ ن: المتحدّى.
٨ ن - الكتاب ببلوغه.
٩ مضى آنفًا في الكلام على هذه الآية التي نحن فيها.
١٠ د ش: مقام.
١١ ن: وكذلك.
١٢ انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٣١٨-٣١٩.

....

ثُمَ إذا كان الأمر في نفسه كذلك كما إذا قلتَ: الله الخالقُ، حُمِل على الانحصار حقيقةً، وإلّا كما في: حاتمٌ الجواد، وخالدٌ الشجاع. وقوله عزَّ وعلا: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ حُمِل على الانحصار مُبالغةً وتنزيلًا لجُود غيرِ حاتم، وشجاعة غيرِ خالد، وكَون غيرِ القرآن كتابًا، مَنزلةَ العدم لجهات اعتباريّة.[١] والمُبالغة في وَصف الكتاب بعد التنبيه على أنّه الكلام المُتحدّى به لا يُشكُّ في كَونها تقديرًا[٢] لجهة[٣] التحدِّي وتَقويةً له، وإذا كان مُقرّرًا ومُؤكِّدًا له / لا يجوز عطفه عليه؛ لِما عرفتَ. [٥٠ظ]

وكذلك لم يُعطَف قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ لأنّه لمّا نفى تعلُّق الرَّيْب به بوَجه من الوُجوه بسبب إدخال "لا" التي لنفي الجنس على النكرة أفاد أنّه لا يَتعلّق به طَرَفٌ من الرَّيْب، فكان حَقًّا، فيفيد الكمال من هذا الوجه، وهو كونه يقينًا[٤] بريئًا مِن الشُّبهة، وكونه كاملًا مُقرّرٌ ومُؤكِّدٌ لجهة التحدِّي، ويكون اشتماله على نفي الرَّيْب كالتأكيد لمعنى قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ لأنّه لمّا بُولغ في وصف الكتاب[٥] ببلوغه الدرَجة القُصيا، كما عرفتَ، كان هذه[٦] المبالغة[٧] عند السامع قبل[٨] أن يتأمّل مَظِنَّةَ أن يَنظِم[٩] هذا الكلام[١٠] في سِلْك ما أُورِدَ من غير تحقيق[١١] وإتقان، حاشاه عن ذلك، فجُعِل قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ تابعًا له؛ نفيًا لهذا الوَهْم، كما في قولك: جاء الخليفة نفسُه؛ إزالة لِمَا عسى يَتوهَّمُه السامع مِن أنّك في قولك: جاء[١٢] الخليفة، مُتجوِّزٌ أو ساهٍ.

وكذلك فُصِل قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾؛ لأنّه مُقرِّر لمعنى كونه يَقينًا لا يَحوم حوله الشكُّ، وحقًّا لا يَتعلّق به الباطل؛ وذلك لِمَا عرفتَ أنّ الهُدى هو الدلالة المُوصِلة إلى البُغية، وذلك لا يتحقّق إلا بكونه يقينًا حقًّا بريئًا من الباطل والشكّ.

---

١ انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٣١٩.
٢ ن: تقريرًا.
٣ ن: لجملة.
٤ ن: نقيًا.
٥ ن – لأنّه لمّا بُولغ في وصف الكتاب.
٦ ن: هذا.
٧ ن – المبالغة.
٨ ن: قيل.
٩ ن: يتكلّم.
١٠ ن: الكتاب.
١١ ش ن: تحقُّق.
١٢ ش ن: جاءني.

ثمَّ لـم تَخْلُ كُلُّ واحدةٍ مِنَ الأَرْبع بَعْدَ أَنْ رُتِّبَتْ هذا التَّرْتيبَ الأَنِيقَ ونُظِمَتْ هذا النَّظْمَ السَّرِيَّ من نُكْتَةٍ ذاتِ جَزالةٍ:

ففي الأُولى: الحَذْفُ والرَّمْزُ إلى الغَرَضِ بألطفِ وَجْهٍ وأَرْشَقِهِ.

وفي الثانيَةِ: ما في التعريف مِن الفَخامَة.

وفي الثَّالثة: ما في تَقْديم الرَّيْب عَلَى الظَّرْف.

وفي الرَّابعَةِ: الحَذْفُ، ووَضْعُ المَصْدَر الذي هو ﴿هُدًى﴾ مَوْضعَ الوَصْف الذي هو: هادٍ، وإيْرادُه مُنَكَّرًا، والإيْجازُ في ذِكْر المتقِينَ.

أو نقول: إنّما لم يُعطَف ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾؛ لأنَّه مُقرِّر ومُؤكِّد لِمَا سبَقه من الكلام؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ مَسوق لوَصف التنزيل بكمال كَونه هاديًا؛ لِمَا عرفتَ من دلالته على كونه كاملًا، للنظم الشاهد على كماله، ووصفه بكونه كاملًا في معنى وصفه بالهداية؛ لأنّ شأن الكتب السماويّة الهدايةُ لا غيرُ، وبحسَبها يتفاوت شأنهنّ في درجات الكمال. ثُمّ إنّ قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ تقريره، كما لا يخفى: هو هُدى، وأنّ معناه أنّ نفسه هِداية مَحضة، فيكون كالتأكيد لِمَا سلف، فلذا لم يُعطَف.

قوله: (ثُمّ لم تَخلُ)، يعني: بعد اشتماله على ما عرفتَ اشتمل كلُّ واحد من الجُمل على لطيفة. وقوله: (مِن نُكتة) متعلق بقوله: "لم تخلُ". و(الأنيق): العجيب. و"النُّكتة": اللطيفة.

قوله: (ففي الأولى: الحذفُ)؛ لأنه خبرُ مبتدأٍ محذوف، تقديره: هذه ﴿الٓمٓ﴾. و(الرمز)،[1] أي: الإشارة إلى أنّه مُؤلَّف من هذه الحروف. و"الحذف في الرابعة"؛ لأنّ تقديره: هو هُدى.

قوله: (وإيرادُه)[2] و(الإيجازُ) عطفٌ على قوله: "الحذفُ". والمراد بالإيجاز في ذكر المُتَّقين: هو أنْ لم يَقل: هُدًى للضالّين الصائرين إلى التقوى بعد الضلال. وسَرُوَ يَسْرُو سَراوة، أي: صار "سَريًّا". وهم سَراة وسَروات، أي: سادات.

---

[1] ن: الديمة.

[2] ن: ولإيراده.

زَادَنا اللهُ اطِّلاعًا على أَسْرار كلامِه، وتَبيُّنًا لِنُكَتِ تَنْزيلِه، وتَوْفِيقًا للعمل بما فِيه.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾: إما موصولٌ بـ"المُتَّقِينَ" على أنه صفةٌ مَجْرورةٌ، ....

والأَنَق: الفرح والسرور. وقد أَنِقَ، بالكسر، يَأْنَقُ أَنَقًا. وشيء "أنيق"، أي: حَسَن مُعجِب. وآنَقني الشيءُ: أَعجبني. و"الرشيق": الحَسَن. و"الجَزالة": صِغَر اللفظ وعِظَم المعنى، من قولهم: حَطَب جَزْل.

ثم طلب المُصنِّف من الله تعالى زيادةَ العِلم والتوفيقَ للعمل بقوله: (زادنا)... إلخ، وهو يتعدّى إلى مفعولين: أوّله الضمير المنصوب المُتَّصل، وثانيه قوله: (اطِّلاعًا). وقوله: (تبيُّنًا[1] وتوفيقًا) عطف على قوله: "اطِّلاعًا". يقال: تبيَّن الشيء: ظهر، وتبيَّنتُه أنا، واستبان الشيء: ظهر، واستبنتُه: عرفته، وأبان الشيء فهو مُبِين. قال:

لو دَبَّ ذَرٌّ فوق ضاحي[2] جِلدِها لَأَبانَ مِن آثارِهِنّ حُدُورُ[3]

وأَبنتُه أنا، أي: أوضحتُه، يَتعدّى، ولا يَتعدّى هذه الثلاثةَ.[4]

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

[٥١و] قوله: / (إمّا موصولٌ) أي: مُتَّصل.

قوله: (على) مُتعلِّق بمحذوف حال من الضمير في "موصولٌ". وضمير "أنّه" يعود إلى لفظ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، يعني: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ إمّا أن يكون مُتَّصلًا بـ"المُتَّقين"،

---

[1] ن: تبيينًا.

[2] ن: ضاحي.

[3] د ش: جُدُور. | هو عمر بن أبي ربيعة، والبيت في ديوانه، ص ١١٧؛ وهو له في الحيوان للجاحظ، ٢٨/٤. وقال عقب البيت: «الحَدْر: الورَم والأثَر يكون عن الضرب». والذَّرُّ: صغار النمل، واحدته ذرّة. انظر: لسان العرب لابن منظور، «ذرر».

[4] من قوله: «يقال: تبيَّن» إلى هنا بمعناه في الصحاح للجوهري، «بين».

أَوْ مَدْحٌ مَنْصُوبٌ أو مَرْفوعٌ بتَقْدِير: أعني الذِينَ يُؤمنُونَ بالغَيْبِ، أو هم الذينَ يُؤمِنُونَ.

وإمَّا مُقْتَطَعٌ عن "المتَّقِينَ" مرفوعٌ على الابتداء مُخْبَرٌ عنه بـ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾.

فإذا كانَ مَوْصُولًا كانَ الوَقفُ على "المتَّقين" حسنًا غيرَ تامٍّ، وإذا كانَ مُقْتَطَعًا كانَ وَقْفًا تامًّا.

أو مُقتطَعًا[1] عنه، بفتح الطاء. فقوله:[2] (مُقتطَع) عَطف على "موصولٌ". فإن كان مُتَّصلًا فهو: إمّا صفة، أو مدح. فإن كان صفة فلا بدَّ أن تكون مجرورة،[3] وإن كان مدحًا: فإمّا منصوبٌ بتقدير "أعني"، أو مرفوع بحذف المبتدأ. وقوله: (منصوب أو مرفوع) تَنازعا قوله: (بتقدير)، وفيه لفّ ونشر.

اعلم أنّ المنصوب أو المرفوع على المدح يكون حُكمه في الاتّصال بما قبله حُكمَ الصفة؛ ولهذا قالوا في قوله عليه السلام: «نحن -معاشرَ الأنبياء- لا نُورث»:[4] لو رَفع "معاشرَ الأنبياء" كان المعنى على أنّ كَونهم معاشرَ الأنبياء غيرُ معلوم مُحتاجٌ إلى البيان، فيكون قد بُيّنَ في هذا الحديث. وأمّا إذا كان مَرويًّا بالنصب كان المعنى على أنّ كَونهم معاشرَ الأنبياء معلوم مُحقَّق، وغيرُ المَعلوم هو أنّهم لا يُورثون فبُيّنَ في هذا الحديث، كما هو شأن الصفات؛ فإنّ الصفة[5] يجب أن يكون معلوم التحقُّق للموصوف، بخلاف الخبر فإنّه يكون مجهول التحقُّق؛[6] ولهذا المعنى جَعل المُصنِّف المُتَّصل على وجهين إمّا صفة أو مدحًا.

قوله: (كان حَسَنًا غيرَ تامٍّ) قال الإمام:

> أجمعوا على أنّ الوقف على اسم ناقص قبيحٌ، وعلى "بسم الله" أو على "بسم الله الرحمن" كافٍ صحيحٌ، وعلى "بسم الله الرحمن الرحيم" تامٌّ.

---

١ ن: مُنقطعًا.

٢ د ن - فقوله.

٣ ن - مجرورًا.

٤ مسند أحمد، ١٢/٣ (١٣٩١)؛ صحيح البخاري، ٧٩/٤-٨٠ (٣٠٩٤)؛ صحيح مسلم، ٨٣٩/٢-٨٤٠ (١٧٥٧)؛ سنن الترمذي، ٢٥٥/٣-٢٥٦ (١٦١٠). وليس في نصّ الحديث فيها أسلوب الاختصاص، وهو فيها بلفظ «لا نورث، ما تركنا صدقة».

٥ ن: الصفات.

٦ انظر تفصيل الكلام على الفرق بين الخبر والصفة في دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٣٧٧.

فإنْ قلْتَ: ما هذه الصِفَةُ: ....

واعلم أنّ الوقف لا بدَّ أن يقع على أحد الأوجه، وهو أن يكون ناقصًا، أو كافيًا، أو كاملًا: فالوقف[1] على كلّ كلام لا يُفهم بنفسه ناقصٌ، وعلى كلّ[2] كلام مفهومِ المعاني إلّا أنّ ما بعده يكون مُتعلِّقًا بما قبله يكون كافيًا، وعلى كلّ كلام تامّ ويكون ما بعده منقطعًا عنه يكون وقفًا تامًّا.[3]

أقول:[4] يَظهر ممّا ذَكره الإمام وجهُ حُسْن الوقف وتمامه هنا، والحَسَن والكافي على هذا الاصطلاح بمعنى واحد، والتامُّ والكامل كذلك. وقال العُمانيّ في **المُرشِد**:

إنّ الوقف على "المُتَّقين" تامٌّ إذا رفعتَ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ بالابتداء، وخبره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، أو بالخبر، أي: هم الذين. وكذا إذا نصبتَه؛ لأنك حينئذٍ مُبتدئ بالعامل معه. وإن جررتَه على أنّه صفة لـ"المُتَّقين" لم يَحسُن الوقف على "المُتَّقين"؛ للفصل بين الموصوف والصفة، لكنّه جائز، وإن لم يَحسن. وليس بخطأ؛ لأنّه رأس آية ورءوس الآي يُوقَف عليها على الأغلب، ومنها ما يَجوز على وجه التسامح. وما كان من هذا القبيل لقَّبْتَه بالكافي.[5]

وقال الشيخ في **الكَواشيّ**: الوقف على المُتَّقين تامٌّ إن نصبتَ أو رفعتَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وإن جررتَه وصفًا لم تقف.[6]

وأنا أقول: إذا تأملتَ فيما ذكرتُه وذَكر الإمام ظهر لكَ أنّ كلام المُصنِّف سديدٌ، وخيرٌ ممّا قيل في **المُرشِد** وفي **الكَواشيّ**.

قوله: **(ما هذه الصفة؟)** اعلم أنّ الوصف إنّما يجيء على أربعة أوجه:

الأوّلُ: أن يكون لبيان الموصوف، كما إذا قلتَ: الجِسم الطويل العريض العميق مُحتاج إلى فراغ يَشغله، فإنّ حقيقة الجسم ليس غيرَ هذا. ونظيره

---

١ ن + فالوقف.

٢ ش - كلّ.

٣ انظر: تفسير **الرازي**، ١/١١٠ (الفاتحة، ١/١).

٤ ن: وأقول.

٥ انظر: **المُرشِد** للعُماني، ١/١٢٥-١٢٦.

٦ انظر: **تفسير الكواشي**، ص ١٥٩ (البقرة، ٢/٢).

....

في تنزيل الوصف مَنزلة الكاشف للموصوف قول أَوس:

الأَلـمَـعـيّ الـذي يَـظـنُّ بـكَ الظَّـ ـظَـنَّ كـأنْ قـد رَأى وقـد سَـمِـعـا[١]

سُئل الأصمعيُّ عن معنى الألمعيّ؛ فأنشد هذا البيت، ولم يَزد.[٢] وممّا يُشابه هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج ١٩/٧٠-٢١]. سُئل أحمد بن يحيى عن معنى "الهَلَع"؛ / فقال: قد فسَّره الله تعالى.[٣] [٥١ظ]

والثاني: أن يكون للتخصيص، ويقرب حاصله من إخراج بعض ما يَتناوله العامُّ، أو التقييدِ ببعض ما يَصلُح له المُطلَق بسبب مُقارنة ما هو كالفصل أو الخاصّة، كقولك: جاء الرجال التُّجار وجاء رجل تاجر، ومنه قولك: جاء زيد التاجر، بسبب الشِّركة الاتفاقيّة.

والثالث: أن يكون للمدح أو الذمّ، مثل: الله الخالق البارئ قال كذا، ومثل: جاء زيدٌ العالِمُ، في موضع يكون مُتعيّنًا، وكقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران ٣٦/٣]، وكقولك: فَعلَ زيدٌ الفاسقُ الخبيثُ، في موضع يكون زيد مُتعيّنًا.

والرابع: أن يكون لمُجرَّد التأكيد، كقوله تعالى: ﴿نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الحاقة ١٣/٦٩]، وكقولك: أمسِ الدابرُ لا يعودُ.[٤]

وإذا كان وُرود الصفة على هذه الأقسام الأربعة أرادَ المُصنِّف أنْ يُبيِّن أنَّ "الذين" إذا جُعِل صفة لـ"المُتَّقين" يكون من أيِّ هذه الأقسام، ولم يَتعرَّض للتأكيد؛ لظهور أنّه ليس منه.

---

١ **ديوان أوس بن حَجَر**، ص ٥٣. وهو له في **مفتاح العلوم** للسّكّاكي، ص ٢٨٣.

٢ قول الأصمعي في **الكشّاف** للزمخشري، (لقمان، ٣١/٣-٤). وذكر المُبرِّد بعد بيت أوس ما يقرُب من هذا المعنى في **الكامل**، ١٤٠١/٣.

٣ أورد الزمخشري قول أحمد بن يحيى ثعلب في **الكشّاف**، (المعارج، ١٩/٧٠).

٤ من قوله: "الأوّل أن يكون" إلى هنا بلفظ قريب على غير هذا الترتيب في **مفتاح العلوم** للسّكّاكي، ص ٢٨٢-٢٨٣.

أَوَارِدةٌ بيَانًا وكَشْفًا لـ"المتَّقِينَ"، أم مَسْرودةٌ مع "المتَّقِينَ" تُفِيدُ غَيْرَ فائدتها، أَمْ جاءَتْ على سَبِيلِ المَدْحِ والثناء كصفاتِ اللهِ تعالى الجَارِيَةِ عليه تَمْجِيدًا؟!

قلتُ: يَحتمِل أَنْ تَرِدَ على طريق البَيانِ والكَشْفِ لاشتمالها على ما أُسِّسَتْ عليه حالُ المتَّقِينَ مِن فِعْل الحسَناتِ وتَرْكِ السيِّئاتِ:

أمَّا الفِعْلُ: فقد انْطَوَى تحتَ ذِكْرِ الإيمان الذي هو أَسَاسُ الحسنَاتِ ومَنْصِبُها، وذِكْرِ الصَّلَاةِ والصَّدقَةِ لأنَّ هاتَيْنِ أُمَّا العبادَاتِ البَدَنِيَّةِ والمَالِيَّةِ وهُما العِيَارُ على غَيْرهما، أَلَم تَرَ كَيْفَ سَمَّى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الصَّلاةَ عمادَ الدين، وَجَعَلَ الفَاصِلَ بَيْنَ الإِسْلَامِ والكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ، وسَمَّى الزكاةَ قَنْطَرَةَ الإِسْلَام، وقَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت ٤١/٦]

قوله: **(بيانًا)** مفعول له، أي: للبيان. قال في **مُجمَل اللغة**: «البيان: الكشف عن الشيء».[١] أقول: على هذا يكون اسمًا للتبيين كالسلام والكلام. وقوله: **(تُفيد[٢] غيرَ فائدتها)**، يعني: تكون صفة مُميِّزة فإنّ الصفات المُميِّزة تدلُّ على معانٍ لا يدلُّ عليها الموصوف؛ لأنها بمثابة الفُصول أو الخواصّ، ولا دلالة للعامّ والمُطلق على المعنى الذي يُخصِّصه ويُقيِّده، بخلاف الصفة الكاشفة؛ فإنّه ذِكرُ مدلول اللفظ، وبخلاف المادحة؛ فإنّها إنّما تكن بأمور معلومة الثبوت للموصوف.

قوله: "غيرَ فائدتها" أي: فائدة كلمة المُتَّقين.

قوله: **(تَحتمِل)** أي: الصفة. و**(أن تَرِد)** مفعوله. وضمير **(عليه)** عائد إلى **(ما)**. و**(مِن)** بيان. و**(انطوى)**،[٣] أي: اندرج. و"المَنصِب": الأصل. يقال: عايرتُ المَكاييل والمَوازين: إذا قايستَها. «و**(العِيار)** والمِعيار: الذي يُقاس به غيره ويُسوَّى.[٤] وعِيار الدراهم والدنانير: ما جُعِل فيها من الفِضّة الخالصة والذهب الخالص».[٥] وكأنّه ضمَّنه معنى الشاهد؛ فلذا[٦] عدّاه بـ**(على)**، يعني:

---

١ **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «بين».
٢ ن: مفيد.
٣ ن: ان طوى.
٤ د ش: يُسوِّي. | ورجّحتُ ما في مطبوع المُغرِب.
٥ **المُغرب** للمُطرِّزي، «عير».
٦ ن: ولذا.

فلمَّا كَانتَا بهذه المثابَةِ كان من شأنِهما اسْتِجْرارُ سائرِ العبَاداتِ واسْتِتْباعُها.

ومِن ثَمَّ اخْتُصرَ الكلامُ اخْتصَارًا بأنِ اسْتُغْنِيَ عن عَدِّ الطَّاعات بذِكْر ما هو كالعُنوان لها، والذي إذا وُجِدَ لم تَتوقَّف أَخواتُه أَنْ تَقْتَرِنَّ به مع ما في ذلك مِن الإِفْصَاح عن فَضْل هَاتَيْنِ العبَادَتيْن.

وأمَّا التركُ: فكذلك، ألَا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت ٢٩/٤٥].

من كانت فيه هاتان العبادتان كان ذلك[١] دليلًا على أنّه يأتي بسائر العبادات. و(المَثابة): المكان الذي يُثاب إليه، أي: يُرجَع إليه مرّة بعد أخرى. والمُراد هنا: المَنزلة والمَرتبة.

قوله: (ومِن ثَمّة)[٢] أي: لأجل استجرارهما (اختُصر)؛ لأنّه استُغنيَ بذكرهما، فلمّا استُغنيَ بذكرهما اختُصر، مع ما في ذلك الاختصار من التبيين عن فضل الصلاة والزكاة، فإنّه لو ذكر سائر العبادات معهما لم يكن في الكلام إشعار بفضلهما، فاختُصر في اللفظ وزِيدَ في المعنى.

قوله: (والذي) عطف على (ما هو) و"ما" هنا كناية عن الصلاة والزكاة. وقوله: (يَقترِنَّ) أي: مِن أنْ يَقترِنَّ، وهو بنون مُشدَّدة؛ لأنّه أَدغم النون التي هي لام الكلمة في النون التي هي ضمير أخواته، أي: لم تتوقف من الاقتران به. و"هو" عائد إلى "ما". و(أمّا التَّرك) عطف على قوله: (أمّا الفعل). وقوله: (فكذلك) أي: انطوى. وحاصله أنّه يَحتمل ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أن يكون كالتفسير لكونهم يتّقون؛ وذلك لأنّ المُتَّقيَ هو الذي يكون فاعلًا للحسنات وتاركًا للسيئات. أمّا الفعل فإمّا أن يكون فِعلَ القلب، وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ وإمّا فِعلَ الجوارح، وقد اندرج تحت ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾. وأمّا التَّرك فكما ذكره قوله:

---

١ ن - ذلك.

٢ كذا وردت في أصول حاشية الجاربردي. وفي مطبوع الكشّاف وما وقفتُ عليه من أصوله: ثمّ.

وَيَحتمِلُ أَنْ لا تكونَ بيانًا لـ"المُتَّقينَ"، وتكونَ صفةً برأسِها دالَّةً على فعْلِ الطاعات، ويُرادُ بـ"المتَّقين": الذين يَجْتَنِبُون المعاصيَ.

ويَحْتَمِل أنْ تكونَ مَدْحًا للمَوْصُوفِينَ بالتَّقْوى، وتَخْصِيصًا للإيمان بالغَيْبِ وإقامِ الصَّلاةِ وإيتاء الزكاة بالذِّكْر إِظْهارًا لإنافَتِها عَلى سائر ما يدخل تحت حقيقَةِ هذا الاسمِ مِن الحَسَنَاتِ.

والإيمان: إفْعالٌ مِن الأَمْنِ، ....

(وتَحتمل ألّا تكون) أي: يجوز أن تكونَ صفة مُخصِّصة. اعلم أنّ الإمام اختار هذا الوجه، وقال:

> [٥٢و] الأقربُ ألّا تكون هذه / الأشياء تفسيرًا لكونهم مُتَّقين؛ وذلك لأنّ كمال السعادة لا يَحصل إلا بترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي، والتَّرك هو التقوى، والفِعل إمّا فِعل القلب وهو الإيمان، أو فِعل الجوارح وهو الصلاة والزكاة. وإنّما قدَّم التقوى الذي هو التَّرك على الفعل الذي هو الإيمان والصلاة والزكاة؛ لأنّ القلب كاللوح القابل لنُقوش العقائد الحَقّة والأخلاق الفاضلة، واللوح يجب تطهيره أوّلًا عن النُقوش الفاسدة، حتّى يُمكن إثبات النُقوش الجيّدة فيه، وكذا القول في الأخلاق؛ فلذلك قدّم التقوى وهو تَرْك[١] ما لا ينبغي، ثمّ ذكر بعده فِعل ما ينبغي.[٢]

قوله:[٣] **(وتَحتمل أن تكون مدحًا)** والمُتَّقون مُتَّصفون بهذه الصفات المذكورة وبغيرها. وإنّما خُصَّ بالذِّكر هذه الصفات الثلاثة، أعني: الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ إظهارًا لزيادتها في الفضيلة على باقي الصفات الداخلة تحت حقيقة المُتَّقين. وإنّما قال كذلك؛ لِمَا مرّ أنّ الصفات التي تكون لمجرد الثناء فإنّما تكون أمورًا معلومة التحقُّق للموصوف. يقال: "أنافَت" الدراهم على المئة، أي: زادت.

قوله:[٤] **(والإيمان إفعال من الأمن)** أي: الذي خلافُ الخوف. يقال: أَمِنْتُ زيدًا

---

١ ش: فعل؛ ن - ترك.
٢ انظر: تفسير الرازي، ٢٦/٢ (البقرة، ٣/٢).
٣ ن - قوله.
٤ ن - قوله.

يقال: أَمِنْتُه وآمَنْتِيهِ غَيْري، ثـم يقال: آمَنَهُ، إذا صَدَّقَه، وحقيقتُه: آمنَهُ التَّكْذِيبَ والمخالفَةَ، وأمَّا تَعْدِيَتُه بالباء فلِتَضْمِينه مَعْنى: أَقَرَّ واعْتَرفَ.

وأمَّا مَا حَكى أبو زَيدٍ عن العَرب: ما آمَنْتُ أَنْ أَجِدَ صَحابةً -أي: ما وَثِقْتُ-

---

إذا لـم تَخَفه، آمَنُه. قال تعالى حكاية عن قول[1] يعقوب لبنيه: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف ١٢/٦٤].

قولـه: (وآمَنَنِيه غيري) أي: هو متعدٍّ في الأصل إلى واحد ثـمّ يُنقل إلى باب الإفعال فيتعدّى إلى اثنين، هذا معناه اللغوي. وأمّا في الشرع فيُقال: آمَنَه إذا صدَّقه، ومعناه الحقيقي: آمَنَه التكذيبَ والمخالفة. ثـمّ إنّ هذا من باب الكناية لا من باب المجاز؛ لأنّه انتقال من اللازم إلى الملزوم، لأنّ تصديقه إياه مُستلزِم لإيمانه التكذيب.

والانتقال من اللازم إلى الملزوم يكون كناية، كما تقول: فلان كثير الرماد، تُريد أنّه مِضياف. وأمّا المجاز فهو انتقال من الملزوم إلى اللازم، كما تقول: فلان أسد، وتُريد أنّه شجاع. وأيضًا ليس هذا مُنافيًا لإرادة الحقيقة؛ لأنّه يُمكن إرادة التصديق مع أَمْن التكذيب، فيكون كناية؛ لأنّ الكناية لا تُنافي إرادة الحقيقة، كما إذا قلتَ: فلان كثير الرماد، فإنّ إرادة السخاوة[2] لا تُنافي إرادة كثرة الرماد. وأمّا المجاز فإنّه مُناف[3] لإرادة الحقيقة؛ لأنّك إذا قلت: رأيتُ أسدًا، وأنت تعني: الشجاع، فهذا يُنافي إرادة الحقيقة.[4]

ثـمّ أشار إلى أنّ تعديتَه بالباء في مثل قولهم: آمن به (لتضمينه[5] معنى أَقَرَّ واعترفَ). ثـمّ أشار إلى أنّ همزة "الإيمان" كما تكون للتعدية إلى مفعول ثان فقد تكون للصيرورة مثل: (ما آمَنْتُ أنْ أجدَ صَحابة) أي: ما صرتُ ذا أَمْن بوجدان الصَّحابة. و"الصَّحابة" بالفتح: الأصحاب. وهو في الأصل مصدر، يقال: صَحِبَه صُحْبَة، بالضمّ، وصَحابة، بالفتح. فيصير الإيمان حينئذٍ لازمًا،

---

[1] ن – قول.

[2] ن: السخا.

[3] ن: ينافي.

[4] من قوله: "والانتقال إلى اللازم" إلى هنا بلفظ قريب في مفتاح العلوم للسَّكّاكي، ص ٥١٣، ٥٢٣.

[5] ن: لتضمّنه.

فحقيقتُه: صِرْتُ ذا أَمْنٍ به؛ أي: ذا سُكونٍ وطُمأنينةٍ.

وَكِلَا الوَجْهَيْنِ حَسَنٌ في ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: يَعْتَرِفُون به، أو يَثِقُونَ بأنّه حقٌّ.

نحو كَبَبْتُ زيدًا وأكبَّ زيدٌ، أي: صار ذا كَبٍّ. وعلى هذا تعدّى بالباء، وحُذِفت الباء من هذا المثال؛ لأنّ حذف الجارّ مع "أنْ" و"أنّ" قياس مستمرٌّ. وإنّما فسَّر المُصنِّف هذا الكلام بقوله: **(صرتُ ذا أمنٍ به)** من غير حرف النفي؛ لأنّه يريد تفسير الفعل مع قطع النظر عن النفي الداخل عليه.

[٥٢ظ] ولذا[١] قال بعض مَن لم يتأمَّل فيه: إنّ التقدير: ما آمَنْتُ إلى أنْ / أَجِد[٢] صَحابة. وأثبتَه في **الحواشي**. وهذا غلط؛ إذ الغرض[٣] بيان توجيه إتيان الباء في صلة الإيمان على ما يَستحقُّ، فلو كان التقدير هنا: إلى أنْ أجِد، لكان المعنى أنّ "آمَن" بهذا المعنى يُعدَّى بـ"إلى"، ولا يُناسب ما هو بصدده، ولا يَستقيم ما يذكره من بعد؛ فتأمَّل. ويُؤيد ما ذكرنا قول أبي عليّ في **الحُجّة**، فإنّه قال: «قال[٤] أبو زيد: ما آمَنتُ أن أجِد صحابة إيمانًا، أي: ما وَثِقت أن أجِد صَحابة، والإيمان: الثِّقة».[٥] فإنّه أتى في التفسير بحرف النفي. وكذا نُقِل هذا المثال عن أبي الصقر،[٦] وأتى في تفسيره بحرف النفي.[٧] فثبَت أنّ المُصنِّف حذف حرف النفي لِمَا ذَكرنا.

قوله: **(وكِلا الوجهين)** وهما تضمين معنى أقرَّ واعترفَ، وأن يكون ممّا حكى أبو زيد، يُمكن إجراؤهما في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾. **الأوّل**: أن تكون ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بمعنى يُصدِّقون، والتعدية بالباء؛ لتضمين معنى الإقرار، أي: يَعترفون بالغيب. **والثاني**: أن تكون الهمزة للصيرورة، أي: يثقون بأنّه حقٌّ.

---

١ ن: وكذا.

٢ ن – أجد.

٣ ن: إذا تعرض.

٤ ن – قال.

٥ **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١/٢٢١. وكلام أبي زيد الأنصاري في **النوادر**، ص ٥١٠-٥١١. والكلام مرويٌّ عن اللِّحياني في **تهذيب اللغة** للأزهري، «أمن» ١٥/٥١٦.

٦ أبو الصقر هذا من الأعراب الذين روى عنهم أبو زيد الأنصاري. انظر مقدمة تحقيق كتابه **النوادر**، ص ٧٠.

٧ انظر **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١/٢٢١. وانظر هذا النقل عن أبي الصقر في **النوادر** لأبي زيد، ص ٥١١.

ويَجوزُ أَنْ لا يَكونَ ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ صلةً للإيمان، وأن يكونَ في مَوْضِع الحال؛ أي: يُؤْمنونَ غَائِبين عن المؤمَن به، وحقيقتُه: مُلْتَبِسِينَ بالغَيْب؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [الأنبياء ٤٩/٢١] ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف ٥٢/١٢]،

وظهر لك من هذا أنّ ما ذكرنا في تقدير: ما آمَنْتُ أنْ أجِد صَحابة،[١] هو الوجه، ولو كان التقدير: إلى أنْ أجِد، كيف يَصحُّ قول المُصنِّف "وكِلا الوجهين حسَن" في ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾؟ فتأمّل.

ولا يخفى أنّ هذين الوجهين على تقدير أن يكون ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ صلةَ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾. فقال: **(ويجوز ألّا يكون)** وهو عطفٌ من حيث المعنى على قوله: **(وأمّا تعديتُه بالباء)**، فكأنّه قال: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ صِلةُ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ وعدّى بالباء للتضمين، أو ليس ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ صلتَه، وصلتُه محذوفةٌ، أي: يُصدِّقون النبيّ. وقوله: **(وأن يكون في موضع الحال)** تتمّةٌ وتقريرٌ لقوله: **(يجوز)**.

قوله: **(وحقيقتُه)** أي: حقيقة قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ يُؤمنون مُلتبسين بالغيب. قال الأزهريُّ: اتّفق العلماء على أنّ الإيمان معناه التصديق، كقوله تعالى:[٢] ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف ١٧/١٢]، أي: بِمُصدِّق.[٣]

ومعنى التصديق: هو اعتقاد السامع صِدق المُخبِر فيما يُخبِر، فمن صدَّق الله تعالى فيما أخبر به في **كتابه**، وصدَّق الرسول عليه السلام فيما أخبر، مُعتقدًا بالقلب تصديقهما فهو مُؤمن. وأنشد ابن الأنباري على أنّ آمَنَ معناه صدَّق قولَ الشاعر:

ومِـن قـبـلُ آمـنّـا وقـد كـان قـومُـنا[٤] يُـصلُّـون لـلأوثـان[٥] قـبـلُ مُـحـمَّـدا[٦]

---

١ ن – أن أجد صحابة.

٢ ن – تعالى.

٣ انظر: **تهذيب اللغة** للأزهري، «أمن» ٥١٣/١٥–٥١٤.

٤ ن: يومنا.

٥ ن: الأوثان.

٦ هو العباس بن مِرداس. والبيت في ديوانه، ص ٥٦؛ وهو له في **الإفصاح** للفارقي، ص ١٦٢. وهو بلا نسبة في **الزاهر** لابن الأنباري، ١٠٦/١؛ و**أمالي ابن الشجَري**، ١٦٩/١.

ويَعْضُدُه ما رُوي أن أصحابَ عبدِ الله ذكروا أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانَهم، فقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: إنَّ أَمْرَ محمدٍ كان بَيِّنًا لمَن رَآهُ، والذي لا إلهَ غيرُه ما آمَن مؤمِنٌ أفضَلَ من إيمانٍ بغَيْبٍ، ثمَّ قرأَ هذه الآيَةَ.

فإن قلتَ: فما المرادُ بـ"الغَيْب" إنْ جَعْلتَه صلةً، وإن جَعْلتَه حالًا؟

معناه: مِن قبل آمنَّا مُحمَّدًا، أي: صدَّقنا محمَّدًا، وقد كان قومنا من قبل يُصلُّون للأوثان.[١]

وقوله: (﴿لِيَعْلَمَ﴾ [يوسف ٥٢/١٢]) حكاية قول يوسف، أي: لِيَعلم المَلِك أنّي لم أَخُنْه، بإرادة السُّوء بأهله زَلِيخا، حالةَ كوني غائبًا عن المَلِك.

قوله: **(ويَعضُده)** أي: يعضُد ما ذَكرنا -من أنّ قوله: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ ليس صلة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، وأنّ المعنى: يُؤمِنون غائبين- ما روى الأعمش عن عُمارة عن عبد الرحمن[٢] قال: «كُنَّا جلوسًا عند عبد الله بن مسعود، فذَكرنا أصحاب النبيّ عليه السلام وما سَبَقُوا به، فقال عبد الله (بن مسعود: **إنّ أَمْر مُحمَّد عليه السلام كان بيِّنًا لمن رآه، والذي لا إله غيره، ما آمن أحد قطُّ إيمانًا أفضلَ من إيمانٍ بغيب. ثمّ قرأ**): ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾».[٣]

يريد ابنُ مسعود أنّ إيمان مَن كان غائبًا عن حضرته أفضل، وهذا يدلُّ على أنّ قوله: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ بمعنى: غائبين. وقوله: "كان بيِّنًا لمَن رآه"، أي: فلا عجب في إيمان مَن آمَن بحضرته. وقوله: "أفضلَ" صفةُ مصدر محذوف، أي: ما آمَن مُؤمِن إيمانًا أفضلَ. وقوله: "بغيب" حال من الفاعل المحذوف لقوله: "إيمانٍ"، أي: مِن إيمان مَن آمَن / مُلتبِسًا بغَيب. أو هو صفة لـ"إيمان"، أي: إيمانٍ مُلتبِسٍ بغَيب، فإنّ المُؤمِن إذا كان غائبًا يَصحُّ أن يُوصَف إيمانه بأنّه مُلتبِس بغَيب. [٥٣و]

---

١ من قوله: "ومعنى التصديق" إلى هنا بلفظ قريب **الوسيط** للواحدي، ٨٠/١ (البقرة، ٣/٢). وبعضه في **تهذيب اللغة** للأزهري، «أمن» ٥١٦/١٥-٥١٧.

٢ هما: عمارة بن عمير، وعبد الرحمن بن يزيد.

٣ **تفسير ابن أبي حاتم**، ٣٦/١ (البقرة، ٣/٢)؛ **المُستدرك** للحاكم، ٧٥/٤ (٣٠٧٤)؛ **والوسيط** للواحدي، ٨١/١ (البقرة، ٣/٢).

قلتُ: إن جعلتَه صلةً كان بمَعْنى الغائب:

إمَّا تسميةً بالمَصْدَرِ مِن قولك: غابَ الشيء غَيْبًا؛ كما سُمِّي الشاهد بالشهادة، قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ [الأنعام ٦/٧٣] والعرب تُسَمِّي المُطمَئِنَّ مِنَ الأرْضِ غَيْبًا، وعن النَّضْر بن شُميل: شَرِبَتِ الإبلُ حَتَّى وَارَتْ غُيُوبَ كُلَاها، يريد بالغَيْب: الخَمْصَةَ التي تكونُ في مَوْضع الكُلْيَةِ، ....

قوله: **(إمّا تَسميةً بالمصدر)** مفعول له وحَذف اللام؛ لأنّ قوله: **(كان بمعنى الغائب)** في معنى قولك: جعلوه بمعنى الغائب، فتكون التسمية[١] فاعلَ الفعل المُعلَّل. وقوله: **(وإمّا أن يكون)** عطف على التسمية، وحَذف[٢] اللام هنا وإن لم يكن فِعلًا لفاعل الفعل المُعلَّل؛ لأنّ حذف الجارِّ مع "أنْ" قياسٌ. ويجوز أن يقال: ليس نَصبُ "تسمية" على أنّها مفعول له، بل التقدير: إمّا أن سَمَّوا الغائب بالمصدر -وهو الغيب- تسميةً، ثمّ حَذفوا الفعل، وقُدِّم المصدر على "بالمصدر"، ويكون عطف "إمّا أن يكون" ظاهرًا. وقوله: **(كما سُمِّيَ)** صفة التسمية، أي: تسميةً مثل هذه التسمية.

و**(المُطمئنَّ)** يُروى بكسر الهمزة وفتحها، فبِكَسر الهمزة صفةٌ، وبفَتحها موضع.[٣] قال في **المُغرِب**: «الطُّمأنينة: السكون، من اطمأنَّ إذا سَكَن، فهو مُطمئِنٌّ. والمُطمأَنُّ من الأرض: المُنخفِض؛ لأنّه موضع الطُّمأنينة. ومنه مكان مُطمئِن».[٤] وإنّما سَمَّوا المكان المُنخفِض غَيبًا؛ لأنّه غائب عن الأبصار. قال في **مُجمَل اللغة**: الإبل معروفة لا واحد لها من لفظها.[٥] وقال في **الصحاح**: الإبْلُ لا واحد لها من لفظها، وكلُّ مؤنَّثة[٦] لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميِّين فالتأنيث لها لازم، وإذا صغَّرتها أدخلتها التاء، نحو أُبيلة وغُنَيمة، وإذا قالوا:

---

[١] ن + فعل.

[٢] ن: حُذفت.

[٣] في هامش مخطوطتَي الكشّاف: الفاتح ٣٨٤ اللوح ٨و؛ آيا صوفيا ٢٤٦ اللوح ١٨و: «وخطّ المُصنِّف كان بفتح الهمزة، وهو موضع الطمأنينة. وفي بعض النُّسخ: المُطمئن، بكسر الهمزة، وهو اسم فاعل، كأنّه: اطمأنّت الأرض فهي مُطمئنّة».

[٤] **المُغرِب** للمُطرِّزي، «طمن». وفي مطبوعه: «اسم من اطمأنَّ إذا سَكن».

[٥] انظر: **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «أبل».

[٦] ن: مرتبة.

إذَا بَطِنَت الدابَّةُ انتفخَتْ.

وإمّا أَنْ يكون فَيْعِلًا فخُفِّفَ؛ كما قِيلَ: قَيْلٌ، وأصله: قَيِّلٌ، والمرادُ به: الخَفِيُّ الذي لا يَنْفُذُ فيه ابْتداءً إلّا علمُ اللطيف الخبير، وإنما نَعْلم منه نحن ما أَعْلَمَناه أو نَصَبَ لنا دليلًا عليه، ولهذا لا يجوز أَنْ يُطْلَقَ فيقال: فلانٌ يَعلم الغَيْبَ، وذلك نَحْوُ الصانعِ وصفاتِهِ، والنُّبوّاتِ ومَا يتعلّقُ بها، والبَعْثِ والنُّشُورِ والحِسَابِ، والوَعْدِ والوَعِيد، وغيرِ ذلك.

إبلان وغَنَمان، يريدون قَطيعين[١] من الإبل والغنم.[٢] ووَاريتُ الشيء، أي: أخفيتُه. والخَمْصَة: النُّقْرة[٣] والحَفرة.[٤]

قوله: (إذا بَطِنَت) من بَطِن بالكسر يبطَن بَطَنًا: عَظُم بطنُه من الشِّبع أو الرِّيّ، أي: إذا عَظُم بطن الدابة انتفخت الخَمْصة، أي: عَلَت وارتفعت. «والقَيْل: ملك من ملوك حِمير دون الملك الأعظم، والمرأة قَيْلة، وأصله قَيِّل بالتشديد، كأنّه الذي له قول، أي: يَنفذ قوله، والجمع: أقوال وأقيال أيضًا، ومَن جمَعه على أقيال لم يَجعل الواحد منه مُشدَّدًا».[٥]

قوله:[٦] (به) أي: بالغيب في الآية، وإنّما قال: (ابتداء)؛ لجَواز أن نَعلم[٧] نحن الغيب بإخبار الله تعالى، أو بنَصب الدليل عليه.

قوله: (وذلك)[٨] إشارة إلى ما في قوله: (ما أَعلمَناه).[٩] قال الإمام:

> الغَيب: هو الذي يكون غائبًا عن الحاسّة، ثمّ هذا[١٠] الغيب ينقسم إلى ما عليه دليل، وإلى ما ليس عليه دليل. فالمراد من هذه الآية مدح المتّقين

---

١ د ش: قَطيعتين؛ ن: قطعتين. | وكانت في ش: قطعتين، ثم ضُرِب عليها. وأثبتُّ ما في مطبوع **الصحاح**. وما جاء في ن له وجه؛ لأنّ القِطعة كالقَطيع: وهو الطائفة من الغَنَم والنَّعَم. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «قطع».

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «أبل».

٣ ن: البقرة.

٤ ن: الحمرة: الحفرة. | ولم أجد هذا المعنى للخمصة فيما وقفت عليه من المعجمات.

٥ ن: مشتركًا. | **الصحاح** للجوهري، «قول».

٦ ن – قوله.

٧ ن: لم نعلم.

٨ ن: ذلك.

٩ ن: أعلمنا.

١٠ ن: بدا.

وإنْ جَعَلْتُه حَالًا كان بمعنى الغَيْبَةِ والخَفَاء.

بأنّهم يؤمنون بالغيب الذي عليه دليل، بأن يتفكّروا ويَستدلُّوا ويؤمنوا به، وعلى هذا يدخل فيه العلم بالله وبصفاته تعالى، والعلم بالآخرة، وبالنُّبوة والشرائع، فإنّ في تحصيل هذه العلوم بالاستدلال مَشقّة، فيصلح أن يكون سببًا لاستحقاق الثواب العظيم.[1]

قوله: **(وإن جعلتَه حالًا)** عطف على قوله: **(إن جعلتَه صلةً)** كان بمعنى الغَيبة، أي: مُلتبِسين بالغَيبة كما مرّ.

وهذا القول هو اختيار أبي مُسلِم الأصفهانيّ.[2] قال: إنّ قوله: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ صفة المؤمنين، معناه أنّهم يُؤمنون بالله حال الغَيبة، كما يُؤمنون حال الحضور، لا كالمنافقين الذين ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة ١٤/٢]، فذلك مدح للمؤمنين[3] بأنّ ظاهرهم مُوافق لباطنهم.

واستدلَّ أبو مُسلِم على قوله: بأنّا لو حملناه على الإيمان بالغَيب لَلزم[4] إطلاق القول بأنّ الإنسان يَعلم الغيب، وهو خلاف قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام ٥٩/٦]. وأيضًا لفظ الغَيب إنّما يجوز إطلاقه على من يجوز عليه الحضور، فعلى هذا لا يجوز إطلاق لفظ الغيب على ذات الله تعالى وصفاته؛ فلو كان المراد من الآية الإيمانَ بالغَيب / لَمَا دخل فيه الإيمان [٥٣ظ] بذات الله تعالى وصفاته، ولا يبقى فيه إلا الإيمان بالآخرة، وذلك غير جائز؛ لأنّ الرُّكن الأعظم في الإيمان هو[5] الإيمان بذات الله تعالى وصفاته، فكيف يجوز حمل اللفظ على معنى يقتضي خروج الأصل؟[6]

---

[1] تفسير الرازي، ٣٠/٢-٣١ (البقرة، ٣/٢). وفي مطبوعه: «الثناء العظيم».

[2] الظاهر أنّه ذكره في تفسيره جامع التأويل لمحكم التنزيل، ونقله الرازي في تفسيره، وعنه أخذ الجاربردي.

[3] ن: المؤمنين.

[4] ش: يلزم.

[5] ن - هو.

[6] من قوله: "وهذا القول هو اختيار" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٣٠/٢-٣١ (البقرة، ٣/٢).

فإن قُلْتَ: مَا الإيمانُ الصحيحُ؟

قلتُ: أَنْ يَعْتَقِدَ الحقَّ ويُعْرِبَ عنه بلسانه ويُصَدِّقَه بعَمَله، فمَن أَخَلَّ بالاعتقاد -وإنْ شَهِد وعَمِلَ- فهو منافق، ومَن أخلَّ بالشهادة فهو كافر، ومَن أخَلَّ بالعمل فهو فاسق.

وأجاب الإمام عنه بأن قال:

> لا نِزاع في أنّا نُؤمن بالأشياء الغائبة عنّا، فكان ذلك التخصيص لازمًا على الوجهين، فإن قيل: أفتقولون: العبد يَعلم الغيب أم لا؟ قلنا: قد بيَّنا أنّ الغَيب ينقسم إلى ما عليه دليل، وإلى ما لا دليل عليه. أمّا الذي لا دليل عليه[1] فالله تعالى العالم به لا غير، وأمّا الذي عليه دليل فلا يمتنع أن نقول: نَعلم منه ما نعلمه بسبب الدليل ولا نُسلِّم[2] أنّ لفظة[3] الغَيب لا تُستعمل إلا فيما يَجوز عليه الحضور، والدليل عليه أنّ المُتكلِّمين يقولون: هذا من باب إلحاق الغائب بالشاهد، يريدون بـ"الغيب"[4] ذاتَ الله تعالى وصفاته. والله أعلم.[5]

وأنا أقول: رأيتُ في بعض الكُتب -وأظنُّه **المَطلع**- أنّ عُرف أهل المِلَّة أنّهم يَفرُقون بين الغَيب والغائب، فيقولون: الله غَيب، وليس بغائب، يَعنون بالغائب: ما لا يراك[6] ولا تراه؛ وبالغَيب: ما لا تراه أنت. وأنا أقول: المعنى على هذا القول الذي اختاره أبو مسلم يكون: يُؤمنون مُحمَّدًا، أي: يُصدِّقونه حال الغَيب. والإيمان معناه: التصديق، ومعنى التصديق: اعتقاد السامع صِدق المُخبِر فيما يُخبِر. وتمام تقريره قد سَلف.

قوله: (ما الإيمان؟)... إلخ، اتَّفقت المُعتزلة على أنّ الإيمان إذا عُدِّيَ بالباء فالمراد به: التصديق؛ ولذلك يقال: فلان آمن بالله وبرسوله، ويكون المراد التصديق، إذ الإيمان بمعنى: أداء الواجبات، لا يمكن فيه هذه التعدية، فلا يقال: فلان آمن بكذا، إذا صلّى وصام، بل يقال: فلان آمن لله، كما يقال:

---

١ ن - أمّا الذي لا دليل عليه.

٢ د: لا نم. [اختصارا من "لا نسلم"].

٣ ن: لفظ.

٤ ش: بالغائب.

٥ انظر: **تفسير الرازي**، ٣١/٢ (البقرة، ٢/٣).

٦ ن: تراه.

....

صام[١] وصلّى لله تعالى.[٢] فالإيمان المُعدّى بالباء يجري على طريقة أهل اللغة. أمّا إذا ذُكِر مطلقًا غير مُعدًّى فقد اتفقوا على أنّه منقول من المُسمّى اللغوي الذي هو التصديق إلى معنى آخر.

ثمّ اختلفوا: فقال واصل بن عطاء وأبو الهُذيل والقاضي عبد الجبار ومَن تبِعهم: إنّ الإيمان عبارة عن فِعل كلّ الطاعات، سواء كانت واجبة أو مَندوبة، أو من باب الأقوال، أو الأفعال، أو الاعتقادات. وقال أبو عليّ وابنه أبو هاشم: إنّه عبارة عن فِعل الواجبات من الأقوال والأفعال والاعتقادات. ثمّ قالت[٣] المُعتزلة: الفاسق يَخرج من الإيمان ولا يَدخل في الكفر، وهو مَنزلة بين المَنزلتين.[٤] والمُختار أنّ الإيمان: عبارة عن تصديق الرسول عليه السلام[٥] بكلّ ما عُلِم بالضرورة كَونُه من الدِّين، والقول سبب لظهوره. والأعمال خارجة عن مُسمَّى الإيمان؛ بدليل صِحة عطفها عليه في قوله تعالى: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة ٢/٢٥]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام ٦/٨٢].[٦]

قال الإمام:

> نفتقر ههنا إلى شرح لِماهيّة[٧] التصديق بالقلب فنقول: إنّ مَن قال: العالم مُحدَث، فليس مدلول هذه الألفاظ كونَ العالم موصوفًا بالحدوث، بل مدلولها حُكم ذلك القائل بكون العالم حادثًا، والحُكم بثبوت الحدوث للعالم مغاير لثبوت الحدوث للعالم، وكلٌّ واحد منهما مُغاير للألفاظ الدالّة على ذلك الحُكم. ثمّ نقول: هذا الحُكم الذِّهني غير العِلم؛ لأنّ الجاهل بالشيء قد يَحكم به؛ فالمراد من التصديق بالقلب: هو هذا الحكم الذِّهني.

---

١ ن + لله.

٢ ن – تعالى.

٣ ن: قالت.

٤ انظر تفصيل ذلك في **الأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبّار، ص ٦٩٧.

٥ د ش – عليه السلام.

٦ من قوله: "اتّفقت المعتزلة" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٢/٢٧-٢٨ (البقرة، ٢/٣)، وزاد عليه الجاربردي شيئًا يسيرًا.

٧ ش ن: ماهية.

ومعنى إقامة الصلاة: ....

بقيَ ههنا بحث لفظي: وهو أنّ المُسمّى بالتصديق في اللغة هو هذا الحكم الذِّهنيّ أم الصِّيغة الدّالة عليه؟ وتحقيق القول فيه قد ذكرنا في أصول الفقه.[١]

ثمّ قال:

[٥٤و] فإن قال قائل ههنا صورتان: الصورة / **الأولى**: مَن عَرف الله تعالى بالدليل والبُرهان، ولمّا[٢] تمّ[٣] العِرفان مات ولم يجد من الوقت ما يَتلفَّظ فيه بكلمة الشهادة، فههنا إنْ حَكمتُم بأنّه مُؤمِن فقد حَكمتُم بأنّ الإقرار اللسانيّ غير مُعتبَر في تحقُّق الإيمان، وهو خَرقُ الإجماع، وإنْ حَكمتم بأنّه غير مُؤمِن فهو باطل؛ لقوله عليه السلام: «يخرج من النار من كان في قلبه مِثقال ذرَّة من الإيمان»،[٤] وهذا قلبه طافح بالإيمان، فكيف لا يكون مؤمنًا؟ الصورة[٥] **الثانية**: مَن عرف الله تعالى بالدليل، ووَجد من الوقت ما أمكنه أن يَتلفَّظ بالشهادتين، لكنّه لم يَتلفَّظ بهما، فإن قلتُم: إنّه مُؤمِن فهو خَرقُ الإجماع، وإن قلتُم: ليس بمُؤمِن فهو باطل؛ لقوله عليه السلام: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرَّة من الإيمان»، ولا يَنتفي الإيمان من القلب بالسُّكوت عن النطق. فالجواب: أنّ حُجّة الإسلام الغزاليَّ مَنع من هذا الإجماع في الصورتين، وحَكم بكونهما مُؤمِنَين، وأنّ الامتناع عن النطق[٦] يَجري مَجرى المعاصي التي يُؤتى بها مع الإيمان. والله أعلمُ بالصواب.[٧]

قوله: **(ومعنى إقامة الصلاة)** ذَكر في تفسير إقام الصلاة أربعة أَوجة: **الأوّل**: تعديل أركانها قال في **المُغرِب**: عدَّل الشيء تعديلًا سوّاه. المراد[٨] بتعديل

---

١ انظر: تفسير الرازي، ٢/٢٨-٢٩ (البقرة، ٢/٣).

٢ د ش: كما. | وأثبتُّ ما في ن ومطبوع تفسير الرازي.

٣ ن - لمّا تم.

٤ بلفظ قريب في مسند أحمد، ٢١/٢١١-٢١٣ (١٣٥٩٠)؛ وصحيح البخاري، ٩/١٤٦-١٤٧ (٧٥١٠)؛ وسنن الترمذي، ٤/٣٤٥-٣٤٦ (٢٥٩٨).

٥ ن - الصورة.

٦ ن: من النطق.

٧ انظر: تفسير الرازي، ٢/٣٠ (البقرة، ٢/٣).

٨ ن: والمراد.

تَعْدِيلُ أَرْكانها، وحِفْظُها مِن أَنْ يقعَ زَيْغٌ في فَرائضها وسُنَنِها وآدابها، من أقامَ العُودَ: إذا قوَّمَه.

أو: الدَّوامُ عَلَيْها والمحافظةُ؛ كما قال عزَّ وعَلَا: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج ٢٣/٧٠] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون ٩/٢٣] من قامت السوقُ: إذا نَفَقَتْ، ....

أركان الصلاة: تسكين الجوارح في الركوع والسجود والقَومة بينهما والقعدة[١] بين السجدتين.[٢] والضمير من: **(أركانِها)** و**(حِفْظِها)** و**(فرائضِها وسُننِها وآدابِها)** عائد إلى "الصلاة". والزَّيْغ: المَيْل. والمراد بفرائضها: شرائطُها وأركانُها؛ وبسننها: أبعاضُها، كالتشهد الأوّل، والقعود، والصلاة على النبيّ عليه السلام فيه،[٣] والقنوت؛ وبآدابها: ما سِوى ذلك، كتسبيحات الركوع والسجود، والنظر بموضع السجود، ودعاء الاستفتاح، والتعوذ... إلى غير ذلك.

قوله: **(مِن: أقام)** خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هو مِن: أقام. قال في **الصحاح**: «قوَّمتُ الشيء فهو قَويم».[٤]

قوله:[٥] **(أو الدوام)** الوجه **الثاني**: أنّ إقام الصلاة: عبارة عن المُداومة عليها، والمُحافظة عليها، بمُراعاة أوقاتها، فيُقيمونها فيها. أو المراد بالمُحافظة: حفظها من وقوع الزَّيْغ في فرائضها وسُننها وآدابها؛ فيكون قوله بعد: **(عُطِّلَتْ)** في مقابلة "الدوام"، و**(أُضيعَتْ)** في مقابلة "المُحافظة".

قوله:[٦] **(كما قال)** أي: هذا كما قال، يريد: أنّ معنى قوله تعالى: ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كمعنى الآيتين المُستشهَد بهما.

قوله: **(مِن: قامَت)** أي: هو مِن: قامَت. ونَفاق السِّلعة: رَواجُها، وقد يقال نَفقتِ السُّوق، أي: راجَتْ، يُراد كَثرة الراغبين في المَبيع.

---

١ ن: الجلوس.
٢ انظر: **المُغرِب** للمُطرِّزي، «عدل».
٣ ن – فيه.
٤ **الصحاح** للجوهري، «قوم».
٥ ن – قوله.
٦ ن – قوله.

وأقامَها؛ قال:

أَقَـامَـت غَـزَالَـةُ سُـوقَ الـضِّـرَابِ   لِأهـلِ الـعِـرَاقـيـنِ حَـولًا قَـمِـيطَـا

قوله: **(وأقامَها)** أي: أقام السُّوق: بأنْ جعلها رائجًا. قوله:

(أقامَـتْ غَزالـةُ سُـوقَ[1] الضِّـرابِ[2]   لأهـلِ العِراقيـن حَـولًا قَميطـا)[3]

غزالةُ: اسم امرأة شَبيبٍ الخارجيِّ، قتله الحَجّاج فحاربَتْه هذه المرأة سَنة تامّة. والضِّراب: مُضارَبة السيف. والقَميط: التامُّ. ومعناه: أنّ هذه المرأة أقامَتْ[4] سُوق المُضارَبة، وهيَّجَتِ الحُروب، وهزمت الحَجّاج وهي تمشي خلفه. وفي ذلك قال الشاعر في هجو الحَجّاج:[5]

أسـدٌ عَـلـيَّ وفـي الـحـروب نَعامةٌ   فَـتـخـاءُ تَـنـفِـرُ مِـن صَـفـير الـصـافـرِ
هـلّا كَـرَرْتَ على غَزالة في الوغى[6]   بـل كـان قـلـبكَ فـي جَـوانـح طـائـرِ[7]

قال في **المُجمل**: «الفَتَخ: لِين في جَناح الطائر».[8] وقال في **الصحاح**: الفَتَخ: اللِّين، تقول: رجل أَفتَخ بيّن الفَتَخ إذا كان عريض الكفّ والقَدم مع اللِّين، وعُقاب فَتخاء؛ لأنّها إذا انحطَّت[9] كَسرتْ جناحيها[10] وغَمزتْهما،[11] وهذا لا يكون إلّا من اللِّين.[12] وصَفَرَ الطائر يَصْفِر صَفِيرًا، أي: مكا.[13] ومنه قولهم: / «أَجبَنُ من صافر»؛[14] [٥٤ظ]

---

[1] ن: السوق.

[2] ن: للضراب.

[3] البيت لأيمن بن خُريم الأسدي في **ديوانه**، ص ٥٢؛ وهو بلا عزو في **الكشف والبيان** للثعلبي، ٨٢/٣ (البقرة، ٣/٢). والعراقان: البصرة والكوفة. انظر: **معجم البلدان** للحموي، ٥٧/٣.

[4] ن: قامت.

[5] ن: حجّاج.

[6] د: الوغاء.

[7] البيتان لعِمران بن حِطّان في **الأغاني** للأصفهاني، ٨٤/١٨-٨٥، برواية:
أسـدٌ علـيَّ وفـي الـحُـروب نَـعامةٌ
ربـداءُ تجفَل مِـن صَفير الصافرِ
هـلّا بـرزتَ إلى غَزالة في الوغى
بل كـان قلبكَ في جناحَي طائرِ
وهما له برواية الأغاني في **شعر الخوارج** لإحسان عبّاس، ص ١٦٦. وثانيهما له في **الكامل** للمُبرِّد، ٩٢٩/٢.

[8] **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «فتخ».

[9] ن: انحطّ.

[10] ن: جناحها.

[11] د ش ن: وغمزتها. | وأثبتُّ ما في مطبوع **الصحاح**.

[12] انظر: **الصحاح** للجوهري، «فتخ».

[13] ن: بكى.

[14] **جَمهرة الأمثال** للعسكري، ٣٢٥/١؛ **مَجمع الأمثال** للميداني، ١٨٤/١. والمُصنِّف نقل المَثل وما قبله من **الصحاح** للجوهري، «صفر».

لأنّها إذا حُوفِظَ عليها كانت كالشيء النَّافِقِ الذي تتوجَّهُ إليه الرَّغَبَاتُ ويتنافَسُ فيه المحصِّلونَ، وإذا عُطِّلَتْ وأُضِيعَت كانت كالشيءِ الكاسِدِ الذي لا يُرْغَبُ فيه.

أو: التَّجَلُّدُ والتَّشَمُّرُ لأدائها، وأن لا يكون في مؤدِّيها فُتورٌ عنها ولا تَوَانٍ، من قولهم: قامَ بالأمرِ، وقامت الحربُ على ساقها، وفي ضِدِّه: قَعَدَ عن الأمرِ

لأنّ الطير يُوصَف بالجُبن. والوغى: الحرب. والجوانح: الأضلاع التي تحت الترائب، وهو ممّا يلي الصدر كالضُّلوع ممّا يلي الظهر. وقوله: "بل كان" للإضراب عن مُقدَّر دلَّ عليه. قوله: "هلّا كَرَرتَ" كأنّه قال: ما كَرَرتَ بل خِفْتَ؛[1] كأنّ قلبكَ ليس[2] في[3] جَوف[4] آدميّ بل هو[5] في جَوف طائر.

قوله: (لأنّها) أي: الصلاة. وهذا إشارة إلى جواز[6] أخذ إقام الصلاة بمعنى الدوام والمُحافظة، مِن: قامَتِ السُّوق وأقامَها، بإظهار المُناسبة المعنويّة. و"التنافس": الرغبة.

قوله: (أو التجلُّد) الوجه **الثالث**: أنّ إقامتها[7] عبارة عن التجلُّد... إلخ، و"التجلُّد": إظهار الجَلادة وتكلُّفها. يقال: شَمَّر و"تَشَمَّر" للأمر،[8] أي: خَفَّ للإتيان[9] به، وشَمَّر أذياله[10] إذا جمعها. ومعنى (قام بالأمر): قام مُلتبسًا ومُشتغِلًا به. و(قامت الحَرب) أي: أهل الحرب "على ساقهم"، فلمّا حَذف المُضاف وأَسند الفعل إلى الحرب عاد[11] الضمير إليها. و"قيامهم على ساقهم": عبارة عن تشميرهم[12] أذيالَهم، وكشفِهم السُّوق،[13] وثباتهم عند ذلك. أو تقول: شبَّه الحرب برجل شَمَّر للأمر،[14] وكَشف عن ساقه مُتوجِّهًا إليه، ثمّ ذُكِر المُشبَّه

---

[1] ن: حيث.
[2] ن – ليس.
[3] ن: في ليس.
[4] ن: حرف.
[5] ن: هي.
[6] ن: جوابي.
[7] ش: إقامها.
[8] ن: الأمر.
[9] ن: الإتيان.
[10] ن: أذيالها.
[11] ن: على.
[12] ن: تشمير.
[13] ن: السيوف.
[14] ن: الأمر.

وتقاعَدَ عنه: إذا تقاعَسَ وتَثَبَّطَ.

أو: أَداؤُها، فعُبِّر عن الأداء بالإقامة لأن القيامَ بعضُ أركانها؛ كما عُبِّر عنه بالقُنُوتِ -والقنوتُ القيامُ- وبالركوع وبالسجود، وقالوا: سَبَّحَ، إذا صَلَّى؛ لوجود التسبيح فيها: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات ١٤٣/٣٧].

وأُريد المُشبَّه به، فتكون استعارة بالكناية، وقرينتها[١] نسبةُ القيام إليها؛ فبسبب هذه الاستعمالات صار القيام مشهورًا في معنى التجلُّد والتشمير. و**(تقاعَس)** الرجُل عن الأمر، أي: تأخَّر ولم يتقدَّم فيه. و**(تثبَّط)** أي: توقَّف.

قوله: **(أو أداؤها)**[٢] **الوجه الرابع**: أنّ إقامتها[٣] عبارة عن أدائها.[٤] وقوله: **(كما عُبِّر)** أي: عُبِّر بالإقامة تعبيرًا كالتعبير عنه بالقنوت.

قوله: **(وبالركوع وبالسجود)** عطف على **(بالقُنوت)**.

قوله: **(وقالوا)** عطف على "عُبِّر"، أي: كما قالوا. ثمّ استشهد بالآية؛ فإنّ معنى المُسبِّحين فيها: المُصلِّين. حاصل هذا الوجه إطلاق الجُزء على الكُلّ.

وفيه بحثٌ؛ لأنّ القيام هو جُزء[٥] الصلاة لا الإقامة، فكيف يكون التعبير عن أداء الصلاة بالإقامة كالتعبير عنه بالقُنوت الذي هو القيام وغيره من المذكورات؟

وأنا أقول: يُمكن أن يكون أصل المعنى: يُقيمون أنفسهم أو أبدانهم في الصلاة أو للصلاة، أو معنى يُقيمون: يَفعلون القِيام، والقِيام عبارة عن الصلاة على ما ذُكِر،[٦] فكأنّه قيل: يُصلُّون الصلاة.

واعلم أنّ الإمام ذكر هذه الوجوه الأربعة بعبارة قريب من عبارة صاحب **الكشّاف**، ثمّ قال: «الأَوْلى حَملُ الكلام على ما يَحصل معه[٧] الثناء العظيم، وذلك لا يَحصل إلّا إذا حَملنا الإقامة على إدامة فِعلها من غير خَلل في أركانها وشرائطها».[٨]

---

١ ن: وقربها.
٢ ن: أدارها.
٣ ن - أنّ إقامتها.
٤ ن - أدائها.
٥ ن: حين.
٦ ن: ذكرنا.
٧ ن - معه.
٨ **تفسير الرازي**، ٣٢/٢ (البقرة، ٣/٢). وفي مطبوعه: «يحصل معه مِنَ الثناء العظيم».

والصَّلاةُ: فَعَلَةٌ من صَلَّى؛ كالزكاة مِن زكَّى، وكِتْبَتُها بالواو على لفظ المُفَخَّم، وحقيقةُ صَلَّى: حَرَّكَ الصَّلَوَيْن؛ لأنَّ المُصَلِّيَ يَفْعل ذلك في رُكوعِهِ وسجودِهِ.

ونظيرُه كفَّرَ اليهوديُّ: إذا طأطأ رأسَه وانحنَى عند تعظيم صاحِبِه؛ لأنه يَنْثَنِي على الكاذتَيْنِ وهما الكافِرتَانِ.

وقيل للداعي: مُصَلٍّ، تَشْبِيهًا له في تَخَشُّعِهِ بالراكع والساجد.

وأنا أقول: هذا الوجه الذي ذكره الإمام وجعله الأَوْلى راجع إلى الوجهين الأَوّلَين ذَكرهما المُصنِّف، فكأنّه مَبنيٌّ على جواز استعمال اللفظ في معنيين مُختلفين: إمّا حقيقيَّين، أو مجازين، أو حقيقة ومجاز.

قوله: (**الصلاة فَعَلَة مِن صلّى**)، يعني: الصلاة لفظ أُخِذ من قولهم: صلّى، أي: أدّى العبادة المُعيَّنة، كما أنّ (**الزكاة**) مأخوذة من قولهم: (**زكّى**) أي: أدّى القَدْر الواجب من المال. وكأنّه يُشير إلى أنّ اشتقاقها ليس باشتقاق حقيقيّ، بل اشتقاق جَعْليّ. قال في **المُغرِب**: الصَّلَا: العَظم الذي عليه الأَلْيَتان، وقيل للثاني من خيل السِّباق: المُصلِّي؛ لأنّ رأسه على صَلَوَي السابق. ومنه: «سَبق رسول الله عليه السلام[1] وصلّى أبو بكر وثَلَّثَ[2] عُمر».[3] و"الكاذتان" و(**الكافرتان**): ما نَتأ من اللحم في أعلى الفَخِذ.[4]

قوله: (**وقيل للداعي**) قال في **المَطلَع**: فالأوّل على الحقيقة والثاني على المجاز، هذا تقرير ما / في الكتاب. [٥٥و]

وهنا وجوه أُخَرُ:

الأوّل: أنّ الصلاة في اللغة: الدُّعاء. قال عليه السلام: «إذا دعي أحدكم إلى طعام فليُجب، فإن كان مُفطِرًا فليَطعَمْ، وإن كان صائمًا فليُصلِّ».[5]

---

١ شن ن - عليه السلام.

٢ ن: ثبت.

٣ انظر: **المُغرِب** للمُطرِّزي، «صلو». وما أورده من حديث عليّ رضي الله عنه جاء في **مسند أحمد**، ٢٣٠/٢ (٨٩٥)؛ و**فضائل الصحابة** لأحمد بن حنبل، ص ٢١٤ (٢٤١)؛ و**حلية الأولياء** لأبي نُعيم، ٧٤/٥.

٤ انظر: **الصحاح** للجوهري، «كوذ».

٥ **مسند أحمد**، ٣٤٤/١٦ (١٠٥٨٥)؛ **صحيح مسلم**، ٦٥١/١ (١٤٣١)؛ **السنن الكبرى** للبيهقي، ٨/١٥ (١٤٦٤٦).

....

قال أبو عُبيد:[١] قوله فليُصلِّ، أي: فليدع له[٢] بالبركة[٣] والخير. وكلُّ داعٍ فهو مُصلٍّ. وقال الأعشى:

تقول بِنتي وقد قرَّبتُ مُرتحَلا يا ربِّ جنِّبْ أبي الأوصابَ والوَجعا
عليكِ مِثلُ الذي صَلَّيتِ فاغتمِضي نومًا فإنّ لجَنب المَرء مُضطَّجَعا[٤]

وقوله: عليكِ، أي: لكِ مثلُ الدعاء الذي دعوتِ.[٥] يعني: قولها: يا ربِّ جنِّبْ. الأوصاب: جمع وَصَب وهو المرض. وأراد بالمُضطَّجع هنا: القبر. وقوله: فاغتمِضي، أي: نامي.[٦] ومفعول "قرَّبتُ" محذوف، أي: قرَّبتُ الإبلَ. وقال آخر:

وصهباءَ طاف يَهوديُّها[٧] وأبرزَها وعليها خَتَمْ
وأقبلَها الرِّيحَ في دَنِّها وصَلّى على دَنِّها وارتَسمْ[٨]

والصَّهباء: الخمر،[٩] «أي: استقبل بالخمر الرِّيحَ ودعا. وارتَسَم من الرَّوسم: وهو الخاتَم، يعني: خَتَمَها. هذا معناه لغة، ثمَّ سَمّى بها الرحمة والاستغفار؛ لأنّهما من لوازم الداعي».[١٠]

---

[١] د ش: أبو عبيدة. | وكذلك ورد في مطبوع **الوسيط** للواحدي، ١/٨٠ (البقرة، ٢/٣).

[٢] ن: له.

[٣] أورد ابن الأنباري هذا المعنى للصلاة مع الاستشهاد بالحديث وشرحه المذكور ههنا في **الزاهر**، ١/٤٥.

[٤] **ديوان الأعشى**، ص ١٠١. وليسا متتاليين، بينهما بيتان آخران. وهما له في **مجاز القرآن** لأبي عبيدة، ١/٦٢، ٢٦٨؛ **والزاهر** لابن الأنباري، ١/٤٥؛ **ومعاني القرآن** للنّحّاس، ١/٨٣-٨٤. لِما نحن فيه.

[٥] من قوله: "أنّ الصلاة في اللغة" إلى هنا بمعناه في **غريب الحديث** لأبي عُبيد، ٣/٢٣٤-٢٣٧؛ **وتهذيب اللغة** للأزهري، «صلى» ١٢/٢٣٦؛ **والبسيط** للواحدي، ٢/٧٣-٧٤ (البقرة، ٢/٣)؛ **والمُغرب** للمُطرِّزي، «صلو».

[٦] ن - وقوله: فاغتمِضي، أي: نامي.

[٧] د: يَهودِيِّها.

[٨] البيتان للأعشى في **ديوانه**، ص ٣٥، برواية «وقابلها الريح». وضبط مُحقِّق الديوان «خُتُم» بضمتين، ولها وجه، انظر تفصيله في **شرح الفصيح** للخمي، ص ٢٥٠. وأثبتُّ ما في المصادر، وما نصّ عليه الجوهريُّ بقوله في شرح هذا اللفظ: «أي: عليها طِينة مختومة، مثل نَفَضٍ بمعنى منفوض، وقَبَضٍ بمعنى مقبوض». **الصحاح**، «ختم». والبيتان للأعشى في **غريب الحديث** لأبي عُبيد، ٣/٢٣٦؛ **والزاهر** لابن الأنباري، ١/٤٥؛ وثانيهما له في **المُغرِب** للمُطرِّزي، «صلو». شاهدًا فيها جميعًا على ما نحن فيه من معنى الصلاة.

[٩] ن: الخمري.

[١٠] **المُغرِب** للمُطرّزي، «صلو». وليس في مطبوعه: «هذا معناه لغة».

....

الوجه **الثاني**: أنّها من الصَّلى:[١] وهي النار. من قولهم: صلَّيتُ العصا إذا ليَّنتَها وقوَّمتَها بالصَّلى.[٢] قال:

فلا تَعجَلْ[٣] بأمرِكَ واستَدِمْهُ فما صَلّى عَصاكَ كمُستَديمِ[٤]

«فالمُصلِّي كأنّه يسعى في تعديل ظاهره وباطنه مثل[٥] ما يُحاول تقويم الخشبة بعَرضها على النار».[٦] أو تقول: «المُصلِّي يَلين ويَخشع في صلاته».[٧]

والوجه **الثالث**: أنّها «عبارة عن المُلازمة، من قوله تعالى: ﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية ٤/٨٨]، ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد ٣/١١١]. وسُمِّيَ الفرس الثاني من أفراس المُسابقة مُصلِيًّا».[٨] وأقول: حَملُ قولهم: «سَبق رسول الله وصلّى أبو بكر» على هذا المعنى أَوْلى من الحمل على المعنى الذي نقلنا عن **المُغرِب**.

قال الإمام:

الاشتقاق الذي ذكره صاحب **الكشّاف** يُفضي إلى طعن عظيم في كَون[٩] القرآن حُجّة؛ وذلك لأنّ لفظ الصلاة من أشدِّ الألفاظ شُهرة وأكثرِها دَورانًا على ألسنة المُسلمين، واشتقاقه من تحريك الصَّلَوَين من أبعد الأشياء اشتهارًا فيما بين أهل النقل، ولو جوَّزنا أن يقال: مُسمّى[١٠] الصلاة في الأصل ما ذكره ثم إنّه خفيَ واندرس حتّى صار بحيث لا يعرفه إلّا الآحاد،

---

١ ضُبطت الصاد في د بالكسر.

٢ انظر لهذا المعنى ما نُقل عن الخارْزنجي في **الكشف والبيان** للثعلبي، ٨٣/٣ (البقرة، ٣/٢)؛ وانظر: **الفائق** للزمخشري، ٣٠٩/٢. وفي مطبوعه «وقوّمتها بالصِّلاء». وأورده الرازي نقلًا عن الخارْزَنجي. انظر: **تفسير الرازي**، ٣٢/٢ (البقرة، ٣/٢). وقال ابن منظور: «الصِّلاء والصَّلى: اسم للوَقود، وقيل: هما النار». **لسان العرب**، «صلو».

٣ ن: تجعل.

٤ البيت لقيس بن زهير العبسي في **الأغاني** للأصفهاني، ١٤٩/١٧؛ **والصحاح** للجوهري، «صلو»؛ **وأساس البلاغة** للزمخشري، «دوم». وهو بلا نسبة في **الكشف والبيان** للثعلبي، ٨٣/٣ (البقرة، ٣/٢) **والفائق** للزمخشري، ٣٠٩/٢. والشطر الثاني منه ذهب مَثلًا. انظر: **مَجمَع الأمثال** للميداني، ٢٨٧/٢.

٥ ن – مثل.

٦ **تفسير الرازي**، ٣٢/٢ (البقرة، ٣/٢). وفي مطبوعه: «مثل مَن يحاول». والمعنى مع زيادة تفصيل في **الكشف والبيان** للثعلبي، ٨٣/٣ (البقرة، ٣/٢).

٧ **تفسير الكواشي**، ص ١٦١ (البقرة، ٣/٢). وانظر: **تفسير القرطبي**، ١٦٩/١ (البقرة، ٣/٢).

٨ **تفسير الرازي**، ٣٢/٢ (البقرة، ٣/٢).

٩ ن: أنّ.

١٠ ن: تسمّى.

وإِسْنادُ الرِّزْق إلى نفسه للإعْلام بأنَّهم يُنْفقون الحلالَ الطِّلْقَ الذي يَسْتَأهِلُ

لكان مِثلُه في سائر الألفاظ جائزًا؛ ولو جوَّزنا ذلك لَمَا قطعنا بأنّ مراد الله تعالى من هذه الألفاظ ما تَتبادَر أفهامُنا إليه من المعاني في زماننا هذا؛ لاحتمال[1] أنّها كانت في زمان رسول الله عليه السلام موضوعةً لمَعانٍ أُخرَ، وكان مُراد الله تعالى تلك المعاني، إلّا أنّ تلك المعانيَ خَفيتَ في زماننا واندرست، كما وقع مثلُه في هذه اللفظة، ولمّا كان ذلك باطلًا بإجماع المسلمين عُلِمَ أنّ الاشتقاق الذي ذَكره باطل مَردود.[2]

وفيما ذكره الإمام نظرٌ؛ لأنّ المَشروط أن يكون المراد من اللفظ بحيث يُعلَم وضعُه له، إمّا حقيقة أو مجازًا، وهذا المعنى اللغويّ ليس المرادَ من هذا اللفظ إنّما المراد منه المعنى، واستعمال هذا اللفظ له في عُرْف الشرع ظاهر.

قوله: (وإسناد الرزق) مصدر مضاف إلى المفعول، فاعله محذوف، أي: إسناد الله تعالى[3] الرزق، وهو مبتدأ (للإعلام)[4] خبره. و(الطِّلْق): بمعنى الحَلال؛ سُمِّيَ به؛ لعدم المنع فيه، كما سُمِّيَ الحَرام حِجْرًا؛ لأنّه ممنوع عنه. وتركيب الطاء واللام والقاف: لإزالة القيد؛ يقال: لفظ مُطلَق، وأُطلِق فلان عن الحبس،[5] وانطلق[6] بطنه، ومال[7] حلال طِلْق، ووجه / طَلْق. ومنه الطلاق، ويُستعمل في الإعتاق. و"الأهل": المُختصُّ بالشيء. قال في الصحاح: «تقول: فلان أهل لكذا، ولا تقُل مُستأهِل، والعامّة تقوله».[8] وقال في مُجمَل اللغة: «فلانٌ أهل لكذا، ولا يُقال: مُستأهِل».[9] وذُكِر في الصحاح والمُجمَل: الإهَالة: الوَدَك، وهو دسم اللحم. واستأهل الرجُل أكلها، والمُستأهِل: الذي يأخذ الوَدَك.[10] قال: [٥٥ظ]

---

١ ن: الاحتمال.
٢ تفسير الرازي، ٣٣/٢ (البقرة، ٣/٢).
٣ د - تعالى.
٤ ن: الإعلام.
٥ ن: الجيش.
٦ ن: أطلق.
٧ ن: وقال.
٨ الصحاح للجوهري، «أهل».
٩ مجمل اللغة لابن فارس، «أهل».
١٠ انظر: تهذيب اللغة للأزهري، «أهل» ٤١٧/٦؛ ومُجمَل اللغة لابن فارس، «أهل»؛ والصحاح للجوهري، «أهل».

أَنْ يُضَافَ إلى الله ويسمَّى رِزْقًا منه.

لا بَـلْ كُـلـي يـا مَـيَّ واستـأهِـلـي   إنّ الـذي أنـفـقْـتِ مِـن مـالِـيَـهْ[١]

قوله: "لا" كأنّه[٢] نَفيٌ لِمَا دلَّ الكلام السابق عليه، أي: لا أمنعكِ، بل كُلي من مالي[٣] يا ميَّة، وهي اسم امرأة، ثمّ قال: وخُذي أو كُلي من الدسَم؛ فإنّ الذي أنفقتِ من مالي وليس من مال غيري.

وإنّما أوردتُ هذه اللغة بمُستشهَده كما ذَكروا؛ ليُعلَم أنّ الاستِئهال بالمعنى الذي استَعمله المُصنِّف ليس لغة فصيحة.[٤]

قوله: **(ويُسمّى)** عطف على قوله: **(يُضاف)**[٥] قال الإمام:

> الرزق في كلام العَرب: هو الحَظُّ. قال الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة ٨٢/٥٦]، أي: حَظَّكم من هذا الأمر. والحَظُّ: هو نَصيب الرجُل، وما هو خاصٌّ له دون غيره. ثمّ قال بعضهم: الرزق: كلُّ شيء يؤكَل ويُستعمل. وهو باطل؛ لأنّ الله تعالى أمرنا أن نُنفِق ممّا رزقنا، فقال: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ [المنافقون ١٠/٦٣]، فلو كان الرزق هو الذي أُكِل لَمَا أمكن إنفاقه. وقال آخرون: الرزق: هو ما يُملَك. وهو أيضًا باطل؛

---

١ البيت لحاتم الطائي، في زيادات ديوانه، ص ٢٩١، برواية «لا تعذلي ياميّ واستأهلي». وأورده مُحقِّق الديوان فيما نُسِب لحاتم وصحّ له. وهو لحاتم في **أساس البلاغة** للزمخشري، «أهل»، لكنّه لعمرو بن أسوى في **شرح أدب الكاتب** للجواليقي، ص ٢٤٧. برواية «لا بل كُلي يا أمّ». والبيت بلا نسبة في **أدب الكاتب** لابن قتيبة، ص ٤١٢؛ و**مجمل اللغة** لابن فارس، «أهل»؛ و**الصحاح** للجوهري، «أهل».

٢ ن: لأنّه.

٣ ن – من مالي.

٤ لكنّ الزمخشري قال: «وفلان أهل لكذا، وقد استأهل لذلك، وهو مستأهل له. سمعتُ أهل الحِجاز يستعملونه استعمالًا واسعًا». **أساس البلاغة**، «أهل». قلتُ: والخلاف في تخطئة هذا الأسلوب وتصويبه قديم: خطّأه ابن قتيبة، وتبِعه في ذلك الحريري، وتعقّبه في ذلك ابن ظفر الصِقلّي وابن بَرّي والشهاب الخفاجي وردّوا كلامه، وأجازوا هذا الاستعمال. وأجازه ابن السِّكّيت -فيما نقله عنه الأزهري- وخالفه في ذلك الأزهري، ولعلّ ابن فارس والجوهري تبعاه في التخطئة فيما نقله عنهما الجاربرديُّ ههنا. انظر: **أدب الكاتب** لابن قتيبة، ص ٤١٢؛ و**تهذيب اللغة** للأزهري، «أهل» ٤١٧/٦؛ و**دُرّة الغوّاص** للحريري، ص ٨٣-٨٤؛ و**شرح دُرّة الغوّاص** للشهاب الخفاجي، ص ٨٣-٨٤؛ و**الحواشي على دُرّة الغوّاص** لابن ظفر الصِقلّي وابن بَرّي، ص ٧٣٦-٧٣٧.

٥ ن: ويضاف.

....

لأنّ الإنسان قد يقول: اللّٰهمّ ارزقني ولدًا صالحًا، أو زوجة صالحة، وهو لا يَملك الولد ولا الزوجة؛ ويقول: اللّٰهمّ ارزقني عقلًا أعيش به، والعقل ليس بمملوك. وأيضًا البَهيمة لها رِزق وليس لها مِلْك.

وأمّا في عُرف الشرع فقد اختلفوا فيه: فقال: أبو الحُسين البَصري: الرزق: تمكين الحيوان من الانتفاع بالشيء، والحَظْر على غيره أنْ يمنعه من الانتفاع به. فإذا قلنا: رُزِقنا الأموال، فمعنى ذلك: أنّا مُكِّنّا من الانتفاع بها، وإذا سألناه تعالى أنْ يَرزقنا مالًا فإنّا نقصد بذلك أن يجعلنا أخصَّ بالمال، وإذا سألناه تعالى أن يَرزق البَهيمة فإنّا نقصد بذلك أن يَجعلها به أخصّ. وإنّما تكون به أخصّ إذا أَمكنَها[١] من الانتفاع به، ولم يكن لأحد أنْ يَمنعها من الانتفاع به. واعلم أنّ المعتزلة لمّا فسّروا الرزق بذلك[٢] لا جرمَ قالوا: الحَرام لا يكون رزقًا،[٣] وقال أصحابنا: قد يكون رزقًا.[٤]

احتجّ الأصحاب: بأنّ الرزق في أصل اللغة: هو الحَظُّ والنصيب على ما بيّناه، فمن انتفع بالحَرام فذلك الحَرام[٥] صار حظًّا له ونصيبًا له، فوَجب أن يكون رزقًا له؛ وبأنّه تعالى قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود ٦/١١]، وقد يعيش الرجُل طُول عُمره لا يأكل إلّا من الحَرام، فوَجب أن يقال: إنّه طُولَ عمره لم يَأكل من رزقه شيئًا.

وأمّا المعتزلة فقد احتجّوا بوجوه: الأوّل: قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾، مدَحَهم على الإنفاق ممّا رزقهم الله، فلو كان الحَرام رزقًا لَوجب أن يَستحقوا المدح إذا أنفقوا من الحَرام، وذلك باطل بالاتفاق؛ والثاني: لو كان الحَرام رزقًا لجاز أن يُنفِق الغاصِب منه؛[٦] لقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ [المنافقون ١٠/٦٣]، وأجمعَ المُسلمون على أنّه لا يجوز للغاصب أن يُنفِق منه، بل يجب عليه ردُّه، فدلّ على أنّ الحَرام لا يكون رزقًا؛ والثالث:

---

١ د ش: أمكننا. | وأثبتُّ ما في مطبوع تفسير الرازي.
٢ انظر تعريف الرزق عند المعتزلة في الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبّار، ص ٧٨٤.
٣ انظر تفصيل هذه المسألة في المغني للقاضي عبد الجبّار، ١١/٣٥-٤٠.
٤ انظر: التمهيد للباقلّاني، ص ٣٧٠-٣٧١؛ والإرشاد للجُويني، ص ٣٦٥.
٥ ن - فذلك الحرام.
٦ ن - منه.

وأَدْخَلَ "مِن" التَّبعِيضيَّةَ صيانةً لهم وكفًّا عن الإِسْراف والتَّبْذير المنهيِّ عنه، وقَدَّمَ مفعولَ الفعل دلالةً على كونه أهمَّ؛ كأنَّه قال: ويَخُصُّونَ بعضَ المالِ الحلالِ بالتصدُّقِ به.

وجائزٌ أَنْ ترادَ به الزكاةُ المَفْروضةُ؛ لاقترانه بأُخْتِ الزكاة وشقيقتِها وهي الصلاةُ، وأنْ ترادَ هي وغيرُها من النَّفَقاتِ في سُبُلِ الخَيْر؛ ....

أنّ الله تعالى منع المُكلَّف من الانتفاع به وأمر غيره بمنعه من الانتفاع به، ومَن مُنِع مِن أَخْذ الشيء والانتفاع به لا يقال: إنّه رَزَقه إيّاه، ألا ترى[1] أنّه لا يقال: إنّ السلطان قد رَزَق جُنده مالًا / قد مَنعهم من أَخْذه.[2] [٥٦و]

وأجاب الأصحاب عن الآيتين: بأنّه كما يقال: يا خالق المُحدَثات[3] والعرش والكرسي، ولا يقال: يا خالق الكلاب والخنازير، وإن كان الكُلّ بخَلْق الله تعالى، وكما قال تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان ٦/٧٦]، فخَصَّ اسم العباد بالمُتَّقين، وإن كان الكفّار من العباد، فكذا ههنا خَصَّ اسم الرزق بالحَلال على سبيل التشريف، وإن كان الحَرام رزقًا أيضًا. وعن الثالث: بأنّ هذه المسألة مَحضُ اللغة، وهو أنّ الحَرام هل يُسمّى رزقًا أم لا؟ ولا مجال للدلائل العقلية في الألفاظ.[4]

قوله: **(وأدخلَ مِن التبعيضيّة)** هذه إشارة إلى فوائد هذا التركيب: **الأُولى**: إفادة التبعيض؛ للمَنع عن الإسراف، **الثانية**: تقديم الأهمّ؛[5] لأنّ قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ مفعول ﴿يُنفِقُونَ﴾ من حيث المعنى. وقوله: (به) يَعود إلى "البعض"، أي: يُنفِقون الحلال لا غيره.

قوله: **(أن تُراد)** مبتدأ، **(وأن تراد)** عطف عليه،[6] **و(جائزٌ)** الخبر. وهذه فائدة ثالثة للآية وهي: أنّه يجوز أن يُراد بهذا الإنفاق الزكاة، وقرينته اقترانه بذِكر الصلاة،

---

[1] د: يرى.

[2] انظر هذه الحجج مُفصّلة في المغني للقاضي عبد الجبّار، ١١/٣٥-٤٠. وأكثرها في الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبّار، ص ٧٨٦-٧٨٨.

[3] د: المُحدثات؛ هامش د: المُحدثين.

[4] انظر جميع ما مضى بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٢/٣٣-٣٤ (البقرة، ٢/٣).

[5] ن: الاسم.

[6] ن - عليه.

لِمجيئِهِ مطلقًا يَصْلُحُ أَنْ يتناولَ كلَّ مُنْفَقٍ.

وأَنْفَقَ الشيءَ وأنفدَه أخوانِ.

وعن يعقوبَ: نَفِقَ الشيءُ ونَفِدَ واحدٌ، وكلُّ ما جاء ممّا فاؤه نونٌ وعَيْنُه فاءٌ

وهما يَقترنان كثيرًا في القرآن. وأن يُراد لإطلاقها الزكاةُ وغيرها: من النفقات الواجبة، كالإنفاق على النفس، وعلى مَن يَجب عليه نفقته كالزوجة والقريب؛ ومن النفقات المَندوبة؛ فإنّ المندوب يُسمّى أيضًا إنفاقًا، لقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [المنافقون ٦٣/١٠]، وأَراد به الصدقة، لقوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ [المنافقون ٦٣/١٠].

وقوله: (**مُطلقًا**) حال من الضمير في (**لَمجيئه**). وقوله: (**يَصلحُ**) يَصلحُ أن يكون حالًا بعد حال، وأن يكون صفة[١] "مُطلقًا".

قوله: (**وأنفقَ الشيءَ**) أصل الإنفاق: إخراج المال من اليَد. وقوله: (**أخوان**)،[٢] أي: مُتشابهان.[٣] و(**يعقوب**) عند أهل اللغة إذا أُطلِق فهو ابن السِّكِّيت صاحب **إصلاح المَنطق**. يقال: نَفِق الشيء، بكسر الفاء، وكذا نَفِد، أي: فَنِيَ. يقال: نَفِق نَفاقُ القوم، أي: فَنِيَ. ونَفِق الزادُ، أي: نَفِد. ونفِقَت الدابّة إذا ماتت، أي: خرج روحها. ونفِق المَبيعُ إذا كثُر مُشتروه.[٤] ونافِقاء: إحدى جِحرة اليَربوع يَكتمها ويُظهر غيرها، وهو موضع يُرقِّقه، فإذا أُتِيَ من قِبَل القاصِعاء: وهي إحدى جِحرته التي يدخل منها،[٥] ضرب النافقاء برأسه فانتفَق، أي: خرج. وثالثة جِحرته الدامّاء: وهي التي يَدمُّها،[٦] أي: يَطليها بالتراب. تقول: نفَّق اليربوع تنفيقًا ونافق، أي: أخذ في نافقائه، ومنه اشتقاق المنافق للدِّين. والنَّفق سَرَب في الأرض له مَخلص إلى مكان آخر.[٧] وممّا "يدلُّ على معنى الذهاب والخُروج وفاؤه نون وعينه فاء": نفى،[٨] ونفَر، ونفَخ.

---

١ د – صفة.

٢ ن: أخوات.

٣ ن: متشابهات.

٤ انظر: **إصلاح المَنطق** لابن السكّيت، ص ١٩٥.

٥ ن: فيها.

٦ ن: يدنها.

٧ من قوله: "ونافقاء إحدى حجرة" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «نفق»، «دمم».

٨ ن – نفى.

فدالٌّ على معنى الخروجِ والذهاب ونحوِ ذلك إذا تأمَّلْتَ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾

فإن قلتَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ أهم غيرُ الأوَّلين، أم هم الأوَّلون وإنما وُسِّط العاطفُ كما يُوسَّط بين الصِّفات في قولك: هو الشجاع والجوادُ، وفي قولِهِ:

إلى المَلِكِ القَرْمِ وَابنِ الهُمامِ   وَلَيثِ الكَتيبَةِ في المُزدَحَمْ

وقوله: **(إذا تأمَّلتَ)** من تتمَّة كلام يعقوب.

قوله: **(فإن قلتَ:**[1] ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾**)** حاصل السؤال: الطائفة المرادة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ أوّلًا هم غير الطائفة المرادة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ ثانيًا؟ ليكون تخلُّل الواو كتخلُّلها بين الذوات المعطوفة بعضها على بعض. أو المراد بالأوّل هم المراد بالثاني؛ فيكون تخلُّل الواو بينها كتخلُّلها بين الصفات، فإنّ تخلُّل الواو وإن لم يجز بين الصفة والموصوف، لكن يجوز بين الصفات لعطف بعضها على بعض، كما في المثال المذكور، فإنّ تقديره: هو الشخص أو الرجل الشجاع والجواد. وكما في البيتين المُستشهَد بهما، وكما في قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران ٣/٣٩].

(قوله:

إلى المَلِك القَرْم وابن الهُمام   ولَيث الكَتيبة في المُزدحَم)[2]

القرم: الفحل المُكرَّم الذي لا يُحمَل عليه؛ ولذلك سُمِّيَ السيّد مِن الناس بالقَرْم.[3] والهُمام: من أسماء الملوك؛ / لعِظَم همَّتهم، وقيل: إنّما سُمِّيَ هُمامًا؛ لأنّه إذا همَّ بأمر فَعله. والكتيبة: الجيش، تقول كتَّبتُ الكتائب تكتيبًا إذا عبَّأتَها [٥٦ظ]

---

١ ن – فإن قلت.

٢ لا يُعرَف قائله. وهو بلا نسبة في معاني القرآن للفرّاء، ١/١٠٥، ٢/٥٨، ٢٨١؛ وجامع البيان للطبري، ٣/٨٩ (البقرة، ٢/١٧٧)، ١٣/٤٠٧ (الرعد، ١٣/١)؛ والإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري، ٢/٤٦٩؛ وشرح الرضي على الكافية، ١/٢٦٥، ٢/٣٣٢، ٤/٤٠؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ١/٤٥١.

٣ انظر: الصحاح للجوهري، «قرم».

وقوله:

يَـا لَـهـفَ زَيَّـابَـةَ لِـلـحَـارِثِ الصَّـ ـــصَـابِـحِ فَـالـغَـانِـمِ فَـالآيِـــبِ

وضممتَ بعضها إلى بعض فجعلتها كتيبةً كتيبةً.[١] وازدحم القوم، أي: دفع بعضهم بعضًا، والمُزدحَم: المعركة؛ لأنّها موضع المُزاحمة والمُدافعة، وداله مُبدلَة من التاء.

وقول[٢] ابن زَيّابة:[٣]

(يـا لَـهـفَ زيّـابـة لـلـحـارث الصـ ـــابـحِ فـالـغـانـمِ فـالآيـــبِ)[٤]

لَهِفَ بالكسر يَلهَف لَهَفًا، أي: حَزِنَ وتَحسَّر، وكذا التلهُّف على الشيء. وقولهم: يا لَهفَ فلانٍ، كلمةٌ يُتحسَّر بها على ما فات. وقوله:

فـلـسـتُ بـمُـدرِكٍ مـا فـات منّي[٥] بلَهْـفَ ولا بلَيـتَ ولا لَــوَ انّــي[٦]

أَراد: لَهْفَاهُ،[٧] فحَذفَ.[٨] والزَّيّابة: اسمُ أبِ القائل.[٩] والحارث:[١٠] اسمُ[١١] مَن غَزاهم وصبَّحهم وغَنِم منهم. وآبَ، أي: رَجعَ إلى قومه سالمًا. والصابح: من قولهم

---

١ ن – كتيبة. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «كتب».

٢ ن: وقوله.

٣ ن – ابن زَيّابة. | مُختلَف في اسمه: فهو عمرو بن لأيٍ، أو سَلَمة بن ذُهل، أو عمرو بن الحارث بن همّام. وزيّابة أُمّه. انظر تفصيل ذلك والكلام على البيت في **خزانة الأدب** للبغدادي، ٥/١٠٧-١١٣.

٤ البيت لابن زيّابة في **معجم الشعراء** للمرزباني، ص ٢٠٨؛ وهو من حماسيّة له في **شرح الحماسة** للمرزوقي، ١/١٤٧؛ وبلا نسبة في **شرح الرضي على الكافية**، ٢/٣٣٢.

٥ د ش: عنّي. | والمثبت من **الصحاح** والمصادر الآتية في تخريج البيت.

٦ لم أهتدِ إلى قائله. وهو بلا نسبة في **معاني القرآن** للأخفش، ١/٧٢، ٨٠؛ و**المسائل العسكريّات** لأبي علي الفارسي، ص ١٠١؛ و**كتاب الشِّعر** لأبي علي الفارسي، ص ٢٨٢؛ و**المحتسَب** لابن جنّي، ١/٢٧٧، ٣٢٣؛ و**سر صناعة الإعراب** لابن جنّي، ٢/٥٢١، ٧٢٨؛ و**الصحاح** للجوهري، «لهف»؛ و**خزانة الأدب** للبغدادي، ١/١٣١.

٧ ورد هذا المعنى تعليقًا على البيت في **معاني القرآن** للأخفش، ١/٨٠.

٨ من قوله: "لهِف بالكسر" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «لهف».

٩ وذكر هذا الطِّيبيُّ في **فتوح الغيب**، ٢/٩٧ (البقرة، ٢/٤). ولو رأى البغدادي رحمه الله كلامهما لَما قال في **خزانة الأدب**، ٥/١١٠: «وزعم ابن هشام في **المُغني** أنّ زَيّابة أبو الشاعر، ولم أره لغيره». وانظر: **مُغني اللبيب** لابن هشام، ٢/٤٨٨.

١٠ هو الحارث بن همّام الشيباني. وكان قال أبياتًا يُعرّض فيها بابن زَيّابة؛ فأجابه ابن زَيّابة بأبيات، منها البيت الذي نحن فيه. انظر: **شرح الحماسة** للمرزوقي، ١/١٤٦-١٤٧.

١١ ن – اسم.

قلتُ: يحتمِلُ أن يرادَ بهؤلاء مُؤمنُو أَهْلِ الكتاب كعَبْد الله بن سلامٍ وأَضْرابِه من الذينَ آمَنوا فاشتمَل إيمانُهم على كلِّ وَحْيٍ أُنْزِلَ مِن عند الله، وأَيْقنوا بالآخرةِ إيقانًا زالَ معه ما كانوا عليه مِن أَنَّه لا يَدْخل الجَنَّة إلَّا مَن كانَ هودًا أو نصارَى، وأَنَّ النار لنْ تمسَّهم إلَّا أيَّامًا معدوداتٍ، واجْتماعِهِم ....

صَبَّحتُ القوم، أي: أتيتُهم صَباحًا. ويجوز أن يكون إنّما ورَد هذا الكلام مُستهزَأً، ساخرًا بوصفه بهذه الصفات، وكان الأمر بخلافه. ويجوز أن يكون ذَكر ما كان منه على الحقيقة، ومعناه: يا حسرةً على زيّابة مِن أجل[1] هذا الرجُل المُصبّح عندنا والغانِم منّا والآيب إلى قومه،[2] كأنّه قال: الذي صبَّح فغنِم فرَجع. والفاء تدلُّ على ترتُّب[3] معانيها في الوجود.

قوله: (**يَحتمِل أن يُراد بهؤلاء**) أي: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾... إلخ.

قوله: (**أضرابه**) أي: أمثاله. نُقِل عن المُصنِّف في **الحواشي**: أنّ أكثر الناس على أنّ أضرابًا جمع ضَرْب بفتح الضاد، وعندي أنّه جمع ضِرْب بكسرها، فِعل بمعنى مفعول كالطِّحن بمعنى مطحون، ونحوه، وهو الذي يُضرب به مثلًا، ولا بدَّ في المضروب مثلًا والمضروب فيه من المماثلة.[4]

قوله: (**فاشتمل**) عطف على[5] (**آمنوا**) أي: لمّا آمنوا بنبيّنا عليه السلام صار إيمانهم إيمانًا مُشتملًا على الإيمان بجميع الكتب؛ لأنّهم كانوا مؤمنين بكتابهم، ثمّ آمنوا بكتابنا.[6] وقوله: (**أيقنوا**) **عطف على "آمنوا"**.

قوله: (**زال**)... إلخ، صفة (**إيقانًا**). و(**ما**) **فاعل "زال"**، و(**مِن**) **بيان "ما"**، يعني: زال الاعتقاد الفاسد الذي كانوا عليه وهو (**أنّه لا يدخل الجنّة**)... إلخ. وقوله: (**واجتماعهم**) يُروى: بالرفع عطفًا على (**ما كانوا**)، وبالجرّ عطفًا على "**أنّه**"،

---

١ ش ن: أهل.
٢ الوجهان المذكوران لمعنى البيت في شرح **الحماسة** للمرزوقي، ١/١٤٧.
٣ ن: ترتيب.
٤ وساق هذا الكلام الطيبيُّ، وصدَّره بقوله: «قال المُصنِّف». انظر: **فتوح الغيب** للطيبي، ٢/٩٨ (البقرة، ٢/٤).
٥ ن + الذين.
٦ ن: بكتابهم.

على الإِقْرار بالنَّشأَةِ الأُخْرَى وإعادَةِ الأَرْواح في الأَجْسادِ ثمَّ افتراقِهم فِرْقَتَيْن:

منهم مَن قال: تجري حالُهم في التلذُّذِ بالمطاعِم والمشارب والمناكِح على حسَب مَجْراها في الدنيا.

ودفَعَه آخَرُونَ فزَعَمُوا أن ذلك إنَّما احتيج إليه في هذه الدار من أَجل نَماءِ الأَجْسام، ولِمَكان التَّوالُدِ والتَّناسُلِ، وأَهْلُ الجنَّةِ مستَغْنُونَ عنه فلا يَتلذَّذُونَ إلّا بالنسيم والأَرْواح العَبِقَةِ والسَّماعِ اللَّذِيذِ والفرحِ والسرورِ، واختلافِهم فِي الدَّوام والانقطاع، فيكون المعطوفُ غَيْرَ المعطوفِ عليه.

يعني: قبل إيمانهم بنبيّنا محمّد عليه السلام كانوا مُتَّفقين على قيام الساعة وحشر الأجساد، لكن كانوا مُختلفين في مقامين: **الأوّل**: أنّ لذات الجنّة روحانيّة أو جسمانيّة، وإليه أشار بقوله: **(ثمّ افتراقهم)**... إلخ، **والثاني**: أنّ نعيم الجنّة دائم أو منقطع، وإليه أشار بقوله: **(واختلافهم)**... إلخ، فلمّا آمنوا بنبيّنا زال اختلافهم في المقامين، فلمّا اتَّفقوا على الحشر اتَّفقوا على وجود اللذات الجسمانيّة في الجنَّة وعلى دوامها. فقوله: "ثمّ افتراقهم" عطف على "اجتماعهم"، فيجوز فيه الرفع والجرّ.

وقوله: **(ودفعه آخرون)** عطف على قوله: **(منهم مَن قال)** من حيث المعنى، فكأنّه قال: قال بعضهم: كذا، ودفعه آخرون. وقوله: **(فزعموا)** عطف على "دفعه". وقوله: "واختلافهم" عطف على قوله: "ثمّ افتراقهم".

قوله: **(فيكون المعطوف)** عطف على قوله: **(أن يُراد)**، يعني: إذا أُريد بـ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾... إلخ، أهل الكتاب يكون المعطوف، وهو قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، غير المعطوف عليه. وبيانه من وجهين: **الأوّل**: ما ذكره الإمام وهو:

> أنّ قوله[١] تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ عامّ[٢] يتناول كلَّ من آمن بمحمّد عليه السلام، سواء كان قبل ذلك مُؤمنًا بموسى وعيسى عليهما السلام

---

[١] ن: قوله.

[٢] ن - عامّ.

ويَحتمِلُ أَنْ يُرَادَ وَصْفُ الأوَّلينَ، ووُسِّطَ العاطفُ على مَعْنَى أنهم الجامِعُونَ بينَ تلك الصفات وهذه.

[٥٧و] أو ما كان مؤمنًا بهما. ودلالة اللفظ العامّ على / بعض ما دَخل فيه أضعفُ من دلالة اللفظ الخاصّ على ذلك البعض؛ لأنّ العامّ يحتمل التخصيص والخاصّ لا يحتمله. فإذا كانت هذه السورة مدنيّة، وقد شرَّف الله تعالى المسلمين بقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، ذَكر بعد ذلك أهل الكتاب الذين آمنوا بالرسول عليه السلام كعبد الله بن سَلام وأمثاله بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾؛ لأنّ في هذا التخصيص والذِّكر مَزيد تشريف لهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة ٩٨/٢]. ثمّ في تخصيص عبد الله بن سَلام وأمثاله بهذا التشريف ترغيبٌ لأمثاله في الدِّين، فهذا هو السبب في ذكر هذا الخاصّ بعد ذلك العام.[١]

الثاني: ما ذكره الواحديُّ وهو أنّه: «قال ابن عبّاس وابن مسعود رضي الله عنهما:[٢] إنّ آيتين من أوّل السورة نزلتا في مُؤمِني العَرب، والآيتان بعدهما نزلتا في مُؤمنِي أهل الكتاب؛ لأنّه لم يكن للعَرب كتاب كانوا مؤمنين به قبل محمَّد عليه السلام».[٣]

قوله: (ويَحتمِل) عطف على قوله: "يحتمل"، يعني: يجوز أن يكون قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾... إلخ، كالوصف من حيث المعنى للذين يُؤمنون بالغيب، فتكون الطائفة الواحدة مُتَّصفة بهاتين الصفتين: وهما الإيمان بالغيب في ضمن إقامة الصلاة والإنفاق ممّا رزقهم الله، والإيمان بالكتب المُنزَّلة في ضمن الإيقان[٤] بالآخرة. وهذا الوجه ذكره الواحديُّ قال: قال مجاهد: «الآيات[٥] الأربع من أوّل هذه السورة نَزلتْ في جميع المؤمنين، سواء كانوا من العَرب أو من أهل الكتاب».[٦]

---

١ **تفسير الرازي**، ٣٥/٢ (البقرة، ٣/٢).

٢ د ن - رضي الله عنهما.

٣ **الوسيط** للواحدي، ٨٢/١ (البقرة، ٣/٢).

٤ ن: الإيمان.

٥ ن: الإيمان.

٦ **الوسيط** للواحدي، ٨٢/١ (البقرة، ٣/٢).

فإن قلتَ: فإذا أُريدَ بهؤلاء غيرُ أولئك، فهل يَدْخلون في جُمْلة المتَّقين أم لا؟

قلتُ: إنْ عطفْتَهم على ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ دَخلوا وكانَتْ صفةُ التَّقْوَى

وأقول: **فإن قلتَ**: لم يكن للعَرب كتاب كانوا مُؤمنين قبل نبيّنا عليه السلام فكيف يقال في حقِّهم: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾؟ **قلتُ**: الإيمان بالكتب المُنزلة قبل نبيّنا عليه السلام لا يتوقَّف على الإيمان به قبل مبعث نبيّنا عليه السلام؛ فإنّا مؤمنون بجميع الكتب، ويؤيده قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة ١٣٦/٢].

قوله: **(فإذا أُريدَ بهؤلاء)** اعلم أنّه لا خفاء في أنّه إذا أُريد بهؤلاء، أي: بـ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾... إلخ، أولئك الذين أُريدوا بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ فإنّه يكون ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ داخلة في جملة المُتَّقين؛ لأنّ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾... إلخ، داخلون في جملة المُتقين البتّة، وأمّا إذا أُريدَ بهؤلاء، أي: بـ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾... إلخ،[1] غير أولئك ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، فيَحتمل أن يدخل ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾... إلخ، في جملة المُتَّقين، ويَحتمل ألّا يَدخل في جُملتهم؛ فلذا خصَّ المُصنِّف السؤال بهذا التقدير.

قوله: **(إنْ عطفتَهم)** أي: إن عطفت ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾... إلخ، على ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، لا على "المتَّقين"، دخل ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾... إلخ، في جملة المُتَّقين، وكان صفة التقوى مُشتملة على الزُّمرتين اللتين هما مُؤمنو أهل الكتاب ومُؤمنو غير أهل الكتاب. وإن عطفت ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ على "المتَّقين"، لا على ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ لم يدخل ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾... إلخ، في جملة المُتَّقين؛ لأنّ المعطوف غير المعطوف عليه، فكأنّه قيل: هُدى للمُتَّقين وهُدى للذين يؤمنون بما أُنزل إليك،

---

[1] ن - داخلون في جملة المُتقين البتّة، وأمّا إذا أُريدَ بهؤلاء، أي: بـ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾... إلخ.

مشتمِلةً على الزُّمرتَين مِن مُؤمِني أَهْلِ الكتابِ وغَيْرِهم، وإن عطَفْتَهم على "المتقين" لم يدخلوا، وكأنَّه قيل: هُدًى للمتَّقين وهُدًى للَّذين يُؤمنون بما أُنزل إليْك.

فإن قلتَ: قوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ إنْ عُنِي به القرآنُ بأَسْرِهِ والشريعةُ عن آخرها فلم يكن ذلك مُنْزَلًا وَقْتَ إيمانهم، فكيفَ قيل: ﴿أُنزِلَ﴾ بلفظ المُضيِّ؟ وإن أُرِيدَ المِقْدارُ الَّذِي سَبَقَ إنزَالُه وَقْتَ إِيمانهم فهو إيمانٌ ببَعْض المُنْزَل، واشتمالُ الإيمان على الجميع سَالِفِهِ ومُتَرقَّبِهِ واجبٌ.

قلتُ: المرادُ المُنَزَّلُ كلُّه، وإنما عُبِّر عنه بلفظ المضيِّ -وإن كان بعضُه مُتَرَقَّبًا- تَغْلِيبًا للمَوْجود على ما لم يوجَدْ؛ كما يُغلَّبُ المتكلِّم على المخاطَبُ والمخاطَبُ على الغائب فيقال: أنا وأنت فعَلْنا، و: أنت وزيد تفعلان.

فيكون المُتَّقون غير الذين يؤمنون بما أُنزل إليك بالضرورة. فقوله: **(مِن مُؤمني)** بيان الزُّمرتين. وقوله: **(وغيرِهم)** عطف على قوله: **(أهل الكتاب)**، والتقدير: مِن مؤمني أهل الكتاب ومِن مؤمني[1] غيرِ أهل الكتاب. ولا يجوز أن يكون عطفًا على قوله: "مؤمني أهل الكتاب"؛ إذ يصير التقدير حينئذٍ: من مؤمني أهل الكتاب ومن / غيرهم،[2] ولا يَستقيم المعنى سواء رجع الضمير إلى المؤمنين أو [٥٧ظ] إلى أهل الكتاب؛ لأنه يكون شاملًا للكافرين، يُعرَف بالتأمُّل.

قوله: **(عُنيَ)** أي: أُريد قوله: **(والشريعةُ عن آخرها)** أي: من أوّلها إلى آخرها. وقد مرّ تحقيقه.

قوله: **(سالفِه)** أي: ماضيه. و**(مُترقِّبه)** أي: مُتوقَّعه، والضمير للمُنزَل.

قوله: **(تغليبًا)** مفعول له من قوله: **(عُبِّر)**. وهذا التغليب ظاهر الجواز خاصّة بالنظر إلى أنّ إنزاله[3] كان مُتحقِّقًا حاصلًا في السماء الدنيا، وإن لم يكن تنزيله حاصلًا في الأرض.

---

١ ن - بيان الزُّمرتين. وقوله: (وغيرِهم) عطف على قوله: (أهل الكتاب)، والتقدير: مِن مؤمني أهل الكتاب ومِن مؤمني.

٢ ن: وغيرهم.

٣ ن: إلى إنزاله.

ولأنه إذا كان بعضُه نازلًا وبعضُه مُنْتَظَرَ النُّزُولِ جُعل كأنَّ كلَّه قد نَزَلَ وانتهَى نُزولهُ، ويدلُّ عليه قولُه سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف ٣٠/٤٦] ولم يسمعوا جميعَ الكتَاب ولا كان كلُّهُ مُنْزَلًا، ولكنْ سبيلُه سبيلُ ما ذكَرنا، ونظيرُه قولُك: كلُّ ما خَطَبَ به فلان فهو فَصِيحٌ، وما تكلَّمَ بشيءٍ إلَّا وهو نادِرٌ. ولا تُريدُ بهذا الماضي منه فحَسْب دون الآتي؛ لكونه مَعْقودًا بَعْضُه ببَعْضٍ ومَرْبوطًا آتيهِ بماضِيه.

وقرأ يزيد بنُ قُطيْبٍ: "بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وما أَنْزَلَ مِن قَبْلِكَ" على لفظِ ما سُمِّي فاعلُه.

قوله: (ولأنّه) عطف على قوله: (تغليبًا). وإنّما حُذف اللام هناك ولم يُحذَف ههنا؛ لأنّه فعل الفاعل المُعلِّل دون هذا.

قوله: (جُعِل) جواب (إذا)، والجملة خبر "لأنّه". و(قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف ٣٠/٤٦]) حكاية عن الجنّ بعد ما سمعوا القرآن مِن النبيّ عليه السلام ببطن[١] النخل.

قوله: (ما تكلَّم بشيء) "ما" فيه نافية. و(هو)... إلخ، جملة معطوفة على قوله: (كلُّ ما خَطب به فلان فهو فصيح)[٢] وهما جملتان مَقولان للقول.

قوله: (ولا تريد) حال مِن الضمير المُخاطب في قولك، أي: تقولُ غير مُريد.

قوله: (ونظيره) أي: نظير ما قلنا، من أنّه نزَّل غير الواقع بمنزلة الواقع.[٣]

قوله:[٤] (بهذا) أي: بقولك. وقوله: (الماضيَ) مفعول "تريد". وقوله: (لكونه) مُتعلِّق بقوله: (لا تريد). و"قراءة يزيد بن قُطَيب"[٥] شاذّة.[٦] قال الإمام:

---

١ ن: بنطق.

٢ ن: صحيح.

٣ د – قوله: (ونظيره) أي: نظير ما قلنا، من أنّه نزَّل غير الواقع بمنزلة الواقع. | وجاءت في هامش د ش على أنّها تعليق، لا على أنّها من المتن.

٤ ن – قوله.

٥ ن: قطب.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن يزيد بن قُطيب واليماني وعُبيد بن عُمير وابن مِقسم والزعفراني. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٨؛ **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٣٧٥.

وفي تقديم ﴿الآخرة﴾ وبناءِ ﴿يُوقِنُونَ﴾ على ﴿هُمْ﴾ تَعرِيضٌ بأهل الكتابِ

المراد من إنزال الوحي وكونِ القرآن مُنْزَلًا ومُنَزَّلًا ومَنْزُولًا به: أنّ جبرئيل[1] سَمِع في السماء كلام الله تعالى فنزل به على رسول الله عليه السلام، وهذا كما يُقال: نزلتْ رسالةُ الأمير مِن القَصر، والرسالة لا تَنزل، ولكنّ المُستمِع سَمع الرسالة في عُلْو فنَزل ويُؤدِّي في سِفل، وقول الأمير لا يُفارق ذاته، ولكنّ السامع يَسمع فيَنزل ويُؤدّي بلفظ نفسه، ويقال: فلان ينقُل الكلام إذا سَمِع في موضع آخر. فإن قيل: كيف يَسمع جبرئيل[2] عليه السلام كلام الله تعالى، وكلامه ليس من الحروف والأصوات عندكم؟ قُلنا:[3] يَحتمل أن يَخلق الله تعالى له سَماعًا لكلامه، ثمّ أَقدره على عبارة يُعبّر بها عن ذلك الكلام القديم، ويجوز أن يكون الله تعالى خلق في اللوح المحفوظ كتابةً بهذا النظم المخصوص، فقرأه جبرئيل[4] عليه السلام، فحفِظه، ويجوز أن يَخلق أصواتًا مُقَّطعة بهذا النظم المخصوص في جسم مخصوص فتلقَّفه جبرئيل[5] عليه السلام، ويَخلق له عِلمًا ضروريًا أنه هو العبارة المؤدية لمعنى ذلك الكلام القديم.[6]

قوله: (**وفي تقديم "الآخرة"**) أفاد تقديم ﴿بِٱلْأَخِرَةِ﴾ أنّ إيقانهم مقصور على أنّه إيقان بالآخرة لا بغيرها. وتقديم ﴿هُمْ﴾ أفاد أنّ هذا القَصْر مُختصٌّ بهم، فيكون إيقان غيرهم بالآخرة إيقانًا بغيرها.[7]

قوله: (**تعريضٌ بأهل الكتاب**) أي: تعريض بما كانوا، وذِكر قوله: "بأهل الكتاب" توطِئة وتمهيد، وهذا مثل ما قال المُصنِف في قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة ٩/٢] هو مثل قولهم: أعجبني زيد وكرمُه، فيكون المعنى: يُخادعون الذين آمنوا.

---

١ ش ن: جبريل.
٢ ش ن: جبريل.
٣ ن: قلت.
٤ ش ن: جبريل.
٥ ش ن: جبريل.
٦ **تفسير الرازي**، ٣٦/٢ (البقرة، ٤/٢).
٧ ن: بغيرهم.

ويما كانوا عليه من إثباتِ أَمْرِ الآخرةِ على خلافِ حقيقتِهِ، وأنَّ قولَهم ليس بصادرٍ عن إيقانٍ، وأنَّ اليَقِينَ ما عليه مَن آمَنَ بما أُنزل إليك وما أُنزِلَ مِن قبلك.

قوله: **(على خلاف حقيقته)** هو اعتقادهم أنّ لذّات الجنّة ليست بجسمانيّة،[١] وأنّها لا تدوم.

قوله: **(وأنّ قولهم)** عطف على **(ما كانوا)**، والمراد بقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍ﴾ [آل عمران ٣/٢٤]، و﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة ٢/١١١].

قوله: **(وأنّ اليقين)**[٢] عطف على قوله: "تعريضٌ"، أي: فيما ذكرنا تعريض بما ذكرنا، وبيانُ أنّ اليقين ما عليه مَن آمن. ولا يجوز أن يكون قوله: "وأنّ اليقين" عطفًا على قوله:[٣] "بأهل الكتاب" ولا بالمعطوفات[٤] عليه؛ إذ ليس في التقديم المذكور تعريضٌ بأنّ اليقين ما عليه من آمن بل هو مُصرَّح به.

وهنا بحث لا بُدّ من ذِكره لتحقيق معنى التعريض، فنقول:[٥] الكناية: هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذِكر ما يَلزمه ليُنتقل[٦] من المذكور إلى المتروك. كما تقول: فلان طويل النِّجاد، لِيُنتقل منه إلى ما هو مَلزومه وهو طول القامة.[٧]

وهو على ثلاثة أقسام: **الأوّل**: الكناية المطلوب بها نفس الموصوف: وهي أن يتّفق في صفة من الصفات / اختصاص بموصوف مُعيَّن عارض، [٥٨و] فيذكر تلك الصفة مُتوصِّلًا بها إلى ذلك الموصوف، مثل أن تقول: جاء المِضياف، وتُريد زيدًا، لِعارض اختصاصٍ للمِضياف بزيد. **والثاني**: الكناية المطلوب بها نفس الصفة، مثل أن تقول: فلان طويل نجاده، تُريد طول قامته. **والثالث**: الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف،

---

١ ش: جسمانيّة.

٢ ن: المتقين.

٣ ن – "تعريضٌ"، أي: فيما ذكرنا تعريض بما ذكرنا، وبيانُ أنّ اليقين ما عليه مَن آمن. ولا يجوز أن يكون قوله: "وأنّ اليقين" عطفًا على قوله.

٤ ن: بالمعطوف.

٥ ن: فتكون.

٦ ن: التنقُّل.

٧ **مفتاح العلوم** للسّكّاكي، ص ٥١٢.

والمراد بالتخصيص: التقييد لا الحصر، وبالكناية الكنايةُ في نفس الإثبات[١] لا في طرفيه، كما في القسم الأوّل والثاني، وذلك أنّهم يتركون التصريح بإثبات الوصف للموصوف، ويُثبتونه لِمَا له به تعلُّق إثباتَ السماحةِ والمروءة والندى للقُبَّة بكونها فيها مع تخصيص ضربها بابن الحَشرَج في قول زياد الأعجم:

إنّ السماحة والمُروءة والندى ··· في قُبّة ضُرِبتْ على ابن الحَشرَجِ[٢]

فإنّه حين[٣] أراد ألّا يُصرّح بتخصيص السماحة والمروءة والندى بابن الحَشرَجِ جَمعَ السماحة والمروءة والندى في قُبّة، ثمّ جَعل القُبّة مضروبة على ابن الحَشرَج.

إذا عرفتَ ذلك فنقول: الكناية في القسم الثاني والثالث تارة تكون مَسُوقة لأجل الموصوف المذكور، كما تقول: فلان يُصلّي ويُزكّي، وتتوصّل بذلك إلى أنّه مُؤمِن؛ وفلان يَلبَس الغِيار[٤] وتُريد أنّه يهوديٌّ، وتارة تكون مَسُوقة لأجل موصوف غير مذكور، كما تقول في عُرض مَن يُؤذي المُؤمنين: المُؤمِن هو الذي يُصلّي ويُزكّي ولا يُؤذي أخاه المُسلم، وتتوصَّل بذلك إلى نفي الإيمان عن المُؤذي، وكقوله[٥] تعالى في عُرض المنافقين: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، بمعنى: يُؤمِنون مع الغَيبة عن حضرة النبيّ عليه السلام أو عن جماعة المسلمين، على معنى: هُدى للذين يُؤمِنون عن إخلاص، لا للذين[٦] يُؤمِنون عن نِفاق.

وإذا علِمتَ ما ذكرنا فنقول: متى كانت[٧] الكناية عُرضيّة على ما عَرفتَ يُطلق اسم التعريض عليها، فالتعريض على[٨] هذا نوعٌ من الكناية، وهو الكناية

١ ن: الإتيان.

٢ في ديوانه، ص ٤٩؛ وهو له في دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٣٠٦، مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٥١٧، والإيضاح للقزويني، ص ٤٦٢، والتبيان للطِّيبي، ص ٢١٧؛ وبلا عزو في الكشّاف للزمخشري، (الزمر، ٥٦/٣٩)، ونهاية الإيجاز للفخر الرازي، ص ١٦١.

٣ ن – حين.

٤ سيأتي تفسيره في الكلام على حدّ الكفر في الآية السادسة من سورة البقرة.

٥ ن: قوله.

٦ ن: الذين.

٧ د: كان؛ هامش د: كانت.

٨ ن – فالتعريض على.

....

المطلوب بها نفس الصفة، أو تخصيص الصفة بالموصوف، إذا كانت مَسُوقة لأجل موصوف غير مذكور، وإذا لم تكن الكناية عُرضيّة فإن كانت ذات مسافة بينها وبين المُكنّى عنه مُتباعدة لِتوسُّط[1] لوازم، كما في "كثير الرَّماد" وأشباهه، كان إطلاق اسم التلويح عليها مناسبًا؛ لأنّ التلويح: هو أن تُشير إلى غيرك عن بُعد، وإن كانت[2] ذات مسافة قريبة، مع نوع من الخفاء، كنحو "عريض القَفا" كان إطلاق اسم[3] الرمز عليها مُناسبًا؛ لأنّ الرمز: هو أن تُشير إلى قريب منك على سبيل الخُفية. قال:

رَمَـزَتْ إلـيَّ مَخافة مِـن بَعلها من غير أنْ تُـبدي هـناك كَلامها[4]

وإن كانت لا مع نوع من الخفاء، كقول أبي تمّام:

أَبـيْـنَ فما يَــزُرْنَ سـوى كـريـمٍ وحسـبُكَ أن يَـزُرنَ أبـا سـعيدِ[5]

فإنّه في إفادة كرم أبي سعيد غيرُ خافٍ، كان إطلاق اسم الإيماء والإشارة عليها مناسبًا.[6]

هكذا ذكر في **المِفتاح**. ثمّ قيل فيه: «التعريض تارة يكون على سبيل الكناية، وأخرى على سبيل المَجاز: فإذا قلتَ: آذيتَني؛ فستَعرف، وأردتَ المُخاطَب ومع المُخاطَب إنسانًا آخرَ،[7] مُعتمِدًا على قرائن الأحوال، كان من القبيل **الأوّل**؛ وإن لم تُرد إلّا غيرَ المُخاطَب،[8] كان من القبيل **الثاني**. فتأمّلْ».[9] ولأنّ التعريض قد يكون

---

١ ن: التوسُّط.

٢ ن: كما كانت.

٣ ن – اسم.

٤ لم أهتدِ إلى قائله. وهو بلا عزو في كتاب **الغريبين** للهروي، ٣/٨٣٠؛ و**أمالي المُرتضى**، ١/٤٥٥. وفيهما برواية «من غير أن يبدو هناك كلامُها»؛ و**مفتاح العلوم** للسَّكّاكي، ص ٥٢١.

٥ البيت في **شرح ديوان أبي تمّام** للتبريزي، ٤/٦٣٧. وجاء في قسم الزيادات المشكوك في صحّة نسبتها إلى أبي تمّام. وهو له في **دلائل الإعجاز** للجرجاني، ص ٣١٣؛ و**مفتاح العلوم** للسَّكّاكي، ص ٥٢١. وأبو سعيد المذكور هو محمّد بن يوسف الثغري، أحد قوّاد المأمون، مدحه أبو تمّام بجملة من شعره.

٦ انظر: **مفتاح العلوم** للسَّكّاكي، ص ٥١٣-٥٢٢.

٧ يقصد: وأردتَ مع المُخاطَب إنسانًا آخرَ.

٨ ن – ومع المُخاطب إنسان آخر، مُعتمِدًا على قرائن الأحوال، كان من القبيل **الأوّل**، وإن لم تُرِد غير المُخاطَب.

٩ **مفتاح العلوم** للسَّكّاكي، ص ٥٢٣.

والإيقانُ: إتْقانُ العلم بانتفاءِ الشكِّ والشُّبْهةِ عنه.

على سبيل الكناية وقد لا يكون، والكناية قد تكون على سبيل التعريض وقد لا تكون؛ فكلٌّ منهما أعمُّ من الآخر مِن وجه.

قوله: (والإيقان: إتقان العِلم بانتفاء الشكّ والشبهة عنه) إتقان الأمر: إحكامه، والمراد بالعِلم هنا: حُصول صورة الشيء في العقل.[١] أعمّ من الجازم وغير الجازم؛ ليَصحَّ انتساب الإتقان إليه. ومعنى انتفاء الشكّ عن ذلك العلم: أن يَرتفع احتمال / النقيض فيصير جازمًا. يقال: يَقِنتُ الأمر بالكسر يَقَنًا وأَيقنتُه[٢] [٥٨ظ] واستيقنتُه[٣] وتيقَّنتُه، كلُّه بمعنى. قال الإمام:

> اليقين: هو العِلم بالشيء بعد أن كان صاحبه شاكًّا فيه؛ فلذلك لا يقول القائل: تيقَّنت وجودَ شيء في نفسي، وتيقَّنتُ أنّ السماء فوقي؛ لِما كان العِلم به غير مُستَدرك. ويقال ذلك في العِلم الحادث بالأمور، سواءٌ كان ذلك العِلم ضروريًا أو استدلاليًا: فيقول القائل: تيقَّنتُ ما أردتَه بهذا الكلام، وإن كان قد عَلِم مُراده بالاضطرار،[٤] ويقول: تيقَّنتُ أنّ الإله واحد، وإن كان قد عَلِمه بالاكتساب؛ ولذلك[٥] لا يُوصَف الله تعالى بأنّه يتيقَّنَ الأشياء.[٦]

وقال الواحديُّ: «اليقين: هو العِلم الذي يَحصُل بعد استدلال ونظَر، ولا يَجوز أن نُسمِّيَ عِلَم الله تعالى يقينًا؛ لأنّ علمه لم يَحصُل عن استدلال ونظَر».[٧] وقال في الحُجّة:

> كلُّ يقين عِلم وليس كلُّ عِلم يقينًا؛ وذلك أنّ اليقين كأنّه عِلم يحصل[٨] بعد استدلال ونظَر؛ لغموض المنظور فيه، أو لإشكالِ ذلك على الناظر.

---

١ وهو تعريف الحكماء، وله تعاريف أخرى. انظر هذا التعريف وغيره في شرح المقاصد للتفتازاني، ١/١٩٤؛ والتعريفات للسيّد الشريف الجرجانيّ، ص ١٣٠.

٢ ن - وأيقنتُه.

٣ د: واستقنته.

٤ ن: بالاستطراد.

٥ ن: كذلك.

٦ تفسير الرازي، ٢/٣٦ (البقرة، ٢/٤). وفي مطبوعه: «تيقَّنتُ وجود نفسي».

٧ الوسيط للواحدي، ١/٨٢ (البقرة، ٢/٤).

٨ د - يحصُل.

و﴿الآخرةُ﴾: تأنيثُ الآخِرِ الذي هو نقيضُ الأوَّل، وهي صفةُ الدارِ بدليل قوله: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ [القصص ٨٣/٢٨]، وهي مِنَ الصفاتِ الغالبة وكذلك الدُّنيا.

وعن نافعٍ أنَّه خَفَّفَها بأنْ حَذَفَ الهَمْزةَ وأَلْقَى حركتَها على اللام؛ كقوله: "دَابَّةُ لَرْضِ".

وقرأ أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِيُّ: "يؤقنون" بالهَمْز، جَعَل الضمَّةَ في جارِ الواوِ كأنَّها فِيها فقَلَبَها قَلْبَ واوِ "وُجوه" و"وُقِّتَتْ"، ونحوُه:

لَحَبَّ المُؤْقِدَانَ إلَيَّ مُؤْسَى وَجَعْدَةُ إذْ أَضَاءَهُمَا الوَقُودُ

يُقَوِّي ذلك قولُه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام ٧٥/٦]، ثمّ ذكر بَعدُ ما كان مِن نظَره واستدلاله. فليس كلُّ عِلم يقينًا؛ لأنّ مِن المعلومات ما يُعلَم من غير أن يَعرِض فيه توقُّف أو مَوضع نظَر، نحو ما يُعلَم ببدائه[1] العُقول والحواسّ.[2]

قوله: (وهي صفة الدار) وسُمِّيتَ بذلك؛ لأنّها متأخرة عن الدنيا، وقيل للدنيا: دنيا؛ لأنّها أدنى من الآخرة.

قوله: (جَعلَ الضمّة في جار الواو)، يعني: القياس قَلبُ الواو المضمومة همزة، وأمّا الواو الساكنة المضموم ما قبلها فليس قلبُها همزة قياسًا، لكن قُلِبت هنا؛ لأنّه جُعِلت الضمّة على ما قبل الواو الساكنة كالضمّة على الواو، فقُلِبت همزة. وواو ﴿يُوقِنُونَ﴾ مُنقلِبة عن الياء؛ لسكونها وانضمام ما قبلها. قال جرير:

(لَحَبَّ[3] المُؤْقِدان إلَيَّ مُؤْسى وجَعدةُ إذ أضاءَهما الوُقودُ)[4]

حَبَّ، أي:[5] صار محبوبًا جدًّا. ومُؤْسى وجَعدة ابنا جرير، وهما عطف بيان لـ"المُؤْقدان"، كانا يُوقدان[6] نار القِرى، والعَرب كلُّهم يَصفونهما بالسخاء والجُود.

---

١ ن: ببذله.

٢ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢٥٦/١.

٣ ضُبِطت الحاء في د بالضمّ والفتح.

٤ ضُبِطت الواو في د بالضمّ والفتح. | البيت في **ديوان جرير**، ٢٨٨/١، والرّواية فيه:
لَحَبَّ الواقدان إلَيَّ مُوسى
وجَعدةُ لو أضاءَهما الوُقودُ
وصدره بلا عزو في **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢٣٩/١؛ ولجرير في **المحتسَب** لابن جنّي، ٤٦/١. وانظر تفصيل الكلام على البيت في **شرح أبيات المغني** للبغدادي، ٧٦/٨-٨٠.

٥ ن - أي.

٦ ن - كانا يُوقدان.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ الجملةُ في محلِّ الرفعِ إن كان ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ مبتدأً، وإلَّا فلا محلَّ لها.

ونَظْمُ الكلام على الوَجْهيْن: ....

هكذا روى سيبويه البيت،[١] بقلب الواو في "المؤقدان" و"مُؤْسى" همزة. والوُقود بالضم المصدر بمعنى: الإيقاد، والوَقود بالفتح: ما يُوقَد به، وهنا بالضمّ أولى.

يعني: لمّا أضاء الوُقودُ مُؤسى وجَعدة ورأيتُهما صارا محبوبين إليَّ جدًّا. وقيل: كأنّ القائل طَرق المُوقِدين ليلًا، فأضافاه وأوقدا له النار ليَصطليَ به؛ فمدحهما لذلك.[٢]

قوله تعالى:[٣] **﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾**.

اعلم أنّ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ خبره، وهذه الجملة خبر قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، إن قلنا: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ مبتدأ، و﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ عطف عليه.

قوله: (**وإلّا**) أي: وإن لم يكن ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ مبتدأً.[٤] بل نقول: هو[٥] صفة المُتَّقين، و﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ﴾ عطف عليه، فلا محلَّ لهذه الجملة، وهو قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾؛ لأنّه يكون جملة مُستأنَفة.

قوله: (**ونظمُ الكلام على الوجهين**)، يعني: على أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ مبتدأ، وألّا يكون مبتدأ بل يكون صفة، يريد أن يُبيّن أنّ في هذا الموضع استئنافًا. وتقريره مَوقوف على مُقدِّمة، وهي أنّا قد ذكرنا أنّ الجملة متى نَزلتْ في كلام المُتكلِّم مَنزلة الجملة العاريَة عن المعطوف عليها، كما[٦] إذا أُريد بها القطع عمّا قبلها، لا يجوز إدخال العاطف.[٧]

---

١ لم أجده في كتاب سيبويه.

٢ ن: كذلك.

٣ د ش - تعالى.

٤ ن - و﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ عطف عليه. قوله: (وإلّا) أي: وإن لم يكن ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ مبتدأ.

٥ ن: هي.

٦ ن: وكذا. | في هامش ن أنها "كما" في المفتاح.

٧ انظر: مفتاح العلوم للسّكّاكي، ص ٣٦٠.

....

فنقول لتمام تقريره: الحالة المقتضية للقطع نوعان: **أحدهما: أن يكون للكلام السابق حُكم وأنت لا تريد أن تُشرِكه الثانيَ في ذلك فتَقطعه، ويُسمّى هذا النوع قطعًا،** / **وثانيهما: أن يكون معنى الكلام السابق كالمُورِد للسؤال، فيُنزَّل هذا السؤال مَنزلةَ الواقع، ويُراد بالثاني أن يكون جوابًا له، فيُقطع لذلك، ويُسمّى هذا النوع استئنافًا.**[1] [٥٩و]

أمّا القطع فقسمان:

القسم[2] **الأوّل**: أن يكون على وجه الاحتياط، وذلك إذا كان قبل الكلام السابق الذي لا تُريد أن تُشرِكه الثانيَ كلامٌ يجوز العطف عليه، فيُقطع[3] للاحتياط، كقول الشاعر:

وتَظُنُّ سَلمى أنّني أَبغي بها بَدلًا أَراها في الضَلال تَهيمُ[4]

ترك العاطف مع إمكان العطف على "تظنُّ"؛ لئلّا يَحسَب السامع العطف على "أبغي" دون "تظُنُّ"؛ فيُجعل "أراها في الضلال تَهيمُ" مِن مَظنونات سَلمى في حقّ الشاعر، وليس بمراد، إنّما المراد أنّه حُكْم الشاعر عليها بذلك.

والقسم **الثاني**: أن يكون على وجه الوُجوب، وهو ألّا يُوجَد[5] قبل الكلام السابق كلام يَصحُّ العطف عليه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۞ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة ١٤/٢-١٥]، لم يُعطَف ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾؛ لأنّه لو عُطِف لكان المعطوف عليه إمّا جملةُ ﴿قَالُوٓا۟﴾، وإمّا جملةُ ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾. لكن لو عُطِف على ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ لشاركه في حُكمه، وهو كونه من قولهم، وليس[6] هو بمراد. ولو عُطِف على ﴿قَالُوٓا۟﴾

---

[1] انظر: مفتاح العلوم للسّكّاكي، ص ٣٦٠-٣٦١.

[2] ن – القسم.

[3] ن: فيتقطع.

[4] لا يُعرَف قائل هذا البيت. وهو بلا نسبة في مفتاح العلوم للسّكّاكي، ص ٣٧٠؛ والإيضاح للقَزويني، ص ٢٥٥؛ ومَعاهد التنصيص للعباسي، ٢٧٩/١.

[5] د: لا يوجد.

[6] ن – وليس.

....

لشاركه في اختصاصه بالظرف المُقدَّم، وهو ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾، وليس الاختصاص مُرادًا؛ فإنّ استهزاء الله تعالى[١] بهم مُتصِلٌ لا ينقطع خلَوا إلى شياطينهم أو لم يخلوا.

وأمّا الاستئناف فكقول الشاعر:

بَكِّي على قتلى العِدان فإنّهم كانوا على الأعداء نارَ مُحرِّقِ
طالتْ إقامتُهم ببَطن بَرامِ ولقومهمْ حَرَمًا مِن الأحرامِ[٢]

قَطَع "كانوا"؛ لأنّه حين[٣] أمرها بالبكاء كأنّه توهَّمها قالت: لِمَ أبكيهم؟ أو كيف أبكيهم؟ صِفهم لي، كيف كانوا؟ فقال مجيبًا: كانوا على الأعداء نارَ مُحرِّق.[٤]

إذا عرفتَ ذلك فنقول: إذا قدَّرتَ تمام الكلام للمُتَّقين وجعلتَ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ مبتدأ فإنّما لم يُعطَف ليكون استئنافًا، أي: جوابَ سائل يقول: ما بالُ المُتَّقين اختصُّوا بأن صار الكتاب الموصوف بالصفات المذكورة هُدًى لهم لا لغيرهم؟ فأُجيبَ بجواب اشتمل[٥] على ذِكر صفاتهم المُقتضية لاختصاصهم بما اختصُّوا به. وإذا جعلت ﴿ٱلَّذِينَ﴾ صفة المتَّقين و﴿ٱلَّذِينَ﴾ عطفًا على ﴿ٱلَّذِينَ﴾، فإنّما لم يُعطَف ليكون من قبيل الاستئناف أيضًا،

---

١ د - تعالى.

٢ البيتان لجوّاس بن القَعطل الكلبي في **الأشباه والنظائر** للخالديَّين، ١٣١/٢؛ و**ديوان بني كلب بن وبرة**، ٤٦٠/١-٤٦١. والرِّواية فيهما: «قتلى القبور»، و«نار حفيظة». وهما لرجل من بني أسد بالرِّواية التي أوردها المُصنِّف ههنا في **شرح الحماسة** للمرزوقي، ٨٦٥/٢. وليسا في **ديوان بني أسد**. وهما بلا نسبة في **مفتاح العلوم** للسَّكّاكي، ص ٣٧٣. والعدان: ضُبِطت بكسر العين وفتحها: اسم قبيلة أو موضع أو ساحل البحر. وبَرام: موضع. ومُحرِّق: عمرو بن هند، أحرق بني تميم فسُمِّيَ مُحرِّقًا. وحَرَمًا، أي: موضع أمن. انظر: **شرح الحماسة** لأبي القاسم الفارسي، ٣٩٨/٢؛ و**شرح الحماسة** للتّبريزي، ١٧٢/٢؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «عدن».

٣ ن: خبر.

٤ من قوله: "الحالة المقتضية للقطع نوعان" إلى هنا بلفظ قريب في **مفتاح العلوم** للسَّكّاكي، ص ٣٧٠-٣٧٣.

٥ ن: مشتمل.

أنك إذا نَوَيْتَ الابتداءَ بـ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ فقد ذهبتَ به مَذْهبَ الاستئناف، وذلك أنَّه لمَّا قيل: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فاختُصَّ المتقون بأنَّ الكتابَ لهم هُدًى، اتَّجهَ لسائل أن يَسألَ فيقول: ما بالُ المتقين مخصوصين بذلك؟ فوقعَ قولُه: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ إلى ساقته كأنَّه جوابٌ لهذا السؤال المقدَّر.

«فكأنَّ قائلًا قال: ما للمُتَّقين الجامعين بين الإيمان بالغَيب في ضمن إقامة الصلاة والإنفاق ممّا رزقهم الله، وبين[1] الإيمان بالكتب المُنزَّلة في ضمن الإيقان بالآخرة،[2] اختصُّوا بهُدًى لا يُكتَنه كُنهه[3] ولا يقادَرُ قَدرُه، مقولًا في حقِّهم: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ﴾، بتنكير هُدًى؟ فأُجيبَ: بأنَّ أولئك الموصوفين غيرُ مُستبعَد ولا مُستبدَع أن يفوزوا دون مَن عداهم بالهُدى عاجلًا وبالفلاح آجلًا».[4]

فقوله: **(فقد ذهبتَ به)** الباء فيه للتعدية، وهو جواب **(إذا)**، فكأنّه قال: إذا ابتدأتَ بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فإنّما لم يُعطف؛ لأنّه جُعِل[5] مُستأنفًا.

قوله: **(وذلك)** إشارة إلى بيان الاستئناف.

قوله: **(فاختُصَّ)** عطف على **(قيل)**. وقوله: **(اتَّجه)** جواب **(لمّا)**. يقال: اتَّجه له،[6] أي: سَنَح وظَهر.

قوله: **(فيقول)** عطف على **(يَسأل)**.

قوله: **(مَخصوصين)** حال من المُتَّقين؛ لأنّه في معنى الفاعل.

قوله: **(فوقع)** عطف على قوله: "اتَّجه"، فكأنّه قال: لمّا كان قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ مَوضِعًا يَتوجَّه فيه السؤال جُعل السؤال المُتوجِّه كالواقع، فوقع قوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ كالجواب له. و"الساقة": الآخِر، وساقة الجيش: / آخِره، كأنّه جَمعُ [٥٩ظ] سائق، كقادة في قائد.

---

[1] ن - بين.
[2] ن: إلى الآخرة.
[3] كُنْهُ كلّ شيء: قدْره ونهايته وغايته. **لسان العرب** لابن منظور، «كنه».
[4] **مفتاح العلوم** للسّكّاكي، ص ٣٧٤.
[5] ن: خبر.
[6] ن - له.

وجيءَ بصفة "المتقين" المنطَوِيَةِ تحتَها خصائصُهم التي استَوجبوا بها من الله أَنْ يَلْطُفَ بهم ويَفْعلَ بهم ما لا يَفعل بمَن ليسُوا على صِفَتِهم؛ أي: الذين هؤلاءِ عقائدُهم وأعمالُهم أَحِقَّاءُ بأَنْ يَهْديَهم اللهُ ويُعْطِيَهم الفلاحَ.

ونظيرهُ قولك: أحبَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأنصارَ الذينَ قارَعُوا دونه وكشفوا الكُرَبَ عن وجههِ أولئك أهلٌ للمحبَّة.

قوله: **(وجيء)** عطف على **(فوقع)**.

قوله: **(تحتها)** أي تحت تلك الصفة.

قوله: **(استوجبوا)** على مَذهبه،[1] وعلى مَذهب أهل السُّنة استحقُّوا،[2] و**(أن يَلطُف)** مفعول "استوجبوا".

قوله: **(أي: الذين)** تفسير لكيفيّة وقوع قوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ إلى ساقته، جوابًا لهذا السؤال المُقدَّر. و"العقائد": جمع عقيدة، وهو الاعتقاد. وقوله: **(هؤلاء)** إشارة إلى الإيمان بالغيب، والإيمان بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، فإنّه يجوز أن يُشار بـ"هؤلاء" إلى غير العقلاء، كما جاء الإشارة بـ"أُولئكَ". قال:

ذُمّ المَنازل بعد مَنزِلة اللِّوى والعيشَ بعد أولئك الأيّامِ[3]

قوله: **(أَحِقّاء)** خبر **(الذين)**. يقال: هو حقيقٌ به ومَحقوق به، أي: خليق به، والجمع أحِقّاء ومَحقوقون.

قوله: **(الذين)** مبتدأ **(أولئك أهلٌ للمحبة)**[4] خبره. ولم يُعطَف "الذين"... إلى آخره؛ لأنّه جواب سؤال يَتوجَّه عند قوله: **(أَحبَّ رسولُ الله الأنصارَ)**،

---

[1] انظر في معنى اللطف عند المعتزلة ومذاهبهم فيه: **المغني** للقاضي عبد الجبّار، ١٣/٣-٨؛ **والأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبّار، ص ٧٧٩.

[2] انظر في معنى اللطف عند أهل السنّة والردّ على مذهب المعتزلة فيه: **الإرشاد** للجويني، ص ٣٠٠-٣٠١.

[3] البيت لجرير في **ديوانه**، ٩٩٠/٢. برواية «بعد أولئك الأقوام»، ولا شاهد في هذه الرِّواية؛ لأنّ "أولئك" أشير بها إلى عاقل. والبيت بلا نسبة في **جامع البيان** للطبري، ٥٩٩/١٤ (الإسراء، ٣٦/١٧)؛ **والصحاح** للجوهري، ٢٥٤٤/٦ «باب الألف اللينة». وهو لجرير في **النُّكت والعيون** للماوردي، ٢٤٤/٣ (الإسراء، ٣٦/١٧)؛ **والمُفصَّل** للزمخشري، ص ١٨٠. وجاء في هذه المصادر جميعها بالرِّواية التي أوردها المُصنِّف ههنا، وشاهدًا على ما ساقه له.

[4] ن: المحبة.

وإنْ جعلتَه تابعًا لـ"المتقين" وقع الاستئناف على ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، **كأنّه قيل: ما للمستقلّين بهذه الصفات قد اختُصُّوا بالهدى؟ فأجيب: بأن أولئك الموصوفين غيرُ مستبعَدٍ أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلًا وبالفلاح آجلًا.**

واعلَمْ أنّ هذا النوعَ من الاستئناف يجيءُ تارةً بإعادةِ اسمِ مَن استُؤنِف عنه الحديث كقولك: "قد أحسنتَ إلى زيد، زيدٌ حقيقٌ بالإحسان".

وتارةً بإعادةِ صفته كقولك: "أحسنتَ إلى زيدٍ، صديقُك القديمُ أهلٌ لذلك منك"، فيكون الاستئنافُ بإعادةِ الصفةِ أحسنَ وأبلغَ؛ ....

وذلك السؤال أن يقال: لِمَ أحَبَّهم؟ و"المُقارَعة": المُقاتَلة، ومُقارعة الأبطال: قَرْعُ بعضهم بعضًا. والكُربة بالضمّ: الغمُّ الذي يأخذ بالنفس، **والجمع (الكُرَب)**.[١] شُبِّهتْ بالشيء المطروح على الوجه، المانع من خروج النفَس، فلذا قال: **(عن وجهه)**.

قوله: **(وإن جعلتَه)** شرطٌ جزاؤه قوله: **(وقع)**. وقوله: **(كأنّه)**... إلخ، تحقيق للسؤال.[٢] وقوله: **(قد اختُصُّوا)** حال من قوله: **(المُستقلّين)**. وقوله: **(فأُجيبَ)** عطف على قوله: **(قيل)**. وقوله: "وإنْ جعلتَه"... إلخ، عطف على قوله: **(إذا نويتَ)**... إلى آخره.

قوله: **(مِن الاستئناف)** "مِن" فيه للبيان، فكأنّه قال: هذا النوعِ الذي هو الاستئناف. وقوله: **(فيكون)** الفاء فيه للسببيّة وهو كاللازم والمُسبَّب عن قوله: **(واعلم)**... إلخ. ولا يجوز أن يقال: هو عطف على قوله: **(يجيء)**؛ لأنّ قوله: "يجيء" خبر **(أنّ)** وهذا لا يصلح لذلك؛ لعدم الضمير.

قوله: **(أحسنَ وأبلغَ)** أي: من الاستئناف، بإعادة اسم مَن استُؤنِف عنه الحديث. يُشير بهذا الكلام إلى أنّ الابتداء بالذين؛ ليكون الاستئناف عنده أحسنَ مِن الابتداء بأولئك ليكون الاستئناف هنالك؛ لكون الاستئناف على الوجه الأوّل مُشتملًا على بيان الصفات المُوجِبة لاختصاصهم بما اختُصُّوا به.

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «كرب».
٢ ن: السؤال.

لانطوائها على بيانِ الموجِب وتلخيصِهِ.

فإن قلتَ: هل يجوز أن يجريَ الموصولُ الأولُ على "المتَّقين" وأن يرتفعَ الثاني على الابتداء و﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ خَبَرُه؟

قلتُ: نعم، على أن يُجعَلَ اختصاصُهم بالهدى والفلاحِ تعريضًا بأهل الكتَاب الذين لم يؤمنوا بنبوَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانُّون أَنَّهم على الهدى وطامِعونَ أنهم ينالون الفلاحَ عند الله.

قوله: **(لانطوائها)** أي: لاشتمال إعادة الصفة. وكأنّه إنّما أتى بـ"إذا" في قوله: **(إذا نويتَ)** وبـ"إنْ" في قوله: "إنْ جعلتَه"؛ لرُجحان الأوّل على الثاني -فإنّ أصل "إذا" القطعُ بوقوع الشرط، وأصل "إنْ" الخلوُّ عن القطع بوقوعه- فجَعل **الأوّل** كالمقطوع به الذي يجب أن يُصار إليه، **والثانيَ** كالمشكوك فيه الذي لا يُعرَّج عليه.

قوله: **(هل يَجوز؟)** قد تقرَّر ممّا مرّ أنّ هذا الموضع مُشتمِل على الاستئناف، وهو إمّا عند قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، وإمّا عند قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى﴾. فالآن يُريد أن يُشير إلى أنّه يَجوز ألّا يكون هذا المَوضِع مُشتمِلًا على الاستئناف: وذلك بأن يكونَ ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ جملة، والموصول الأوّل موصولًا بالمُتَّقين صفة أو مدحًا، بتقدير "أَعني"، أو "هم"؛[1] ويكونَ الموصول الثاني -أعني قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾- مبتدأ، و﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ خبره، والجملةُ عطفًا على تلك الجملة، وهو قوله: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾؛ ويكونَ الغرض من جعل ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾... إلخ، خبرًا لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾... إلخ، هو التعريض بمن لم يُؤمنوا مِن أهل الكتاب؛ لأنّك إذا جَعلتَ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ مبتدأ، و﴿عَلَىٰ هُدٗى﴾ خبره، وهذه الجملة خبر ﴿وَٱلَّذِينَ﴾... إلخ، يصير دليل خطاب على أنّ مَن لم يؤمن بما أُنزل إليك، ولا يُؤمن بالآخرة ذلكَ الإيقانَ فليس على الهُدى والفلاح؛ لأنّ إيراد اسم الإشارة يُؤذن بأنّ ما ورد عَقيب اسم الإشارة من الهدى

---

[1] ن: هو.

وفي اسم الإشارة الذي هو ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إيذانٌ بأنَّ ما يَرِدُ عَقِيبَه فالمذكورون قبله أهلٌ لاكتسابه من أَجْلِ الخصال التي عُدِّدَتْ لهم؛ كما قال حاتم:

ولله صعلــــــــــــــــــــــــوكٌ

[٦٠و] / والفلاح[١] إنّما استحقَّه المَذكورون قبل[٢] اسم الإشارة؛ لأجل الخصال المذكورة المُثبَتة لهم، أي: للمذكورين، فأهلُ الكتاب الذين ليس لهم هذه الخصال لا يكونون مُتَّصفين بالهُدى والفلاح.

واعلم أنّه يُتصوَّر في هذا الوجه نوعُ ضعف بالنسبة إلى الوجهين المُتقدِّمين؛ لأنّ هذا العطف[٣] لا يَحسُن ذلك الحُسنَ ولا يُبقي اللطفَ[٤] الذي في الوجهين الأوّلين: مِن اتّحاد محلّ الموصولات، وعدم فكّ بعضها من بعض، وانطواء[٥] الجواب على مُوجِب الاختصاص؛ لأنّه حيثُ لا سؤالَ فلا جوابَ ولا انطواءَ،[٦] وأمّا التعريض الذي يَحصُل من هذا الوجه فيَحصُل من الوجه الأوّل بأَبلغ وجه. وكأنّ المُصنِّف لذلك ما ضمَّ هذا الوجه إلى الوجهين الأوّلين، بأن كان يَجعل الوُجوه ثلاثة من أوّل الأمر، بل ذَكر الوجهين المُختارين، وذكر هذا الوجه بعد السؤال، فكأنّه قال: هذا الوجه لا يُصار إليه إلّا بعد أن يَسأل السائل عنه؛ فيُجابَ له بالجَواز.

وهذا قريب ممّا ذكره أبو سعيد السِّيرافيُّ: قول التصريفيّين: تكسير الخماسيّ مُستكره،[٧] من أنّ معنى استكراهه: أنّهم لا يُكسّرونه إلّا إذا سُئِلُوا،[٨] فيُقال لهم: كيف تَجمعونه جَمعَ التكسير؟[٩] والله أَعلمُ بالحقيقة.

قوله: (**ولله صُعلوكٌ**)، وقبله:

---

١ ن – لأنّ إيراد اسم الإشارة يُؤذن بأنّ ما ورد عَقيب اسم الإشارة من الهدى والفلاح.

٢ ن: من قبل.

٣ ن: اللفظ.

٤ ن: اللفظ.

٥ ن: انظر.

٦ ن: انظر.

٧ قال الزمخشري: «وأمّا الخماسيّ فلا يُكسَّر إلّا على استكراه». **المُفصَّل**، ص ٢٤٠.

٨ ن: أسكنوا.

٩ لم أجِد هذا القول للسيرافي. ووقفت على ما هو قريب من لفظه في **شرح الرضي على الشافية**، ١٩٢/٢-١٩٣.

ثم عَدَّدَ له خِصالًا فاضلةً ثم عَقَّبَ تَعدِيدَها بقوله:

فـذلِـكَ إنْ يَـهْـلِـكْ فـحُـسْـنـى ثَـنَـاؤُهُ   وإنْ عَـاشَ لَـمْ يقعُـدْ ضَعِيفًـا مُذَمَّمـا

لـحى الله صُعـلـوكًـا مُـنـاهُ وهـمُّـهُ   مِن العيش أن يَلقـى لَبوسًـا ومَطعَمـا

يَـنـام الـضـحى حتّى إذا لـيـلُـه أتـى   تـنـبَّـه مَـسـلـوبَ الـفُـؤاد مُـورَّمـا

ولله صُـعـلـوكٌ يُـسـاوِر هـمَّـهُ   ويَمضي على الأحداث والدهر مُقدِما

فتى طَلِباتٍ لا يَرى الخَمصَ ترحةً   ولا شَـبعةً إن نالهـا عـدَّ مَغنمـا

إذا مـا رأى يومًـا مـكارمَ أعرضَـتْ   تـيـمَّـم كُـبـراهـنَّ ثُـمّـتَ صَـمَّـمـا

يـرى رُمحـه أو نبلـه[1] ومِجنَّـه   وذا شُطَبٍ عَضبَ الضَّريبة مِخْذما

وأَحـنـاءَ سَـرج قـاتـر ولِـجامـه   عـتـادَ فتى هَيجا وطِـرفًـا مُسوَّما

(فذلكَ إنْ يـهلِكْ فحُسنى ثَناؤه   وإن عاش لم يقعد ضعيفًا مُذمَّما)[2]

لحى الله: كلمة تُستعمل في السبّ، وأصله اللوم[3] والقَشْر،[4] يقال: لَحيتُ الشجرة لَحيًا إذا أخذتَ قِشرها. والصُّعلوك: جمعه الصَّعاليك، وهم قوم لا مِلْك لهم ولا اعتمال. والمُنى بضمّ الميم، جمع المُنية: وهي ما يتمنّاه[5] الشخص. وفيما ذكره مَذمَّة عظيمة إذ أشار إلى أنّه إنّما يُريد العيش، أي: الحياة لِيَلبَس لِباسًا[6] أو لِيأكل طعامًا، والناس إنّما يَلبَسون اللباس ويأكلون الطعام لأجل بقاء الحياة. واللَّبُوس: ما يُلبَس. والمَطعَم: ما يُطعَم. والمُساورة: المُواثبة. والخَمْص: الجوع وخَلاء البطن مِن الطعام. والتَّرَح: ضِدُّ الفرح. والمكارم: جمع مَكرُمة. وأعرضتْ، أي: ظهرتْ، وهو صفة "مكارم". وتَيمَّمَ: قصد، وهو جواب "إذا"، وصمَّمَ، أي: مضى في تحصيلها وتوجَّه[7] إليها،

---

١ ش: ونبله.

٢ الأبيات لحاتم الطائي، في ديوانه، ص ٢٣٩-٢٤١. وفيه «إذا ليله استوى»، و«تنبّه مثلوج الفؤاد»، «ترى رُمحه ونبله». وسقط من الديوان البيت الأخير هنا، لخرم فيه، مع بقاء الشرح والتعليق عليه أو بعضه، ومن ذلك قول صانع الديوان أبي صالح يحيى بن مُدرِك الطائي: «ويُروى: فحَسْبي ثناؤه». ووردت ستة أبيات منها مثالًا على ما نحن فيه منسوبة إلى حاتم في الإيضاح للقزويني، ص ١٢١.

٣ ن: الكسر.

٤ ن: والشرّ.

٥ ن: تمناه.

٦ ن: لباسًا.

٧ ن: أو توجّه.

....

والتصميم في الأمر: المُضِيُّ فيه. والنَّبل: السهم. والمِجَنُّ: التُّرس. وذا شُطَب، وشُطَب السيف: طرائقه التي في مَتْنه، والواحدة شُطْبَة. وعَضَبه عَضْبًا: قطعه، والعَضْب: السيف القاطع. والضَّريبة: الموضع الذي يُضرَب به. والخَذْم: القَطع. والحِنْو بالكسر، واحدُ أحناء السرج، أي: جوانبه.[١] والقاتر: الواقي، يقال: رحل[٢] قاتر، أي: واقٍ لا يَعقِر ظَهر البعير. والعَتاد والعُدَّة: الأُهْبَة، يقال: أَخذ للأمر عَتاده وعُدَّتَه. والهَيجا: الحرب، يُمدُّ ويُقصَر، وهي ههنا بالقصر. وأضاف الفتى إلى الهيجا لِلُزومه لها. والطِّرف بالكسر: الكريم من الخَيل. وقوله: "طِرْفه"[٣] عطف على "رُمحه". وقوله: "عتادَ" مفعول ثان لـ"يَرى"؛ ففي الكلام قَلبٌ. وحُسْنى ههنا مصدر بمعنى: حَسُنَ، مثل بُشرى.[٤]

ومعنى الأبيات: لحى الله فقيرًا مُناه وهِمَّتُه مِن الدهر أن يَلبَس لباسًا ويَطعَم طعامًا، فقد قيل: «مَن كانت هِمَّتُه ما يَدخل بطنَه كانتْ قيمتُه / ما يَخرج منه».[٥] [٦٠ظ]
ثم وصف كَسَله، وأنّه ينام من الضحى إلى الليل، فإذا جاءه الليل تنبّه مِن نومه مَسلوب الفؤاد، مُورَّم القلب، أو مُورَّم العينين، كما هو صفة النَّئوم. ثمّ قال: ولله دَرُّ فقير يُواثِب هَمَّه، والهَمُّ: القَصد، ويُراد به المَقصِد والمَطلوب، وكأنّ المَطالِب لامتناع[٦] تحصيلها إلّا بمشقّة ولتعذُّر تحصُّلها بيُسر وسهولة تُنازعُ الطالب، فجَعل ما بين الطالب والمطلوب مِن الطلب والامتناع مُساوَرة، أي: مُنازعة ومُحاربة. ثمّ قال: ويَمضي مُقدِمًا على حوادث الدهر، والحال أنّه فتًى طَلِبات، بتجدُّد طَلِبته كلَّ ساعة؛ لأنّ الدهر يُسعِف[٧] مَطلوبه بجِدّه ورُشده كلَّ لحظة، ولا يَرى الجُوع[٨] شِدّة ولا الشِّبَع[٩] غَنيمة؛ لعُلوّ هِمَّته، فمِثل[١٠] هذا الفقير إنْ يَهلِك فحُسنى ثناؤه بعده، وإن يَعش لا يكون مُذمَّمًا ضعيفًا، بل يكون محمودًا ممدوحًا.

---

١ ن: أو جوانبه.
٢ ش: رجل.
٣ هي في البيت "طِرفًا".
٤ انظر شرح ديوان حاتم، ص ٢٤١.
٥ إحياء علوم الدين للغزالي، ٩٢/٦.
٦ ن: لا يتنازع.
٧ ن: يشغف.
٨ ن: لجوع.
٩ ن: شبع.
١٠ ن: قبل.

قوله: (ومعنى الاستعلاء في قوله: ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾[١] مَثَلٌ لتَمكُّنهم مِن الهُدى) تنقيح هذا الموضع مَوقوف[٢] على تقرير؛ فنقول:

الاستعارة: أن تَذكر أحد طرفي التشبيه وتُريد به الطرف الآخر، مُدَّعيًا دخول المُشبَّه في جنس المُشبَّه به، دالًّا على ذلك الدعوى بإثباتك[٣] للمُشبَّه ما هو خاصٌّ بالمُشبَّه به. كما تقول: في الحمام أسد، وأنت تريد: الشجاع، مُدَّعيًا أنّه من جنس الأُسود، فتُثبِت للشجاع ما يخصُّ المُشبَّه به، وهو اسم جنسه مع سدّ طريق التشبيه، بإفراده في الذِّكر.[٤]

ثمّ إنّ الاستعارة نوعان: أصليّة وتَبَعيّة.

فالأصليَّة: هي أن يكون المُستعار اسمَ جنس، كرجُل وأَسَد، وكقِيام وقُعود. ووجه كونها أصليَّة؛ هي ما عرفتَ أنّ الاستعارة مَبناها على تشبيه المُستعار له بالمُستعار منه، وليس التشبيه إلّا وصفًا للمُشبَّه بكونه مُشاركًا للمُشبَّه به في وجه، والأصل في الموصوفيّة هي الذوات الثابتة المُتقرِّرة: كالجسم، والبياض، والطُّول، لا غيرُ الثابتة المُتجدِّدة: كالأفعال؛ لأنّها غير مُتقرِّرة لدخول الزمان في مفهومها، وكالصفات؛ فإنّها غير ثابتة أيضًا، وإن كان الزمان عارضًا لها.

والتبَعية: هي الاستعارة التي تقع في غير أسماء الأجناس: كالأفعال، والصفات المُشتقَّة منها، وكالحروف؛ وذلك لأنّ الاستعارة[٥] تَعتمد التشبيه، والتشبيه يَعتمد كونَ المُشبَّه موصوفًا، والأفعال والصفات المشتقّة منها والحروف لا تصلح أن تكونَ موصوفة، فهذه كلُّها لا تحتمل الاستعارة بنفسها، وإنّما المُحتمِل للاستعارة في الأفعال والصفات المُشتقَّة منها مصادرُها، فتقع الاستعارة، ثمّ تسري في الأفعال والصفات المُشتقَّة منها. فلا تقول: نَطقَت الحالُ، بدلَ "دلَّت"، ولا: الحالُ ناطقة، بدلَ "دالَّة"،

---

١ في مطبوع الكشّاف وما وقفتُ عليه من أصوله - ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾.

٢ ن: مرضع.

٣ ن: إثباتك.

٤ انظر هذا الكلام بتصرُّف يسير جدًّا في مفتاح العلوم للسَّكَّاكي، ص ٤٧٧.

٥ ن: أن الاستعارة.

....

إلّا بعد تقرير[1] استعارةِ نُطْقِ الناطق لدلالة الحال، وكذا المُحتمِل للاستعارة في الحروف مُتعلَّقات معانيها، وأعني بمُتعلَّقات معاني الحروف: ما يُعبَّر عنها عند تفسير الحروف، مثل قولنا:[2] "مِن" معناها ابتداء الغاية، و"إلى" معناها انتهاء الغاية،[3] و"كي" معناها الغرَض. فابتداء الغاية، وانتهاء الغاية، والغرَض ليست معانيَها؛ إذ لو كانت هي معانيها -والابتداء والانتهاء والغرض أسماء- لكانت هي أيضًا أسماء؛ لأنّ الكلمة إذا[4] سُمِّيَت اسمًا سُمِّيَت[5] لمعنى الاسميّة لها. وإنّما هي مُتعلَّقات معانيها، أي: إذا أفادت هذه الحروف معانيَ رجعت إلى هذه بنوع استلزام. فإذا أردتَ استعارة لام الغرَض قدَّرتَ الاستعارة في معنى الغرَض، ثمّ استعملتَ لام الغرض هنا،[6] مثل أن / يكون عندك ترتُّب وجود أمر على أمر من غير أن يكون الثاني مطلوبًا بالأوّل، فتُشبِّهه بترتُّب وجودٍ بين أمرين مطلوب بالأوّل منهما الثاني، ثمّ تَستعير للترتُّب المُشبَّه كلمة الترتُّب المُشبَّه به، في ضمن قرينة مانعة عن حَملها على ما هي مَوضوعة له، فتقول إذا رأيت عاقلًا قد أحسن إلى إنسان ثم آذاه ذلك الإنسانُ: إنّه قد أحسن إليه ليؤذيَه، ومن ذلك قوله علَتْ كلمتُه: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾ [القصص ٢٨/٨].[7] [٦١و]

وهذه خلاصة تقرير صاحب المفتاح في هذا الباب. إذا عرفت هذا فنقول: شُبِّه تمكُّنُ المُتَّقين الموصوفين من الهُدى واستقرارُهم عليه وتمسُّكُهم به باستعلاء المُستعلي على الشيء، فوقع الاستعارة بالأصالة في معنى الاستعلاء وهو المعنيُّ بقوله: "مَثَل لتمكُّنهم"، أي: شبيه لتمكُّنهم، فإن المِثْل والمَثَل والمَثيل بمعنى الشِّبْه والشَّبَه والشَّبيه، فكأنّه قال: الاستعلاء شبيهُ تمكُّنهم، فإنّه إذا شُبِّه التمكُّن بالاستعلاء كان كلّ واحد منهما شبيهًا للآخر فيكون الاستعلاء شبيهًا للتمكُّن المذكور.

---

١ ن - تقرير.
٢ ن - قولنا.
٣ ن - و"إلى" معناها انتهاء الغاية.
٤ ن: إنّما.
٥ ن - سُمِّيَت.
٦ ش ن: هناك.
٧ هذا الكلام تلخيص وترتيب لما جاء في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٨٩-٤٩١.

واستقرارِهم عليه وتمسُّكِهم به، شُبِّهَت حالُهم بحالِ مَن اعْتلَى الشَّيءَ ورَكِبَه.

ونحوُه: هو على الحقِّ وعلى الباطل، وقد صرَّحوا بذلك في قولهم: جَعَلَ الغَوَايَةَ مَرْكبًا، ....

ثمّ صرَّح بكيفية التشبيه على الوجه المذكور، فقال: (**شُبِّهت حالهم بحال مَن اعتلى[1] الشيء**) فنقول: قدَّر الاستعارة في معنى الاستعلاء ثمّ استُعمل هناك حرف الاستعلاء، وذلك بأن شُبِّهت حالهم: وهو تمكُّنهم من الهُدى واستقرارِهم عليه وتمسُّكهم به بحال من اعتلى[2] الشيء ورَكِبه، ثمّ استُعير للحال المذكورة،[3] وهو المُشبَّه، كلمةُ الاستعلاء المُشبَّه به، فهو من الاستعارة التبعيّة.

قوله: (**ونحوه**)، يعني: نحو قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾.

قوله:[4] (**هو على الحقّ**) فإنّه أيضًا استعارة تَبَعيّة على الوجه المذكور.

قوله: (**وقد صرَّحوا بذلك في قولهم: جعل الغَواية مَركبًا**)، يريد: أنّ هذا من باب التشبيه، وليس من باب[5] الاستعارة. قوله: "بذلك" إشارة إلى التشبيه الذي دلَّ عليه قوله: "مَثَل لتمكُّنهم"، أو قوله: "شُبِّهت". وإنّما قلنا: هذا من باب التشبيه، وليس من الاستعارة؛[6] لأنّ شرط الاستعارة ألّا تُشمَّها في كلامك من جانب اللفظ رائحةً مِن التشبيه،[7] بألّا تَذكر شيئًا يدلُّ على التشبيه.

وليس من الواجب في التشبيه ذِكرُ كلمة التشبيه، بل إذا قلت: زيدٌ أسدٌ، فاكتفيت[8] بذكر الطرفين عُدَّ تشبيهًا، مثلَه إذا قلت: كأنّ زيدًا أسدٌ؛ ولا ذِكرُ المُشبَّه لفظًا، بل إذا كان محذوفًا مثلَه إذا قلتَ: أسدٌ وأيُّ أسدٍ، جاعلًا للمُشبَّه خبرًا مفتقرًا

---

١ ن: استعلى.

٢ ن: استعلى.

٣ ن: المذكور.

٤ د ش ن: قولهم.

٥ ن – باب.

٦ ن – قوله: "بذلك" إشارة إلى التشبيه الذي دلّ عليه قوله: "مَثَل لتمكُّنهم"، أو قوله: "شُبِّهت". وإنّما قلنا: هذا من باب التشبيه، وليس من الاستعارة.

٧ ورد هذا الشرط بألفاظ قريبة في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٩٧.

٨ ش: واكتفيت.

وامْتَطى الجَهْلَ، واقتَعَدَ غارِبَ الهَوَى.

إلى المبتدأ لَكفى؛ لِقِصر المسافة بين الملفوظ به في الكلام والمحذوف منه بشرائطه في قوّة الإفادة.

وإنّما الواجب في التشبيه إذا تُرِك المُشبَّه ألّا يكون مضروبًا عنه صفحًا، مثله إذا قلتَ: عندي أسدٌ، أو: رأيتُ أسدًا، أو: نظرتُ إلى أسد، فإنّه لا يُعدُّ تشبيهًا، وإنّما عُدَّ نحو "زيدٌ أسدٌ" تشبيهًا؛[١] لأنّك إذا أوقعتَ "أسدًا" وهو مفرد غير جملة خبرًا لـ"زيد" استدعى أن يكون هو إيّاه، مثله في "زيدٌ مُنطلِق"، لكنّ العقل يأبى أن يكون الذي هو إنسان هو بعينه أسد، فيلزم المصير إلى التشبيه بحذف كلِمته للمبالغة. وإذا عرفتَ أنّ وجود طرفي التشبيه يَمنع عن حمل الكلام على غير التشبيه عرفتَ أنّ فَقدَ كلمة التشبيه لا تُؤثّر إلّا في الظاهر، وعرفتَ أنّ نحو "هو أسدٌ في صورة إنسان" و"لقيَني منه أسدٌ" تشبيه، ولذلك[٢] قالوا: الخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾[٣] [البقرة ٢/١٨٧] من باب التشبيه، حيث بُيِّنا بقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة ٢/١٨٧]، ولولا ذلك لكانا من باب الاستعارة.[٤]

وإذا عرفتَ ذلك يتبيَّن لك أنّ قوله: "جعل الغَواية مركبًا" / تشبيه وليس استعارة؛[٥] لأنّه في قوّة قولك: جعل الغَواية كالمَركَب. [٦٦١ظ]

وجعل المُصنِّف قوله: **(امتطى الجهلَ، واقتعد غاربَ الهوى)** مثلَه؛ لأنّهما في حُكم قولك: جعل الجهل مَطيّة، وجعل غاربَ الهوى قَعودًا. القَعود من البعير: الذي يَقتعِده الراعي في كلّ حاجة، وهو بالفارسيّة "رخت كش". وإن كان الظاهر أنّ قوله: "امتطى الجهل" استعارة تبعيّة، بأن يقال: شُبِّه استقرار الجاهل على الجهل بامتطاء الراكب المركوب، فوقعت[٦] الاستعارة في المصدر

---

١ ن - وإنّما عُدَّ نحو "زيدٌ أسدٌ" تشبيهًا.

٢ ن: وكذلك.

٣ ن - في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾.

٤ من قوله: "وليس من الواجب" إلى هنا تلخيص لِما في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص٤٦٣-٤٦٤.

٥ ن: باستعارة.

٦ د شن: فوقع.

....

وهي[1] الامتطاء بالأصالة، ثمّ سَرَت منه إلى الفعل، فقيل: امتطى، وكذا تقول في "اقتعد غاربَ الهوى".

والغَواية: الضلال. وامتطيتُ البعير، أي: اتخذتُها مَطيّة، يقال: مَطوْتُ بالقوم أمطو مَطْوًا إذا مددتَ بهم في السَّير، والمَطيّة مُشتقّة من ذلك، ويقال:[2] بل سُمِّيت مَطيّة؛ لأنّه يُركَب مَطاها، أي: ظهرها. والغارب: أعلى الظهر.

ويَحتمِل أن يقال: إنّ قوله: "وامتطى الجهل، واقتعد غارب الهوى" عطفٌ على قوله: "هو على الحقّ". وقوله: "وقد صرَّحوا" إلى قوله: "مَركبًا" كالجملة المُعترِضة.

ثمّ إنّ في قوله: "غارب الهوى" استعارة تخييليّة، فإنّه لما شبَّه الهوى بالقَعود أَثبت للهوى غاربًا، وهو مُختصٌّ بالقَعود، فتكون الاستعارة تخييليّة؛ لأنّ الاستعارة التخييليّة: أن تُثبِت للمُشبَّه ما هو لازم مُختصٌّ بالمُشبَّه به.

واعلم أنّ هذا الموضع ممّا ذَهَل عن تحقيقه الفُحول البُزْل[3] من العلماء النحارير،[4] حتّى إنّ الإمام العلّامة فخر الدين الرازيّ لمّا وصل إلى هذا الموضع من تفسيره أورده بعبارته، وما غيَّر عبارته إلّا في موضعين: **الأوّل**: أنْ وَضعَ لفظ "بيان" مَوضعَ قوله: "مَثَل"، **والثاني**: أنْ زاد لفظ "حيث" قبل قوله: "شُبِّهت"؛ فصارت عبارته هكذا: «معنى الاستعلاء في قوله: ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ بيانٌ لتمكّنهم مِن الهُدى واستقرارهم عليه، حيث شُبِّهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه».[5] حتّى إنّ الناظر في كلام الإمام يَحمله على سوء الفهم، حاشاه عن ذلك، لكنّ تبدُّل البيان وزيادة "حيث" -على ما مرَّ- يَعذِران الظانَّ ويُؤيِّدانه.

---

١ ش ن: وهو.

٢ ن: أو يقال.

٣ الفحول جمع فَحل: الذَّكر مِن كلّ حيوان. والبُزل جمع بازل: وهو البعير الذي استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة وطلع نابه. انظر لسان العرب لابن منظور، «فحل»، «بزل». واستعار ذلك لهم لوصفهم بالقوّة والسبق والغلبة فيما ذَكَرهم به.

٤ النحارير جمع نِحرير: وهو الحاذق الماهر العالم المُجرِّب. انظر لسان العرب لابن منظور، «نحر».

٥ تفسير الرازي، ٣٧/٢ (البقرة، ٥/٢).

ومعنى ﴿هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾: أنهم مُنِحُوهُ مِن عِنده وأُوتُوهُ مِن قِبَلِهِ، وهو اللُّطْفُ والتَّوفِيقُ الذي اعتضَدُوا به على أعمال الخَيْرِ والترقِّي إلى الأَفْضَلِ فالأفضلِ.

ثمّ قال الإمام:

> تحقيق القول في كونهم على الهُدى تمسُّكهم بموجب الدليل؛ لأنّ الواجب على المُتمسِّك بالدليل أن يدوم على ذلك ويَحرُسَه عن المَطاعن والشُّبَه، فكأنّه تعالى لمّا مدحهم بالإيمان بما أُنزل عليه أوّلًا مدحهم بالإقامة على ذلك والمُواظبة على حِراسته عن الشُّبَه ثانيًا، وذلك واجب على المُكلَّف؛ لأنّه إذا كان مُشدِّدًا في الدِّين خائفًا وَجِلًا فلا بدّ أن يُحاسب نفسه في عِلمه وعَمله، ويتأمّل حاله فيهما، وإذا حرس نفسه عن الإخلال كان ممدوحًا به على هُدى وبصيرة.[١]

واعلم أنّ ما ذَكره الإمام مُغايِر لما ذَكره صاحب **الكشّاف**؛ لأنّ حاصل ما ذكره صاحب **الكشّاف**: أنّهم إنّما وُصِفوا بالهُدى والفلاح لِما مرّ من أفعالهم المذكورة؛ ليكون تعريضًا بأنّ مَن ليس له هذه الخِصال لا يكون هاديًا مُفلِحًا، إلى غير ذلك من الفوائد. وحاصل ما ذَكره الإمام أنّهم إنّما وُصِفوا بالهُدى والفلاح؛ لأنّهم يَثبتون على مُوجَب الدليل ويَتمسكون به. والمُغايرة بين المعنيين ظاهرة.

وإنّما ذَكرنا هذا وأمثالَه؛ لئلّا يَحمل الناظر كلام جار الله على غير[٢] مَحمله،[٣] وليس الغرض الطعن ولا المَغمَز،[٤] والله على ما نقول شهيد.

قوله: (ومعنى: ﴿هُدًى﴾) مبتدأ، خبرُه قوله: (مُنِحُوه) أي: أُعطوا الهُدى من عند الله، وأُوتوا الهُدى / من قِبَل[٥] الله تعالى،[٦] أي: من حَضرته. [٦٢و]

قوله: (وهو اللطف) أي: والهُدى: اللطف. ويقال: "عَضدتُه"، أي: أَعنتُه، واعتضدتُ به، أي: تقوَّيتُ به.

---

١ ن - وبصيرة. | تفسير الرازي، ٢/٣٧-٣٨ (البقرة، ٢/٥). وفي مطبوعه «فكأنّه تعالى ومدحهم».
٢ ن: غيره.
٣ ن: بحمله.
٤ ن: الغمز.
٥ ن: من عند.
٦ ش - تعالى.

ونكَّرَ ﴿هُدًى﴾ ليُفِيدَ ضَرْبًا مُبْهَمًا لا يَبْلُغُ كُنْهُهُ ولا يُقَادَرُ قَدْرُهُ، كأنَّه قيل: على أيِّ هدًى، كما تقول: لو أَبْصرتَ فلانًا لأبْصرتَ رجلًا.

وقال الهُذليُّ:

فَلا وأَبِي الطَّيْرِ المُرِبَّة بالضُّحَى على خالِدٍ لقد وَقَعْتِ على لَحمِ

قوله: (ونُكِّر ﴿هُدًى﴾)... إلخ. "الضَّرْب": الصنف من الأشياء. و"الكُنْهُ": الغاية. و(لا يُقادَر) أي: لا يُغلَب بالقَدْر، يقال: قادَرتُه فقَدَرتُه، أي: غلبتُه بالقَدْر. ومِن المَواضع التي يُورَد فيها الاسم مُنكَّرًا: أن يُراد ارتفاعه أو انحطاطه إلى حدٍّ يُوهِم أنّه لا يُمكِن أن يُعرَف، فتقول: عندي رجلٌ، أو: حضر رجلٌ، في المعنيين جميعًا: تقول في حقّ من تُعظِّمه: له فَضلٌ، أي: فضلٌ عظيمٌ؛ وكذا تقول في حقّ مَن تُحقِّر مِقداره في نوع من الأنواع: عنده شَمّةٌ، أي: قَدْرٌ يسيرٌ.[1]

(قال الهُذَليُّ:

فلا وأبي الطيرِ المُرِبَّة بالضُّحى على خالد لقد وقعتِ على لَحمِ)[2]

"المُرِبَّة": اللازمة، مِن أَرَبَّ بالمكان إذا أقام ولَزِم به. وقوله: "على لَحمِ"، أي: على لَحمٍ شريفٍ، أو على لَحمٍ وأيِّ لَحمٍ؛ فنكّره بسبب تعظيمه. كان خالد هذا عظيمًا في عين هذا القائل فاستَعظم لَحمه واستَعظم الطير الواقعة عليه، حيثُ أَقسم بها؛ لأنّ الإقسام على الشيء يدلُّ على تعظيمه لذلك الشيء،

---

١ ن + قوله. | مِن قوله: "أن يراد" إلى هنا بتصرُّف يسير في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٢٨٨.

٢ البيت لأبي خِراش الهذلي في شرح ديوان الهذليين للسُّكَّري، ١٢٢٦/٣. والرِّواية فيه:

لَعَمر أبي الطيرِ المُرِبّة في الضحى
على خالدٍ لقد وقعنَ على لَحمِ

وذكر البغدادي أنّ هذا البيت وقع في موضعين من أشعار الهذليين، وأنّه عُزي في الموضع الثاني لأبي ذؤيب الهذلي، وذكر له مناسبة طويلة. وخالد المذكور في البيت هو خالد بن زهير الهذلي، وهو ابن أخت أبي ذؤيب. وكان خالد عشق أمّ عمرو التي عُلِّقها خاله أبو ذؤيب، وعشقها قبله وهب بن جابر الهُذلي ثمّ تعلَّقها ابنه عمرو بن وهب. فقتل خالد عمرًا بسبب أمّ عمرو، فأدركه جابر ورهطه فقتلوه، في خبر طويل. فقال أبو ذؤيب هذا البيت فيه. انظر تفصيل ذلك الخبر في خزانة الأدب للبغدادي، ٧٥/٥-٨٦. وممّا نقل البغدادي في هذا البيت قوله: «ونُقِل عن الزمخشري أنّه كان إذا أنشد هذا البيت يقول: ما أفصَحك مِن بيت!»، وذكر نحوًا من ذلك عنه الطِّيبي في فتوح الغيب، ١١٢/٢.

والنونُ في ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ أُدْغِمَتْ بِغُنَّةٍ وبغيرِ غُنَّةٍ، فالكسائيُّ وحَمْزةُ ويَزِيدُ ووَرْشٌ في رِوَايةٍ والهَاشِمِيُّ عن ابن كثيرٍ لم يُغِنُّوها. وقد أَغَنَّها الباقون إلّا أبا عَمْرٍو، فقد رُوِي عنه فيها رِوَايَتان.

وفي تكرير ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ تنبيهٌ على أنهم كما ثَبَتَتْ لهم الأَثَرَةُ بالهُدَى فهي ثابتةٌ لهم بالفلاح، فجُعِلَتْ كلُّ واحدةٍ من الأَثَرَتَيْنِ في تميُّزهم بها عن غيرِهم بالمثابَةِ التي لو انفردَتْ كفَتْ مميِّزةً على حِيالها.

ثمّ استعظم أباها[1] بهذا السبب، فلذلك ذَكره بالكُنية، وقال: "أبي الطير"، كما يُكنّى الرجُل بأبي فلان تعظيمًا له. فقوله: "فلا" نفيٌ لِما توهّمه الطير مِن أنّه لم يقع على لحم عظيمِ القَدْر، فقال الشاعر: ليس الأمر كما زعمتِ. ثمّ في البيت التفات في الموضعين: أحدهما: في قوله: "وأبي الطير"،[2] إذ أصله: وأبيكِ،[3] والثاني:[4] في قوله: "لقد وقعتِ"، فإنّ أصله: لقد وقعَتْ، بلفظ المؤنّث الغائب.

قوله: **(الأَثَرة)** يقال: «استأثر فلان بالشيء، أي: استبدَّ به، والاسم الأَثَرة بالتحريك»،[5] وقيل: الأَثَرة: التقدُّم والاختصاص.

قوله: **(في تميُّزهم بها)** أي: بكلّ واحدة من الأَثَرتين، يعني: كرَّر لفظة ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾؛ ليدلَّ على أنّهم كما ثبَت لهم الاختصاص بالهُدى ثبَت لهم الاختصاص بالفلاح أيضًا، فكلُّ واحدة من هذين الوصفين مُختصٌّ بهم، فهم يتميَّزون عن غيرهم بالهُدى[6] الذي هو[7] مُختصٌّ بهم، مع قطع النظر عن الفلاح،[8] ويتميّزون أيضًا عن غيرهم بالفلاح الذي هو مُختصٌّ بهم مع قطع النظر عن الهُدى.

---

[1] د ش: إياها؛ هامش د ظ: أباها.

[2] ن - كما يُكنّى الرجُل بأبي فلان تعظيمًا له. فقوله: "فلا" نفيٌ لِما توهّمه الطير مِن أنّه لم يقع على لحم عظيمِ القَدْر، فقال الشاعر: ليس الأمر كما زعمتِ. ثمّ في البيت التفات في الموضعين: أحدهما: في قوله: "وأبي الطير".

[3] وهذا الأوّل يُعدُّ التفاتًا على مذهب السكّاكي وحدَه، وليس بالتفات عند جمهور البلاغيين. انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٢٩٦؛ والإيضاح للقزويني، ص ١٥٧.

[4] ن: والخطاب.

[5] الصحاح للجوهري، «أثر».

[6] ن: بالفلاح.

[7] د ش - هو.

[8] ن: الهدى.

فإن قلتَ: لمَ جاء مع العاطف، وما الفرقُ بينه وبين قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف ١٧٩/٧]؟

قلتُ: قد اختَلَف الخَبَرانِ هاهنا، فلذلك دَخَل العَاطفُ، بخلافِ الخَبَرَيْنِ ثمَّةَ فإنهما متَّفقَان لأنَّ التَّسجِيلَ عليهم بالغفلةِ وتشبيهَهم بالبهائم شيءٌ واحِدٌ، فكانت الجملةُ الثانيةُ مُقَرِّرةً لِمَا في الأُولى، فهي مِن العَطْفِ بمَعْزِلٍ.

و﴿هُمۡ﴾ فَصْلٌ، ....

ولو لم يُكرِّر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ لاحتمل أن يكون الوصفُ المُختصُّ المُميِّزُ المجموعَ المُركَّبَ مِن الوصفين، لا كلَّ واحد منهما، فكان يَحتمِل أن يكون لبعض[1] مَن يُغايرهم الهُدى الذي هو حاصل لهم، وإن لم يكن لذلك البعض ذلك الفلاحُ، ويَحتمِل أيضًا أن يكون للبعض الآخر ممّن يُغايرهم الفلاحُ الذي هو حاصل لهم، وإن لم يكن لذلك البعض الهُدى؛ فكُرِّر لقطع هذا الاحتمال.

قوله: (**قد اختلف الخَبَران**) أي: إنّما تخلَّل العاطفُ بين الجملتين هنا؛ لأنّ مفهومي[2] الجملتين هنا مُختلفان؛ لأنّ مفهوم **الأولى** حُصول الهُدى في الدنيا، ومفهوم **الثانية** حُصول الفلاح لهم في الآخرة، وإذا اختلف مفهومهما جاز عطف أحديهما على الأخرى. وإنّما لم يَتخلَّل العاطف بين قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾ [الأعراف ١٧٩/٧] وبين قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف ١٧٩/٧]؛ لأنّ مفهوم الجملتين شيء واحد، كما ذكر، فتكون الجملة الثانية مُقرِّرة ومُؤكِّدة للجملة الأولى، فلا يجوز العطف. وقد مرّ تحقيقه.[3]

قوله: (**فهي من العطف بمَعزِل**) أي: هي في مَوضِع بعيد، إذا ابتدأتَ أمره من العطف.

قوله: (**و﴿هُمۡ﴾ فَصْلٌ**)، يعني: لفظة "هم" في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾. هي: صيغة المرفوع المُنفصِل التي تتوسَّط بين المبتدأ والخبر قبل دخول

---

[1] ن: للبعض.

[2] د ش: مفهوما؛ ن: مفهوم.

[3] مرّ في تفسير الآية الأولى من سورة البقرة.

وفائدته: الدَّلالةُ على أن الوارد بعده خبرٌ لا صفةٌ، والتوكيدُ وإيجابُ أَنَّ فائدةَ المُسنَدِ ثابِتةٌ للمُسندِ إليه دُونَ غَيْره.

أو هو مبتدأٌ و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ خبرُه، والجملةُ خَبرُ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾.

ومعنى التعريفِ في ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: ....

العوامل اللفظية وبعدها.[١] وذكر له ثلاث فوائد: **الأولى: (الدلالة)، والثاني: (التوكيد)، والثالث**: "الإيجاب"، أي: الإثبات والبيان على الوجوه المذكورة.

قوله: **(أو هو)** عائد إلى لفظ **(هم)**، وهو عطف على محذوف، كأنّه قال: لا محلّ له، / أو هو مبتدأ. قال في **الصحاح**: «الفائدة: ما استفدتَ مِن عِلم أو مال، تقول منه: فادتْ له فائدةٌ».[٢] وقال في **المُجمَل**: فادَ المال لفلان يَفيد: ثبت له.[٣] [٦٢ظ]

قوله: **(ومعنى التعريف في ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾)** قد علمتَ إفادة الفَصْل أنّ المُسنَد مقصور على المُسنَد إليه، بمعنى: أنّ المُفلحين مُنحصرون في أولئك ليس غيرُهم مُفلحين. فنقول: التعريف في المفلحين: إمّا للعهد وإمّا للاستغراق؛ لأنّ لام التعريف في الجَمع حيثُ لا عهدَ تُفيد العُموم، فإن كان التعريف للعَهد -ويكون المُراد بالمُفلحين هم المُفلحين المعهودين- فالحصر[٤] ظاهر؛ إذ[٥] يكون[٦] المعنى: أنّ المُتّقين هم المفلحون المعهودون[٧] ليس أحدٌ غيرَ المُتّقين مِن المُفلحين المعهودين، كما إذا قلت: حاتِم الجَواد، فإنّه يُفيد أنّ غير حاتِم ليس بجَواد.

وهنا بحث، وهو أنّ المُسنَد إنّما يكون معرفةً إذا كان المُسنَد مُتشخِّصًا عند السامع بإحدى طُرُق التعريف، فإن قلتَ: إذا كان المُسنَد معرفة لَزِم أن يكون المُسنَد إليه أيضًا معرفة؛ لأنّ كون المُسنَد إليه نكرةً والمُسنَد معرفةً ليس في كلام العَرب، وإذا كانا معلومين عند السامع فأيُّ فائدة في الإخبار؟ قلنا:

---

١ انظر هذا التعريف لضمير الفصل في **شرح الوافية نظم الكافية** لابن الحاجب، ص ٢٨٢؛ وشرح **الرضي على الكافية**، ٢/٤٥٥.

٢ **الصحاح** للجوهري، «فيد».

٣ لم أقف عليه في مطبوع **مجمل اللغة** لابن فارس.

٤ ن: فالخطر.

٥ ن - إذ.

٦ ن: فيكون.

٧ ش: المعهودين.

الدلالةُ على أنَّ المتقين هم الناسُ الذين بلغَكَ أنهم يُفلحون في الآخِرة؛ كما إذا بلغَك أن إنسانًا قد تَابَ من أَهْلِ بلدك، فاستخبرتَ مَن هو، فقيل: زيدٌ التائبُ؛ أي: هو الذي أُخبرتَ بتَوْبتِهِ.

أو على أنهم ....

من فوائده أن يُعلَم أنّ أحدهما هو الآخر، فإنّه يجوز أن يُعلَم كلُّ واحد منهما[١] على الانفراد، ولا يُعلَم أنّ أحدَهما هو الآخر، كما إذا عَلم المُخاطب أنّ له أخًا، وعَلم أيضًا إنسانًا يُسمّى زيدًا، فإذا قلتَ له: أخوك زيدٌ، أو زيدٌ أخوك، استفاد أنّ أحدَهما هو الآخر. وليس التقدُّم والتأخُّر هنا لغير سبب، بل هو لسبب اقتضى ذلك: فإذا اعتقد[٢] أنّ له أخًا، لكن لا يعرفه على التعيين، ويَطلب الحُكم على الأخ، قلتَ: أخوك زيدٌ؛ وإذا عَلم زيدًا،[٣] ويَطلب أن يَعرف حُكمًا له، قلتَ: زيدٌ أخوك.[٤]

فكذا فيما نحن فيه: إذا قيل: هُدى للمُتَّقين، وحصل العِلم بالمُتَّقين، وقد عُلم أيضًا أنّ ناسًا مُتَّصفون بالفلاح، لكن لا يُعلم أنّ المُتَّقين هم المفلحون، وتوجَّه الذهن إلى المُتَّقين، وإلى أن يَعلم صفتهم، وأنّهم[٥] مَن هُم، قيل: هُم المُفلحون، أي: "المُتَّقون هم الناس الذين بلغكَ أنّهم يُفلحون. وهذا كما إذا بلغكَ أنّ إنسانًا" يُسمّى زيدًا، وبلغك أيضًا أنّ إنسانًا "من أهل بلدك قد تابَ"، وطلبت الحُكم على زيد بأنّه مَن هو؟ فقيل لك: (زيدٌ التائبُ)؛ وإن طلبتَ الحُكم على التائب[٦] في هذه الصورة فالوجهُ أن يُقال: التائبُ زيدٌ. وينبغي أن يُفسَّر كلام المُصنِّف في المثال الذي أورده على الوجه الذي ذكرناه؛ ليستقيم. فتأمّل.

قوله: (**أو على أنّهم**) عطف على قوله: (**على أنّ المُتَّقين**)، فالجارّ مُتعلِّق بـ(**الدلالة**)، وهذا إشارة إلى تقرير المعنى على تقدير أن تكون اللام للجنس،

١ ن - منهما.
٢ ن: قلت.
٣ ن: ذلك.
٤ من قوله: "وهو أنّ المسند" إلى هنا تهذيب لِما جاء في **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٣١٤-٣١٥.
٥ ن: ولهم.
٦ ن - وإن طلبتَ الحُكم على التائب.

الذين إن حُصِلَتْ صفةُ المفلحين، وتُحقِّقُوا ما هُم، وتُصُوِّرُوا بصُورتهم الحقيقِية، فهُم هُم لا يَعْدون تلك الحقيقةَ؛ كما تقول لصاحبك: هل عرفتَ الأَسَدَ وما جُبِل عليه من فَرْط الإِقْدام؟ إنَّ زيدًا هُو هُو.

فنقول: قد ذكرنا أنّ الجمع المُحلّى باللام إذا لم يُرَد به العهد يُفيد الاستغراق، فيكون المعنى: "أنّهم"، أي: أنّ المُتَّقين هم **(الذين إن حُصِلَتْ)** أي: مُيّزتْ صفة المُفلحين وبُيّنتْ، و**(تُحُقِّقوا)** أي: عُرِف المُفلحون أو عُلِموا **(ما هم)**، و**(تُصُوِّروا)** أي: عُرِف المُفلحون **(بصورتهم الحقيقيّة)**، فالمُتَّقون هُم المُفلحون **(لا يَعدُون)** أي: لا يُجاوز المُتَّقون حقيقة المُفلحين، أي: لا يكون المُتَّقون غيرَ المُفلحين.

أو نقول بعبارة أخرى: إنّ صفة المُفلحين إذا "حُصِلت"، أي: مُيّزتْ وبُيّنتْ لا يكون المُفلحون إلّا هؤلاء، ليُفيد الحصر على أنّ معنى فلاح غيرهم بالنسبة إلى فلاحهم كالعدم، وكأنّهم تجسّموا من تلك الحقيقة، ويلزم منه أنّهم "لا يَعدُون" عن صفة الفلاح إلى غيرها؛ لأنّ تلك الصفة حُصِلتْ فكانت هؤلاء. وقوله: "تُحقِّقُوا"، أي: عُلِموا. وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات ١٠٠/١٠]:
[٦٣و] «أي: مُيّز وبُيّن ما فيها من الخير والشر. / والتحصيل: تمييز ما يحصل».[1]

واعلم أنّ هذا الكلام يُقوّى ويُؤيّد بما مرّ: مِن أنّ الحقيقة من حيثُ هي صالحةٌ للوَحدة والكثرة، فيكون الحُكم استغراقًا أو غير استغراق إلى مُقتضى المقام: فإن كان خَطابيًا يُفيد الاستغراق، وإن كان بُرهانيًا فيُحمَل على أقلّ ما يَحتمِله.

قوله: **(كما تقول)** أي: هذا كما تقول. ويُقال: جَبَله الله، أي: خَلَقه، و"الجِبِلّة": الخِلقة. فكأنّه إذا قال المُستفهِم: هل عرفتَ الأسد وفرطَ الإقدام الذي هو مجبول عليه؟ قال المُخاطب: لا أعرفه، صِفْه لي؛ فقال في جوابه: إنّ زيدًا هو الأسد. فكأنّه قال: إن أردتَ أن تَعرِف حقيقة الأسد فانظر إلى زيد؛ فإنّه كأنّه المُجسَّم من حقيقة الأسد، وحقيقتُه حقيقتُه.

---

١ **الوسيط** للواحدي، ٥٤٥/٤ (العاديات، ١٠/١٠٠).

فانظر كيفَ كرَّر الله عزَّ مِن قائلٍ التنبيهَ على اختصاصِ المتَّقين بنَيْلِ ما لا ينالُه أحَدٌ على طرُقٍ شتَّى، وهي: ذكر اسم الإشارة، وتكريرُه، وتعريفُ المفلحين، وتَوْسيطُ الفَصْل بينه وبين ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾؛ ليُبَصِّرَكَ مَراتِبَهم، ويُرَغِّبَك في طلَبِ ما طلَبوا، ويُنشِّطَكَ لتقديم ما قدَّموا، ويُثبِّطَك عن الطمعِ الفارغ والرَّجاءِ الكاذب،

قوله: (**فانظر كيف كرَّر الله تعالى**)،[١] يعني: وإذا تقرّر ما ذَكرنا فانظر في الآية لِتَعلم أنّ الله تعالى كيف كرَّر التنبيه على أنّ المُتَّقين قد اختُصُّوا بنَيل ما لا يَناله أحد وهو الهُدى والفلاح. فقوله: (**على اختصاص**) متعلق بـ(**التنبيه**). وقوله: (**بنيل**) مُتعلِّق بـ"الاختصاص". وقوله: (**على طُرُق**) حال من "التنبيه"، يعني: أنّ التنبيه المُكرَّر ليس بطريقة واحدة بأن تُكرَّر الطريقة الواحدة مرة بعد أخرى، بل هي بطُرق شتى: الطريقة **الأولى**: (**ذِكرُ اسم الإشارة**)، فإنّه دلّ على أنّ ما قَبله سبب لِما بعده، فيكون إيمانُهم المذكور وعملُهم المشهور سببًا لاتِّصافهم بما اتَّصفوا به من الهُدى والفلاح، فمَن لا يكون له ذلك الإيمانُ والعملُ لا يكون مُتَّصفًا بهما، فيُفيد الاختصاص. والطريقة **الثانية**: "تكريرُ[٢] اسم الإشارة"؛ لِيُفيد أنّ كلَّ واحد مِن الهُدى والفلاح مُختصٌّ[٣] بهم لا المجموع من حيثُ هو، كما مرّ.[٤] **والثالثة**: (**تعريف المُفلحين**)؛ لِما عرفتَ أنّه مُفيد للاختصاص. **والرابعة**: (**توسيطُ الفَصْل**) بين لفظ المُفلحين ولفظ أولئك.

قوله: (**ليُبصِّركَ**) مُتعلِّق بقوله: "كرَّر"، أي: إنّما كرَّر التنبيه بالطرُق المختلفة ليُريَكَ (**مراتبَهم**)، و"يَجعلك راغبًا في طلب ما طلبوه" من المراتب والثواب، ويُصيِّرك ذا نشاط للإتيان بالأعمال التي أتَوا بها، و"يَجعلك مُتثبِّطًا"، أي: ناكصًا مُتأخِّرًا عن أن يَطمع على الله الثوابَ والدرجاتِ العُلى، فإنّ ذلك طَمعٌ خالٍ عن حُصول مطموع، ورجاءٌ لا يترتَّب عليه المرجوُّ؛ لأنّه ليس للإنسان إلّا ما سعى، وإنّما جعل ذلك "الرجاء كاذبًا"؛ لأنّ حاصل ذلك الرجاء حديثُ النفس بأنّه سيُحصَل لهم ما يحصُل للأبرار، مع أنّهم يعملون عمل الفُجّار وذلك حديثٌ كاذب.

---

١ ش ن - تعالى.

٢ ن: تقرير.

٣ ن: يختصّ.

٤ ن - مرّ.

والتمنّي على الله ما لا تقتضيه حكمتُه ولم تسبقْ به كلمتُه.

اللّهم زَيّنا بلباس التقوى واحشُرنا في زُمْرةٍ من صدَّرتَ بذكرهم سورةَ البَقرةِ.

والمُفلِحُ: الفائز بالبُغيَةِ كأنّه الذي انفتحَتْ له وجوهُ الظَّفَر ولم تَستَغْلِقْ عليه، والمُفْلِج -بالجيم- مثلُه، ومنه قولُهم للمطلَّقَةِ: استَفْلِحي بأمرِكِ، بالحاء والجيم، والتركيبُ دالٌّ على معنى الشقِّ والفتح، وكذلك أخواتُه في الفاء والعين، نحو: فَلَقَ وفَلَذَ وفَلَى.

قوله: **(والتمنّي)** أي: يُثبّطُك عن التمنّي، أي: إنّما كرّر ذلك ليَمنعك أن تتمنّى على الله أن يُعطيَك ما يُعطي العاملين، فإنّ ذلك بخلاف مُقتضى حكمته ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم ٥٣/٣٩-٤٠].

قوله: **(ولم تَسبِق)** عطفٌ على قوله: **(ما لا تَقتضيه)**، فإنّ حُكمه[1] السابق ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة ٩٩/٧-٨].

قوله: **(والمُفلِح: الفائز)** أي: الظافر، فاز بالشيء، أي: ظفر به. و**(البُغية)**: المطلوب. و"استغلق الشيء"، أي: أُرتِجَ وأُبهِمَ. و**(استفلِحي)** أي: فوزي **(بأمركِ)** واستبدّي به،[2] مِن الفلاح: وهو الفوز بالمطلوب. **(والتركيب دالٌّ على معنى الشّقّ والفتح)**؛ ولهذا سُمّيَ الزارع فلّاحًا،[3] ومَشقوق[4] الشَّفَة السُّفلى: أفلحُ.[5] وفي المَثَل: «الحديدُ بالحديد يُفلَحُ»،[6] أي: يُشقّ ويُقطَع. وفي رِجل فلان فُلُوح، أي: شُقوق، وبالجيم أيضًا.[7] و«فلقتُ" الشيء فَلقًا: شققتُه، والتفليق مثله».[8] ويقال: "فلَذتُ" له من مالي، أي: قطعتُ له منه، وافتلذتُه المالَ: أخذتُ من ماله فِلْذة.

---

[1] ن: حكمته.

[2] قولهم: "استفلحي بأمرك" من ألفاظ الجاهليّة في الكناية عن الطلاق. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «فلح».

[3] ن + والأفلح.

[4] ن: المشقوق.

[5] ن – أفلح.

[6] **جَمهرة الأمثال** للعسكري، ١/٣٤٥؛ **مَجمع الأمثال** للميداني، ١/١١. برواية «إنّ الحديد بالحديد يُفلَح»؛ **المُستقصى** للزمخشري، ١/٤٠٣. والمُصنّف نقل المَثَل في جملة ما نقل من **الصحاح** للجوهري، «فلح». وأورد بعضه الرازيُّ في تفسيره، ٢/٣٨ (البقرة، ٢/٥).

[7] انظر: **الصحاح** للجوهري، «فلح».

[8] **الصحاح** للجوهري، «فلق».

....

والفِلْذة: القطعة من الكبد واللحم والمال وغيرها، والجمع فِلَذ.[١] و"فلوتُه"[٢] عن أمِّه وافتليتُه[٣] إذا فطمتَه. والفَلُوُّ بتشديد الواو: / المُهْر؛ لأنّه يُفتلى أو يُفطَم. وفليتُ رأسَه مِن القَمل. وفليتُ الشِّعر إذا تدبَّرتَه واستخرجتَ معانيَه وغريبه.[٤] قال الإمام: «وتحقيقه أنّ الله تعالى لمّا وصفهم بالقيام بما يلزمهم عِلمًا وعملًا بيَّن نتيجة ذلك، وهو الظفر بالمطلوب الذي هو النعيم الدائم من غير فَوْت، على وجه الإجلال والإعظام؛ لأنّ ذلك هو الثواب المطلوب بالعبادات».[٥] [٦٣ظ]

قال أبو علي في **الحُجّة**:

اختلفوا في الهمزة في قوله عزَّ وجلَّ:[٦] ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾: فكان ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يهمزون ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾، وما أشبه ذلك مثل: ﴿يَأۡكُلُونَ﴾ [البقرة ١٧٤/٢]، و﴿يَأۡمُرُونَ﴾ [آل عمران ٢١/٣]، و﴿يُؤۡتُونَ﴾ [المائدة ٥٥/٥]، ساكنة الهمزة كانت أو متحرِّكة: مثل ﴿يُؤَخِّرُكُمۡ﴾ [إبراهيم ١٠/١٤]، و﴿يُؤَدِّهِۦٓ﴾ [آل عمران ٧٥/٣]. إلّا أنّ حمزة كان يستحبُّ ترك الهمز[٧] في كلّ[٨] **القرآن** إذا أراد أن يقف، والباقون يقفون[٩] بالهمز،[١٠] وروى وَرْش عن نافع تَرْك الهمز[١١] الساكن في مثل: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾، وما أشبهه، وكذلك المُتحرِّك مثل: ﴿يُؤَدِّهِۦٓ﴾، ﴿يُؤَخِّرُكُمۡ﴾، ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾ [البقرة ٢٢٥/٢]، وما كان مثله. وأمّا أبو عمرو فكان إذا أدرج القراءة، أو قرأ في الصلاة لم يهمز كلَّ همزة ساكنة مثل: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾، و﴿يُؤۡمِنُ﴾ [البقرة ٢٣٢/٢]، و﴿يَأۡخُذُونَ﴾ [الأعراف ١٦٩/٧]، ما أشبه ذلك. وروى السُّوسيُّ عن أبي عمرو أنّه كان لم يهمز في الصلاة كلَّ همزة ساكنة، إلّا أنّه كان يَهمز حروفًا من السواكن بأعيانها، أذكرُها إذا مررتُ بها إن شاء الله تعالى.

---

[١] انظر: **الصحاح** للجوهري، «فلذ».
[٢] ن: وفلذته.
[٣] ن: وافتلذته.
[٤] انظر: **الصحاح** للجوهري، «فلو». وفي مطبوعه «لأنّه يُفتلى، أي: يُفطم».
[٥] **تفسير الرازي**، ٣٨/٢ (البقرة، ٥/٢). وفي مطبوعه «من غير شَوب».
[٦] ن: تعالى.
[٧] ن: الهمزة.
[٨] ن: كلّ.
[٩] ن – يقفون.
[١٠] ن: بالهمزة.
[١١] ن: الهمزة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾

لمَّا قدَّمَ ذكرَ أوليائه وخالصةِ عبادِه بصفاتهم التي أهَّلَتهُم لإصابةِ الزُّلْفى عنده، وبيَّن أنَّ الكتاب هدًى ولُطفٌ لهم خاصّةً، قَفَّى على إثره بذكر أضدادهم،

وإذا كان سكون الهمز علامةً للجزم لم يترك همزها مثل: ﴿نَنسَأۡهَا﴾[1] [البقرة ١٠٦/٢]، و﴿تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة ١٠١/٥]، و﴿وَهَيِّئۡ لَنَا﴾ [الكهف ١٠/١٨]، و﴿يُهَيِّئۡ لَكُم﴾ [الكهف ١٦/١٨]، و﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾ [الإسراء ١٤/١٧]، و﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ﴾ [الأنعام ٣٩/٦]، و﴿أَنۢبِئۡهُم﴾ [البقرة ٣٣/٢]، وما أشبه ذلك. ورُويَ[2] أنّ أبا يوسف[3] الأعشى يقرأ على أبي بكر[4] ﴿فَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء ٦/٢١]، ورُويَ[5] عن حمزة[6] أنّه لم يكن يهمز في الصلاة.[7]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

قوله: **(بصفاتهم)** مُتعلِّق بقوله: **(ذِكْر)**. والضمير المُستتر من قوله: **(أهَّلَتْهم)** عائد إلى "الصفات"، أي: الصفات التي جَعلَت الأولياء الذين هم خالصةُ عباد الله أهلًا للوصول إلى **(الزُّلفى)**: وهو القُربة عند الله تعالى.

قوله: **(وبيَّن)** عطفٌ على **(قدَّم)**. وقوله: **(خاصّةً)** حالٌ من الضمير[8] المجرور في **(لهم)**. وقوله: **(قفّى)** أي: أَتبعَ وأَردفَ، وهو جواب **(لمّا)**.

قوله: **(على أَثَره)**،[9] أي: على أَثَر ذِكْر أوليائه، يقال: خرجتُ في إثْره، أي: في أَثَره.[10] وقوله: **(بذِكر)** مُتعلِّق بقوله: "قفّى". و**(هُم)** عائد إلى "الأضداد".

---

[1] قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ننسأها﴾، بفتح النون مع الهمزة. وقرأ الباقون من السبعة ﴿نُنسِهَا﴾. انظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٦٨.

[2] د: رَوى.

[3] د ر: يزيد؛ ن: زيد. | والظاهر أنّه خطأ، لأنّ الأعشى المشهور بالرواية عن أبي بكر يُكنى أبا يوسف، وبهذه الكنية ورد اسمه في كتاب الحجّة الذي صرّح الجاربردي بالنقل عنه ههنا.

[4] في مطبوع **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢١٥/١: «روى الشموني محمّد بن حبيب عن الأعشى عن أبي بكر».

[5] د: رَوى.

[6] في مطبوع **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢١٦/١: «قال ابن مجاهد: وحدّثني محمّد بن عيسى بن حيّان المقرئ، قال: حدثنا أبو هشام عن سُليم عن حمزة».

[7] انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢١٤/١-٢١٦. وأكثره في **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٣٠-١٣٢.

[8] ن: ضمير.

[9] ن: أثر.

[10] ن - أثره.

وهـم العُتَاةُ المَرَدةُ من الكفار الذين لا ينفع فيهـم الهُدى ولا يُجْدِي عليهـم اللُّطْفُ، وسواءٌ عليهـم وجودُ الكتاب وعدمُه، وإنذارُ الرسول صلى الله عليه وسلم وسكوتُه.

فإن قلتَ: لـم قُطِعَتْ قصةُ الكفَّار عن قصةِ المؤمنينَ ولـم تُعطَف كنحوِ قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار ٨٢/١٣-١٤]، وغيره من الآي الكثيرة؟

قلتُ: ليس وزانُ هاتين القصَّتين وزَانُ ما ذكرتَ؛ لأن الأولى فيما نحن فيه مَسُوقَةٌ لذكر الكتاب وأنه هدى للمتَّقين، وسيقتِ الثانيةُ لأنَّ الكفَّار من صفتهم كيتَ وكيتَ، فبَيْن الجملتين تباينٌ في الغَرَضِ والأسلوب، وهما على حدٍّ لا مَجال فيه للعاطف.

فإنْ قلتَ: هذا إذا زعمتَ أنَّ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ جارٍ على "المتَّقين" فأمَّا إذا ابتدأتَه وبنيتَ الكلامَ لصفة المؤمنين ثـم عقَّبتَه بكلامٍ آخَرَ في صفة أضْدادهم

و(**العُتاة**) جمع عاتٍ من العُتُوّ: وهو مُجاوزة الحدِّ. والمارِد: العاتي، والجمع "مَرَدة"، مِن مَرُدَ بالضمّ مَرادةً فهو مارِدٌ ومَرِيدٌ.

قوله: (**مِن الكفّار**) بيان العُتاة والمَرَدة.

قوله: (**لا يُجدي**) أي: لا يَنفع. وقوله: (**سواءٌ عليهم وجودُ الكِتاب وعدمُه**) جملة معطوفة على صلة (**الذين**).

قوله: (**وإنذارُ**) عطفٌ على قوله: (**وجودُ الكِتاب**). وهذا بناء على مَذهبه؛ لأنّ الكفّار عند المُعتزلة قسمان: قسم يَعلم الله تعالى منهم أنّه يَنفع فيهم اللطف فيَلطُف بهم، وقسم يَعلم الله تعالى أنّه لا يَنفع فيهم اللطف فلا يَلطُف بهم.[1]

قوله: (**فإنْ قلتَ: لِمَ قُطِعتْ قِصّة الكفّار؟**)، يعني: أنّه لِمَ لـمْ يُعطَف قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾؟

قوله: (**لأنّ الكفّار**) مُتعلِّق بقوله: (**سِيقَتْ**).

---

[1] انظر تفصيل معنى اللطف عند المعتزلة في **المغني** للقاضي عبد الجبّار، ١٣/٣-٣١؛ و**المِلَل والنِّحل** للشهرستاني، ١/٧٠؛ و**شرح المقاصد** للتفتازاني، ٤/٣١٣.

كان مثلَ تلك الآيِ المتلوَّة.

قلتُ: قد مرَّ لي أنّ الكلامَ المبتدأ عقيبَ المتقين سَبِيلُه سبيلُ الاستئناف، وأنّه مبنيٌّ على تقدير سؤالٍ، فذلك إدراجٌ له في حُكم المتَّقينَ وتابعٌ له في المعنى وإنْ كان مبتدأً في اللفظ، فهو في الحقيقة كالجاري عليه.

قوله: **(كان مِثلَ تلك الآيِ)** أي: كان ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وما بعده مِثلَ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ [الانفطار ١٣/٨٢]، وغيرِه مِن الآيِ الكثيرة.

قوله: **(وأنّه مَبنيٌّ)** عطف على قوله: **(أنّ الكلام المُبتدأ)**، والضمير من قوله: **(أنّه)** عائد إلى "الكلام". ومعنى **(الاستئناف)**: "أن يكون مَبنيًا على تقدير سؤال"؛ فعلى هذا يكون قوله: "وأنّه مَبنيٌّ"... إلخ، من العطف الذي يكون للبيان. وقوله: **(فذلك)** أي: كون ﴿ٱلَّذِينَ﴾... إلخ، مَبنيًا على تقدير سؤال **(إدراجٌ له)** أي: للذين **(في حُكم المُتَّقين)**.

[٦٤و] قوله: **(وتابع)** عطفٌ / مِن حيثُ المعنى على قوله: "إدراجٌ"، فكأنّه قال: "فذلك"، أي: "الاستئنافُ إدراجٌ للكلام[١] المُبتدأ في حُكم المُتَّقين"، فالكلام السابق مُدرَجٌ في حُكم المُتَّقين وتابعٌ له.

وتمام الجواب مَوقوفٌ على كلام سَبق بعضُه،[٢] فنقول: قد ذَكرنا أنّه متى لم يكن بين الجملتين جِهة جامعة؛ لكمال انقطاع الثانية عن الأولى، لم يَجُز العطف.

وكمال الانقطاع بين الجملتين:

إمّا بأن تَختلفا طَلبًا وخبرًا، ولا يكون الخبر في معنى الطلب ولا الطلب في معنى الخبر، كما ستجيء أمثلته، إن شاء الله تعالى. وإمّا بأن اتفقتا[٣] خبرًا، ولكن لا يكون بينهما اتّحاد: في المُخبَر عنه، أو الخبر، أو في قيد من قيودهما كالحال والصفة.[٤]

---

١ ن: الكلام.

٢ مضى في تفسير سورة البقرة، ٢/٢.

٣ ن: اتفقا.

٤ من قوله: "وكمال الانقطاع" إلى هنا بلفظ قريب في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٣٦١-٣٦٢.

....

وذلك كما إذا كنتَ في حديث، ويَقعُ في خاطرك بغتةً حديث آخرَ، لا جامعَ بينه وبين ما أنت فيه بوَجه، أو يكون بينهما جامعٌ غيرُ مُلتفَت إليه؛ لبُعد مَقامك عنه، ويَدعوكَ إلى ذِكْره داعٍ؛ فتَذكره مفصولًا:

مثال **الأوّل**: كنتَ في حديثٍ مِثل: كان معي فلانٌ فقراً، ثمّ خَطر ببالكَ أنّ صاحب حديثكَ جَوهريٌّ، ولكَ جَوهرة لا تَعرِفُ قيمتَها، فتُعقِّب كلامكَ أنّكَ تقول: لي جَوهرة لا أعرِفُ قيمتَها، هل أُرينَكَها؟ فتَفصِلُ.

ومثال **الثاني**: وَجدْتَ أهل مَجلِسكَ في ذِكْر خواتِمَ لهم، يقول واحد منهم: خاتَمي كذا، يَصفُه بحُسن صياغة ومَلاحةِ نَقشٍ ونَفاسة فَصٍّ وجَودة تركيب وارتفاع قِيمة، ويقول آخر: وإنّ خاتَمي هذا بديعُ الشَّكْل خفيفُ الوَزن لَطيف النقش ثمين الفَصّ، إلّا أنّه واسعٌ لا يُمسِكه إصبعي، وأنتَ كما قلتَ: إنّ خاتَمي ضَيّقٌ تذكرتَ ضِيقَ خُفِّكَ وعَناءكَ منه، فلا تقولُ: وخُفّي ضَيّقٌ؛ لنُبُوّ مَقامكَ عن الجمع بين ذِكر الخاتَم وذِكر الخُفّ، فتَختارُ القَطعَ قائلًا: خُفّي ضَيّق، قُولوا ماذا أعملُ؟ أو تكونُ في حديثٍ قد تَمّ، ومعكَ حديثٌ آخر بعيدُ التعلُّق به تُريد أن تَذكُره، فتُورِدُه في الذِّكر مَفصولًا، مثل ما تقولُ: **كتابُ سيبويه** واللهِ كتابٌ لا نظيرَ له في فَنّه، ولا غِنى لامرئٍ في أنواع العلوم عنه، لا سيَّما في الإسلاميّة، فإنّه فيها أساسٌ وأيُّ أساسٍ! إنّ الذين رَضُوا بالجهل لا يَدرون ما العلومُ وما أساسُ العلوم. فتَفصِلُ "إنّ الذين رَضُوا بالجهل" عمّا قبله؛ لكَون ما قَبله حديثًا من **كتاب سيبويه**، وأنّه حقيقٌ بأن يُخدَم، وكَونِ ما عقَّبتَه به حديثًا[1] من الجُهّال، وسُوء ما أثمر لهم جهلهم.

إذا عرفتَ هذا فنقول: الآيةُ التي نحن فيها، وهو قوله عزَّ اسمه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ من هذا القبيل؛ لكَون ما قَبله حديثًا من القرآن، وأنّ مِن شأنه كيت وكيت، وكَونِ أنّ الذين كفروا حديثًا مِن الكفار،

---

[1] ن – لكون ما قبله حديثًا من كتاب سيبويه، وأنّه حقيقٌ بأن يُخدَم، وكونِ ما عقَّبتَه به حديثًا.

....

ومن تصميمهم في كفرهم. فالفصلُ لازمٌ للانقطاع سواءٌ جعلتَ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ جاريًا على "المُتَّقين" أو ابتدأتَه؛[١] لِمَا عرفتَ أنّ الكلام المُبتدأ عَقيب "المُتَّقين" سبيلُه الاستئناف، ومُدرَج في حُكم المُتَّقين. وإنّما قلنا: لم يَجُز العطف؛ لأنّك لو عطفتَ في مثله لكنتَ كأنّك جمعتَ بين الضَّبّ والنُّون: اللذَين لا يعيش أحدُهما بدون الماء، والآخر لا يَشرب الماء ولو عَطش رَوِيَ بالرِّيح؛ ولَكان هذا العطف مثلَ العطف في قولكَ:[٢] زيدٌ مُنطلِق، ودَرجاتُ الحَمل ثلاثون، وكُمُّ الخليفة في غاية الطُّول، وأهلُ الرُّوم نصارى، وخَتمُ القرآن في التراويح سُنَّة. ومَن عَطفَ في هذه الصورة سُجِّل عليه بالسخافة، أو عُدَّ مَسخَرة مِن المَساخِر، وربَّما استُودِعَ كلامُه هذا دفاترَ المَضاحك. / بخلافه إذا تَركَ العَطف ورَمى بالجُمل رَميَ الحَصى والجَوز، مِن غير طلب ائتلاف بينهما فالخطب حينئذٍ يَهُون هَوْنًا ما. [٦٤ظ]

وأمّا إذا تَوسَّط الجملتان بين كمال الاتصال وكمال الانفصال فيحسن فيه العطف، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار ٨٢/١٣-١٤].[٣]

اعلم أنّ الذي ذكرناه هو وَجهُ تَرك العاطف، وأمّا وجه الإتيان بـ"إنّ"[٤] فهو أنّه لمّا ذَكر أنّ القرآن ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الموصوفين، توجَّه لسائل أن يَسأل فيقول: هل لغيرهم فيه هُدى أو هو مَخصوص بهم؟ فأُجيبَ: بأنّ الهدى مَخصوص بهم، فيكون قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ جوابًا لهذا السُّؤال؛ فلهذا أتى بـ"إنّ". وهذا الوجه يَصلح عِلّة لتَرْك العاطف.

رُوِيَ أنّ الكنديّ المُتفلسِف قال للمُبرِّد: إنّي أَجِدُ في كلام العرب حشوًا؛ تقول: عبدُ الله قائمٌ، ثمّ تقول:[٥] إنّ عبدَ الله قائمٌ، ثمّ تقول:[٦] إنّ عبدَ الله لَقائمٌ،

---

١ ن: ابتدائية.

٢ ن: قوله.

٣ من قوله: "وذلك كما إذا كنت" إلى هنا تهذيب لِما جاء في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٣٨٠-٣٨١.

٤ ن - بـ"إنّ".

٥ ن - عبدُ الله قائمٌ، ثمّ تقول.

٦ ن: تقول.

فقال المُبرِّد: بل المَعاني مُختلِفةٌ؛ فقولهم: عبدُ الله قائمٌ إخبارٌ عن قِيامه، وقولهم: إنّ عبدَ الله قائمٌ، جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إنّ عبد الله لَقائمٌ جوابٌ عن إنكار مُنكِرٍ لقيامه.[١]

وقال عبد القاهر مُحتجًا على صحّة قولِ المُبرِّد: يدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف ١٨/٨٣-٨٤]، وقولُه: ﴿إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [غافر ٤٠/٦٦]، وأَشباهُ ذلك، ممّا يُعلَم أنّه يدلُّ على أمر النبي عليه السلام بأن يُجيب به الكفّار في بعض ما جادلوا وناظروا فيه.[٢] ثمّ قال عبد القاهر: والتحقيق أنّها للتأكيد، فإذا كان الخبر بشيء ليس للمُخاطَب ظَنٌّ في خِلافه لم يُحتَج هناك إلى "أنّ"، وإنّما احتاجَ إليها إذا كان السامع[٣] ظَنَّ الخِلاف؛ ولذلك تراها تَزداد حُسنًا إذا كان الخبرُ بأمر يَبعُد مثلُه، كقول أبي نُوَاس:

عليكَ باليأس مِن الناسِ ... إنّ غِنى نَفْسكَ في الياسِ[٤]

وإنّما حَسُن موقعها؛ لأنّ الغالب أنّ الناس لا يَحملون أنفسهم على اليأس.[٥]

وأمّا جَعلُها[٦] مع اللام جوابًا لمُنكِر في قولك: "إنّ زيدًا لَقائم" فجيِّدٌ؛[٧] لأنّه إذا كان الكلام مع المُنكِر كانت الحاجةُ إلى التأكيد أشدّ، وكما يَحتمِل أن يكون الإنكار مع السامع احتمَل أن يكون مع الحاضرين.[٨]

واعلم أنّها قد تجيء إذا ظَنّ المُتكلِّم في الذي وُجِد أنه لا يُوجَد، مثل قولكَ: إنّه كان مِنّي إحسانٌ فتُعاملُني بالسوء، فكأنّك تَرُدُّ على نفسك ظنّك الذي ظننتَ،

---

١ انظر: دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٣١٥. ورواه عن ابن الأنباري.

٢ انظر: دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٣٢٤.

٣ ن: للسامع.

٤ البيت في ديوانه، ١/٣٩٦. وروايته العَجُز فيه «إنّ الغنى ويحكَ في الياس». وهو له على نحو ما أورده المُصنِّف ههنا في دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٣٢٥؛ وتفسير الرازي، ٢/٤١ (البقرة، ٢/٦).

٥ انظر: دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٣٢٥.

٦ ن: وإنّما جعلها.

٧ ن - جيِّد. | وفي موضعها بياض صحيح.

٨ انظر: دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٣٢٧.

والتعريفُ في ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ....

وتُبيِّنَ الخطأ في الذي تَوهَّمت، وعليه قوله تعالى حكاية عن أمّ مريم: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران ٣/٣٦]، وكذلك قول نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾[١] [الشعراء ٢٦/١١٧].[٢]

قوله: (والتعريف في ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾)... إلخ، اعلم أنّ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ صيغةٌ للجمع[٣] مع لام التعريف، وهي للاستغراق بظاهره، ثمّ إنّه لا نِزاعَ أنّه ليس المراد منه هذا الظاهرَ، فنقول: "يَجوز أن يكون التعريف في ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٤] للعهد، بأن يكون المراد بهم ناسًا بأعيانهم، كأبي جَهل وأبي لَهب والوليد وأمثالهم"،[٥] فحينئذٍ لا يكون فيه إشكالٌ، ويطابقه قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾... إلخ. "ويَجوز أن يكون التعريف للجنس، فيكون اللفظ بظاهره مُتناوِلًا لكلّ مَن صمَّم على الكفر، بحيثُ لا يَرعوي، ويكون متناولًا لغيرهم أيضًا"، أي: للمنافقين. ثمّ إنّ اللفظ وإن كان مُتناوِلًا، لكنّ المراد به "المُصِرُّون" فقط، وهم المُصمِّمون الذين لا يرعوون عن كفرهم، ويكون قرينة / ذلك "الإخبارَ عنهم باستواء الإنذار وتركه"، يعني: أنّ [٦٥و]
اللفظ وإن كان عامًّا، لكن دلَّت هذه القرينة -وهو الإخبار عنهم باستواء الإنذار وتركه- على أنّ المراد هم المُصِرُّون فقط.

واعلم أنّ صَميم الشيء: خالصه، تقول: هو في صَميم قومه. وصَميم الحرّ وصَميم البرد: أَشَدُّه. و"صمَّمَ": إذا عَضَّ وأَثبتَ أسنانه فلم يُرسِل ما عَضَّ.[٦] وقوله: صمَّم على كفره احتراز عن المنافقين؛ لأنّه ليس كفرهم خالصة؛ لخِلاف[٧] سرِّهم عَلَنَهم، وظاهرِهم باطنَهم، مُذبذَبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. وإنّما حملنا[٨] على هذا المعنى؛ لأنّ هاتين[٩] الآيتين في الذين محَّضوا الكفر وما بعدهما

---

١ انظر: **دلائل الإعجاز** للجرجاني، ص ٣٢٧.
٢ من قوله: "روي أنّ المتفلسف الكندي" إلى هنا جمعه الرازي وهذّبه من كلام الشيخ عبد القاهر، والظاهر أنّ الجاربردي نقله عنه بشيء من التغيير. انظر: **تفسير الرازي**، ٢/٤١-٤٢ (البقرة، ٢/٦).
٣ ن: الجمع.
٤ ن - في ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
٥ ن: وأضرابهم.
٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «صمم».
٧ ن: يخالف.
٨ ن: حملناه.
٩ ن: هذين.

يجوزُ أن يكونَ للعهدِ، وأنْ يرادَ بهم ناسٌ بأعيانهم كأبي لَهبٍ وأبي جَهْلٍ والوليدِ بن المغيرة وأَضْرابهم، وأن يكون للجنس متناوِلًا كلَّ مَن صمَّمَ على كفره تصميمًا لا يَرْعوي بعده وغيرَهم، ودلَّ على تناولهِ للمُصرِّين الحديثُ عنهم باستواءِ الإنذارِ وتركِه عليهم.

في المنافقين. والتقرير[١] الآتي بعد أوراقٍ، بطريق السؤال والجواب، يُقرِّر هذا المعنى.

قوله: **(وأن يُرَاد بهم)** عطفٌ على قوله: **(أن يكون للعَهد)**، وهو مِن العطف الذي يكون للبيان، وإنّما عطف لهذا البيان؛ لأنّ كونه للعهد لا يَستلزم أن يُرَاد به هؤلاء المذكورون فذكر أنّ المراد هؤلاء.

قوله: **(وأن يكون للجنس)** عطفٌ على "أن يكون للعَهد" قسيمٌ له، فكأنّه قال: إمّا أن يكون للجِنس وإمّا أن يكون للعَهد. ويقال: "ارعوى" عن القبيح، أي: رَجع.

قوله: **(بَعدَه)** أي: بعد التصميم.

قوله: **(وغَيْرَهم)** أي: غيرَ مَن صمَّم.

قوله: **(على تَناوُله)**،[٢] أي: على تخصُّصه بالمُصرِّين. وقوله: **(عليهم)** مُتعلِّق بـ**(استواء)**.

هذا هو البحث المُتعلِّق بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

وأمّا قوله تعالى: ﴿كَفَرُواْ﴾ فأقول: قال أبو عليّ في الحُجّة:

> الكُفر: خِلاف الشُّكر، كما أنّ الذمّ: خِلاف الحَمد، والكفر: سَتر النِّعمة وإخفاؤها، والشُّكر: نشرها وإظهارها. وفي التنزيل: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة ٢/١٥٢]، وقال الشاعر:
>
> في ليلةٍ كَفرَ النُّجومَ ظَلامُها[٣]

---

١ ن: والتقدير.

٢ ن: تناوله.

٣ عجز بيت من مُعلَّقة لبيد بن ربيعة، وصدره:
يعلو طريقةَ مَتنِها مُتواترٌ
والبيت في ديوانه، ص ٣٠٩. برواية «كفر النجومَ غَمامُها». وهو كذلك في جامع البيان للطبري، ١/٢٦٢ (البقرة، ٢/٦)؛ وشرح القصائد السبع لابن الأنباري، ص ٥٦٠؛ والحُجّة لأبي علي الفارسي، ١/٢٤٤. وفي شرح ابن الأنباري «كفر النجومَ: معناه غطّاها».

....

وقال الأعشى:

ولا بـدّ مِـن غـزوة فـي الربيع حَجُون تُكِلُّ الـوَقـاح الـشَّكُـورا[1]

الحَجَن بالتحريك: الاعوجاج، وغزوة[2] حَجُون،[3] أي: بعيدة. ويقال: كَلَّ السيف والريح والطَّرْف واللسان يَكِلُّ كَلًّا وكِلَّة، وأكَلَّه[4] غيرُه. وحافرٌ وَقاح، أي: صُلب. «قال أحمد بن يحيى: الشَّكُور: السريع القَبول للسِّمَن. وقال[5] أبو عليّ: فكأنّ سُرعته لقَبول ذلك إظهارٌ للإحسان[6] إليه والقيام عليه».[7]

وقال الإمام:

صَعُب على المُتكلّمين ذكر حدّ الكفر. وتحقيق القول فيه: أنّ كلّ ما نُقِل عنه عليه السلام: فإمّا أن تُعرَف صِحّة ذلك النقل بالضرورة، أو بالاستدلال، أو بخبر الواحد. أمّا الأوّل فمَن صدّقه في كلّ ذلك فهو مُؤمِن، ومَن لم يُصدِّقه: إمّا في الجميع أو في البعض فكافر. فالكُفر: عدم تصديق الرسول[8] عليه السلام في شيء ممّا عُلِم بالضرورة[9] مجيئه به، كإنكار الصانع، وكونِه عالمًا قادرًا. وأمّا الذي يُعرَف بالدليل أنّه مِن دِينه، مثل كونه عالمًا بالعِلم أو بذاته، وأنّه مرئيّ أو غير مرئيّ، فلم يكن الإقرار به ولا الإنكار داخلًا في ماهيّة الإيمان، ولا مُوجِبًا للكُفر. وأمّا الذي ثبَت برواية الآحاد فكذلك.

فإن قيل: يَبطُل ما ذكرتُم من جهة العكس بلُبس الغِيار وشَدّ الزُّنّار[10] وأمثالهما؛

---

[1] انظر: الحُجّة لأبي علي الفارسي، ١/٢٤٤-٢٤٥. والبيت في ديوان الأعشى، ص ٩٩، والرِّواية فيه:
ولا بـدَّ مـن غـزوة فـي المصيـ
ـف حَـتٍّ تُكِلُّ الوَقـاحَ الشَّكورا

[2] ن: وعرره.

[3] ن: حجور.

[4] ن: وكلالة.

[5] ن: قال.

[6] ن: الإحسان.

[7] الحُجّة لأبي علي الفارسي، ١/٢٤٥. وفي مطبوعه «فكأنّ سرعة قَبوله لذلك».

[8] ن + النبي.

[9] ن – بالضرورة.

[10] الغِيار: علامة أهل الذِّمّة، وهم يُعلَمون به ولا يُغيِّرونه. ويكون فيما يَظهر من ثيابهم ثوب يخالف لونه لون ثيابهم، كالأزرق والأصفر ونحوهما. ومثله الزُّنّار: للنصارى أو للمجوس، وقيل: هو علامة اليهود. وهو أن يشدُّوا في أوساطهم خيطًا غليظًا فوق الثياب. انظر: المُهذَّب للشيرازي، ٥/٣٢٧؛ والمُغرِب للمُطرِّزي، «غير»؛ والمصباح المُنير للفيومي، «غير»؛ وتاج العروس للزَّبيدي، «غير». وقال ابن بطّال في ضبط غين الغيار: «بالفتح وهو الاسم، وأمّا بالكسر فهو المصدر». النظم المُستعذَب، ٢/٣٠٤.

و﴿سَوَآءٌ﴾ اسم بمعنى الاستواء ....

فإنّه كفر، مع أنّه شيءٌ آخرُ سوى تصديق الرسول عليه السلام فيما عُلم بالضرورة مَجيئه به؛ قلنا: هذه الأشياء في الحقيقة ليست كُفرًا؛ لأنّ التصديق وعدمَه أمرٌ باطن لا اطِّلاع للخلق عليه، ومن عادة الشرع ألّا يَبني الحُكم في أمثال هذه الأمور على نفس المعنى؛ لأنّه لا سبيل للاطِّلاع عليه، بل يَجعل[1] لها مُعرِّفات[2] وعلاماتٍ ظاهرة، ويَجعل تلك المظانَّ الظاهرة مَدارَ الأحكام الشرعيّة، ولُبس الغِيار والزُّنّار[3] من هذا الباب؛ فإنّ / الظاهر أنّ من أتى بهذه الأفعال لا يكون مُصدِّقًا للرسول عليه السلام، فالشرع يُفرِّع الأحكام عليها، لا أنّها في أنفُسها[4] كُفر.[5] [٦٥ظ]

قوله: (﴿سَوَآءٌ﴾ اسم بمعنى الاستواء)، يعني: هو اسم مصدَر في الأصل فجاء الوصف به كما جاء الوصف بالمصادر؛ ولذلك استوى فيه المُذكَّر والمُؤنَّث، كما في الآيتين. قال أبو عليّ في **الحُجّة**:

السواء والعَدل والوسط والقَصد والنَّصَفة ألفاظ يَقرب بعضها من بعض. قال:

أَرُونا خُطَّةً لا خَسْفَ[6] فيها يُسوِّي بيننا فيها السَّواءُ[7]

أي: العدل. وقال: ﴿فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات ٣٧/٥٥]، أي: في وَسْطه. وقال عيسى: ما زِلتُ أَكتبُ حتّى انقطع سَوائي، أي:[8] وَسَطي.[9]

وقال في **الصحاح**: قال الأخفش: سِوى إذا كان بمعنى غير أو بمعنى العدل يكون فيه ثلاثُ لغات، إن ضممْتَ، أو كسرتَه قصرتَه، وإن فتحتَ مددتَ. ويقال:

---

١ ن: يجعله.

٢ ن: بتعرفات.

٣ هامش د: شدّ الزُّنّار.

٤ ن: أنفسها.

٥ انظر: **تفسير الرازي**، ٢/٤٢-٤٣ (البقرة، ٢/٦).

٦ ن: حسن.

٧ البيت لزهير بن أبي سُلمى في ديوانه، ص ٧٤. ورواية شارحه ثعلب: «أَرُونا سُنّةً لا عَيبَ فيها»، وذكر أنّ رواية أبي عمرو «أَرُونا خُطّةً لا عَيبَ فيها». والبيت لزهير برواية أبي عمرو هذه في **تهذيب اللغة** للأزهري، «سوي» ١٣/١٢٦. وهو له بالرِّواية التي ساقها المُصنِّف هاهنا في **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١/٢٤٦؛ و**البسيط** للواحدي، ٢/٩٢ (البقرة، ٢/٦). وفيه «أَروني خُطّةً».

٨ ن - أي.

٩ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١/٢٤٥-٢٤٦. وقول عيسى بن عمر -وحكاه الأصمعيُّ عنه- في **تهذيب اللغة** للأزهري، «سوي» ١٣/١٢٦.

وُصف به كما يُوصَف بالمصادر، ....

هما في هذا الأمر سَواء، وإن شئتَ: سَواءان، وهم أَسواء،[١] وهم سَواسيَة، أي: أشباه، على غير قياس.[٢] وقال في **الحُجّة**:

قالوا: قوم أسواء، أي: مُسْتوون. وأنشد أبو زيد:

هلّا كوَصل[٣] ابن عمّار يُواصِلني ... ليس الرجالُ وإن سُوُّوا[٤] بأَسواءِ[٥]

فـ"أسواء" ليس يخلو أن يكون جمع سيِّء أو سواء، فإن كان جمع "سيِّء" فهو مِثل مِثْل وأمثال، وإن كان جمع "سواء" فهو مثل جَواد وأَجواد. وحُكي أيضًا في الأسماء: حياءُ الناقة وأحياء، ولا يَمتنع جمعه وإن كانوا لم يُثنُّوه، كما لم يَمتنعوا من جمعه على سَواسيَة.[٦]

ثمّ قال في موضع آخر: «ولم يُثنَّ "سواء" كما ثُنِّيَ سِيَّان، وإن كانوا قد كسَّروه[٧] في قوله: سَواسيَة. وحكى السُّكَّريّ عن أبي حاتم إجازة تثنية "سواء"، ولم يُصِب السِّجستانيُّ في ذلك؛ لأنّ أبا[٨] الحسن[٩] وأبا عمر[١٠] زعما أنّ ذلك لا يُثنّى، كأنّهم استغنَوا بتثنية "سيِّء" عن تثنية "سواء"، كما استغنوا عن "وَدَعَ" بـ"تَرَكَ"».[١١]

قوله: (**كما يُوصَف بالمصادر**) الكاف صفة مصدر محذوف، و"ما" مصدرية، وقوله: "يُوصَف" مُستند إلى الجارّ والمجرور، فليس فيه ضمير. وكذا قوله: (**وُصِف به**)

---

١ د ش: أسواؤهم. | ورجّحتُ ما جاء في مطبوع **الصحاح**.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «سوي».

٣ ن: لوصل.

٤ ن: مشوا.

٥ نسب أبو زيد الأنصاري البيت لرافع بن هُرَيم في **النوادر**، ص ٢٨٢. وهو بلا نسبة في **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢٤٧/١؛ و**البسيط** للواحدي، ٩٥/٢ (البقرة، ٦/٢). وهو لرافع في **لسان العرب** لابن منظور، «سوي». نقلًا عن ابن بَرّي.

٦ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢٤٧/١-٢٤٨.

٧ ن: يشّروه.

٨ ن: أنّ أبا.

٩ د ش ن: الحسين. | وأثبتُّ ما في مطبوع **الحُجّة** و**البسيط**.

١٠ د ش ن: عمرو. | وأثبتُّ ما في مطبوع **الحُجّة** و**البسيط**.

١١ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢٦٨/١. وفي مطبوعه «ولم يُصب ابن السجستاني... لأنّ أبا الحسن وأبا عُمر». وأورد الواحدي هذا النصّ بقوله: «قال أبو علي الفارسي: لم يُصِب ابن السجستاني في ذلك؛ لأنّ الأخفش وأبا عمر الجَرمي زعما أنّ ذلك لا يُثنّى». **البسيط**، ٩٤/٢ (البقرة، ٦/٢). فالتصريح بالأخفش رجّح أنّ المراد: أبو الحسن لا أبو الحسين؛ وذِكر الجَرمي رجّح أنّ المراد: أبو عمر لا أبو عمرو، كما جاء في نُسخ **حاشية الجاربردي**.

ومنه قولُه تعالى: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران ٦٤/٣] ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت ١٠/٤١] بمعنى: مستويةٍ.

وارتفاعُه على أنه خبرٌ لـ﴿إِنَّ﴾ و﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ في موضع المُرتفِع بهِ على الفاعلية؛ كأنَّه قيل: إنَّ الذين كفروا مُستوٍ عليهم إنذارُك وعدمُه. كما تقول: إنَّ زيدًا مختصِمٌ أخُوهُ وابنُ عمهِ.

قال ابن الحاجب في **شرح المُفصَّل**:

> الوصف بالمصدر يكون بتأويلين: **أحدُهما**: أن يكون المصدر نفسه بمعنى اسم الفاعل أو المفعول، وهو الصحيح، **والآخر**: أن يكون باقيًا على معناه، ويكون ثَمّ[1] مضاف محذوف، تقديره: ذو عَدل، وهو ضعيف من وجهين: **أحدهما**: أنّه يلزم منه أن يُوصَف بجميع المصادر على هذا النحو، **والآخر**: أنّه[2] يلزم منه[3] حذف مُضاف على ما ذكرناه.[4]

قوله: **(ومنه قوله تعالى)** أي: ومن الوصف بالمصدر قوله تعالى.

قوله: **(وارتفاعُه)** مبتدأ، وقوله: **(على أنّه)** خبره، والضمير عائد إلى "سواء". وقوله: **(به)** أي: بقوله: ﴿سَوَآءٌ﴾؛ لأنّه هنا بمعنى مُستوية. قال المُصنِّف في **المُفصَّل**: يجوز تقديم الخبر على المبتدأ، كقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾، المعنى: سواءٌ[5] عليهم الإنذارُ وعدمُه.[6] وقال ابن الحاجب في **شرحه**:

> وإنّما ينتهض مثالًا لِما ذَكره، إذ جُعل ﴿سَوَآءٌ﴾ خبرَ مبتدأ[7] مُقدَّمًا، وأمّا إذا جُعل ﴿سَوَآءٌ﴾ صفةً، و﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ فاعلًا لها، خرج عن هذا الباب. وهو قول كثير مِن الناس، ولكنّ الذي ذَكره هو قول الأكثر، وهو الصحيح؛ لأنّ ﴿سَوَآءٌ﴾ ليس بصفة في أصل وضعه، فإجراؤه على باب الاسميّة أولى من إجرائه على باب الوصفيّة، ولو كان صفة في الأصل

---

١ ن: ثمّة.

٢ ن – أنّه.

٣ ن: لم يلزم.

٤ انظر: **الإيضاح في شرح المُفصَّل** لابن الحاجب، ٤١٧/١-٤١٨.

٥ د + خبر. | وليست في متن **المُفصَّل**، ولا يستقيم معها الكلام.

٦ انظر: **المُفصَّل** للزمخشري، ص ٤٤.

٧ د – مبتدأ. | وكانت كُتِبت في متن د، ثمّ ضُرِب عليها، وكُتِب في الهامش: خبرًا.

أو يكون ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ في موضع الابتداء و﴿سَوَآءٌ﴾ خبرًا مقدَّمًا بمعنى: سواءٌ عليهم إنذارُك وعدمُه، والجملةُ خبرٌ لـ﴿إِنَّ﴾.

فإن قلتَ: الفعلُ أبدًا خبرٌ لا مخبَرٌ عنه، فكيف صحَّ الإخبار عنه في هذا الكلام؟

قلتُ: هو من جنس الكلام المهجورِ فيه جانِبُ اللفظِ إلى جانب المعنى، وقد وجدنا العربَ يميلون في مواضعَ من كلامهم مع المعاني مَيْلًا بيّنًا، مِن ذلك قولُهم: لا تأكلِ السَّمكَ وتشربَ اللَّبَنَ، معناه: لا يكُنْ منك أكلُ السمك وشُرْبُ اللبن، وان كان ظاهِرُ اللفظ على ما لا يصحُّ من عطف الاسم على الفعل.

لكان تقديره فاعلًا أحسنَ، ألا ترى[١] أنّ قولك: مررتُ برجُل قائمٍ أبوه -بجرّ "قائم"- أحسنُ من قولك: مررتُ برجُل قائمٌ أبوه، برفعه؛ وقولَكَ: مررتُ برجُل[٢] سواءٌ هو وأبوه -برفع "سواء"- أحسنُ مِن قولكَ: مررتُ برجُل سواءٍ هو وأبوه، بجرّ سواء، فكذلك ههنا، إذا جعلتَه غيرَ فاعل، فيكون ﴿سَوَآءٌ﴾ خبرًا مُقدَّمًا، / كان أولى مِن جَعْله فاعلًا، فيكون ﴿سَوَآءٌ﴾ خبرَ ﴿إِنَّ﴾.[٣] [٦٦و]

وأقول: هذا ممّا لم يُثنَّ فيه "سواء"، وإن كان الخبر مُتعدِّدًا، ومثلُه ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِ﴾ [الحج ٢٥/٢٢].

قوله: (**من عطف الاسم على الفعل**) وإنّما كان ظاهره عطفَ الاسم على الفعل؛ لأنّ قوله: (**تَشربَ**) منصوبٌ بـ"أنْ" مُقدَّرة، تقديره: وأنْ تشربَ، و"أنْ" مع الفعل في تأويل الاسم؛ ولذا قال تقديره: (**لا يكن منكَ أَكْلُ السمك وشربُ اللبن**)، ولو كان المراد[٤] عطفَ الفعل على الفعل لكان قوله: "تَشربَ"[٥] مجزومًا، فكان حقُّه الكسر؛ لالتقاء الساكنين.

---

١ د: يُرى.

٢ ن – قائمٍ أبوه -بجرّ "قائم"- أحسنُ من قولك: مررتُ برجُل قائمٌ أبوه، برفعه؛ وقولَكَ: مررتُ برجُل.

٣ **الإيضاح في شرح المُفصَّل** لابن الحاجب، ١٥٦/١-١٥٧. وفي مطبوعه موضعا اختلاف عمّا جاء ههنا، هما: «وأمّا إذا جُعل ﴿سَوَآءٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾»، و«إذًا جَعلُه غير فاعل».

٤ ن – المراد.

٥ د ش ن: لا تشرب. | ولا يستقيم معه الكلام؛ لأنّ المثال من غير "لا"، ومعها لا يستقيم وجه النصب.

والهمـزةُ و﴿أَمْ﴾ مجرَّدتـان لمعنـى الاسـتواء، وقـد انسـلخَ عنهمـا معنـى الاستفهام رأسًا.

قال سيبويه: جَرَى هذا على حرفِ الاستفهام كما جَرَى على حرفِ النداء قولُك: اللّٰهـمَّ اغفِرْ لنا أيَّتُها العِصَابةُ.

يعني: أنَّ هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام؛ كما أنَّ ذلك جَرى على صورة النداءِ ولا نداءَ.

ومعنى الاسْتِواءِ: استواؤُهما في عِلم المستفهِم عنهما؛ لأنه قد عَلِم أنَّ أحدَ الأمرين كائنٌ إمَّا الإنذارُ وإمَّا عدمُه ولكن لا بعَينِه، فكلاهُما معلومٌ بعِلمٍ غيرِ مُعَيّنٍ.

واعلـم أنّ معنى: "لا تـأكلِ السمك وتشربِ اللبن" -بكسر البـاء- النهيُ عن كلّ واحدٍ منهما؛ ومعناه إذا كان الباء مفتوحًا النهيُ عن الجَمع بينهما؛ ومعناه إذا كان مضمومًا: لا تأكل السمك وأنت تشربُ اللبن، أي: لا تأكله في حال شُرب اللبن.

قوله: **(والهمزة و"أم" مجردتان)**... إلخ، يقال: سَلخ جِلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله،[1] فقوله: **(قد انسلخ)** أي: ذهب عن الهمزة و"أم" معنى الاستفهام ذهابًا كُليًا، وبقيَ مُجرَّد الاستواء. وقوله: **(في عِلم المُستفهِم)** هو بكسر الهاء. وقوله: **(غير مُعيّن)**[2] بكسر الياء، يعني: إذا سأل مُستفهِم وقال: أأنذرتهم أم لم تنذرهم؟ يكون المعنى: كذلك، لا أنّ المعنى ههنا عليه. وهو ظاهر.

وتقرير[3] هذا الكلام أن نقول: لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر، ومثله قولك: ما أبالي أشَهِدتَ أم غِبتَ، وما أدري أأَقبلتَ[4] أم أَدبرتَ. وإنّما جرى عليه الاستفهام وإن كان خبرًا؛ لأنّ فيه التسوية التي في الاستفهام، ألا ترى[5]

---

[1] ن + عنها.
[2] في هامش د تعليق على الياء المضبوطة بالكسر من هذه الكلمة: «في نسخة جار الله».
[3] ن: ويقدر.
[4] ن: أقبلت.
[5] د: يرى.

....

أنّك إذا استفهمت وقلت: أَخَرج زيد أم أقام؟[١] فقد استوى الأمران عندك في الاستفهام وعدم عِلم أحدهما بعينه، كما أنّك إذا أَخبرتَ فقلت: سواء عليَّ أقعدتَ أم قمتَ، فقد سوَّيتَ الأمرين عليك، فلمّا عمّمَتْهما التسوية جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام؛ لمُشاركتهما في هذا الأمر العامّ الذي يشملها، فكلُّ استفهام تسوية وإن لم يكن كلُّ تسوية استفهامًا.

ومثل التسوية ههنا الاختصاصُ، في نحو: أنا أفعل كذا أيُّها الرجُل، واللّهمّ اغفِر لنا أيّتُها العِصابة، فلمّا كنتَ مُختصًّا نفسَك[٢] والعِصابة في هذا الكلام جرى عليه لفظ النِّداء، من حيث أردتَ الاختصاص الذي أردتَه في النِّداء، كما جرى الاستفهام على التسوية، فمِن ثَمّة[٣] صار كلُّ منادى مُختصًّا، وإن لم يكن كلُّ مُختصٍّ منادى.[٤]

قال في **الحُجّة**:

> ولا يجوز في هذا الموضع "أو"؛ لأنّ المعنى: سواءٌ عليَّ هذان، ألا ترى[٥] أنّك لو قلت: "سواءٌ عليَّ القيام والقعود" لم يَجز إلّا الواو، وكذلك لو أظهرتَ المصدرين اللذَين دلّ عليهما لفظ الفعلين المذكورين في قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الطور ٥٢/١٦] الجَزَع والصبر، ولم تَقله بـ"أو"، كما قال عزّ وجلّ: ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج ٢٢/٢٥]، ولو قلت: سواءٌ عليَّ العاكف أو البادي، أو سواءٌ عليَّ الجَزَع أو الصبر، لكان المعنى: سواءٌ عليَّ أحدهما، وسواءٌ عليَّ أحدهما مُحال؛ لأنّ التسوية لا تكون إلّا بين اثنين فصاعدًا.
>
> فإن قلتَ: فقد قال أبو عمرو: إنّ الأصمعيّ أنشدهم لرجُل مِن هُذيل:
>
> وكان سِيّان ألّا يسرحوا نَعَمًا   أو يَسرحوه[٦] بها[٧] واغبرّت السُوحُ[٨]

---

١ ن: قام.

٢ ن: بذلك.

٣ ش: ثَمّ.

٤ من قوله: "لفظه لفظ الخبر" إلى هنا بلفظ قريب في **الحُجّة** لأبي عليّ الفارسي، ١/٢٦٤-٢٦٥.

٥ د: يُرى.

٦ ن: يسرحوا.

٧ ن - بها.

٨ الشعر لأبو ذُؤيب الهُذلي. انظر: **شرح ديوان الهُذليّين** للسُكّري، ١/١٢٢. والرِّواية فيه مختلفة اختلافًا >

....

وساحة الدار: باحتها، والجمع ساحات وسُوح[١] وسَاح. فأنشدهمُوه[٢] بـ"أو". وسِيّان: مثل سواء. ألا ترى[٣] أنّه لا يستقيم[٤] "زيد أو عمرو سيّان" كما لا يستقيم[٥] مع سواء، ولا تكون "أو" بمنزلة الواو. فالقول في ذلك: أنّ هذا على ظاهر الاستحالة التي ذكرنا.

وإنّما استجاز[٦] هذا / الكلام بـ"أو"؛ لأنّه يراه يقول: جالِس الحَسن أو ابن سِيرين، ويجوز له أن يُجالسهما؛ ويسمع. ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان ٧٦/٢٤] فلا يُطيعُهما، كما أنّه إذا قيل له ذلك بالواو وكان كذلك. فلمّا رآها تجري مَجرى[٧] الواو في نحو هذه المواضع أجراها مُجراها في "سواء" و"سِيّان"، فهذا كلام حقيقته ما ذكرنا، والذي سوَّغه عند قائله ما وصفنا. [٦٦ظ]

وكذلك قول الآخر:

سِيّان كَسرُ رغيفِه أو كَسر عَظم مِن عِظامه[٨]

فأمّا قولهم: مررت برجل سواءٌ درهمه، وقولهم: هذا درهم سواءٌ، فمعناه: تامٌّ، فهذا يجوز الاقتصار فيه[٩] على اسم مُفرَد. وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص ١٤/٢٨]، أي: كمَل وتمَّ، فهذا الفعل منه مثل هذا الاسم، ولو كان من التسوية بين الشيئين لم يَستغنِ بفاعل، كما لم يَستغن

← كبيرًا، والبيت هنا مُلفّق من بيتين فيه، هما:

وقال ماشِيهمُ سِيّان سيرُكمُ
أو أن تُقيموا به واغبرّت السُّوحُ
وكان مِثلين ألّا يَسرحوا نَعمًا
حيثُ استرادت مواشِيهمْ وتسريحُ

والبيت بالرّواية التي ساقها المُصنّف ههنا في المصادر الآتية. فهو بلا نسبة في **الإيضاح العَضُدي** لأبي علي الفارسي، ص ٢٨٥؛ و**كتاب الشِّعر** لأبي علي الفارسي، ٣٢٣/١؛ ولرجل من هُذيل في **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢٦٦/١؛ وهو لأبي ذؤيب في **أساس البلاغة** للزمخشري، «سوح»؛ و**شرح شواهد الإيضاح** لابن بَرّي، ص ٢٤٥.

١ ن: وسيوح.
٢ ن: فأنشدهو.
٣ د: يرى.
٤ ن: يستفهم.
٥ ن: يستفهم.
٦ ن: وأمّا استحالة.
٧ ن – مجرى.
٨ البيت لأبو محمّد يحيى اليزيدي أو دِعبل الخُزاعي. وهو في **ديوان دِعبل**، ص ٤٢٤. وفصّل البغداديُّ الكلام على اليزيدي ونسبة البيت إليه في **خزانة الأدب**، ٧١/١١-٧٦؛ و**شرح أبيات المغني**، ٣٠/٢-٣٢. وأنشده أبو علي الفارسي لبعض المُحدثين في **الحُجّة**، ٢٦٧/١؛ و**كتاب الشِّعر**، ٣٢٤/١.
٩ ن: منه.

وقُرئ: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، والتخفيفُ أَعْرَبُ وأكثرُ، وبتخفيف الثانية بين بينَ، ....

"سواء" عن اثنين في نحو: ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج ٢٢/٢٥].

وأمّا قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النجم ٥٣/٦-٧] فمعناه: استقام.[1] ولا تكون المُقتضية لفاعلين؛ لأنّ الضمير المرفوع لم يُؤكَّد في الآية، فقوله:[2] ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ جملة في موضع الحال.[3]

قوله: (وقرئ ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين) قال صاحب التيسير:

اعلم أنّ الهمزتين إذا اتفقتا بالفتح نحو ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة ٢/٦]، و﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ﴾ [البقرة ٢/١٤٠]، و﴿ءَأَسْجُدُ﴾ [الإسراء ١٧/٦١]، وشِبْهه، فإنّ نافعًا وابن كثير وأبا عمرو وهشامًا يُسهّلون الثانية منهما، ووَرش يُبدِلها ألفًا، والقياس أن تكون بين بين. وابن كثير لا يُدخِل قبلها[4] ألفًا، وقالون وأبو عمرو وهشام يُدخِلونها، والباقون يُحقِّقون[5] الهمزتين.[6]

إذا عرفتَ هذا فنقول: ذكر المُصنِّف سِتَّ قراءات:

الأُولى: قوله: (بتحقيق الهمزتين)، يعني: من غير أن تتخلّل بينهما ألف، وهي قراءة عاصم وحمزة والكِسائي وابن عامر في رواية ابن ذكوان.[7]

قوله: (والتخفيف)،[8] أي: التخفيف[9] سيُشير إليه بعدُ (أَعربُ) أي: أفصح، مِن قولهم: كلام عربيٌّ، أي: فصيح (وأكثرُ)، أي في الاستعمال، وهذه جملة معترضة.

الثانية: قوله: (بتخفيف الثانية بين بين) أي: من غير أن يتوسّطهما ألف، وهو قراءة ابن كثير.[10]

---

١ ن: استفهام.
٢ ن: نحو قوله.
٣ انظر: الحُجّة لأبي علي الفارسي، ١/٢٦٥-٢٦٨. وشرح "السُّوح" في البيت، زيادة من المُصنِّف، ليست في مطبوع الحُجّة.
٤ ن: قلبها.
٥ د ش: يخففون. | وفي التيسير: يحقِّقون.
٦ انظر: التيسير للداني، ص ١٦١.
٧ السبعة لابن مجاهد، ص ١٣٥؛ النشر لابن الجزري، ١/٣٦٣.
٨ ن: التحقيق.
٩ ن: التحقيق؛ ش + الذي. | وكُتِب تحتها تعليق في د: الذي يأتي.
١٠ السبعة لابن مجاهد، ص ١٣٤؛ النشر لابن الجزري، ١/٣٦٣.

وبتوسيط ألِفٍ بينهما محقَّقَتين، وبتوسيطها والثانيةُ بينَ بينَ، وبحذف حرف الاستفهام، وبحذفهِ وإلقاءِ حركتهِ على السَّاكِن قبله؛ كما قُرئ: ﴿قَدَافلحَ﴾ [المؤمنون ١/٢٣].

فإن قلتَ: ما تقول فيمَن يَقلب الثانيةَ ألفًا؟

قلتُ: هو لاحنٌ خارجٌ عن كلام العرب خروجَيْن:

الثالثة: قوله: (**وبتوسيط ألف بينهما مُحقَّقتين**)، وهذه قراءة شاذَّة.[١]

الرابعة: قوله: (**بتوسيطها والثانية بين بين**)، وهي قراءة أبي عمرو، وقراءة ابن عامر في رواية ابن هشام، وقراءة نافع في رواية قالون.[٢]

الخامسة: قوله: (**بحذف حرف الاستفهام**) هكذا "سَوَاءٌ عَلَيهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ" بإسكان الميم وبهمزة منفردة مفتوحة، وهي أيضًا شاذَّة.[٣]

السادسة: قوله: (**بحذفه**) أي: بحذف همزة الاستفهام بعد "إلقاء حركتها على ما قبلها"، فتكون الميم مفتوحة وبعدها همزة مفتوحة هكذا "سَوَاءٌ عَلَيهِمَ أَنْذَرْتَهُمْ"، وهي أيضًا شاذَّة.[٤]

وهنا قراءة أخرى لم يذكرها[٥] المُصنِّف مع القراءات، وهي قراءة نافع في رواية وَرش، وهي أن تُقلَب الهمزة الثانية ألفًا،[٦] فيلزم التقاء الساكنين. وأورده بطريق السؤال وردَّه بقوله: (**هو لاحنٌ**)...[٧] إلخ، **إن قيل: هذا طعنٌ فيما هو من** القراءات السبع الثابتة بالتواتر، ومثله كُفر؛ **قلنا: ليس هذا ممّا ثبت بالتواتر؛ لأنَّ** القراءات السبع متواترة فيما ليس من قَبيل الأداء، كالمدِّ[٨] والإمالة وتخفيف الهمز،

---

١ **المغني في القراءات للنُّوزاوازي**، ص ٣٧٩؛ **البحر المحيط لأبي حيّان**، ٧٩/١ (البقرة، ٦/٢).

٢ **السبعة لابن مجاهد**، ص ١٣٤-١٣٥؛ **النشر لابن الجزري**، ٣٦٣/١.

٣ **المحتسَب لابن جنّي**، ٥٠/١؛ **شواذّ القراءات للكرماني**، ص ٤٩؛ **المغني في القراءات للنُّوزاوازي**، ص ٣٨٠.

٤ **إعراب القراءات الشواذّ للعكبَري**، ١١٥/١؛ **البحر المحيط لأبي حيّان**، ٧٩/١ (البقرة، ٦/٢).

٥ ش ن: يذكره.

٦ **التيسير للداني**، ص ١٦٠؛ **النشر لابن الجزري**، ٣٦٣/١.

٧ ن: هو لا.

٨ ن - كالمدّ.

أحدهما: الإقدامُ على جمع الساكنَين على غيرِ حدِّه، وحدُّه: أن يكون الأولُ حرفَ لِينٍ والثاني حرفًا مدغَمًا نحو قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وخُوَيْصَّة.

والثاني: إخطاءُ طريق التخفيف؛ لأن طريقَ تخفيفِ الهمزة المتحرِّكةِ المفتوحِ ما قَبْلَها: أن تُخرجَ بينَ بينَ، فأمَّا القلبُ أَلِفًا فهو تخفيفُ الهمزة الساكنة المفتوحِ ما قَبْلَها كهمزة رَأْسٍ.

كما ذكر المُحقِّق ابن الحاجب في أصول الفقه.[١] ويُؤيِّده ما قال الإمام حُجّة الإسلام الغَزّاليُّ في تعريف **القرآن**: هو ما نُقل بين دَفتي المُصحَف مُتواترًا.[٢]

ثمّ إنّا وإن قلنا: إنّه ما طعن في المتواتر، لكنّا لا ننكر أنّه أخطأ في التخطئة؛ «لأنّ مَن قلب الهمزة ألفًا يُشبع[٣] الألف إشباعًا زائدًا على مقدار الألف الخارجة[٤] عادة؛ ليكون الإشباع فاصلًا بين الساكنين، وهما الألف المقلوبة والنون»،[٥] [٦٧و] ويقوم مقام الحركة. كما / ذكر ابن الحاجب في وجه مَن قرأ ﴿مَحْيَايْ﴾ [الأنعام ١٦٢/٦] بإسكان الياء وصلًا.[٦] وأيضًا طريق التخفيف ليس بخطأ؛ لأنّه جاء "مِنْسَاة" و"سال". وقال الفرزدق:

فـارعَـيْ فَـزارة لا هَـنـاكِ الـمَـرتـعُ[٧]

أي: لا هَنأَكِ.[٨] قال حسّان:[٩]

---

١ انظر: **المُختصَر** لابن الحاجب، ١/٣٧٣.

٢ انظر: **المُستصفى** للغزالي، ٢/٩.

٣ ن: أشبع.

٤ ن: الحاجة.

٥ **تفسير الكواشي**، ص ١٦٦ (البقرة، ٦/٢).
والكواشي ساق رأي الزمخشري في هذه القراءة بقوله: «وزعم بعضهم»، وساق رأيه، ثمّ ردّه بما نقله الجاربردي ههنا. ونقل الطِّيبي كلام الكواشي لمناقشة هذا الموضع في **فتوح الغيب**، ١٢٧/٢.

٦ انظر: **الإيضاح في شرح المُفصَّل** لابن الحاجب، ٤٠٦/١.

٧ عجز بيت في **ديوانه**، ٥٠٨/٢. وصدره فيه:
ومضتْ لمَسلَمة الرِّكاب مُودَّعًا
والبيت له في **كتاب سيبويه**، ٥٥٤/٣؛ وبلا نسبة في **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢١٨/٢؛ **والمحتسَب** لابن جنّي، ١٧٣/٢؛ وهو له في **النكت والعيون** للماوردي، ١٢/٣ (يوسف، ١٢/١٢)؛ **وأساس البلاغة** للزمخشري، «رتع»؛ وعَجُزه له في **المُفصَّل** للزمخشري، ص ٤٩٠. وصدره في أكثر المصادر السالفة:
راحتْ بمَسلمة البِغال عشيّةً
وهذا العَجُز يُذكَر في الأمثال السائرة. انظر: **مجمع الأمثال** للمَيداني، ٢٨٩/١.

٨ ن: يهناك.

٩ د ش: الحسّان؛ ن: الحان.

....

سالتْ هُذيلُ رسولَ الله[١] فاحشةً ضلّتْ هُذيلُ بما قالت ولم تُصِبِ[٢]

وإذا ثبت مثله في كلام الفصحاء، ونُقِل عن القُرّاء السبع، فكيف يصحُّ الحكم بأنّه لَحْن خارج عن كلام العَرب؟ فإنّه وإن لم يكن متواترًا -بناءً على ما قال ابن الحاجب-[٣] فلا أقلَّ من أن يكون[٤] كغيره ممّا نقله الآحاد، بل ما نقله القُرّاء أَولى؛ لأنّهم ناقلون عمّن ثبت عِصمته مِن الغلط، وهو النبيُّ عليه السلام، والقُرّاء الناقلون أعدَلُ من النحاة، فالمصير إلى قولهم أَولى. نعم لو قيل: أكثر اللغة بخلافه لكان مُستقيمًا.[٥] وبهذا يندفع جميع ما أَورد المُصنِّف على القُرّاء من هذا القبيل.

ثمّ قال صاحب **التيسير**:

وإذا اختلف الهمزتان بالفتح والكسر -نحو قوله تعالى:[٦] ﴿أَءِذَا كُنَّا﴾ [الرعد ٥/١٣]، و﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل ٦١/٢٧]، و﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ﴾ [السجدة ١٠/٣٢]، و﴿أَءِنَّ لَنَا﴾ [الشعراء ٤١/٢٦]، وشِبْهه- فنافع وابن كثير وأبو عمرو يُسهِّلون الثانية، وقالون وأبو عمرو يُدخِلان[٧] قبله ألفًا، والباقون يحقِّقون[٨] الهمزتين، وهشام مِن قراءتي على أبي الفتح يُدخِل بينهما ألفًا في جميع **القرآن**، ومن قراءتي على أبي الحسن يُدخِلها في سبعة مواضع: في "الأعراف": ﴿أَءِنَّكُمْ﴾ [الأعراف ٨١/٧]، و﴿أَءِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الأعراف ١١٣/٧]، وفي "مريم": ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ﴾ [مريم ٦٦/١٩]، وفي "الشعراء": ﴿أَءِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الشعراء ٤١/٢٦]، وفي الصافات: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ [الصافات ٥٢/٣٧]،

---

١ د ن + عليه السلام.

٢ البيت في ديوان حسان بن ثابت، ٤٤٣/١. وفيه «بما سالت». وهو له في كتاب سيبويه، ٤٦٨/٣؛ وبلا نسبة في **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢١٨/٢؛ والمحتسَب لابن جنّي، ٩٠/١. وفيها «بما جاءت»؛ وصدره له في **المُفصَّل** للزمخشري، ص ٤٩٠.

٣ سبق تخريج قوله آنفًا.

٤ ن: أن يكون.

٥ قال أبو حيّان في ردّ ما ذهب إليه الزمخشريُّ في هذه القراءة: «وما قاله مذهب البصريين، وقد أجاز الكوفيون الجمع بين الساكنين على غير الحدّ الذي أجازه البصريون. وقراءة وَرْش صحيحة النقل لا تُدفَع باختيار المذاهب». **البحر المحيط**، ٧٩/١ (البقرة، ٦/٢).

٦ د - تعالى.

٧ ن: يدخلون.

٨ د ش ن: يُخفِّفون. | وأثبتُّ ما في مطبوع **التيسير**.

والإنذارُ: التخويفُ مِن عقابِ الله بالزَّجْر عن المعاصي.

فإن قلتَ: ما موقع ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾؟

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً﴾ [الصافات ٨٦/٣٧]، وفي "فصلت": ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ﴾ [فصلت ٩/٤١]، وسُهِّل الثانية هنا خاصّة.

وأمّا إذا اختلفا بالفتح والضمّ وذلك في ثلاثة مواضع: في "آل عمران": ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم﴾ [آل عمران ١٥/٣]، وفي "ص": ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ [ص ٨/٣٨]، وفي القمر:[1] ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ﴾ [القمر ٢٥/٥٤]: فنافع وابن كثير وأبو عمرو يسهّلون الثانية، وقالون يدخل بينهما ألفًا، وهشام -من قراءتي على أبي الحسن- يُحقِّق الهمزتين من غير ألف بينهما في "آل عمران"، ويُسهِّل الثانية، ويُدخل بينهما ألفًا في الباقين كقالون، والباقون يُحقِّقون[2] الهمزتين في ذلك[3] وهشام من قراءتي على[4] أبي الفتح كذلك، ويُدخِل بينهما ألفًا.[5]

قوله: **(والإنذار: التخويف)** قال الإمام: «وإنّما ذكر الإنذار دون البشارة؛ لأنّ تأثير الإنذار في الفعل والتَّرك أقوى من تأثير البشارة؛ لأنّ اشتغال الإنسان بدفع الضرر أشدُّ من اشتغاله بجلب النفع، وهذا الموضع[6] موضع المبالغة فكان ذِكر الإنذار أولى».[7] قال في **الحُجّة**: وأمّا الإنذار فإعلام معه تخويف، فكلُّ مُنذِر مُعلِم وليس كلُّ مُعلِم مُنذِرًا،[8] وهو يتعدّى إلى مفعولين. قال تعالى: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت ١٣/٤١]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ ٤٠/٧٨]، فتعدّيه بالباء؛ لأنّه لمّا[9] دلَّ على التخويف أُجريَ مُجراه فتقول: أنذرتُه بكذا، كما تقول: خوَّفته بكذا.[10]

---

١ ن: الشعراء.

٢ ن: يخففون.

٣ ن: ذلك.

٤ ن - على.

٥ انظر: التيسير للداني، ص ١٦٠-١٦٢.

٦ ن - الموضع.

٧ تفسير الرازي، ٤٧/٢ (البقرة، ٦/٢). وفي مطبوعه «بجلب المنفعة»، «وهذا الموضوع».

٨ ن: بمنذر.

٩ ن - لمّا.

١٠ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٢٥٣/١.

قلتُ: إمّا أن يكون جملةً مؤكِّدةً للجُملة قبلها، أو خبرًا لـ﴿إنَّ﴾ والجملةُ قبلها اعتراضٌ.

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾

"الخَتْم والكتم" أَخَوانِ؛ لأنَّ في الاستيثاقِ من الشيء بِضربِ الخاتم عليه كتمًا له وتَغْطِيَةً؛ لئلا يُتوصَّلَ إليه ولا يُطَّلَعَ عليه.

والغِشاوةُ: الغِطاءُ، فِعالةٌ من غَشَّاه إذا غَطَّاه، وهذا البناءُ لِمَا يَشتمِلُ على الشيء كالعِصابة والعِمامةِ.

قوله: **(إمّا أن يكون جملة مُؤكِّدة للجملة قبلها)**؛ لأنّه يقرّر ما أفاده قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾، مِن تَرْك إجابتهم إلى الإيمان، ولذلك لم يُعطَف.

قوله: **(والجملة قبلها اعتراض)**؛ فلا يكون للجملة المعترضة وهي ﴿سواء﴾... إلخ، محلّ من الإعراب.

قوله تعالى: **﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾**.

قوله: **(الخَتْم والكَتْم[1] أخوان)** أي:[2] مُتشابِهان في المعنى. ثمّ أشار إلى وجه التشابه بقوله: **(لأنّ في الاستيثاق)** والاستيثاق:[3] هو الاستحكام وشدُّ الوَثاق. و**(الخاتم)**، بفتح التاء وكسرها، والخَيْتام[4] والخَاتام بمعنى.[5] والضمير من **(عليه)** و**(له)** و**(إليه)** و**(عليه)** عائد إلى **(الشيء)** وحذف[6] صلة **(تغطية)** أي: له. وقوله: / **(كتمًا)** و"تغطية" تنازعا في **(لئلّا)**. [٦٧ظ]

قوله: (وهذا البناء)، يعني: فِعَالة -بكسر الفاء- لِما يشتمل على الشيء كاللِّفافة. قالوا: والفُعَالة -بضمّ الفاء- لِما يسقُط من الشيء، كالمُشَاطة: لِما يسقُط بالمُشْط،

---

١ ن: والكتب.
٢ ن – أي.
٣ ن – والاستيثاق.
٤ د: الخَتّيام؛ ن: الخام.
٥ انظر: الصحاح للجوهري، «ختم».
٦ ن: تحذف.

فإن قلتَ: ما معنى الختمِ على القلوب والأَسْماع وتَغْشِيَةِ الأَبْصارِ؟

قلتُ: لا ختمَ ولا تغشيةَ ثَمَّ على الحقيقة، وإنما هو من باب المجاز، ويحتمِل أن يكون مِن كِلَا نوعَيْه وهما الاستعارةُ والتمثيل.

أمّا الاستعارةُ: فأَنْ تُجْعَل قلوبُهم لأنَّ الحقَّ لا يَنْفُذ فيها ولا يَخْلُص إلى ضمائرها مِن قِبَلِ إعْراضِهم عنه واستكبارهم عن قبولِه واعتقادِه، وأَسْماعُهم

والبُرايَة: لِما يسقط ببَرِي القلم، والقُمامة والكُناسة بمعنًى، مِن قَممْتُ البيت وكنَسْتُه. قال في **مُجمَل اللغة**: «الكُرَابة: ما يقع من ثمر النخل في أصول الكَرَب».[١] وقال في **الصحاح**: «الكُرَابة بالضمّ: ما يُلتقَط من الثمر في أصول السَّعَف بعد ما يُصرَم».[٢] وقال: «وكَرَب النخل: أُصول السَّعَف».[٣] وقال في **مُجمَل اللغة**: «الغُشَانة[٤] في بعض اللغات: كُرَابة النخل».[٥]

قوله: (**أمّا الاستعارة فأن تُجعَل قلوبُهم**)... إلخ، اعلم أنّ "جَعَل"[٦] قد يكون من أفعال المُقاربة، وقد يكون بمعنى خَلَقَ فيتعدّى إلى مفعول واحد، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام ١/٦]، وقد يكون بمعنى صَيَّر فيتعدّى إلى مفعولين، نحو قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص ٥/٣٨]، ومنه قول المُصنِّف: "تُجعَل": فمفعوله الأوّل "قلوبُهم" القائم مقام الفاعل. وقوله: (**وأسماعُهم**) عطف على "قلوبُهم". ومفعوله الثاني قوله: (**كأنّها مُستوثَق منها**). والضمير في "كأنّها"[٧] و"منها" عائد إلى "القلوب" و"الأسماع". ويقال: «استوثقتُ منه، أي: أخذتُ منه الوثيقة»،[٨] فكأنّه إذا خُتِم على الشيء أُخِذ منه الوثيقة، بأن يكون مُستترًا مَخفيًّا لا يَطّلع عليه أحد. وقوله: (**لأنّ الحقَّ**)

---

١ **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «كرب». وفي مطبوعه «من ثمر النخل».

٢ **الصحاح** للجوهري، «كرب». وفي مطبوعه «من التمر». والصَّرْم: القطع البائن. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «صرم».

٣ **الصحاح** للجوهري، «كرب».

٤ ن: الغشاية.

٥ **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «غشن».

٦ ن: الظلمات.

٧ ن: كونها.

٨ **الصحاح** للجوهري، «وثق».

لأنها تَمجُّهُ وتَنْبو عنِ الإصْغاءِ إليه وتعَافُ استماعَهُ= كأنَّها مُسْتَوْثَقٌ منها بالختم، وأَبْصارُهم لأنها لا تَجْتَلِي آياتِ الله المَغروضةَ ودلائلَه المنصوبةَ كما تَجْتليها أَعْيُنُ المُعْتبرين المُستبْصِرينَ كأنَّمَا غُطِّي عليها وحُجِبَتْ وحِيلَ بينها وبين الإدراك.

عِلَّة لجَعْل قلوبِهم كالمُستوثَق منها. ويقال: "نفَذ" السهم في الرَّمِيّة نَفاذًا. ويقال: خَلَص، أي: وصل. أي: لمّا لم ينفَذ الحقُّ في قلوبهم، ولا يصلُّ إلى ضمائر قلوبهم من جهة إعراضهم عن الحقّ، جُعل كأنّها. وقوله:[١] **(تَمجُّه)** أي: ترمي الحقَّ. و**(تَنْبو)** أي: تتجافى وتباعَد عن المَيْل إلى الحقّ. و**(تَعاف)** أي: تَكرَه.

قوله: **(وأبصارُهم)** عطفٌ على قوله: "قلوبهم". وقوله: **(كأنّما غُطِّي)** عطفٌ[٢] على قوله: "كأنّها مُستوثَق"، فهو مثل قولك: ضرب زيدٌ عمرًا وبكرٌ خالدًا. ويقال: "اجتليتُ" الشيء، أي: نظرت إليها مَجلوَّة.[٣]

ثمّ اعلم أنّ الاستعارة: أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتُريد به الطرف الآخر.[٤]

وهي تنقسم إلى مُصرَّح بها، ومُكنّى عنها:

والمُصرَّح بها: هو أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المُشبَّه به. كما إذا كان عندك شجاع، وأنت تريد أن تُلحِق جرأته وقوّته بجرأة الأسد وقوته؛ فتدَّعي الأسديّة له، بإطلاق اسمه عليه مُفردًا له في الذِّكر، فتقول: رأيتُ أسدًا، لئلّا تَعدَّ جرأته وقوَّته دون جرأة الأسد وقوته، مع نَصب قرينة مانعة عن إرادة الهيكل المخصوص، كـ"يرمي" أو "يتكلَّم".

والمُكنّى عنها: هو أن يكون الطرف المذكور هو المُشبَّه، يعني: تذكر المُشبَّه وتُريد المُشبَّه به، مثل أن تُشبِّه المنيّة بالسَّبُع، ثمّ تُفرِدها بالذِّكر، مضيفًا إليها ما هو من خواصِّ المُشبَّه به؛ لتكون قرينة دالّة على المراد، فتقول: مخالب المنيّة نَشِبَتْ بفلان.

---

١ ن: قوله.
٢ ن - عطف.
٣ ن: لجلوة.
٤ مفتاح العلوم للسَّكّاكي، ص ٤٧٧.

وأمَّا التمثيلُ: فأَنْ تُمَثَّلَ حيث لم يَسْتَنْفِعُوا بها في الأَغْراضِ الدينيَّةِ التي كُلِّفُوها وخُلِقُوا من أَجْلِها بأشياءَ ضُرِبَ حِجازٌ بينها وبين الاستِنْفاع بها بالختم والتغطية.

وأيضًا تنقسم الاستعارة إلى أصليّة وتبعيّة: والمراد بالأصليّة: أن يكون معنى التشبيه داخلًا في المُستعار دخولًا أوّليًّا، أي: بغير واسطة، والمراد بالتبَعيّة: ألّا يكون داخلًا دخولًا أوّليًّا.[1]

وقد مرّ تقرير ذلك.[2]

إذا عرفت هذا فنقول قول المُصنِّف: "أمّا الاستعارة"...[3] إلخ، يعني: يجوز أن يكون هذا من الاستعارة التبعيّة المُصرَّح بها، بأن يقال:[4] شبَّه عدم نفوذ[5] الحقّ في قلوبهم ونُبوّ سمعهم عن الإصغاء إليه بالخَتْم والتغطية، ثمّ قيل: ﴿خَتَمَ﴾ وأُريد ما نَفَذَ[6] الحقُّ ونبا. وقرينتُها ذِكر القلوب والسمع، فيكون هذا من الاستعارة التبعيّة المُصرَّح بها.

[٦٨و] قوله: **(وأمّا التمثيل)**... إلخ، الضمير مِن **(تُمَثَّل)**[7] و**(بها)** عائدٌ / إلى "القلوب" و"السمع" و"الأبصار"، ومن قوله:[8] **(كُلِّفوها)**[9] و**(أجلِها)** إلى **(التي)**. والباء من **(بأشياء)** متعلّق بقوله: "تُمَثَّل". و**(الحِجاز)**: الحاجز والمانع. والضمير من **(بينها)** و**(بها)** عائد إلى "الأشياء".

واعلم أنّ التشبيه متى كان وجهه وصفًا غير حقيقيّ، وكان مُنتزَعًا مِن عِدّة أمور، يقال له: التمثيل، كالذي في قوله:

اصبر على مَضَض الحَسو د فإنّ صبرك قاتلُهْ

---

١ من قوله: "ثمّ اعلم أنّ الاستعارة" إلى هنا تلخيص وجمع وترتيب لِما في **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٤٨٢-٤٨٧.

٢ سبق في الكلام على الآية الخامسة من سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾.

٣ ن: الاستعارة.

٤ ن: قال.

٥ د: نفود.

٦ د: نفد.

٧ ن - تُمثِّل.

٨ ن: قولهم.

٩ ن: كانوا.

....

فـالـنـار تـأكـل نـفْـسَـهـا   إن لـم تـجِـد مـا تـأكُـلُـهْ[١]

فإنّ تشبيه الحسود المتروك مُقاولته بالنار التي لا تُمَدُّ بالحطَب فيُسرِع فيها الفَناء ليس إلّا في أمر مُتوهَّم للحسود، وذلك الأمر ما يَتوهَّمه إذا لم تأخذ معه في المُقاولة، مع عِلمكَ بتطلُّبه المُقاولةَ؛ ليَتوصَّل إلى نَفْثة مَصدور،[٢] مِن قيام ترك المُقاولة مَقام أن تَمنع الحاسد ما يُمِدُّ حياته ليُسرِع فيه الهلاك. وإنّه كما ترى مُنتزَع من عدَّة أمور.[٣]

فكذا في الآية، فإنّ تشبيه القلوب والأسماع والأبصار بالأشياء المَختوم عليها والمُغطّاة، وجهُه مأخوذ مِن عدَّة أمور، كما هو المذكور في الكتاب، وهو أمر اعتباريّ لا وصف حقيقيّ.

هذا تقرير كلام المُصنِف. وفيه بحث؛ لأنّ التمثيل[٤] ليس من نوعَي المجاز؛ لأنّ المجاز: إمّا عقليّ: وهو المجاز في المُركَّب، نحو: أَنبتَ الربيع البقل، وإمّا لُغويّ: وهو المجاز في المُفرَد.

والمجاز اللغويّ: إمّا راجعٌ إلى حُكم الكلمة في الكلام: كما في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر ٢٢/٨٩]، والأصل: وجاء أمر ربِّك، فالحُكم الأصليّ في الكلام لقوله: ﴿رَبُّكَ﴾ هو الجرّ، والرفع مَجاز؛ وفي قوله تعالى:[٥] ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف ٨٢/١٢]، والأصل: واسأل أهل القرية،[٦] فالحُكم الأصليّ للقرية في الكلام هو الجرّ، والنصب مَجاز.

وإمّا راجعٌ إلى معنى الكلمة، وهذا قسمان: لأنّه إمّا خالٍ عن الفائدة، وإمّا مُتضمِّن لها:

---

١ البيتان لابن المعتزّ في ديوانه، ٤١٢/٢، وفيه «اصبر على حَسَد العدوّ». وهما له برواية المُصنِّف ههنا في **دلائل الإعجاز** للجرجاني، ص ٩٦؛ وبلا نسبة في **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٤٥٥؛ وهما له في **الإيضاح** للقزويني، ص ٣٧٢.

٢ ن: مصرور.

٣ من قوله: "واعلم أنّ التشبيه" إلى هنا بلفظ قريب في **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٤٥٥.

٤ ن - أمر اعتباريٌّ لا وصف حقيقيٌّ. هذا تقرير كلام المُصنِّف. وفيه بحث؛ لأنّ التمثيل.

٥ ن - تعالى.

٦ ن - والأصل: واسأل أهل القرية.

وقد جعل بعض المازنيين الحُبسة في اللسان والعيّ ختمًا عليه، فقال:

فالخالي عن الفائدة: هو أن تكون الكلمة موضوعة لحقيقة من الحقائق مع قيد، فتستعملها لتلك الحقيقة لا مع ذلك القيد، بمعونة القرينة، مثل أن تستعمل المرسن -وإنّه موضوع لمعنى الأنف[1] مع قيد أن يكون أنف مرسون- استعمالَ الأنف من غير زيادة، بمعونة القرائن، كقول العجّاج:

وفاحمًا ومرسنًا مسرّجًا[2]

يعني:[3] وشعرًا أسود، وأنفًا يبرق كالسّراج.

والمتضمّن للفائدة: إمّا خالٍ عن المبالغة في التشبيه، وإمّا متضمّن لها:
فالخالي عن المبالغة في التشبيه: هو أن تُعدّى الكلمة عن مفهومها الأصليّ بمعونة القرينة[4] إلى غيره، بملاحظة بينهما ونوع تعلّق، نحو أن يُراد النّعمة باليد، وهي موضوعة للجارحة المخصوصة؛ لتعلُّق النّعمة بها من حيثُ إنّها تصدر عن اليد، وكذا[5] أردتَ القوّة والقُدرة؛ لأنّ القُدرة أكثر ما يظهر سُلطانها في اليد، وبها يكون البطش والضرب والقطع والأخذ والدفع والوَضع والرفع. والمجاز المتضمّن للمبالغة في التشبيه: هو الاستعارة، ولها انقسامات.[6]

فهذه أنواع المجاز وهي خمسة أنواع، ليس شيء منها مِن التمثيل في شيء.

فالوجه أن يقول في تقرير قوله: "وأمّا التمثيل"... إلخ: شَبّه قلوبهم وأسماعهم بأشياء ضُرِب الحِجاز[7] بينها وبين الاستنفاع بها بالخَتْم والتغطية، بجامع عدم الانتفاع، ثمّ ذَكر القلوبِ والسمع، وأُريد تلك الأشياء، والقرينة ذِكر قوله: ﴿خَتَمَ﴾، فتكون استعارة بالكناية، ولا شكّ أنّهما، أي: الاستعارة[8] بالكناية

---

[1] ن: الأنف.
[2] الرجز في ديوانه ٢/٣٤. وهو له في أسرار البلاغة للجرجاني، ص ٣١؛ وأساس البلاغة للزمخشري، «رسن»؛ ومفتاح العلوم للسّكّاكي، ص ٤٧٢؛ والإيضاح للقزويني، ص ٧٣.
[3] ن: قوله: يعني.
[4] ن - في التشبيه: هو أن تُعدّى الكلمة عن مفهومها الأصليّ بمعونة القرينة.
[5] ن + إذا.
[6] من قوله: "والمجاز اللغويّ" إلى هنا تلخيص وجمع وترتيب لِما في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٧١-٤٧٧.
[7] ن: الحجاب.
[8] ن: في الاستعارة.

خَتَمَ الإلهُ على لسانِ عُذافرٍ ختمًا فليس على الكلامِ بقادرِ
وإذا أرادَ النُّطقَ خِلْتَ لِسانَهُ لحمًا يُحرِّكُهُ لصقرٍ نافرِ

والاستعارة التبعيّة المُصرَّح بها من أنواع المجاز؛ لأنّ الاستعارة كما عرفتَ: هو المجاز اللغويّ الراجع إلى المعنى المُفيد المُتضمّن للمبالغة / في التشبيه. [٦٨ظ]

وسمّى المُصنِّف الأوّل استعارة، والثاني تَمثيلًا، وجعله قَسيمًا له؛ لأنّه أراد بالاستعارة: الاستعارة التبعيّة[١] المُصرَّح بها، فصحَّ جَعْل الاستعارة بالكناية قَسيمًا لها. وأمّا تسميته إيّاها تمثيلًا، أي: تشبيهًا، فمِن باب إطلاق اسم اللازم على الملزوم؛ لأنّ الاستعارة من حيث إنّها من فروع التشبيه لا تتحقَّق بمُجرد حصول الانتقال من الملزوم إلى اللازم، بل لا بدّ فيها من تقدمة تشبيه شيء بذلك الملزوم في لازم له، فتكون الاستعارة مُستلزِمة للتشبيه لا مَحالة، وهذا لا يخلو[٢] عن تعسُّف. قال الشاعر:

(خَتَمَ الإلهُ على لسانِ عُذافرٍ ختمًا فليس على الكلامِ بقادرِ
وإذا أرادَ النطقَ خِلْتَ لسانَه لَحمًا يُحرِّكه لِصقرٍ[٣] نافرِ)[٤]

الخَتْم هنا بمعنى: الحُبسة[٥] والعِيّ.[٦] وعُذافِر بالعين المهملة وضمّها والذال المعجمة وكسر الفاء: اسم رجل. ويقال: جَمَل عُذافِر، أي: عظيم شديد، ويقال للأسد: عُذافِر أيضًا.[٧] والصقر من الطير معروف، وكلُّ طائر صائد عند العرب كالبازي وما دونه: صقر. وكلُّ شيء يَفزع من شيء فينقبض عنه فهو نافر. يُخبر الشاعر عن حال ذلك الرجُل ولسانه ونطقه، أي: إذا أراد العُذافر النطق فيُحرِّك لسانه فيُشبِه لسانه بلحم يُحرِّكه[٨] المُحرِّك؛ ليراه الصقر النافر، أي: الهارب الذي أَفْلَتَ لِيَراه فيَرجع.

---

١ ن - الاستعارة التبعيّة.
٢ د: لا يخ [اختصارًا من "لا يخلو"].
٣ ن: أصفر.
٤ هما لبعض المازنيين في البصائر والذخائر لأبي حيّان التوحيدي، ٤/١٩٠؛ وربيع الأبرار للزمخشري، ٥/٢٠٩.
٥ ن: الحبسة.
٦ لم أجِد هذا المعنى فيما وقفتُ عليه من معجمات العربيّة.
٧ ن - أيضًا.
٨ ن: تحرّك.

فإن قلتَ: فلمَ أُسْنِدَ الختم إلى الله، وإسنادُه إليه يدلُّ على المنع من قبولِ الحق والتوصُّلِ إليه بطُرُقِه وهو قبيحٌ، والله يتعالى عَن فِعْلِ القبيح عُلُوًّا كبيرًا؛ لِعِلْمه بقُبْحهِ وعِلْمه بغِنَاهُ عنه، وقد نصَّ على تنزيهِ ذاتهِ بقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [ق ٢٩/٥٠] ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف ٧٦/٤٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ [الأعراف ٢٨/٧] ونظائرِ ذلك مما نطَقَ به التنزيلُ؟

قوله: **(وإسناده)** أي: إسناد الختم إلى الله تعالى يدلُّ على أنّه تعالى مَنع مِن قبولهم الحقَّ ومِن توصلُّهم إلى الحقّ بالطُّرق المُوصِلة إلى الحقّ.[١] **(وهو)** أي: المنع المذكور **(قبيحٌ)**، والقبيح لا يجوز على الله تعالى؛ لأنّ صدور القبيح من الفاعل دالٌّ على احتياجه إلى القبيح أو جهله بقُبحه: لأنّه إن لم يَعلم قُبحه فهو الثاني، وإن علم فهو الأوّل؛ لأنّ فعل القبيح من غير حاجة إليه مُحال، إذ الضرورة قاضية بذلك، وإذا ثبت أنّ فِعْل القبيح دالٌّ على أحد الأمرين فيمتنع صدوره عنه تعالى؛ "لأنّه يَعلم قُبحه ويَعلم غِناه عنه".

قوله:[٢] **(وقد نصّ)** استدلال بالمنقول على أنّه لا يجوز أن يَمنع من قبول الحقِّ.

وإذا عرفت ذلك فنقول: أمّا الجواب عن **الأوّل**: فإنّا لا نُسلِّم[٣] ثبوت قبيح بالنسبة إليه؛ إذ الحُسن والقُبح بالسمع، والسمع دلَّ على أنّ ما فَعَله حَسَن وصواب. ولو سُلِّم فلا نسلّم[٤] أنّه لا يصدر إلّا عن المُحتاج إليه أو الجاهل[٥] بحاله. ودعوى الضرورة في محلّ النِّزاع غيرُ مقبولة. وعن **الثاني**: أنّه يتصرَّف في مُلكه كيف شاء فلا ظُلم ولا فُحش.

ثمّ اعلم أنّ الناس اختلفوا في هذا الخَتْم:

أمّا القائلون بأنّ أفعال العِباد مخلوقة لله تعالى فلهم قولان:[٦] منهم من قال:

---

١ ن - إلى الحقّ.

٢ ن: وقوله.

٣ د: لا نم [اختصارًا من "لا نسلم"].

٤ د: فلا نم [اختصارًا من "فلا نسلم"].

٥ ن: الحاصل.

٦ القائلون بأنّ أفعال العباد مخلوقة هم أهل الحقّ، وأقوالهم في ذلك أوسع ممّا ذكر الإمام الرازي. ولعلّه إنّما ذكرهم بطريقة الإبهام؛ لخلاف له في هذه المسألة. انظر تفصيل تلك المذاهب ورأي الرازي فيها في **شرح المقاصد** للتفتازاني، ٢١٩/٤-٢٤٧. وانظر أصل المسألة في **التمهيد** للباقلاني، ص ٣٤١-٣٤٥؛ **والإرشاد** للجويني، ص ١٨٧-٢١٤.

قلتُ: القَصْدُ إلى صفة القلوب بأنَّها كالمَخْتُومِ عليها، وأَمَّا إِسْنادُ الختم إلى الله عَزَّ وجَلَّ فَلِيُنَبِّهَ على أنَّ هذه الصِّفَةَ في فَرْطِ تمكُّنِها وثباتِ قَدَمِها كالشيء الخِلْقِيِّ غَيْرِ العَرَضِيِّ، ألا تَرَى إلى قَوْلهم: فلانٌ مَجبُولٌ عَلى كذا ومَفْطُورٌ عليه، يريدون أنه بليغٌ في الثباتِ عليه.

الخَتْم هو خلق الكفر في قلوب الكُفّار، ومنهم من قال: هو خلق الداعيَة التي [إذا][1] انضمَّت إلى القُدرة صار مجموع القدرة معها شيئًا مُوجِبًا لوقوع الكفر. فهؤلاء يقولون: خَلقُ الداعيَة المُوجِبة للكفر في القلب خَتْمٌ على القلب ومَنعٌ عن قبول الإيمان، فإنّه تعالى لمّا حَكم عليهم بأنّهم لا يؤمنون ذَكر عَقيبه ما يجري مَجرى السبب المُوجِب له؛ لأنّ العِلم بالعِلّة يُفيد العِلم بالمعلول، والعِلم بالمعلول لا يَكمُل إلّا إذا استُفيد من العلم بالعِلّة، فهذا قول من أضاف جميع المُحدَثات إلى الله تعالى.

وأمّا المعتزلة فقد قالوا: لا يَجوز إجراء هذه الآية على المَنْع من الإيمان؛ لأنّ الله تعالى كذَّب الكُفّار الذين قالوا: إنّ على قلوبنا أكنانًا وغِطاءً تمنعنا من الإيمان بقوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء ١٥٥/٤]، فهذا ذمٌّ من الله تعالى فيما ادَّعوا أنّهم ممنوعون. ثمّ قالوا لا بدّ مِن حَمْل الخَتْم والغِشاوة على / أمور[2] أُخَر.[3] [٦٩و]

ثمّ ذكروا فيه وُجوهًا ذكرها المُصنِّف:

الوجه[4] **الأوّل**: وإليه أشار بقوله: **(القصد)**... إلخ، وتقريره أن نقول: الغرض من الآية صِفة قلوبهم بأنّها كالمختوم عليها.[5] وذلك أنّهم لمّا أَعرضوا وتَركوا الاهتداء بدلائل الله تعالى حتّى صار ذلك كالإلف والطبيعة لهم، أشبهَ حالُهم حال من مُنع من الإيمان وصُدَّ عنه، وكأنّ عيونهم مسدودة لا تُبصِر شيئًا،

---

[1] د ش ن - إذا. | واستُدركت في هامش د وأُشير إليها بـ ظ.

[2] د: على أمور.

[3] من قوله: "ثمّ اعلم أنّ الناس" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير **الرازي**، ٢/٥٤-٥٥ (البقرة، ٢/٧).

[4] ن - الوجه.

[5] انظر هذا الوجه في **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٣٠٣/١.

وكيف يَتَخيَّلُ مَا خُيّل إليك وقد وَرَدَتِ الآيةُ ناعِيَةً على الكفَّار شَنَاعة صِفَتِهم وسَماجَةَ حالهم، ونيطَ بذلك الوَعِيدُ بعذابٍ عَظيمٍ.

ويَجوزُ أَن تُضرَبَ الجملةُ كما هي -وهي: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾- مثلًا،

وكأنّ بآذانهم وَقرًا حتّى لا يَخلُص إليها ذِكْر. وإنّما أُسنِد إلى الله تعالى؛ لأنّ هذه الصفة في تمكُّنها وقُوّة ثباتها كالشيء الخِلقي.[1]

ثـمّ أكّـد المُصنّـف مـا ذَكـر بـأنّ الغـرض مـن الآيـة تقريـر قُبـح صفتهـم، وبأنّـه تعلَّقَ بفعلهـم العذابُ العظيـم. فلو كان معنى الآيـة أنّهـم ممنوعـون عـن الإيمان لَمَا استحقوا اللوم ولا العذاب. ويقال: فلان "ينعى" على فلان ذنوبه وهفواته، أي: يُظهرها ويُشهّرها. و"الشناعة" و"السماجة": قُبح الشيء، شَنُع فهو شنيع.

قوله: **(ويجوز أن تُضرَب الجملة)**... إلخ، إذا كان مِن ضَرْب المثل يتعدّى إلى مفعولين، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ [النحل ١٦/١١٢]، أي: جَعَل القرية مثلًا، فكذا هاهنا، المعنى: تُجعَل الجملة -وهو قوله:﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾- مثلًا على الوجه الذي يذكره.

و"المثل":[2] هو الكلام السائر المُمثَّل مَضرِبه[3] بمَورِده.[4] وذلك بأن تستعير وصف إحدى صورتين مُنتزعتين مِن أمور لوصف الصورة الأخرى: كما إذا وجدتَ رجلًا استُفتيَ في مسألة: فيَهُمّ تارة بإطلاق اللسان ليُجيب، ولا يَهُمّ أخرى؛[5] فتأخذ صورة تردُّده[6] هذا فتُشبّهها بصورة تردُّد إنسان قام ليذهب في أمر: فتارة يريد الذهاب فيُقدِّم رِجلًا، وتارة لا يُريد فيُؤخِّر أخرى. ثمّ تُدخِل صورة المُشبَّه في جنس صورة المُشبَّه به للمبالغة في التشبيه، فتكسوها وصف

---

[1] انظر هذا الكلام من قوله: "وذلك أنّهم" في تفسير الرازي، ٢/٥٥-٥٦ (البقرة، ٢/٧). (البقرة، ٢/١٧).

[2] ن: والمثال.

[3] ن: مضروبه.

[4] انظر هذا التعريف في الكشّاف للزمخشري،

[5] ن - كما إذا وجدتَ رجلًا استُفتيَ في مسألة: فيَهُمّ تارة بإطلاق اللسان ليُجيب، ولا يَهُمّ أخرى.

[6] ن: ترد له.

كقولهم: سَالَ به الوادي: إذا هَلك، وطارَتْ به العَنْقاءُ: إذا طالَتْ به الغَيْبةُ، وليسَ لِلوَادِي ولا للعَنْقاءِ عَمَلٌ في هَلاكِهِ ولا في طُول غَيْبَتِهِ، وإنما هو تمثيلٌ: مُثِّلَتْ حالهُ في هلاكه بحالِ مَن سَال به الوادي، وفي طولِ غيبتِه بحالِ مَن طارَتْ به العَنْقاءُ، فكذلك مُثِّلَتْ حالُ قلوبهم فيما كانَت عليه مِن التجافي عن الحقِّ بحَالِ قلوبٍ ختَم الله عليها نَحْوَ قُلُوب الأَغْتامِ التي هي في خُلُوِّها عَن الفِطنِ كقلوب البَهائم، أو بحالِ قلوب البهائم أنفُسِها، أو بحالِ قلوبٍ مُقَدَّرٍ خَتْمُ اللهِ عليها حتى لا تَعِيَ شيئًا ولا تَفْقَهَ، وليسَ له عزَّ وجلَّ فِعْلٌ في تَجَافِيها عَن الحقِّ ونُبُوِّها عن قَبُولِهِ، وهو مُتَعالٍ عن ذلك.

المُشبَّه به من غير تغيير[1] فيه[2] بوجه من الوجوه على سبيل الاستعارة قائلًا: أَراكَ أيُّها المُفتي[3] تُقدِّم رِجلًا وتُؤخِّر أخرى. وهو الذي يُسمُّونه التمثيل على سبيل الاستعارة. ولكون الأمثال كلِّها تمثيلات على سبيل الاستعارة لا يجد التغييرُ إليها سبيلًا.[4]

بل يُستعمل في مَضربه على الوجه الوارد في مَورِده. وكما إذا رأيتَ إنسانًا أطال الغَيبة ولم يَبلغ منه خبر ولم يَظهر؛ فتُشبِّه حاله بحال مَن سال به ماء الوادي، أي: أَغرقه وأَهلكه، أو بحال من طارت[5] به العنقاء فأَتلفه وأَهلكه، فتقول: (**سال به الوادي**) أو (**«طارت به العَنقاء»**)،[6] فتَستعمل الألفاظ على الوجه الذي وَرد، وإن لم يكن ثمّة وادٍ ولا عَنقاء، وكذا الآية على الوجه الذي ذَكره. و"الأغتم": الجاهل الذي لا يَفقه شيئًا، والجمع الغُتْم والأغتام. وقوله: (**قلوب مُقدَّر**) أي: يُقدِّر قلوب كذلك، وإن لم يوجد في الخارج. وقوله: (**لا تَعيَ**) و(**لا تَفقهَ**) منصوب، وفي بعض **النُّسَخ** مرفوع.

---

١ ن: تعيين.
٢ ن – فيه.
٣ ن: الفتى.
٤ من قوله: "وذلك بأن تستعير" إلى هنا بلفظ قريب في **مفتاح العلوم** للسَّكَّاكي، ص ٤٨٤.
٥ د ش ن: أطارت.
٦ مَثَل للعَرب لفظه «طارت بهم العنقاء» في **جمهرة الأمثال** للعسكري، ٢/١٦؛ و**مجمع الأمثال** للميداني، ١/٤٢٩. والعنقاء: طائر ضخم لم يبقَ من صفتها غير اسمها، ويقال: إنّها طائر عظيم لا تُرى إلّا في الدهور، ثمّ كثُر ذلك حتّى سمّوا الداهية عنقاء مُغرِبًا أو مُغرِبةً. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «عنق».

ويجوز أَنْ يُسْتعارَ الإِسْنادُ في نفسه من غيرِ اللهِ للهِ، فيكونَ الختمُ مُسْندًا إلى اسم اللهِ عز وجل على سبيلِ المجاز، وهو لغيره حقيقةً.

تفسير هذا: أن للفعل ملابَساتٍ شتَّى يُلابِسُ الفاعلَ والمفعولَ به والمصدرَ والزمانَ والمكان والمسبِّبَ له، فإسنادُه إلى الفاعل حقيقةٌ، وقد يُسند إلى هذه الأشياء على طريق المجاز المسمَّى استعارةً، وذلك لمضاهاتها الفاعلَ في ملابَسةِ الفعل كما يُضاهي الرَّجلُ الأسدَ في جَرْأتهِ فيُستعار له اسمه، فيقال في المفعول به: عِيشةٌ راضيةٌ، وماءٌ دافِقٌ، وفي عكسه: سَيْلٌ مُفْعَمٌ، وفي المصدر: شعرٌ شاعِر،

قوله:[1] **(ويجوز أن يستعار)** هذا هو الوجه **الثالث** يعني يكون من المجاز[2] العقليّ: وهو المجاز في الإسناد لا في المفرد. فقوله: **(في نفسه)** أي: في نفس الإسناد و"من" و"اللّام" في قوله: **(من غير)** و**(لله)**[3] مُتعلِّقان بقوله: **(يُستعار)**.

قوله: **(ملابَسات)** بفتح الباء؛ لأنّ الفعل يُلابِسها.

قوله: **(يُلابِس)** أي: الفعلُ الفاعلَ، كالبيان للجملة المتقدِّمة.

قوله: **(والمُسبِّب)** بكسر الباء الأولى؛ لأنّه اسم فاعل.

قوله: **(وذلك)** أي: الإسناد إلى هذه الأشياء بطريق المجاز إنّما جاز لمشابهة هذه الأشياء الفاعل، ووجه المشابهة المُلابَسة.

قوله: **(في جُرأته)** أي: في جرأة الأسد.

قوله: **(فيُستعار)** عطف على قوله: **(يُضاهي)**،[4] أي: ويُستعار للرجُل اسم الأسد.

قوله: **(فيقال)** عطف على قوله: **(فيُسنَد)**. وإسناد **(راضية)** إلى الضمير العائد إلى "العِيشة" مجاز، / وهو إسناد إلى المفعول به؛ لأنّ العيشة مَرضيّة. وكذا إسناد [٦٩ظ] **(دافق)**؛ لأنّ "الماء" مدفوق، أي: مصبوب. وقوله: **(مُفعَم)** من: أَفعم "السيلُ" الواديَ، إذا ملأه. وإنّما قال: **(عكسِه)**؛[5] لأنّه جَعل في الأُولى المفعول فاعلًا

---

[1] ن – قوله.
[2] ن – من المجاز.
[3] ن: الله.
[4] ن: أيضًا هي.
[5] ن: عيشة.

وذَيْلٌ ذائلٌ، وفي الزمان: نهارُه صائمٌ وليلُه قائمٌ، وفي المكان: طريقٌ سائرٌ، ونهرٌ جارٍ، وأهلُ مكة يقولون: صَلَّى المَقامُ، وفي المسبِّب له: بَنَى الأميرُ المدينةَ، وناقةٌ ضَبُوثٌ وحَلُوبٌ.

وقال:

إذا رَدَّ عَافِي القِدْرِ مَن يَسْتعيرُها

وهنا جعل الفاعل مفعولًا؛ لأنّ السيل يُفعِم لا يُفعَم. وقوله: **(ذائل)** اسم فاعل مِن الذيل الذي هو مصدر ذالت المرأة تَذيل: جرّتْ ذيلها على الأرض وتبخترت، فإسناد الذائل إلى الذيل إسناد إلى المصدر، ومعناه بالفارسيّة "خراميدنى خرامنده". وقوله: **(المَقام)** يعنون مَقام إبراهيم. وقوله: **(بنى[1] الأمير)**[2] إسناد إلى المُسبِّب، والباني بالحقيقة هو عَمَلة[3] الأمير.

قوله: **(ناقة ضَبُوث)** هي التي «يُشكُّ في سِمَنها؛ فتُضبَثُ، أي: تُجسُّ باليد»،[4] وأصل الضَّبْث: المسُّ. كأنّها هي التي تَحمِل على المسّ؛ فأُضِيف ذلك إليها. وكذا **(حَلوب)**: وهي التي تُحلَب، فكأنّها تَحمِل على الحَلْب؛ لوجود لبنها.[5] قال الشاعر:

فلا تَسأليني[6] واسألي[7] عن خَليقتي **(إذا ردَّ عافي[8] القِدْر من يَستعيرها)**
فكانوا قُعودًا حولها يَرقبونها وكانت فتاة الحيّ ممّن يُنيرها[9]

---

١ ن: بين.
٢ ن: الأخير.
٣ ن: عمامة.
٤ **الصحاح** للجوهري، «ضبث».
٥ انظر: **الفائق** للزمخشري، ١/٩٧؛ و**أساس البلاغة** للزمخشري، «ضبث».
٦ ن: تسلني.
٧ ن: واسلي.
٨ ن: ها في.
٩ ش: يغيرها؛ ن: يعيرها. | واختُلف في نسبة البيتين. فهما بروايتهما ههنا لعَوف بن الأحوص في **المفضَّليّات** للضبّي، ص ١٧٦-١٧٧؛ و**منتهى الطَّلَب** لابن ميمون، ٣/٣٨٧-٣٨٨. والأوّل منهما له في **الحيوان** للجاحظ، ٥/١٣٦؛ و**الصحاح** للجوهري، «عفو». وهما لمُضرِّس بن رِبعي الأسدي بروايتهما ههنا -مُفرَّقين بينهما ثمانية أبيات- في **الحماسة البصريّة** للبصري، ٣/١٣٠٨-١٣٠٩؛ و**ديوان بني أسد**، ٢/٢٨٣، ٢٨٧. والأوّل منهما له في **لسان العرب** لابن منظور، «عفو». وهما للأعشى في **ديوانه**، ص ٣٧١. والرِّواية فيه «فلا تصرميني واسألي ما خليقتي». والأوّل منهما للكُميت في **أساس البلاغة** للزمخشري، «عفو». ومثّل القزويني بعجُز البيت الأول منهما على المجاز العقليّ في **الإيضاح**، ص ٩٨.

....

الخليقة: الخُلُق. وعافي القِدر مِن عَفاه يعفوه إذا جاءه يطلب خيره ومعروفه. قال عليه السلام: «ما أكلَت العافية فهو صدقة».[١] وهي طُلّاب الرِّزق من الدوابّ والطير.[٢] وعافي القِدر هنا: الذي جاء يطلب ما فيها ليأكله، فإذا جاء إنسان يستعير القِدر رآها مشغولة فيرجع. وقوله: فكانوا قعودًا حولها، يعني: العافين. يُنيرها،[٣] أي: يغليها. يصف جُوده وإنعامه للمعترين والسائلين في حال الجَدب[٤] والضيق، مع البشاشة وحسن الخليقة والإيثار عليهم.

وقيل: عافي القِدر: ما تبقى في أسفل القِدر من المَرَق، تقول: عفوتُ القِدر إذا تركتَ ذلك من أسفلها، وتقول: «عفوتُ له من المَرَق[٥] إذا غرفتَ له فآثرته به».[٦] وقال بعضهم: «العِفاوة بالكسر: أوّل المَرَق وأجوَده، والعُفاوة بالضمّ: آخره، يَردُّه مُستعير القِدر مع القِدر».[٧] هكذا كانوا يفعلونه في تناهي القحط وشِدّة الزمان،[٨] ومن ثَمّ قيل: «عافيكُم في القِدر ماؤه[٩] كَدِر».[١٠] قال محمّد بن يحيى: القول فيه على هذا الوجه أنّه مِثْل: ضرب زيدًا غلامُه، و﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام ١٥٨/٦]. لمّا تقدّم ذِكر القِدر أضمرها في الصِّلة، وتقديره: إذا ردَّ مُستعيرُ القِدر عافيَها، فيكون أسكن الياء في حال النصب.[١١]

---

١ كتاب الأموال لأبي عُبيد، ٤٠١/٣-٤٠٢ (٧١٣)؛ مسند أحمد، ٣٨٢/٢٢-٣٨٣ (١٤٥٠٠)؛ سنن الدارمي، ٦٢٥/٢ (٢٨٠٩)؛ صحيح ابن حِبّان، ٦١٥/١١ (٥٢٠٤). ولفظه فيها: «وما أكلت العافية منها فهو له صدقة». والضمير في "منها" عائد إلى "أرضًا"، وفي "له" عائد إلى "مَن" في قوله عليه السلام في أوّل الحديث: «مَن أحيا أرضًا ميّتة فله فيها أجرٌ».

٢ انظر: غريب الحديث لأبي عُبيد، ١٨٢/٣؛ وكتاب الغريبين للهروي، ١٣٠٢/٤؛ والفائق للزمخشري، ٥/٣.

٣ ش: يغيرها؛ ن: بغيرها.

٤ ن: الجندب.

٥ ن: الموت.

٦ **الصحاح** للجوهري، «عفو».

٧ **الصحاح** للجوهري، «عفو». وفي مطبوعه «يردها».

٨ انظر هذه العبارة في **شرح الحماسة** للمرزوقي، ١٧٩٥/٤.

٩ ن: ماء.

١٠ **مجمع الأمثال** للميداني، ٤١/٢. وفي مطبوعه «عافيكم في القدر ماء أكدر». وفيه «ماء كدر وأكدر: في لونه كُدرة. يُضرَب مثلًا لمن أُحسِن إليه فأساء المكافأة». واستشهد الميدانيُّ على معنى العافي بـ«إذا ردّ عافي القِدر مَن يستعيرها»، بلا نسبة.

١١ انظر هذا الوجه في **شرح المُفضَّليّات** لابن الأنباري، ص ٣٤٨. وقال في إسكان الياء هنا: «وسكَّن الياء كما تُسكَّن في الرفع والخفض، فهؤلاء لا يُحرّكونها: النصب فيها عندهم كالرفع والخفض».

فالشيطانُ هو الخاتِم في الحقيقة أو الكافر، إلا أنَّ الله سبحانه لمَّا كان هو الذي أَقْدَره ومكّنه أَسند إليه الختمَ كما يُسْنَد الفعلُ إلى المسبِّب.

ووجهٌ رابعٌ: وهو أنّهم لمّا كانوا على القطع والبَتِّ ممّن لا يؤمنُ، ولا تُغْني عنهم الآياتُ والنُّذُرُ، ولا تُجْدِي عليهم الألطافُ المحصِّلةُ ولا المقرِّبَةُ إن أُعْطُوها،

ومعنى[1] البيت: اسألي[2] عن خليقتي وجُودي وكرمي أوانَ الضيق والجَدْب، حينَ يردُّ مُستعير القِدر على المُعير بقيّة الطعام الذي طُبخ فيها.

وفيه وجه آخر: وهو أنّه إذا بقي في القِدر بقيّة من الطعام فإنِ استعاره أحد يُردُّ من أجل هذه البقيّة، والذي يَردُّ -بالمجاز- البقيّةُ التي في القِدر،[3] والرادُّ في الحقيقة صاحبُ القِدر. قال عروة:

إنّــي امــرؤ عــافـي إنــائـي شِـركـةٌ   وأنــت امــرؤ عــافـي إنـائـك واحــدُ[4]

جَمَع القائل بين المعنيين في البيت: فإنّ معنى عافي إنائي: بقيّة طعامِ إنائي شِركة، أي: ذو شِركة،[5] أي: يشترك فيه الكثيرون؛ ومعنى عافي إنائك: طالب[6] معروفِ إنائك.[7]

قوله: (**فالشيطان**)... إلخ، عطف على جملة قوله: (**فيكون الخَتْم**)[8] إلى قوله: (**حقيقة**). وقوله: (**تفسير هذا**) إلى قوله: "**يستعيرها**" اعتراض.

قوله: (**ووجه رابع**) أي: وهنا وجه رابع.

قوله: (**على القطع**) أي: كانوا[9] (**ممّن لا يؤمن**) قطعًا. وأمّا (**الألطاف**)[10] فتقدَّم تفسيرها عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة ١/٥]. وقوله: (**إن أُعطُوها**)

---

١ ن: في معنى.

٢ ن: ابتلي.

٣ وهذا الوجه من غير تصريح بلفظ المجاز جاء في شرح **المُفضَّليّات** لابن الأنباري، ص ٣٤٨.

٤ البيت في **ديوان عروة بن الورد**، ص ٦٨. وهو له في **الأغاني** للأصفهاني، ٣/٥٢؛ و**شرح الحماسة** للمرزوقي، ٤/١٦٥٣.

٥ ن: لو شركة.

٦ ن: يطالب.

٧ الذي في شرح ابن السِّكِّيت على **ديوان عروة** لهذا البيت، وفيما وقفتُ عليه من **شروح الحماسة**: أنّ معنى العافي في الشطرين واحد.

٨ ن: الجيم.

٩ ن: إن كانوا.

١٠ ن: الإطلاق.

لـم يبقَ -بعد استحكامِ العِلـم بأنّه لا طريقَ إلى أنْ يؤمنوا طوعًا واختيارًا- طريقٌ إلى إيمانهـم إلّا القَسْرُ والإلجاءُ، وإذا لـم يبقَ طريقٌ إلّا أنْ يَقْسِرَهـم اللهُ ويُلْجِئَهـم ثـم لـم يَقْسِرهم ولـم يُلجِئهم لئلا ينتقِضَ الغرضُ في التكليف عُبِّرَ عن ترك القَسْرِ والإلجاءِ بالختم؛ إشعارًا بأنهم هم الذين تَرامَى أَمْرُهـم في التَّصْميم على الكفر والإصْرارِ عليه إلى حدٍّ لا يتناهَوْن عنه إلّا بالقَسْر والإلجاء، وهي الغايةُ القُصْوَى في وَصْفِ لجاجهم في الغَيِّ واستِشْرائِهم في الضلال والبَغْي.

ووَجْهٌ خامسٌ: وهو أن يكون حكايةً لمَا كان الكَفَرةُ يقُولونَه تهكُّمًا بهم، من قولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ [فصلت ٥/٤١] ونظيرُه في الحكاية والتهكُّم قولُه: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [البينة ١/٩٨].

جزاؤه محذوف، أي: إن أُعطُوا الألطاف فلا تُغني ولا تُجدي. وقوله: **(لـم يَبق)** جواب **(لمّا)**، و**(طريقٌ)** فاعله.

[٧٠و] قوله: **(لئلّا ينتقض)** / الغرض، وهو الاختبار والابتلاء؛ لقوله تعالى: ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ﴾ [المائدة ٤٨/٥]. وإنّما لـم يَبق الاختيار؛ لأنّهم إذا كانوا مُضطرِّين على الفعل أو الترك غير مُختارين فلا يتحقَّق الابتلاء والاختبار. وقوله: **(عُبِّر)**[١] جواب **(إذا)**، و**(إشعارًا)** مفعول له، أي: عُبِّر للإعلام. **(ترامى)**. تناهى. وقوله: **(لا يتناهَون)** أي: لا ينتهون.

قوله: **(وهي)** أي:[٢] العبارة، ودلّ على "العبارة" قوله: "عُبِّر". و**(القُصوى)** تأنيث الأقصى. و"الاستشراء": اللَّجاج، يقال: استشرى الفرس، إذا لجَّ في عَدْوه.

قوله في الوجه الخامس: **(تهكُّمًا)** التهكُّم: التهَزُّء.[٣] وقيل: التهكُّم مِن الله: الاحتقار والاستخفاف.

قوله: **(ونظيره في الحكاية والتهكُّم قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾** [البينة ١/٩٨]) كان الكُفّار من أهل الكتاب وعبَدة الأصنام يقولون قبل مَبعث

---

[١] ن: غير.
[٢] ن - أي.
[٣] ن: الهزء.

....

النبيّ عليه السلام: لا ننفكُّ ممّا نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتّى يُبعَث النبيّ عليه السلام[١] الموعود الذي هو مكتوب في **التوراة والإنجيل**، وهو محمَّد عليه السلام، فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه، ثمّ قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البينة ٤/٩٨]، يعني: أنّهم كانوا يَعِدون اجتماع[٢] الكلمة[٣] والاتفاق على الحقّ إذا جاءهم[٤] الرسول، ثمّ ما فرَّقهم عن الحقّ وما أقرَّهم على الكفر إلّا مجيء الرسول. ونظيره في الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمَن يَعِظه:[٥] لستُ بمُنفكّ[٦] ممّا أنا فيه حتّى يرزقني الله الغنى، فيرزقه الله الغنى[٧] فيزداد فِسقًا؛ فيقول واعظه: لم تكن مُنفكًّا عن الفِسْق حتّى تُوسِر، وما غمستَ رأسك في الفِسْق إلّا بعد اليسار؛ يُذكِّره ما كان يقوله توبيخًا وإلزامًا.

«ويُحكى أنّ الإمام أبا القاسم الأنصاريّ[٨] سُئِل عن تكفير المعتزلة في هذه المسألة؛ فقال: لا؛ لأنّهم نزَّهوه، فسُئِل عن تكفير أهل السُّنّة؛ فقال: لا؛ لأنّهم عظَّموه. والمعنى: أنّ كِلا الفريقين ما طلبا إلّا إثبات[٩] جلال الله تعالى[١٠] وعلوِ كبريائه: إلّا أنّ أهل السُّنة وقع نظرهم على العظَمة، فقالوا: ينبغي أن يكون هو المُوجِد ولا مُوجِد[١١] سواه؛ والمعتزلة وقع نظرهم على الحِكمة، فقالوا: لا يليق بجلال حضْرته هذه القبائح».[١٢]

قال الإمام:

وأقول: هنا سرٌّ آخر: وهو أنّ إثبات الإله يُلجئ إلى القول بالجبر؛[١٣] لأنّ الفاعلية لو لم تتوقف على الداعية لزم وقوع الممكن من غير مُرجِّح،

---

١ ش ن – عليه السلام.
٢ ن: الاجتماع.
٣ ن – الكلمة.
٤ ن: أصابهم.
٥ ن: لم يعظه.
٦ ن: يمنعك.
٧ ن – فيرزقه الله الغنى.
٨ له كتاب **شرح الإرشاد** للجويني، لعلّه ذكر ذلك فيه، ولم أقِف عليه مطبوعًا.
٩ ن: إثبات.
١٠ ش – تعالى.
١١ ن: يوجد.
١٢ **تفسير الرازي**، ٥٨/٢ (البقرة، ٧/٢).
١٣ ن: بالخير.

فإن قلتَ: اللفظُ يَحتمِل أن تكون الأَسْماءُ داخلةً في حُكم الختمِ وفي حُكم التغشيَة فعلى أيّهما يُعَوَّل؟

ويلزم نفيُ الصانع. وإثبات الرسول يُلجِئ إلى القول بالقَدَر؛ لأنّه لو لم يَقْدِر العبد على الفعل فأيُّ فائدة في بِعثة[١] الرسول[٢] وإنزال الكتب؟ بل هنا سِرٌّ آخر فوق الكلّ: وهو أنّا لمّا رجعنا إلى الفطرة السليمة والعقل الأوّل وجدنا أنّ ما استوى[٣] الوجود والعدم بالنِّسبة إليه لا يترجَّح أحدهما على الآخر إلّا بمُرجِّح، وهذا يقتضي الجَبْر.[٤] ونجد أيضًا تفرقة بديهيّة من الحركات الاختياريّة والحركات الاضطراريّة وجزمًا بديهيًّا بحُسن المدح والذمّ والأمر والنهي، وذلك يقتضي[٥] مذهب المعتزلة. فكأنّ هذه المسألة وقعَت في حيّز التعارض بحسب العلوم الضروريّة والعلوم النظريّة، وبحسب تعظيم الله نظرًا إلى قدرته وحكمته،[٦] وبحسب التوحيد والتنزيه، وبحسب الدلائل السمعيّة، فلهذا صَعُبت[٧] المسألة وعظُمَت. فنسأل الله العظيم أن يُوفّقنا للحقّ، ويهدينا للصدق، ويختم عاقبتنا بالخير، إنّه يسمع ويُجيب.[٨]

قوله: (يُعوَّل)[٩] يقال: عوّلت عليه إذا دللت عليه وحملت عليه، يقال: عوِّل عليَّ بما شئتَ، أي، استغنِ[١٠] بي، كأنّه يقول: احمل عليَّ ما أحببتَ.[١١]

وحاصل المعنى أنّ اللفظ وإن احتمل أن تكون الأسماع داخلة في حُكم الخَتْم وفي حُكم التغشية، لكنّ الحمل على دخولها تحت التغشية[١٢] أَولى لوجهين:[١٣] أمّا بيان الاحتمال؛ فلجواز أن يكون قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ﴾ عطفًا على قوله: ﴿قُلُوبِهِمۡ﴾، فيكون / داخلًا في حكم الخَتْم؛ وأن يكون ﴿غِشَٰوَةٞ﴾ مبتدأ، [٧٠ظ]

---

١ ن: بعث.
٢ ن: الرسل.
٣ ن: يستوي.
٤ ن: الخير.
٥ ن: مقتضى.
٦ ن: حكمه.
٧ د: صعُب. | وفي مطبوع تفسير الرازي: صعبت.
٨ انظر: تفسير الرازي، ٥٨/٢ (البقرة، ٧/٢).
٩ ن: يوعل.
١٠ ن: استعن.
١١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «عول».
١٢ هامش د ش: الختم.
١٣ ن: الوجهين.

قلتُ: على دخولها في حكم الختمِ؛ كقوله تعالى: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية ٢٣/٤٥] ولوَقفِهم على ﴿سَمْعِهِمْ﴾ دون ﴿قُلُوبِهِمْ﴾.

فإن قلتَ: أيُّ فائدةٍ في تكرير الجارِّ في قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾؟

و﴿عَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ خبره؛ و﴿عَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ عطفًا على قوله: ﴿عَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، فيكون داخلًا في حُكم التغشية. وأمّا بيان الأولويّة؛ فلوجهين: **الأوّل**: أن تُوافق هذه الآية **(قوله تعالى: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾** [الجاثية ٢٣/٤٥]). **والثاني**: "أنّ القُرّاء وقفوا على قوله: ﴿سَمْعِهِمْ﴾ ولم يقفوا على ﴿قُلُوبِهِمْ﴾"؛[١] فدلّ على أنّ ﴿سَمْعِهِمْ﴾ معطوف على ﴿قُلُوبِهِمْ﴾.[٢]

ولمّا ظهر أنّ قوله: ﴿عَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ عطف على قوله: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أشار إلى فائدة تكرير الجارّ في قوله: ﴿عَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، بأنّ الإعادة أدلُّ على شِدّة الخَتْم في الموضعين. قال أبو عليّ في **الحُجّة**:

> وأمّا الغِشاوة فلم أسمع فيه فعلًا مُتصرِّفًا بالواو، فإذا لم يُعلَم منه ذلك وكان معناها[٣] معنى ما اللّامُ منه الياءُ نحو: غَشِي يغشى بدلالة قولهم: الغِشيان، ومعناها: ما غطّى الشيء وعلاه فغمره وستره، كقولهم: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه ٧٨/٢٠]، و﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح ٧/٧١]. فالغِشاوة من الغِشيان كالجِباوة من جَبيْتُ في أنّ الواو كأنّها بدل من الياء، إذ لم يُصرَّف منه فعل كما لم يُصرَّف من الجِباوة، وإن شئت قلت: غشِي يغشَى بمنزلة رضِي يرضَى، ولام الكلمة الواو بدليل غِشاوة وغشوة،[٤] ويكون الغِشيان كعِليان[٥] ودنيا.[٦]

والعِليان: الناقة الطويلة الجسيمة.[٧]

---

١ قال العُمانيّ في الوقف على ﴿قُلُوبِهِمْ﴾: «جائز وليس بمنصوص عليه». **المُرشِد**، ص ١٣٣. وانظر: **تفسير الرازي**، ٥٩/٢ (البقرة، ٧/٢).

٢ انظر: **إيضاح الوقف والابتداء** لابن الأنباري، ٤٩٤/١-٤٩٥.

٣ ن – معناها.

٤ د ش: غشية. | وأثبتُّ ما في مطبوع **الحُجّة**؛ لأنّه استدلال على أنّ الأصل واو، وفي "عشوة" دليل على ذلك دون "غشية".

٥ ن: كعلي. | يريد: أنها مثلها في أن أصل الياء فيها واو. انظر **لسان العرب** لابن منظور، «علا».

٦ د: دِينا. | انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٣٠٠/١-٣٠١.

٧ انظر: **الصحاح** للجوهري، «علا».

قلتُ: لو لـم يُكَرَّرْ لكانَ انتِظامًا للقلوب والأَسْماع في تَعْدِيةٍ واحدةٍ، وحينَ استُجِدَّ للأَسْماع تعديةٌ على جِدَةٍ كانَ أَدَلَّ على شدة الختم في الموضعَيْن.

ووُحِّدَ السَّمْعُ كما وُحِّدَ البَطْنُ في قوله:

كُـلُـوا فِـي بَـعْـضِ بَـطْـنِـكُـمُ تَـعِـفُّـوا

قوله: **(لو لـم يُكرَّر)** أي: لو لـم يُكرَّر الجارَّ لكان عدم التكرير **(انتظامًا)**.

قوله: **(وحين استُجِدّ)** الاستجداد: جَعْل الشيء جديدًا. واللّام في "الأسماع" مُتعلِّق بـ"استُجِدّ". و**(تعديةٌ)** مفعوله القائم مقام الفاعل. و**(على جِدَة)** صفة تعدية. وقوله:[١] **(كان)** عامل في "حين"، أي: لمّا استُجِدّ كان الاستجداد **(أدلّ)**.

قوله: و**(وُحِّد)**،[٢] أي: وُحِّد[٣] السمع -مع أنّه جمع ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ و﴿أَبْصَارِهِمْ﴾- لوُجوه ثلاثة:

الأوّل: أنّه إنّما وُحِّد[٤] السمع؛ لأنّ لكلّ واحد منهم سمعًا واحدًا، كما يقال: أتاني برأس كبشين،[٥] فلا يلزم الالتباس. و"أمّا إذا لـم يُؤمَن الالتباس -كقولك: فرسهم وثوبهم، وأنت تريد الجمع- فلا يجوز". قال الشاعر:

(كُلـوا فـي بعـض بطنكـمُ تَعِفُّـوا) فــإنّ زمـانـكـمْ زمــن خَـمـيـصُ[٦]

يقال: عفَّ يعِفُّ عَفافًا، ومنه العِفّة: وهي الكفُّ عمّا لا يحلّ. والخميص: الجائع، والخُمْص: الجوع وخَلاء البطن مِن الطعام، والمَخمَصة: المجاعة. يعني: اقنَعوا[٧] بالقليل من الطعام تَعِفُّوا من طلب الحرام، فإنّ زمانكم زمن الضيق والجَدْب لا زمان الخِصب والسَّعة. وزمن خميص، أي: ذو خَمَصٍ

---

١ ن: قوله.

٢ ن: وجد.

٣ ن: وجد.

٤ ن: وجد.

٥ ن: كبشان.

٦ لا يُعلَم قائله. وهو بلا عزو في كتاب سيبويه، ٢١٠/١؛ ومعاني القرآن للفرّاء، ٣٠٧/١، ١٠٢/٢؛ والمُحتسَب لابن جنّي، ٨٧/٢؛ والمُفصَّل للزمخشري، ص ٢٦٨. وتفصيل الكلام على البيت في خزانة الأدب للبغدادي، ٥٥٩/٧-٥٦٤.

٧ ن: استغنوا.

يفعلونَ ذلك إذا أُمِنَ اللَّبسُ، فإذا لم يُؤْمَنْ كقولك: "فَرَسُهم وثَوْبُهم" وأَنتَ تُريدُ الجَمْع، رَفضوهُ.

ولك أن تقول: السمعُ مصدرٌ في أصله، والمصادرُ لا تجمعُ، فَلُمِحَ الأَصْلُ؛ يَدُلُّ عليه جمعُ الأُذنِ في قوله: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾ [فصلت ٤١/٥]، وأَنْ تُقدِّرَ مضافًا محذوفًا؛ أي: وعلى حواسِّ سمعهم.

وقرَأ ابنُ أبي عَبْلَةَ: "وعلى أَسْماعهم".

فإن قلتَ: هَلَّا منَعَ أبا عمرو والكسائيَّ من إمالةِ ﴿أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصَّادُ؟

كقوله تعالى: ﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ [القارعة ١٠١/٧]، أي: ذات رضى. وقيل: إنّما جعل "خميص" وصفًا للزمن مجازًا والمراد أهله، كما يقال: «نهاره صائمٌ وليله قائمٌ»،[١] واستعمل البطن في موضع البطون؛ لأنّه يريد بطن كلّ واحد، ولا يَلتبس؛ لأنّه يُعلَم أنّ لكلّ واحد منهم بطنًا واحدًا.

الوجه **الثاني**: أنّه في الأصل مصدر، وإليه أشار بقوله: **(ولك أن تقول)**... إلخ.

الوجه **الثالث**: أنّ المضاف محذوف، وإليه أشار بقوله: **(وأن تُقدِّر)**... إلخ.

فإن قيل: لِمَ خُصّ السمع بالإفراد دون أخويه؟[٢] قلنا: ذكر الإمام أنّه: «قال سيبويه: إنّه وإن وُجِد[٣] لفظ السمع إلّا أنّه ذُكِر ما قبله وما بعده بلفظ الجمع».[٤]

قوله: **(ما فيه)** فاعل **(مَنع)**، والضمير عائد إلى لفظ ﴿أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾. و"الحروف المُستعلية": ما يرتفع اللسان بها إلى الحَنَك، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء

---

١ **مجاز القرآن** لأبي عبيدة، ٢/٩٦.

٢ ن: إخوته.

٣ ن: وجد.

٤ **تفسير الرازي**، ٢/٥٩ (البقرة، ٢/٧). ولم أَقِف على قول سيبويه في كتابه. وهذا القول لسيبويه مع زيادة تفصيل في **الكشف والبيان** للثعلبي، ٣/٩٥ (البقرة، ٢/٧)؛ وعنه في **الوسيط** للواحدي، ١/٨٥ (البقرة، ٢/٧)؛ و**البسيط** للواحدي، ٢/١١٦ (البقرة، ٢/٧). وخرّجه مُحقِّقا **الكشف والبيان** و**البسيط** من **كتاب سيبويه**، ١/٢٠٩. قلتُ: ما أحال عليه المُحقِّقان فيه: أنّه ليس بمستنكر في كلام العرب أن يكون اللفظ واحدًا والمعنى جميع. وليس فيه قول سيبويه الذي أورده الثعلبي والواحدي والرازي، ونقله عنه الجاربردي ههنا. فليُتنبَّه.

قلتُ: لأن الرَّاء المكسورة تَغْلِبُ المُسْتَعْلِيةَ؛ لِمَا فيها من التكريرِ كأنَّ فيها كسرتين، وذلك أَعْوَنُ شيءٍ على الإمالةِ، وأنْ يُمالَ له ما لا يُمالُ.

والبصرُ: نورُ العين، وهو ما يُبْصِرُ به الرَّائِي ويُدرِكُ المرئيّات؛ كما أنّ البصيرةَ نورُ القلب وهو ما به يَسْتَبْصِرُ ويتأمَّلُ.

والخاء والغين والقاف، وهي تمنع الإمالة بالشرائط المذكورة في موضعها، كما مُنِع في قوله تعالى: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الأعراف ٢٠٥/٧]، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت ١٣/٢٩]؛ لأنّ اللسان يرتفع بها إلى الحَنَك، ويتسفَّل اللسان بسبب الإمالة، فبينهما تَنافٍ.

قوله: **(وذلك)** أي: تكرُّر الكسر.

[٧١و] / قوله: **(وأن يُمال)** أي: وعلى أن يُمال لتكرُّر الكسر **(ما لا يُمال)** لغيره، فإنّه لا تُمال الألف المنقلبة عن الواو للكسرة إذا كانت على غير الراء، فلا يُمال "مِن ماله" ولا "بِعَامه"، ويُمال إذا كانت الكسرة على الراء، نحو "الرِّبا" و"من دار". وأيضًا فالمُستعلية لا تمنع الإمالةَ إذا كانت الألف منقلبة عن مكسور، نحو "خاف"، أو ياء نحو "طاب" أو يصير ياء مفتوحة نحو "صغى" فإنّه يصير ياء مجهولًا. وأمّا الراء فتقتضي الإمالة على أيّ حال تكون الألف.[١]

قوله: **(يُبصِر)** و**(يُدرِك)** تنازعا **(المرئيات)** فأُعمِل الثاني وحُذِف المفعول من الأوّل.

قوله: **(كما أنّ البصيرة)** خبر مبتدأ محذوف. و(ما) زائدة، والتقدير: هو، أي: كون البصر نور العين مثل كون البصيرة نور[٢] القلب. والضمير مِن **(به)** عائد إلى "ما"، ومِن **(يستبصر)** إلى **(الرائي)** أو المُتفكِّر، أو الشخص[٣] الدالّ عليه سياق الكلام.

---

[١] انظر في تفصيل الكلام على مسائل الإمالة: **المُفصَّل** للزمخشري، ص ٤٧١-٤٧٤؛ و**الإيضاح في شرح المُفصَّل** لابن الحاجب، ٢٨٨/٢-٣٠٠.

[٢] ن - العين مثل كون البصيرة نور.

[٣] ن: المتفحص.

وكأنَّهما جوهران لطيفان خَلَقهما الله تعالى فيهما آلَتيْنِ للإبْصار والاستِبْصار. وقرئ: "غِشاوةً" بالكسر والنصب، و"غُشاوةٌ" بالضم والرفع، و"غَشاوةً" بالفتح والنصب و"غِشْوَةٌ" بالكسر والرفع، و"غَشوة" بالفتح والرفع والنصب،

قوله: (وكأنّهما) أي: البصر والبصيرة.

قوله: (خَلَقهما) أي: الجوهرين.[1]

قوله: (فيهما) أي: في العين والقلب.

قوله: (آلَتين)[2] حال من مفعول "خلقهما"، أو مفعول ثان له، بأن يكون بمعنى "جعل". وهنا لفّ ونشر.

اعلم أنّ الإمام نقل قوله: (والبصر[3] نور[4] العين) إلى قوله: (والاستبصار) بعبارته بعينه، ثمّ قال: «أقول: إنّ أصحابه من المعتزلة لا يرضَون منه بهذا الكلام».[5]

قوله:[6] (قُرئ "غِشَاوَةً" بالكسر)، أي: بكسر الغين، ونصب التاء.[7] ووجه من نَصَب غِشاوةً: إضمارُ الفعل، كأنّه قال: وجعل على أبصارهم غِشاوةً.[8] كقول الشاعر:

عَـلَـفـتُـهـا تِـبـنًـا ومـــاءً بـــاردًا[9]

---

١ ن: الحرمين.

٢ ن: التي.

٣ ن: والبصريون.

٤ ن - نور.

٥ **تفسير الرازي**، ٦٠/٢ (البقرة، ٧/٢).

٦ ن - قوله.

٧ قراءة شاذة، مرويّة عن المُفضَّل عن عاصم، وابن أبي عبلة. انظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٣٨-١٣٩؛ **وشواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٠؛ **والمُغني في القراءات** للنُّوْزاوازي، ص ٣٨١.

٨ انظر هذا التوجيه في **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٣١١/١.

٩ لا يُعلَم قائله. وتتمّته:

حتّـى شَـتَـتْ هـمّـالـةً عـيـنـاهـا

وقال الفرّاء قبل إنشاده: «وأنشدني بعض بني أسد يصف فرسه». **معاني القرآن**، ١٤/١، ١٢٤/٣. وليس في **ديوان بني أسد**؛ وهو في **جامع البيان** للطبري، ٢٧١/١ (البقرة، ٧/٢)؛ **والحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٣١٢/١؛ **والصحاح** للجوهري، «علف»، «قلد»؛ **والكشّاف** للزمخشري، (الأعراف، ٥٠/٧)، ٦١٧/٥ (الذاريات، ٣٨/٥١). وتفصيل الكلام على البيت في **خزانة الأدب** للبغدادي، ١٣٩/٣-١٤١. ومن كلامه على نسبته «ورأيتُ في حاشية نسخة صحيحة من **الصحاح** أنّه لذي الرُّمّة، ففتشت ديوانه فلم أجده فيه».

و"عَشَاوةٌ" بالعين غير المعجمة والرفع من العَشَا.

والعذابُ: مثلُ النَّكالِ بناءً ومعنًى؛ لأنك تقول: أَعْذَبَ عن الشيء، ....

«أي: سقيتُها ماء باردًا».[1] وكقول الآخر:

ورأيـــتُ بـعـلـكِ فـي الـوغـى مُـتـقـلِّـدًا سـيـفًـا ورُمـحًـا[2]

«أي: وحاملًا رُمحًا».[3]

ووجه من رَفعها أنّه لا يحملها على ﴿خَتَمَ﴾ بل يَقطعها عنه،[4] ويكون مع ما بعده مبتدأً وخبرًا. وجميع ما ذَكره من الحركات البنائيّة كالكسر والضمّ والفتح مُتعلِّق بالغين، وما ذكره من الحركات الإعرابيّة كالنصب والرفع مُتعلِّق بالتاء.

اعلم أنّ جميع القراءات التي ذكرها قراءة شاذّة،[5] ولم يَذكُر قراءة السبعة، وهي بكسر الغين المعجمة مع الألف بعد الشين ورفع التاء.[6]

قوله: (ثمّ اتُّسِع) عطف على قوله: (والعذاب مثل النَّكال).

قوله: (فيه) أي: في العذاب.

قوله: (فادح) أي: مُثقِل. يقال: فدحه، أي: أثقله.

قوله: (فكأنّ) في بعض النُّسخ بتشديد النون على أنّها من الحروف المُشبَّهة، وفي بعضها بتخفيف النون فعل ناقص. وإنّما ناسَب ما ذكره؛ لأنّ الحقير لمّا كان في غاية الانحطاط كان العظيم في غاية الارتفاع؛ لأنّهما متقابلان.

---

[1] الصحاح للجوهري، «قلد».

[2] البيت لعبد الله بن الزِّبعرى في ديوانه، ص ٣٢، وفيه:

يـا لـيـت زوجـكِ قـد غـدا
مُـتـقـلِّـدًا سـيـفًـا ورمـحـا

وهو بهذا الرِّواية وبلا نسبة في معاني القرآن للأخفش، ٢٧٧/١؛ والصحاح للجوهري، «قلد». وهو بلا نسبة في معاني القرآن للفرّاء، ١٢٣/٣؛ وجامع البيان للطبري، ١٤٠/١، ٢٧١ (البقرة، ٧/٢). وفيهما «ورأيت زوجك في الوغى...». وعجزه بلا نسبة في الحُجّة لأبي علي الفارسي، ٣١١/١؛ والكشّاف للزمخشري، (الأحزاب، ١٧/٣٣)، (غافر، ٢١/٤٠).

[3] الصحاح للجوهري، «قلد».

[4] ن - عنه.

[5] شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٠؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٩-٥٠؛ إعراب القراءات الشواذّ للعُكبَري، ١١٧/١-١١٨.

[6] السبعة لابن مجاهد، ص ١٣٨؛ المُوضَح لابن أبي مريم، ٢٤٣/١.

إذا أَمْسَك عنه، كما تقول: نَكَل عنه، ومنه: العَذْبُ؛ لأنه يَقْمَعُ العَطَشَ ويَرْدعُه، بخلاف المِلْح فإنه يَزيده.

ويدلُّ عليه تسميتُهم إياه: نَقَاخًا؛ لأنه يَنْقَخُ العَطَشَ؛ أي: يكسِرُه، وفُراتًا لأنه يَرْفِتُه، على القلب، ثمّ اتُّسِعَ فيه فسمِّي كلُّ ألمٍ فادحٍ عذابًا وإن لم يكن نكالًا؛ أي: عِقابًا يَرْتدِعُ به الجاني عن المُعَاوَدةِ.

قوله: (من العَشا)،[1] أي: بالقصر فإنّ العَشا مقصورًا مصدر الأعشى: وهو الذي لا يُبصِر بالليل ويُبصِر بالنهار، والعَشاء بالفتح والمدّ: الطعام بعينه، وهو خلاف الغَداء.[2] وفي كلامهم: «العَشاء يُورث العَشا»[3] ممدودة مقصورة.

قوله: (بناءً ومعنًى): أمّا البناء فظاهر، وأمّا المعنى فلأنّ المراد بهما "العِقاب الذي يرتدع به الجاني عن المُعاودة".

قوله: (كما تقول) الكاف صفة مصدر محذوف، و"ما" مصدرية، أي: تقول: (أَعذَبَ) قولًا مثل قولك: (نَكَل) إذا أَمسك عنه.

قوله: (ومنه) أي: من العَذاب الماء العَذْب: وهو خلاف الماء المِلْح.[4]

قوله: (فإنّه) أي: فإنّ الماء المِلْح يزيد العطش.

قوله: (ويدلّ عليه) أي: على أنّهم سمَّوا العَذْب عَذْبًا لقمع العطش تسميتُهم العَذْب نُقاخًا.

قوله: (وفراتًا) عطف على قوله: "نُقاخًا".

قوله: (يَرفِتُه) أي: يكسِر العطش.

قوله: (على القلب) أي: على قلب بعض الحروف. الرَّفْت: الكسر، والرُّفات: الحُطام. يقول: رَفتُّ الشيء فهو مرفوت.

---

[1] بعد أن فرغ من شرح فقرة عاد لِما قبلها، وليس هذا من عادته، وأخشى أن يكون في ترتيب الفِقر ههنا اضطراب.

[2] انظر: **الصحاح** للجوهري، «عشا».

[3] هو بلفظ «عشاء الليل يورث العشا» في **عيون الأخبار** لابن قتيبة، ٣/٢٩٤. وأورد كُشاجِم هذا القول في شعره باللفظ الذي أورده المُصنِّف. انظر **ديوانه**، ٢٣٠.

[4] المِلْح والمليح خلاف العَذْب من الماء. **لسان العرب** لابن منظور، «ملح».

والفرق بين العظيم والكبير: أن العظيمَ نقيضُ الحقير، والكبيرَ نقيضُ الصغير، فكان العظيمُ فوق الكبير كما أنَّ الحَقيرَ دون الصَّغِير.

ويُستعملانِ في الجُثث والأَحْداث جميعًا، تقول: رَجلٌ عظيم وكبير، تُرِيْدُ جُثتَه أو خَطرَهُ.

ومَعْنى التنكير: أنَّ عَلَى أَبْصارِهم نَوْعًا من الأَغْطية غَيْرَ ما يتعارفُه النَّاسُ، وهو غطاءُ التَّعامي عن آياتِ اللهِ، ولهم مِن بَيْنِ الآلامِ العِظامِ نَوْعٌ عظيْمٌ لا يعْلم كُنْهَهُ إلَّا اللهُ.

اللّهمَّ أَجرْنا مِن عَذابك ولا تُبلِنا بسخطكَ يا واسعَ المَغْفِرَة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾

افْتَتَحَ سُبْحانَه ....

[٧٦ظ] قوله: / (ومعنى التنكير)، يعني: في قوله:﴿غِشَٰوَةٌ﴾ و﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قوله: (أجرنا)[١] أمْرٌ، أي:[٢] أنقِذنا. والجار: هو الذي أجَرتَه من أن يُنقِذَه ظالم، واستجارهُ من فلان فأجاره منه، أي: استنقذه فأنقذه.[٣] والبلاء: الاختبار[٤] يكون بالخير والشرّ.

قوله: (بسَخطك) أي: بعذابك؛ لأنّ السَّخَط سبب العَذاب.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾.

قوله: (افتتح)... إلخ، اعلم أنّ المفسّرين أجمعوا على أنّ هذه الآيات وصف[٥] للمُنافقين. قالوا: وصف الله تعالى الأصناف الثلاثة من المؤمنين والكافرين والمُنافقين: فبدأ بالمؤمنين المُخلِصين الذين صحَّت سرائرهم وسلِمت ضمائرهم، وهو من قوله: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾؛ ثمّ أَتبعهم بالكافرين

---

١ ن: آخر ما.

٢ ن: بأي.

٣ من قوله: "والجار" إلى هنا بلفظ قريب **الصحاح** للجوهري، «جور».

٤ ن: الإحسان.

٥ ن - وصف.

بذكْر الذينَ أَخْلصُوا دِيْنَهُم لله، ووَاطأَتْ فيه قلُوبُهُم أَلْسِنَتَهم، ووافق سرُّهم عَلَنَهم وَفعْلُهم قوْلَهم.

ثمّ ثَنَّى بالذين مَحَضُوا الكفرَ ظاهرًا وباطنًا قلوبًا وأَلْسِنَةً.

ثمّ ثَلَّثَ بالذينَ آمنوا بأَفْوَاهِهم ولَمْ تُؤمِنْ قلوبُهم، وأَبْطَنُوا خِلافَ ما أَظْهَرُوا، وهم الذين قال فيهم: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء ١٤٣/٤]، وسمَّاهم المُنافقِينَ، ....

الذين مِن صفتهم الجحود والإقامة على العِناد، وهو من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ إلى قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾؛ ثمّ وصف مَن يقول بلسانه: إنّه مؤمن وضميره يُخالف ذلك.[١]

فقوله: **(أخلصوا دينهم)** أي: طاعتهم. و**(واطأت)** أي: وافقتْ فيه، أي: في دينهم. وقوله: **(ثمّ ثنّى)** عطف على قوله: "افتتح". وقوله: **(محّضوا)** أي: أخلصوا الكفر في الظاهر والباطن. وهذا في مقابلة "أخلصوا دينهم". وقوله: **(قلوبًا وألسنة)** أي: في القلوب والألسنة. وهذا في مقابلة قوله: **(واطأت قلوبهم ألسنتهم)**... إلخ. وقوله: **(ثمّ ثلّث)** عطف على "افتتح". وقوله: **(آمنوا بأفواههم ولم تُؤمِن قلوبهم)** في مقابلة أوّل القولين.[٢] وقوله: **(وأبطَنوا خلافَ ما أظهروا)** في مقابلة **الثاني** منهما.

قوله: (**﴿مُذَبْذَبِينَ﴾** [النساء ١٤٣/٤]) أي: مُتردِّدين. وقوله: **(وسمّاهم المُنافقين)** عطفٌ على قوله: **(قال فيهم)**. قال الإمام:

> الكلام في حقيقة النِّفاق لا يتخلَّص إلا بتقسيم نذكره، فنقول: أحوال القلب أربعة وهي: الاعتقاد المُطابِق المُستفاد عن الدليل:[٣] وهو العِلم؛ والاعتقاد المطابق لا عن الدليل، وهو اعتقاد المُقلِّد؛ والاعتقاد غير المطابق: وهو الجهل؛ وخُلوّ القلب عن كلّ ذلك. فهذه أقسام أربعة، وأحوال اللسان ثلاثة: الإقرار، والإنكار، والسكوت؛ فيحصل من تركيباتها اثنا[٤] عشرَ قسمًا:

---

١ من قوله: "اعلم أنّ المفسّرين" بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٦٤/٢ (البقرة، ٨/٢).

٢ ن – القولين.

٣ ن: من الدليل.

٤ د: اثني.

....

النوع الأوّل: ما إذا حصل العِرفان القلبيّ، فهُنا: إمّا أن ينضم إليه الإقرار باللسان، أو الإنكار، أو السكوت. **القسم الأوّل**: ما إذا حصل العِرفان بالقلب والإقرار باللسان، فهذا الإقرار: إن كان اختياريًّا فصاحبه مُؤمِن حقًّا بالاتفاق، وإن كان اضطراريًّا، وهو ما إذا عرف بقلبه ولكنّه يجد من نفسه أنّه لولا الخوف لَمَا أقرّ بل أنكر، فهذا يجب أن يُعدّ مُنافقًا؛ لأنّه بلسانه مُقِرٌّ بقلبه مُنكِر مُكذِّب، فإذا[1] كان باللسان مُقِرًّا مُصدِّقًا وجب أن يعدّ منافقًا؛ لأنّه بقلبه مُنكِرٌ مُكذِّبٌ بوجوب الإقرار. **القسم الثاني**: أن يحصل العِرفان القلبي والإنكار اللساني، فهذا الإنكار: إن كان اضطراريًّا كان صاحبه مُسلِمًا، وإن كان اختياريًّا كان كافرًا مُعانِدًا. **القسم الثالث**: أن يحصل العِرفان القلبيّ، ويكون اللسان خاليًا عن الإقرار والإنكار، فهذا السكوت إمّا أن يكون اضطراريًّا أو اختياريًّا: فإن كان اضطراريًّا، فذلك كما إذا خاف ذِكره باللسان، فهذا مُسلِم حقًّا، وكما إذا عَرف الله تعالى بدليله، ثمّ لمّا[2] تمّم النظر مات فجأة، فهو مُؤمِن قطعًا؛ لأنّه أتى بكلّ ما كُلِّف به، ولم يجد زمان الإقرار، فكان معذورًا فيه. أمّا إن كان اختياريًّا، كمَن عرف الله تعالى بدليله، ثمّ إنّه لم يأتِ بالإقرار، فهذا محلُّ البحث. ومَيلُ الغزاليّ أنّه يكون مُؤمِنًا؛[3] لقوله عليه السلام: «يخرج من النار مَن كان في قلبه مِثقال ذرّة مِن الإيمان».[4]

النوع الثاني: أن يحصُل في / القلب الاعتقاد التقليديّ: فإمّا أن يُوجَد معه الإقرار، أو الإنكار، أو السكوت. **القسم الأوّل**: أن يُوجَد معه الإقرار، ثمّ ذلك الإقرار: إن كان اختياريًّا فهذا هو المسألة المشهورة من أنّ المُقلِّد هل هو مُؤمِن أم لا؟ وإن كان اضطراريًّا فهذا يُفرَّع على الصورة الأُولى: فإن حَكمنا في الصورة الأولى بالكُفر فههنا لا كلامَ، وإن حَكمنا هناك[5] بالإيمان وجب أن يُحكم هنا بالنِّفاق؛ لأنّ في هذه الصورة [٧٢و]

---

[1] ن: فأمّا إذا.

[2] د ش ن: كما. | وأثبتُّ ما في مطبوع تفسير الرازي.

[3] مضى هذا القول في الكلام على الإيمان في تفسير سورة البقرة، ٢/٣.

[4] مضى تخريجه في الكلام على الإيمان في تفسير سورة البقرة، ٢/٣.

[5] ن – هناك.

لو كان القلب عارفًا لكان هذا الشخص مُنافِقًا، فبأن يكون مُنافقًا[١] عند التقليد أولى. **القسم الثاني**: الاعتقاد التقليديّ مع الإنكار اللسانيّ، ثمّ هذا الإنكار: إن كان اختياريًّا فلا شكَّ في الكُفر، وإن كان اضطراريًّا -وحَكمْنا بإيمان المُقلِّد- وَجب أن نحكم بالإيمان في هذه الصورة. **القسم الثالث**: الاعتقاد التقليديّ[٢] مع السكوت، اضطراريًّا كان أو اختياريًّا، وحُكمه حُكم القسم الثالث من النوع الأوّل، إذا حَكمْنا بإيمان المُقلِّد.

النوع الثالث: الإنكار القلبيّ، فإمّا أن يُوجَد معه الإقرار اللسانيّ، أو الإنكار اللسانيّ، أو السكوت. **القسم الأوّل**: أن يُوجَد معه الإقرار اللسانيّ، فذلك الإقرار: إن كان اضطراريًّا فهو المُنافق، وإن كان اختياريًّا فهو مثل أن تعتقد -بناءً على شُبهة- أنّ العالم قديم، ثمّ بالاختيار أقرّ باللسان أنّ العالَم مُحدَث. وهذا غير مُستبعَد؛ لأنّه إذا جاز أن يَعرف بالقلب ثمّ يُنكر باللسان -وهو كفر الجُحود والعِناد- فلِمَ لا يجوز أن يَجهل[٣] بالقلب ثمّ يُقرّ باللسان؟ فهذا القسم أيضًا مِن النِّفاق. **القسم الثاني**: أن يُوجَد الإنكار القلبيّ، ويُوجَد الإنكار اللسانيّ، فهذا كافر وليس بمُنافِق؛ لأنّه ما أظهر شيئًا بخلاف باطنه.[٤] **القسم الثالث**: أن يُوجَد الإنكار القلبيّ، مع سكوت اللسان، فهذا كافر وليس بمُنافِق؛ لأنّه ما أظهر شيئًا بخلاف باطنه.

النوع الرابع: القلب الخاليّ عن جميع الاعتقادات، فهذا إمّا أن يُوجَد معه الإقرار، أو الإنكار، أو السكوت. **القسم الأوّل**: إذا وُجِد الإقرار، فهذا الإقرار:[٥] إمّا أن يكون اختياريًّا أو اضطراريًّا: فإن كان اختياريًا: فإن كان صاحبه في مُهلة النظر لم يلزمه الكُفر، لكنّه فعَل ما لا يجوز، حيث أخبر عمّا لا يدري أهو صادق فيه[٦] أم لا؟ وإن كان لا في مُهلة النظر

---

١ ن - فبأن يكون مُنافقًا.

٢ ن - مع الإنكار اللسانيّ... الاعتقاد التقليديّ.

٣ ن: يحمل.

٤ ن - القسم الثاني: أن يُوجَد الإنكار القلبيّ، ويُوجَد الإنكار اللسانيّ، فهذا كافر وليس بمُنافِق؛ لأنّه ما أظهر شيئًا بخلاف باطنه.

٥ ن - أو الإنكار، أو السكوت. القسم الأوّل: إذا وُجِد الإقرار، فهذا الإقرار.

٦ ن - فيه.

وكانوا أَخْبَثَ الكَفَرة وأَبْغَضَهم إليه وأَمْقَتَهم عنده؛ لأنهم خَلَطوا بالكفر تَمْوِيهًا وتَدْلِيسًا، وبالشِّرْك استِهْزاءً وخِداعًا، ولذلك أَنْزلَ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء ١٤٥/٤].

ففيه نظرٌ. أمّا إذا كان اضطراريًا لم يُكفَّر صاحبه، لكنّ توقُّفه إذا كان في مُهلة النظر، وكان يخاف على نفسه من ترك الإقرار، لم يكن عمله قبيحًا. **القسم الثاني**: القلب الخاليّ مع الإنكار باللسان، وحُكمه بالعكس من حُكم القسم[1] العاشر.[2] **القسم الثالث**: القلب الخالي مع اللسانيّ[3] الخالي: فهذا إن كان في مُهلة النظر فذلك هو الواجب، وإن كان خارجًا عن مُهلة النظر وجب تكفيره، ولا يُحكم عليه بالنِّفاق البتّة. فهذه هي الأقسام المُمكنة في هذا الباب.[4]

قوله: (وكانوا أخبث الكَفَرة) عطف على قوله: "سمّاهم". والضمير من **(إليه)** و**(عنده)** عائد إلى الله تعالى. و"التمويه" أصله مِن الماء؛ لأنّ همزة الماء مُنقلِبة من الهاء. يقال: مَوَّهتُ الشيء: طليتُه بذهب أو فضّة وتحت ذلك حديد أو نُحاس، ومِنه التمويه: التلبيس. ومعنى "التدليس": الخِداع. والتدليس في البيع: كِتمان عَيب السِّلعة عن المُشتري.

واعلم أنّ العلماء «اختلفوا في أنّ كُفر الكافر الأصليّ أَقبَحُ أم كُفرَ المنافق؟ قال قوم: كُفر الكافر الأصليّ أَقبَحُ؛ لأنّه جاهل بالقلب كاذب باللسان، والمنافق جاهل بالقلب صادق باللسان».[5] وأيضًا المُنافق لمّا لم يُظهِر العداوة ولا يُواثِب بالمكروه ولا يُجاهر بالمحاربة والمُناجزة[6] كان أهوَن من الكافر[7] الأصليّ. وإليه أشار المتنبّي بقوله:

كفى بكَ داءً أن ترى الموت شافيًا　　وحَسْبُ المنايا أن يكُنَّ أمانيا
[٧٢ظ] تمنَّيتَها لمّا تمنَّيتَ أن ترى　　/ صديقًا فأعيا أو عدوًّا مُداجيا[8]

---

[1] ن: السابق.
[2] ن - العاشر.
[3] ن: اللسان.
[4] انظر: تفسير الرازي، ٦٥/٢-٦٦ (البقرة، ٨/٢).
[5] تفسير الرازي، ٦٦/٢ (البقرة، ٨/٢).
[6] ن: والمشاجرة.
[7] ن + من الكافر.
[8] شرح الواحدي لديوان المتنبّي، ١٦٨٣/٤-١٦٨٤.

....

يقول: كفاك داءً[1] رؤيتك الموت شافيًا، أي: إنّ داءً[2] شفاؤه الموت[3] أقصى الأدواء، والمنيّة إذا صارت أمنيّة فهو غاية البليّة. ثمّ قال: تمنَّيتَها، أي: تمنَّيتَ المنيّة لمّا طلبتَ صديقًا مُصافيًا فأعجزكَ، أو عدوًّا مُساتِرًا للعداوة فما وجدتَ.[4]

فجعلَ العدوّ المُداجي كالقائم مقام الصديق المُصافي؛ وذلك لمُحافظته نوعًا من المحافظة.

وقال قوم: كُفر المنافق أقبَح، وقالوا: هو كاذب أيضًا باللسان كالكافر الأصلي، فإنّه يُخبِر عن كونه على ذلك الاعتقاد مع أنه ليس عليه، ولذلك قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ [الحجرات ١٤/٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [المنافقون ١/٦٣].[5] وهو وإن لم يُجاهر بالعداوة لكنّه ينتهز الفرصة ولا يُخفي عداوته. قال المتنبّي:

يُخفي العداوة وهي غير خَفيّةٍ   نظرُ العدُوّ بما أَسرَّ[6] يبوحُ[7]

ثمّ إنّ المنافق اختُصّ بمزيد[8] أمور[9] مُنكَرة: أنّه قصد التلبيس، والكافر الأصليّ ما قصد ذلك؛ **الثاني**: أنّ المنافق ضمَّ إلى كُفره الاستهزاء بخلاف الكافر،[10] ولأجل غِلَظ كُفره قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء ١٤٥/٤]؛ **الثالث**: قال مجاهد: إنّه تعالى ذكر حال الكافرين في آيتين وحال المنافقين في ثلاث عشرة آية، وذلك يدلُّ على أنّ المنافق أعظم جُرمًا.[11]

---

١ ن: ذا.
٢ ن: ذا.
٣ ن + الموت.
٤ ما أورده في شرح البيتين مذكور بلفظ قريب في **شرح الواحدي لديوان المتنبّي**، ١٦٨٤/٤-١٦٨٥.
٥ انظر: **تفسير الرازي**، ٦٦/٢ (البقرة، ٨/٢).
٦ ن: يُسِرُّ.
٧ **شرح الواحدي لديوان المتنبّي**، ٣٨١/١.
٨ ن – بمزيد.
٩ ن: بأمور.
١٠ ن + الأصلي.
١١ من قوله: "ثمّ إنّ المنافق" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٦٦/٢-٦٧ (البقرة، ٨/٢).

ووصَفَ حالَ الذينَ كفَروا في آيتَيْنِ وحالَ الذينَ نافَقُوا في ثلاثَ عَشْرَةَ آيةً نَعَى عَلَيهم فيها خُبْثَهم ونُكْرَهُم، وفَضحَهم وسَفَّهَهم واسْتَجْهَلَهم، واسْتَهْزأَ بهم، وتَهَكَّمَ بِفِعْلِهم، وسَجَّلَ بطغيانِهم وعَمَهِهم، ودَعَاهُم صُمًّا بُكمًا عميًا، وضَربَ لهم الأَمْثالَ الشَّنِيعَةَ.

وقِصَّةُ المنافقينَ عن آخِرِها مَعْطوفَةٌ ....

قال الإمام: «وهذا بعيد لأنّه[1] بكثرة الاقتصاص لِخبرهم لا يَجب كون جُرمهم أعظمَ، فإن عظُم[2] فلغير ذلك، وهو ضمُّهم إلى الكفر وجوهًا من المعاصي: كالمُخادعة، والاستهزاء، وطلب الغوائل، إلى غير ذلك».[3] ثمّ قال الإمام: «ويمكن أن يُجاب عنه بأن كثرة الاقتصاص لِخبرهم يدلُّ على أنّ الاهتمام بدفع شرهم أشدّ من الاهتمام بدفع شرّ الكُفّار، وذلك يدلُّ على أنّهم أعظم جُرمًا من الكُفّار».[4]

وأنا أقول: إذا نظرتَ إلى قول المُصنِّف وهو أنّه جعل قوله: (نعى)...[5] إلخ، صفة لقوله:[6] (آية) ظهر لك وجه دلالة كثرة[7] الآيات على غِلَظ كفرهم.[8] وقوله: "نعى"، أي: أظهر وشهَّر. و"النكارة": الدهاء. ويقال للرجُل إذا كان فطِنًا مُنكَرًا: ما أشدَّ نَكره ونُكره! بالفتح والضمّ.[9]

قوله: (وفضَحهم) إلى قوله: (ضرَب لهم) جميع هذه الأفعال معطوفة على قوله: "نعى"؛ فلا بدّ من الضمير، أي:[10] فضحهم فيها وضرب لهم الأمثال فيها.

قوله: (وقصةُ المنافقين) مبتدأ، وقوله: (معطوفة) خبرها.

---

١ ن: لأنَّ.

٢ ن – فإن عظم.

٣ **تفسير الرازي**، ٦٧/٢ (البقرة، ٨/٢). وبعض ألفاظ هذا النصّ في مطبوعه مُحرَّفة.

٤ **تفسير الرازي**، ٦٧/٢ (البقرة، ٨/٢).

٥ ن: تعالى.

٦ د + له.

٧ ن – كثرة.

٨ ن: كفر.

٩ انظر: **الصحاح** للجوهري، «نكر».

١٠ ن – (وفضَحهم) إلى قوله: (ضرَب لهم) جميع هذه الأفعال معطوفة على قوله: "نعى"؛ فلا بدّ من الضمير، أي.

على قصَّةِ الذين كفرُوا كما تُعْطَفُ الجُملةُ على الجُمْلةِ.

وأصلُ "ناسٍ": أُناسٌ، ....

قوله: (عن آخرها) أي: مُتجاوزًا عن آخرها.[1] وقوله:[2] (كما تُعطف) صفةُ مصدر محذوف، و"ما" مصدريّة.

قوله: (وأصل "ناس") اعلم أنّ العلماء ذكروا لاشتقاق لفظ الإنسان وجوهًا: الأوّل: أنّه سُمِّيَ إنسانًا لاستئناسه بمثله، فهو من الأُنس؛[3] الثاني: أنّه سُمِّيَ إنسانًا لظهورهم وأنّهم يُؤْنَسون،[4] أي: يُبصَرون.[5] وعلى هذين المذهبين تكون الهمزة من "الناس" محذوفة. وقال بعضهم: هو من النسيان.[6] والمُختار أنّ همزته أصليّة،[7] وهو مذهب البصريّين؛[8] لِما ثبت في معناه "إِنْس"[9] بكسر الهمزة وسكون النون. قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن ٣٩/٥٥]، وكذا "أَنَس" بفتحتين. قال:

أتَـوا نـاري فقلـتُ مَنُـونَ أنتمْ ... فقالوا الجنّ قلتُ عِمُوا ظلاما

فقلتُ إلى الطعام فقال منهمْ ... فريقٌ نحسُد الأَنَسَ الطعاما[10]

وكذا "أَنيس" بفتح الهمزة وكسر النون. قال:

إنّما أنفُس الأنيس سباعٌ[11] ... يتفارسْنَ جَهرةً واغتيالا[12]

---

[1] ن - آخرها.

[2] ن: قوله.

[3] انظر: شرح الرضي على الشافية، ٣٤٩/٢.

[4] ن: يؤمنون.

[5] انظر: تهذيب اللغة للأزهري، «أنس»، ٨٩/١٣؛ والمُقتصَد للجرجاني، ١٠١٠/٢؛ وتفسير الرازي، ٦٧/٢ (البقرة، ٨/٢).

[6] نُقِل ذلك عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، وسيأتي عمّا قليل.

[7] انظر: تهذيب اللغة للأزهري، «أنس»، ٨٨/١٣.

[8] انظر تفصيل مذهبهم في الإنصاف لأبي البركات الأنباري، ٨٠٩/٢-٨١٢.

[9] ن: إنّه.

[10] سبق تخريجهما في أوّل الكلام على الآية الأولى من الفاتحة. والرّواية التي أورد لها المُصنِّف البيتين هنا «الأَنَس». قال الجوهريُّ قبل سوق هذين البيتين: «والأَنَس أيضًا: لغة في الإنس. وأنشد الأخفش على هذه اللغة». الصحاح، «أنس».

[11] ن + سباع.

[12] البيت للمتنبي، وهو في شرح الواحدي لديوانه، ١٥٩٧/٣. قال الواحدي في شرحه: «يريد بالأنيس: الناس».

....

وكذا "أُناس" بضمّها. قال:

إنّ المنايا يطّلعـ ـنَ على الأُناس الآمِنينا[١]

وكلُّ ذلك يدلُّ على أنّ الهمزة أصل ويكون وزنه في التصغير "فُعَيليانًا".[٢]

[٧٣و] ومذهب مَن قال: إنّه من النسيان -وهم / الكوفيون- ضعيفٌ؛[٣] لأنّه لا يُوافق نَسيَ: لا لفظًا؛ لأنّه ليس فيه ياء، ولا معنًى؛ فإنّ الإنسان ليس فيه دلالة على النسيان، فَبعُد باعتبار اللفظ والمعنى. وحَمَلهم على ذلك: تصغيرُه على "أُنَيسِيان"، واستدلُّوا بذلك على أنّ أصله "إنسِيان" على "إفعِلان"، حُذِفت الياء على غير قياس،[٤] فوزنه "إفعان"؛[٥] وما ذُكِر أنّه قال ابن عبّاس رضي الله عنه:[٦] «إنّما سُمي إنسانًا؛ لأنّه عُهد إليه فنَسيَ»،[٧] وقال أبو تمّام:

لا تنسَيَنْ تلك العُهود وإنّما سُمِّيتَ إنسانًا لأنّك ناسيْ[٨]

فوزنه في التكبير "إفعان"؛ لأنّ اللام محذوفة، وفي التصغير "أُفَيعِلان".

ويلزم ممّا ذكروه الإعلال بحذف اللام في المفرد وهو ظاهر، وفي الجمع أيضًا إذا قلت: أناسيّ؛ لأنّ ياءه الأخيرة مُبدلة عن النون، وأصله "أناسين"،

---

١ البيت لعلقمة ذو جَدَن الحِميَري في ديوان شعراء حِمْير، ١٥٠/٢، وحسبُك تخريج صانع الديوان، ٤٧٢/٢.

٢ ن: فعيلانًا.

٣ انظر تفصيل مذهب الكوفيين في **الإنصاف** لأبي البركات الأنباري، ٨٠٩/٢-٨١٢. وقال الرضي في ذلك: «والاشتقاق من النسيان في غاية البُعد». **شرح الرضي على الشافية**، ٣٤٩/٢.

٤ انظر: **تهذيب اللغة** للأزهري، «أنس»، ٨٨/١٣-٨٩؛ و**الصحاح** للجوهري، «أنس»؛ و**الكشف والبيان** للثعلبي، ٩٨/٣ (البقرة، ٨/٢).

٥ ن: إفعال. | **شرح الرضي على الشافية**، ٢٧٤/١.

٦ د – رضي الله عنه.

٧ **جامع البيان** للطبري، ٥٧/١٤ (الحجر، ٢٦/١٥)؛ **تفسير ابن أبي حاتم**، ٢٤٣٧/٧ (طه، ١١٥/٢٠)؛ **المعجم الصغير** للطبراني، ١٤٠/٢ (٩٢٥)؛ **الصحاح** للجوهري، «أنس»؛ و**الكشف والبيان** للثعلبي، ٩٨/٣ (البقرة، ٨/٢)؛ و**البسيط** للواحدي، ١٢٥/٢-١٢٦ (البقرة، ٨/٢)؛ و**تفسير الرازي**، ٦٧/٢ (البقرة، ٨/٢).

٨ البيت في **شرح ديوان أبي تمّام** للتبريزي، ٢٤٥/٢. وساق التبريزي في شرحه كلامًا على اشتقاق "الإنسان" وخلاف البصريين والكوفيين فيه. وعجُزه بلا نسبة ممثَّلًا به على ما ذُكِر في **الكشف والبيان** للثعلبي، ٩٩/٣ (البقرة، ٨/٢)؛ و**تفسير الرازي**، ٦٧/٢ (البقرة، ٨/٢).

حُذِفت همزتُه تخفيفًا كما قيل: لُوقةٌ، في: أَلُوقةٍ، وحَذْفُها مع لام التَّعرِيفِ

والياء المُتقدِّمة عليها زائدة ليست بلام الفعل؛[١] لأنّه لا يقع بعد ألف الجمع ثلاثة أحرف بغير هاء التأنيث إلّا وأوسطها حرف مدّ زائد، كمصابيح وقناديل. وأيضًا يلزم منه ردُّ اللام في التصغير من غير حاجة إليه؛ لأنّ بناء التصغير يحصُل دونها، ألا ترى[٢] أنّك لو صغّرت "شاكًّا" محذوف العين من "شائك" لَقلتَ: شُوَيك، ولا تُردُّ العين. وحديث ابن عبّاس رضي الله عنه[٣] لم يَثبُت،[٤] وأبو تمّام لا يُحتجُّ بشعره، وأيضًا إنّه[٥] لا يُبيِّن[٦] الاشتقاق، وإنّما أَصدر[٧] هذا على مذاهب الشعراء التخييليّة.[٨]

إذا عرفتَ هذا فلنرجع إلى لفظه، ونقول:

قوله: **(تخفيفًا)**[٩] مفعول له. وقوله: **(كما قيل)** صفة مصدر محذوف. فإنّ قولكَ: **(حُذِفت همزته)** في معنى قولك: قيل فيه: ناس. فكأنّه قال: قيل فيه: ناس كما قيل: لُوْقة.[١٠] واللُّوْقة والأَلُوقة:[١١] الزُّبدة بالرُّطَب.[١٢] قال الشاعر:

حديثُكَ أشهى[١٣] عندنا من أَلوقةٍ[١٤] ... يُعجِّلها طَيّان شَهوان للطُّعْمِ[١٥]

---

١ انظر أجوبة البصريين هذه في **شرح ديوان أبي تمّام** للتبريزي، ٢٤٦/٢.

٢ د: يُرى.

٣ د – رضي الله عنه.

٤ قال الهيثمي: «رواه الطبراني في **الصغير**، وفيه أحمد بن عصام، وهو ضعيف». **مجمع الزوائد**، ٢٦٨/١٤ (١١٢١٠). وورد بإسناد غيره صحيح، كالذي في **جامع البيان** للطبري. انظر تخريج مُحقِّق **مجمع الزوائد**.

٥ ن: لأنّه.

٦ ن: لا يتبين.

٧ ن: صدر.

٨ لعلّه يقصد أن أبا تمّام لم يورد ذلك المعنى للإنسان على سبيل التحقيق، وإنما أورده على سبيل الوهم والتخييل؛ فلا يصلح للاستدلال، لأنّ هذا المعنى لا تحقُّق له في اللغة.

٩ ن: تحقيقًا.

١٠ ن: لقوله.

١١ ن – والألوقة.

١٢ عن ابن الكلبي في **تهذيب اللغة** للأزهري، «لاق»، ٣٠٩/٩.

١٣ ن: انتهى.

١٤ ن: اللوقة.

١٥ ما عرفتُ قائل البيت، وهو بلا نسبة في **غريب الحديث** لأبي عُبيد، ١٦٦/٥؛ و**تهذيب اللغة** للأزهري، «لاق»، ٣٠٩/٩. وفيهما «يُعجّلها ظمآن»؛ و**الصحاح** للجوهري، «ألق»؛ و**أساس البلاغة** للزمخشري، «ألق». والطَّيّان: الجائع، من الطَّوى: وهو الجوع. والطُّعم والطَّعم: الطعام. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «طوي»، «طعم».

كاللازم؛ لا يَكادُ يقال: الأُناسُ.

ويَشهَدُ لِأَصْلِه: إنسانٌ وأُناسٌ وأَنَاسِيُّ وإِنْسٌ، وسُمُّوا لظهورِهم وأَنَّهم يُؤْنَسُون؛ أي: يُبْصَرون -كما سُمِّي الجنُّ جنًّا لاجتنانهم- ولذلك سُمُّوا بَشَرًا.

ووزن "ناسٍ": فُعَالٌ؛ لأن الزِّنَةَ على الأصولِ، ألَا تَراكَ تقولُ في وزن "قِهِ": اِفْعِلْ، وليس معَك إلَّا العَيْنُ وحدَها.

قوله: (كاللازم، لا يكاد)؛ وذلك لأنّهم التزموا حذفها، ولا يأتون بها إلّا في الشعر.[١] قال:

إنّ المنايا يطّلعـ ـنَ على الأُناس الآمنينا[٢]

كما مرّ.

قوله: (وسُمُّوا) أي: سُمُّوا إنسانًا، فمفعوله الثاني محذوف، وكذا مِن قوله: (كما سُمِّيَ الجنُّ).

قوله: (ولذلك) أي: ولظهور الإنسان سُمُّوا بشرًا، فإنّ في البَشَر معنى الظهور. فـ«البَشَر والبَشَرة:[٣] ظاهر جلد الإنسان. وبَشَرة الأرض: ما ظهر من نباتها».[٤]

قوله: (ووزن "ناس" فُعال) قال ابن الحاجب في تصريفه: إن كان حَذْف في الموزون حُذِفت[٥] الزِّنة[٦] مثلَه، كقولك: في قاضٍ: فاعٍ، إلّا أن يُبيَّن الأصل.[٧] وعلى هذا نقول: وزن "ناسٍ": عالٍ، إلّا أن يُبيَّن الأصل، فنقول: وزن "ناسٍ": فَعال، ووزن "قِهْ": عِهْ، إلّا أن يُبيَّن الأصل، فنقول: وزن "قِ": افعل.

---

١ انظر: شرح الرضي على الكافية، ٣٨٢/١.

٢ مضى تخريجه آنفًا.

٣ ن: والبشر.

٤ الصحاح للجوهري، «بشر».

٥ ن: حذف.

٦ ن: في الزّنة.

٧ انظر كلام ابن الحاجب في شرح الرضي على الشافية، ٢١/١. ووهّم الرضيُّ ابنَ الحاجب في استثنائه هذا لبيان الأصل، فقال: «وهو وهم؛ لأنّك لا تقول: إنّ 'أشياء' مثلًا عند سيبويه فعلاء، إذا قصدتَ بيان أصله». شرح الرضي على الشافية، ٣٢/١.

وهو مِن أَسْماء الجمع كرُخال، وأمَّا نُوَيْس فَمِنَ المُصَغَّر الآتي على خلافِ مكبَّرِهِ كأُنَيْسيَان ورُوَيْجِلٍ.

قوله: (وهو) أي: الناس اسم جمع كـ"رخال" قال في الصحاح: الرَّخِل بكسر الخاء: الأنثى من أولاد الضأن.[١] والذَّكَر: حَمَل، والجمع الرِّخال بكسر الراء وضمِّها.[٢]

قوله: (وأمّا نُوَيس فمِن المُصغَّر الآتي على خلاف مُكبَّره) فيه نظر؛ لأنّ الاسم الذي بقيَ بعد الحذف من حروفه الأصول حرفان إن لم يكن فيه زيادة فيُرَدّ المحذوف؛ ليتحقَّق بناء فُعيل،[٣] نحو "مُنَيذ"[٤] في "مُذ" اسمًا، وإن كان فيه زيادة فلا يخلو[٥] مِن أن يُمكن جَعْل الاسم بها على فُعيل أوّلًا: وحُكم الأوّل: أن يستغني بالزيادة عن ردّ المحذوف كـ"مُيَيْت" في "ميِّت" و"نُوَيس" في "ناس".[٦] وحُكم الثاني: أن يُرَدّ المحذوف، فنقول في "ابن" و"أخت": "بُنَيّ" و"أُخَيَّه".[٧]

قوله: (كأُنيسِيان) وقياسه أُنَيْسِيَن أو أُنَيْسان، وكأنّه مُصغَّر إنْسِيان،[٨] استغنى عنه بإنسان، كما جاء يَدَعُ على وَدَع، وتُرِك وَدَع؛ للاستغناء عنه بـ"تَرَك". وقياس (رُوَيجل) / في تصغير رجل: رُجَيل، وكأنّه جاء راجل بمعنى رجُل، واستغنى عنه برجُل، وجاء هذا التّصغير مبنيًّا عليه، كما جاء رجُل بمعنى الراجل[٩] في قول الشاعر: [٧٣ظ]

أمَا[١٠] أُقاتل عن ديني على فَرسي أو هكذا رجُلًا إلا بأصحابي[١١]

---

١ ن: الظان.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «رخل».

٣ ن: فعل.

٤ ن: مسند.

٥ د: فلا يخ [اختصارًا من "فلا يخلو"].

٦ ن: أناس.

٧ انظر ما ذكره مع زيادة أمثلة وتفصيل في **المُقتصَد** للجرجاني، ٩٩٨/٢، ١٠٠٦؛ و**الإيضاح في شرح المُفصَّل** لابن الحاجب، ٥٤٩/١-٥٥٠.

٨ ن: أنيسان.

٩ انظر: **شرح كتاب سيبويه** للسيرافي، ١٩٨/٤؛ و**شرح المُفصَّل** لابن يعيش، ١٣٣/٥.

١٠ ن: أنا.

١١ البيت لحُيي بن وائل المازني في **النوادر** لأبي زيد، ص ١٤٨، والرّواية فيه:

أمَا أُقاتل عن ديني على فرسٍ
ولا كذا رجُلًا إلّا بأصحابِ

وقال أبو زيد مُعقِّبًا: «ورجُلًا، أي: راجلًا... ويقال: راجل ورجال». **النوادر**، ص ١٤٩. وهو بلا نسبة في **شرح كتاب سيبويه** للسيرافي، ١٩٨/٤؛ و**شرح المُفصَّل** لابن يعيش، ١٣٣/٥.

ولامُ التَّعْريف فيه للجِنْس، ويجوز أنْ تكونَ للعَهْدِ والإشارةِ إلى الذين كفروا المارِّ ذكرُهم؛ كأنَّه قيلَ: ومِن هؤلاء مَن يقول، وهم عَبْدُ الله بنُ أُبيّ وأَصْحَابهُ، ومَن كان في حالهم من أَهْلِ التَّصمِيم على النِّفاقِ، ونظيرُ موْقعهِ مَوْقعُ القَوْمِ في قوْلك: نَزَلْتُ ببني فلان فلم يَقْرُوني والقَوْمُ لِئَامٌ.

ومعنى البيت: الإنكار على من يرى أنّ مُقاتلة هذا الشاعر لا تجوز إلّا في حال[1] مُصاحبته مع أصحابه؛ فقال: لِمَ لا أقاتل مُنفردًا؟ سواء أكون فارسًا أو راجلًا.

قوله: (ولام التعريف فيه)، يعني: يجوز أن تكون اللام في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ لتعريف الجنس، ويجوز أن تكون لتعريف العهد وإن لم يجرِ ذِكر "الناس"، فإنّه لا يلزم أن يكون تعريف العهد إشارة إلى الحاضر في الذهن حقيقة.

بل الواجب أن يكون إشارة إلى الحاضر في الذهن حقيقة أو مجازًا: مثال الأوّل قولك: جاء رجل فقال الرجل: كذا، وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل ٧٣/١٥-١٦]؛ ومثال الثاني قولك: انطلق رجل إلى موضع كذا والمنطلق ذو جِدّ، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران ٣/٣٥-٣٦].[2]

فقوله تعالى: ﴿ٱلذَّكَرُ﴾ معهود تقديريٌّ، إذ يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿مَا فِى بَطْنِى﴾؛ وقوله: ﴿كَٱلْأُنثَىٰ﴾ معهود تحقيقيّ؛[3] لتقدُّم ذِكره.

قوله: (ونظير موقعه) أي: موقع ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في كون اللام للعهد مع أنّه لم يُذكر صريحًا. وقوله:[4] (لم يَقرُوني) أي: لم يُضيّفوني. واللام في قوله: (والقوم لئام) للعهد، وإن لم يجر ذِكر "لئام"؛ لأنّ قوله: (بني فلان) يدلّ عليه.[5]

---

[1] ن - حال.

[2] من قوله: "بل الواجب" إلى هنا بلفظ قريب في مفتاح العلوم للسّكّاكي، ص ٣١٦-٣١٧.

[3] ن: حقيقيّ.

[4] ن: قوله.

[5] ن: على قلبه.

و﴿مَن﴾ في ﴿مَن يَقُولُ﴾ مَوْصُوفةٌ؛ كأنَّه قيل: ومِن النَّاسِ ناسٌ يقولونَ كذا؛ كقوله: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ [الأحزاب ٢٣/٣٣] إنْ جعَلْتَ اللامَ للجنس. وإن جعَلْتَها للعَهْد فموصولةٌ؛ كقَوْله: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ [التوبة ٦١/٩].

فإن قلتَ: كيفَ يُجعَلون بَعْضَ أولئك والمنافِقوْنَ غيْرُ المختومِ عَلَى قُلوْبهم؟

قوله: **(و"مَن" في ﴿مَن يَقُولُ﴾)**... إلخ، إن جعلتَ اللام للجنس لم يُفِد تعريفًا، فناسبَ أن تكون "مَن" موصوفة؛ لأنّها نكرة لا موصولة؛ لأنّها مُعرَّفة؛ وإن جعلتَ اللام للعهد أفاد تعريفًا، فناسب أن تكون "مَن" موصولة؛ لأنّه مَعرِفة لا موصوفة.

قوله: **(كيف يُجعَلون؟)** الضمير عائدًا إلى ﴿مَن يَقُولُ﴾. وقوله:[١] **(أولئك)** إشارة إلى ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وهذا السؤال على تقدير أن يكون اللام في ﴿ٱلنَّاسِ﴾ للعهد، فيكون اللام فيه إشارة إلى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. وتقرير السؤال: أنّه قد عُلِم ممّا مرّ أنّ المراد بالذين كفروا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[٢] [البقرة ٦/٢] هم الكافرون المُصرّون المُصمِّمون الذين لا يَرعَوون عن كفرهم دون المنافقين، إمّا بأن يكون اللام في ﴿ٱلَّذِينَ﴾ للعهد كما مرّ، أو يكون للجنس مُتناوِلًا[٣] للمُصرِّين المُصمِّمين وغيرهم من المنافقين، لكن اختُصَّ بالمُصرّين المُصمِّمين بقرينة قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾... إلخ، وذكرتُم هنا أنّ اللام في ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يجوز أن يكون للعهد إشارة إلى ﴿ٱلَّذِينَ﴾، ويلزم منه أن يكون المُنافقون داخلين[٤] في ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، إذ يصير المعنى: بعض الناس المعهودين، أي:[٥] بعض الكافرين المعهودين هم المُنافقون، فيَلزم أن يكون قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ شاملًا للمُنافقين مُختصًّا بالمُصرّين، أي: غير شامل للمنافقين، وهل هذا إلّا تناقُض بيّن؟ فهذا تنقيح السؤال. ويظهر منه أنّ السؤال لا يأتي لو كان اللام في ﴿ٱلنَّاسِ﴾ للجنس؛ إذ المعنى حينئذٍ: المنافقون بعضٌ من جنس الناس.

---

١ ن: قوله.
٢ ن – في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.
٣ ن: فيتناول.
٤ ن: داخلون.
٥ ن – أي.

قلتُ: الكفرُ جَمَع الفريقين معًا وصَيَّرَهما جِنسًا واحدًا، وكونُ المُنافِقينَ نوْعًا مِن نوعَيْ هذا الجِنْس مغايرًا للنَّوْعِ الآخر بزيادةٍ زَادُوها على الكفْرِ الجامِعِ بَيْنَهما من الخَديعةِ والاستِهزاء لا يُخْرِجُهم مِن أنْ يكونوا بَعْضًا مِنَ الجِنْسِ، فإنَّ الأَجْناس إنَّما تنوَّعَتْ لمغايَرَاتٍ وقعَتْ بَيْنَ بَعْضِها وبَعْضٍ، وتلك المغايَرات إنما تأتِي بالنَّوْعيَّةِ ولا تأبَى الدخولَ تحتَ الجنسيَّةِ.

وتقرير الجوابِ: أنّا وإن قلنا: المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هم المُصِرُّون المُصمِّمون،[1] لكن لا خفاء في أنّ اللفظ من حيث هو عامٌّ، والكفر شامل للفريقين، وغايته أنّه خُصَّ هنالك بأن أُريد به المُصرُّون المُصمِّمون بقرينة، وخصّ هنا بالمُنافقين بقرينة، وهذا / لا فساد فيه. فإنّ ذِكره بطريق العهد لا يزيد [٧٤و] على إعادته، ولو أُعِيد بعينه، وأُرِيد به المُنافقون هنا مع أنّ المراد به المُصرّون هنالك لا يُشكُّ في جوازه، فكذا في الوجه الذي ذكرنا.

وتمام تقريره أن نقول: الجواب إنّما يصحُّ على تقدير أن يكون التعريف في ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ للجنس لا للعهد، والحاصل أنّ التعريف في ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: إن كان للعهد وجب أن يكون التعريف في ﴿ٱلنَّاسِ﴾ للجنس، وإن كان التعريف في ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ للجنس يجوز أن يكون في ﴿ٱلنَّاسِ﴾ للعهد والجنس.

وقوله:[2] **(كونُ المنافقين)** مبتدأ، خبره قوله: **(لا يُخرِجهم)**. وهو، أعني: قوله: "كونُ" مُضاف إلى فاعله. وقوله:[3] **(نوعًا)** حال من الفاعل. ولا يَحسُن أن يقال: "نوعًا" منصوب على أنّه خبر "كان"؛ لأنّ "كان"[4] الناقصة لا يكون[5] له مصدر ليَعمل عملَه، فإنّه لا يدلُّ على الحدث. فهذا هو التحقيق فلا يُغفَل. وقوله: **(مُغايرًا)** صفة "نوعًا". وقوله: **(بزيادة)** مُتعلِّق[6] بقوله: "مُغايرًا". وقوله: **(زادوها)** صفة "زيادة". والضمير عائد إليها. و**(من الخديعة)** بيان زيادة.

---

[1] ن - المصمّمون.
[2] ن: قوله.
[3] ن: قوله.
[4] ن - لأن "كان".
[5] ن: يكون.
[6] ن: يتعلّق.

فإن قلتَ: لم اختُصَّ بالذِّكْر الإيْمانُ بالله والإيْمانُ باليَوْمِ الآخر؟

قلتُ: اختصاصُهما بالذكر كشفٌ عن إفراطهم في الخبث وتمادِيهم في الدَّعارَةِ؛ لأنَّ القوْمَ كانوا يهودًا، وإيمانُ اليهود باللهِ ليس بإيمانٍ؛ ....

قوله: **(لِمَ اختُصّ بالذِّكر الإيمانُ؟)** وجه السؤال أن يقال: المُنافقون كانوا يدَّعون الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، وكذا بنبوَّة نبيِّنا محمَّد[١] عليه السلام، وبالقرآن، إلى غير ذلك، فلِمَ اختُصَّ بالذِّكر الإيمانُ بالله وباليوم الآخر؟ ووجه الجواب أن نقول: إنّما خُصَّ ذلك بالذِّكر إشارة إلى إفراط خُبثهم وغاية حيلتهم[٢] ومكرهم؛ لأنّ إيمان اليهود بالله ليس بإيمان؛ لأنّهم يعتقدونه تعالى[٣] جسمًا، وكانوا يقولون: عُزير ابن الله. وكذا إيمانهم باليوم الآخر ليس بإيمان في الحقيقة؛ لأنّهم كانوا يُنكِرون اللذّات الجسمانيّة، ويُنكِرون دوام الجنّة والنار، فلمّا قالوا: آمنّا بالله وباليوم[٤] الآخر كان خُبثهم مُضاعفًا؛ لأنّهم أرادوا إيمانهم على وجه مُعتقَدهم الباطل، ويُوهمون المسلمين بهذا الكلام: أنّا آمنّا بالله مثل إيمانكم، وأيضًا كانوا يُوهمون أنّهم جمعوا الإيمان بأوّله وهو الإيمان بالله، وآخرِه وهو الإيمان باليوم الآخر؛ لأنّه المنتهى.[٥]

فقوله: **(اختصاصُهما)** مصدر مضاف إلى المفعول، أي: اختصاص الإيمانَين، أعني: الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر. وإنّما ثنّى في الجواب؛ لأنّه ذَكر الإيمان في اللفظ مرَّتين، ليطابق تكريرَ الباء في بالله وباليوم. ويجوز أن يعود الضمير المُثنّى إلى الله واليوم. وفي بعض[٦] النسخ "اختصاصهم"، فيكون المصدر مُضافًا إلى الفاعل، أي: اختصاصهم الإيمانَين بالذِّكر يكشف عن غاية خُبثهم. و"التمادي": البلوغ إلى الغاية. ويقال: «دَعِر العُود -بالكسر- يَدْعَر دَعَرًا، فهو عُود دَعِر، أي: رديء رَطْب كثير الدخان. ومنه أُخِذت **(الدَّعارة)**

---

١ ن - محمد.

٢ ن: خبثيتهم.

٣ د - تعالى.

٤ ن: اليوم.

٥ من قوله: "وجه السؤال" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٦٨/٢ (البقرة، ٨/٢).

٦ ن - بعض.

لقولهم: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٩/٣٠] وكذلك إيمانُهم باليَوْمِ الآخر لأنهم يَعْتقِدُونه عَلى خِلافِ صفتِهِ، فكان قولُهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ خُبْثًا مُضاعفًا وكفرًا موجَّهًا؛ لأنَّ قوْلَهم هذا لو صدَرَ عنهم لا عَلَى وَجْهِ النِّفَاقِ وعقيْدَتُهم عقيدتُهم فهو كفرٌ لا إيمانٌ، فإذا قالوه عَلى وَجْهِ النِّفَاق خَديْعةً لِلْمسلِميْنَ واسْتِهزاءً بهم وأَرَوْهم أَنهم مِثلُهم في الإيمان الحقيقيّ كانَ خُبْثًا إلى خُبثٍ وكفرًا إلى كفرٍ.

وأيضًا فقَدْ أَوْهمُوا في هذا المقَالِ أنهم احْتازُوا الإيمانَ من جانِبَيْه، واكتنَفُوه مِن قُطْرَيْه، وأَحَاطُوا بأَوَّلِه وآخره.

وفي تكْرِير الباء أنهم ادَّعَوْا كلَّ واحدٍ من الإيمانين على صفةِ الصحَّةِ والاسْتحكام.

وهي: الخُبث والفِسقَ».[1] فقوله: (﴿عُزَيْرٌ﴾) مبتدأ، (﴿ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٩/٣٠]) خبره. فالوجه إثبات الألف في الخطّ.

وقوله: (مُوجَّهًا) أي: ذو وجهين، وبالفارسية[2] "دو رويه". وقوله: (هذا) بدل من اسم "أنّ". وقوله: (لو صدر)[3] مع جوابه -وهو قوله: (فهو كفر)- خبرٌ لـ"أنّ". وأتى بالفاء في جواب "لو". وقوله:[4] (وعقيدتهم عقيدتُهم) حال، أي: عقيدتُهم وقتَ القول مثلُ عقيدتهم قبل ذلك، يعني: لو صدر ذلك القول عنهم، لا على وجه النفاق وفي حال[5] ثبوت اعتقادهم على ما هو عليه قبلُ، لَكان ذلك كفرًا. والفاء في قوله: (فإذا) للسببيّة. والضمير المنصوب من (قالوه) عائد إلى (قولهم). وقوله: (خديعةً) مفعول له. وقوله:[6] (أَرَوْهم) عطف على "قالوه" وقوله:[7] (كان) جواب "فإذا". وقوله: (إلى خُبث) صفة (خبثًا) أي: خُبْثًا[8] مُنضمًّا إلى خبث. وقوله: (احتازوا) أي: جمعوا.

---

[1] الصحاح للجوهري، «دعر». وليس في مطبوعه كلمة «رَطْب».

[2] ن: بالفارسيّة.

[3] ن: (أو صدر).

[4] ن – وقوله.

[5] ش: في حال.

[6] ن: قوله.

[7] ن: قوله.

[8] ن – أي: خبثًا.

فإن قلتَ: كَيْفَ طابَقَ قوْلُهُ: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ قولَهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ والأوَّل في ذِكْرِ شأنِ الفِعْل لا الفاعِلِ، والثاني في ذِكْرِ شأنِ الفاعِل لا الفِعْل؟

قلتُ: القَصْدُ إلى إنكارِ ما ادَّعَوْه ونَفْيِهِ، ....

قوله: (**كيف طابق؟**) تقرير السؤال أنّ قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ مَسوق لذِكر شأن الفعل، بمعنى: أَحدثْنا / وأَوجدْنا الإيمان لا الكفر، وليس لذِكر[1] شأن الفاعل، وإلّا لقال: نحن آمنّا، أي: لا غيرنا. وأيضًا ليس الكلام في أنّهم آمنوا أو غيرهم، حتّى يكون ذلك لبيان[2] الفاعل، بل المراد أنّهم آمنوا أو كفروا،[3] فثبت أنّه لشأن الفعل لا الفاعل. والثاني وهو قوله: (**وما هم بمؤمنين**) في ذِكر شأن الفاعل. فكأنّه قال: وما هم بمؤمنين بل غيرهم، إذ لو كان لشأن الفعل لقال: ما آمنوا،[4] أي:[5] بل كفروا فكيف يتطابقان؟[6] [٧٤ظ]

وحاصل الجواب: منع أنّ الثاني في ذِكر شأن الفاعل لا الفعل، بل هو لنفي الفعل بطريق أبلغ، وإنّما كان هذا الطريق أبلغ؛ لأنّه أخرج ذواتهم عن أن يكونوا طائفة من طوائف المؤمنين، ويلزم منه على سبيل القطع نفيُ ما ادَّعوه،[7] كما إذا قيل: ناظَر فلان في المسألة الفلانيّة، فلو قلت: إنّه لم يُناظر في تلك المسألة لكنتَ قد كذَّبتَه، أمّا لو قلت: إنّه ليس مِن المُناظرين، كنتَ قد بالغتَ في تكذيبه، يعني: أنّه ليس من هذا الجنس، فكيف تظن به ذلك؟ فكذا هنا، لمّا قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾ فلو قال الله تعالى:[8] ما آمنوا، كان ذلك تكذيبًا لهم. ولمّا قال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ كان ذلك مُبالغة في تكذيبهم.[9]

وذلك لأنّه يكون ذَكر الشيء مع الدليل.

قوله: (**ونفيه**) أي: نفي[10] ما ادَّعوه.

---

١ ن: كذلك.

٢ ن: لشأن.

٣ ن: وكفروا.

٤ ن: وما آمنوا.

٥ ن – أي.

٦ ن: يطابقان.

٧ ن: ادّعوه.

٨ ش ن – تعالى.

٩ من قوله: "وحاصل الجواب" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٦٨/٢ (البقرة، ٨/٢).

١٠ ن: ونفي.

فَسُلِكَ في ذلكَ طريقٌ أَدّى إلى الغَرَضِ المَطْلُوبِ، وفيه من التَّوْكيد والمبالغةِ ما ليس في غَيْرِهِ، وهو إخرَاجُ ذَواتِهم وأنفُسِهم مِن أن تكونَ طائفةً مِن طوائفِ المؤمنين؛ لِمَا عُلِم مِن حَالهم المنَافِيَةِ لحالِ الدَّاخِلِينَ في الإيمان، وإذا شُهِد عليهم بأنهم في أنْفُسِهم على هذه الصِّفةِ فَقَد انْطَوَى تحتَ الشهادَةِ عَلَيْهم بذلك نَفْيُ ما انْتَحلُوا إثباتَه لأنْفُسِهم على سبيل القَطْعِ والبَتِّ، ونَحْوُه قَولُه تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة ٥/٣٧] **وهو أبْلغ من قولكَ: وَمَا يَخْرُجُونَ مِنْها.**

فإن قلتَ: فَلِمَ جَاءَ الإيْمانُ مُطْلَقًا في الثاني وَهُوَ مقيَّدٌ في الأَوَّلِ؟

قوله: (**في ذلك**) أي: في إنكار ما ادَّعوه. وقوله:[١] (**أدّى**) فعل ماض من التأدية صفة (**طريقٌ**). وقوله: (**الغرض المطلوب**) هو إنكار ما ادَّعوه. والضمير من (**فيه**) و(**غيره**) و(**هو**) عائد إلى "طريق".[٢] وقوله: (**ما ليس في غيره**)[٣] مبتدأ، و(**فيه**) خبره. و(**من التوكيد**) بيان "ما". والجملة حال من الضمير في "أدّى"، أو صفة بعد صفة لـ"طريق". واللام في قوله: (**لِمَا عُلِم**) متعلِّق بـ"إخراج". و(**من حالهم**) بيان "ما"، واللام في (**لحال**)[٤] متعلِّق بـ(**المُنافية**).

قوله: (**على هذه الصفة**) وقوله: (**بذلك**) إشارة إلى خروج ذواتهم عن يكونوا من طوائف المؤمنين. وقوله: (**نفيُ**) فاعل (**انطوى**). وقوله: (**على**) متعلِّق بـ"انطوى".

قوله: (**فلِمَ**[٥] **جاء؟**) أي: فلِمَ[٦] قُيِّد[٧] الإيمان في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، وأُطلِق في قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾؟ وهذا السؤال مع جوابه ظاهر.

---

[١] ن + وقوله.

[٢] ن – وقوله: (الغرض المطلوب) هو إنكار ما ادَّعوه. والضمير من (فيه) و(غيره) و(هو) عائد إلى "طريق".

[٣] ن: غير.

[٤] ن: الحال.

[٥] ن: فلما.

[٦] ن – فلِمَ؛ ش: لم.

[٧] ن: قبل.

قلتُ: يَحْتَمِلُ أَنْ يُرادَ التَّقْييدُ ويُتْرَكَ لِدلالَةِ المذكُور عليه، وأن يرادَ بالإِطْلاقِ أَنَّهُم لَيْسُوا مِن الإيمان في شيءٍ قَطُّ: لا مِن الإيمانِ باللهِ وباليَوْم الآخِرِ، ولا من الإيمانِ بغَيْرِهما.

فإن قلتَ: ما المرادُ باليَوْمِ الآخِرِ؟

قلتُ: يجوز أنْ يُرادَ به الوَقْتُ الذي لا حدَّ له، وهو الأبَدُ الدائمُ الذي لا يَنْقَطِعُ لتأَخُّرِهِ عن الأَوْقاتِ المُنْقَضِيَةِ.

وأَنْ يُرادَ الوَقْتُ المَحْدودُ مِن النُّشُورِ إلى أَنْ يَدْخلَ أَهْلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأَهْلُ النَّارِ النَّارَ؛ لأَنَّه آخِرُ الأَوْقاتِ المَحْدودة الذي لا حَدَّ لِلوَقْتِ بَعْده.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾

قوله: **(يجوز أن يُراد به)** أي: باليوم الآخر. قد مرَّ أن اليوم: «هو المُدَّة من طلوع الشمس إلى غروبها عُرفًا. ومن طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس شرعًا. وهو: الوقت لغة ليلًا كان أو نهارًا طويلًا أو قصيرًا».[1]

ثمّ اعلم أنّ اللام في قوله: **(لتأَخُّره)**[2] متعلِّق بقوله: **(يجوز)**، يعني: لمّا كان الأبد الدائم الذي لا ينقطع متأخّرًا عن الأوقات المنقضية جاز أن يراد باليوم الآخر ذلك الوقت المُمتدُّ.

قوله: **(وأن يُراد)** عطف على قوله: "أن يُراد". وهو الجواب الثاني. وقوله: **(لأنّه)** مُتعلِّق بقوله: "أن يُراد"، يعني: لمّا كان الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنّة الجنّةَ آخرَ الأوقات المنقضية، جاز أن يُراد باليوم الآخر: ذلك الوقت.

قوله تعالى: **﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾**.

اعلم أنّه تعالى حكى من قبائح أفعال المنافقين[3] أربعة أشياء: أحدها: ما ذكره في هذه الآية وهو أنّهم يُخادعون الله، وثانيها: ما ذكره في قوله تعالى:[4]

---

١ **تفسير الكواشي**، ص ١٤١ (الفاتحة، ١/٤). وسلف عند الكلام على الآية الرابعة من سورة الفاتحة.

٢ ن: لما خبره.

٣ ن: المكلفين.

٤ ن - تعالى.

"الخَدْعُ": ....

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ﴾... الآية [البقرة ٢/١١]، وثالثها: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ﴾ [البقرة ٢/١٣]، ورابعها: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾... الآية [البقرة ٢/١٤].[١]

وأصل (الخَدْع): الاختفاء، ومنه سُمِّيت الخِزانة: المُخدَع.[٢] و«الأخدعان: عِرقان في العُنُق؛ لأنّهما خفيّان».[٣] و«طريق خادع وخَدِع: إذا كان مُخالفًا للمَقصِد، بحيث لا يُفطَن له».[٤] قال أبو زيد: يقال: «خدعتُ الرجُل أخدَعه خِدعًا -بكسر[٥] الخاء- وخَديعة. وقالوا: 'إنّك لأَخْدَع مِن ضبّ حرشتَه'».[٦] وقد حَرَش فلان الضبّ / يَحرُشه حَرْشًا، إذا مسح بيده على فم جُحره؛ [٧٥و] فيسمع الضبُّ الصوت، فربّما أقبَل وهو يرى أنّ ذلك حيّة، فيُخرِج ذنَبه[٧] ليضربها فيأخذه. وربّما أَرْوَح رِيح[٨] الإنسان فخَدع في جُحره، أي: رجع فلم يخرج وذهب.[٩] فالحَرْش: صيد الضباب[١٠] خاصة. وأمّا حدّ المُخادعة: فهو إظهار ما يُوهم السلامة والسداد وإبطان ما يقتضي الإضرار بالغير.[١١] فهو بمنزلة النفاق في الكفر، وبمنزلة الرِّياء في الأفعال الحسنة.[١٢] وكلّ ذلك

---

١ من قوله: "اعلم أنّ الله تعالى" إلى هنا مفرّق على مواضعه من الآيات في **تفسير الرازي**، ٢/٦٩-٧٦ (البقرة، ٢/٩).

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «خدع». وفيه بكسر الميم وبضمّها؛ و**تفسير الرازي**، ٢/٦٩ (البقرة، ٢/٩).

٣ **تفسير الرازي**، ٢/٦٩ (البقرة، ٢/٩). وهو بمعناه في **البسيط** للواحدي، ٢/١٣١ (البقرة، ٢/٩).

٤ **تفسير الرازي**، ٢/٦٩ (البقرة، ٢/٩). وفي مطبوعه «وطريق خيدع وخادع». وهو بمعناه في **البسيط** للواحدي، ٢/١٣١ (البقرة، ٢/٩). وفي مطبوعه «وطريق خدوع وخادع». قال الجوهري: «وطريق خَيْدَع: مخالف للقصد لا يُفطَن له». **الصحاح**، «خدع».

٥ ضُرِب عليها في ش، وكُتِب فوقها من غير تصحيح: بفتح.

٦ **النوادر** لأبي زيد، ص ٥١٣-٥١٤. وفي مطبوعه «أخدعه -الخاء مكسورة- وخديعة». سقطت فيه كلمة «خِدعًا». وقول أبي زيد له في **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١/٣١٣. وبعضه له عن أبي عُبيد في **البسيط** للواحدي، ٢/١٣٢ (البقرة، ٢/٩). وجاء قولهم في **الأمثال** لأبي عُبيد، ص ٣٦٤. بلفظ «إنّه» بدل «إنّك». وهو بلفظ «أخدع من ضبّ» في **جمهرة الأمثال** للعسكري، ١/٤٤٠؛ و**مَجمَع الأمثال** للميداني، ١/٢٦٠؛ و**المُستقصى** للزمخشري، ١/٩٥.

٧ ن: ذنبها.

٨ ن – ريح.

٩ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١/٣١٣.

١٠ ن: الضبّ.

١١ ن: بالعين.

١٢ ن: الحسية.

أنْ يُوهِمَ صاحِبَهُ خِلافَ ما يُرِيدُ به مِن المَكْرُوهِ؛ مِن قَولِهم: ضَبٌّ خادِعٌ وخَدَعٌ، إذَا أَمَرَّ الحَارِشُ يَدَه على بَابِ جُحْرِه أوْهَمَه إقْبالَه عليه ثم خَرَجَ من بابٍ آخَر.

فإن قلتَ: كَيْف ذلكَ ومخادعةُ الله والمُؤمنِيْنَ لا تصحُّ؛ لأنَّ العالِمَ الذي لا تخفَى عليهِ خافِيَةٌ لا يَخْدَعُ، والحكيْمُ الذي لا يَفْعلُ القَبِيحَ لا يَخْدَعُ، والمؤمنُونُ وإن جازَ أَنْ يُخْدَعُوا لـم يَجز أَنْ يَخْدَعُوا، ألا تَرَى إلى قوله:

بخلاف ما يقتضيه الدِّين؛ لأنّ الدِّين يُوجِب الاستقامة والعدول عن الغرور، فالخديعة مذمومة قبيحة.

قوله: **(يُوهِم)** أي: يُوهِم الشخص صاحبه. فأضمر لدلالة سياق الكلام عليه.

قوله: **(به)** أي: بالصاحب.

قوله: **(مِن المكروه)** بيان قوله:[١] **(من قولهم)** أي: هو من قولهم.

قوله:[٢] **(أَمَرّ)** بتشديد الراء، فعل ماض مِن الإمرار.

قوله: **(أَوْهَمه)** جواب **(إذا)** أي: أَوْهَم الضبُّ الحارشَ إقبال الضبّ على الحارش. و"إذا" مع جوابه بيان لقوله: **(ضبٌّ خادعٌ)**.

قوله: **(كيف ذلك؟)**...[٣] إلخ، وجه السؤال أن يقال: كيف وُجِّه قوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؟ والحال أنّ مُخادَعة الله تعالى ممتنعة من وجهين:

الأوّل: أنّه يعلم السرائر والضمائر فلا يجوز أن يُخدَع؛ لأنّ الذي فعلوه لو أظهروا أنّ الباطن بخلاف الظاهر لم يكن خِداعًا، فإذا كان الله تعالى[٤] لا يخفى عليه البواطن لم يصحّ أن يُخدَع.[٥] **والثاني**: أنّ الخديعة قبيحة، وهي على الله تعالى[٦] غير جائزة،[٧] فلا يجوز أن يخدعهم الله تعالى.[٨] وهذا مذهب المعتزلة. وكذا مُخادعة المؤمنين؛ لأنّ الخديعة فعل قبيح، فيجب أن يَحترز[٩] عنه المؤمنون،

---

١ ن - قوله.
٢ ن - أي: هو من قولهم. قوله.
٣ ن + أي: أن يكون الخدع أن يوهم.
٤ ن - تعالى.
٥ **تفسير الرازي**، ٦٩/٢ (البقرة، ٩/٢).
٦ د - تعالى.
٧ د: جائز.
٨ د - تعالى.
٩ ن: يحترف.

واسْتَمْطِرُوا مِنْ قُرَيْشٍ كُلَّ مُنْخَدِعِ

فلا يجوز أن يَخدَع المؤمنون الكافرين، وإن جاز أن يَخدَعهم الكافرون. فتكون مُخادعة المؤمنين ممتنعة؛ لأنها إنّما تتحقّق من الجانبين. ثمّ تمثّل[١] ببيتين يدلّان على أنّ المؤمنين وُصِفوا بالانخداع. وقال بعد ذلك: لم يُوصَفوا بالخَدْع. قال الفرزدق:

(واستَمطِروا مِن قريش كلّ مُنخدِعٍ) إنّ الكريم إذا خادَعتَه انخدعا[٢]

قوله: "استَمطِروا" أمر من الاستمطار وهو:[٣] الاستسقاء، والمراد السؤال. جعل سؤالهم كالاستمطار، إشارة إلى أنّ عطاءهم في الكثرة كالمطر، أي: سَلُوهم ليعطوا؛ فإنّهم إذا سُئِلوا أَعطَوا من غير مَطل ولا اعتذار، فإنّهم إذا خُدِعوا رضُوا بالخَدْع وأَعطَوا مطلوب الخادع. ويقال: انخدع، أي: رضي بالخَدْع. قيل: كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما[٤] كلّما صلّى عَبْد من عبيده وأَحسن قراءته أعتقه، فقيل له: يخدعونك؛ فقال: «مَن خدعَنا بالله نَنخدِع».[٥] لكن قيل في حقّ عُمر رضي الله عنه:[٦] «كان أعقل من أن يُخدَع، وأورع مِن أن يَخدَع».[٧] وقال ذو الرُّمّة:

---

١ ن: مثل.

٢ د: انخدعَ. | ولم أجد البيت بهذه الصورة التي أوردها المُصنّف، لا للفرزدق ولا لغيره. وروايته في **ديوان الفرزدق**، ٥٢٨/٢:

لا خيرَ في حُبّ من تُرجى نوافله
فاستمطروا مِن قريش كلّ منخدع

وهو له برواية الدِّيوان في **عيون الأخبار** لابن قتيبة، ٣٢٧/١؛ وعجُزه برواية الديوان للفرزدق في **الصحاح** للجوهري، «مطر». وهو لأبي دَهْبل الجُمحي في رواية أبي عمرو الشيباني **لديوانه**، ص ٥٨. وهو لعَدي بن الرِّقاع العاملي في **ملحقات ديوانه**، ص ٢٧٧. وفيه «في الخِبّ» بدل «في حُبّ». وهو لعُبيد الله بن قيس الرُّقيّات في **زيادات ديوانه**، ص ١٨٦. والرِّواية فيه:

لا خير في المُجتدى في الحَيْن تسأله
فاستمطروا مِن قريش كلّ مُختدَعِ

٣ د - وهو.

٤ د - رضي الله عنهما.

٥ **طبقات ابن سعد**، ١٥٦/٤. والرواية فيه «انخدعنا له». وهو في **فتوح الغيب** للطِّيبي، ١٦١/٢. بالرِّواية التي أوردها المُصنّف.

٦ د - رضي الله عنه.

٧ للمُغيرة بن شعبة في **البيان والتبيين** للجاحظ، ٨٦/١؛ و**عيون الأخبار** لابن قتيبة، ٣٩٤/١؛ و**المُجالسة وجواهر العلم** للدِّينوري، ٢٩١/٢. والرواية فيه «كان والله عمرُ أعقل من أن يَخدَع، وأفطن من أن يُخدَع». وهو في **فتوح الغيب** للطِّيبي، ١٦١/٢. بالرِّواية التي أوردها المُصنّف.

وقولِ ذِي الرُّمَّةِ:

إنَّ الحَلِيمَ وذَا الإِسْلامِ يُخْتَلَبُ

فقد جاء النَّعْتُ بالانْخداع ولم يأتِ بالخَدْع؟

قلت: فيه وُجوهٌ:

أحدها: أنْ يقال: كانَتْ صورَةُ صُنْعِهم مَعَ الله -حَيْثُ يتظاهرُون بالإيمان وهُم كافرون- صورةَ صُنْعِ الخَادِعِينَ، ....

تلك الفتاة التي عُلِّقتُها عَرَضًا (إنّ الحليم[1] وذا الإسلام يُختلَبُ)[2]

والعَلَق: الهوى، يقال: نظرة من ذي عَلَق. وعَرَضًا، أي: من غير قَصد ونيّة، بل شيء اعترضه هكذا، لا يَعلمه مَن أين هو. ومعناه بالفارسيّة "ناگاه"، يعني: تلك الفتاة المحبوبة التي عشِقتُها من غير قَصْد ولا طلب، بل لمُخادعَة وخِلابة. ثمّ قال: إنّ الحليم[3] وذا الإسلام يُخدَع؛ لأنّه هيّن ليّن، إذا انقيدَ انقادَ، وإن أنختَه على صخرة استناخ. «والخِلابة: الخديعة باللسان، يقال: خَلَبه يَخلُبه -بالضمّ- واختلبه مثله. وفي المثل 'إذا لم تَغلِبْ فاخلُبْ'،[4] أي: فاخدع».[5]

قوله: **(فيه وجوه)** الضمير عائد إلى قوله: **"ذلك"**.[6]

قوله: **(حيث يتظاهرون)** يجوز أن يكون فيه معنى التعليل، فكأنّه قال: كانت صورة صُنعهم صورةَ صُنع الخادعين؛ لأنّهم أظهروا / الإيمان حال كفرهم. ويجوز أن يكون ظرفًا لـ**(صُنعهم)** خاليًا عن معنى التعليل، أي: صورةُ صُنعهم وقت إظهارهم الإيمانَ حالَ الكفر[7] صورةُ صُنع الخادعين. **[٧٥ظ]**

قوله: **(وهم كافرون)** حال من واو "يتظاهرون". واعلم أنّ بعض كلمات الظرف

---

١ ن: الحكيم.

٢ البيت في ديوانه، ٣٧/١.

٣ ن: الحكيم.

٤ **جمهرة الأمثال** للعسكري، ٦٦/١؛ و**مَجمَع الأمثال** للميداني، ٣٤/١؛ و**المُستقصى** للزمخشري، ٣٧٥/١. وفي الأخيرين «إن» بدل «إذا». وقال الزمخشري في ضبط لام "فاخلُب": «ويُروى بكسر اللام للازدواج». وقال الميداني: «والصحيح الضمّ».

٥ **الصحاح** للجوهري، «خلب».

٦ د ش + في قوله: ذلك.

٧ ن - الكفر.

وصورَةُ صُنْعِ اللهِ معَهم -حيْثُ أَمَرَ بإجْراء أَحْكامِ المسلمين عليهم وهم عِنْده في عِدادِ شِرَارِ الكفَرةِ وأهلُ الدَّرْكِ الأَسْفلِ من النار- صُورةَ صُنْعِ الخادع، وكذلك صُورةُ صُنْعِ المؤمِنينَ معهم حَيْثُ امْتَثَلُوا أمْرَ اللهِ فيهم فأَجْرَوْا أَحكامَهم عليهم.

والثاني: أن يكون ذلك تَرْجَمَةً عن معْتَقَدِهم وظَنِّهم أَنَّ اللهَ مِمَّن يصحُّ خِدَاعُه؛ لأن مَن كانَ ادِّعاؤُه الإيمانَ باللهِ نِفاقًا لم يَكُنْ عَارِفًا باللهِ ولا بصفاته، ولا أَنَّ لذاته تعَلُّقًا بكلِّ مَعْلومٍ، ولا أَنَّهُ غنيٌّ عن فِعْلِ القبائح، فلم يَبْعُدْ مِن مِثْله تجويزُ أَنْ يكونَ اللهُ في زَعْمِهِ مَخْدُوعًا ومُصابًا بالمكروهِ من وَجْهٍ خَفِيٍّ، وتجويزُ أَنْ يُدَلِّسَ على عبادِهِ ويَخْدَعَهم.

تُستعمل للتعليل؛ لأنَّ الظرف يُقارِن المظروف، كما أنَّ العِلّة تُقارن المعلول.
وقوله: **(صورة صُنع الله)**[1] إلى قوله: **(صورة صُنع الخادع)** جملة معطوفة على الجملة التي هي اسم وخبر لـ**(كانت)**. وقوله: **(وهم عنده)**... إلى آخره، حال: إمّا من الضمير في **(أمَر)**، أو من الضمير في **(عليهم)**. وقوله: **(وأهل)** عطف على قوله: **(في عداد)**، فهو خبر بعد خبر لقوله: **(هم)**.

قوله: **(وكذلك صورة صُنع المؤمنين)** يجوز أن يقال: "صورة صُنع المؤمنين" مبتدأ، "كذلك" خبره، ويجوز أن يكون خبر المبتدأ محذوفًا، و"كذلك" في موضع المصدر، أي: صورةُ صُنع المؤمنين صورةُ صُنع الخادعين مثلَ ما ذكر من الصور.

قوله: **(ولا أنّ لذاته)** أي: ولا يكون عارفًا أنّ لذاته. وهو بناء على مذهبه: وهو أنّه تعالى عالِم الذات.[2]

قوله: **(ولا أنّه)** أي: ولم يكن عارفًا بأنّه غنيّ.

قوله: **(وتجويز)** عطف على قوله: "تجويز". وفي الكلام لفّ ونشر: فإنّ قوله: **(تجويز أن يكون)**... إلى آخره، مُتعلِّق بقوله: **(لم يكن عارفًا)** إلى قوله: **(بكلّ معلوم)**؛ وقوله: **(وتجويز أن يُدلِّس)** مُتعلِّق بقوله: **(ولا أنه غنيّ عن فعل القبائح)**.

---

[1] ن + تعالى.
[2] ن - قوله: (ولا أنّ لذاته) أي: ولا يكون عارفًا أنّ لذاته. وهو بناء على مذهبه: وهو أنّه تعالى عالِم الذات.

والثالثُ: أَنْ يُذْكَر اللهُ ويرادَ الرَّسولُ؛ لأنه خليفتُه في أَرْضِهِ والنَّاطقُ عنه بأَوَامرهِ ونَوَاهِيهِ مَعَ عِبادِه؛ كما يقال: قال الملكُ كذا ورسَمَ كذا، وإِنَّما القائلُ والراسمُ وَزِيرُه أو بَعْضُ خاصَّتِهِ الذينَ قولُهم قَوْلُه ورَسْمُهُم رَسْمُه، مِصْداقُه قَولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح ١٠/٤٨] و: ﴿مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء ٨٠/٤].

والرابعُ: أَنْ يكونَ مِن قولهم: أَعْجَبَنِي زَيْدٌ وكَرَمُه، فيكون المعنى: يخادِعُونَ الذين آمنوا باللهِ، وفائدةُ هذه الطَّرِيقة: قوَّةُ الاختصاص، وَلمَّا كان المؤمِنُونَ من اللهِ بمكانٍ سُلك بهم ذلك المَسْلك.

ومِثلُهُ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة ٦٢/٩] وَكذلكَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب ٥٧/٣٣].

وحاصله أنّه يجوز عندهم أن يكون الله تعالى مخدوعًا وخادعًا.[1] و"التدليس": كالخديعة، يقال: فلان لا يُدالِسكَ، أي: لا يُخادِعك[2] ولا يُخفي عليكَ الشيء فكأنّه يأتيك به في الظلام. والدَّلَس بالتحريك: الظلمة. والتدليس في البيع: كِتمان عيب السلعة عن المُشتري. والتدليس في الحديث: هو أن يُوهِم الراوي السماع ممّن لم يَسمَع منه.[3]

قوله في الوجه **الثالث**: (رَسَم) أي: أَمَرَ.

قوله في الوجه الرابع: (بمكان) أي: في منزلة عظيمة.

قوله: (﴿أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة ٦٢/٩]) كان المنافقون يتكلّمون بالمطاعن أو يتخلّفون عن الجهاد، ثمّ يأتون المسلمين فيَعتذرون إليهم ليُرضوهم، فنزلت الآية. والمرادُ رضا رسوله صلّى الله عليه وسلّم؛[4] لأنّه لا تفاوت بين رضى الله تعالى[5] ورضى رسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم،[6] وتوحيد الضمير لأجل هذا.

---

١ ن: خادع.
٢ ن: يخادعك.
٣ انظر لمعنى التدليس وأنواعه مقدّمة ابن الصلاح، ص ٧٣-٧٦.
٤ د ش - صلّى الله عليه وسلّم.
٥ د ش - تعالى.
٦ د ش - صلّى الله تعالى عليه وسلّم.

ونَظيرُه في كلامِهِمْ: عَلِمْتُ زَيْدًا فاضِلًا، والغَرَضُ فيه: ذِكْرُ إحاطَةِ العِلْمِ بفَضْلِ زَيْدٍ لا به نَفْسِه؛ لأنّه كانَ مَعْلُومًا له قَديمًا؛ كأنَّهُ قيلَ: قد عَلِمْتُ فَضْلَ زَيْدٍ، ولكنْ ذِكْرُ زَيْدٍ تَوْطِئَةٌ وتَمْهِيدٌ لِذِكْرِ فَضْلِهِ.

فإن قلتَ: هل للاقتصارِ بـ"خادَعْتُ" على واحدٍ وَجهٌ صَحيحٌ.

قلتُ: وَجْهُهُ أنْ يُقالَ: عُنِيَ به "فَعَلْتُ"، إلّا أنّه أُخْرِجَ في زِنَةِ "فاعَلْتُ" لأنَّ الزِّنَةَ في أَصْلِها للمغالَبَةِ والمبَارَاةِ، ....

وهو كقولهم: إحسان زيد وإجماله[1] نَعَشَني،[2] أي: رفَعني. وذُكِر اسم الله تعالى[3] ليَقوى اختصاصه بالله تعالى،[4] كقولهم: أعجبني زيدٌ وكرمُه، والمراد: أعجبني كرَم[5] زيد. وذُكِر زيد؛[6] ليقوى اختصاص[7] زيد بكرمه.

قوله: (**هل للاقتصار؟**) يعني هل يجوز أن يكون المراد (بـ"**خادعتُ**") الخديعةَ من جانب واحد، وهو جانب الكُفّار، بأن يكون المراد: يَخدَعون الله والذين آمنوا. فقوله: (**وجه**) مبتدأ، و(**صحيح**) صفته. وقوله: "للاقتصار" خبر المبتدأ. والباء و(**على**) مُتعلّقان بالاقتصار.

قوله: (**قلتُ: وجهه أن يقال**) اعلم أنّ هنا حذفًا، فكأنّه قال: بل له وجه صحيح، وذلك أن يقال: أُريدَ بـ"خادعتُ": "خدَعتُ"؛ لأنّه جاء "فاعَل" بمعنى "فعَل" كقولهم: سافَر بمعنى نسبة السَّفر إلى المُسافر.

قوله: (**إلّا أنّه**) استثناء منقطع، أي: لكنّ "فعَل" أُخرِج في زِنَة "فاعَل". وهذا الكلام يصلح جوابًا لسؤال من يسأل فيقول: إذا كان "فاعَل"[8] بمعنى "فعَل" فلِمَ تُرِك الأصل وعُدِل[9] عن صيغة "فعَل" إلى "فاعَل"؟ وليس هذا مثلَ قولهم: سافَر بمعنى سَفَر؛ لأنّ استعمال ذلك ضروريّ، إذ لم يجئ سَفَر بمعنى نسبة السفر

---

[1] ن: وجماله.
[2] انظر: **الكشّاف** للزمخشري، (التوبة، ٦٢/٩).
[3] د - تعالى.
[4] د - تعالى.
[5] ن - كرم.
[6] ن: ذلك.
[7] ن + ذكر.
[8] ن - فاعل.
[9] ن: فعدل.

والفِعْلُ متَى غُولِبَ فيه فاعِلُه جاء أَبْلغَ وأَحْكَمَ منه إذا زَاوَلَهُ وَحْدَه من غَيْر مُغَالِبٍ ولا مُبَارٍ؛ لِزيَادةِ قوَّة الدَّاعِي إليه.

ويعْضُدُه قراءةُ مَن قرأَ: "يَخدَعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا" وهو أَبُو حَيْوَةَ.

و﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ بيانٌ لـ﴿يَقُولُ﴾، ويَجُوزُ أنْ يكونَ مُسْتأنَفًا؛ كأنَّهُ قِيلَ: ولِمَ يَدَّعُون الإيْمانَ كَاذِبيْنَ وَمَا رَفَقُهم في ذلك؟ فقِيلَ: ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾.

إلى المُسافر، كما يُشعِر به المذكور في **المُجمَل**[1] **والمُغرِب**،[2] وصرَّح به ابن الحاجب في **شرح المُفصَّل**.[3] / أو جاء قليلًا كما ذكر في **الصحاح** مِن أنّه يقال: «سَفرتُ أَسْفِر سُفورًا: خرجتُ إلى السفر، فأنا سافر وقوم سَفْر، مثل صاحب وصَحْب».[4] **[٧٦و]**

ووجه الجواب أنّه عُدِل إلى "فاعَل"؛ للدلالة على المبالغة؛ **لأنّ** صيغة "فاعَل" لمّا كانت موضوعة للمبالغة كان أبلغ من "فعَل"، لزيادة قُوّة داعي صاحبه إلى الفعل، ليدفع الخصم المُغالِب. ويقال: فلان يُباري فلانًا إذا عارضه بفعله، ويُنازِعه الغَلَبة. وقوله: **(منه)** أي: من الفعل. وقوله: **(زاوَله)** أي: عالجه وقاساه. واللام في قوله: **(لزيادة)** مُتعلِّق بقوله: **(جاء)**.

قوله: **(وتعضُده)** أي: تعضُد كون "فاعَل" بمعنى "فعَل" قراءةُ أبي[5] حَيْوَة،[6] وهي قراءة شاذّة.[7]

قوله: **(و﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ بيان)**، يعني: لم يُعطَف قوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ على الجملة المُتقدِّمة؛ لوجهين: **الأوّل**: أنّه عطف بيان لقوله تعالى: ﴿يَقُولُ﴾... إلخ؛ لأنّهم حين كانوا يُوهِمون بألسنتهم أنّهم آمنوا وما كانوا مؤمنين بقلوبهم قد كانوا[8] في حُكم المُخادعين. والوجه **الثاني**: أن يكون جواب سؤال، كما ذكر.

---

١ انظر: **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «سفر».

٢ انظر: **المُغرِب** للمُطرِّزي، «سفر».

٣ قال ابن الحاجب فيه: «... سافرت بمعنى نسبة السَّفر إلى مُسافر، وليس ثمّة فعل ثلاثيّ من لفظ سافرتُ بمعناه فيُمثَّل به». **الإيضاح في شرح المُفصَّل**، ١٢١/٢.

٤ **الصحاح** للجوهري، «سفر».

٥ د: أبو.

٦ ن: حنيفة.

٧ **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٣٨٢؛ **البحر المحيط** لأبي حيّان، ٩١/١ (البقرة، ٩/٢).

٨ ن - يُوهِمون بألسنتهم أنّهم آمنوا وما كانوا مؤمنين بقلوبهم قد كانوا.

فإن قلتَ: عَمَّ كانُوا يُخَادِعُونَ؟

قلتُ: كانُوا يخَادِعُونَهم عن أَغْرَاضٍ لهم ومَقَاصِدَ:

منها: مُتَارَكَتُهم وَإِعْفَاؤُهم عن المحَارَبة وعَمّا يَطْرُقُونَ به مَن سِواهم مِن الكُفَّار.

ومنها: اصْطِنَاعُهم بما يَصْطَنِعُون به المُؤْمنين من إكرامِهم والإحسانِ إليهم وإعطائهم الحظوظَ مِن المغَانِم، ونحوِ ذلك من الفَوائدِ.

ومنها: إطلاعُهم -لاخْتلاطِهِم بهم- ....

وقوله: **(وما رَفَقهم)** أي: منفعتهم. والرَّفَق بفتحتين بمعنى المَرفِق: وهو الأمر الذي ارتفقتَ[١] به[٢] وانتفعتَ به، ومنه مَرافِق الدار.

قوله: **(عمَّ كانوا؟)** أي: عن أي غرض كان المنافقون يُخادعون؟ يعني: أيُّ غرض كان للمنافقين في المُخادعة؟ فأجاب بأنّ لهم أغراضًا: الغرض **الأوّل**: أنّهم دفعوا عن أنفسهم أحكام الكُفّار، من المُحارَبة والقتل والسبي، لقول النبيّ عليه السلام: «أُمِرتُ أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا: لا إله إلّا الله».[٣] ويقال: "أَعفِني" من الخروج[٤] معك، أي: دَعْني[٥] عنه واتركني. **(يَطرُقون)** من طرق يطرُق طُروقًا إذا جاء ليلًا، أو مِن طَرَقه الزمان بنوائبه إذا أصابه. والضمير في "يطرُقون" للمؤمنين، وفي (به) لـ(ما). و(مَن) مفعول "يطرُقون". وقوله: **(سِواهم)** أي: سوى المنافقين. و**(مِن الكُفّار)** بيان "مَن". **الغرض الثاني**: أن يُجرِيَهم النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم[٦] والمؤمنون مُجرى سائر المؤمنين في الإكرام والإحسان. و"الصنعة": ما اصطنعته من خير،[٧] يقال: اصطنعتُ عند فلان صنيعة، وهو "افتعلتُ" من الصُّنع، قُلِبت تاؤه طاءً. وقوله: **(إطلاعهم)** مُخفَّفة الطاء، من قولهم: أطلعتُك على سِرّي، وهو مضاف إلى المفعول. وقوله: **(لاختلاطهم)** متعلِّق بـ"إطلاعهم"،

---

[١] ن: ارتفعت.

[٢] ن - به.

[٣] **مسند أحمد**، ٨١/١٤ (٨٩٠٤)؛ **صحيح البخاري**، ٨٧/١ (٣٩٢)؛ **صحيح مسلم**، ٣١/١ (٢٠).

[٤] ن: عن الخروج.

[٥] ن: علني.

[٦] د ش - صلّى الله عليه وسلّم.

[٧] ن: حين.

على الأَسْرارِ التي كانوا حِراصًا على إذاعَتِها إلى مُنَابِذِيهم.

فإن قلتَ: فلو أَظْهرَ عليهم حتى لا يَصِلُوا إلى هذه الأغراض بِخداعِهم عَنْها.

قلتُ: لم يُظْهِرْ عليهم؛ لِمَا أَحَاطَ به علمًا مِن المصالح التي لو أَظْهرَ عليهم لانْقَلَبَتْ مفاسِدَ، واسْتِبْقاءُ إبْليسَ وذُرِّيَّته ومُتَارَكتُهم وما هم عليه مِن إغْواء المنافقينَ وتَلقِينِهم النِّفاقَ أَشَدُّ من ذلك، ولكنَّ السَّبَب فيه ما عَلِمه الله تعالى من المصلَحَة.

فإن قلتَ: ما المرادُ بقوله: ﴿وما يُخادِعُونَ إلا أنفُسَهُم﴾؟

أي: لاختلاط المُنافقين بالمؤمنين. وقوله: **(على)** مُتعلِّق أيضًا بـ"الإطلاع". و"الإذاعة": الإفشاء. و"المُنابِذ": المُعادي. وقوله: **(إلى)** مُتعلِّق بـ"الإذاعة".

قوله: **(فلو أَظهَر؟)** وجه السؤال أن يقال: كان الله تعالى قادرًا على أن يُوحيَ إلى محمَّد عليه السلام كيفيّة مَكرهم وخِداعهم، فلِمَ لم يفعل ذلك هتكًا لسِترهم، ولئلّا يصلوا إلى غرضهم؟ وجواب "لو" محذوف وأظهرَه، أي: أطلعه، أي: لو أطلع[1] الله تعالى المؤمنين على المنافقين، أي: على أحوالهم لكان أحسن. فالمفعول المحذوف لـ"أَظهَر" هو "المؤمنون". والضمير من **(عليهم)** عائد إلى المُنافقين، على ما مرَّ. أو نقول:[2] المعنى: لو جعل نِفاق المنافقين ظاهرًا عليهم، أي: على المؤمنين، حتّى لا يصل المُنافقون إلى أغراضهم بخداع المؤمنين عن تلك الأغراض لكان أحسن. وعلى هذا المفعول المحذوف: نِفاق المنافقين، والضمير من "عليهم" عائد إلى المؤمنين.

فأجاب بأنه تعالى قادر على استئصال إبليس وذُريَّته، ولكنّه تعالى أبقاهم وقوّاهم لحكمة لا يطّلع عليها إلّا هو. أو نقول: لأنه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. فقوله: **(لم يُظهِر عليهم)** أي: لم يُطلِع المؤمنين على المُنافقين، أي: على أحوالهم، أو لم يجعل نِفاق المنافقين ظاهرًا على المؤمنين. وقوله: **(مِن المصالح)** بيان **(ما)**. / وقوله: **(واستبقاء)** مبتدأ، **(أشدّ)** خبره. [٧٦ظ]

---

[1] ن: أطلعه. [2] ن: ونقول.

قلتُ: يجوز أن يرادَ: وما يُعاملون تلك المعاملَةَ المشبَّهة بمعَامَلةِ المخادعِينَ إلّا أنفسَهم؛ لأنَّ ضررَها يلحقهم ومَكْرَها يَحِيقُ بهم؛ كما تقول: فلانٌ يُضارُّ فلانًا وما يضارُّ إلّا نفسَه؛ أي: دَائرةُ الضِرار راجعةٌ إليه وغيرُ مُتَخَطِّيةٍ إيَّاه.

وأَنْ يرادَ حقيقةُ المخادعة؛ ....

قوله: (**يجوز أن يُراد**)... إلخ، ذَكر لقوله: ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ ثلاثة أوجه؛ لأنّه إمّا ألّا يُراد حقيقة الخديعة، بل لمّا كان ضرر هذه المعاملة عائدًا إليهم قيل: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾. **والثاني**: أن يُراد حقيقة الخديعة،[1] وذلك على وجهين: **الأوّل**: أن تكون المُخادعة على معناها، **والثاني**: أن تكون بمعنى الخَدْع.

الوجه **الأوّل**: أنّ وبال ذلك راجع إليهم في الدنيا؛ لأنّ[2] الله تعالى كان يدفع ضرر خِداعهم عن المؤمنين ويصرفه إليهم، وهو كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾ [النساء ١٤٢/٤]. وحاصل هذا الوجه المُشاكلة: «وهو أن يُذكَر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته»،[3] ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ [البقرة ١٩٤/٢]،[4] والثاني قِصاص ليس بعُدوان، وأمثال له. وقوله: (**ضررَها**) أي: ضرر المُعاملة.[5] وقوله: (**يَحيق**) أي: يُحيط. و"المُضارّة": إيصال الضرر في مُقابلة الضرر. و"الدائرة": واحدة الدوائر. و(**مُتخطِّية**) أي: مُتجاوزة.

وقوله: (**وأن يراد حقيقة المُخادعة**) هذا هو الوجه **الثاني**. وحاصل هذا الوجه: أن يُنزِّل ما يخطر بالبال ويهجِس في النفس منزلة آخر يُجاريه في ذلك،

---

[1] ن - بل لمّا كان ضرر هذه المعاملة عائدًا إليهم قيل: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾. والثاني: أن يُراد حقيقة الخديعة.

[2] ن: ولأنّ.

[3] **مفتاح العلوم** للسَّكّاكي، ص ٥٣٣. وفي مطبوعه «وهي». وسبق ذِكر هذا التعريف مع التمثيل بالآية المسوقة هنا وبأمثلة أخرى، عند الكلام على الآية الرابعة من سورة الفاتحة.

[4] مثل السكّاكي بهذه الآية وبغيرها على المشاكلة. انظر: **مفتاح العلوم** للسَّكّاكي، ص ٥٣٤.

[5] ن: المعا. | كأنّ بقية الكلمة مُسِح وبقي مكانها بياض.

أي: وهم في ذلك يَخْدَعُونَ أنفسَهم حيثُ يُمَنُّونَها الأبَاطِيل ويَكْذِبُونَها فيما يُحَدِّثُونَها به، وأنفسُهم كذلك تُمَنِّيهم وتُحدِّثُهم بالأمَانيّ.

وأَنْ يرادَ: وما يَخْدعون، فجيء به على لفْظِ يُفاعِلُونَ لِلْمبالَغةِ.

وقرِئ: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾.

فعلى هذا يكون كأنّه من اثنين، وهذا في كلامهم غير ضيّق.[١] منه قولهم: «أنا أفعل كذا أيُّها الرجُل».[٢] قال الشاعر:

ودِّع هُريرة إنّ الرَّكب مُرتحِلُ وهل تُطيق وداعًا أيُّها الرجُلُ[٣]

فإنّه لا يُخاطب[٤] به إنسانًا آخر غيرَ نفسه. ومنه قراءة من قرأ: ﴿قَالَ ٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة ٢/٢٥٩]، على صيغة الأمر،[٥] فنزَّل نفسه عند الخاطر[٦] الذي يخطُر له عند نظره منزلة مُناظر له غيرِه.

(يمنُّونها) الأُمنيّة واحدة الأمانيّ، يقال: تمنَّيتُ الشيء ومنَّيتُه غيري[٧] تَمنيَة. وقوله: (يَكْذِبونها)،[٨] أي: يَكْذِبون النفس وهو بفتح الياء وسكون الكاف، يقال: كَذَبتُه بالتخفيف، أي: قلتُ له: الكذبَ؛ وبالتشديد: خلاف صدَّقتُه. والضمير مِن (يُحدِّثونها) للنفس، ومِن (به) لـ(ما).

قوله: و(أنفسُهم) مبتدأ، خبره (تُمنِّيهم)، و(كذلك) صفة مصدر محذوف. وقوله: (وأن يراد: وما يَخدعون) هذا هو الوجه الثالث. وقوله: (للمبالغة) لما مرَّ مِن أنّ الفعل متى غُولِبَ جاء أبلغ، وهو ظاهر.

قوله: (وقُرئ ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾) اختلفوا في ضمّ الياء وفتحها وإدخال الألف في قوله: ﴿وَمَا يُخَـٰدِعُونَ﴾: فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿يُخَـٰدِعُونَ﴾ بالألف

---

١ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٣١٧/١.

٢ **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٣١٨/١.

٣ مطلع معلّقة الأعشى، والبيت في ديوانه، ص ٥٥؛ و**شرح القصائد العشر** للتبريزي، ص ٤١٨.

٤ ن + فإنّه لا يخاطب.

٥ هي قراءة حمزة والكسائي. **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٨٩؛ **النشر** لابن الجزري، ٢٣١/٢-٢٣٢.

٦ ن: الحاجة.

٧ ن: غيره.

٨ ن: يكذبوها.

و: "يُخَدِّعُونَ" من خَدَّعَ.

و: "يَخَدِّعُونَ" بفتح الياء بمَعْنى: يَخْتَدِعُونَ. و: "يَخْدَعُون". و: "يُخادَعُونَ" على لَفْظِ ما لم يُسمَّ فاعلُه.

والنفس: ذاتُ الشيء وحقيقتُه، يقال: عندي كذا نفسًا، ثمّ قيل للقَلْبِ:

مع ضمّ الياء وفتح الخاء وكسر الدال، والباقون بغير ألف مع فتح الياء[1] والدال[2] وسكون الخاء.[3] وباقي القراءات التي ذكرها شاذّة:[4] **الأُولى**: من باب التفعيل، **والثاني**: من باب الافتعال،[5] **والثالث**: مجهول يجوز[6] أن يكون ثلاثيًا مجردًا، وأن يكون من باب الإفعال، **والرابع**: مجهول مِن باب المُفاعَلة. ونصبُ ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ على الوجهين الأخيرين[7] مُشكِل. نُقِل عن بعض العلماء أنّه قال: خُدِع نفسَه وخُودِع نفسَه تمييز، وكذا ﴿ما يُخدَعُون إلّا أَنْفُسَهُمْ﴾ و﴿ما يُخادَعُون إلّا أَنْفُسَهُمْ﴾ مجهولَين.

وفيه بحث؛ لأنّه لم يجئ في كلامهم[8] تمييز معرفة منصوب. وقال صاحب **الكواشيّ**: «قُرِئ "يُخدَعون" بضم الياء مجهولًا، ويُنصَب على هذا ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ بمُضمَر، تقديره: وما يَنتقِصون؛ لأنّ في الخَدْع[9] نقصًا».[10]

قوله: (**والنفْس: ذات الشيء**)، يعني: تُطلَق النفس بالحقيقة على معنيين: **الأوّل** ذات الشيء وحقيقته، أي: جُملته؛ **والثاني**: الروح. فقوله: (**وكذلك بمعنى الروح**) عطف على قوله: "والنفس: ذات / الشيء"، فكأنّه قال: وتُستعمَل النفس كذلك بمعنى الروح. فقوله:[11] (**ثمّ قيل للقلب**) مجاز مُتفرِّع على الأوّل. [٧٧و]

---

١ ن - الياء.

٢ ن: الدال.

٣ **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٣٩؛ **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٠٧.

٤ **المغني في القراءات** للنُّوزاوازي، ص ٣٨٢-٣٨٣؛ **إعراب القراءات الشواذّ** للعكبري، ١/١١٩-١٢٠؛ **البحر المحيط** لأبي حيّان، ١/٩١ (البقرة، ٢/٩).

٥ ن: الإفعال.

٦ ن: نحو.

٧ ن: الآخرين.

٨ ن + وفيه بحث؛ لأنّه لم يجئ في كلامهم.

٩ ن: الخداع.

١٠ تفسير **الكواشي**، ص ١٧٣ (البقرة، ٢/٩).

١١ ن - فقوله.

نَفْسٌ؛ لأن النَّفْسَ به، ألا ترى إلى قَوْلهم: المرءُ بأَصْغَرَيْه، وكذلك بمعنى الرُّوح، وللدم: نَفْسٌ؛ لأنَّ قَوامَها بالدَّم، وللماءِ: نَفْسٌ؛ لفرْطِ حاجَتِها إلَيْه؛ قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء ٣٠/٢١].

وقوله: **(للدم)**...[١] إلخ، مجاز مُتفرّع على الثاني.

قوله: **(لأنّ النفس)** أي: لأنّ النفس والحقيقة تتقوَّم[٢] بالقلب. والمراد بـ"الأصغرين": القلب واللسان. وقوله: **(لأنّ قوامها)** الضمير للنفس بمعنى الروح، أو للروح. قال في **الصحاح**: «الروح يُذكَّر ويُؤنث».[٣] وكذا الضمير في **(حاجتها)**. ولهذا الموضع تقرير[٤] آخر، وهو أن تقول: قوله: و"كذلك بمعنى الروح" عطف من حيث المعنى على قوله: "ثمّ قيل للقلب: نفس"، أي: إذا استُعمل النفْس بمعنى الروح فسببه ما ذكر في تسمية القلب بالنفْس. وإنّما لم يقل: وللروح نفْس، كما قال: "وللدم"، "وللماء"؛ لأنّ سبب الأولَين واحد. ويؤيد التقرير[٥] الثاني ما ذكر المُطرّزيُّ في **المُغرِب** وهو قوله:

> النِّفاس: مصدر نُفِسَت[٦] المرأة -بضمّ النون وفتحها- إذا وَلَدت، فهي نُفساء وهُنَّ نِفاس. وقول أبي بكر رضي الله تعالى[٧] عنه:[٨] «إنّ أسماء نَفِست»،[٩] أي: حاضت،[١٠] والضمُّ فيه خطأ. وكلُّ هذا من النَّفْس: وهي الدم. وقول النَّخَعيّ: «كل شيء ليست له نَفْس سائلة فإنّه لا يُنجّس الماء إذا مات فيه».[١١] وإنّما سُمِّيَ بذلك؛ لأنّ النَّفْس التي [هي][١٢] اسم لجُملة الحيوان قِوامها بالدم.[١٣]

---

[١] ن: الدم.
[٢] ن: تقوم.
[٣] **الصحاح** للجوهري، «روح».
[٤] ن: تقدير.
[٥] ن: التقدير.
[٦] ن: نفست.
[٧] ش - تعالى.
[٨] د - رضي الله تعالى عنه.
[٩] **التاريخ الكبير** للبخاري، ١٢٤/١ (٣٦٩)؛ **الزاهر** لابن الأنباري، ٢١٠/٢.
[١٠] ن: خاضت.
[١١] **الزاهر** لابن الأنباري، ٢١٠/٢؛ **كتاب الغريبين** للهروي، ١٨٧١/٦؛ **الفائق** للزمخشري، ١٥/٤؛ **أساس البلاغة** للزمخشري، «نفس». في جميعها عن النَّخَعي بألفاظ قريبة.
[١٢] د ش ن - هي. | وأثبتُّها من مطبوع **المُغرِب**.
[١٣] **المُغرِب** للمُطرّزي، «نفس».

وحقيقةُ نُفِسَ الرَّجلُ بمعنى عِينَ: أصيبَتْ نفسُه؛ كقَوْلهم: صُدِرَ الرجلُ، وقولُهم: فلانٌ يُؤامِرُ نَفْسَيْهِ: ....

جميع ذلك مذكور في **المُغرِب**. وهو يدلُّ على أنّ إطلاق النَّفْس على الدم مُتفرّع على كون النَّفْس ذاتَ الشيء، لا على كونها بمعنى الروح.

قوله:[١] **(وحقيقة نُفِس)** أي: معناه الحقيقي، كما مرّ تقريره. قال في **الصحاح**: «النَّفْس: العين، يقال: أصابت فلانًا نَفْس، ونَفَسْتُه بنَفْس، أي: أصبتُه بعين، والنافِس: العائن».[٢] ولم يأخذ المُصنِّف قولهم: **(نُفِس الرجُل)** من هذا، بل قال: معناه **(أُصِيبت[٣] نفسه)**، وذلك لأنّ مَن عِين فقد أُصيبت نفسه، فيكون هذا كناية؛ لأنّ إصابة النفس من اللوازم، وإطلاق اللازم على الملزوم كناية.[٤] ويقال: صُدِر الرجل، أي: أُصِيب صدره.[٥] وكذا بُطِن الرجُل، أي: أُصِيب بطنه.

قوله: **(قولهم)** مبتدأ، وقوله: (كأنّهم)... إلخ، خبره، والعائد محذوف، أي: كأنّهم أرادوا به. وقوله: **(فلان)** مبتدأ و**(يُؤامر نفسَيْه)**[٦] خبره، والجملة مقول القول. يقال: آمَرتُه في أمري مُؤامرة، أي: شاورتُه. قال الكُميت أو غيره في ذكره حمارًا[٧] أراد الورود:

تذكّر مِن أنّى ومن أين شِرْبه ... يُؤامِر نفسَيْه[٨] كذي الهَجْمة الأَبِلْ[٩]

فقوله: يُؤامر، أي: يُشاور. وقوله: كذي الهَجْمة، أي: كصاحب الهَجْمة. الأبِل: كالبيان للهَجْمة. والهَجْمة: القطيع من الإبِل، أوّلها الأربعون إلى ما زادت.[١٠] فجعل ما يكون من وروده الماءَ وترْكِ الورود والتميُّل بينهما بمنزلة مُشاورة نفسَين.

---

١ د – قوله.

٢ **الصحاح** للجوهري، «نفس». وفي مطبوعه «إذا أصبته بعين».

٣ ن: أصيب.

٤ انظر في هذا **مفتاح العلوم** للسّكّاكي، ص ٥١٣.

٥ ن: صدر.

٦ ن: نفسه.

٧ ن – في ذكره حمارًا.

٨ ن: نفسه.

٩ البيت في **ديوان الكميت**، ص ٢٥٦. وهو له في **جامع البيان** للطبري، ٧٦٠/٣ (البقرة، ٢٢٣/٢)؛ **والحُجّة** لأبي علي الفارسي، ٣١٧/١؛ **والبسيط** للواحدي، ١٣٩/٢ (البقرة، ٩/٢). والعبارة التي قبل البيت في **الحُجّة** وفيها: «ألا ترى الكميت أو غيره قال في ذِكره حمارًا أراد الورود».

١٠ ن: زادب.

إذا تردَّدَ في الأَمْرِ واتَّجَهَ لَه رَأيَانِ وداعِيَان لا يَدْري على أيِّهما يُعَرِّجُ؛ كأنَّهم أرَادُوا دَاعِيَي النَّفْس وهاجِسَي النَّفْس، فسَمَّوهما: نَفْسَيْن؛ إمَّا لصدورهما عن النَّفْس، وإمَّا لأنَّ الداعيَيْن لمَّا كانا كالمُشِيرَيْن عليه والآمِرَيْن له شبَّهُوهُما بذاتَيْنِ فسمَّوْهُما نَفْسَيْنِ.

والمرادُ بالأَنْفُسِ هاهنا: ذواتُهُم، ....

وقوله: (إذا) ظرف "قولهم"، وهو للتفسير.[١] فإنّه يُفسَّر بـ"إذا" كما يُفسَّر بـ"أيْ". ويجوز أن يكون (إذا تردَّد) خبر "قولهم" فـ"إذا" ظرفية غير مُفسِّرة وعلى هذا قوله: "كأنّهم"... إلخ، جملة مُبيِّنة للجملة المُتقدِّمة ولا محلَّ لها من الإعراب. وقوله: (لا يدري)... إلخ، حال من الضمير في "تردَّد". و"التعريج"[٢] على الشيء: الإقامة عليه، يقال: عرَّج على المَنزِل إذا حبس مطيَّته عليه وأقام. و"الهاجس": الخاطر، يقال هَجَس في نفْسي، أي: حَدَس، والهَجْس: النَّبأة تسمعها ولا تفهمها.

قوله: (إمّا لصدورهما) فيكون مجازًا، من باب إطلاق الملزوم على اللازم، أو إطلاق المحلّ وإرادة الحالّ، واللام مُتعلِّق بقوله: (سمَّوهما).

قوله: (وإمّا لأنّ الداعيَين)... إلخ، فيكون من إطلاق اسم أحد المُتشابهين على الآخر.

قوله: (لمّا كانا) أي: لمّا كان الداعيان. ويقال: «أشار إليه باليد: أومأ. وأشار عليه بالرأي».[٣] وقوله: (شبَّهوهما) جواب "لمّا". / والمجموع خبر لـ(أنّ). [٧٧ظ]

قوله: (والمراد بالأنفس ههنا: ذواتهم)... إلخ، وعلى هذا يُراد بالمُخادعة: المُعاملة المُشبَّهة بمعاملة[٤] المُخادعين.

قوله: (ويجوز أن يُراد) عطف على قوله: "والمراد بالأنفس"... إلخ، وعلى هذا تكون المُخادَعة بمعناها، أي: بمعنى[٥] الخديعة. فإن قلتَ: قوله:

---

١ ن: التفسير.
٢ ن: والتبرح.
٣ د ش + قوله. | **الصحاح** للجوهري، «شور».
٤ ن: معاملة.
٥ ش ن: أو بمعنى.

والمَعْنيُّ بمخادَعَتِهم ذواتِهم: أَنَّ الخِداعَ لاصِقٌ بهم لا يَعْدُوهم إلى غيرهم ولا يَتَخَطَّاهم إلى مَن سِوَاهُم.

ويجوز أن يُرادَ: قلوبُهم ودَوَاعِيهم وآراؤُهُمْ.

والشُّعورُ: عِلمُ الشيءِ عِلْمَ حِسٍّ، مِن الشِّعار، ومَشاعِرُ الإنسان: حَواسُّه، والمَعْنَى: أنَّ لحُوقَ ضَرَرِ ذلك بهم كالمَحْسُوسِ، وهم لِتمادي غفلَتِهم كالذي لا حِسَّ له.

(والمعنيُّ بمُخادعتهم)... إلخ، مُكرَّر؛ لأنّه قد ذكره عند قوله: **(يجوز أن يراد: وما يُعاملون تلك المُعاملة المُشبَّهة)**... إلخ؛ قلنا: قد ذكر أوّلًا أنّ المراد بالمُخادعة يجوز أن يكون أحد المعاني الثلاثة، ثمّ ذكر بعده معانيَ النَّفْس، وأشار هنا إلى أنّه إن أُريد بالأنفس ذواتهم، فالمُخادعة بالمعنى الأوّل لا غير.

قوله: **(والشعور: عِلْم الشيء)**... إلخ، قال أبو عليّ:

> مصدره شِعْرَةٌ كالفِطْنة والدِّرْية.[1] وقالوا: «ليت شِعري»،[2] فحذفوا التاء مع الإضافة للكثرة؛ وقد قالوا: «ذهب بعُذرتها، وقالوا: هو أبو عُذرها».[3] رُوِيَ أنّ عليًا رضي الله تعالى[4] عنه[5] لمّا قال عَديّ بن حاتِم: ما الذي لا يُنسى؟ قال: «المرأة لا تنسى أبا عُذرها، ولا واحد بطنها، ولا قاتل واحدها».[6] فكأنّ شعرْتُ مأخوذ مِن الشِّعار: وهو ما يلي الجسد من الثياب،[7] فمعنى شعرتُ به: علِمتُه عِلم حسّ. وفي الحديث: «أَشْعِرنها إيّاه»،[8] أي: اجعلْنها[9] الشّعار الذي يلي الجسد. فقولهم: شَعرتُ: ضَرْب من العِلم مخصوص، فكلّ مَشعور به معلوم وليس كلُّ معلوم مشعورًا به؛

---

[1] **مقاييس اللغة** لابن فارس، «شعر»؛ و**الصحاح** للجوهري، «شعر»؛ و**البسيط** للواحدي، ١٤٢/٢ (البقرة، ٩/٢).

[2] **كتاب سيبويه**، ٤٤/٤؛ **الصحاح** للجوهري، «شعر».

[3] انظر: **كتاب سيبويه**، ٤٤/٤؛ و**الصحاح** للجوهري، «شعر»؛ و**البسيط** للواحدي، ١٤٢/٢ (البقرة، ٩/٢).

[4] ش – تعالى.

[5] د – رضي الله تعالى عنه.

[6] **البيان والتبيين** للجاحظ، ٣١١/٢؛ **جمهرة الأمثال** للعسكري، ٣٦٩/٢. بلفظ «إنّ المرأة لا تنسى أبا عُذرها، ولا قاتل بِكرها».

[7] ن – من الثياب.

[8] طرف حديث في **صحيح البخاري**، ٧٤/٢ (١٢٥٣)؛ و**صحيح مسلم**، ٦١٦/١ (٩٣٩).

[9] ن: جعلتها.

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾

واستعمالُ المرَض في القَلب يجوز أنْ يكونَ حقيقةً ومجازًا:

ولهذا لم يَجرِ[1] في وصف الله تعالى، كما لم يجرِ[2] في وصفه دَرى؛ لأنّ معنى دَريتُ الشيء: تأتّيتُ لفهمه[3] وتلطّفت، وهذا لا يجوز على العالم بنفسه. وقد أجاز ذلك بعضهم، واستشهد بقول الشاعر:

لاهُمَّ لا أدري وأنتَ الداري[4]

وهذا لا حُجّة فيه لجواز أن يكون مِن غلَط الأعراب، فكأنّه سمع دَرَيتُ وعَلمتُ يُستعمل كل واحد منهما موضع الآخر كثيرًا، فظنّ أنّهما في كلّ المواضع كذلك.

فكان قول الله تعالى في وصف الكُفّار: ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أبلغ في الذمّ من وصفهم بأنّهم لا يعلمون؛ لأنّ البهيمة تَشعُر من حيث كانت[5] تُحِسُّ، فكأنّهم وُصِفوا بنهاية الذهاب عن الفهم، وعلى هذا قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة ٢/١٥٤]. فقال: ﴿وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[6] ولم يقل: ولكن لا تعلمون؛ لأنّ المُؤمنين إذا أخبرهم الله أنّهم أحياء عَلِموا ذلك بإخباره إيّاهم وتيقّنوه، فلا يجوز أن يُنفى عنهم العِلم بحياتهم، ولكن يجوز أن يقال: لا تشعرون؛ إذ ليس كل ما عَلموه يَشعُرونه، أي: يُحِسُّونه.[7]

قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾.

قوله: **(واستعمال المرض)** أي: في استعمالاتهم لا بالنظر إلى هذا الموضع، وأمّا ما هو المراد في هذا الموضع فسنذكره.[8]

---

١ ن: لم يجز.
٢ ن: لم يجز.
٣ ن: بفهمه.
٤ الرجز في **ديوان العجّاج**، ١/١٢٠. وهو فيه مع ما بعده:
يا ربّ لا أدري وأنت الداري
كلّ امرئ منكَ على مقدار
٥ ن: كأنّه.
٦ ن - فقال: ﴿وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾.
٧ انظر: **الحُجّة** لأبي علي الفارسي، ١/٢٦٠-٢٦٤. وليس في مطبوعه قوله: «ولا واحد بطنها». وأكثر كلام أبي علي هنا في **البسيط** للواحدي، ٢/١٤٢-١٤٤ (البقرة، ٢/٩).
٨ ش: فسيذكره.

فالحقيقة: أن يراد الألَمُ؛ كما تقول: في جَوْفه مَرَضٌ.

والمجازُ: أَنْ يُستعار لبَعْضِ أعراض القلبِ كسُوء الاعْتقادِ، والغِلِّ، والحسَدِ، والمَيْل إلى المعاصي، والعَزْمِ عليها، واستشعارِ الهوَى والجُبْنِ والضَّعْفِ، وغَيْرِ ذلك مما هو فسادٌ وآفَةٌ شبيهَةٌ بالمرَضِ؛ كما استُعيرت الصحةُ والسلامةُ في نقائض ذلك.

والمرادُ به هُنا: مَا في قلوبهم من سُوء الاعتقاد والكُفْرِ، أو مِن الغِلِّ

قوله: (كسُوء الاعتقاد)[1] خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هو كسوء الاعتقاد.[2]

قوله: (عليها) أي: على المعاصي. ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب ٣٢/٣٣]، أي: مَيْل[3] إلى الفجور.[4]

قوله: (واستشعار الهوى) أي: اتّخاذ الهوى شِعارًا.

قوله: (شبيهةٌ بالمرض) «اعلم أنّ المَرَض: صفة تُوجِب وقوع الخَلَل في الأفعال الصادرة عن موضوع تلك الصفة. ولمّا كان الأثر الخاصّ بالقلب إنّما هو معرفة الله تعالى وطاعته وعبوديته، فإذا وقع في القلب من الصفات ما صار مانعًا من هذه الآثار كانت تلك الصفات أمراضًا للقلب».[5]

قوله: (كما استُعيرت) الكاف صفةُ مصدر[6] محذوف، و"ما" مَصدريّة، أي: والمجاز أن يُستعار المرض لبعض أعراض القلب استعارة كاستعارة الصحّة / في نقائض المذكورات،[7] كقولهم: فلان صحيح القلب وسليمه. [٧٨و]

قوله: (والمراد به هنا) لمّا فرغ من بيان معنى المرض في استعمالاتهم أشار في بيان ما هو المراد به، أي: بالمرض هنا، أي: في هذه الآية.

قوله: (من سوء الاعتقاد) بيانُ (ما). وقوله: (من الغِلّ) عطف عليه،

---

١ ن: الاعتماد.
٢ ن: الاعتماد.
٣ ن: مثل.
٤ ن: الفجور.
٥ تفسير الرازي، ٧١/٢ (البقرة، ١٠/٢).
٦ ن: مصدر.
٧ ن: المذكورين.

والحسَدِ والبَغْضاءِ؛ لأنّ صدورَهم كانَتْ تَغْلِي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنينَ غِلًّا وحَنَقًا، ويُبْغضُونَهم البَغْضاءَ التي وصَفَها اللهُ تعالى في قوله: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران ٣/١١٨]، ويتحرَّقُونَ عليهم حَسَدًا: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [آل عمران ٣/١٢٠]،

فهو بيانُ "ما" أيضًا. واعلم أنّه لا شبهة في أنّ في قلوبهم[1] سوء الاعتقاد والكفر، فلم يحتج هذا إلى زيادة بيان وتقرير، وأمّا الغِلّ والحسد والبغضاء فليست بتلك المثابة في الظهور؛ فلذلك أثبتَها وقرَّرها بقوله: **(لأنّ صدورهم)**... إلخ. و"الغِلّ" بالكسر: الغِشّ والحقد أيضًا، ومعنى **(البغضاء)**:[2] شِدَّة البُغض.

قوله: **(غِلًّا وحَنَقًا)** أي: غيظًا، تمييزٌ مِن النسبة في **(تَغلي)**؛ إذ يصحّ أن يقال: يغلي غِلُّهم وحَنَقهم.

قوله: **(ويُبغِضونهم)**... إلخ، عطف على الجملة التي هي مدخولة لـ**(أنّ)** من حيث المعنى، فكأنّه قال: لأنّهم كانت تَغلي صدورهم، ولأنّهم كانوا يُبغِضونهم.

قوله: **(البغضاء التي وصَفها الله تعالى)**... إلخ، يعني العداوة الشديدة التي يدلُّ على شِدَّتها قوله تعالى: (﴿قَدْ بَدَتِ﴾ [آل عمران ٣/١١٨]) أي: ظهرت العداوة الشديدة من أفواههم، فكأنّهم لم يُريدوا إظهارها، لكن كانت بطونهم مُمتلِئة بها، فظهرت من أفواههم، والعداوة[3] التي تُخفيها صدورهم أكبر ممّا يظهر من أفواههم. ولَعَمري إنّ هذه العبارة في غاية الجزالة، دالّة على غاية العداوة.

قوله: **(ويُتحرَّقون)** عطف على قوله: **(يُبغِضونهم)**. يقال: حرَق نابه، أي: سحَقه حتّى يُسمَع له[4] صَريف.[5] وقوله: **(﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾ [آل عمران ٣/١٢٠])** استشهاد بالآية على غاية بغضهم وحسدهم.

---

١ ن: قلوبهم.
٢ ن: البغض.
٣ ن: العداوة.
٤ ن – له.
٥ هامش د ش: صوت.

وناهِيكَ بما كانَ مِن ابنِ أُبيّ، وقولِ سَعْدِ بن عُبادَةَ لرسول اللهِ صلى الله عليه وسلم:

قوله: **(وناهِيك)** يقال: رجُل ناهِيك مِن رجُل ونَهيُك مِن رجُل ونَهاكَ مِن رجُل، وتأويله: أنّه بجِدّه ينهاك[١] عن تطلُّب غيره. وهذه امرأة ناهِيتُك من امرأة، يُذكَّر ويُؤنَّث ويُثنّى ويُجمَع؛ لأنّه اسم فاعل، وإذا قلتَ: نهيُك مِن رجُل كما تقول: حسبُك مِن رجُل، لم يُثنَّ ولم يُجمَع؛ لأنّه مصدر، وتقول في المعرفة: هذا عبد الله ناهِيَك مِن رجُل، فتنصب ناهيَك على الحال.[٢]

وقوله: **(بما كان)** مبتدأ، خبره "ناهيك"، وزِيد الباء في المبتدأ، و"كان" تامّة، أي: ما صدر مِن ابن أُبيّ يكفيك دالًّا على غاية حقدهم وحسدهم.

قوله: **(وقول سعد)** عطف على "ما كان". ولا يجوز أن يكون عطفًا على **(ابن أُبيّ)**، وهو ظاهر. رُوِيَ أنّ رسول الله عليه السلام مرّ بعبد الله بن أُبيّ بن سلول على حمار، فقال اللعين: نحّ حمارك يا محمَّد فقد آذتني[٣] ريحه، فقال له: سعد بن عبادة اعذِره يا رسول الله؛ قد كُنّا عزمنا أن نُتوّجه للرسالة والسِّيادة[٤] قبل أن تَقدَم[٥] علينا، فلمّا أَظهركَ الله أبطلتَ عليه الأمر، وذلك يكفيه، فاعفُ عنه.[٦] وقيل: كانوا إذا أرادوا أن يُملِّكوا رجلًا توَّجوه، فإن لم يكن تاجٌ عصَّبوه، وذلك شيء[٧] منظوم بالجواهر. وقوله: **(هذه البُحيرة)** أي: المدينة. يقولون: هذه بحرتنا، أي: أرضنا وبلدتنا. و**(العِصابة)**: العِمامة يُعصَّب الرأس بها، وهو كناية عن التسويد؛ لأنّ «العمائم تيجان العرب».[٨]

---

١ ن: يهناك.

٢ من قوله: "يقال: رجل ناهيك" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «نهي». ومضى اقتباسه في شرح "ناهيك" في في تفسير سورة البقرة، ٢/١.

٣ ن: آذتنا.

٤ ن: والساقة.

٥ ن: يتقدم.

٦ بعضه في **تفسير الرازي**، ٧١/٢ (البقرة، ١٠/٢). وهو في معنى ما أورده الزمخشري، وما أورده طرف حديث في **مسند أحمد**، ١٠١/٣٦-١٠٢ (٢١٧٦٧)؛ و**صحيح البخاري**، ٣٩/٦-٤٠ (٤٥٦٦)؛ و**صحيح مسلم**، ٨٦٥/٢-٨٦٦ (١٧٩٨). وانظر تفصيل الكلام عليه في **تخريج أحاديث الكشّاف** للزَّيلَعي، ٤٤/١.

٧ ن - شيء.

٨ من قوله: "العمامة" مع بسط في **الفائق** للزمخشري، ٨١/١. و"العمائم تيجان العرب" طرف حديث في **شعب الإيمان** للبيهقي، ٢٩٦/٨ (٥٨٥٢)؛ و**كنز العمال** للهندي، ٣٠٥/١٥ (٤١١٣٢).

اعْفُ عنه يا رَسُولَ الله واصفَحْ، فواللهِ لقَدْ أعطاكَ اللهُ الذي أَعْطاكَ ولقد اصْطلحَ أهلُ هذهِ البُحَيْرةِ أن يُعَصِّبُوه بالعِصَابة، فلمَّا رَدَّ اللهُ ذلك بالحقِّ الذي أَعْطاكَهُ شَرِقَ بذلك.

أَوْ يُرادُ: ما تَدَاخلَ قلوبَهم من الضَّعْفِ والجُبْن والخَوَرِ؛ ....

قوله: («فو الله»)[1] الفاء فيه للسببيّة.

قوله: («الذي أعطاك»)، يعني: النبوّة.

قوله: («ولقد اصطلح») الواو فيه للحال.

قوله: («ردَّ الله ذلك») يعني ما اصطلحوا عليه. وقوله: («شَرِق») أي: غصَّ، والشَّرَق:[2] الشَّجى والغُصَّة، وقد شَرِق بريقه: غصَّ به. وفي الحديث: «يُؤخِّرون الصلاة إلى شَرَق الموتى»،[3] أي: إلى أن يبقى من الشمس مقدار ما يبقى[4] من حياة مَن شَرِق بريقه عند الموت.[5]

قوله: (أو يُراد)...[6] إلخ، عطف على قوله: "والمراد به ههنا"... إلخ، ويُروى برفع الدال فيكون عطفَ الجملة على الجملة، وبنصبها فيكون عطفَ المفرد على المفرد، فنصب؛ لأنّ المعطوف عليه اسم. وما توهَّمه بعضهم من أنّه إذا كان منصوبًا كان عطفًا على قوله: (أن يُستعار) ففاسد؛ / لأنّ قوله: "أن يُستعار" لبيان المَرَض في استعمالهم. وقوله: "أو يُراد" بيان ما هو المراد في هذا الموضع، ولأنّ الجُبن والضعف قد ذُكِر ثمّة. و(الخَوَر) بفتح الواو: الضعف. ثمّ بيَّن تداخُل الضعف في القلوب، بأن بيَّن سبب قوتها، ثمّ عُروض ضعفها. واللام في (لأنّ) مُتعلِّق بـ(تداخُل). [٧٨ظ]

---

١ ن: فالله.

٢ ن: الشرق.

٣ طرف حديث، لفظه: «ستكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن ميقاتها، ويخنقونها إلى شَرَق الموتى...». وهو في المُصنَّف لابن أبي شيبة، ١٩٣/٥ (٧٦٧٣)؛ وصحيح مسلم، ٢٤١/١ (٥٣٤)؛ وصحيح ابن حِبّان، ٤٢٤/٤-٤٢٥ (١٥٥٨).

٤ ن: بقي.

٥ من قوله: "والشَّرَق" مع بسط في الصحاح للجوهري، «شرق».

٦ هامش ش: صحّ "يُراد" بالضمّ بخطّ المُصنِّف.

لأنَّ قلوبَهم كانَتْ قويَّةً:

إمَّا لقوَّةِ طمَعِهم فِيما كانوا يَتحدَّثُونَ به: **أنَّ ريحَ الإسْلام تَهُبُّ حِينًا ثم تَسْكنُ، ولِوَاءَهُ يَخْفِقُ أيَّامًا ثم يَقِرُّ، فضَعُفَتْ حِينَ مَلَكَها اليَأسُ عندَ إنْزال الله** على رَسُوله النَّصرَ، وإظْهارِ دينِ الحقِّ على الدِّين كلِّه.

وإمَّا لِجُرْأتِهم وجَسَارتِهم في الحُروبِ، **فضَعُفَتْ جُبْنًا وخَوَرًا حِينَ قذَفَ الله** في قلوبِهم الرُّعْبَ وشاهَدُوا شَوْكَةَ المسلِمين وإمْدادَ الله لهم بالملائكةِ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نُصِرْتُ بالرُّعْب مَسِيرةَ شَهْرٍ**».

وقوله: (**أنّ ريح الإسلام**) أي: من أنّ، وهو بيان لـ(**ما**)، أو للضمير في (**به**). وقوله: (**فضعُفت**) عطف على قوله: (**كانت قويّة**). وقوله: (**حين**) ظرف "ضعُفت". وقوله: (**عند**) ظرف (**ملَكها**). وإنّما نسَب النصر والإظهار إلى الإنزال؛ لأنّه بنزول[١] الملائكة. وقوله: (**ضعُفت**) ثانيًا عطف على قوله: "ضعُفت" أوّلًا، أو هو عطف على قوله: "كانت"، والتقدير: أنّ قلوبهم كانت قويّة لطمعهم المذكور، فضعفت باليأس، أو كانت[٢] قويّة لجرأتهم فضعُفت[٣] من جهة جُبنهم.[٤] و"هُبوب ريح الإسلام": عبارة عن قُوّته، و"سُكونه": عن ضعفه، وكذا "خُفوق[٥] لوائه"، أي: اضطراب رايته، ثمّ قراره. و"الشَّوكة": شِدَّة البأس.[٦] وقوله: (**إمّا لقوّة طمعهم**) في محل الحال من اسم "كانت"، أي: حال قُوّة طمع أصحاب القلوب. وكذا قوله: (**وإمّا لجرأتهم**) وقد استعمل "إمّا" بغير أختها.[٧] وقوله: («**الرُّعب**»)،[٨] أي: الخوف؛ وذلك أنّ الله تعالى قذف الرُّعب في قلوب الكُفّار فكانوا يخافون مِن النبيّ عليه السلام، وإن كان بُعْدُهم منه مِقدار مسيرة شهر.

---

١ ن: بنزل.

٢ ن - والتقدير: أنّ قلوبهم كانت قويّة؛ لطمعهم المذكور، فضعفت باليأس، أو كانت.

٣ ن: فضعيف.

٤ ن: خبثهم.

٥ ن: خفوف.

٦ ن: الناس.

٧ في هامش د تعليق على كلام الجاربردي هنا: «فيه نظر؛ فإنّه استعمل هنا أُختها. تأمّل».

٨ الحديث الذي منه هذه اللفظة في صحيح البخاري، ٧٤/١ (٣٣٥)؛ وصحيح مسلم، ٢٣٦/١ (٥٢١).

ومعنى زيادةِ الله إيَّاهم مَرَضًا: أنّه كلَّما أنزلَ على رسوله الوَحْيَ فسَمِعوه كفروا به فازْدَادُوا كُفْرًا إلى كُفْرِهم، فكأنَّ اللهَ هو الذي زادَهم ما ازْدادُوهُ؛ إِسْنادًا لِلْفِعْلِ إلى المسبِّب له كما أَسْنَده إلى السورَةِ في قوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة ١٢٥/٩] لكَوْنها سببًا.

قوله: **(ومعنى)** مبتدأ، وقوله: **(أنّه)**... إلخ، خبر.[١] وقوله: **(فسمعوه)** عطفٌ على **(أَنزل)**. وقوله: **(كفروا)** جواب **(كلّما)**. و**(فازدادوا)** عطفٌ على "كفروا". والفاء في **(فكأنّ الله)** للسببيّة، أو هو جزاءُ شرطٍ محذوف، أي: إذا كان كذلك فكأنّ الله. ولا يَحسُن أن يكون عطفًا على "فازدادوا"، فتأمّل. وقوله:[٢] **(إسنادًا)** مفعول له مِن قوله: "فكأنّ الله"... إلخ، من حيث المعنى، فكأنّه قال: نُسِب الزيادة إلى الله تعالى إسنادًا للفعل إلى المُسبِّب. وقوله:[٣] **(لكونها)** مُتعلِّق[٤] بقوله: **(أَسنده)**.[٥]

اعلم أنّ هذا الكلام... إلخ، يصلح جوابًا لسؤال يَرِد على مذهب المعتزلة، وهو أنّ يقال: الزيادة من جنس المَزيد عليه، فلو كان المراد من المرض هنا الكفرَ والجهلَ لكان قوله: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ محمولًا[٦] على الكفر والجهل، فيلزم أن يكون الله تعالى فاعلًا للكفر والجهل.

والجواب من وجوه: **الأوّل**: أنّ مرضهم وكفرهم كان يزداد بسبب ازدياد التكاليف، فهو كقوله تعالى في حقّ السورة: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة ١٢٥/٩]، والسورة لم تفعل[٧] ذلك، ولكنّهم ازدادوا رجسًا عند نزولها؛ وكقوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح ٧١/٥-٦]، والدعاء لم يفعل شيئًا من هذا، ولكنّهم ازدادوا فرارًا عنده؛ وكقوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة ٦٤/٥]،

---

١ ن: خبره.
٢ ن: قوله.
٣ ن: في قوله.
٤ ن: يتعلّق.
٥ ن: أسند.
٦ ن: محمول.
٧ ن: تفعل.

أو كلّما زادَ رسولَه نُصْرةً وتَبَسُّطًا في البلاد ونقصًا مِن أطراف الأَرْضِ ازْدادوا حسَدًا وغِلًّا وبَغْضاءَ، وازْدادَتْ قلوبُهم ضَعْفًا وقلَّةَ طمَعٍ فيما عقَدُوا به رَجَاءَهم وجُبْنًا وخَوَرًا.

فكذا هؤلاء المُنافقون لمّا كانوا كافرين، ثمّ دعاهم[1] الله تعالى إلى شرائع دينه،[2] فكفروا بتلك الشرائع وازدادوا بسبب ذلك كفرًا، أُضيفت زيادة كفرهم إلى الله تعالى. وهذا الوجه على تقدير أن يكون المراد بالمَرَض في قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: سوءَ الاعتقاد والكفر.[3]

قوله: (**أو كلّما زاد**) إلى قوله: (**بَغْضاءَ**) وهذا الوجه الثاني على تقدير أن يكون المراد بالمرض في الأوّل: الغِلَّ والحسد والبغضاء، كما ذكر، فالمراد بالمرض[4] هنا يجوز أن يكون ألَمَ القلب؛ «وذلك لأنّ الإنسان إذا صار مُبتلًى بالحسد والنِّفاق ومُشاهدة المكروه، فإذا دام به ذلك فربّما صار سببًا لتغيُّر مِزاج القلب وتألّمه».[5]

قوله: (**وازدادت**) إلى قوله: (**خَوَرًا**) وهذا على تقدير "أن يُراد ما تداخَل"... [٧٩و] إلخ، «وذلك أنّهم في أوّل الأمر كانت قلوبهم قويّة على المحاربة / والمنازعة وإظهار الخصومة، ثمّ انكسرت شوكتهم، فأخذوا في النِّفاق؛ بسبب ذلك الخوف والانكسار، فقال تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾، أي: زادهم ذلك الانكسار والجُبن والضعف. ولقد[6] حقّق[7] الله تعالى ذلك بقوله: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر ٢/٥٩]».[8]

وجميع ذلك، أي: المذكور من قوله: "أو كلما" إلى هنا، مُسبَّب عن "زيادة الله تعالى[9] الرسول نصرة"... إلخ، فلذا جعله وجهًا واحدًا. يقال: "تبسّط في البلاد"،

---

١ ن: دعا.

٢ د: ديه.

٣ من قوله: "الزيادة من جنس" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٢/٧١-٧٢ (البقرة، ٢/١٠).

٤ ن - بالمرض.

٥ **تفسير الرازي**، ٢/٧٢ (البقرة، ٢/١٠).

٦ ن: والحقد.

٧ ن: خلق.

٨ **تفسير الرازي**، ٢/٧٢ (البقرة، ٢/١٠).

٩ ش - تعالى.

ويحتمِل أنْ يُرادَ بزيادة المرض: الطَّبْعُ.

وقرأ أبو عمرو في رواية الأَصْمعيّ: "مَرْضٌ" و: "مَرْضًا" بسكون الرَّاءِ.

يقال: أَلِمَ فهو أَلِيمٌ؛ كوجِعَ فهو وجِيعٌ، ووَصْفُ العذاب به نحوُ قوله:

أي: سار فيها طولًا وعرضًا. والمراد بـ(الأرض) أرض الكُفّار، قال الله[1] تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد ٤١/١٣].

قوله: (ويحتمل)... إلخ، هذا أيضًا على تقدير أن يكون المراد بالمرض سوءَ[2] الاعتقاد والكفر، فالمراد مِن زيادة المرض «المنع من زيادة الألطاف، فيكون بسبب ذلك المنع خاذلًا لهم».[3]

والقراءة بإسكان راء ﴿مَرْضٌ﴾ و﴿مَرْضًا﴾ شاذّة.[4] وهما لغتان، كالجَلْب والجَلَب. ويقال: زاد يزيد زيادةً وزَيْدًا، أي: نما. قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس ٢٦/١٠]. وقال الشاعر:[5]

كـذلـكَ زَيْـــدُ الـمَـرءُ بـعـد انـتـقـاصـه[6]

وزدتُه أنا، يتعدَّى إلى مفعولين. قال الله تعالى: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف ١٣/١٨].

قوله: (يقال: أَلِم فهو أليم) فهو بمعنى اسم الفاعل، و(وَصْف العَذاب به) أي: بالأليم في قوله تعالى: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مجازٌ؛ لأنّ الألم للمُعذَّب الذي يُدرِك الألم لا للعذاب، وقد مرّ أمثاله. ويجوز أن يكون ﴿أَلِيمٌ﴾ فعيلًا[7] بمعنى مُفعِل،

---

[1] ش ن - الله.

[2] ن: هو.

[3] تفسير الرازي، ٧٢/٢ (البقرة، ١٠/٢).

[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن الأصمعي عن أبي عمرو. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٠؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٣٨٣.

[5] ن - الشاعر.

[6] ن: انقضائه. | والشعر مختلف في نسبته. فهو لحسّان السعدي في النوادر لأبي زيد، ص ٣٥٨. وعجُزه فيه:

وتَـكـراره في إثـره بعـد مـا مضى

وهو لإياس بن قبيصة في المُحبَّر لابن حبيب، ص ٢٣٨. وهو لحنظلة بن أبي عفراء الطائي في الأغاني للأصفهاني، ١٦٠/١٠. وهو عن أبي زيد بلا نسبة في الحُجّة لأبي علي الفارسي، ٣٢٢/١؛ والبسيط للواحدي، ١٤٨/٢ (البقرة، ١٠/٢).

[7] ن - فعيلًا.

تَـحِـيَّـةُ بَـيـنـهِـمْ ضَـــرْبٌ وَجِـيـعٌ

وهذا على طريقةِ قولهم: جَدَّ جِدُّه، والألَمُ في الحقيقةِ لِلْمُؤلِم كما أنَّ الجِدَّ لِلجَادِّ.

والمرادُ بكذبهم قولُهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ ....

كالسميع بمعنى المُسمِع،[١] والنذير بمعنى المُنذِر، والبديع بمعنى المُبدِع، وسيجيء بعد ذلك تقريره. قال الشاعر:

وخَـيـلٍ قـد دلـفـتُ لـهـا بـخَـيلٍ (تحيَّـةُ بينهـم ضَـرْبٌ وَجيـعُ)[٢]

الخيل: جماعة الفَرس، ويقال: دلَفت، أي: دنوت، ودَلَف الشيخ دَلْفًا ودَليفًا: وهو مَشيٌ فيه سرعة وتقارب خَطْو كما يمشي المُقيَّد. والتحيّة مصدر حيَّيْتُه تحيّة، وهي قولك: حيّاك الله. وأصل التحيّة أن يُدعى الرجل بالحياة. أي: رُبَّ جيشٍ أصحابِ خيلٍ قد مشَيتُ[٣] إليها بجيش،[٤] وتحيّة بينهم الضرب بالسيف لا القول باللسان، كما هو عادة المُبارِزين. والعرب تقول: «تحيّتكَ الضربُ[٥] وعِتابكَ السيف»،[٦] أي: بدلًا لكَ من التحيّة. وإسناد الوجيع إلى الضرب مجاز؛ لأنّ الوجيع في الحقيقة هو المضروب.

قوله: (والمراد بكذبهم) إشارة إلى أنّ ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ مَصدريّة، ولمّا لم يكن لـ"كان" الناقصة مصدر، إذ لا يدلُّ على الحدث أفاد ﴿مَا﴾ المَصدريّة إدخالَ[٧] خبرِ كان في تأويل المصدر.

---

١ انظر هذا التأويل في جامع البيان للطبري، ٢٩١/١-٢٩٢ (البقرة، ١٠/٢)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ١٠٦/٣-١٠٧ (البقرة، ١٠/٢)؛ والوسيط للواحدي، ٨٨/١ (البقرة، ١٠/٢).

٢ البيت لعمرو بن مَعْدي كَرِب الزُّبيدي ديوانه، ص ١٤٩. ولمُحقِّقه تفصيل في تخريجه ونسبته. وقال فيه البغدادي: «وهذا البيت نسبه شُرّاح أبيات الكتاب وغيرهم إلى عمرو بن مَعْدي كَرِب الصحابي، ولم أره في شعره. والعجب من شيخنا الشهاب الخَفاجي أنّه نسبه إليه في حاشية البيضاوي. وقال: هو من قصيدة مسطورة له في المُفضَّليّات. مع أنّه غير موجود شعره في المُفضَّليّات لا من كثيره ولا من قليله». خزانة الأدب للبغدادي، ٢٦٥/٩. قلتُ: البيت لعمرو في كتاب سيبويه، ٥٠/١؛ والنوادر لأبي زيد، ص ٤٢٨.

٣ ن: وقد مشيت.

٤ ن: بحس.

٥ ن: للضرب.

٦ كتاب سيبويه، ٥٠/٣.

٧ د: إذ حال.

وفيه رَمْزٌ إلى قُبْح الكذب وسَماجَتِه، وتخْييلُ أنَّ العذابَ الأليمَ لاحقٌ بهم مِن أَجْل كذبهم، ونحوُه قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ﴾ [نوح ٧١/٢٥] والقومُ كفَرةٌ، وإنما خُصَّت الخطِيَّاتُ اسْتعظامًا لَها وتَنْفِيرًا عن ارتكَابها.

والكذبُ: الإخبارُ بالشيء على خلافِ ما هو به، وهو قبيحٌ كلُّه.

وأما مَا يُرْوَى عن إبراهيمَ صلَواتُ الله عليه: ....

قوله:[1] (وفيه) أي: في قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ وأنْ لم يقل: يكفرون.

قوله: (وتخييلُ)[2] عطف على قوله: (رمزٌ)، يعني: هذه الآية تدلُّ على أنّ كذِبهم عِلَّة للعذاب الأليم، وذلك يقتضي أن يكون كلُّ كذب قبيحًا.

قوله: (والقوم كفَرة)، يعني: القوم الذين نزل فيهم ﴿مِمَّا خَطَٰيَٰهُم أُغْرِقُواْ﴾[3] [نوح ٧١/٢٥] كانوا كَفَرة، ومع هذا لم يقل: مِن أجل كُفْرهم أغرقوا، بل قيل: ﴿مِمَّا خَطَٰيَٰهُم﴾ إشارة إلى قُبح الكذب. وقد ذكرنا معنى التعريض والرمز في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾... الآية [البقرة ٢/٤].

قوله: (على خلاف ما هو به) أي: الكذب: الإخبار بالشيء على خلاف الوجه الذي يكون هو، أي: ذلك الشيء مُتحقِّقًا بذلك الوجه.[4] كما إذا أخبر مُخبِر[5] بقوله: قام زيد، ولم يكن قيامه مُتحقِّقًا في الواقع، بل كان الواقع عدمَ قيامه، فقد أخبر بقوله: "قام زيد" على خلاف الوجه الذي كان القيام مُتحقِّقًا بذلك الوجه.

قوله: (ما يروى عن إبراهيم)... إلخ، عن أبي هُريرة رضي الله تعالى[6] عنه[7] قال: قال رسول الله عليه السلام:

---

١ ن: وقوله؛ ن + وقوله.

٢ ن: وتحيتك.

٣ قال مجاهد: «قرأ أبو عمرو وحده: ﴿مِمَّا خَطَٰيَٰهُم﴾ مثل قضاياهم. وقرأ الباقون: ﴿مِمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ بالهمز والتاء». السبعة لابن مجاهد، ص ٦٥٣.

٤ انظر: تفسير الرازي، ٧٢/٢ (البقرة، ١٠/٢).

٥ ن: بخبر.

٦ ش - تعالى.

٧ د - رضي الله تعالى عنه.

أنّه كَذَبَ ثلاثَ كَذَباتٍ، فالمرادُ التَّعريضُ، ولكنْ لمَّا كانت صورتُه صورةَ الكِذْب سُمِّي به.

لم يكذب إبراهيم إلّا ثلاث كَذَبات، ثِنتين منهنَّ في ذات الله تعالى: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات ٣٧/٨٩]، وقوله: / ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء [٧٩ظ]
٢١/٦٣]، وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبّار من الجبابرة فقيل له: إن ههنا رجلًا معه امرأة مِن أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها: من هذه؟ قال: أختي فأتى سارة فقال لها: إنّ هذا الجبّار إن يعلم أنّك امرأتي يغلبني عليكِ، فإن سألكِ فأخبريه أنّك أختي، فإنّك أختي في الإسلام، ليس على وجه الأرض مُؤمِن غيري وغيركِ، فأرسل إليها فأُتي بها، وقام إبراهيم يُصلّي، فلمّا دخلتَ عليه ذهب يتناولها بيده فأُخِذ حتّى رَكَض برجله، فقال: ادعي الله لي ولا أضرُّكِ، فدعَت الله تعالى[١] فأُطلِق، ثمّ تناولها الثانية فأُخِذ مثلَها أو أشدَّ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرُّكِ، فدعَت فأُطلِق، فدعا بعض حَجَبته فقال: إنّكَ لم تأتِني بإنسان إنّما أتيتني بشيطان، فأَخدَمها[٢] هاجر فأتته وهو قائم يصلي، فأومأ بيده: مَهْيَم؟ فقالت: ردَّ الله كيد الكافر في نحره وأَخدَم هاجر.[٣]

قوله: (كَذَبات) بفتح الذال؛ لأنّه جمع كَذْبة بفتح الكاف وسكون الذال، فيُفتَح في الجمع، نحو تَمْرة وتَمَرات. وقوله: ثنتان في ذات الله تعالى، يعني: ثنتان من الكَذَبات الثلاث مُشتملتان على تنزيه الله تعالى، أي: فيما يختصّ بالله تعالى، ولم يكن لإبراهيم عليه السلام فيه أَرَب.

الأوّل: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وما قبله يدلُّ على أنّ إبراهيم عليه السلام[٤] نزّه ذاته[٥] تعالى عمّا يقوله الكَفَرة من عبادة الأصنام، وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات ٣٧/٨٥-٨٩]. إنّهم طلبوا منه عليه السلام

---

[١] د - تعالى.
[٢] ن: فأخذها.
[٣] صحيح البخاري، ٤/١٤١ (٣٣٥٨)؛ وصحيح مسلم، ٢/١١١٢ (٢٣٧١).
[٤] د ن - عليه السلام.
[٥] ن: ذات الله.

....

أن يخرج معهم إلى عيد لهم، فأراد أن يتخلّف عن الأمر الذي هم فيه، فنظر في عِلم النجوم وقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، أي: خارجٌ مِزاجي عن حدِّ[١] الاعتدال، وقلَّ مَن يخلو عنه، وكان عِلم النجوم حقًّا[٢] ومِن النبوّة، ثمّ نُسِخ.

والثانية: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء ٦٣/٢١]، وما قبله -وهو قوله: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ [الأنبياء ٥٦/٢١] إلى قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾- يدلُّ على تنزيهه تعالى عمّا يقوله الضُّلّال، فكأنّه قال: يجب أن يفعله كبيرهم، لو كان معبودًا؛ لئلا يُعبَد معه غيره.

والثالثة: سارة أختي، وكانت زوجتَه، أي: هي أختي في الدين. قيل: إنّما عَدل عن الزوجيّة إلى النسبة؛ لأنّ دين المَلِك القاصد لها أنّه لا يَحِلّ له التزوُّج ولا التمتُّع بقرابات الأنبياء. وقيل: كان من أمره[٣] الذي[٤] يتدبَّر به في الأحكام السياسيّة ألّا يتعرَّض إلّا لذوات الأزواج؛ يرى أنّها إذا اختارت الزوج فليس[٥] لها أن تَمتنع من السلطان، بل يكون هو أحقّ بها من زوجها، وأمّا اللاتي لا أزواج لهن فلا سبيل عليهنّ إلّا إذا رضيْنَ.

وإنّما سمّاها كَذَبات، وإن كانت[٦] من جملة المعاريض؛ لعلوِ[٧] شأنه[٨] عن التورية عن الحقّ بغيره، فيقع ذلك مَوقع الكذب من غيره.[٩]

قوله: دخلتُ عليه، أي: على الجبّار. قوله: ذهب، أي: طَفِق. وقوله: أُخِذ، أي: أُخِذ بمَجاري نَفَسه. والرَّكْض:[١٠] الضرب[١١] بالرِّجْل. والحَجَبة: جمع حاجب. قوله: بشيطان، أراد به: المُتمرِّد[١٢] من الجنّ، وكانوا يَهابون الجنَّ ويُعظِّمون أمرهم.

---

١ ن: من حدّ.
٢ ن: حقًّا.
٣ ن: أمرة.
٤ ن: الدين.
٥ ن: ليس.
٦ ن: وإن كانت.
٧ ن: أحلو.
٨ ن: شأنهم.
٩ ن: غير.
١٠ ش ن: والضرب.
١١ ش ن: الركض.
١٢ ن: المتمدد.

وعن أبي بكر رضي الله عنه -ورُوي مرْفوعًا-: «إيّاكم والكذبَ فإنّه مُجانِبٌ للإيمان».

قوله: فأَخدَمها[1] هاجر، يعني: إذا عَرف المَلِك عنها الكرامة[2] والقُربة عند الله خلّى عن سبيلها طاهرة عن دَنَس جِواره، وجعل هاجَر خادمة لها. وهاجر أمُّ إسماعيل عليه السلام. قوله:[3] فأومأ بيده: مَهْيَم؟ جعل لفظ "مَهْيَم" مُفسِّرة للإيماء، وليست بترجمة لقوله. فإن قيل: أوَ لم يكن الكلام في الصلاة مُباحًا في أوّل الإسلام، فما تُنكِر أن يكون في مِلّة إبراهيم أيضًا مباحًا؟ قلنا: / لم يَذهَب إلى ما ذهبنا اتّكالًا على تحريم الكلام، فإنّه شيء لم يُطَّلع على حقيقة الأمر فيه، وإنّما ذهبنا إليه لمكان الإيماء باليد، ثمّ إنّها لو كانت مُفسِّرة لقوله لكان مِن حقّه أن يقال: فأومأ بيده وقال: مَهْيَم؟ فإن قيل: لِمَ لا يجوز أن يكون في الكلام حذف؟ قلنا: لا ضرورة بنا إلى هذا التقدير، وليس بنا حاجة إلى أن ندع ظاهر الكلام، ونُقدِّر ما ليس لنا به علم. ومَهْيَم: كلمة يمانيّة يستعملونها في الاستفهام، ومعناها: ما لَكَ وما شأنُك؟ [٨٠و]

قوله:[4] (ورُوِيَ مرفوعًا) عطف على محذوف، فكأنّه قال: رُوي عن أبي بكر رضي الله تعالى[5] عنه[6] موقوفًا عليه، ورُوِيَ مرفوعًا إلى النبيّ عليه السلام. والمراد بالخبر الموقوف: أن يكون الراوي يروي الحديث عن غيره ويقف ولا ينتهي إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم،[7] سواء كان ذلك الغير الموقوف عليه صحابيًّا أو غيره.[8] والجانب: الناحية، يقال: جانَبه وتجانَبه وتجنَّبه واجتنَبه كلّه بمعنى. فقوله: («مُجانِبٌ»)،[9] أي: مُباعِد،[10] أي: يقف هذا من ناحية وذاك من ناحية، ولا يجتمعان في ناحية واحدة.

---

[1] ن: فأخذ بها.

[2] ن: الكراهة.

[3] ن - قوله.

[4] ن: وقوله.

[5] ش - تعالى.

[6] د - رضي الله تعالى عنه.

[7] د ش - صلّى الله عليه وسلّم.

[8] انظر في معنى الموقوف مقدمة ابن الصلاح، ص ٤٦.

[9] ن: يجانب. | لفظة من حديث في المُصنَّف لابن أبي شيبة، ١٣/١٥٠ (٢٦١١٥)؛ ومسند أحمد، ١٩٨/١ (١٦). وانظر تفصيل الكلام عليه في تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ١/٤٦-٤٧.

[10] ن: يباعد.

وقُرِئَ: ﴿يُكَذِّبُون﴾ مِن كذَّبه الذي هو نقيضُ صدَّقه.

ومِن كذَّبَ الذي هو مُبَالغةٌ في كذَبَ؛ كما بُولِغَ في صدَقَ فقيل: صدَّقَ، ونظيرُهما: بَانَ الشيءُ وبيَّنَ، وقَلَصَ الثَّوبُ وقَلَّصَ. أو بمَعْنى الكثرة كقوْلك: مَوَّتَت البَهائم وبَرَّكت الإبلُ.

ومن قولهم: كذَّبَ الوَحْشيُّ: إذا جَرَى شَوْطًا ثمَّ وَقفَ لينظُرَ ما وراءهُ؛ لأن المنافقَ متوقِّفٌ متردِّدٌ في أمْره، ولذلك قيل له: مُذبْذَبٌ.

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَثَلُ المنافق ....

قوله: (وقُرِئ ﴿يُكَذِّبون﴾) قرأ الكوفيُّون، أي: عاصم[١] وحمزة والكسائيّ بفتح الياء وتسكين الكاف وتخفيف الذال؛ والباقون بضمّ الياء وفتح الكاف وتشديد الذال.[٢] ثمّ ذكر للقراءة بالتشديد أربعة معانٍ. وقوله: (**أو بمعنى الكثرة**) عطف على صلة (**الذي**)، أعني: قوله: (**هو مبالغة**) وإنّما لم يُعَدْ لفظ "كذَّب" في الوجه **الثالث**؛ لأن المعنى الثالث والثاني متقاربان،[٣] لأنّ كليهما[٤] مُشترِكان في معنى الكذب، والمُغايرة بينهما: أنّ أحدهما بمعنى المبالغة والثاني بمعنى الكثرة، وكأنّه إنّما قال في الوجه الرابع: (**ومن قولهم كذَّب**)، ولم يقل في الأولين مثل ذلك؛ لأنّ المعنيين الأوّلين مشهوران، والرابع غير مشهور، فاحتاج إلى بيانه باستعمالهم. و"الشوط":[٥] الطَّلَق،[٦] وبالفارسية "تك". و"المُذَبذَب" بفتح الذال: المتردِّد بين أمرين، والذَّبذبة: نَوْس[٧] الشيء المُعلَّق في الهواء.

قوله عليه السلام: («**مَثَل المُنافق**»)[٨] المِثل والمَثل والمثيل بمعنى الشِّبه والشَّبه والشبيه، ثم يُطلَق المَثَل ويراد به: الكلام السائر المُمثَّل مَضرِبه بمَورِده.[٩]

---

١ د ش: العاصم.

٢ السبعة لابن مجاهد، ص ١٤١؛ النشر لابن الجزري، ٢/٢٠٧-٢٠٨.

٣ ن: يتقاربان.

٤ ن: بينهما.

٥ ن: والشرط.

٦ ن: الطلقة.

٧ ن: موس.

٨ اللفظة وما بعدها من حديث في مسند أحمد، ٩/٩٩ (٥٠٧٩)؛ وصحيح مسلم، ٢/١٢٨٣ (٢٧٨٤)؛ ومصابيح السنّة للبغوي، ١/١٢٦ (٤٠).

٩ سبق وخُرِّج عند الكلام على الآية السابعة من سورة البقرة.

كمَثَل الشاةِ العَائرةِ بين الغنَمَيْن تَعِيرُ إلى هذه مرةً وإلى هذه مرةً».

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ⑪﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ مَعطوفٌ على ﴿يَكْذِبُونَ﴾، ....

ثم يُطلَق ويراد به: الصفة العجيبة الشأن، كما سيتحقَّق[1] جميع[2] ذلك إن شاء الله تعالى. والمراد هنا الصفة، فكأنّه قال: صفته كصفتها. والشاة والغَنَم: اسم جنس للمَعْز والضَّأْن، والمراد هنا بـ(«الشاة») الواحد، وبـ(«الغَنَمَين») القطيعان[3] من الضَّأْن أو المَعْز. ويقال: عارَ إذا نفَر وشَرَد، و(«العائرة») أكثر ما يُستعمل في الناقة: وهي التي تَخرُج من الإبل إلى أُخرى ليَضرِبها الفحل. والجمل عائر:[4] يترك الشَّوْل إلى أخرى، ثمّ يتّسع في المواشي.[5] ضرب النبيّ عليه السلام للمُنافق المَثَل السَّوْء؛ فشبّه تردُّده بين الطائفتين مِن المؤمنين والمشركين، تبعًا لهواه وقصدًا[6] لغرضه[7] الفاسد[8] ومَيْلًا إلى ما يتّبعه من شهواته، بتردُّد الشاة العائرة:[9] وهي التي[10] تَطلُب الفحل فتردَّد بين الثَّلَّتين[11] فلا تستقرُّ على حال ولا تثبت مع إحدى الطائفتين.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

«هذا هو النوع الثاني من قبائح أفعال[12] المُكلَّفين».[13]

قوله: (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ معطوف على ﴿يَكْذِبُونَ﴾)، فكأنه قال: لهم عذاب أليم

---

[1] ن: سيحقق.

[2] ن − جميع.

[3] ن: القطيعين.

[4] ن: غائر.

[5] من قوله: "أكثر" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «عير». ونقل الطِّيبي هذا الكلام وعزاه إلى التوربشتي، ولم أجده في مطبوع كتابه الميسر في شرح المصابيح.

[6] ن: وقصد.

[7] ن: الفرصة.

[8] ن: الفاسدة.

[9] ن: الغائرة.

[10] ن − التي.

[11] ن: السلين. | الثَّلَّة: جماعة الغنم قليلة كانت أم كثيرة. انظر: لسان العرب لابن منظور، «ثلل».

[12] ن − أفعال.

[13] تفسير الرازي، ٧٣/٢ (البقرة، ١١/٢).

ويجوز أن يُعْطف على ﴿يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ لأنك لو قلتَ: "ومِن النَّاسِ مَن إذا قيل لهم: لا تفسدوا" كان صحيحًا، والأوَّلُ أَوْجَهُ.

والفَسادُ: خُروج الشيء عن حال اسْتقامته وكونهِ مُنْتفَعًا به، ونقيضُه: الصلاحُ، وهو الحصول على الحالةِ المستقيمة النَّافِعَةِ.

بما كانوا يَكذِبون وبما كانوا إذا قيل لهم... إلخ، فعلى هذا قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ في محلّ النصب؛ لأنّه عطف على خبر "كان".

قوله: (**ويجوز أن يُعطَف على ﴿يَقُولُ﴾**) فعلى هذا لا محلّ له؛ لعطفه على صلة / ﴿مَن﴾ ولا يكون للصلات محلٌّ من الإعراب. [٨٠ظ]

قوله:[١] (**والأوّل أَوجَه**)؛ وذلك لوجهين: **الأوّل**: أنّه عطفٌ على الأقرب، **والثاني**: أن قوله: ﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾... إلخ، شامل لهؤلاء أيضًا؛ لأنّ هؤلاء أيضًا مُنافقون، فلو عُطِف على ﴿يَقُولُ﴾ يلزم ألّا يكون هذا الوصف شاملًا لهم. هكذا قيل. وفيه بحث؛ لأنّ عَطف الصلة على الصلة لا يمنع أن يكون الموصول مُشتمِلًا[٢] على جميع المعاني المذكورة في الصلات، بل يُوجِب ذلك، فوَجهُ الأَولويّة هو القُرب.

واعلم أن العلماء اختلفوا في أنّه مَن القائل: ﴿لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: فمنهم مَن قال: ذلك القائل هو الله تعالى، ومنهم مَن قال: رسول الله عليه السلام، ومنهم مَن قال: بعض المؤمنين. وكلُّ ذلك[٣] مُحتمَل. والأقرب أنّ القائل لهم ذلك مَن شافههم بذلك: فإمّا أن يكون رسول الله عليه السلام بلغه عنهم النفاق ولم يقطع بذلك فنصحهم، وإمّا أن يقال: إن بعض مَن كانوا يُلقون إليه الفساد كان لا يقبله[٤] منهم وكان[٥] ينقلب واعظًا لهم قائلًا لهم: ﴿لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.[٦]

---

١ ن: وقوله.
٢ ن: يشتمل.
٣ ن – ذلك.
٤ ن: لا يقبل.
٥ ن – وكان.
٦ من قوله: "فمنهم من قال" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٢/٧٣ (البقرة، ٢/١١).

والفَسادُ في الأَرْضِ: هَيْجُ الحُرُوب والفِتَنِ؛ لأنَّ في ذلك فسادَ ما في الأَرْضِ وانتفاءَ الاستقامةِ عن أحوال النَّاسِ والزُّروعِ والمنافعِ الدِّينيَّةِ والدنيويَّةِ؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ [البقرة ٢٠٥/٢] ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة ٣٠/٢]، ومنه قيل لحربٍ كانت بين طَيِّئٍ: حَرْبُ الفَساد.

وكان فسادُ المنافقينَ في الأرضِ: أنَّهم كانوا يُمايِلُونَ الكفَّارَ ويُمالئونَهم

قوله: (والفساد في الأرض)... إلخ، لمّا ذكر معنى الفساد أشار إلى أنّ كونه[1] فسادًا في الأرض يُفيد أمرًا زائدًا، فقيل: ذلك الفساد هو[2] مُداراة المنافقين للكافرين ومُخالطتهم معهم؛ لأنّهم لمّا مالوا إلى الكفار وعاونوهم -مع أنّهم في الظاهر مؤمنون- أوهَم[3] ذلك ضعف الرسول عليه السلام وضعف أنصاره، وكان ذلك يُجرِّئ[4] الكفار على إظهار عداوة رسول الله عليه السلام ونَصْب الحرب لهم وطمعهم في الغَلَبة، وفيه فساد عظيم في الحرب.

قوله:[5] (حربُ الفَساد) سُمِّيَ بذلك؛ لأنّهم مَثَلوا في هذا الحرب بأنواع المُثَل: جدَعوا الأنف، وصلَموا[6] الآذان.[7]

قوله:[8] (يُمايِلون)[9] مِن المَيْل.[10] وقوله: (يُمالِؤنهم) من مالأت على الأمر مُمالأة:[11] ساعدتُه عليه، وتَمالَؤا على الأمر، أي: اجتمعوا عليه وتعاونوا.[12] قال عليّ رضي الله تعالى عنه:[13] «والله ما مالأتُ على قتل عثمان».[14] وقوله:

---

[1] ن: إلى كونه.

[2] ن: هذا.

[3] ن: وهم.

[4] ن: تحدى.

[5] ن: وقوله.

[6] ن: وصلوا.

[7] انظر في الكلام على حرب الفساد: الأغاني للأصفهاني، ٤٨/١٣؛ وشرح الحماسة للتبريزي، ١٨٨/١؛ وشعر طيئ وأخبارها، ص ٧٨-٨٠؛ وديوان شعر بني كلب بن وبرة (الدراسة) ١٢١-١٢٢.

[8] ن: وقوله.

[9] ن: بما يكون.

[10] ن: من المثل.

[11] د: ممالأت.

[12] انظر: الصحاح للجوهري، «ملأ».

[13] د - رضي الله تعالى عنه.

[14] لفظه: «... ما قتلتُ عثمان ولا مالأتُ على قتله» في فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ٤٥٨/١-٤٥٩ (٧٣٩). ولمُحقِّقه فضل تخريج؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ٣٣٢٤/١٠ (الرحمن، ٢٤/٥٥). وهو شاهد على لفظ "مالأ" في إصلاح المنطق لابن السِّكِّيت، ص ١٥٠؛ والصحاح للجوهري، «ملأ»؛ والمُغرِب للمُطرِّزي، «ملأ».

على المسلمين، بإفشاءِ أَسْرارهم إلَيْهم، وإغرائِهم عليهم، وذلك مما يُؤَدِّي إلى هَيْج الفتن بينهم، فلمَّا كان ذلك من صنيعهم مؤدِّيًا إلى الفساد قيل لهم: ﴿لَا تُفْسِدُواْ﴾؛ كما تقول للرَّجل: لا تقتلْ نفسَك بيدك، و: لا تُلْقِ نَفْسَك في النار، إذا أَقْدَم على ما هذه عاقِبَتُه.

و﴿إِنَّمَا﴾ لقصرِ الحكم على شيء؛ ....

(بإفشاء) مُتعلِّق بقوله: "يُمالِؤنهم"، أي: يُعاوِنون الكفار بإفشاء أسرار[1] المؤمنين إلى الكُفّار وبإغراء الكُفّار على المسلمين بأن يقولوا: قاتِلوهم ولا تخافوهم، فنحن نُعاوِنكم، وأنتم تَغلِبون، إلى غير ذلك.

قوله: (مِن صنيعهم) بيانُ (ذلك)، أو حال مِن "ذلك". و"من" للتبعيض، يعني: أنّهم[2] وإن لم يفعلوا الفساد في الأرض؛ لأنّ الفساد في الأرض هو: هَيْج[3] الفتن والحروب، لكن يفعلون ما يُؤدِّي إلى الفساد فسُمِّيَ فعلهم فسادًا كما ذكر مِن المثال.

قوله: (﴿إِنَّمَا﴾ لقصر الحكم على الشيء)[4] والسبب في إفادة "إنّما" معنى القصر هو تضمّنه معنى "ما" و"إلّا"، ولذلك تسمع المُفسِّرين لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ﴾ [البقرة ١٧٣/٢] يقولون: معناه: ما حرَّم عليكم إلّا الميتة والدم.[5] والدليل على تضمُّنه معنى "ما" و"إلّا" صِحَّة انفصال الضمير معه، كقولك: إنّما يَضرِب أنا، مثلَه في: ما يضرب إلّا أنا. قال الفرزدق:

أنا الذائد الحامي الذِّمار وإنّما يُدافِع عن أحسابهم أنا أو مِثلي[6]

---

[1] ن: أمر.

[2] ن: لأنّهم.

[3] ن: تهييج.

[4] في مطبوع **الكشّاف** وما راجعته من أصوله: شيء.

[5] انظر هذا القول في **معاني القرآن وإعرابه** للزّجّاج، ٢٤٣/١. وانظر قريبًا منه في **المسائل الشيرازيات** لأبي علي الفارسي، ٤٨/١، ٢٥٣، ٣٩٧؛ و**كتاب الشعر** لأبي علي الفارسي، ١٩٩/١-٢٠٠؛ و**المُحتسَب** لابن جنّي، ١٩٥/٢؛ و**دلائل الإعجاز** للجرجاني، ص ٣٢٨.

[6] البيت في **ديوانه**، ٧١٢/٢. والرِّواية فيه:
أنا الضامن الراعي عليهم وإنّما
يُدافِع عن أحسابهم أنا أو مِثلي
وهو بلا نسبة بالرِّواية التي ساقها المُصنِّف في **معاني القرآن وإعرابه** للزَّجّاج، ٢٤٣/١. وللفرزدق في **المسائل الشيرازيات** لأبي علي الفارسي، ٢٥٣/١، ٣٩٧؛ و**كتاب الشعر** لأبي علي الفارسي، ١٩٩/١؛ و**المُحتسَب** لابن جنّي، ١٩٥/٢؛ و**دلائل الإعجاز** للجرجاني، ص ٣٢٨؛ و**مفتاح العلوم** للسَّكّاكي، ص ٤٠٣.

كقولك: إنما يَنْطلِقُ زيْدٌ، أو لقصرِ الشيءِ على حكمٍ؛ كقولك: إنّما زيدٌ كاتبٌ.

ومعنى ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: أنَّ صفَةَ المصلحين خلصَتْ لهم وتمحَّضتْ من غيرِ شائبَةٍ قادحٍ فيها من وَجْهٍ مِن وجوهِ الفَسادِ.

والذود:[1] الدفع. والذِّمار: العهد. وقال آخر:

قـد عَـلِـمـت سـلـمـى وجـاراتـهـا ... مـا قطَّـر الفـارسَ إلّا أنـا[2]

يقال: قطَّره، أي: ألقاه على قُطرٍ، أي: جانب.[3]

ويعني بـ"قصر الحكم على الشيء": قصرَ المُسنَد على المُسنَد إليه، **(كقولك: إنّما ينطلق زيد)**، فمعناه: أنّ الانطلاق مقصور على زيد لا يتجاوزه إلى غيره؛ وبـ**(قصر الشيء على حُكم)** قصرَ المُسنَد إليه على المُسنَد، **(كقولك: إنّما[4] زيد كاتب)**، فمعناه: أنّه مقصور على الكتابة لا يتجاوزها إلى صفة / أخرى. فمعنى ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: أنّهم مقصورون على الصلاح لا يتجاوزونه إلى الفساد. [٨١و]

وقائلُ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ هم المُنافقون، والأقرب في مرادهم أن يكون نقيضًا لِما نُهوا عنه، فلمّا كان الذي نُهوا عنه هو الفساد في الأرض كان قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ كالمُقابِل له. ونحن قد فسَّرنا الفساد في الأرض بمُداراة المنافقين للكُفّار، فقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يعني به: أنّ هذه المُداراة سَعيٌ في الإصلاح بين المسلمين والكُفّار، ولذلك حكى[5] الله تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء ٤/٦٢]. وقوله: **(فيها)** أي: في صفة[6] المُصلِحين.[7] وقوله: **(مِن وجه)** بيان **(قادح)**، فكأنّه قال: صفة المُصلِحين[8]

---

[1] ن: والذويد.

[2] البيت لعمرو بن مَعْدي كَرِب الزُّبيدي في ديوانه، ص ١٦٧. وهو له في كتاب سيبويه، ٣٥٣/٢؛ وبلا نسبة في دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ٣٣٧؛ ومفتاح العلوم للسَّكّاكي، ص ٤٠٣.

[3] من قوله: "والسبب في إفادة" إلى هنا لَخَّصه الجاربردي من مفتاح العلوم للسَّكّاكي، ص ٤٠٣، وزاد عليه شرح الشِّعر.

[4] ن – (ينطلق زيد)، فمعناه: أنّ الانطلاق مقصور على زيد لا يتجاوزه إلى غيره؛ وبـ(قصر الشيء على حكم) قصرَ المُسنَد إليه على المُسنَد، (كقولك: إنّما).

[5] ن: أخبر.

[6] ن: وصف.

[7] ن: المصلحون.

[8] ن – وقوله: (مِن وجه) بيان (قادح)، فكأنّه قال: صفة المُصلِحين.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾

و﴿أَلَا﴾ مركبةٌ من همزةِ الاستفهام وحرفِ النفي؛ لإعْطاءِ معنَى التنبيهِ على تحقُّقِ ما بَعْدها، والاستفهامُ إذا دخَلَ على النفي أفادَ تحقيقًا؛ ....

خلَصت لهم من غير شائبةِ وجه من وجوه الفساد. و"الشائبة" واحدة الشوائب: وهي الأقذار والأدناس. ويقال: الأقذاء والقذر: ضد النظافة، والدنس: الوسخ.

وتمام تقرير هذا الموضع أن نقول: حاصل معنى القصر راجع إلى قسمين: **الأوّل**: تخصيص الموصوف بالصفة، **والثاني**: تخصيص الصفة بالموصوف.

أمّا القسم **الأوّل** فهو: إمّا قصر إفراد، أو قصر قلب. أمّا قصر الإفراد فهو: تخصيص الموصوف بوصف دون ثانٍ، كقولك: زيد شاعرٌ لا مُنجِّم، لمَن يعتقده شاعرًا ومُنجِّمًا، سُمِّيَ قصر إفراد؛ لأنّه يُزيل شِرْكة الثاني. وأمّا قصر القلب فهو: تخصيص الموصوف بوصف مكان وصف آخر، كقولك لمَن يعتقد زيدًا مُنجِّمًا لا شاعرًا: ما زيدٌ منجمٌ بل شاعر، وسُمِّيَ قصر قلب؛ لأنّ المُتكلِّم يَقلِب حُكم السامع.

وأمّا القسم **الثاني** وهو تخصيص الصفة بالموصوف فهو: إمّا قصر إفراد، كقولك: ما شاعر إلّا زيد، لمَن يعتقد زيدًا شاعرًا[1] لكن يدَّعي شاعرًا آخر؛ وإمّا قصر قلب كقولك: ما شاعر إلّا زيد، لمَن يعتقد أنّ شاعرًا في قبيلة كذا لكنّه يقول: ما زيد هناك بشاعر.[2]

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ من باب قصر الموصوف على الصفة قصر قلب.

قوله: **(لإعطاء)** اللام مُتعلِّقة بقوله: (مُركَّبة). وقوله: **(على)** مُتعلِّق بـ(التنبيه).

قوله:[3] **(ما بعدها)** أي: ما بعد (﴿أَلَا﴾). و"ما" موصولة، أي: تحقُّق الجملة التي هي واقعة بعد ﴿أَلَا﴾، والمفعول الثاني للإعطاء محذوف، أي: لإعطاء السامع المعنى المذكور.

---

[1] ن - شاعرًا.

[2] من قوله: "حاصل معنى القصر" إلى هنا بلفظ قريب في مفتاح العلوم للسَّكّاكي، ص ٤٠٠.

[3] ن: وقوله.

كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ﴾ [القيامة ٧٥/٤٠] ولكونها في هذا المَنْصِب من التحقيق لا تكادُ تقع الجملةُ بعدها إلّا مصدَّرةً بنحوِ ما يُتَلَقَّى به القسَم.

وأختُها التي هي "أَمَا" من مقدِّمات اليمين وطلائعها:

أَمَـا والــذي لا يعـلَـمُ الـغَـيـبَ غـيـرُهُ

ثمّ استدلّ على إفادة ﴿أَلَآ﴾ التنبيه على تحقُّق ما بعدها بأنّ "الاستفهام إذا دخل على النفي يُفيد التحقيق"؛ وذلك لأنّ الاستفهام فيه للإنكار، فيكون في حُكم النفي، ونفيُ النفي يُفيد التحقيق والإثبات.

والضمير من (لكونها) و(بعدها) عائد إلى ﴿أَلَآ﴾. وقوله: (من التحقيق) حال من هذا المَنصِب، أو من الضمير المُستتِر في قوله: (في هذا المَنصِب). ويريد بـ(ما يُتلقَّى به القَسَم): "إنّ"، وحرفَ النفي. والضمير من "به" عائد إلى "ما". وإنما قال: (لا تكاد)... إلخ، لأنّ ما يُخالِف ما ذكره قليل. و"طليعة" الجيش: مَن يُبعَث لِيَطَّلِع طِلْع العدوّ.

قوله:[١] (وأختها) مبتدأ، و(من مُقدِّمات) خبره. قال الشاعر:

(أَمَا والـذي لا يَعلَم الغيب غيرُه) ويُحيي العِظام البِيض وهي رَميمُ
لقد كنتُ أختار الخَوى طاويَ الحشا مُـحـاذَرةً[٢] مِـن أن يـقـال لـئـيـمُ[٣]

أي: والله الذي لا يعلَم الغيب غيره، ويُحيي الموتى يوم النشور والحال أنّ العظام رميمة، أي: مُتفتِّتة، من رمَّ العظم: صار رميمًا مُتفتِّتًا. وجواب القسم: لقد كنتُ. والخوى: خَلاء البطن. وطاويَ الحشا، أي:[٤] خالي البطن، أي: أختار المجاعة[٥] في حال الجوع، وأُوثر الطعام للضيفان مُحافظة من أن يقال لي: إنّ فلانًا لئيم.

---

١ ن: وقوله.

٢ ن: مخافة.

٣ البيتان من قصيدة لحاتم الطائي في ديوانه، ١٨٤، ورواية البيت الثاني فيه:
لقد كنتُ أطوي البطن والزاد يُشتهى
مخافة يومًا أن يُقال لئيمُ
وهما بلا نسبة في شرح الحماسة للمرزوقي، ١٧١٥/٤، برواية قريبة مما أورده المُصنِّف. وفيه «لا يعلم السِّرّ». وذكر المرزوقي أنّ قوله: «أختار القِرى» يُروى «أختار الخَوى». وأورد رواية ثالثة لبعضهم وردَّها، وهي «أختار القَوى».

٤ ن - أي.

٥ ن: المخادعة.

أَمَا والـذِي أبكَى وأَضحَكَ والذي أمـاتَ وأَحْيـا والـذي أمْـرُه الأمْـرُ

ردَّ اللهُ ما ادَّعَوْهُ مِن الانتظامِ في جُملةِ المصلحينَ أَبلَغَ رَدٍّ وأَدَلَّه على سَخَطٍ عظيمٍ، والمبَالغةُ فيه مِن جهةِ الاستئناف، وما في كلتا الكلمتين "أَلَا" و"إِنَّ" من التأكيدَيْن، وتعريفِ الخبر، وتوسِيطِ الفَصْلِ، وقولهِ: ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

والإطعام / بهذا الغرض غير مَرضيّ ولا مُثاب عليه، وإنّما الإطعام المَرضيّ ما وصفه الله تعالى بقوله:[1] ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان ٧٦/٨-٩]. [٨١ظ]

وقال:

(أمَا والذي أبكى وأَضحَك)[2] والذي أمـات وأحيـا والـذي أمْـرُه[3] الأمـرُ

لقد تركَتْني أَحسُد الوَحش أن أرى أَليفَين منها لا يَرُوعهـما الـذُّعـرُ[4]

الرَّوْع[5] والذُّعر: الفزع، أي: والله الذي صفتُه كيت كيت، إنّي إذا نظرتُ إلى الوَحش وهي تألف في مراعيها ومُتصرَّفاتها اثنين اثنين لا يُفزِعهما رقيب، حسدتُهما وتمنيتُ أن يكون حالي مع صاحبتي كحالها في أُلافها. وأحسُد: حال أو مفعول ثانٍ لـ"ترك"؛ لأنّه بمعنى "صيَّر". و"أن أرى" بدل من "الوحش". ولا يَروعهما صفة أَليفَين؛ لأنّ "أرى" من رُؤية العين، فيكتفي بمفعول واحد وهو "أَليفَين". وجواب القسم: لقد تركتني. وفاعل "تركتني" ضمير المرأة المستتر.[6]

وقوله: **(ردّ الله)** أي: بقوله تعالى:[7] ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾. وقوله: **(ما ادَّعوه)** مفعول "ردّ". و**(مِن)** بيان **(ما)**. وقوله: **(أبلغ ردٍّ)** صفةُ مصدر محذوف.

قوله:[8] **(أدلَّه)** أي: أدلَّ الردِّ. وقوله: **(على)** مُتعلِّق بـ"أدلّ". ثم بيَّن

---

[1] ن + الكريم.

[2] في مطبوع الكشّاف أُثبت البيت إلى آخره، وهو مخالف لِما وقفتُ عليه من الأصول.

[3] ن: أمر.

[4] البيتان من قصيدة لأبي صخر الهُذلي في شرح أشعار الهُذليّين للسُّكَّري، ٩٥٧/٢، وفيه «أَغبِط الوَحشَ»، و«لا يَرُوعهما الزَّجرُ». وهما بالرِّواية التي أوردها المُصنِّف في شرح الحماسة للمرزوقي، ١٢٣١/٣. والأوّل منهما بلا نسبة في المُفصَّل للزمخشري، ص ٤١٠.

[5] ن - الروع.

[6] من قوله: "الروع والذعر" إلى هنا بلفظ قريب في شرح الحماسة للمرزوقي، ١٢٣١/٣.

[7] ن - تعالى.

[8] ن: وقوله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

أَتَوْهُمْ في النصيحة منْ وَجْهين:

المبالغة في الردّ من خمسة أوجه: **الأوّل**: الاستئناف، **والثاني**: التوكيد الذي[١] في "ألا" و"إنّ"، **والثالث**: تعريف الخبر، **والرابع**: توسيط[٢] الفصل، **والخامس**: قوله: ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾؛ لأنّ الشُّعور: عِلمُ الشيء عِلمَ حسٍّ، فإذا نفى شعورهم فكأنّه ادّعى ظهور فسادهم كالشيء المحسوس. ثمّ إنّ "لكنْ" معناها استدراك بإيجاب بعد نفي، أو نفي بعد إيجاب، كالتي في هذه الآية؛ لأنّه إذا قيل: ﴿هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ سبق إلى الوهم أنّهم يفعلون ذلك من حيث يشعرون، فقال:[٣] ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

واعلم أنّ القُرّاء اختلفوا في أوائل "قيل" وما أشبهه: فقرأ «الكسائيّ[٤] وهشام ﴿قِيلَ﴾، و﴿غِيضَ﴾ [هود ٤٤/١١]، و﴿جِاْىٓءَ﴾ [الزمر ٦٩/٣٩]، بإشمام الضمّ الكسر لأوّل ذلك حيث وقع؛[٥] والباقون بإخلاص الكسرة».[٦]

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

هذه الآية مشتملة على ذكر[٧] النوع الثالث من أفعالهم القبيحة.[٨]

قد ذكرنا[٩] أن قائل: ﴿لَا تُفْسِدُوا۟﴾: إمّا الله تعالى،[١٠] وإمّا الرسول عليه السلام، وإمّا بعض المؤمنين. فأشار المصنِّف بقوله:[١١] (**أتَوْهُم**) إلى أنّ القائلين هم المؤمنون، أو الرسول عليه السلام والمؤمنون.

---

١ ن – الذي.
٢ ن: توسُّط.
٣ ن – يشعرون، فقال.
٤ ن + وقرأ الكسائي.
٥ ن – وقع.
٦ **التيسير** للداني، ص ٢٧٦–٢٧٧. وفي مطبوعه «... الأوّل، ذلك... بإخلاص كسره». وانظر لذلك: **السبعة** لابن مجاهد، ص ١٤١–١٤٢؛ و**النشر** لابن الجزري، ٢٠٨/٢.
٧ ن – ذكر.
٨ انظر: **تفسير الرازي**، ٧٤/٢ (البقرة، ١٣/٢).
٩ ن: ذكر.
١٠ ش – تعالى.
١١ ن: بقولهم.

أحدهما: تقبيحُ ما كانوا علَيْه؛ لبُعْدِهِ مِن الصَّواب وجَرِّهِ إلى الفساد والفتنَةِ. **والثاني**: تبْصيرُهم الطريقَ الأسَدَّ من اتِّباع ذوي الأحْلام ودخولِهم في عِدَادهم. فكان من جوابهم أنْ سَفَّهُوهم لفَرْطِ سَفَهِهم، وجَهَّلوهم ....

قوله:[١] (**أحدهما: تقبيح**) وهو قوله:[٢] ﴿لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. واللام في (**لبُعده**) مُتعلِّق[٣] بـ"التقبيح"، أي: قبَّحوا فعلهم لبُعد ما كانوا عليه من الصواب، وإفضاء ذلك إلى الفساد. وإنّما قال: "إفضائه"؛[٤] لأنّه لم يكن فسادًا في نفسه بل مُؤدِّيًا إلى الفساد على ما مرَّ. والوجه **الثاني** من الوجهين اللذين أتَوْهم منهما:[٥] إرشادهم الطريق الأقوم، وذلك الطريق هو اتّباع ذوي الأحلام، والمراد قوله: ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾. و(**الأسدّ**) مِن السَّداد وهو: الاستقامة والصواب، يقال: سدَّ قوله يَسِدُّ، أي: صار سديدًا.

قوله: (**من اتّباع**) بيان (**الطريق الأسدّ**).[٦]

قوله:[٧] (**فكان**) عطف على قوله: "أتَوْهم". وقوله: (**مِن جوابهم**) خبر كان. و"مِن" للتبعيض فكأنّهم أجابوهم بذلك وبغيره، وهذا بعض جوابهم. وقوله: (**أن سفَّهوهم**) اسم "كان". و(**لفرط**) مُتعلِّق بالخبر، وهو إشارة إلى قوله: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾.

فإن قيل: كيف يصِحُّ النفاق مع المُجاهرة / بقولهم: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾؟ قيل: إنّهم كانوا يُظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين، فأخبر الله تعالى[٨] نبيَّه عليه السلام بذلك. [٨٢و]

قوله:[٩] (**وجهَّلوهم**)[١٠] عطف على قوله: "سفَّهوهم". و"المَدَى" بفتحتين: الغاية، ومنه التمادي في الأمر، وهو: بلوغ المَدى. وهو إشارة إلى قولهم:

---

١ ن: وقوله.
٢ ن: بقوله.
٣ ن: يتعلّق.
٤ في مطبوع الكشّاف وما وقفت عليه من أصوله: جرّه. | ولعلّ الجاربردي أراد معنى لفظ الكشّاف.
٥ ن: ههنا.
٦ ن – وهو: الاستقامة والصواب، يقال: سدَّ قوله يَسِدُّ، أي: صار سديدًا. قوله: (من اتّباع) بيان (الطريق الأسدّ).
٧ ن: وقوله.
٨ د ش – تعالى.
٩ ن: وقوله.
١٠ ن: وحمد لهم.

لتمادي جَهْلهم، وفي ذلك تسْلِيةٌ للعالِم ممَّا يَلْقَى من الجَهلَةِ.

فإن قلتَ: كيف صحَّ أن يُسندَ ﴿قِيلَ﴾ إلى ﴿لَا تُفۡسِدُواْ﴾ و﴿ءَامِنُواْ﴾، وإسنادُ الفِعْل إلى الفعلِ مما لا يَصِحُّ؟

قلتُ: الذي لا يصحُّ هو إسنادُ الفعل إلى معنى الفعل، وهذا إسنادٌ له إلى لَفْظه؛ كأنَّه قيل: وإذا قيل لهم هذا القولُ وهذا الكلامُ.

﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ جوابًا عن قولهم ﴿لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، فإنّ المنافقين إذا قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ بطريق قصر القلب جوابًا عن قول المؤمنين: ﴿لَا تُفۡسِدُواْ﴾ فكأنّهم قالوا: ليس الأمر كما ظننتُم، وظنُّكم خطأ فأنتم تجهلون أمرنا، وهنا لَفّ ونشر لكن لا على الترتيب؛ لأنّ قوله: "سفَّهوهم" لفرط سفَههم مُتعلِّق بالوجه الثاني؛ وقوله: (**جهَّلوهم لتمادي جهلهم**) بالوجه الأوّل.

قوله:[1] (**وفي ذلك**) أي: فيما حكى الله تعالى من جواب المنافقين عن كلام المؤمنين. و"التسلية":[2] إزالة الهمّ.[3] ووجه التسلية أنّ العالِم إذا سمع أنّهم أجابوا النبيّ عليه السلام والمؤمنين بهذا الجواب، ثمّ سمع من الجَهلة ما يُوجِب التأذّي[4] عَلِم أنّ ذلك ممّا ابتُلِيَ به مَن هو أعظم رتبة منه، فلا يحزن[5] ولا يقلق. ومثله قوله تعالى لتسلية النبيّ عليه السلام: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ﴾ [فاطر ٤/٣٥]. والتنكير للتعظيم، أي: «رُسلٌ أيُّ رُسل،[6] ذوو عدد كثير، وأولو آيات ونُذُر، وأهل[7] أعمار طوال، وأصحاب صبر وعزم، وما أشبه ذلك».[8]

قوله:[9] (**وهذا[10] الكلام**) عطف على قوله: (**هذا القول**).

---

[1] ن: وقوله.
[2] ن: في التسلية.
[3] ن: الوهم.
[4] ن: التمادي.
[5] ن: فلا يجوز.
[6] ن: أيّ رسل.
[7] ن: وهل.
[8] الكشّاف للزمخشري، (فاطر، ٤/٣٥)؛ مفتاح العلوم للسّكّاكي، ص ٢٩٠.
[9] ن: وقوله.
[10] ن ش: وهكذا. | وكانت مثلهما في د ثمّ ضُرِب على الكاف. وما أثبتّه هو الموافق لمطبوع الكشّاف وما وقفتُ عليه من أصوله.

فهو نحوُ قولك: أُلِّفَ "ضَرَبَ" من ثلاثَةِ أَحْرفٍ، ومنه: "زعَموا" مطيَّةُ الكذب.

و"ما" في ﴿كَمَا﴾ يجوز أن تكونَ كافَّةً مثلَها في "ربَّما"، ومَصْدريَّةً مثلَها في ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة ٩/٢٥].

واللام في ﴿ٱلنَّاسُ﴾ للعهد؛ أي: كما آمَن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَن معه، وهم ناسٌ مَعْهودون، ....

قوله: (أُلِّف) أي: رُكِّب. وقوله: (ضُرِبَ) في محلّ المفعول القائم مقام فاعل "أُلِّف"، فكأنّه قال: أُلِّف هذا اللفظ.

قوله:[١] (ومنه) أي: من الإسناد إلى لفظ الفعل.

قوله:[٢] (زعموا) مبتدأ، خبره (مَطيّة[٣] الكذب) أي: هذا اللفظ مطيّة[٤] الكذب؛ لأنّ الناس يتوصّلون به إلى الكذب ورواجه، فإنّ مَن أراد أن يكذب يقول: زعموا، أي: زعم الناس كذا، فيُروّج بهذا القول كَذِبه.

قوله: ("ما" في "كما") يجوز أن تكون كافّة تكفُّ حرف الجرّ عن العمل فيدخل على الجملة.

قوله:[٥] (مثلها) أي: مثل "ما" في ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الحجر ١٥/٢]، وإنّما مثّلنا بذلك؛ لأنّ "ما" في "ربّما" لم تتعيّن أن تكون كافّة، بل يجوز أن تكون كافّة وأن تكون موصوفة.

قوله:[٦] (واللام في[٧] ﴿ٱلنَّاسُ﴾) للعهد وهذا يحتمل وجهين: الأوّل أن يكون المراد الرسول وجميع أصحابه؛[٨] لأنّهم كانوا معهودين بينهم، ينتقل الذهن من ذكر الناس إليهم خاصّة باعتبار ذكر الإيمان والإسلام. ويحتمل أن يكون المراد

---

١ ن: وقوله.
٢ ن: وقوله.
٣ ن: مَظِنّة.
٤ ن: مَظِنّة.
٥ ن: وقوله.
٦ ن: وقوله.
٧ ن – اللام في.
٨ قال الواحدي: «قال جميع المفسّرين: المراد بالناس في هذه الآية أصحاب محمّد صلى الله عليه وسلّم، والذين آمنوا به». **الوسيط** للواحدي، ٨٩/١ (البقرة، ١٣/٢). وانظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ١١٠/٣ (البقرة، ١٣/٢).

أو عبدُ الله بن سلامٍ وأشياعُه؛ لأنّهم مِن جِلدتهم ومِن أبناء جِنْسِهم؛ أي: كما آمَنَ أصحابُكم وإخوانُكم.

أو للجنس؛ أي: كما آمَنَ الكاملون في الإنسانيّة، أو جُعِلَ المؤمنون كأنّهم الناسُ على الحقيقةِ ومَن عَدَاهم كالبهائم في فَقْدِ التمييزِ بين الحقِّ والباطل.

والاستفهامُ في ﴿أَنُؤْمِنُ﴾ في معنى الإنكارِ، واللامُ في ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ ....

بعض أصحاب رسول الله عليه السلام،[١] وهم **(عبد الله بن سَلَام وأشياعه)**، وهم الذين[٢] أسلموا من اليهود وحَسُن إسلامهم.[٣] ثمّ أشار إلى عهديّتهم[٤] بقوله: **(لأنّهم)**... إلخ، وإلى وجه ذلك بقوله: **(أي: كما آمن)**، يعني: إنّما خُصُّوا بالذِّكر؛ لأنّهم أصحابهم، فذِكرُهم يصلح[٥] للتحريض والحضّ على الإيمان.

قوله:[٦] **(أو للجنس)**[٧] عطف على قوله: "للعهد". إذا كان اللام في ﴿ٱلنَّاسُ﴾ للجنس فيحتمل معنيين: **الأوّل** أن يكون المراد بالناس الكاملون في الإنسانيّة، فيفيد العموم في هذا المعنى؛ **والثاني** أن يراد جميع المؤمنين؛ لأنّ الناس في الحقيقة هم المؤمنون، لأنّهم هم الذين أعطَوا الإنسانيّة حقَّها، لأنّ فضيلة الإنسان على سائر الحيوانات[٨] بالعقل المُرشِد والفكر الهادي. وإنّما حمل على أحد هذين المعنيين؛ لأنّ اللام[٩] في الجمع حيث لا عهد تُفيد العموم.[١٠]

قوله: **(واللام في ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾)**، يعني: يجوز أن تكون اللام في ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ للعهد، ويجوز أن تكون للجنس. فإن كان للعهد فتكون إشارة إلى ﴿ٱلنَّاسُ﴾ في / قوله: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾، فالمراد: إمّا الرسول وأصحابه، أو عبد الله وأشياعه، [٨٣ظ]

---

١ ش – عليه السلام.

٢ ن – الإسلام، ويحتمل أن يكون المراد بعض أصحاب رسول الله عليه السلام، وهم (عبد الله بن سلام وأشياعه)، وهم الذين.

٣ انظر: **الكشف والبيان للثعلبي**، ١٠٩/٣-١١٠ (البقرة، ١٣/٢).

٤ ن: عهدتهم.

٥ ن: يفلح.

٦ ن: وقوله.

٧ ن: الجنس.

٨ ن: الحيوان.

٩ ن: الكلام.

١٠ من قوله: "إذا كان اللام" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٧٥/٢ (البقرة، ١٣/٢).

مُشارٌ بها إلى ﴿ٱلنَّاسُ﴾؛ كما تقولُ لصاحبك: إنَّ زيدًا قد سَعَى بك، فيقول: أو قَدْ فَعَلَ السَّفِيه.

ويجوز أَن تكون للجِنْس ويَنْطوي تحتَه الجَارِي ذِكْرُهم على زَعْمهم واعتقادهم؛

على تقدير كون اللام في ﴿ٱلنَّاسُ﴾ للعهد؛ أو المؤمنون بالمَعنيَين المذكورين، على تقدير كون اللام في ﴿ٱلنَّاسُ﴾ للجنس.

قوله: **(كما تقول لصاحبكَ)** يُشير إلى أنّ تعريف العهد لا يلزم أن يكون إشارة إلى الحاضر في الذهن حقيقة؛ بل هو إشارة إلى الحاضر في الذهن: إمّا حقيقة كقوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل ١٥/٧٣-١٦]، وإمّا مجازًا كقوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران ٣٦/٣] بعد قوله: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾ [آل عمران ٣٥/٣].[١]

قوله:[٢] **(سعى بك)**، يقال: سعى به إلى الوالي إذا وشى به.

قوله: **(أَوَقد فعَل)** الهمزة فيه للاستفهام، والواو للعطف على محذوف، أي: أَأَمْكَنه[٣] وقد فعَل، أو أَقْدَم[٤] على ذلك الفعل وقد فعَل.

قوله:[٥] **(وينطوي)** إذا كان اللام في ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ للجنس يندرج تحت السفهاء الناسُ الجاري ذِكرهم في قوله: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾، سواء كان اللام في الناس للعهد أو للجنس.

قوله:[٦] **(على زَعمهم)** مُتعلِّق[٧] بقوله: "ينطوي"؛ لأنّ اندراج الناس المذكور تحت السفهاء إنّما هو على زَعم المنافقين واعتقادهم، لا بحسب نفس الأمر، فإنّهم بحسب نفس الأمر[٨] أعقل بني آدم وأفضلهم وأشرفهم وأكرمهم.[٩]

---

١ انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٣١٦-٣١٧.
٢ ن: وقوله.
٣ ن: أمكنه.
٤ ن: وأقدم.
٥ ن: وقوله.
٦ ن: وقوله.
٧ ن: يتعلّق.
٨ ن – فإنّهم بحسب نفس الأمر.
٩ ن – وأكرمهم.

لأنّهم عندَهم أَعْرقُ الناس في السَّفهِ.

فإن قلتَ: لِمَ سَفَّهوهم واسْتَرَكُّوا عُقُولَهم وَهُم العقلاءُ المرَاجِيحُ؟

قلتُ: لأنّهم لجَهْلهم وَإِخْلالِهم بالنَّظَرِ وإِنْصافِ أَنْفُسهم اعْتَقَدُوا أنَّ ما هم فيه

قوله: (**لأنّهم عندهم**) أي: لأنّ المؤمنين عند المنافقين، أي: في زعمهم واعتقادهم. ويقال: أَعرَق الرجل إذا صار عريقًا: وهو الذي له عِرْق في الكرم. وأعرَقَ الشجر والنبات إذا امتدَّ عُرُوقه في الأرض وعرَق فلان في الأرض يَعرِق عُروقًا على مثال جلَس يجلِس جُلوسًا، أي: ذهب.[١] وقوله: (**أعرقُ**) هو[٢] من هذا[٣] لا من الأوَّلَين؛ لأنّ اسم التفضيل لا يُبنى إلّا من ثلاثيّ مُجرَّد.

قوله:[٤] (**سفّهوهم**) بالتشديد، أي: نسبوهم إلى السفاهة. وهذا من باب التعدية؛ لأنّ التعدية: أن تجعل الفعل لفاعل يُصيِّر مَن كان فاعلًا له قبل التعدية منسوبًا إلى الفعل، كقولك: فسَّقتُ زيدًا، أي: نسبتُه إلى الفِسق. وأمّا مَن قال: معنى التعدية أن يُضمَّن الفعل معنى التصيير، فيصير الفاعل في المعنى مفعولًا للتصيير فاعلًا لأصل الفعل، فيَرِد عليه هذا كما ورد عليه فسَّقتُه.[٥]

قوله:[٦] (**استركُّوا**) أي: عَدُّوا عقولهم ركيكة، أي: رقيقة قليلة، يقال: ركَّ الشيء، أي: رقَّ وضعُف. و(**المراجيح**): الحُلَماء،[٧] واحدها مِرجاح، ويقال: مَرجَح ومَراجِح.

قوله: (**وهم العقلاء**) حالٌ تنازَع فيه الفعلان.

قوله: (**لأنّهم**) أي: المنافقين.

قوله:[٨] (**وإنصاف**) عطف على قوله: (**بالنظر**).

قوله: (**لجَهلهم**) مُتعلِّق[٩] بقوله: (**اعتقدوا**). و"المتن" من الأرض" ما صلُب وارتفع. والمتنان: مُكتنفا الصُّلْب مِن العَصب واللحم.[١٠] يعني: أنّ المنافقين

---

[١] انظر: **الصحاح** للجوهري، «عرق».
[٢] ن: مؤمن.
[٣] ن: هنا.
[٤] ن: وقوله.
[٥] ن: فسقه.
[٦] ن: وقوله.
[٧] ن: الحكماء.
[٨] ن: وقوله.
[٩] ن: يتعلّق.
[١٠] انظر: **الصحاح** للجوهري، «متن».

هو الحقُّ وأنَّ ما عدَاه باطلٌ، ومَن رَكِبَ مَتْنَ البَاطلِ كان سَفِيهًا، ولأنَّهم كانوا في رِياسَةٍ وَسِطَةٍ في قوْمهم ويَسارٍ، وكان أكثرُ المؤمنين فقراءَ، ومنهم مَوَالٍ كصُهَيْب وبلالٍ وخَبَّابٍ، فدَعَوْهم سفهاءَ تحْقِيرًا لشأنهم.

أو أَرَادُوا عبدَ الله بنَ سلامٍ وأشياعَهُ ومُفَارَقَتَهم دِينَهم وما غَاظَهم من إسْلامهم وفَتَّ في أَعْضادهم.

قالوا ذلك على سبيل التجلُّد ....

اعتقدوا أنّ المؤمنين على الباطل، ومَن يكون على الباطل يكون سفيهًا فلذا سمَّوا المؤمنين سفهاء.[١]

قوله:[٢] (ولأنّهم) أي: المنافقين.

قوله: (وسِطَة) هي مصدر قولك: وَسُط فلان سِطَة ووِساطة فهو وَسَط ووسيط وهم وَسَط وأوساط، أي: خِيار. ومنه قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة ١٤٣/٢].[٣]

قوله:[٤] (أو أرادوا[٥] عبد الله وأشياعه ومفارقتَهم)[٦] مثل قولك: أعجبني زيد[٧] وكرمه.

قوله: "فتَّ في أعضاده"[٨] يقال: «فتَّ الشيء، أي: كسره، فهو مَفتوت وفتيت، ويقال: فتَّ عضُدي وهدَّ[٩] رُكني».[١٠] وإنما أدخل الجارّ في مفعوله؛ لأنّه أجراه مُجرى الفعل اللازم، ثمّ أَدخل حرف الجرّ في / مفعوله[١١] وجعله ظرفًا للمبالغة. [٩٨٣و]

قوله: (قالوا ذلك) بيان لقوله: "أرادوا عبد الله"... إلخ. وقوله: (على سبيل التجلُّد) حالٌ أو صفةُ مصدر. والتجلُّد: إظهار الجَلادة. و"التوقّي" والاتّقاء بمعنى.

---

١ ن: سفيها.
٢ ن: وقوله.
٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «وسط».
٤ ن: وقوله.
٥ ن: أرادوا.
٦ ن: ومعارفهم.
٧ ن: عبد.
٨ ن: أعضائه.
٩ ن: وهنا.
١٠ **الصحاح** للجوهري، «فتت».
١١ ن - لأنّه أجراه مُجرى الفعل اللازم، ثمّ أَدخل حرف الجرّ في مفعوله.

تَوَقِّيًا من الشماتَةِ بهم، مع عِلْمِهم أنَّهم منَ السَّفَهِ بمَعْزِلٍ.

قوله:[١] **(بهم)** أي: بالمنافقين، أي: قالوا ذلك احترازًا مِن أن يشمَت المؤمنون بالمنافقين.[٢]

و"﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾": «الجُهّال[٣] الذين قلَّت عقولهم، جمع السَّفِيه، ومصدره السَّفَه والسَّفاه والسَّفاهة. قال أهل اللغة: معنى السَّفه: الخِفّة».[٤] «يقال: سَفَّهتُ الريح الشجر إذا حرَّكته. قال ذو الرُّمّة:

جرَيْن كما اهتزّت رماحٌ[٥] تسفَّهتْ أعاليَها مرُّ الرياح النواسمِ[٦]

وقال أبو تمّام:

سَفيه الرمح[٧] جاهِلُه إذا ما بدا فضل السَّفيه على الحليمِ[٨]

أراد: سريع الطعن بالرمح[٩] خفيفه. وإنّما قيل لبذيء[١٠] اللسان: سَفيه؛ لأنّه خفيف لازدرائه».[١١]

و«سمّى الله تعالى النساء والصبيان سفهاء في قوله: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء ٥/٤]؛ لجهلهم وخِفّة عقلهم».[١٢] قال في **الكواشيّ**: «لا يقال للجاهل الساكت اللازم: سَفيه، وإنّما يقال: للسليط».[١٣]

---

١ ن: وقوله.

٢ ن - بالمنافقين.

٣ ن - الجهّال.

٤ **الوسيط** للواحدي، ٨٩/١ (البقرة، ١٣/٢)؛ **البسيط** للواحدي، ١٦٢/٢-١٦٣ (البقرة، ١٣/٢). وانظر بعضه في **تهذيب اللغة** للأزهري، «سفه»، ١٣٣/٦.

٥ ن: رياح.

٦ ن: الرواسم. | والبيت في **ديوان ذي الرُّمّة**، ٧٥٤/٢. والرِّواية فيه «رُويدًا كما اهتزَّت...». وهو له في **كتاب سيبويه**، ٦٥/١؛ وبلا نسبة في **تهذيب اللغة** للأزهري، «سفه»، ١٣٣/٦؛ و**البسيط** للواحدي، ١٦٣/٢ (البقرة، ١٣/٢). والرِّواية فيها جميعًا «مشينَ كما اهتزَّت...». وهو له في **الصحاح** للجوهري، «سفه»؛ **تفسير الرازي**، ٧٥/٢ (البقرة، ١٣/٢). وفي مطبوعهما «رياح» بدل «رماح».

٧ ن: الريح.

٨ البيت في **ديوانه**، ١٦١/٣؛ وهو له في **تفسير الرازي**، ٧٥/٢ (البقرة، ١٣/٢).

٩ ن - جاهله إذا ما بدا فضل السّفيه على الحليم. أراد سريع الطعن بالرمح.

١٠ ن: لهذي.

١١ **تفسير الرازي**، ٧٥/٢ (البقرة، ١٣/٢). وفي مطبوعه «... لأنّه خفيف لا رزانة له». وانظر بعضه في **البسيط** للواحدي، ١٦٣/٢ (البقرة، ١٣/٢).

١٢ **الوسيط** للواحدي، ٨٩/١ (البقرة، ١٣/٢)؛ **البسيط** للواحدي، ١٦٣/٢ (البقرة، ١٣/٢). وانظر: **تفسير الرازي**، ٧٥/٢ (البقرة، ١٣/٢).

١٣ **تفسير الكواشي**، ص ١٧٦ (البقرة، ١٣/٢).

والسَّفَهُ: سَخَافةُ العَقْل وخفةُ الحِلْم.

فإن قلتَ: لِمَ فُصِّلت هذه الآيةُ بـ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ والتي قَبْلَها بـ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾؟

وممّا يدلُّ على أنّهم[1] إنّما كانوا سفَّهوهم على سبيل التجلُّد توقِّيًا عن الشماتة ما روى أنس رضي الله عنه:[2]

أنّ عبد الله بن سَلَام سمع بمَقدَم رسول الله عليه السلام، وهو في أرضٍ يَخترِف،[3] فأتى النبيَّ عليه السلام، فقال: إنّي سائلك عن ثلاث، فما يعلمهن إلّا نبيّ: فما أوّل أشراط الساعة؟ وما أوّل طعام أهل الجنّة؟ وما يَنزِع الولد إلى أبيه أو إلى أُمّه؟ قال: أخبرني به جبرئيل[4] عليه السلام[5] آنفًا: أمّا أوّل أشراط الساعة فنار تحشُر الناس مِن المَشرق إلى المَغرب، وأمّا أوّل طعام يأكله أهل الجنّة فزيادةُ كبِد حُوت، وإذا سبق ماء الرجل ماءَ المرأة نزع الولدَ وإذا سبق ماءُ المرأة نزعَتْ. قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله. يا رسول الله إنّ اليهود قوم بُهْت، وإنّهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يَبهَتوني. فجاءت اليهود، فقال رسول الله عليه السلام: أيُّ رجُل عبد الله فيكم؟ قالوا: خيرُنا وابنُ خيرنا، وسيِّدنا وابن سيِّدنا، قال: أرأيتُم إن أسلم عبد الله، قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ[6] محمَّدًا رسول الله، فقالوا: شرُّنا وابن شرِّنا، فانتقصوه.[7] قال: هذا الذي كنتُ أخاف يا رسول الله.[8]

قوله:[9] **(لِمَ**[10] **فُصِّلت؟)** التفصيل مِن الفاصلة كالتَّقفية مِن القافية، وفُصِّلت الآية إذا جُعِل لها فاصلة.

---

١ ن: أنّهم.
٢ د - رضي الله عنه.
٣ يخترف: يجني الثمر. انظر: لسان العرب لابن منظور، «خرف».
٤ ن: جبريل.
٥ ش - عليه السلام.
٦ ن: وأشهد أنّ.
٧ ن: وانتقضوه.
٨ صحيح البخاري، ١٩/٦ (٤٤٨٠)؛ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي، ١٦٤٣/٣-١٦٤٤ (٥٨٧٠).
٩ ن: وقوله.
١٠ ن: فلِمَ.

قلتُ: لأنَّ أَمْرَ الدِّيانة وَالوقوفَ على أنَّ المؤمنِينَ على الحقِّ وهم عَلَى البَاطِلِ يحتاجُ إلى نظرٍ واستدلالٍ حتّى يكتسبَ النَّاظر المعْرِفَةَ.

وأمَّا النِّفاقُ وما فيه من البَغْيِ المؤدِّي إلى الفِتْنَةِ والفَسادِ في الأَرْض فأمْرٌ دُنْيَوِيٌّ مَبْنيٌّ على العادات مَعْلومٌ عند الناس، خصوصًا عِنْد العربِ في جَاهِلِيَّتهم وما كان قائمًا بينهم مِن التَّغَاوُر والتناحُر والتحارب والتحازُب، فهو كالمَحسُوس

قوله:[١] **(يحتاج)** خبر لـ**(أنّ)**. و**(حتّى)** غاية له.

قوله:[٢] **(وما كان)** مبتدأ، قوله: **(فهو كالمحسوس)** خبره. ودخول الفاء فيه: إمّا لتضمُّن قوله: "وما كان" معنى الشرط، وإمّا للعطف على قوله: **(وأمّا النفاق)**... إلخ، فكأنّه قال:[٣] وأمّا ما كان قائمًا بينهم فهو كالمحسوس. ويقال: «تغاور القوم، أي: أغار[٤] بعضهم على بعض».[٥] «وانتحر القوم على الشيء إذا تشاحُّوا[٦] عليه حرصًا، وتناحروا في القتال».[٧] وتحازبوا، أي: صاروا أحزابًا.[٨]

ثم اعلم أنّ قوله: "وأمّا النفاق"[٩] إلى قوله: **(في جاهليّتهم)** مُتعلِّق بالآية الأولى من الآيتين المُفصَّلتين بقوله: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾، أعني: قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾. وقوله: **(وما كان قائمًا)** إلى قوله: **(المُشاهَد)** مُتعلِّق بالآية الثانية منهما، أعني قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

هكذا أثبت تقرير هذا الموضع في حواشي **الكشّاف**. وفيه نظر؛ لأنّه لا معنى لتعلُّق قوله: **(وما فيه من البغي المُؤدِّي إلى الفتنة والفساد في الأرض)** بقوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾... إلخ، دون قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾،

[٨٣ظ] / ولا معنى أيضًا لتعلُّق قوله: **(وما كان بينهم من التغاور والتحارب)** بقوله:

---

١ ن: وقوله.

٢ ن: وقوله.

٣ ن - "وما كان" معنى الشرط، وإمّا للعطف على قوله: (وأمّا النفاق)... إلخ، فكأنّه قال.

٤ د: غار. | وما أثبتُّه يوافق مطبوع **الصحاح**.

٥ **الصحاح** للجوهري، «غور».

٦ ن: تشاجروا.

٧ **الصحاح** للجوهري، «نحر».

٨ ن: أحرارًا.

٩ ن: الساق.

المشاهَدِ، ولأنّه قد ذكَر السَّفهَ وهو جَهْلٌ فكان ذكرُ العلم معَه أحسَنَ طِباقًا له.

مساقُ هذه الآية بخلافِ ما سِيقَتْ له أوَّلُ قصَّة المنافقين، فلَيْس بتكريرٍ؛ لأنَّ

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾؛ فإن المراد بالفساد ليس ذلك على ما عرفتَ.[١]

بل الصواب أن نقول: قوله: "وما كان" عطف على قوله: "جاهليَّتهم". وقوله: "فهو كالمحسوس" نتيجة لِما تقدَّم من الكلام، أي: أمّا النفاق وما فيه من البغي المُؤدِّي إلى الفتنة كان معلومًا عند العَرب بسبب ما كان قائمًا بينهم في الجاهليّة من إغارة بعضهم على بعض ومحاربتهم، فكان أمر النفاق وما فيه من البغي كالمحسوس المُشاهَد عند العَرب.

قوله: (ولأنّه) عطف على قوله: (لأنّ أمر الديانة). وقوله: (طِباقًا) أي: مطابقة:[٢] وهي الجمع بين المتضادين، كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران ٢٦/٣].[٣]

قوله تعالى:[٤] ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

قوله: (مَساق هذه الآية) أي: سَوق هذه الآية، وهو قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾... إلخ، لمعنى خلاف المعنى الذي سِيقت له[٥] أوّل قِصّة المنافقين، يعني: قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾... إلخ، وإذا كان كذلك فليس هذا الكلام تكريرًا للمعنى المُتقدِّم، بل «هذا هو النوع الرابع من أفعالهم القبيحة».[٦] فقوله: "مَساق" مصدر ميمي بمعنى السوق، وهو مبتدأ، خبره قوله: (بخلاف).

قوله: (لأنّ) تعليل لكون سوق هذه الآية بخلاف ما سيق... إلخ، فالجارُّ مُتعلِّق بالخبر. والحاصل: أنّ تلك، أي: الآية التي في أوّل القصة، أعني: قوله:

---

١ ن: عرف.

٢ ن – عند العَرب. قوله: (ولأنّه) عطف على قوله: (لأنّ أمر الديانة). وقوله: (طِباقًا) أي: مطابقة.

٣ انظر: مفتاح العلوم للسَّكّاكي، ص ٥٣٣.

٤ ن – قوله تعالى.

٥ ن: إليه.

٦ تفسير الرازي، ٧٦/٢ (البقرة، ١٣/٢).

تِلك في بيانِ مَذْهبهم والتَّرجَمةِ عن نفاقهم، وهذه في بيانِ ما كانُوا يَعْملون عليه مع المؤمنين من التكذُّبِ لهم والاستهزاءِ بهم، ولقائهم بوجوهِ المصادِقين، وإيهامِهم أنّهم مَعهم، فإذا فارَقوهم إلى شُطَّارِ دينهم صَدَقُوهم ما في قلوبهم.

ورُوي: أنَّ عَبْدَ الله بنَ أُبَيّ وأصحابَه خَرجُوا ذات يوم فاستقبلهم نَفَرٌ

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾... إلخ، في بيان مذهبهم، أي: تُبيِّن أنَّ مذهبهم وطريقهم أنّهم يُؤمنون باللسان وفي قلوبهم الكفر. وأنَّ هذه الآية أعني ﴿وَإِذَا لَقُواْ﴾ في بيان أنّهم يَكذِبون المؤمنين،[١] أي: يقولون لهم الكذب ويستهزئون بهم، وإذا مضوا إلى شُطّار دينهم، أي: شياطينهم، صدَّقوهم، أي: يقولون لهم الصدق. و"الشُّطّار" جمع شاطر: وهو الذي أعيا أهله خبثًا، وقد شطَر وشطُر أيضًا بالضمّ، وهو بالفارسيَّة "بى باك".[٢]

فالمراد مِن قوله: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: أخلصْنا الإيمان بالقلب؛ لأنَّ الإقرار باللسان كان معلومًا بإظهارهم الإيمان قبل ذلك، كما دلَّ عليه قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾، فما كانوا يحتاجون إلى بيانه إنّما المشكوك فيه هو الإخلاص بالقلب، فكانوا يَكذِبون المؤمنين ويَصدُقون الكافرين، وأيضًا قولهم للمؤمنين: ﴿ءَامَنَّا﴾ يجب أن يُحمل على نقيض ما كانوا يُظهرونه لشياطينهم، وإذا كانوا[٣] يُظهرون لهم التكذيب بالقلب وجب أن يكون مُرادهم فيما ذكروه للمؤمنين التصديق بالقلب. فقوله: (في بيان) خبر لـ"أنّ". وقوله: (والترجَمة) عطف على قوله: "بيان". وقوله: (من التكذيب)[٤] بيان (ما). والضمير من (لهم) و(بهم) و(لقائهم) عائد إلى (المؤمنين).[٥] وقوله: (بوُجوه) مُتعلِّق بمحذوف حال من فاعل "لقائهم" المحذوف.

قوله: (ورُوِيَ) إلى قوله: (فنَزلَت) إشارة إلى سبب النزول وبيان للاستهزاء واللقاء بوجوه المُصادقين.

قوله: (ذات يوم) من إضافة المُسمّى إلى الاسم، أي: خرجوا في مُدّة صاحبة هذه اللفظة التي هي اليوم، واللفظة هي الاسم، والصاحبة هي المُسمّى.

---

١ ن: للمؤمنين.

٢ ن: "في مال".

٣ ن – يظهرونه لشياطينهم، وإذا كانوا.

٤ في مطبوع الكشّاف وما وقفت عليه من أصوله: التكذُّب.

٥ ن: المؤمنين.

من أصحاب رسول الله، فقال عبدُ الله: انْظُرُوا كيْفَ أَرُدُّ هؤلاء السُّفهاءَ عنكم، فأخذ بيدِ أبي بكرٍ رضي الله عنه فقال: مرحبًا بالصدِّيق سَيِّدِ بني تَيْمٍ وشيخ الإِسْلَام وثَانِي رَسُول اللهِ في الغار، الباذلِ نفسَه ومالَه، ثم أَخَذ بيدِ عمرَ فقال: مرحبًا بسيِّد بني عَدِيّ الفاروقِ القويّ في دينِ الله، الباذلِ نفسَه ومالَه لرسول الله، ثم أخَذ بيدِ عليّ فقال: مَرْحَبًا بابْنِ عمّ رسول الله وخَتنه سيِّد بني هاشمٍ ما خَلَا رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، ثم افترقُوا فقالَ لأَصْحَابه: كيفَ رَأَيْتموني فعلتُ؟ فأَثْنَوا عليه خَيْرًا فنزلَتْ.

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾

يقال: "لَقيْتُه ولاقَيْتهُ": إذا استقْبلته ....

فكأنّه قال: مُدّة مُسمّاة بهذا الاسم، وإذا كانت مُسمّاة به تكون صاحبتَه. وقول عبد الله: (انظروا كيف أردّ[1] هؤلاء)[2] يدلُّ[3] / على أن المنافقين إذا لقُوا المؤمنين كانوا يتداخَلهم هَيْبة من المؤمنين، ويخشَونهم ويخافون أن يطَّلع المؤمنون على نفاقهم، وكانوا يتلقَّون المؤمنين بوجوه المُصادقين ويُثنون عليهم. [٨٤و]

قوله:[4] (يقال لقِيتُه ولاقيْتُه إذا استقبلتَه) اعلم أنّه قد يُفسَّر الكلام بـ"إذا" كما يُفسَّر بـ"أيْ"،[5] تقول: عَسعس الليل إذا أَظلَم، فتجعل "أَظلَم" تفسيرًا لـ"عسعس": لكنّك إذا فسَّرتَ جملة فعليّة -أُسنِد فيها الفعل إلى ضمير المُتكلِّم- بـ"أيْ" ضممتَ تاء الضمير، فتقول: استكتمتُه سِرّي، أي: سألتُه كتمانه، بضمّ تاء "سألتُه"؛ لأنّك تحكي كلام المُعبِّر[6] عن نفسه. وإن فسرتَها بـ"إذا" فتحتَ فقلتَ: سألتَه كتمانه؛ لأنّك تُخاطبه، أي: أنّك تقول ذلك إذا فعلتَ ذلك الفعل.

---

[1] ن: أرهب.
[2] ن - هؤلاء. | انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ١١٢/٣-١١٣ (البقرة، ١٤/٢)
[3] ن: لا يدلّ.
[4] ن: وقوله.
[5] ن: بـ"إن".
[6] ن: الغير.

قريبًا منهُ، و: هو جارِي مُلاقِيَّ ومُراوِقِي.

وَقَرأَ أَبُو حنيفةَ رحمه الله: "وإِذَا لَاقَوا".

ولهذا قال بعض النحويين:[١]

إذا كَـنـيْـتَ[٢] بــأيْ فِـعـلًا تُـفـسِّـرهُ[٣] فـضُـمَّ تــاءكَ[٤] فيـه ضــمٌّ[٥] مُـعـتـرِفِ

وإن تـكـن بــإذا يـومًـا تُـفـسِّـرهُ ففتحـةُ[٦] التـاء أمـر غيـر مُختلـفِ[٧]

وإذا عرفتَ ذلك[٨] ظهر لك أن في كلام المُصنِّف حذفًا، فكأنه قال: يقال: لَقِيتُه ولاقيتُه، تقول ذلك: إذا استقبلتَه.

قوله:[٩] (قريبًا منه) حال.

قوله:[١٠] (هو جاري مُلاقيّ)[١١] عطف على قوله: "لَقِيتُه" فهو أيضًا في محلّ الرفع؛ لأنّه قائم مقام المفعول (يقال). وقوله: "مُلاقيَّ"،[١٢] أي: مُقابلي، وهو بتشديد الياء؛ لأنه اسم ناقص أُضيف إلى ياء المُتكلِّم نحو: قاضيّ وغازيّ.

قوله:[١٣] (مُراوقي) بتخفيف الياء، أي: رِواق بيته إلى رِواق بيتي. والرِّواق: سقف في مُقدَّم البيت، وجمع[١٤] القِلّة أَروِقة، والكثير رُوق.

قوله:[١٥] (وقرأ أبو حنيفة: ﴿وَإِذا لَاقَوا﴾)[١٦] هو في الكشّاف بفتح القاف وسكون الواو، وأمّا في قراءته فبفتح القاف وضمّ الواو؛ لالتقاء الساكنين، وهو ظاهر.

---

[١] ن + شعر.

[٢] ن: كنت.

[٣] ن: بغيره.

[٤] ن: تاء.

[٥] ن – ضمّ.

[٦] ن: مفتحة.

[٧] ما عرفتُ قائلهما. وهما بلا نسبة في **فتوح الغيب** للطيبي، ١٩٧/٢ (البقرة، ١٤/٢)؛ و**مغني اللبيب** لابن هشام، ٥٠٩/١؛ و**خزانة الأدب** للبغدادي، ٢٢٧/١١. وفي مطبوع الأخير «ففتحكَ التاء».

[٨] ن: هذا.

[٩] ن – قوله.

[١٠] ن: وقوله.

[١١] ن: يلاقي.

[١٢] ن: يلاقي.

[١٣] ن: وقوله.

[١٤] ن – وجمع.

[١٥] ن: وقوله.

[١٦] قراءة شاذّة، مروية عن أبي حنيفة وابن مِقسَم واليماني ويحيى بن يعمر. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٠؛ **المغني في القراءات** للنَّوْزوازي، ص ٣٨٦.

وخَلَوْتُ بفلان وإليه: إذا انْفَرَدْتَ مَعَهُ.

ويجُوزُ أَنْ يكونَ مِن خَلَا بمعنَى: مَضَى، وَخَلَاكَ ذَمٌّ؛ أي: عَدَاك ومَضَى عنك، ومنه: القُرونُ الخَالِيَةُ.

ومِن خَلَوتُ به: إذا سخِرْتَ مِنْهُ، وهو مِن قَوْلِكَ: خَلَا فلانٌ بِعِرضِ فلانٍ يَعْبَثُ به، ومَعْنَاهُ: وإذا أَنْهوا السخريَةَ بالمؤمنين ....

قوله:[١] (وخلوتُ[٢] بفلان) عطف على قوله: (لقِيتُه) أي: يقال: "خلوتُ بفلان"... إلخ.

قوله:[٣] (ويجوز أن يكون مِن "خلا") عطف على قوله: "وخلوتُ بفلان"؛ لأنّ قولكَ: "خلوتُ بفلان"... إلخ في معنى قولكَ: قوله تعالى: ﴿خَلَوْا﴾ من قولك: خلوتُ بفلان، والضمير مِن "قوله" يكون عائدًا إلى ﴿خَلَوْا﴾.

قوله: (وخلاك) عطف على قوله: "خلا". و(ذمٌّ) فاعله.

قوله: (ومنه) أي: من "خلا" بمعنى "مضى" قولُهم: (القرون الخالية) أي: الماضية.

قوله:[٤] (ومِن "خلوتُ") عطف على قوله: "مِن خلا".

قوله: (وهو) أي: "خلوتُ به" مأخوذ من قولكَ: خلا فلان.

قوله:[٥] (يعبث) أي: يلعب به، أي: بالعِرض.

قوله:[٦] (ومعناه) مبتدأ، أي: معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ على تقدير أن يكون مِن قولهم: خلوتُ به إذا سخِرتَ[٧] به.[٨]

قوله: (إذا أنهَوا) خبر لقوله: "معناه". والإنهاء: الإبلاغ، وأنهيت إليه الخبر فانتهى وتناهى، أي: بلغ. والباء من قوله: (بالمؤمنين) تعلّق[٩] بـ(السُّخرية).

---

١ ن: وقوله.
٢ ن: وخولت.
٣ ن: وقوله.
٤ ن: وقوله.
٥ ن: وقوله.
٦ ن: وقوله.
٧ ن: سجدت.
٨ ن - به.
٩ ن: متعلّق.

إلى شياطينهم وحدَّثوهم بها، كما تقول: أَحْمدُ إليك فلانًا، و: أَذُمّه إليك.

و﴿شياطينهم﴾: الذين ماثَلوا الشياطينَ في تمرُّدهم، وقد جعل سيبويه نونَ الشيطان في مَوْضعٍ من كتابِهِ أصليةً وفي آخر زائدةً.

والدليلُ على أصالتها قولُهم: تَشَيْطَنَ.

واشتقاقُه مِنْ شَطَنَ: إذا بَعُدَ؛ لبُعده من الصلاح والخير، ومن شاطَ: إذا بَطل،

و(إلى)[1] بـ"أنهَوا". وعلى هذا الوجه يكون الجارّ والمجرور محذوفًا؛ لأنّ خلا بهذا المعنى تعدَّى بالباء، أي: وإذا خلوا بالمؤمنين إلى شياطينهم.

قوله: (وحدَّثوهم بها) أي: حدَّث المنافقون شياطينهم بالسُّخرية.[2]

قوله:[3] (أحمدُ إليكَ فلانًا) أي: أُنهي إليك حَمْد فلان. وعن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنه:[4] «إنّي أَحمدُ إليكم غَسلَ الإحليل»،[5] أي: أُعلِمكم أنه أمر محمود،[6] وهذا من باب التضمين.

قوله:[7] (وشياطينُهم) مبتدأ، خبره (الذين ماثلوا) أي: شابهوا.

قوله:[8] (في تمرُّدهم) وجه الشبه.[9]

قوله: (تشَيطَن) أي: فَعل فعلًا مكروهًا.

قوله: (إذا) كلمة تفسير، فإنّه يُفسَّر بـ"إذا" كما يُفسَّر بـ"أيْ"، وهو في التحقيق ظرف للقول المحذوف، أي: من قولهم: شطَن إذا بَعُد. واللام في (لبُعده) مُتعلِّق بمحذوف، أي: سُمِّيَ به لبُعده. ومنه "بئر شَطُون". وعلى هذا وزنه / فَيْعال. [٨٤ط]

قوله:[10] (ومِن "شاط") عطف على (مِن "شَطَن"). والكلام في (إذا بطَل)

---

[1] ن: و(إن).

[2] ن - بالسُّخرية.

[3] ن: وقوله.

[4] د - رضي الله تعالى عنه.

[5] **المُصنَّف** لابن أبي شيبة، ٤٢٢/١ (٦٠٠)؛ **الفائق** للزمخشري، ٣١٤/١؛ **النهاية في غريب الحديث** لابن الأثير، ٤٣٧/١؛ **فتوح الغيب** للطِّيبي، ١٩٧/٢ (البقرة، ١٤/٢).

[6] انظر: **الفائق** للزمخشري، ٣١٤/١؛ **والتكملة والذيل والصلة** للصغاني، «حمد».

[7] ن: وقوله.

[8] ن: وقوله.

[9] ن: التشبيه.

[10] ن: وقوله.

إذا جُعلت نونُه زائدةً، ومن أَسْمائِه الباطلُ.

﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾: إنا مُصَاحبُوكم وموافِقوكم على دينكم.

فإن قلتَ: لِمَ كانَتْ مخاطبتُهم المؤمنينَ بالجملة الفعليّة وشياطينَهم بالِاسْمية محققةً بـ"إنَّ"؟

قلتُ: ليْسَ ما خاطَبوا به المؤمنينَ جديرًا بأقْوَى الكلامَيْنِ وأَوْكَدِهما؛ لأنّهم

كالكلام في **(إذا بَعُد)**. ومعنى "بطَل": هلَك؛ وذلك لهلاكه بمعصية الله تعالى. وقوله: **(إذا جُعِلت)** ظرف لقوله: **(اشتقاقه)**.

واختلف العلماء في أنّ هذا القائل: أَهُمْ كلّ المنافقين، أو بعضهم؟ فمَن يَحمِل "الشياطين" على كبار المُنافقين يَحمِل هذا القول على أنّه مِن صغارهم، فكانوا يقولون للمؤمنين: ﴿ءَامَنَّا﴾، وإذا عادوا إلى أكابرهم قالوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾، كيلا[١] يتوهَّموا فيهم المُباينة؛[٢] ومَن يقول في "الشياطين": المراد بهم الكُفّار لم يمنع إضافة هذا القول إلى كلّ المنافقين.[٣] قال الإمام: «ولا شُبهة في أنّ المراد بالشياطين أكابرُهم، وهم إمّا الكُفّار وإمّا أكابر المُنافقين؛ لأنّهم الذين يقدِرون على الإفساد في الأرض، أمّا الأصاغر فلا».[٤]

قوله: **(بالجملة الفعليّة)** وهو ﴿ءَامَنَّا﴾. وقوله: **(بالاسميّة)** أي: بقوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾.

قوله:[٥] **(بأقوى الكلامَين)** أي: بالجملة الاسميّة؛ لأنّها أقوى من الفعليّة.

قوله:[٦] **(أَوكَدِهما)** أي: أَوكَد الكلامين.

قوله:[٧] **(لأنّهم)** أي: لأنّ المنافقين، وهو تعليل لقوله: "ليس جديرًا".

---

[١] ن: لئلا.

[٢] ن: المبانة.

[٣] من قوله: "واختلف العلماء" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٧٦/٢ (البقرة، ١٤/٢).

[٤] **تفسير الرازي**، ٧٦/٢ (البقرة، ١٤/٢). وفي مطبوعه «بشياطينهم» بدل «بالشياطين».

[٥] ن – قوله.

[٦] ن: وقوله.

[٧] ن – قوله.

في ادِّعاء حُدُوثِ الإيمان منهم ونَشْئِهِ مِن قِبَلِهم لا في ادِّعاء أنّهم أوحَديُّون في الإيمان غيرُ مَشقوقٍ فيه غبارُهم، وذلك:

إمّا لأنَّ أنفسَهم لا تُساعدُهم عليه؛ إذ ليس لهم من عَقائِدهم باعِثٌ ومحرّكٌ، وهكذا كلُّ قول لم يَصْدر عن أَرْيَحيَّةٍ وصِدْقِ رَغْبَةٍ واعتقادٍ.

وإمّا لأنه لا يَرُوجُ عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة، وكيف يقولونه ويَطْمعُونَ في رَواجه وهم بَيْنَ ظَهْرَانَي المُهاجرين والأنصار الذين مَثَلُهم في التَّوْرَاةِ والإِنْجيلِ، ....

قوله:[1] (في ادِّعاء) خبر لـ"أنّ". وقوله: (منهم) مُتعلِّق بالحدوث.[2]

قوله:[3] (نَشئِه)،[4] أي: ظهوره. يقال: نشأ السحاب، أي: ارتفع.

قوله: (مِن قِبَلهم) أي: جهتهم.

قوله: (لا في ادِّعاء) عطف على قوله: "في ادِّعاء".

قوله:[5] (غيرُ مَشقوق) خبرٌ بعْد خبر لـ"أنّ". و"شقُّ الغُبار": عبارة عن الإدراك.

قوله: (فيه) أي: في الإيمان.

قوله: (وذلك) إشارة إلى أنّهم ليسوا في ادِّعاء[6] أنّهم[7] أوحديُّون.[8] و"الأريحيّة": النشاط.

قوله:[9] (وإمّا) عطف على قوله:(إمّا).

قوله: (وكيف؟) أي: كيف يَطمَعون في رَواج ذلك منهم؟ وهم بين الصحابة الذين هم أكيَس الناس وأعقَلهم، فلا يخفى ذلك عليهم.

قوله:[10] "بين ظَهرانَيْهم" يقال: هو نازل بين ظَهرَيْهم وظَهرانَيْهم، بفتح النون،

١ ن: وقوله.
٢ ن: بمحذوف.
٣ ن: وقوله.
٤ ن: يشبه.
٥ ن: وقوله.
٦ ن: ادّعائهم.
٧ ن - أنّهم.
٨ ن: وحديون.
٩ ن: وقوله.
١٠ ن: وقوله.

ألَا ترى إلى حكايةِ الله قولَ المؤمنينَ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ [آل عمران ١٦/٣].

وأمَّا مخاطبَةُ إِخْوانِهم فهم فيما أَخْبَرُوا به عن أَنْفسهم مِن الثبات على اليَهوْديَّةِ والقَرَار على اعْتقادِ الكُفْرِ والبُعْد من أن يَزِلُّوا عنه على صِدْق رَغبةٍ وَوُفورِ نشاطٍ وارتياحٍ للتكلُّم به، وما قالوه من ذلك فهو رائجٌ عنهم مُتَقَبَّلٌ منهم،

ولا يقال بكسر النون.[١] وأصل ذلك فيمَن كان بين القوم يحفظونه مِن العدوّ، فيكون مَن بين يديه مُتوجِّهًا إلى العدوّ ليدفعه عنه، وظهره إليه ويكون مَن خلفه أيضًا كذلك، فيكون هو بين ظَهرَيْهم، ثمّ عمَّ استعماله.[٢]

قوله: (**ألا ترى**)، يعني:[٣] لمّا كان قول المؤمنين عن اعتقادٍ أكّد بـ"إنّ".

قوله: (**وأمّا مخاطبة إخوانهم**) عطف على قوله: (**ليس ما خاطبوا**)...[٤] إلخ، يعني: وأمّا مخاطبة شياطينهم فجدير بأقوى الكلامين؛ لأنّهم على صِدق رغبة، ولأنّ الذين قالوه فهو رائج عنهم. وقوله: (**فهم**) مبتدأ، (**على صدق**) خبره. وقوله: (**فيما أخبروا**) حال من الضمير في مُتعلَّق الخبر.[٥] و(**من الثبات**) بيان "ما". وتنازع "الرغبة" و"النشاط" و"الارتياح" في قوله: (**للتكلُّم**). والضمير من (**به**) عائد إلى "ما" في قوله: "فيما أخبروا".

قوله:[٦] (**وما قالوه**) أي: الذي قالوه، مبتدأ، (**فهو رائج**) خبره. و(**من**) بيان "ما". و(**ذلك**) إشارة إلى ما أخبروا به من الثبات. والجملة معطوفة على قوله: "فهُم على صِدق رَغبة". وقوله: "فهُم[٧] فيما أخبروا به" إلى قوله: (**مُتقبَّل[٨] منهم**) جواب "أمّا"، فيكون في محلّ الرفع؛ لأنّه خبر المبتدأ، وفي الكلام حذف على ما أشرنا إليه. والضمير العائد مِن الجملة إلى المبتدأ هو في ذلك المحذوف. فتأمّل.

---

١ انظر: الصحاح للجوهري، «متن».
٢ الكلام بلفظ قريب في النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ١٦٦/٣.
٣ ن: بمعنى.
٤ ن: طبوا.
٥ ن: بالخبر.
٦ ن - قوله.
٧ ن: فهو.
٨ ن - مُتقبَّل.

فكان مَظَنَّةً للتحقيق ومَئِنَّةً للتوكيد.

قوله: (فكان)... إلخ، الضمير منه[١] عائد إلى "المُخاطبة"، وذَكّره؛ لأنّه في معنى الخِطاب، أو عائد إلى ما قالوه. الأوّل أوجَه؛ لأنّه كالنتيجة للكلام المُتقدِّم. ويجوز أن يكون قوله: (فكان مَظِنَّةً)[٢] جواب "أمّا". وقوله: "فهُم"... إلخ، كالتعليل، أي: وأمّا مُخاطبتهم فكان مَظِنَّةً للتحقيق،[٣] لأنّهم فيما أخبروا... إلخ.

قوله: (ومَئِنّة) أي: مَخْلَقة ومَجْدَرة. قال ابن مسعود: «إنّ طُول الصلاة وقِصَر الخُطبة مَئِنّة من فقه الرجُل المُسلِم».[٤] قال أبو عبيدة: معناه: أنّ هذا ممّا يُعرَف به فقه الرجل. وهي مَفْعِلة من "إنّ" التوكيديّة[٥] / وحقيقتها مكان لقول القائل: إنّه عالم وإنّه فقيه.[٦] [٨٥و]

وحاصل الجواب أنّه: ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرًا بأقوى الكلامين؛ لأنّهم كانوا في ادِّعاء حدوث الإيمان منهم، لا في ادّعاء أنّهم في الدرجة الكاملة: إمّا لأنّ أنفسهم لا تُساعدهم على المبالغة؛ لأنّ القول الصادر عن النفاق والكراهة[٧] قلَّما حصل معه المُبالغة، وإمّا لعِلمهم بأنّ ادّعاء الكمال في الإيمان لا يَرُوج على المسلمين. وأمّا كلامهم مع إخوانهم فكان جديرًا بأقوى الكلامين؛ لأنّهم كانوا يقولونه عن الاعتقاد، وعلِموا أنّ المُستمِعين يقبلون ذلك منهم، فلا جَرم كان التوكيد لائقًا به.[٨]

---

١ ن: فيه.

٢ ن: في مَظِنَّة.

٣ ن: للتخفيف.

٤ المعجم الكبير للطبراني، ٣٤٥/٩ (٩٤٩٣)؛ شُعب الإيمان للبيهقي، ٥٥/٧-٥٦ (٤٦٣٤)؛ الفائق للزمخشري، ٦٣/١. ورُوِيَ مرفوعًا من حديث عمّار بن ياسر رضي الله عنه في مسند أحمد، ٢٤٩/٣٠-٢٥٠ (١٨٣١٧)؛ وصحيح مسلم، ٣٨٦/١ (٨٦٩)؛ وصحيح ابن حِبّان، ٣٠/٧-٣١ (٢٧٩١)؛ وشُعب الإيمان للبيهقي، ٥٦/٧ (٤٦٣٥). واللفظ فيها «إنّ طُول صلاة الرجُل وقِصَر خُطبته مَئِنّة مِن فقهه».

٥ ن: التوكيد.

٦ من قوله: "أي: مخلقة" في المُغرِب للمُطرِّزي، «أنن». بتصرُّف يسير. وبعضه في الفائق للزمخشري، ٦٣/١.

٧ ن: الكرهة.

٨ من قوله: "ليس ما خاطبوا به" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٧٦/٢ (البقرة، ١٤/٢).

فإنْ قلتَ: أَنَّى تَعَلَّق قَوْلُه: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بقوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾؟

قلتُ: هو توكيدٌ له؛ لأنَّ قولَه: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ معناه الثباتُ على اليهوديَّة، وقولَه: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ رَدٌّ للإسلام ودَفْعٌ له منهم؛ لأنَّ المستهزئَ بالشيء المستخِفَّ به منكِرٌ له ودافعٌ لكونه مُعْتَدًّا به، ودَفْعُ نقيضِ الشيء تأكيدٌ لثباته.

أو بَدَلٌ منه لأنَّ مَن حَقَّرَ الإسلامَ فقد عَظَّمَ الكُفرَ.

أو استئنافٌ كأنَّهم اعترضوا عليهم حينَ قالوا لهُم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ فقالوا:

قوله: **(أنّى تعلَّق؟)** أي: كيف تعلَّق؟

قوله: **(هو توكيد له)** أي: (﴿**إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ**﴾) توكيد لقوله: (﴿**إِنَّا مَعَكُمْ**﴾).

قوله: **(ودفْعٌ له)** أي: للإسلام. والضمير مِن **(به)** و"له" و**(لكونه)**[1] و**(به)** و**(لثباته)** عائد إلى **(الشيء)**. واللام في "لكونه" مُتعلِّق بقوله: "دافِعٌ". وحاصله أن قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ دافِعٌ لنقيض قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾، وما كان دافعًا لنقيض الشيء يكون تأكيدًا له.

قوله: **(أو بدل)** عطف على **(تأكيد)**، يعني: هو بدل منه بدل[2] الكلّ؛ لأنّ قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ يدلُّ على تعظيم اليهوديّة. وقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ يدلُّ على تحقير الإسلام، وتحقير الإسلام[3] هو تعظيم الكفر، فيكون مدلوله مدلول الأوّل، مع اشتماله على زيادة معنى كما هو شأن بدل الكلّ. وقوله: **(أو استئناف)** عطفٌ على قوله: "بدل".

قوله:[4] **(كأنّهم)** أي: كأنّ رؤساء المنافقين، أو كأنّ الكُفّار -على ما مرّ- اعترضوا على المنافقين القائلين: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾.

قوله:[5] **(فقالوا)** أي: فقال الرؤساء أو الكُفّار للمُنافقين، وهو عطفٌ على قوله: **(اعترضوا)**.

---

[1] ن - و(لكونه).
[2] ن - منه بدل.
[3] ن - تحقير الإسلام.
[4] ن: وقوله.
[5] ن: وقوله.

فما بالُكم إنْ صحَّ أنكم معنا تُوافقُون أهلَ الإسلام؟! فقالوا: إنما نحن مستهزئون.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٥﴾

و"الاستهزاء": السُّخريَةُ والاستخفاف، وأصلُ الباب: الخِفَّةُ، من الهَزْءِ وهو القَتْلُ السَّريع، وهَزَأَ يَهْزَأُ: مات على المكان، عن بعضِ العرب: مَشيْتُ فلَغِبْتُ فظَنَنْتُ لأَهْزَأَنَّ على مكاني، وناقَتُهُ تَهْزَأُ به؛ أي: تُسْرِعُ وتَخِفُّ.

فإن قلتَ: لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لأنه متعالٍ عنِ القبيح، والسخريَةُ من باب العبَث والجَهْل، ألا ترى إلى قوله: ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ

قوله: (**تُوافِقون**) حال من الضمير في (**بالُكم**).[١] وقوله: (**إن صحَّ**) شرطٌ جوابه[٢] يُقدَّر من جنس ما تقدَّم.

قوله: (**فقالوا**) أي: فقال المُنافقون للرؤساء أو الكُفّار، وهو عطفٌ على قوله: "فقالوا". ثمّ إنّ المُصنِّف لمّا كان في بيان الاستئناف أورد قوله: "كأنّهم" بطريق الاستئناف.

قوله: (**فلَغِبْتُ**) مِن اللُّغوب: وهو التعب والإعياء، يقال: لَغَب يَلغُب لُغوبًا[٣] مِثْل قَعَد يَقعُد قُعودًا. وقوله: (**لَأهزأَنَّ**) أي: لَأموتَنَّ. قال الإمام: «وحدُّه: إنّه عبارة عن إظهار مُوافقة مع إبطان ما يَجري مَجرى السَّوء[٤] على طريقة السخرية. فعلى هذا معنى قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ نُظهِر لهم الموافقة على دينهم؛ لنأمَن شرَّهم،[٥] ونقِف على أسرارهم، ونأخذ من صدقاتهم وغنائمهم».[٦]

قوله: (**لا يجوز الاستهزاء**) واعلم أنّ قوله: (**على**) مُتعلِّق بقوله: "لا يجوز الاستهزاء".[٧] وتقريره أن نقول: الاستهزاء عبث وجهل، والعبث والجهل لا يجوز على الله تعالى، فالاستهزاء لا يجوز على الله تعالى. أمّا المُقدِّمة **الأولى** فنقول

---

١ ن - قوله: (تُوافِقون) حال من الضمير في (بالُكم).
٢ ن: جواب.
٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «لغب».
٤ ن: السرّ.
٥ ن: من شرهم.
٦ ن: وغنيماتهم. | **تفسير الرازي**، ٢/٧٦-٧٧ (البقرة، ٢/١٤). وفي مطبوعه «يعني نُظهِر».
٧ ن: لأنّ الاستهزاء.

أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة ٦٧/٢]، فما معنى استهزائه بهم؟

قلتُ: معناه: إنزالُ الهَوَانِ والحقارَةِ بهم؛ لِأَنَّ المُسْتهزِئَ غرضُه الذي يَرمِيهِ هو طَلَبُ الخِفَّةِ وَالزِّرَايَةِ بِمَن يَهْزَأُ به، وَإِدْخالُ الهَوَانِ والحقارةِ عليه،

في تقريره: أمّا كونه عبثًا؛ فلاشتماله على التلبيس[١] والسخرية، فيكون عبثًا؛ وأمّا اشتماله على الجهل فلقوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة ٦٧/٢]. وأمّا المقدّمة الثانية؛ فلأنّ العبث والجهل من الصفات القبيحة، والله تعالى مُتعالٍ عن القبيح.[٢]

والمُصنِّف قدَّم المقدّمة الثانية على الأولى، والمُطابِق[٣] للفظه[٤] أن نقول: الله تعالى مُنزَّه عن القبيح،[٥] والاستهزاء قبيح فالله مُنزَّه عن الاستهزاء،[٦] أي: لا يجوز عليه الاستهزاء. وإذا ثبت أنّه لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى بالحقيقة، فما معنى استهزائه بهم في قوله تعالى:[٧] ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾؟ وظهر لك ممّا ذكرنا أنّ قوله: / **(فما معنى)**... إلخ، جزاءُ شرط محذوف. [٨٥ظ]

قوله: **(معناه)** إلى قوله: **(شاهد لذلك)**، يعني أنّ مِن آثار الاستهزاء ولوازمه حصول الهَوان للمُستهزَأ به، فذَكر الاستهزاء والمراد[٨] الهوان، تعبيرًا بالسبب عن المُسبَّب.

قوله: **(غَرضُه)** مبتدأ، أي: هدفه، يعني: مطلوبه. وقوله: **(الذي يرميه)** صفة "غَرضُه". وقوله: **(طلب الخِفّةِ)**،[٩] أي: الاستخفاف،[١٠] خبره. والجملة خبر لـ**(أنّ)**. وقوله: **(الزِّرايةِ)** أي: العَيب عطفٌ على قوله: "الخِفّة"؛ فهو مكسور. وفي بعض **النُّسخ** مرفوع عطفٌ على "طلبُ".

قوله:[١١] **(وإدخال)** عطف على قوله: **(إنزالُ[١٢] هوانٍ)** فهو مرفوع.

---

١ ن: التلبس.
٢ ن: القبح.
٣ ن: المطابق.
٤ ن: للفظ.
٥ ن: القبح.
٦ ن – قبيح فالله مُنزَّه عن الاستهزاء.
٧ ن – تعالى.
٨ ن + به.
٩ ن – الخفّة.
١٠ ن: الاستحقاق.
١١ ن: وقوله.
١٢ ن – إنزال؛ هامش د ش ظ: إنزال.

والاشتِقاقُ كما ذَكرْنا شاهِدٌ لذلك.

وقد كثُرَ التهكُّمُ في كلامِ اللهِ بالكَفَرَةِ، والمرادُ بهِ: تحقيرُ شأنِهم وازْدِراءُ أمْرِهم، والدلالةُ على أنَّ مذاهِبَهم حَقِيقَةٌ بأَنْ يَسْخَرَ منها السَّاخِرون ويَضْحَكَ الضَّاحِكُونَ.

ويجوز أن يُرادَ به ما مرَّ في ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ مِن أنَّه يُجْرِي عليهم أحكامُ المسلِمينَ في الظاهر، وهو مُبطِّنٌ بادِّخارِ ما يُرادُ بهم.

قوله: (كما ذكرنا) أي: حيث ذكرنا معنى الاستهزاء.

قوله: (وقد كثر) إلى قوله: (الضاحكون) إشارة إلى أنّه[1] يُمكِن إجراء[2] الاستهزاء على حقيقته، فلا حاجة بنا إلى العُدول في معناه من الحقيقة إلى المجاز؛ وذلك لأنّ التهكم، أي: الاستهزاء، كثُر[3] في كلام الله تعالى. قولكم: "هو عبث"[4] ممنوع؛ إذ العبث[5] ما يكون خاليًا عن الفائدة، وهذا مُشتمِل على الفائدة، وهو أنّ الغرض تحقير[6] شأنهم والدلالة على أنّ مذهبهم جدير بالسخرية. وقولهم: "هو جهل" ممنوع أيضًا. والآية ما دلّت على أنّ كلّ استهزاء جهل؛ لجواز أن تكون في تلك الصورة التي ذكرتُم مُشتمِلة عليه لخلوه عن الفائدة.

وهذا التركيب،[7] أعني: قوله: (وقد كثر التهكُّم)... إلخ في هذا الموضع مثل قولهم: في مواضع أُخَر: على أنّه كذا، حيث يُشيرون به إلى الجواب بطريقة أخرى، فافهمْه.

قوله: (ويجوز أن يُراد) إلى قوله: (بهم) أي: يجوز أن يُراد[8] باستهزاء الله بهم أن يُظهِر الله تعالى لهم مِن أحكامه في الدنيا ما لهم عند الله خِلافُها في الآخرة كالأخذ من الصدقات والغنائم، كما أنّهم أظهروا للنبيّ عليه السلام وللمؤمنين أمرًا كان الحاصل معهم في السرّ خلافه.[9] فقوله: (وهو) يجوز أن يكون عائدًا إلى إجراء[10]

---

١ ن - أنّه.
٢ ن - إجراء.
٣ ن: أكثر.
٤ ش: عيب.
٥ ش: العيب.
٦ ن: تحقيره.
٧ ن: الترتيب.
٨ ن - إلى قوله: (بهم) أي: يجوز أن يُراد.
٩ انظر: تفسير الرازي، ٧٧/٢ (البقرة، ١٤/٢).
١٠ ن: آخر.

وقِيل: سُمِّي جزاءُ الاسْتهزاء باسمه؛ كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى ٤٢/٤٠] ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة ٢/١٩٤].

فإن قلتَ: كيْف ابتُدئ قولُه: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ ولم يُعْطَفْ على الكلام قَبْله؟

قلتُ: هو استئنافٌ في غايةِ الجَزَالة والفَخَامَةِ، ....

أحكام الإسلام لدلالة (يُجري) عليه، ويجوز أن يعود إلى الظاهر، أي: وفي بطن هذا الإجراء أو الظاهر[1] ادِّخارُ ما يُراد بهم من العذاب يوم القيامة. وإذا قيل[2] مثلًا: الثوب مبطَّن بالقطن، كان معناه: أنّ القطن في بطنه. وقال الإمام: «هذا التأويل ضعيف؛ لأنّه تعالى لمّا أظهر لهم أحكام الدنيا فقد أظهر الأدلة الواضحة بما يُعامَلون به في الدار الآخرة، من سوء المُنقلَب والعِقاب العظيم، فليس في ذلك مخالفة لمَا أظهر له[3] في الدنيا».[4] وفيما ذكره الإمام نظر؛ إذ لا شبهة أنّ الظاهر مُبطَّن بادِّخار ما يُراد بهم. غايته أنّ الدليل دلَّ على المُبطَّن به، وهذا لا يُنافي التبطين.

قوله: (**وقيل: سُمِّيَ**)... إلخ، أي: سمّى الله تعالى ما يفعله الله تعالى بهم جزاء على استهزائهم: بالاستهزاء؛ لأنّ جزاء الشيء يُسمَّى باسم ذلك الشيء، كما ذكر من الأمثلة، فيكون من المُشاكلة: «وهو أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته».[5]

قوله: (**كيف ابتُدِئَ؟**)[6] "كيف" سؤال عن الحال. وقوله: (**لم يُعطَف**) عطفٌ على "ابتُدِئ"، أي: على أيِّ حال ابتُدِئ؟ ولم يُعطَف على حال صحّته.

قوله:[7] (**هو استئناف**) فيه حذفٌ، كأنّه قيل: ابتُدِئ في صِحّة الابتداء؛ لأنّه استئناف... إلخ، وذلك لأنّ حِكاية حال المنافقين في الذي قبله لمّا كانت تُحرِّك

---

[1] ن: والظاهر.

[2] ن – قيل.

[3] ن: الله تعالى.

[4] **تفسير الرازي**، ٧٧/٢ (البقرة، ١٤/٢). وفي مطبوعه «... أظهره في الدنيا».

[5] **مفتاح العلوم** للسّكّاكي، ص ٥٣٣. وفي مطبوعه «وهي». وسبق ذِكر هذا التعريف مع أمثلة للمشاكلة في موضعين: عند الكلام على الآية الرابعة من سورة الفاتحة، وعند الآية التاسعة من سورة البقرة.

[6] ن – (كيف ابتُدئ).

[7] ن: وقوله.

وفيه: أنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ هو الذي يَستهزئُ بهم الِاسْتهزاءَ الأَبْلَغَ الذي ليسَ اسْتهزاؤُهم إليه باستهزاءٍ، ولا يُؤبَهُ له في مقابَلته؛ لِمَا يُنْزِلُ بهم مِن النَّكالِ ويُحِلُّ بهم من الهوانِ والذُّلِّ.

السامعين أن يسألوا: ما مصير[١] أمرهم وعُقبى حالهم؟ وكيف معاملة الله تعالى[٢] إيّاهم؟ لم يكن من المبالغة أن يَعرى الكلام عن الجواب، فلَزِم المصير إلى الاستئناف، فكان في موقع عظيم. وأصل "الجَزْل": ما عَظُم من الحطب. قال الشاعر:

فـوَيْـهًـا لـقِـدْرِك وَيْـهًـا لها   إذا اختِيرَ في المَحْل جَزْلُ الحطبْ[٣]

قال في مُجمَل اللغة: وإنّما اختير الجَزْل؛ لأنّ اللحم يكون غَثًّا فيُبطِئ نضجُه، ثمّ استعير الجَزْل[٤] للعطاء / والكلام، فقيل: أجزلَ له في العطاء.[٥] [٨٦و]

وجزالة هذا الاستئناف من الوجه الذي ذكرنا، ومن الوجهين اللذين أشار إليهما المُصنِّف: **الأوّل**: أنّ الله تعالى استهزأ بهم الاستهزاء العظيم الذي يصير استهزاؤهم في مقابلته كالعدم، **والثاني**: أنّه تعالى باشر الاستهزاء بهم ولم يُحوِج المؤمنين إلى الانتقام. وقوله: **(ليس استهزاؤهم)** أي: استهزاء المؤمنين.

قوله:[٦] **(إليه)** حال، أي: مُنتسِبًا إلى استهزاء الله تعالى[٧] ومَقيسًا[٨] إليه.

قوله: **(باستهزاء)** خبر ليس، والباء زائدة.

قوله:[٩] **(ولا يُؤبَه)** أي: لا يُعتدُّ ولا يعتبر. وقوله: **(له)**،[١٠] أي: لاستهزاء الكافرين[١١] بالمؤمنين[١٢] في مقابلة استهزاء الله تعالى بهم. يقال: ما أَبِهتُ له، بكسر الباء وفتحها، أي: «لم أعلم مكانه ولا أَنِستُ به».[١٣]

---

١ ن: يصير.
٢ ش – تعالى.
٣ ما عرفتُ قائله. وهو بلا نسبة في **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «جزل». وقال قبله: «أنشدنا القطّان عن ثعلب»؛ **والصحاح** للجوهري، «جزل»؛ **وأساس البلاغة** للزمخشري، «جزل».
٤ ن – الجزل.
٥ انظر: **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «جزل».
٦ ن: وقوله.
٧ ش – تعالى.
٨ ن: ومقتبسًا.
٩ ن: وقوله.
١٠ ن – (له).
١١ ن: المؤمنين.
١٢ ن: بالكافرين.
١٣ **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «أبه».

وفيه: أنَّ اللهَ هو الذي يتولَّى الاستهزاء بهم انتقامًا للمُؤمِنيْنَ، ولا يُحْوِجُ المؤمِنِينَ أَنْ يُعارِضُوهم باسْتهزاءٍ مِثْلِه.

فإن قلتَ: فهلَّا قيل: اللهُ مستهزئٌ بهم، ليكون طِبْقًا لقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾؟

قلتُ: لأنَّ ﴿يَسْتَهْزِئُ﴾ يفيدُ حدُوثَ الاسْتهزاءِ وتجدُّدَه وقتًا بعد وقتٍ، وهكذا كانت نكاياتُ اللهِ فِيهم وبَلَاياهُ النَّازِلةُ بهم: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة ١٢٦/٩]، وما كانُوا يَخْلُونَ في أكثرِ أَوْقاتِهم مِن تَهتُّكِ أَسْتارٍ وتكشُّفِ أسرارٍ، ونُزُولٍ في شَأْنِهم، واسْتِشْعارِ حَذَرٍ من أَنْ يَنْزِلَ فِيهم: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة ٦٤/٩].

قوله: **(طَبَقًا)** بفتح الطاء والباء، وفي بعض **النُّسخ** بكسر الطاء وسكون الباء، وهما بمعنى. من قولهم: «طابَقتُ بين الشيئين إذا جعلتَهما على حَذْوٍ[1] واحد».[2]

قوله: **(يفيد حدوث الاستهزاء)** أي: اللهُ يَستهزِئ بهم حالًا فحالًا على الاستمرار،[3] كما في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة ٧٩/٢]، أي: يكسبون حالًا فحالًا على الاستمرار.

قوله:[4] **(وهكذا)** خبر **(كانت)**، وهو إشارة إلى الحدوث والتجدُّد وقتًا فوقتًا. ثمّ استشهد على تجدُّد البلايا وحدوثها عليهم بقوله تعالى: (﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾)... إلخ. [التوبة ١٢٦/٩].

قوله:[5] **(وما كانوا)** عطف على قوله: "هكذا كانت". و"ما" نافية.

قوله:[6] **(ونزول)** أي: نزول آية. ثمّ استشهد على استشعار حذرهم بقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ﴾... إلخ [التوبة ٦٤/٩]. واستشهد على أنّهم لا يَخلون من تهتُّك أستار وتكشُّف أسرار ونزول في شأنهم بقوله تعالى: ﴿قُلِ اسْتَهْزِءُوا﴾ [التوبة ٦٤/٩]، فهو لفٌّ ونشر على غير الترتيب.

---

١ ن: حدّ.
٢ الصحاح للجوهري، «طبق».
٣ ن: الاستهزاء.
٤ ن: وقوله.
٥ ن: وقوله.
٦ ن: وقوله.

﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ﴾ مِنْ مَدَّ الجَيْشَ وأَمَدَّهُ: إذا زادَهُ وألحقَ به ما يُقَوِّيهِ ويُكَثِّرُه، وكذلك مدَّ الدَّاوةَ وأمَدَّها: زادَها ما يُصْلِحُها.

ومدَدْتُ السِّراجَ والأَرْضَ: إذا استصْلَحْتهما بالزَّيْتِ والسَّمادِ.

ومَدَّهُ الشَّيْطانُ في الغَيِّ وأَمَدَّه: إذا وَاصَلَه بالوَسَاوِسِ حتى يَتَلاحَقَ غَيُّهُ ويَزْدادَ انْهِمَاكًا فيه.

فإن قلتَ: لِمَ زَعَمتَ فيه أنَّه مِنَ المدَدِ دونَ المدِّ في العُمْرِ والإِمْلاءِ والإِمْهالِ؟

قلتُ: كفَاكَ دليلًا على أنَّه من المدَدِ دونَ المدِّ قِرَاءَةُ ابن كَثِيرٍ وَابْنِ مُحَيْصِنٍ:

قوله: (**مِن: مدَّ الجيشَ**) فمعنى يَمدّهم في طغيانهم: يُوليهم ويُعطيهم مَدَدًا. ومدَّ الجيشَ: أعطاه مددًا. و(**السَّماد**): السِّرجين[١] والرَّماد. وفي الكلام لفٌّ ونشر، أي: استصلحتُ السِّراجَ بالزيت والأرضَ بالسَّماد.

قوله: (**انهماكًا**)،[٢] أي: توغلًا، تمييز. يقال: انهمك الرجل في الأمر إذا جدَّ ولجَّ.

قوله: (**لِمَ زعمتَ؟**) اعلم[٣] أنّ بعض المفسِّرين قالوا: إنّه من المَدّ في العمر.[٤] و(**الإملاء**)، يقال: «أمليتُ له في غَيّه إذا أطلتَ[٥] مُهلته، وأملى الله له، أي: أَمهله وطوَّل له، وأمليتُ البعير إذا وسَّعتَ له في قيده».[٦]

قوله: (**كفاك دليلًا**) أشار المُصنِّف إلى أنّ أخذه من المدّ ضعيف من وجهين:

---

١ السِّرجين: الزِّبل والرَّوث. تُدْمَل به الأرض، أي: تُصلَح. فارسيٌّ مُعرَّب، وأصله فيها "سَرْكِين" بمعنى: رَوْث الحيوانات، خصوصًا ما جُفِف منه لاستعماله وقودًا. انظر: **المُعرَّب** للجواليقي، ٣٧٤، والتعليقات البديعة لمُحقِّقه ف. عبد الرحيم الهِندي؛ **والمصباح المنير** للفيومي، «سرج»؛ ولسان **العرب** لابن منظور، «سرجن»، «دمل».

٢ د: (وانهماكًا). | وليست الواو في مطبوع **الكشّاف** ولا فيما وقفت عليه من أصوله.

٣ ن - اعلم.

٤ قال الواحدي: «قال أهل التفسير في قوله: ﴿يَمُدُّهُمْ﴾، أي: يُمهلهم ويُطوّل أعمارهم ومدَّتهم». **البسيط**، ١٧٤/٢ (البقرة، ١٥/٢). وانظر: **الوسيط** للواحدي، ٩٢/١ (البقرة، ١٥/٢). واختار الرازيُّ تخطئة هذا القول. انظر: تفسير **الرازي**، ٧٨/٢ (البقرة، ١٥/٢).

٥ ن: أطلعت.

٦ **الصحاح** للجوهري، «ملا». وليس في مطبوعه لفظ «مهلته».

"ويُمِدُّهم"، وقراءةُ نافع: "وإخوانهم يُمِدُّونهم" على أنّ الذي بمعنى "أمْهَله" إنما هو "مَدَّ له" مع اللام كـ"أَمْلَى له".

فإنْ قلتَ: فكيف جاز أنْ يُولِيَهم اللهُ مَدَدًا في الطُّغْيانِ وهو فعلُ الشياطين، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ [الأعراف ٧/٢٠٢]؟

قلتُ: إمَّا أنْ يُحمَلَ ....

الأوّل: ما جاء من القراءة هنا بضمّ الياء،[1] وهو من الإمداد بلا شبهة، وذلك يدلُّ على أنّ القراءة بفتح الياء من المَدّ، ولِما مرَّ أنّ مدَّ الجيش وأمدَّه بمعنى، وهما من المَدَد؛ وكذا ما جاء في موضع آخر (﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يُمِدُّونَهُمْ﴾ [الأعراف ٧/٢٠٢])، بضمّ الياء،[2] بهذا المعنى.

قوله: (على أنّ الذي) إشارة إلى الوجه الثاني، يعني: أنّ الذي بمعنى "أَمهل" يُستعمل[3] باللام.

قوله: (فكيف جاز؟) أي: إذا ظهر أنّه من مدّ[4] الجيش فكيف جاز إسناده إلى الله تعالى، والإمداد[5] في الطغيان فعل الشيطان؟

قوله:[6] (إمّا أن يُحمَل) اعلم أنّ المعتزلة قالوا: لا يمكن إجراء هذه الآية على ظاهرها؛ لأنّ الله تعالى أضاف الغيَّ إلى إخوانهم بقوله: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ [الأعراف ٧/٢٠٢]، فكيف يكون مُضافًا إلى الله تعالى؟

ثمّ قالوا: تأويل الآية من ثلاثة أوجه:

الأوّل: تأويل الكعبيّ وأبي مسلم الأصفهانيّ: وهو أنّ الله تعالى لمّا منعهم ألطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم عليه

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مُحيصن وشبل عن ابن كثير. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٠؛ وشواذّ القراءات للكرماني، ص ٥١؛ والمغني في القراءات للنّوزوازي، ص ٣٨٧.

٢ وهي قراءة نافع من السبعة. انظر: السبعة لابن مجاهد، ص ٣٠١؛ والتيسير للداني، ص ٣٦٥.

٣ ن: مستعمل.

٤ ن: هذا.

٥ ن: والإملاء.

٦ ن - قوله.

على أنهم لمَّا منَعهم اللهُ أَلطَافَه التي يَمْنَحُها المؤمنِين، وخَذَلَهم بسبب كُفْرِهم وإِصْرارهم عليه، بقِيَت قُلُوبُهم يَتَزايَدُ الرَّيْنُ والظُّلمةُ فيها تَزَايُدَ الانشراحِ والنُّور في قلوبِ المؤمنين، فسمِّي ذلك التزايدُ مَدَدًا، وأُسنِدَ إلى الله سُبحانه لأنَّه مُسبَّبٌ عن فعله بهم بسببِ كفرهم.

وإمَّا على مَنع القَسْرِ والإِلْجَاء.

وإمَّا على أَنْ يُسْنَدَ فِعْلُ الشيطان إلى الله تعالى لأنَّه بتمكينِه وإقدارِه

بقيت قلوبهم مُظلِمة يتزايد الرَّيْن[١] -وهو: صدأ[٢] القلب- فيها، أي: في قلوبهم، مثل تزايد الانشراح في قلوب المؤمنين.[٣]

[٨٦ظ] فقوله: (بقِيَت) جواب (لمّا). وقوله: (يتزايد) / حال من (قلوبهم)، و(تزايُدَ) مفعول مطلق. وقوله: (فسُمِّيَ) عطف على قوله: "بقيت". وقوله: (أُسنِد) أي: التزايد عطف على سُمِّي.

قوله:[٤] (لأنّه) أي: لأنّ التزايد.

قوله: (عن فعله بهم) وهو منع الألطاف منهم. وقوله: (بسبب) مُتعلِّق بقوله: "فعله".

قوله:[٥] (وإمّا) أي: وإمّا أن يحمل المدُّ. التأويل الثاني: أن يُحمَل المدُّ على منع القسر،[٦] فإنّه لمّا لم يقسرهم على الإيمان فكأنّه مدّهم في الطغيان، كما قيل: «السفيه إذا لم يُنهَ مأمور».[٧]

قوله: (وإمّا على أن يُسنَد) هذا هو التأويل الثالث. وقوله: (بتمكينه) خبر (لأنّه)

---

١ ن: الدين.

٢ ن: ضد.

٣ من قوله: "اعلم أنّ المعتزلة" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٧٨/٢ (البقرة، ١٥/٢). وفيه بقيّة الوجوه الثلاثة التي أشار إليها المُصنِّف.

٤ ن: وقوله.

٥ ن: وقوله.

٦ ن: التقسير.

٧ ن: مأمورا. | **جمهرة الأمثال** للعسكري، ٥١٢/١. بلفظ «إنّ السفيه إذا لم يُنه مأمور». وهو جزء بيت للأحوص الأنصاري في **ديوانه**، ص ١٦١. وهو قوله:

بنـي هِـلال ألا فانهَـوا سـفيهكمْ
إنّ السـفيه إذا لـم يُنـه مأمـورُ

والتَّخْليةِ بينه وبينَ إغْواءِ عِبادِه.

فإن قلتَ: فما حَملَهم على تفسير المدِّ في الطغيان بالإمْهال، وموضوعُ اللغة كما ذكرتَ لا يُطاوع عليه؟

قلتُ: استَجرَّهم إلى ذلك خَوْفُ الإقدام على أن يُسْنِدوا إلى الله تعالى ما أُسِند إلى الشياطين، ولكنَّ المعنى الصحيحَ ما طابقه اللفظُ وشَهِدَ بصحته، وإلَّا كان منه ....

أي: لأنّ فعل الشيطان حصل بتمكين الله تعالى[١] الشيطان من الإغواء،[٢] وبإقدار الله تعالى إيّاه على الإغواء، وبـ(**التخلية**) أي: بتخلية الله تعالى بين الشيطان وبين الإغواء.

قوله: (**فما حملهم؟**) "ما" استفهاميّة، يعني: أيُّ شيء حمل المُفسِّرين الآخرين؟

قوله:[٣] (**كما ذكرتَ**) وهو أنّ الذي بمعنى "أمهله" إنّما هو مدّ له مع اللام.

قوله: (**عليه**) أي: على هذا الحمل.

قوله: (**استجرَّهم**) أي: جرَّهم، والسين للمبالغة.

قوله: (**إلى ذلك**) أي: إلى تفسير المدّ بالإمهال.

قوله:[٤] (**ولكنّ المعنى**) استدراك من حيث المعنى من قوله: "استجرَّهم"، فكأنّه قالوا: راعَوا المعنى من وجه؛ لأنّ إسناد المَدَد[٥] في الضلالة إليه تعالى إسناد للقبيح إليه تعالى، بخلاف إسناد الإمهال؛ فإنّه ليس كذلك لكن أخلُّوا به من وجه آخر، لأنّ اللفظ لا يُطابقه.

قوله: (**وشُهِد**) أي: اللفظ. والضمير من (**صحته**) عائد إلى (**ما طابقه**).

قوله: (**وإلّا**)،[٦] أي: وإن لم يُطابقه اللفظ ولم يَشهد. والضمير من (**كان**) لـ(**اللفظ**)، ومن (**منه**) لـ"المعنى"، أو بالعكس، والأوّل أَوجَه. أي: كان المعنى

---

١ د ش – تعالى.
٢ ن: الإغراء.
٣ ن: وقوله.
٤ ن: وقوله.
٥ ن: المدّ.
٦ ش: قوله: (ولا).

بمنزِلةِ الأَرْوَى من النَّعام.

ومِن حقِّ مفسِّر كتابِ الله الباهِر وكلامِه المعجِز أن يتعاهَدَ في مَذَاهبه بقاءَ النَّظم على حُسْنِه والبلاغةِ على كمالها، وما وقعَ به التحدِّي سَليمًا من القادح، فإذا لم يتعاهَدْ أوضاعَ اللُّغة فهو من تعاهُد النَّظْم والبلاغةِ على مَرَاحِلَ.

ويَعْضُد ما قلناه قولُ الحسَن في تفسيره: في ضلالتِهم يتمادَوْنَ، ....

من ذلك اللفظ بعيدًا فلا يدلُّ ذلك اللفظ على ذلك المعنى. وقوله: "منه" حال من اسم "كان". وقوله: (بمنزلة الأَرْوى) خبر "كان"، أي: كان المعنى مُبتدِئًا من اللفظ بمنزلة الأَرْوى مُبتدِئًا (مِن النَّعام). و"الأروى": الوَعْل،[١] وهو يكون في الجبال؛ و"النَّعام" في البوادي.[٢] ومَن جاء بمعنًى لا يُطابقه اللفظ[٣] يُضرَب له هذا المَثَل.[٤]

قوله:[٥] (بقاء) مفعولُ (يتعاهد). و(البلاغة) عطف على (النظم).

قوله: (وما وقع) عطف عليه أيضًا، يعني:[٦] يجب على مَن يُفسِّر كلام الله تعالى أن يراعيَ حُسْن النظم، يعني: أن يُفسِّر على وجه يبقى حُسْن النظم وكمال البلاغة ووجه الإعجاز، وهؤلاء قد أخلُّوا بالأوضاع اللغويّة،[٧] ومَن أخلَّ بالأوضاع فكيف يُمكن أن يقال: إنّه أبقى حُسْن النظم وكمال البلاغة؟

قوله:[٨] (في تفسيره) أي: في تفسير[٩] قوله تعالى: ﴿يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. وقوله: (في ضلالتهم يتمادَون) مَقولُ[١٠] قول الحَسَن، أي: يبلغون المَدى في الضلالة. وهذا يُناسب المَدَد دون المَدّ في العمر والإمهال.

---

١ الأروى: أنثى الوَعْل، واحدته أُرْوِيّة. لسان العرب لابن منظور، «روي». المُستقصى للزمخشري، ٢/٣٣٥.
٢ انظر لمسكن النعام والأروى: الحيوان للجاحظ، ٤/٣٥٢.
٣ ن – اللفظ.
٤ والمثل هو قولهم: «ما يجمع بين الأروى والنعام». مجمع الأمثال للميداني، ٢/٢٧١؛
٥ ن: وقوله.
٦ ن: أي.
٧ ن: الكفرية.
٨ ن – قوله.
٩ ن – أي: في تفسير.
١٠ ن: مفعول.

وأَنَّ هؤلاء من أهل الطبع، والطُّغيانُ: الغُلوُّ في الكفر ومجاوزةُ الحدِّ في العُتُوِّ.

وقَرأَ زَيْدُ بن علي رضي الله عنهما: "في طِغيانهم" بالكسر، وهما لغتان كَلُقْيانٍ ولِقْيانٍ وغُنْيانٍ وغِنْيانٍ.

فإن قلتَ: أَيُّ نُكتةٍ في إضافته إليهم؟

قوله:[١] (وأنّ هؤلاء من أهل الطَّبْع) مَقولُ قول الحَسَن أيضًا. والمُناسِب فيه كسر "إنّ"، وإن كان النُّسخ مُقيَّدًا بالفتح،[٢] وسماعنا بالفتح أيضًا.

قوله: (والطغيان: الغُلُوّ)[٣] «وكل شيء جاوز القَدر فقد طغا، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة ١١/٦٩]. وقيل لفرعون: إنّه طغى، أي: أسرف، حيث ادَّعى الربوبيّة».[٤]

قوله:[٥] (كـ"لُقْيان" و"لِقْيان") هما مصدر لَقِيته لِقاء بالمدِّ، ولُقًى بالضمّ والقصر، ولُقيًّا بالتشديد. و"الغُنيان": الغِنى. قال قَيس بن الخَطِيم:[٦]

أَجَدَّ بِعَمْرة غُنيانُها فتَهجُرَ[٧] أم شأنُنا شأنُها[٨]

قوله:[٩] (أيُّ نُكتة؟) أي: لطيفة، / مِن نكَت في الأرض إذا ضرَبها وخطَّ فيها. [٨٧و]

قوله:[١٠] (في إضافته) أي: إضافة الطغيان، حيث قال: ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾ ولم يقل: في الطغيان.

---

١ ن: وقوله.

٢ ن - مُقيَّدًا بالفتح.

٣ ن + وقوله.

٤ **الوسيط** للواحدي، ٩٢/١ (البقرة، ١٥/٢). وانظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٢٧/٣ (البقرة، ١٥/٢)؛ و**البسيط** للواحدي، ١٧٤/٢-١٧٥ (البقرة، ١٥/٢)؛ و**تفسير الرازي**، ٧٩/٢ (البقرة، ١٥/٢).

٥ ن: وقوله.

٦ د ش ن: خطيم.

٧ ن: فهجر.

٨ في **ديوانه**، ص ٦٦. وفيه: «أجدّ، يعني: أستمرّ؟ وغُنيانها: استغناؤها... وعمرة: أمّ النعمان بن بشير الأنصاري، وهي أخت عبد الله بن رواحة». والبيت لابن الخطيم في **الصحاح** للجوهري، «غني».

٩ ن: وقوله.

١٠ ن: وقوله.

قلتُ: فِيها أن الطُّغيانَ والتمادِيَ في الضَّلالةِ ممَّا اقتَرَفَتْهُ أنفسُهم واجْتَرَحَتْهُ أَيْديهم، وأَنَّ اللهَ بريءٌ منه؛ رَدًّا لاعتقادِ الكَفَرة القائلين: لو شاء اللهُ ما أشرَكْنا، ونَفيًا لِوَهْم مَن عسَى يَتوهَّمُ عند إسنادِ المَدِّ إلى ذاته تعالى لو لم يُضِف الطُّغْيَانَ إليْهم أنَّ الطغيانَ فِعْلُه، فلمَّا أَسْنَدَ المدَّ إليه ....

قوله:[1] (**فيها أنّ الطغيان**) الضمير لـ"الإضافة". والجارّ والمجرور خبر مبتدأه "أنّ" مع ما بعده.

قوله:[2] (**وفي الضلالة**)[3] مُتعلِّق بـ(التمادي). وقوله: (**ممّا اقترفَته**) أي: اكتسبته، خبر "أنّ"، و(**اجترحَته**) بمعناه. والضمير من قوله: (**منه**)[4] عائد إلى كلّ واحد من "الطغيان" و"التمادي".[5]

قوله: (**ردًّا**) مفعول له ممّا دلَّ عليه قوله: "فيها أنّ الطغيان"، فكأنّه قال: أثبت الله تعالى في إضافة الطغيان إليهم أنّ الطغيان[6] ممّا[7] اكتسبتهم أنفسهم؛ ردًّا لاعتقاد الكفرة، فحذف اللام؛ لأنّه فعل لفاعل الفعل المُعلَّل، لأنّ مُثبِت[8] هذا المعنى في ذلك اللفظ، ورادُّ الاعتقاد هو الله تعالى. وقوله: (﴿**لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا**﴾ [الأنعام ١٤٨/٦]) مقول القائلين.

قوله:[9] (**نفيًا**) عطف على قوله: "ردًّا".

قوله: (**إلى ذاته**) أي: إلى ذات[10] الله تعالى.

قوله:[11] (**أنّ الطغيان**) مفعول (**يتوهّم**). وقوله: (**عند**) ظرف "يتوهّم". وقوله: (**لو لم يُضَف الطغيان إليهم**) في محلّ الحال. وقوله: "يتوهّم"...[12] إلخ، خبر (**عسى**).

---

١ ن: وقوله.
٢ ن: وقوله.
٣ د: وفي الضلالة؛ ن: وفي الضلال.
٤ ن: أنّ منه.
٥ ن: المتمادي.
٦ ن - أنّ الطغيان.
٧ ن: بما.
٨ ن: فثبت.
٩ ن: وقوله.
١٠ ن: ذات.
١١ ن: وقوله.
١٢ ن - يتوهّم.

على الطريق الذي ذُكر أضاف الطُّغيانَ إليهم ليُمِيطَ الشُّبْهَةَ وَيَقْلَعَهَا ويَدْفَع في صَدْرِ مَنْ يُلْحِدُ في صفاته.

وَمِصْدَاقُ ذلك: أنّه حِينَ أَسْنَد المدَّ إلى الشَّياطِين أَطْلَق الغَيَّ ولم يُقَيِّدْه بالإضافة في قَوْلِه: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ [الأعراف ٢٠٢/٧].

قوله: (**على الطريق الذي ذُكِر**) وهو منع الألطاف، وغير ذلك من المعنيين، على ما مرّ.

قوله: (**ليُميط**) أي: ليُبعِد.

قوله:[١] (**يُلحِد**)،[٢] أي: يَميل عن الحقّ. و"مِصداق الشيء": ما يُعرَف به صِدقه،[٣] كأنّه آلة معرفةِ صِدقه، كالمِعيار لِمَا يُعرَف به عِيار الشيء.

قوله: (**بالإضافة**) مُتعلِّق بقوله: (**لم يُقيِّده**).[٤] وقوله: (**في قوله**) يجوز أن يكون ظرفًا لقوله: (**أسند**)، ويجوز أن يكون ممّا يُنازِع فيه (**أطلق**) و"لم يُقيِّد".[٥]

وهذا التقرير[٦] بناء على مذهب المعتزلة، وأمّا نحن فنقول: ليس نُكتة الإضافة ما ذكر، بل نُكتتها[٧] أنّه أُرِيد الطغيان الذي عُرِف لهم، واشتهر بصدوره عنهم. ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء ١٩/١٧]، أي: السعي الذي يناسب الآخرة؛ وقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة ١/٩٩]، أي: زلزالها[٨] الذي تَستوجبها الأرض في الحكمة[٩] ومشيئة الله تعالى، وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده زلزال. ونحوه قولك: أَكرِمِ التقيَّ إكرامَه،[١٠] وأَهِنِ الفاسقَ إهانتَه،[١١] تُرِيد ما يَستوجبانه[١٢] من الإكرام والإهانة.

---

١ ن: وقوله.
٢ ن: يتحد.
٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «صدق».
٤ ن: يقيّد.
٥ ن – قوله: (في قوله) يجوز أن يكون ظرفًا لقوله: (أسند)، ويجوز أن يكون ممّا يُنازع فيه (أطلق) و"لم يُقيّد".
٦ ن: التقدير.
٧ ن: نكتها.
٨ ن – زلزالها.
٩ ن: الحمة.
١٠ ن: إكرامة.
١١ ن: إهانة.
١٢ ن: سبق جبانه.

والعَمَهُ: مثلُ العمَى، إلّا أنَّ العمى عَامٌّ في البَصَرِ والرَّأيِ، والعَمَهُ في الرأي خاصَّةً، وهو التحيُّر والتَّردُّدُ لا يَدْري أين يتوجَّهُ، ومنه قَوْلُه:

بـالـجـاهـلـيـنَ الـعُـمَّـهِ

أي: الذينَ لا رأيَ لهم ولا دِرايةَ بالطُّرُقِ، وسَلَكَ أَرْضًا عَمْهَاءَ: لا مَنَارَ بها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾

ومعنى اشتراء الضَّلالة بالهدى: اختيارُها عليه واستبدالُها به، ....

قوله:[١] (لا يدري) حال من الفاعل المحذوف للتحيّر[٢] أو التردّد، أي: تحيُّر الشخص وتردُّده غيرَ عالم. وقوله: (أين يتوجَّه؟) في محلّ مفعول "لا يدري"، وقد علَّقه عن العمل. (بالجاهلين) أوّله:

ومَـهْـمـهٍ أطـرافُـه فـي مَـهْـمـهٍ   أعمى الهُدى (بالجاهلين العُمَّهِ)[٣]

العُمَّه: جمع عامِهٍ وعَمِهٍ. يَصِف مَفازة، أي: رُبَّ بادية أطرافه متَّصلة ببادية أخرى، خفيَ طريقه على الجاهلين[٤] الأغبياء، سلكتُه وقطعتُه. والباء مُتعلّق[٥] بـ"أعمى"، أي: هُدى هذا المَهْمَه أعمى، والمراد: عَمى صاحبه، أي: طريقه المستقيم خفيَ عليهم، وهُدى المَهْمَه كونه واضحًا، هكذا ذكروه. والظاهر أنّ "أعمى" فعل ماض من الإعماء، والضمير يعود إلى المَهْمَه.

قوله تعالى:[٦] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾.

قوله: (اختيارها) أي: اختيار الضلالة على الهُدى واستبدال الضلالة بالهُدى.

---

١ ن: وقوله.

٢ ن: التحير.

٣ هما لرؤبة بن العجّاج، في ديوانه، ص ١٦٦. وهما له في مجاز القرآن لأبي عُبيدة، ١/٣٢، ٣٥٣؛ وجامع البيان للطبري، ١/٣٢٢ (البقرة، ٢/١٥). وفي مطبوعه «يَجتَبْنه» بدل «أطرافه»؛ وتهذيب اللغة للأزهري، «عمه»، ١/١٥٠؛ والصحاح للجوهري، «عمه»؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٣/١٢٧ (البقرة، ٢/١٥). وفي مطبوعه «بالحائرين» بدل «بالجاهلين».

٤ ن - العُمَّهِ. العُمَّه: جمع عامِهٍ وعَمِهٍ. يَصِف مَفازة، أي: رُبَّ بادية أطرافه متَّصلة ببادية أخرى، خفيَ طريقه على الجاهلين.

٥ ن: يتعلّق.

٦ ن - قوله تعالى.

على سبيل الاستعارة لأن الاشتراءَ فيه إعطاءُ بَدَلٍ وأَخْذُ آخَرَ، ومنه:

أَخَـــذتُ بـالـجُـمَّـةِ رَأسًـــا أَزْعَـــرَا وبـالـثَّـنَـايَـا الـواضِـحَـاتِ الـــدُّرْدُرا
وبـالطَّـويـلِ الـعُـمْـرِ عُـمـرًا جَـيْـذَرَا كَـمَـا اشْـتَـرى الـمُـسْلِمُ إذ تَـنَـصَّـرا

قوله: (على سبيل الاستعارة) مُتعلِّق من حيث المعنى بقوله: (معنى)، فكأنّه قيل: عُنِي وأُريد بالاشتراءِ الاستبدالُ، أو أُطلِق الاشتراء على الاستبدال إرادة وإطلاقًا مُستقرَّة على سبيل الاستعارة، يعني أنّ ذلك استعارة تَبَعيّة؛ شبَّه أوّلًا اختيارهم الضلالة على / الهدى بالاشتراء، لِما فيهما من إعطاء بدل وأخذ [٨٧ظ] آخر، فوقع الاستعارة فيه، ثمّ قيل: اشتروا، وأُريد: استبدلوا، فيكون استعارة تَبَعيّة. قال الشاعر:

(أخـــذتُ بـالـجُـمَّـة رأسًـــا أزعَـــرا[١] وبـالـثـنـايـا الـواضـحـات الـــدُّرْدُرا
وبـالـطـويـل الـعُـمْـر عُـمْـرًا جَـيْـذرا كمـا اشـترى المُسـلِم إذ تنصَّـرا)[٢]

«اللِّمَّـة[٣] بالكسـر: الشَّـعر يُجاوز شَـحمة الأُذُن، فإذا بلغـت المَنكِبيـن فهي "جُمَّة"».[٤] و"الزَّعَر":[٥] قِلَّة الشَّعْر في الرأس واللحية، وقد زَعِر بالكسر والرجُل أزعَر.[٦] و"الثنايا": أربعة أسنان في مُقدَّم الثَّغْر، ثِنتان فوقُ وثِنتان تحتُ. و"الدُّرْدُر" واحد الدَّرادِر، وهي: مَغارز[٧] الأسنان الساقطة الباقية الأصول. والجَيْذر والمُجذَّر:[٨] القصير،[٩] والجَذْر[١٠] بفتح الجيم وكسره أيضًا: أصل كلّ شيء. وجَذرتُ الشيء: استأصلتُه.[١١]

ومعنى البيت: هرِمتُ بعد الشباب، واستبدلتُ بالشعر الطويل رأسًا أقرعَ، وبالأسنان الواضحات مَنابت الأسنان، وبالعُمر الطويل الذي مضى عُمرًا قصيرًا

---

١ ن: أرعزا.
٢ الأبيات لأبي النجم العِجلي في ديوانه، ص ١٧٨. وفيه «الدُّرَرا» بدل «الدُّردُرا»؛ وهي بلا عزو في الكشف والبيان للثعلبي، ١٢٩/٣ (البقرة، ١٦/٢).
٣ ن: الكمه.
٤ الصحاح للجوهري، «لمم».
٥ ن + له.
٦ انظر: الصحاح للجوهري، «زعر».
٧ ن: مغاوز.
٨ ن: المُجذَّر.
٩ ن – القصير.
١٠ ن: والجيذر.
١١ انظر: الصحاح للجوهري، «جذر».

....

باقيًا؛ وحالي في هذا[١] الاستبدال كحال مسلم استبدل بالإسلام النصرانيّة واختارها عليه. وعلى ما ذكرنا اللام في قوله: "المسلم" للجنس. ويجوز أن تكون للعهد، ويكون المراد بـ"المُسلِم"[٢] الذي تنصّر: جَبَلة بن[٣] الأيْهَم، وكان على دين النصرانيّة، فقدِم مكّة في أحسن زِيّ وأسلم وطاف بالكعبة، فوقع عليه شخص في الطواف فغاضه ذلك، فلَطمه جَبَلة؛ فشكا الرجل إلى عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه،[٤] فحكم له أن يُقِصّه باللطمة، فسأله جَبَلة أن يُؤخِّره إلى الغد، وسار ليلًا ولحق بالروم وتنصّر.[٥] وقال في ذلك:[٦]

تنصَّرتُ بعد الحقّ عارًا للطمةٍ[٧] ... ولم يكُ فيها لو صبرتُ لها ضررْ
وأدركني فيها لَجاجُ حَميَّةٍ ... فبِعْتُ لها العَين الصحيحة بالعَوَرْ
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني ... صبرتُ على القول الذي قال لي عُمرْ[٨]

وأصل قوله: بالطويل العُمر: بالعُمر الطويل، ثمّ حذف الموصوف وأقام الصفة مُقامها، وكانت الصفة، أي: الطويل، تَحتمِل العُمر وغيره، فأتى به للبيان لا على تأخير الموصوف عن الصفة. ومثله قول النابغة:

والمُؤمِنِ العائذاتِ[٩] الطيرَ يَمسحها ... رُكبانُ مَكّةَ بين الغِيْلِ والسَّنَدِ[١٠]

---

[١] ن: في حال هذا.

[٢] ن: المسلم.

[٣] ن: من عيد.

[٤] د - رضي الله تعالى عنه.

[٥] انظر الخبر مُفصّلًا في **الأغاني** للأصفهاني، ١٥/١١٢-١١٣؛ وهو في **فتوح الغيب** للطِّيبي، ٢/٢١٤ (البقرة، ٢/١٦).

[٦] ن - في ذلك.

[٧] ن - للطمة.

[٨] ن - فيا ليت أمي لم تلدني وليتني صبرتُ على القول الذي قال لي عُمر. | الأبيات لجبلة في **الأغاني** للأصفهاني، ١٥/١١٥، وروايتها فيه:

تنصَّرتِ الأشراف من عار لطمةٍ ... وما كان فيها لو صبرتُ لها ضررْ
تكنَّفني فيها لَجاجٌ ونخوةٌ ... وبِعْتُ بها العين الصحيحة بالعَوَرْ
فيا ليت أمّي لم تلدني وليتني ... رجعتُ إلى القول الذي قال لي عُمرْ

وهي له بالرِّواية التي أوردها المُصنّف في **فتوح الغيب** للطِّيبي، ٢/٢١٤ (البقرة، ٢/١٦).

[٩] ن: العاديات.

[١٠] في **ديوانه**، ص ٢٥؛ وهو له في **المُفصَّل** للزمخشري، ص ١٢٣. شاهدًا على ما ساقه له المُصنّف هنا.

وعن وَهْبٍ: قال الله عَزَّ وَجَل فيما يَعيبُ به بني إسرائيلَ: تَفَقَّهون لغيرِ الدِّين، وتَعَلَّمون لغيرِ العمل، وتبتاعون الدنيا بعملِ الآخرة.

فإن قلتَ: كيف اشترَوُا الضَّلالةَ بالهُدى وما كانوا على هدًى؟

وعنى بالمُؤمِن: الله[١] تعالى؛ لأنّه هو الذي يُؤمِن الطيور وغيرها. والعائذات[٢] جمع عائذ، وهي: الحديثة النِّتاج من البهائم والظبي، وهو في الأصل من باب الكناية؛ لأنّ الحامل إذا ضربها المَخاض عاذت، أي: لجأت. قال تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم ٢٣/١٩]. و«الغِيل بالكسر: الأجَمَة، وموضع الأسد غِيل أيضًا».[٣] و«السَّنَد: ما قابلك مِن الجبل وعلا عن السفح.[٤] ولم يُرِد النابغة[٥] تقديم الصفة، أي:[٦] العائذات، على موصوفها، لكن أراد أن يذكر الصفة فحسب، وهي: العائذات، فذكرها وأراد بها نفس الذوات، بحذف موصوفها،[٧] واحتملت هذه الصفة أجناسًا[٨] كثيرة؛ لجواز وقوعها على الوَحش والطير وغيرهما، فأَردفها ذِكرَ الطير بيانًا أنّه لم يُرِد بها[٩] إلّا الطير. وانتصاب "الطيرَ" على التَبَعيّة لـ"العائذات" لكونه عطف بيان.

قولـه: **(وعن وَهْب)** الغرض من إيراده[١٠] قوله:[١١] **(تبتاعون)**؛[١٢] لكونه بمعنى: تستبدلون.

قوله: **(كيف اشتروا الضلالة بالهُدى؟)** "كيف" سؤال عن الحال، والمراد هنا به الإنكار، فكأنّه نفى الأحوال التي يكون الشِّرى عليها ليلزم منه نفي الشراء، يعني: لا يمكن منهم اشتراؤهم الضلالة بالهُدى في حال من الأحوال؛

---

١ ن + سبحانه.
٢ ن: والعاديات.
٣ **الصحاح** للجوهري، «غيل».
٤ **الصحاح** للجوهري، «سند».
٥ ن: الناعة.
٦ ن – الصفة، أي.
٧ ن – لكن أراد أن يذكر الصفة فحسب، وهي: العائذات، فذكرها وأراد بها نفس الذوات، بحذف موصوفها.
٨ ن: احتباسًا.
٩ ن – بها.
١٠ ن: إيراد.
١١ ن – قوله.
١٢ ن: ساعون.

قلتُ: جُعِلُوا لِتمكُّنِهم منه وإعْراضِه لهم كأنّه في أيْديهم، فإذا تَرَكُوه إلى الضَّلالة فقد عَطَّلُوهُ واستَبْدلوها به، ولأن الدِّين القَيِّمَ هو فِطْرةُ اللهِ التي فطَرَ الناسَ عليها، فكلُّ مَن ضَلَّ فهو مُسْتبدِلٌ خلافَ الفِطْرَة.

و"الضلالةُ": الجَوْرُ عن القَصْد وفَقْدُ الاهْتداء.

[٨٨و] **لأنّهم ما كانوا على / هدى، وإذا لم يكونوا على هُدى لا يمكن منهم اشتراء الضلالة بالهُدى؛ لأنّ إعطاء الهُدى وأخذ الضلالة في مقابلته مُتفرّع على كونهم على هُدى بالضرورة، فما وجه صحّة قوله تعالى: ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾؟**

قوله: **(منه)** أي: مِن الهُدى.

قوله: **(وإعراضه)** أي: إعراض الهُدى، يقال: "أَعرَض لك الظبيُ"، أي: أَمكَنك مِن عُرْضه، أي: جانبه، "فارْمِه". وعُرْض الشي بالضمّ: جانبه.

قوله: **(كأنّه في أيديهم)** مفعول ثان لـ**(جُعِلوا)**.

قوله: **(إلى الضلالة)** حال، أي: مائلًا وذاهبًا إلى الضلالة. وحاصل هذا الجواب: أنّهم وإن لم يكونوا عليه لكنّهم لمّا[١] كانوا مُتمكّنين منه ولم يشتغلوا به بل اشتغلوا بضدّه، جُعِلوا كأنّهم استبدلوا.

قوله: **(ولأنّ الدِّين)** تقرير هذا الجواب أن يقال: ما ذكرنا في الجواب الأوّل على تقرير[٢] تسليم أنّهم لم يكونوا على هُدى، فنقول: لا نسلّم[٣] أنّهم لم يكونوا على هُدى، فإنّ المراد بالهُدى هو فطرة الله تعالى[٤] التي فطر الناس عليها، وإذا كان كذلك فكلُّ[٥] ضالٍ مُستبدِل خلافَ الفطرة، أي: مُستبدِل الضلالة بالفطرة، أي: بالهُدى. واللام في قوله: "لأنّ" مُتعلِّق[٦] بما دلَّ عليه قوله: **(كلُّ مَن ضلّ فهو مُستبدِل)**، فكأنّه قال: كلُّ مَن ضلّ فهو مُستبدِل الضلالة بالهُدى؛ لأنّ المراد بالهُدى فطرة الله. ولا يجوز أن يتعلّق بقوله: "مُستبدِل"؛ لأنّ كلّ واحد

---

١ ن – لمّا.
٢ ن: تقدير.
٣ د: لا نم [اختصارًا من "لا نُسلِّم"].
٤ ش – تعالى.
٥ ن: وكلّ.
٦ ن: يتعلّق.

يقال: ضَلَّ مَنْزِلَهُ، وضَلَّ دُرَيْصٌ نَفَقَهُ، فاستُعِيرَ للذهابِ عن الصَّواب في الدِّين.

و"الرِّبْحُ": الفَضْلُ على رأس المال، ولذلك سُمِّي: الشِّفَّ، مِن قولكَ: أَشفَّ بعضَ ولدِه على بعضٍ: إذَا فَضَّلَه، ولهذا على هذا شِفٌّ.

و"التجارةُ": صناعَةُ التاجر، وهو الذي يبيع ويشتري للربح، وناقةٌ تاجِرةٌ: كأنَّها مِن حُسْنها وسِمَنها تبيعُ نفسَها.

وقرأَ ابنُ أَبِي عَبْلَةَ: "تجاراتُهم".

مِن كلمة الشرط وفاء الجزاء يمنع مِن عمَل ما بعده فيما قبله. وقوله: "لأنّ الدين"... إلخ، عطف من حيث المعنى على قوله: "جُعِلوا"... إلخ، فكأنّه قال: ما استَبدلوا لكن جُعِلوا في حُكم المُستبدِل، أو استبدلوا لأنّ الدِّين... إلخ.

قوله: («ضلَّ دُرَيْصٌ»)[1] الدُّرَيص[2] تصغير دِرْص، والدِّرْص: ولد الفأرة.[3] و"النَّفَق": الجُحْر. يُضرَب هذا المثل لمَن يعيا[4] بأمره.[5]

قوله: (والرِّبح: الفضل) أي:[6] الرِّبح: الزيادة على أصل المال.

قوله: (سُمِّيَ) أي: سُمِّيَ الرِّبح. و(الشِّفَّ)[7] منصوب؛ لأنّه مفعول ثانٍ لـ"سُمِّي"،[8] والأوّل قائم مقام[9] الفاعل. و(التجارة): تقليب المال وتصريفها لطلب النَّماء، يقال: تَجَر يتجُر تِجارة فهو تاجر.[10] فإن قيل: قول المُصنِّف: (التجارة: صناعة التاجر) تعريف الشيء بما هو أخفى أو يُساويه، بل هو مُشتمِل على الدَّوْر؛ قلتُ:[11] ليس فيه شيء من ذلك؛ لأنّ التاجر كالاسم للذي يبيع ويشتري غير[12] صفة، ثمّ قال: صناعته تُسمَّى التجارة.

---

١ المثل «ضلّ دُرَيص نفقه» في جمهرة الأمثال للعسكري، ٢/٧؛ والصحاح للجوهري، «درص»؛ ومَجمَع الأمثال للميداني، ١/٤١٩. وقال الميداني في مضرب هذا المثل: «يُضرَب لمَن يُعنى بأمره، ويُعِدُّ حُجّة لخصمه، فينسى عند الحاجة».

٢ ش: دريص.

٣ انظر: الصحاح للجوهري، «درص».

٤ د: يعياه. | وأثبتُّ ما في مطبوع الصحاح.

٥ انظر: الصحاح للجوهري، «درص».

٦ ن - الفضل، أي.

٧ د: الشِّتَّ؛ ن: الشنّ.

٨ ن: يسمّى.

٩ ن: مقائم.

١٠ انظر: الصحاح للجوهري، «تجر».

١١ ن: قلنا.

١٢ ن: عند.

فإن قلتَ: كيْفَ أُسْنِدَ الخسران إلى التجارة وهو لأَصْحَابها؟

قلتُ: هو من الإسناد المجازيّ، وهو أن يُسنَد الفعلُ إلى شيءٍ يَتَلَبَّس بالذي هو له في الحقيقة كما تَلَبَّستِ التِّجارةُ بالمشتَرِينَ.

فإن قلتَ: هل يَصحُّ: رَبِحَ عبْدُك وخسِرَتْ جاريتُك، على الإسْناد المجازيِّ؟

قوله: (**كيف أُسنِد الخُسران؟**) جُعِل قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ في معنى: خسِرت تجارتهم -وإن كان عدم الرِّبح أعمَّ مِن الخُسران-؛ لأنّه عُلِم من قوله: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ أنّ المراد به الخُسران؛ لأنّ الهُدى رأس مالهم. واعلم أنّ موقع "كيف" هنا يُخالف موقعه في السؤال المُتقدِّم، فكأنّه قال: أَفي حال[1] صحة الإسناد أُسنِد الخُسران إلى التجارة أم في حال عدم الصحة؟ فقوله:[2] (**وهو لأصحابها**) حال من الخُسران.

قوله: (**وهو أن يُسنَد**) أي: المجاز في الإسناد: عبارة عن إسناد الفعل إلى شيء يتلبَّس ذلك الشيء بالأمر الذي هو، أي: الفعل، في الحقيقة مُتلبِس[3] بذلك الأمر. كما أُسنِد الرِّبح في هذه الصورة إلى التجارة، وهو بالحقيقة للمُشترِين، والتجارة مُلتبِسة بالمُشترِين. والضمير من قوله: (**يتلبَّس**) عائد إلى (**شيء**). وقوله: (**هو**) عائد إلى الفعل. والضمير من (**له**)[4] عائد إلى (**الذي**). وقوله: (**كما تلبَّست**) الكاف صفةُ مصدر محذوف، و"ما" مصدرية، أي: يتلبَّس تلبُّسًا كتلبُّس التجارة.

قوله: (**هل يصحُّ: رَبِح عبدُك**)[5] اعلم أنّه من شرط[6] هذا المجاز -وهو المجاز في الإسناد- أن يكون مكانُ الحُكم الأصليّ في هذا / المجاز معلومًا: إمّا بالعقل، أو بالعُرف، أو بغيرهما. ولم[7] يتعيَّن أن يكون المكان الأصليّ للحُكم معلومًا بنفس العقل، كما في: أَنبتَ الربيعُ البقلَ، فإنّ العقل يدلُّ على أنّ الإنبات لا يكون فِعل الربيع؛ بل إن استُعين على العِلم به بأمر آخر -كما في هزَم الأميرُ الجُندَ، [٨٨ظ]

---

[1] ن: في حال.
[2] ن: وقوله.
[3] ن: يتلبّس.
[4] ن: في (له).
[5] ن: عندك.
[6] ن: سقط.
[7] ن - بالعقل، أو بالعُرف، أو بغيرهما. ولم.

....

وكسا الخليفةُ الكعبةَ، حيث كان المراد: هزَم عسكرُ الأمير الجُندَ وكسا خَدَمُ الخليفة[١] الكعبةَ- جاز. وكما في قولك: خسِر عبدكَ، والمراد: خسرتَ في شِرى[٢] عبدكَ. فإنّه إن دلَّ قرينة على أنّ المراد: شِرى عبدٍ أو جاريةٍ، وترتُّب الخُسران عليه، جاز؛ وإن لم تكن قرينة دالَّة على المطلوب لم يَجز. ونُقِل عن عليّ بن عيسى البغداديّ أنّه لا يصحُّ؛ وذلك لخوف الالتباس، إذ يمكن أن يَربَح العبد بالحقيقة.[٣] وفيما ذكره نظر؛ لأنّ وجود القرينة كافٍ في دَفْع ذلك، وإلّا لَوَرد على قولهم: هزم الأميرُ الجند، وكسا الخليفةُ الكعبة.

ثم اعلم أنّ من شرط هذا المجاز أيضًا أن يكون فيه للمُسنَد إليه المذكور نوعُ تعلُّق وشَبَهٌ بالمُسنَد إليه المتروك، مثل ما ترى للربيع في: أَنبتَ الربيعُ البقل، من نوع شَبَه بالفاعل المُختار، وهو دوران الإنبات معه وجودًا وعدمًا، نظرًا إلى عدم الإنبات بدونه وقت الشتاء، ووجود الإنبات مع مجيئه، دورانَ الفعل مع اختيار القادر وجودًا وعدمًا، وكما[٤] في قولهم:[٥] شفى[٦] الدواءُ المريض، مِن دوران الشفاء مع تناوُله وجودًا وعدمًا، وكما ترى للخليفة في: كسا الخليفةُ البيتَ، مِن دوران كُسوة البيت مع أمره وجودًا وعدمًا، فإن لم يكن هذا الشَّبَه بين المذكور والمتروك -كما لو قال قائل: أنبتَ الرضيعُ[٧] البقلَ، وشفى الدواةُ[٨] المريض- نُسِب إلى الحُمق والجهل.[٩]

ولوجوب هذا التعلّق المذكور بين المحلّ الحقيقيّ والمجازيّ أَدرج المُصنِّف هذا الشرط في التعريف، وقال: هو أن يُسنَد الفعل إلى شيء يتلبَّس بالذي هو بالحقيقة له. وأمّا صاحب المفتاح فقد قال في تعريفه:

---

١ ن: الأمير.

٢ ن: شراء.

٣ سبق عليَّ بن عيسى إلى هذا القول الفرّاءُ في **معاني القرآن**، ١٥/١. وانظر قول الفرّاء في **البسيط** للواحدي، ١٨٤/٢ (البقرة، ١٦/٢).

٤ ن: كما.

٥ ن: قوله.

٦ د: شفاء.

٧ ن: الربيع. | وجاءت كذلك في بعض نُسخ **مفتاح العلوم** وأثبتَها مُحقِّقه خطأً.

٨ ن: الدواء. | وجاءت كذلك في بعض نُسخ **مفتاح العلوم** وأثبتَها مُحقِّقه خطأً.

٩ من قوله: "ثمّ اعلم أنّ" إلى هنا بلفظ قريب في **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٥١٠.

قلتُ: نعم، إذا دلَّت الحالُ، وكذلك الشرطُ في صحَّة: "رأيتُ أسدًا" وأنت تُرِيْدُ المِقْدامَ، إنْ لم تقم حالٌ دالَّةٌ لم تصحَّ.

فإن قلتَ: هَبْ أنَّ شِراءَ الضَّلالَةِ بالهدى وقع مجازًا في معنى الاسْتِبْدالِ،

المجاز العقليّ: هو الكلام المُفاد به خلافُ ما عند المُتكلِّم مِن الحُكم فيه لضرب من التأويل. وجعل التعلُّق شرطًا. وقوله: "خلافُ ما عند المُتكلِّم"، ولم يقل: خلاف العقل؛ ليشمل نحو: كسا الخليفةُ الكعبةَ، وليخرج كلام الدهريّ: أَنبتَ الربيعُ البقل؛ فإنّه يُسمَّى حقيقة لا مجازًا. وقوله: "لضرْب من التأويل"، احتراز من الكذب؛ فإنّه يُفيد خلاف ما عند المُتكلِّم، ولا يُسمَّى مجازًا.[١]

قوله: (**وكذلك الشرط**)، يعني:[٢] لا بدَّ في الاستعارة أيضًا من القرينة، فإنّك لو قلتَ: رأيتُ أسدًا، وأنت تريد الشجاع من غير قرينة تدلُّ على المراد نحو: يتكلَّم، أو في الحمام، أو يرمي، إلى غير ذلك، لم يَجُز،[٣] ولَخَرج[٤] من باب الاستعارة ودخل في التعمية والإلغاز. فقوله: "الشرط" مبتدأ، "كذلك" خبره، أي: الشرط في صحة الاستعارة مثل الشرط في المجاز الإسناديّ.

قوله: (**وأنت تُريد المِقدام**) حال من قولك: رأيتُ أسدًا؛ لأنّه من حيث المعنى فاعل (**صِحَّة**). وقوله: (**إن لم تقُم**)... إلخ، جملة مُبيِّنة للجملة المُتقدِّمة.

قوله: (**هَبْ**) يقول:[٥] هَبْ زيدًا منطلقًا، بمعنى: "احسُبْ" يتعدَّى إلى مفعولين، ولا يُستعمَل منه ماضٍ ولا مستقبل بهذا المعنى. وقوله: (**أنّ**) مع اسمه وخبره وقع موقع المفعولين؛ لاشتماله على المُسنَد والمُسنَد إليه، أو هو في محلّ المفعول الأوّل، والمفعول الثاني محذوف، أي: هَبْ وقوع شِرى / الضلالة بالهُدى حاصلًا. [٨٩و]
وقوله: (**مجازًا**) حال مِن الضمير في (**وقع**). وقوله: (**في معنى الاستبدال**) صفة مجازًا، أي: مجازًا حاصلًا أو كائنًا ثابتًا في معنى الاستبدال. وإنّما قال:[٦]

---

١ انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٥٠٣-٥٠٤.
٢ ن - يعني.
٣ انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٨٣.
٤ ن: ويخرج.
٥ ن - قوله: (هَبْ) يقول.
٦ ن: قلت.

فما معنى ذِكرِ الرِّبْح والتجارَةِ كأنَّ ثَمَّ مُبَايَعةً على الحقيقة؟

قلتُ: هذا من الصَّنْعَة البَدِيعة التي تَبْلغُ بالمجاز الذِّرْوةَ العُلْيَا، ....

"في معنى الاستبدال" لِمَا ذكرنا[١] أنّ المجاز، أي: الاستعارة، وقع بالأصالة في المصدر بأن شبّه الاستبدال بالاشتراء، ثمّ بالتّبَعيّة في الفعل.

قوله: (فما معنى؟) أي: وإذا كان كذلك فلِمَ ذكر الرِّبح والتجارة وما كان ثمّة مُبايعة على الحقيقة، والرِّبح والتجارة من خواصّ المُبايعة الحقيقيّة؟

قوله: (هذا مِن الصنعة البديعة)[٢] اعلم أنّ هذا من علم البيان لا من علم البديع. وعلم البديع: هو العلم بطُرُق الفصاحة، وهي طُرُق الإفهام والتبيين، وبطُرُق تزيين الكلام بإبداع[٣] ما يُورِثه القبول من وجوه التحسين. أمّا الفصاحة فلفظيّة ومعنويّة: أمّا اللفظيّة فهو: أن يكون اللفظ عربيًّا أصليًّا، وعلامة ذلك أن يكون اللفظ على أَلسِنة العَرب الموثوق بعربيتهم أَدْوَر، واستعمالهم له أكثر؛ وأمّا المعنويّة فهو: خلوص الكلام عن التعقيد.[٤] وأمّا تزيين الكلام: فكإيراد المُشاكلة، والمُطابقة، إلى غير ذلك.

والاستعارة المُرشَّحة التي نحن فيها ليست[٥] من ذلك في شيء، فلا تكون من علم البديع. وهي من علم البيان؛ إذ هو: معرفة إيراد المعنى الواحد في طُرُق مُختلِفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان، ليُحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه. وإيرادُ المعنى الواحد في طُرُق مُختلِفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه والنقصان[٦] بالدلالات الوضعيّة غير ممكن؛ لأنّك إذا أردتَ تشبيه الخدّ بالورد في الحُمرة مثلًا، وقلتَ: خدٌّ يُشبِه الورد في الحُمرة، امتنع أن يكون كلام مُؤدٍّ لهذا المعنى بالدلالة الوضعيّة

---

١ ن: ذكر.

٢ د ن: البديعيّة. | وأثبتُّ ما في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله، وما يوافق كلامه عند تكرُّر هذا اللفظ في الشرح الواقع عليه فيما سيأتي.

٣ ش: بإيداع.

٤ من قوله: "أمّا الفصاحة" بتصرُّف في مفتاح العلوم للسّكّاكي، ص ٥٢٦.

٥ د ش ن: ليس.

٦ ن: بالنقصان.

....

أَكمَلُ منه في الوضوح أو أَنقَص، فإنّك إذا أَقمت مُقام كلّ كلمة منها ما يُرادفها فالسامع: إن كان عالمًا بكونها موضوعة لتلك المفهومات كان فهمه منها كفهمه من تلك من غير تفاوت في الوضوح، وإلّا لم يفهم شيئًا أصلًا. وإنّما يُمكِن ذلك في الدلالات العقليّة مثل أن يكون لشيء تعلُّق بآخر ولثانٍ[1] ولثالثٍ،[2] فإذا أُرِيد التوصُّل بواحد منها إلى المُتعلَّق به، فمتى تفاوتت تلك الثلاثة في وضوح التعلُّق وخفائه صحّ في طريق إفادته الوضوحَ والخفاء.[3]

وذلك كتعلُّق الشجاعة والبَخَر والحُمّى بالأسد، لكنّ تعلُّق الشجاعة أوضح من تعلُّق الحُمّى والبَخَر، فالانتقال من الأسد إلى الشجاعة وبالعكس يكون أوضح[4] من الانتقال من الأسد إلى البَخَر والحُمّى وبالعكس.

فمرجع علم البيان هو الانتقال من الملزوم إلى اللازم وبالعكس: **والأوّل** هو المجاز، **والثاني** الكناية، والاستعارة قسم من المجاز، كما مرّ، فتكون من علم البيان.[5] لكن لمّا لم تتميّز العلوم الثلاثة، أعني: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، بعضها من بعض في كُتب المُتقدِّمين كانوا يُسمُّون الثلاثة بعلم البديع تسمية للشيء باسم أشهر أقسامه، والمُتأخِّرون كصاحب **المفتاح** وأكثر الأصحاب يُسمُّون الأوّلَين بصناعة البلاغة؛ ولذلك قال صاحب **المفتاح**: البلاغة: «هو بلوغ المُتكلِّم في تأدِية المعنى حدًّا له اختصاص بتوفية خواصّ التراكيب حقَّها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها».[6] فقوله: "بتوفية خواصّ التراكيب / حقَّها"[7] إشارة إلى المعاني. وقوله: "وإيراد"... إلخ، [٨٩ظ]

---

[1] ن - ولثانٍ.
[2] ن: والثالث.
[3] من قوله: "معرفة إيراد المعنى" إلى هنا بلفظ قريب في **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٤٣٧.
[4] ن - من تعلُّق الحُمّى والبَخَر، فالانتقال من الأسد إلى الشجاعة وبالعكس يكون أوضح.
[5] انظر: **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٤٣٨، ٥١٣.
[6] **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٥٢٦. وفي مطبوعه: «هي بلوغ... في تأدية المعاني...».
[7] ن - وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها». فقوله: "بتوفية خواصّ التراكيب حقَّها".

وهو أنْ تُساقَ كلمةٌ مساقَ المجاز ثم تُقَفَّى بأَشكالٍ لها وأَخَواتٍ إذا تَلَاحَقْنَ لم تَرَ كلامًا أَحْسنَ منه دِيباجَةً وأكثرَ ماءً ورَوْنَقًا، وهو المَجازُ المُرَشَّحُ.

إشارة إلى علم البيان. ويُسمُّون الثالث: بمُتمّماتها، وبعضهم يُسمِّي الثالث بصناعة الفصاحة، وبعضهم بعلم البديع.[١]

هذا[٢] الذي ذكرنا على تقدير أن يكون المراد بالصنعة البديعة:[٣] علم البديع، بناءً على ما مرَّ من أنّ كلّ عِلم تحصل معلوماته بالتمرُّن على العمل، كحصول معلومات صناعة مطارحة الإعراب، أو بتتبُّع[٤] ما يُفيدها، كحصول معلومات صناعة البلاغة بتتبُّع خواص تراكيب الكلام، يُخَصّ باسم الصناعة؛ وكلّ علم تحصل معلوماته بالنظر والاستدلال يُخَصُّ باسم العلوم. وأمّا إن كان المراد بالصنعة: العمل، وبالبديعة: العجيبة، فكأنّه قال: هذا من العمل العجيب الذي يُوصِل المجاز إلى الدرجة العليا. فقوله: "هذا" إشارة إلى ذِكر الرِّبح والتجارة. وقوله: (وهو)[٥] عائد إلى الصنعة البديعة، وذكَّره باعتبار الخبر. و"ذُرى" الشيء بالضمّ: أعاليه، والواحد ذِرْوة. و"قفوتُ" أَثَره قَفْوًا وقُفُوًّا إذا تبِعتَه، وقفَّيتُ على إثْره بفلان إذا أتبعتَه إيّاه. و"الأشكال": الأشباه. و"الدِّيباجة": الخدّ. و"رَوْنق" السَّيف: ماؤه وحُسْنه.

قوله: **(وهو المجاز)** أي: سَوْق الكلمة مَساق المجاز ثمّ تقفيتُه بأشكال لها المجاز **(المُرشَّح)**، والترشيح: التربية.

واعلم أنّ الاستعارة في نحو "عندي أسد" إذا لم تُعقَّب بصفات أو تفريع[٦] كلام لا تكون مُجرَّدة ولا مُرشَّحة، وإنّما يلحقها التجريد أو الترشيح إذا عُقِّبت بذلك. ثمّ إنّ الضابط هناك أصل واحد، وهو أنّك قد عرفت أنّ الاستعارة لا بدّ لها من مُستعار له ومُستعار منه: فمتى عُقِّبت[٧] بصفات مُلائمة للمُستعار له،

---

[١] انظر لتفصيل هذه المذاهب: **الإيضاح** للقزويني، ص ٨٣؛ **والمُطوَّل** للتفتازاني، ص ٩؛ وحاشية **الفناري على المُطوَّل**، ص ٦٢-٦٣.

[٢] ن: هو.

[٣] ن: البديعية.

[٤] ن: بمنع.

[٥] ن - (وهو).

[٦] ن: يرتفع.

[٧] ن: عُقِّب.

وذلك نحوُ قولِ العرب في البَليد: كأنَّ أُذنَيْ قَلْبِهِ خَطْلاوان، جعَلُوه كالحمار ثمّ رَشَّحُوا ذلك رَوْمًا لتحقيق البَلادةِ فادَّعَوا لِقَلْبِهِ أُذنَيْنِ وَادَّعَوْا لهما الخَطَلَ؛

أو تفريع كلام مُلائم له، سُمِّيت مُجرَّدة؛ ومتى عقِّبت بصفات، أو تفريع كلام مُلائم للمستعار[١] منه، سُمِّيت مُرشَّحة.

مثالها في التجريد أن تقول: شاورتُ أسدًا شاكيَ السلاح طويلَ القناة صقيلَ العَضب، فقولكَ: شاورتُ -بالشين المعجمة- تفريع كلام مُناسِب للمستعار له؛ وقولكَ: شاكيَ السلاح... إلى آخره، تَعقيبُ صفات مناسبة[٢] له أيضًا. ومثالها في الترشيح أن تقول: ساورتُ أسدًا هصورًا عظيم اللِّبدَتين[٣] وافيَ البَراثن[٤] مُنكَر الزئير.[٥]

فقولك: ساورتُ -بالسين المهملة، مِن المُساورة، وهي: المُواثَبة- تفريعُ كلام مُناسِب للمُستعار منه، وقوله: هصورًا... إلى آخر الصفات، تَعقيبُ صفات مناسبة[٦] له أيضًا.

قوله: (وذلك) أي: المجاز المُرشَّح (نحو قول العَرب في حقِّ البليد: كأنّ أُذنَي قلبه خَطلاوان). ذكر في بعض الحواشي أنّه ينبغي أن يكون قبل هذا الكلام كلامٌ وقع فيه الاستعارة، ليكون هذا ترشيحًا لها، لكنّ المُصنِّف لم يأتِ بذلك الكلام المُشتمِل على الاستعارة في كتابه.

وأنا أقول شبَّه قلبه بحمار، ثمّ ذكر القلب وأراد الحمار، وأثبت للقلب ما هو للحمار مِن أُذنين خَطلاوَين، فتكون استعارة مُرشَّحة، من غير احتياج إلى كلام آخر ذكروه. فإن قيل: قول المُصنِّف: (جعلوه كالحمار، ثمّ رشَّحوا) يدلّ على تقدُّم كلام آخر؛ قلنا:[٧] لا يلزم منه ذلك؛ لأنّه عبارة عن التصوُّر والاعتبار،

---

١ ن - له، أو تفريع كلام مُلائم له، سُمِّيت مُجرَّدة؛ ومتى عقِّبت بصفات، أو تفريع كلام مُلائم للمستعار.
٢ ش ن هامش د: مناسب.
٣ اللِّبدة: للشَّعر المتراكب بين كتفي الأسد. انظر **لسان العرب** لابن منظور، «لبد».
٤ البُرثُن: مخلب الأسد. انظر **لسان العرب** لابن منظور، «برثن».
٥ ن: الرهو. | من قوله: "واعلم أنّ الاستعارة" إلى هنا بلفظ قريب في **مفتاح العلوم** للسَّكّاكي، ص ٤٩٤.
٦ ش: مناسب.
٧ ن - قلنا.

لِيُمثِّلُوا البلادة تَمْثيلًا يُلْحِقُها ببلادة الحمار مُشاهَدةً ومعايَنةً، ونحوُه:

ولَـمّـا رَأيــتُ الـنَّسْرَ عَـزَّ ابْـنَ دَأيَـةٍ وعَشَّشَ في وَكْرِيهِ جَاشَ لهُ صَدْرِي

كما تقول في مثل "ساورتُ أسدًا شاكيَ السلاح": جعلوه كالأسد، ثمّ نُسِب إليه المُساورة ترشيحًا للاستعارة. و"الخَطَل": استرخاء الأذن، يقال: أُذُن خَطلاء، وثَلَّة خُطْلٌ، وهي: الغَنَم / المُسترخية الآذان.[1] ورُمح خَطِل: مُضطرِب.[2] [٩٠و]

قوله: (لِيُمثِّلوا) أي: ليُصوِّروا،[3] يقال: مثَّلت له كذا تمثيلًا إذا صوَّرتَ[4] مِثاله بالكتابة وغيرها.

قوله:[5] (مُشاهَدةً) بفتح الهاء؛ لأنّه اسم مفعول، وهو حال من بلادة الحمار.

قوله: (ونحوه) أي: نحو قولِ العَرب قولُ الشاعر:

(ولمّا رأيـتُ النَّسر عـزَّ ابـنَ دَأْيـةٍ وعشَّش في وَكْرَيه جاش له صدري)[6]

"النَّسر": طائر يُوصَف بطول العُمر. "عزَّ"،[7] أي: غلب. و"ابن دَأْيَة": الغُراب. والدَّأْي من البعير: الموضع الذي يقع عليه ظَلِفة[8] الرَّحل،[9] أي: خشبته،[10] فتعقره.[11] ومنه قيل للغراب: ابن دَأْية.[12] «والعُشُّ: موضع الطائر الذي يجمعه من دِقاق العِيدان وغيرها، والجمع عِشَشة وعِشاش وأعشاش، وهو في أفنان الشجر، فإذا كان في جبل أو جدار ونحوهما فهو وَكْر».[13] ويقال: يكون للغُراب وَكْرٌ للشتاء

---

١ ن: الأذنان.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «خطل».

٣ ن: ليتصوَّروا.

٤ ن + له.

٥ ن - قوله.

٦ البيت للكُميت بن زيد، في **ديوانه**، ص ٢٣٦. وهو له في **الفاضل** للمُبرِّد، ص ٤٧؛ وهو بلا نسبة في **مقاييس اللغة** لابن فارس، «عزّ»؛ **الصحاح** للجوهري، «دأي»؛ و**أساس البلاغة** للزمخشري، «دأي»؛ و**تحرير التحبير** لابن أبي الإصبع، ص ٢٧٤. مثالًا لترشيح الاستعارة. والبيت في المصادر السالفة جميعها برواية «جاشت له نفسي». وهو بلا نسبة في **تفسير الرازي**، ٧٩/٢ (البقرة، ١٦/٢). بالرّواية التي أوردها المُصنِّف.

٧ ن: عن.

٨ ن: طلبه.

٩ ن: الرجل.

١٠ ن: حشينه.

١١ ن: فيعفره.

١٢ **الصحاح** للجوهري، «دأي».

١٣ **الصحاح** للجوهري، «عشش». وفي مطبوعه «وعشّ الطائر: موضعه الذي...».

لمّا شبّهَ الشَّيبَ بالنَّسر والشَّعرَ الفَاحِمَ بالغُرابِ أَتْبعه ذِكرَ التَّعشيْشِ والوَكْرِ.

ونحوُه قولُ بَعْضِ فُتَّاكِهِمْ في أُمّهِ:

فمـا أُمُّ الرُّدَيْـن وإنْ أَدلَّـت بِعـالِمَـةٍ بـأَخـلاقِ الـكِـرَامِ
إذا الشَّـيطـانُ قَـصَّـعَ فـي قَفَـاهـا تَـنَـفَّـقْـنـاهُ بـالـحَـبْـلِ الـتُّـؤَامِ

أي: إذا دخلَ الشيطانُ في قَفَاها استخرَجْناه من نافقائِهِ بالحَبْلِ المُثَنَّى المُحْكَمِ،

وعُشٌّ للصيف. فقوله: "وَكْرِيه" للتغليب. و"جاش": اضطرب، وجاشت القِدر: غَلَت، وكلُّ شيءٍ يغلي فهو يجيش حتّى الهُموم[١] والغُصَص في الصدر. والمراد بالوَكْرين: الرأس واللحية. و"جاش" جواب "لمّا".

قوله: (ونحوه) أي: نحو قول العَرب (قولُ بعض فُتّاكهم)، «الفاتك: الجريء، والجمع الفُتّاك».[٢]

قوله: (في أُمّه) أي: في مَذمّة[٣] أمّه. والضمير عائد إلى بعض فُتّاكهم:

(فمـا أمُّ الرُّدَيـن وإن أدلَّـت بـعـالـمـةٍ بـأخـلاق الـكـرام
إذا الشـيطـان قـصَّـع[٤] فـي قفـاهـا تـنـفَّـقـنـاه بـالـحـبـل الـتُّـؤام)[٥]

و"أمُّ الرُّدَين": كنية أمِّ الشاعر.[٦] و"الدَّلّ" بالفتح:[٧] الغُنْج والشِّكْل، يقال: هي حَسَنة الدَّلّ، وقد دلَّت المرأة تدِّل -بالكسر- كأنّها مُخالِفة وليس بها خلاف. وكذا الإدلال، ويقال: أَدلّ فأَمَلّ.[٨] وقوله: (أدلَّت) مِن الإدلال، أي: لا تحفظ حدَّ الإدلال؛ فإنّ الكريم يُدِلُّ إدلالًا لطيفًا، وهي تُدِلُّ إدلالًا عنيفًا. والقاصِعاء: جُحْر من جِحْرة اليربوع، وهو الذي تقصَّعُ، أي: تدخُل منها.[٩] والنافِقاء: جُحْره الآخر أيضًا، وهو الذي[١٠] يُرقِّقه اليربوع ولا يَثْقُبه مخافة أن يقف عليه الصائد،

---

١ ن: الهجوم.
٢ الصحاح للجوهري، «فتك».
٣ ن: مذّته.
٤ ن: يصنع.
٥ البيتان لأوس بن حجر، في ديوانه، ص ١٢٦. وهما بلا نسبة في الحيوان للجاحظ، ٥/٢٧٧.
٦ ن - وأمُّ الرُّدَين: كنية أمِّ الشاعر.
٧ ن + خلاف.
٨ انظر: الصحاح للجوهري، «دلل».
٩ انظر: الصحاح للجوهري، «قصع».
١٠ ن - تقصَّعُ، أي: تدخُل منها. والنافِقاء: جُحْره الآخر أيضًا، وهو الذي.

يريد: إذا حَرِدَتْ وأساءَت الخُلقَ اجتَهَدْنا في إزَالَةِ غَضَبِها وإمَاطَةِ ما يَسُوءُ مِن خُلقها.

اسْتعارَ التَّقْصِيعَ أوَّلًا ثم ضَمَّ إليه التَّنَفُّقَ ثم الحَبْلَ التُّوَامَ.

فكذلك لمَّا ذَكَر سُبحانَه الشِّرَى أَتْبعَهُ ما يُشاكِلهُ ويُواخِيه وما يَكْمُل ويَتِمُّ بانضمامِه إليه؛ تمثيلًا لِخَسارِهِمْ وتصويرًا لِحقِيقَتِهِ.

فإذا أتى مِن القاصِعاء ضرب النافِقاء برأسه فانتفَق، أي: خرج. ومنه سُمِّي المُنافق؛[١] لأنّه يدخُل في الإسلام ثمّ يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه.[٢]

قوله: **(حَرِدت)**،[٣] أي: غضِبت.

قوله: **(مِن خُلُقها)** بيان **(ما يسوء)**. ويقال: أتأمَت المرأة إذا وضعت اثنين في بطن، فهي مُتئِم،[٤] وإذا كان ذلك عادتها فهي متآم، والوَلَدان توءمان، ويقال: هذا تَوْءم لهذا، على فَوعَل، وهذه تَوْأمة هذه. والجمع توائم، وتُؤام أيضًا.[٥] ومنه الحبل[٦] التوءم، أي: المُثنّى.

قوله: **(فكذلك)**[٧] مُتعلِّق بقوله: **(لمّا شبَّه)** أو بقوله: **(استعار)**. والضمير المستتر من قوله: **(أَتبعه)** عائد إلى الله تعالى، والبارز إلى الشِّرى. وقوله: **(ما يُشاكِله)** مفعول ثان لـ"أَتبعه". والضمير البارز من "يُشاكله" و**(يُؤاخيه)** عائد إلى الشِّرى، والمستتر إلى "ما".

قوله: **(ما يَكمُل)** عطف على "ما يُشاكِل"، والضمير مِن "يكمُل" و**(يَتِمّ)** عائد إلى الشِّرى. ومِن **(انضمامه)** عائد إلى "ما".

قوله: **(تمثيلًا)** مفعول له من قوله: "أتبعه".

قوله: **(لحقيقته)** أي: لحقيقة الخَسار. و"**الطِّلْبة**": المطلوب.

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «نفق».
٢ ن – فيه.
٣ ن: جردت.
٤ ن: ميم.
٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «تأم».
٦ ن: الخيل.
٧ ن: فلذلك.

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾؟

قلتُ: معناه: أن الَّذي يَطْلُبه التُّجَّارُ في مُتصرَّفاتِهم شيئان: سلامةُ رأس المالِ والرِّبْحُ، وهؤلاء قد أَضَاعُوا الطَّلِبَتَيْن معًا؛ لأنَّ رأسَ مالِهم كان هو الهُدَى فلم يَبْقَ لهم مع الضَّلالةِ، وحِينَ لم يَبْقَ في أَيْدِيهم إلَّا الضَّلالَةُ لم يُوصَفُوا بإصابَةِ الرِّبح وإنْ ظَفِرُوا بما ظَفِرُوا به من الأَغْراض الدُّنْيَوِيَّةِ؛ لأنَّ الضالَّ خاسِرٌ دامِرٌ، ولأنَّه لا يقال لمَن لم يَسْلَمْ له رأسُ ماله: قَدْ رَبِحَ.

"وما كانوا مهتدين" لِطُرُقِ التِّجارةِ كما يكون التُّجارُ المتَصرِّفُون العالمُونَ بما يُربَحُ فيه ويُخْسَرُ.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ١٧﴾

لمَّا جَاءَ بحقِيقَةِ صفتهم ....

قوله: **(فلم يبقَ لهم مع الضلالة)** دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾، فلم يُوصفوا بالرِّبح كما قال: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾، ثمَّ قال: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾، أي: لطُرُق التجارة؛ لأنَّهم قد أضاعوا رأس المال في هذه التجارة.

[٩٠ظ] قوله:[١] **(حين لم يبقَ)** / ظرف لقوله: **(لم يُوصَفوا)**.

قوله: **(لأنّ)** مُتعلِّق بقوله: "لم يُوصَفوا". وقوله: **(وما كانوا)** عطف على قوله: "لم يُوصَفوا".

قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾.

قوله: **(لمَّا جاء بحقيقة صفتهم)** الباء للتعدية، والمراد بحقيقة صفتهم هو: أفعالهم القبيحة الأربعة كما مرَّ. وأصل هذا التركيب: بصفتهم الحقيقية،[٢]

---

[١] ن - قوله.

[٢] ن: الحقيقة.

عَقَّبَهَا بضَرْبِ المَثَل زيادةً في الكَشْفِ وتتمِيمًا لِلبَيانِ، ولِضَرْبِ العربِ الأَمْثالَ واستحضارِ العلماءِ المُثُلَ والنَّظائِرَ شأنٌ ليس بالخَفيِّ في إبْرازِ خَبِيَّاتِ المعاني ورَفْعِ الأَسْتارِ عنِ الحقائقِ، حتَّى تُرِيَكَ المُتَخَيَّلَ في صورةِ المُحَقَّق، والمتوَهَّمَ في مَعْرضِ المتَيَقَّنِ، والغائبَ كأنَّه مُشاهَدٌ.

أي: الثابتة، فإنّ الحقيقة كما عرفتَ: فَعيل من حقَّ يحِقُّ إذا ثبَت. و"التعقيب": المجيء عَقِيب الشيء. والباء في (بضَرْب) للتعدية، يعني: لمّا بيَّن الله تعالى صفات المُنافقين الثابتة المُتقرِّرة[1] فيهم أتى عَقِيبها[2] بضَرْب المَثَل لهم زيادةً في الكشف والبيان؛ لأنّ ضَرْب المَثَل يُؤثِّر في القلوب[3] ما لا يُؤثِّره وصف الشيء في نفسه؛ وذلك لأنّ في المَثَل تشبيه الخفيّ بالجليّ والغائب بالشاهد، فيتأكّد الوقوف على ماهيّة الشيء، ويصير الحِسُّ[4] مُطابِقًا للعقل، وذلك هو النهاية في الإيضاح: ألا ترى[5] أنّ الترغيب إذا وقع في الإيمان مجرَّدًا عن ضَرْب مَثَل له لم يتأكّد وقوعه من القلب كما يتأكّد وقوعه إذا مُثِّل بالنور، وإذا زُهِّد في الكُفر بمُجرَّد الذِّكر لم يتأكّد قُبحه في العقول كما يتأكّد[6] إذا مُثِّل بالظُّلمة، وإذا أُخبِر بضعف أمر من الأمور وضُرِب مَثَله بنَسج العنكبوت كان ذلك أبلغ في تقرير صورته من الإخبار بضعفه مُجرَّدًا.[7]

قوله: (لِضَرْب) خبر، مبتدؤه قوله: (شأنٌ). وقوله: (ليس بالخفيّ) صفة "شأن". و(المُثُل) بضمَّتين جمع مِثال. والخبيء: ما خُبِئ، والجمع خبيئات.

قوله: (حتّى) غاية لـ"الإبراز"[8] و"الرفع".

قوله: (تُريك) أي: الأمثال والمُثُل.

---

١ ن: المتقرة.
٢ ن: عقبها.
٣ ن: التكذيب.
٤ ن: الجنس.
٥ د: يُرى.
٦ ن + وقوعه.
٧ من قوله: "لأنّ ضرب المثل" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٢/٨٠ (البقرة، ٢/١٧).
٨ ن: الإبراز.

وفيه تَبْكِيتٌ للخَصْمِ الأَلَدِّ، وقمْعٌ لِسَوْرَةِ الجامحِ الأَبِيّ.

وَلِأَمْرٍ ما أكثَرَ اللهُ في كتابه المُبين وفي سائر كُتُبِهِ أَمْثَالَه، وفَشَتْ في كلامِ رسول الله وكلامِ الأنبياء والحُكماء؛ قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت ٤٣/٢٩] ومِن سُوَرِ الإنجيلِ سُورَةُ الأَمْثَال.

والمَثَلُ في أَصْلِ كلامهم بمعنى: المِثْل، وهو النَّظيرُ، يقال: مِثْلٌ ومَثَلٌ ومَثِيلٌ؛ كشِبْهٍ وشَبَهٍ وشَبِيهٍ.

ثمّ قيل ....

قوله: **(فيه)** أي: في ضَرْبِ الأمثال. و"التبكيت": كالتقريع والتعنيف، ويقال: بكّتَه بالحجّة، أي: غلَبَه. ورجُل "أَلَدّ"[١] بيّن اللَّدَد: وهو الخصومة. و"قمعتُه" وأقمعتُه، أي: قهرتُه وأذللتُه. و«سار يسور إذا غضب وثار، وإنّ لغضبه[٢] لَسَوْرة».[٣] وسَوْرة السلطان: سَطْوته واعتداؤه. و"جمَح" الفرس جُموحًا وجِماحًا إذا أعثَر فارسه وغلَبه، فهو فرس جَموح، والجَموح مِن الرجال: الذي يركب هواه فلا يُمكن ردّه.[٤] وأبى، أي: امتنع، فهو آبٍ و"أبيٌّ" وأَبَيان بالتحريك.[٥] قال:

وقبلكَ ما هاب الرجالُ ظُلامتي   وفقّأتُ عين الأَشْوَس[٦] الأَبَيانِ[٧]

قوله: **(لأمْر)** مُتعلِّق بـ**(أكثر)**. و**(ما)** صفة "أمر".

قوله: **(فشَت)** أي: الأمثال.

قوله: **(ومن سوَر الإنجيل)** أي: في **الإنجيل** -وهو الكتاب المُنزل على عيسى عليه السلام- سورة تُسمّى (**سورة الأمثال**).

قوله: **(ثمّ قيل)**، يعني: معنى المَثَل في اللغة ما ذكرتُم، ثمّ نُقِل بحسب

---

١ ن: أكبر.

٢ ن: غضبه.

٣ **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «سور»؛ **مقاييس اللغة** لابن فارس، «سور».

٤ انظر: **الصحاح** للجوهري، «جمح».

٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «أبي».

٦ د ش: الأشوش.

٧ البيت لأبي المُجشّر الضّبّي في **النوادر** لأبي زيد، ص ٤٢٦؛ وبلا عزو في **الصحاح** للجوهري، «أبي».

للقَوْلِ السائر المُمَثَّلِ مَضرِبُه بمَوْرِدِهِ: مَثَلٌ، ولم يَضْرِبُوا مَثَلًا ولا رَأَوْهُ أَهْلًا للتَّسْيِير ولا جَدِيرًا بِالتَّداوُلِ والقَبُولِ إلَّا قَوْلًا فِيه غرابَةٌ من بَعْضِ الوجوهِ، ومِن ثَمَّ حُوفِظَ عليه وحُمِيَ من التَّغْيير.

الاصطلاح إلى: (القول السائر المُمثَّل مَضرِبه بمَورده).[1]

واعلم أنّ وجه التشبيه متى كان وصفًا غير حقيقيّ، وكان مُنتزَعًا من أمور خُصّ باسم التمثيل، كوجه التشبيه الذي في قول الشاعر:

وإنّ مَن أدَّبتَه في الصِّبا ... كالعُود يُسقى الماء في غَرسهِ
حتّى تراه مُورِقًا ناضرًا ... بعد الذي أبصرتَ من يُبسهِ[2]

فإنّ تشبيه المُؤدَّب في صباه بالعُود المَسقيّ أوان الغرس المُورق[3] بأوراقه ونُضرته، ليس إلّا فيما يُلازِم كونه مُهذَّب الأخلاق مرضيَّ السيرة حميدَ الفَعال لتأدُّبه المطلوب بسبب التأديب المُصادِف وقته،[4] وذلك هو تمام المَيْل إليه وكمالُ استحسان حاله، وهو أمر تصوريٌّ لا صفة حقيقيّة، ومع ذلك مُنتزَع من عِدَّة أمور.[5]

ثمّ إنّ هذا التشبيه التمثيليّ متى فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا غير سُمِّيَ مَثَلًا. والمراد بقولهم: "على / سبيل الاستعارة" أن يُذكَر مُجرَّدًا عن حرف التشبيه وعن المُشبَّه أيضًا. وقولنا: فشا استعماله، أي: في مواضع كثيرة [٩١و]
لا تُضبَط مَناسِبة للمُشبَّه الأوّل، كما تقول: تُقدِّم رِجْلًا وتُؤخِّر أخرى، في كلّ مُتردِّد في أمر ما، وأصله أنّك في تردُّدك كمن يُقدِّم رجلًا ويُؤخِّر أخرى.[6]

وحاصله: أن تستعير وصف إحدى صورتَين مُنتزَعتين من أمور لوصف الصورة الأخرى: مثل أن تجد إنسانًا استُفتيَ[7] في مسألة فيَهِمُّ تارةً بإطلاق اللسان

---

[1] سبق أن أورد الجاربرديُّ هذا التعريف في موضعين: في كلامه على الآية السابعة من سورة البقرة، وعند كلامه على الآية العاشرة منها.

[2] البيتان لصالح بن عبد القدوس في طبقات الشعراء لابن المعتزّ، ص ٨٩؛ وأسرار البلاغة للجرجاني، ص ٩٧؛ وبلا نسبة في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٥٥.

[3] ن: المؤنق. | وكذلك وردت في مطبوع المفتاح.

[4] ن: وفيه.

[5] من قوله: "واعلم أنّ وجه التشبيه" إلى هنا بلفظ قريب في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٥٥.

[6] ن – في كلّ مُتردِّد في أمر ما، وأصله أنّك في تردُّدك كمن يُقدِّم رجلًا ويُؤخِّر أخرى.

[7] ن: استثني.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾؟ وما مَثَلُ المنافِقينَ ومَثَلُ الذي اسْتَوقَد نارًا حتى شُبِّهَ أحدُ المَثَلَيْن بصاحِبه؟

لِيُجيب ولا يَهِمُّ أخرى، فتأخذ صورة تردُّده هذا فتُشبهها بصورة تردُّد إنسان قام ليذهب في أمر، فتارةً يُريد الذهاب فيُقدِّم رِجْلًا وتارةً لا يُريد فيُؤخِّر أخرى. ثمّ تُدخِل صورة المُشبَّه في جنس صورة المُشبَّه به رَوْمًا[١] للمُبالغة[٢] في التشبيه، فتكسوها[٣] وصف المُشبَّه به من غير تغيير[٤] فيه بوجه من الوجوه، على سبيل الاستعارة، قائلًا: أراكَ[٥] أيُّها المُفتي[٦] تُقدِّم رِجْلًا وتُؤخِّر أخرى.[٧]

وإنّما لا تُغيَّر[٨] الأمثال؛[٩] لأنّ استعمالها في المُشبَّه بعد أن جعل المُشبَّه من جملة أفراد المُشبَّه به بحسب الادِّعاء، فكأنّه مُستعمَل في مَورِده الأصليّ فلا يُلتفَت إلى المعنى الثاني تذكيرًا وتأنيثًا وإفرادًا وجمعًا؛ لأنّه وإن استُعمل في هذا المعنى[١٠] لكنّه في الحقيقة مُستعمَله في الأوّل، لبروز مَضرِبه في مَعرِض مورده. وقال المُصنِّف: لم يُغيَّر لغرابته.

قوله: (ما معنى ﴿مَثَلُهُمْ﴾؟)... إلخ، يعني أنّ قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ يقتضي تشبيه مَثَلهم بمَثَل المُستوقِد، فما مَثَل المنافقين ومَثَل المُستوقِد حتّى شبَّه أحدهما بالآخر؟ وحاصل هذا السؤال والجواب: لمّا ذكر معنى المَثَل بحسب الاصطلاح أراد أن يُشير إلى أنّ المَثَل[١١] في هذه الآية ليس بالمعنى المذكور؛ إذ لا يصحُّ أن يقال للمُنافقين مَثَل بالمعنى المذكور،[١٢] وللمُستوقِد أيضًا مَثَل كذلك، فشبَّه أحدهما بالآخر. بل المَثَل في الآية بالمعنى الآخر؛

---

[١] ن: دون.
[٢] ن: المبالغة.
[٣] ن: فتكونوها.
[٤] ن: تعيين.
[٥] ن - أراك.
[٦] ن: الفتى.
[٧] من قوله: "أن تستعير وصف" إلى هنا بلفظ قريب في **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٤٨٤. وسبق أن ساقه الجاربرديُّ عند كلامه على الآية السابعة من سورة البقرة.
[٨] ن: لا تُعيَّن.
[٩] يُفهَم هذا المعنى من **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٤٨٤.
[١٠] ن - المعنى.
[١١] ن + المذكور.
[١٢] يقصد ما أورده آنفًا من تعريف المَثَل، وهو: القول السائر المُمثَّل مَضرِبه بمَورده.

قلتُ: قد اسْتُعيرَ المثَلُ استعارَةَ الأَسَد للمِقْدام للحال أو الصِّفة أو القِصَّة إذا كان لها شأنٌ وفيها غَرابَة؛ كأنَّه قيل: حالُهم العجيبةُ الشأنِ كحالِ الذي استوقَد نارًا.

وكذلك قولُه: ﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد ١٣/٣٥]؛ أي: وفيما قصَصْنا عليك مِن العجائبِ قصَّةُ الجَنَّةِ العَجيبَة، ثُمَّ أَخَذَ في بيان عَجائبها.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل ١٦/٦٠]؛ أي: الوَصْفُ الذي له شأنٌ مِن العَظَمةِ والجَلالةِ.

﴿مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح ٤٨/٢٩]؛ أي: صِفَتُهم وشأنُهم المتعَجَّبُ منه.

وذلك لأنّه لمّا أُطلِق المَثَل على القول الذي عرفتَ بطريق المجاز نُقِل منه نقلًا ثانيًا، واستُعمل بطريق المجاز في الصفة العجيبة الشأن، فيقال: "مَثَل"، ويُراد[1] الصفة العجيبة؛ لأنّ كلَّ مَثَل مُشتمِل على معنى عجيبِ الشأن. فالمَثَل في الآية مجاز في المرتبة الثانية.

فقوله: **(للمِقدام)** مُتعلِّق بقوله: **(استعارة)**. وقوله: **(للحال)** مُتعلِّق بقوله: **(استُعير)**.

قوله: **(إذا كان لها)** أي: للحال أو الصفة أو القصة، وهذا إشارة إلى المعنى المشترك بين المَثَل بالمعنى المذكور وبين المَثَل بمعنى الحال.

قوله:[2] **(وكذلك قوله)**، يريد: أنّ المَثَل في الآيات التي يذكرها[3] بمعنى الحال أو الصفة أو القصة العجيبة الشأن.

قوله: **(ثمّ أخذ)** أي: ثمّ شرَع تعالى في بيان عجائب الجنّة بقوله: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد ٤٧/١٥].

قوله:[4] (**﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾** [النحل ١٦/٦٠])، يريد: أنّ المَثَل هنا أيضًا بمعنى الصفة العجيبة الشأن، وكذا قوله: (**﴿مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾** [الفتح ٤٨/٢٩]). وذكر المُصنِّف هذه الآيات بطريق التَّعداد من غير ذِكر عاطف.

---

١ ن + به.
٢ ن – قوله.
٣ ن: ذكرها.
٤ ن – قوله.

ولِمَا في المَثَلِ مِن معنى الغَرابةِ قالوا: فلانٌ مُثْلَةٌ في الخَيْر والشَّرِّ، فَاشتَقُّوا منه صفةً للعجيب الشَّأن.

فإن قلتَ: كيف مُثِّلَت الجماعةُ بالواحد؟

قلتُ: وُضِعَ ﴿ٱلَّذِى﴾ موضع "الذين"؛ كقوله: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾

قوله: (**ولِمَا في المَثَل**) اللام مُتعلِّق بقوله: (**قالوا**)، و"ما" موصولة، و(**مِن**) بيان "ما". ومقول القول: (**فلان مُثْلَة**)، يريدون: أنّه عجيبٌ غريب الشأن. وقوله: (**في الخير**)[١] ظرف لقوله: "قالوا"، وليس من المقول، يعني: يستعملون هذا الكلام في الخير والشرّ.

قوله: (**فاشتقُّوا**)[٢] عطف على قوله: "قالوا".

قوله: (**منه**) أي: من المَثَل[٣] بمعنى الحال.

قوله: (**مُثِّلتْ**) أي: شُبِّهتْ. وإنّما قال: "مُثِّلتْ" لِمَا عرفتَ من أنّ وجه الشبه متى كان وصفًا / غير حقيقيّ مُنتزعًا من عدّة أمور سُمِّيَ تمثيلًا. وهنا [٩١ظ] كذلك؛ لأنّ وجه تشبيه[٤] المنافقين بالذين شُبِّهوا بهم في هذه الآية هو: رَفْع الطمع إلى تيسُّر مطلوب، بسبب مباشرة الأسباب القريبة لذلك المطلوب، مع تعقُّب الحِرمان والخَيبة؛ لانقلاب تلك الأسباب. وإنّه كما ترى أمر توهميّ مُنتزَع من أمور جمّة.[٥]

قوله: (﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ [التوبة ٦٩/٩]) إن جُعِل الضمير في "خاضوا" عائدًا على "الذي"[٦] فهو كما ذكر من أنّ "الذي" بمعنى "الذين"، ويكون المعنى: وخُضتُم مُشبَّهين بالذين خاضوا، أو خُضتُم خَوضًا مِثْل خَوض الذين خاضوا. فعلى الأوّل يكون قوله: ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ في محلّ[٧] الحال،

---

١ ن: الحب.
٢ ن: فما اشتقوا.
٣ ن: المثل.
٤ ن: شبه.
٥ من قوله: "وجه الشبه متى كان" إلى هنا بلفظ قريب في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٥٥-٤٥٦.
٦ ن: إلى "الذي".
٧ ن - محلّ.

[التوبة ٦٩/٩] والّذي سَوَّغَ وَضْعَ ﴿ٱلَّذِى﴾ مَوْضعَ "الذينَ" -ولَمْ يَجُزْ وَضْعُ القائِم مَوْضعَ القائمينَ ولا نَحوِه من الصفات- أمْران:

أحدهما: أنَّ ﴿ٱلَّذِى﴾ لكونه وُصْلةً إلى وَصْفِ كلِّ معرفةٍ بجملةٍ، وتكاثُرِ وقوعِهِ في كلامهم، ولكونه مُسْتطالًا بصلتهِ= حقِيقٌ بالتَّخفيف، ....

وعلى الثاني في محلّ المصدر. وإن قلنا: الضمير العائد على "الذي"[1] ضميرُ مفعول محذوف وجب أن يكون "الذي" على بابه، ويكون التقدير: وخُضتُم خَوضًا مثل الخَوض[2] الذي خاضوه، فيكون مصدرًا لا غير. ومِثْله لكن على سبيل القطع قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر ٣٣/٣٩]؛ وقول الشاعر:

وإنّ الذي حانتْ بفَلْجٍ دماؤهمْ هُمُ القوم كلُّ القوم يا أمَّ خالدِ[3]

وفَلْج: اسم موضع. ويقال: حانت، أي: هلَكت دماؤهم، يعني: لم يُطالَب بثأرهم.

قوله: **(والذي سوَّغ)** مبتدأ، خبره قوله: **(أمران)**. والتسويغ: التجويز.[4] وقوله: **(وَضْع)** مفعول "سوَّغ"، وهو مَصدر مضاف إلى المفعول. وقوله: **(ولم يَجُز)** إلى قوله: **(من الصفات)** حال.

قوله: **(ولا نحوه)** مجرور معطوف على قوله: **(القائمِ)** أي: ولا وَضْعُ نحوِ القائم مَوضعَ نحوِ القائمين. وفي بعض النسخ بالرفع عطفًا على قوله: **(وَضعُ)**، وضميره عائد إلى "وضع"، أي: لم يَجُز نحوُ وَضْعِ القائم موضع القائمين. والمراد بـ"نحو وضع القائم موضع القائمين" هو وَضْع الصفة المفردة موضع الجمع.[5]

قوله: **(وتكاثُرِ)** عطف على قوله: **(لكونه)**.

قوله: **(حقيق)** أي: جدير خبر **(أنّ)**.

---

[1] ن: إلى "الذي".
[2] ن: خوض.
[3] مضى تخريجه في في تفسير سورة البقرة، ٢/٢.
[4] ن: التحرير.
[5] ن - الجمع.

ولذلك نَهكُوهُ بالحَذْفِ؛ فحذفوا ياءَهُ، ثُمَّ كَسْرَتَهُ، ثُمَّ اقتصَرُوا به على اللّام وَحْدها في أسماء الفاعلينَ والمفعولِينَ.

قوله: **(نَهِكوه)** صحَّ هذا اللفظ بكسر الهاء على **نسخة الأصل**. **يقال: نهِكتْه** الحُمّى -بالكسر- تنهَكه نَهْكًا ونَهْكة، إذا جَهَدته[١] وأَضنته[٢] **ونَقصَت لحمه.**[٣]

قوله: **(ثمّ اقتصروا به على اللام)** قال المُصنِّف في **المُفصَّل**: «**لاستطالتهم** إيّاه بصلته مع كثرة الاستعمال خفَّفوه من غير وجه، فقالوا: "**اللّذِ**" **بحذف الياء**، ثمّ "اللّذْ"[٤] بحذف الحركة، ثمّ حذَفوه رأسًا واجتزؤا عنه بالحرف المُلتبِس به وهو لام التعريف، وقد فعلوا مثل ذلك بمؤنثه فقالوا: اللّتِ، واللّتْ، والضاربتُه هند، بمعنى: التي ضربتْه هند».[٥] وقال ابن الحاجب في **شرحه**: «فيه نظر؛ لأنّ "الذي" بكمالها للتعريف، لا أنّ الألف واللام على انفرادهما للتعريف».[٦] ثمّ قال: وقد صرَّح الزمخشري بذلك في قوله: و"الذي" وُضِع وُصْلةً، فكيف تكون "الذي" بكمالها وُصْلة للتعريف، وتكون الألف واللام وحدها للتعريف؟[٧] ثمّ قال:

> وإنّما جاء الوَهم من أنّ هذا الاسم مُفيد للتعريف كما تُفيده اللام، وحُكم لامها[٨] حُكم لام التعريف، وعند حذف الذال تُسبَك الجملة فيصير مفردًا، فلِمَ حَكَم بحذف الذال منها ويائها، ولفظها لفظ التعريف، ومعناها معنى التعريف، والداخلة عليه[٩] اسم مفرد كالداخل عليه حرف التعريف، حَكَم بأنّه حرف التعريف؟ والأَوْلى أن يقال: الألف واللام في قولك: الضارب حرف التعريف بمعنى الذي، لا أنّه كان "الذي" فحُذِف ذاله وياؤه وبقيَ حرف تعريفه؛ لأنّ "الذي" بجُملته للتعريف.[١٠]

---

١ ن: جهزته.

٢ ن: وأضعفته.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «نهك». وذكر الجوهري في "نهك" لغتين: بفتح الهاء وبكسرها.

٤ ن – اللذ.

٥ **المُفصَّل** للزمخشري، ص ١٨٣.

٦ **الإيضاح في شرح المُفصَّل** لابن الحاجب، ٤٦١/١.

٧ انظر: **الإيضاح في شرح المُفصَّل** لابن الحاجب، ٤٦١/١-٤٦٢.

٨ ن: لأنّها.

٩ ن: عليها.

١٠ انظر: **الإيضاح في شرح المُفصَّل** لابن الحاجب، ٤٦٢/١.

والثاني: أنَّ جمعَه ليس بمنزلةِ جَمْعِ غَيْرِهِ بالواو والنونِ، وإنّما ذَاكَ علامةٌ لزيادةِ الدِّلالةِ، أَلَا تَرَى أنَّ سائرَ المَوْصُولات لَفْظُ الجمع والواحِدِ فيهنَّ واحِدٌ.

أو قُصِدَ جِنْسُ المستوْقدِينَ، أو أُرِيدَ الجمعُ أو الفَوْجُ الذي استَوْقدَ نارًا.

على أنَّ ....

قوله: **(إنّما ذاك علامة)**، يريد: أنّ لفظة "الذي" كما تصلُح للمُفرَد تصلُح أيضًا للجمع كسائر الموصولات، مثل: "مَن"، و"ما"، وغيرهما. فلمّا أُلحِق به الياء والنون اختُصّ بالجمع، فهذا معنى قوله: **(علامة / لزيادة الدلالة)** أي: على الجمع. وليس كذلك سائر الأسماء التي جُمِعت بالواو والنون؛ لأنّها بدونهما[١] لا تكون للجمع. [٩٢و]

قوله: **(أو قُصِد)** عطف على قوله: **(وُضِع ﴿ٱلَّذِى﴾)**. وهذا جواب ثانٍ.

قوله: **(أو أُرِيد)** عطف على "قُصِد".[٢] وهذا جواب **ثالث**.

قوله: **(على أنّ)** أي: مع أنّ. وهذا شروع في جواب رابع عن السؤال، ووجهه أن يقال: لا نُسلِّم[٣] أنّه شُبِّهت الجماعة بالواحد، وإنّما يكون كذلك أن لو كان المراد: تشبيه ذوات المنافقين بذات المستوقد حتّى يلزم تشبيه الجماعة، وليس كذلك؛ بل المراد: تشبيه صفتهم وقِصّتهم العجيبة الشأنِ بقِصّة المُستوقِد.

وهنا جواب خاصّ لم يذكره المصنّف، وهو أنّ المعنى: مَثَل كلّ واحد منهم، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلًا﴾ [غافر ٤٠/٦٧]، أي: يُخرِج كلّ واحد منكم.[٤]

واعلم أنّ المُصنِّف عدَل هنا من لفظ التمثيل إلى لفظ التشبيه؛ وذلك لأنّه إذا كان المراد تشبيه القِصّة بالقِصّة، أي: تشبيه صفتهم العجيبة الشأنِ بصفته العجيبة، كان وجه الشبه بين القِصّتين أمرًا واحدًا، وهو الغرابة غيرَ مأخوذة من عدّة أمور، فكان المُناسِب إطلاق اسم التشبيه عليه. ثمّ إنّه كان القياس أن يقول:

---

١ ن: بدلهما.

٢ ن – على "قُصِد".

٣ د: لا نم [اختصارًا من "لا نُسلِّم"].

٤ ما وقفت عليه فيما بين يديّ من المظانّ.

المنافِقِيْن وذَواتِهِم لَم يُشبَّهُوا بذاتِ المستَوْقد حتى يَلْزَمَ منهُ تشبيهُ الجماعةِ بالوَاحد، إنَّما شُبِهَتْ قِصَّتُهم بقصَّةِ المستَوْقِد، ونحوُهُ قولُه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة ٥/٦٢]، ....

لم يُمثِّلوا بذات[١] المُستوقِد حتّى يلزم تمثيل الجماعة بالواحد، **(إنّما شُبّهت[٢] قِصّتهم)**؛ لأنّ المراد نفي التمثيل وإثبات التشبيه، لكنّه لمّا كان[٣] يقول: "إنّما شُبّهت" قال أيضًا "شُبّهت"[٤] للمُشاكلة. وقوله: **(على أنّ المُنافقين وذواتهم)** أي: على أنّ ذوات[٥] المنافقين، وهذا ممّا مرّ أنّه من العطف الذي يكون للبيان. قال المُطرّزيّ في **المُغرِب**: والتِّمثال: ما تصنعه وتُصوِّره مُشبَّهًا بخلق الله تعالى[٦] من ذوات الروح والصورة، ويشهد له ما قالوا: لو صلّى وعليه ثوب فيه تماثيل كُرِه له، وإذا قُطِعت رءوسها فليست بتماثيل. وقوله عليه السلام: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه تماثيل أو تصاوير»،[٧] كأنّه شكٌّ من الراوي.[٨] وأمّا قولهم: ويُكرَه التصاوير والتماثيل، فالعطف للبيان.[٩]

قوله: **(ونحوه)** يريد أن قوله تعالى: **(﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة ٥/٦٢])** مِثْل قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ في أنّ المراد تشبيه القِصّة والصفة العجيبة الشأنِ بالقِصّة والصفة العجيبة الشأن. ولو كان المراد تشبيه الذوات بالذوات فوجهه أن يقول: قُصِد جنس الحمار، كما قلنا في الأوّل: قُصِد جنس المُستوقِدين، ولا تتأتّى باقي الوجوه المذكورة ثمّة ههنا، وهو ظاهر. ويكون من باب التمثيل؛ لأنّ «وجه التشبيه بين أحبار اليهود الذين كُلِّفوا العمل بما في **التوراة** ثمّ لم يعملوا بذلك، وبين الحمار[١٠] الحامل للأسفار: هو حِرمان الانتفاع بما هو أبلغ شيء بالانتفاع به مع الكدّ والتعب في استصحابه،

---

١ ن: بذوات.

٢ ن: ثمّ شُبّهت.

٣ ن: قال.

٤ ن – قال أيضًا "شُبّهت".

٥ ن: ذات.

٦ د ش – تعالى.

٧ **مُوطّأ مالك**، ٥٥٥/٢ (٢٧٧١)، بلفظ «إنّ الملائكة لا تدخل...»؛ **صحيح مسلم**، ١٠١٦/٢ (٢١١٢)، بلفظه ههنا.

٨ انظر: **مُوطّأ مالك**، ٥٥٥/٢.

٩ انظر: **المُغرِب** للمُطرّزي، «مثل».

١٠ ن: احمار.

وقولُه: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [محمد ٤٧/٢٠].

ووُقُودُ النَّارِ: سُطوعُها وارتفاعُ لَهَبِها.

ومِن أَخَواتِهِ: وَقَلَ في الجَبَلِ: إذا صَعِدَ وَعَلا.

والنَّارُ: جَوْهرٌ لطيفٌ مُضِيءٌ حارٌّ مُحْرِقٌ، والنورُ: ضَوْءُها وضَوْءُ كُلِّ نَيِّرٍ، وهو نَقيضُ الظُّلْمةِ.

واشتقاقُها مِن نارَ يَنُور: إذا نَفَرَ؛ لأنَّ فيها حَرَكةً واضْطِرَابًا، ....

وليس بمُشتبِهٍ؛ كونه عائدًا إلى التوهم ومُركَّبًا مِن عِدّة معانٍ».[١] ولو كان المراد تشبيه القِصّة بالقِصّة لا يقال حينئذٍ: إنّه مأخوذ من عِدّة أمور؛ لأن المنظور فيه هو الغرابة. (وقوله: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [محمد ٤٧/٢٠]) إن كان المراد تشبيه الذوات بالذوات فالمراد بالمَغشيّ عليه الجنس، وإن كان المراد تشبيه الصفة بالصفة فهو ظاهر؛ إذ التقدير: نظرًا مِثل نظر المَغشيّ عليه. وجعل المُصنِّف الآيتين المُستشهَد بهما من باب تشبيه القِصّة بالقِصة لا غير.

قوله: (ووقود النار) الوقود بالضمّ: مصدر، وبالفتح: الحطب الذي يُوقَد به. و"السطوع": الارتفاع.

قوله: (ومن أخواته) أي: فيما أوّله واو وقاف.

قوله: (ضوءُها) أي: ضوء النار.

قوله: (وهو) أي: النور نقيض الظلمة، «والظلمة: عدم النور عمّا مِن شأنه / أن يَستنير».[٢] [٩٢ظ]

قوله: (واشتقاقها) أي: اشتقاق النار مِن نارَ. والنار مؤنّثة، تقول: نُرْتُ مِن الشيء أَنُور نَوْرًا ونِوارًا[٣] بكسر النون، أي: نفرتُ. قال العجّاج:

يَخْلِطْنَ بالتأنُّس النِّوارا[٤]

---

[١] مفتاح العلوم للسّكّاكي، ص ٤٥٧-٤٥٨.

[٢] تفسير الرازي، ٢/٨٣ (البقرة، ٢/١٧).

[٣] ن - ونِوارًا.

[٤] في ديوانه، ٢/٨٧؛ وهو له في إصلاح المنطق لابن السِّكّيت، ص ١٢٥؛ والمُحتسَب لابن جنّي، ١/١٨٢؛ والصحاح للجوهري، «نور».

والنُّورُ مُشتقٌّ مِنها، والإضَاءَةُ: فَرْطُ الإنارَةِ، ومِصْدَاقُ ذلك قولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس ١٠/٥].

وهي في الآية مُتعدِّيَةٌ، ....

ونُرْتُ غيري: نفَّرتُه. والنُّور أيضًا: النُّفَّر من الظباء. وامرأة نَوار: عفيفة نافرة من القبيح، ونِسوة نُور، أي: نُفَّر مِن الرِّيبة، وهو فُعُل بضمَّتين مثل قَذال وقُذُل، إلّا أنّهم كرهوا الضمّة على الواو، ومنه سُمِّيت المرأة نَوارًا.[١]

قوله: (والنُّور مُشتقّ منها) أي: من النار.

قوله: (والإضاءة: فَرْط الإنارة)، والإفراط: تجاوز الحدّ في الأمر، يقولون: إيّاك والفَرَط في الأمر والفَرْط، بإسكان الواو وفتحها، أي: لا تُجاوِز الحدّ.[٢]

اعلم أنّ الضوء ينقسم إلى: ما هو ضوء أوّل، وإلى ما هو ضوء ثان.[٣] والضوء الأوّل: هو الحاصل من مُقابَلة المُضيء لذاته، ويُسمّى ضياء إن قَوِيَ، وشُعاعًا إن ضعُف؛ والضوء الثاني: هو الحاصل من مُقابلة المُضيء بالغير، كالحاصل على وجه الأرض وقتَ الإسفار وعَقيبَ الغروب، فإنّ الهواء يتكيَّف ويستضيء بسبب محاذاة الشمس، وهو مُقابل لسطح الأرض، فيصير سطح الأرض مُضيئًا؛ لأنّه في مُقابلة المُضيء بالغير وكالحاصل من مُقابلة القمر عند مَن يقول: نوره مُستفاد مِن نور الشمس.[٤]

قوله: (ومِصداق ذلك) أي: ممّا يدلُّ على صدق ما قلنا وهو أنّ "الإضاءة: فرط الإنارة" هذه الآية؛ إذ[٥] نُسِب فيها الإضاءة إلى الشمس.

قوله: (وهي في الآية) أي: الإضاءة في هذه الآية. اعلم أنّ "أضاء" يَرِد لازمًا

---

١ ن: نورًا. | من قوله: "والنار مؤنّثة" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «نور».

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «فرط».

٣ انظر لتفصيل أقسام الضوء: **شرح المقاصد** للتفتازاني، ٢/٢٦١-٢٦٥.

٤ انظر القول الأخير في **شرح المقاصد** للتفتازاني، ٢/٢٦٤.

٥ د: إذا.

ويَحتمِلُ أن تكونَ غيرَ مُتعدِّيةٍ مُسْنَدةً إلى ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾، والتأنيثُ للحمْلِ على المعْنَى؛ لأنَّ ما حَوْلَ المستوقِد أَمَاكِنُ وأشياءُ، ويَعضُده قراءةُ ابْنِ أَبي عَبْلَةَ: "ضاءَتْ".

ومُتعدِّيًا، فقال:[1] أضاءت النار بنفسها وأضاءت غيرَها.[2] قال الشاعر:

أضـاءتْ لهـمْ أحسـابهمْ ووجوههـمْ دُجى الليل حتّى نظَّم الجَزْع ثاقبُهْ[3]

فقوله: "دُجى الليل" مفعول "أضاءتْ".

قوله: (وتحتمِل) أي: تحتمِل الإضاءة أن تكون غير مُتعدِّية في هذه الآية.

قوله: (مُسندَة) خبر بعد خبر لـ(تكون).

قوله:[4] (والتأنيث للحمل على المعنى) اعلم أنّه إذا جُعِل "أضاء" مُتعدِّيًا يكون مُسنَدًا إلى ضمير مستتر عائد إلى "النار" فتأنيثه بذلك الاعتبار، وهو ظاهر. وأمّا إذا جُعِل لازمًا فذَكر لتأنيثه وجهين: الأوّل: أن يكون للحمل على المعنى؛ لأن "ما" وإن كان لفظه مُذكَّرًا لكن معناه مُؤنَّث هنا، لأنّ المراد به الأشياء والأماكن التي حول المُستوقِد، فلذلك أُنِّث.

قوله: (وتعضُده) أي: ويدلُّ على أنّ "أضاء" هنا لازم قراءةُ ﴿ضَآءَتْ﴾[5] فإنّه لازم، فينبغي أن يكون ﴿أَضَآءَتْ﴾ كذلك في الآية؛ لتتوافق القراءتان.

---

١ ن: يقال.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ضوأ»؛ **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٣٣/٣ (البقرة، ١٧/٢)؛ و**الوسيط** للواحدي، ٩٣/١ (البقرة، ١٧/٢)؛ و**البسيط** للواحدي، ١٨٧/٢ (البقرة، ١٧/٢)؛ و**تفسير الرازي**، ٨٣/٢ (البقرة، ١٧/٢).

٣ البيت لأبي الطَّمَحان القَيْني في **الكامل** للمُبرِّد، ٦٨/١؛ و**الأشباه والنظائر** للخالديَّين، ١٥٨/١؛ و**شرح الحماسة** للمرزوقي، ١٥٩٨/٤. وهو للَقيط بن زُرارة في **الحيوان** للجاحظ، ٩٣/٣؛ و**الشعر والشعراء** لابن قتيبة، ٧١١/٢. وهو بلا نسبة في **البسيط** للواحدي، ١٨٧/٢ (البقرة، ١٧/٢)؛ و**تفسير الرازي**، ٨٣/٢ (البقرة، ١٧/٢). قال المرزوقي في شرح البيت: «وقوله: أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم، يريد طهارة أنفسهم، وزكاء أصولهم وفروعهم، فهم بيض الوجوه نيِّرو الأحساب... والثقوب: الإضاءة... وقد ثقَب، أي: اشتدّ ضوءه وتلألؤه. ومعنى نظَّم: حمل على النظم وأقدرَ، فهو بمعنى أنظَم». والجَزْعُ: ضرْب من الخرَز، فيه بياض وسواد، تُشبَّه به الأعين. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «جزع».

٤ ن - قوله.

٥ هي قراءة ابن أبي عَبلة واليماني ومحمّد بن السَّميفع. انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٣٣/٣ (البقرة، ١٧/٢)؛ و**شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٥٢؛ و**المغني في القراءات** للنَّوْزوازي، ص ٣٨٧؛ و**إعراب القراءات الشواذّ** للعكبري، ١٢٧/١.

وفِيه وجهٌ آخَرُ: وهو أن يَسْتَتِرَ في الفعل ضميرُ النَّار، ويُجعَل إشْرَاقُ ضَوْءِ النَّارِ حَوْلَهُ بمنزلةِ إشراقِ النَّارِ نفسِها على أنَّ ﴿مَا﴾ مزيدةٌ أو مَوْصُولةٌ في مَعنى الأَمْكنةِ.

و﴿حَوْلَهُۥ﴾ نصبٌ على الظَّرْفِ، وتأليفُه للدَّوَرَان والإطَافَةِ، وقيل للعَامِ: حَوْلٌ؛ لأنَّه يَدُور.

قوله: **(وفيه وجه)**، يعني: في تأنيث ﴿أَضَآءَتۡ﴾ إذا جُعِل لازمًا وجهٌ آخر، وهو أن يكون ﴿أَضَآءَتۡ﴾ مُسنَدًا إلى الضمير المستتر العائد إلى "النار"، وتكون ﴿مَا﴾ زائدة، و﴿حَوْلَهُۥ﴾ ظرفُ ﴿أَضَآءَتۡ﴾. أو تكون ﴿مَا﴾ موصولة، و﴿حَوْلَهُۥ﴾ جملةٌ ظرفيّة صلةٌ ﴿مَا﴾، والمعنى: أضاءت النار في حَوالَي المُستوقِد، أي: في الأمكنة التي حول المُستوقِد.

قوله: **(في معنى الأمكنة)** صفة قوله: **(موصولة)**.

قوله: **(ويُجعَل)** يُريد أن يَدفَع به سؤالًا يَرِد على هذا الموضع، وهو أن يقال: كيف قيل أضاءت النار في حَوالَي المُستوقد؟ فإنّ النار ليست في حَوالَي[1] المُستوقِد، فلا تكون مضيئة في حَوالَي المُستوقِد. فقال: النار وإن لم تكن بنفسها مُضيئة، أي: مُشرِقة في حَوالَي المُستوقِد، لكنّ ضوءها لمّا كان مُحيطًا بالمُستوقِد مُشرِقًا حوله أسند الفعل إلى النار نفسها. ويقرُب منه قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف ١٨/٩٦]. فقوله: **(على أنّ "ما")**[2] مُتعلّق بقوله: **(يستتر في الفعل)**. وقوله: "يُجعَل" إلى قوله: **(نفسها)** جملة متوسطة للمعنى المذكور.

قوله: **(وتأليفه)** أي: تأليف "الحول"، يريد: أنّ تركيب "حَ وَ لَ" يدلُّ على الدوران / والإطافة. وحول الشيء: الجوانب الذي تتّصل به، تقول:[3] دارَ حَولَه. [٩٣و] والحَوْل: السَّنَة؛ لأنّها تَحُول. وحالَ عن العَهد، أي: تغيَّر. وحالَ لونُه، أي:

---

١ ن: حتّى.
٢ ن - "ما".
٣ ن: لقوله.

فإن قلتَ: أَينَ جوابُ "لمَّا"؟

قلتُ: فيْهِ وَجْهان:

أحدُهما: أنَّ جَوَابَه ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.

والثاني: أنَّه مَحْذوفٌ كما حُذف في قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ [يوسف ١٥/١٢]، وإنما جازَ حَذْفه لاسْتِطالةِ الكلامِ مَع أَمْنِ الإِلْباس للدَّالِّ عليه، ....

تغيَّر لونه. والحَوَالة: انقلاب الحقّ من شخص إلى شخص. والمُحاوَلة: طلب الشيء بعد أن لم يكن طالبًا له. والحَوَل بفتح الحاء: انقلاب العين، والحِوَل بكسرها: الانقلاب. قال تعالى: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف ١٠٨/١٨].[١]

قوله: **(فيه)** أي: في جواب **(لمّا)**.

قوله: **(كما حُذِف في قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾)**، يعني: قوله تعالى في "سورة يوسف": ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف ١٥/١٢]. وجواب "لمّا" محذوف، ومعناه: فلمّا ذهب إخوة يوسف بيوسف عليه السلام[٢] وعزموا واتفقوا على أن يَطرحوه في البئر وكذا وكذا فعلوا، أي: فعل إخوة يوسف به، أي: بيوسف ما فعلوا.

قوله: **(وإنّما جاز حذفه)** أي: حذف جواب ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾. واللام في **(لاستطالة)** مُتعلِّق بـ**(جاز)**.

قوله: **(مع[٣] أَمْن)** حال من الكلام، أي: مُقارِنًا لأمن الإلباس.[٤] واللام في **(للدالّ)** مُتعلِّق بـ"الأمن".

قوله: **(عليه)** أي: على الجواب المحذوف، وذلك الدالّ[٥] هو قوله تعالى:[٦] ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.

---

١ من قوله: "وحول الشيء" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٨٣/٢ (البقرة، ١٧/٢).

٢ د ش – عليه السلام.

٣ ن – مع.

٤ ن: الالتباس.

٥ ن: الذلة.

٦ د ش – تعالى.

وكانَ الحَذْفُ أَوْلى مِنَ الإثباتِ لِمَا فيه مِنَ الوَجازَةِ، مع الإعْراب عن الصِّفةِ التي حَصَلَ عليها المستوقِدُ بما هو أبلَغُ من اللَّفظ في أداء المعنى؛ كأنَّه قيل: فلمَّا أَضَاءَتْ ما حَوْلَه خَمَدَتْ فبَقُوا خَابِطينَ في ظَلامٍ مُتحيِّرينَ متحسِّرينَ على فَوْتِ الضَّوْءِ، خائبينَ بعْدَ الكدْحِ في إحْياءِ النَّارِ.

فإن قلتَ: فإذا قُدِّر الجوابُ محذوفًا فبِمَ يتعلَّقُ ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؟

قلتُ: يكون كلامًا مستأنفًا، كأنَّهم لمَّا شُبِّهت حالُهم بحالِ المُستوقِدِ الذي طَفِئَتْ نارُه اعترَضَ سائلٌ فقال: ما بَالُهُم قد أَشْبَهَتْ حالُهم حالَ هذا المُستوقِدِ؟ فقيل له: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أو يكونُ بدلًا مِن جُملةِ التمثيلِ على سبيل البَيان.

قوله: (**لِمَا فيه**) أي: في الحذف، و(**مِن**) بيان "ما". و(**الإعراب**): البيان. و(**عن**) مُتعلِّق بـ"الإعراب". و(**الصفة التي حصل عليها المُستوقِد**) هي الخيبة والحرمان. وقوله: (**بما**) مُتعلِّقٌ[١] بـ"الإعراب". وقوله: (**خمَدت**) هو الجواب المحذوف. و(**الكَدْح**): العمل والسعي. و(**في**) مُتعلِّق بـ"الكَدْح".

قوله: (**هذا المُستوقِد**) أي: المُستوقِد الموصوف بهذه الصفات.

قوله: (**فقيل له**) أي: للمُعترِض ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾، يعني: إنّما صار مَثَلهم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾؛ لأنه ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.

قوله: (**أو يكون بدلًا**) عطفٌ على قوله: (**يكون**).

قوله: (**من جملة التمثيل**) يعني من جملة قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾... إلخ.[٢]

قوله: (**على سبيل البيان**) لِمَا مرّ أنّ البدل فيه بيانٌ للمُبدَل[٣] منه، كما أنّ الصفة كذلك؛ ولذلك لم يُجِز سيبويه: "بي المسكينَ[٤] كان الأمر"، ولا "بكَ المسكينَ".[٥]

---

[١] ن: يتعلّق.

[٢] ن: الآية.

[٣] ن: المبدل.

[٤] ن: في المسكين.

[٥] انظر: كتاب سيبويه، ٧٦/٢.

فإنْ قلتَ: قد رَجَع الضميرُ في هذا الوَجْه إلى المنافقينَ، فما مَرْجعُه في الوَجْه الثاني؟

قلتُ: مرجعُه ﴿ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾؛ لأنه في معنى الجَمع، وأمَّا جمعُ هذا الضمير وتَوْحيدُه في ﴿حَوْلَهُۥ﴾ فللحَمل على اللفظ تارةً وعلى المعنى أُخرى.

وقد مرّ تمام تقريره في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾ [الفاتحة ١/٦-٧].

قوله: **(قد رجع الضمير)**، يعني: من قوله: ﴿بِنُورِهِمْ﴾.

قوله: **(في هذا الوجه)**، أراد بهذا الوجه: أن يكون جوابُ ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾ محذوفًا؛ لأنّ كلامه في هذا الوجه، وهو يشمل الاستئناف والبدل.

قوله: **(فما مَرجِعه؟)** أي: فما مَرجِع الضمير من قوله: ﴿بِنُورِهِمْ﴾ في الوجه الثاني؟ ويريد بالوجه الثاني: أن يكون ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ جواب "لمّا"، فإنّه يتعيَّن في هذا الوجه الثاني عَوْد الضمير إلى "الذي"، وهو مفرد؛ فلذلك سأل عنه بطريق دالّ على الاستبعاد، وهو قوله: "فما مرجعه؟". ولا بأس في تسميّة هذا الوجه بالوجه الثاني، وإن كان مذكورًا أوّلًا، فإنّ كلًّا[1] من الوجهين ثانٍ للآخر. قال تعالى: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ [التوبة ٩/٤٠].

قوله: **(وأمّا جَمْع هذا الضمير)**، يعني: في قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؛ "وتوحيد الضمير في قوله: ﴿حَوْلَهُۥ﴾"، مع أنّ مَرجِع الضمير فيهما واحد وهو "الذي"، فلاعتبار المعنى تارةً واللفظ أخرى. وظاهرٌ[2] أنّ هذا الكلام إنّما هو على تقدير أن يكون الضمير في ﴿بِنُورِهِمْ﴾ عائدًا إلى "الذي"، إذ الكلام على هذا التقدير. وأمّا على تقدير أن يكون الضمير في ﴿بِنُورِهِمْ﴾ عائدًا إلى[3] المنافقين فظاهر؛ لأنّ ضمير الجمع يكون عائدًا إلى المنافقين، وضمير المفرد إلى "الذي". فقوله: "وأمّا" جواب سؤال يتعلّق بهذا الوجه. وهذا الموضع

---

١ ن: كان.

٢ ن: فظاهر.

٣ ن – "الذي"، إذ الكلام على هذا التقدير. وأمّا على تقدير أن يكون الضمير في ﴿بِنُورِهِمْ﴾ عائدًا إلى.

فإن قلتَ: فما معنى إسنادِ الفعلِ إلى الله تعالى في قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؟

قلتُ: إذا طَفِئَت النَّارُ بسببٍ سَمَاوِيٍّ رِيحٍ أَوْ مطرٍ فقد أَطْفَأَهَا الله وذَهَب بنُور المستَوْقِدِ.

ووَجْهٌ آخرُ: وَهو أن يكونَ المستوقدُ في هذا الوَجْهِ مستَوْقِدَ نارٍ لا يَرْضاها اللهُ، ثُمَّ:

إمَّا أن تكونَ نارًا مَجازيَّةً كنارِ الفِتْنَةِ والعَداوةِ للإسْلام، وتلك النارُ متَقاصِرَةٌ مُدَّةَ اشتعالِها قليلةُ البقاءِ، أَلَا يُرى إلى قوله: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة ٥/٦٤].

كان محتاجًا إلى هذا البسط؛ لأنّ حواشي أكثر نُسَخ الكشّاف في هذا الموضع مَحشوَّة بحَشْوٍ غير مليح.

[٩٣ظ] قوله: (**فما معنى إسناد الفعل؟**) هذا السؤال على / تقدير جَعْل ﴿ذَهَبَ﴾ جواب "لمّا"، كما يدلُّ عليه الجوابان، ووجه السؤال أن يقال: هذا الفعل -وهو الذهاب بنور مَن استوقد النار للاستضاءة- قبيح، فكيف يُسنَد إليه تعالى؟ وأجاب عنه بوجهين: **الأوّل**: أنّه إسناد مجازيّ، **والثاني**: أنّ المراد بالنار نارٌ إطفاؤها غير قبيح. وأمّا إذا كان[1] ﴿ذَهَبَ﴾ جواب "لمّا" فلا يَرِد هذا السؤال؛ لأنّ الفعل لا يكون قبيحًا، لأنّ استيقاد النار حينئذٍ يكون عبارة عن إظهار المُنافق كلمة الإيمان، وإنّما سمّاه نورًا؛ لأنّه يتزيَّن به ظاهره، ويصير ممدوحًا بسببه فيما بينهم محظوظًا بنصيبه من الفيء والغنائم والزكاة. والإطفاء وإذهاب النور حينئذٍ يكون عبارة عن هَتْك سِتر المُنافق بتعريف نبيّه عليه السلام والمؤمنين حقيقةَ أمره، فيظهر له اسم النفاق بدلَ ما يظهر له من اسم الإيمان، فبقيَ في ظلمات لا يُبصِر؛ إذ النور الذي قد كان له قد كشَف الله تعالى[2] أمره فزال.[3]

---

[1] هامش د ش ظ: إذا لم يكن.

[2] د - تعالى.

[3] ن: فذاك.

وإمّا نارًا حقيقيّةً أوْقَدَهَا الغُواةُ ليَتَوَصَّلُوا بالاستضاءَةِ بها إلى بَعْضِ المَعَاصِي، ويَتَهَدَّوْا بها في طُرُقِ العَيْثِ فأَطْفَأَهَا اللهُ وخَيَّبَ أَمَانِيَّهم.

فإن قلتَ: كيفَ صحَّ في النَّار المجازيَّةِ أن تُوصَفَ بإضاءةِ ما حَوْلَ المستَوقِدِ؟

قلتُ: هو خارجٌ على طريقةِ المجاز المُرشَّح فأَحْسِنْ تَدَبُّرَه.

فإن قلتَ: هلّا قيل: ذَهَبَ اللهُ بضَوْئِهم؛ لقوله: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾؟

قلتُ: ذِكرُ النُّور أبْلغُ؛ لأنَّ الضَّوءَ فيه دلالةٌ على الزيادة، فلو قيل: ذَهَبَ اللهُ بضوئهم، لَأَوْهَمَ الذَّهابَ بالزيادة وبَقَاءَ ما يُسمَّى نورًا، والغَرضُ إزالةُ النُّور عنهم رأسًا وطَمْسُه أصْلًا، ألا ترَى كيفَ ذَكرَ عَقِيبَه: ﴿تَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ﴾ والظُّلمةُ عِبارَةٌ عن عدم النُّور وانْطماسِه، وكيفَ جَمَعها، ....

قوله: (في طُرُق العَيْث) أي: الإفساد يقال: عاث الذئب في الغَنَم.[1]

قوله: (أن تُوصَف) أي: مع أنّ الإضاءة من صفات النار الحقيقيّة. فأجاب بأنّه "مجاز مُرشَّح"، يعني: أنّه[2] لمّا استُعير لفظة النار اتبِعَت بأشكال لها وأخوات ليكون مجازًا مرشحًا. وقد مرَّ تقريره فلا نُعيده.[3]

قوله: (هلّا قيل)،[4] أي: لِمَ لم يقل: ذهب الله بضوئهم، بدلَ ﴿بِنُورِهِمْ﴾؛ ليكون مطابقًا لقوله: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾؟ وهذا السؤال أيضًا على تقدير أن يكون جوابَ "لمّا".

قوله: (لَأَوْهَم الذهاب بالزيادة) لِمَا عرفت أنّ الضياء أقوى من النور.

قوله: (ألا ترى)[5] بيان لقوله: "والغرض إزالة النور رأسًا"، فإنّ ذِكْر الظلمات وجَمْعَها وتنكيرَها وإتباعَها بقوله: ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ يدلُّ على المُبالغة. و"الشَّبَح": الشخص، وقد يُسكَن.

---

[1] د: الغنَم.
[2] ن – أنّه.
[3] ن: نعيد.
[4] ن: ضلَّ.
[5] د: يُرى.

وكيفَ نكَّرَها، وكيفَ أَتْبَعَها ما يَدُلُّ على أنَّها ظُلْمةٌ مُبْهَمَةٌ لا يَتَراءى فيها شَبَحان، وهو قوله: ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾.

فإن قلتَ: فلِمَ وُصِفَتْ بالإِضَاءة؟

قلتُ: هذا عَلى مَذْهَبِ قولهم: لِلباطل صَوْلةٌ ثُمَّ يَضْمَحِلُّ، ولرِيحِ الضَّلالةِ عَصْفَةٌ ثمَّ تَخْفِتُ، ونارُ العَرْفَجِ مَثَلٌ لِنَزْوَةِ كلِّ طَمَّاحٍ.

قوله: (**لا يتراءى**) أي: لا يرى أحد الشخصين الآخر.

قوله: (**وهو**) عائد إلى قوله: (**ما[1] يدلُّ**).

قوله: (**فلِمَ وُصِفت؟**) حاصل هذا السؤال أنّه لمّا ذكر آنفًا في جواب السؤال المُتقدِّم أنّه[2] إنّما ذكر النور؛ لأنّ ذِكْر النور أبلغ، لأنّ الضوء يدلُّ على الزيادة، سأل أنّه إذا كان كذلك فلِمَ لم يقل: فلمّا أنارت ما حَوله ذهب الله بنورهم؟ فأجاب بأن ذلك إشارة إلى قوّة ظهوره أوّلًا، ثمّ انعدامه عَقيبه سريعًا، كما مُثِّل بنار العَرْفَج فإنّه يأخذ سريعًا في الاشتغال ثمّ ينطفئ. يقال: «صال عليه إذا استطال، وصال عليه: وَثب، "صَوْلةً" وصَوْلًا. يقال: 'رُبَّ قول أشدُّ من صَوْل'».[3] «و"اضمحلَّ" الشيء إذا ذهب، وفي لغة الكِلابيِّين:[4] امضحلّ، بتقديم الميم، حكاه أبو زيد. واضمحلّ السحاب: تقشّع».[5] و"عصفت" الريح إذا اشتدَّت. و"خفَتَ" الصوت خُفوتًا: سكن. و(**العَرْفَج**): شجر ينبُت في السهل، الواحدة عَرْفجة.[6] و(**نار العَرْفَج**) تُسمّى نار الزحفتَين، «ونار الزحفتَين: نار الشِّيح والألاء؛ لأنّهما يُسرع الاشتعال فيهما، فيزحف عنهما».[7] و"النَّزْوة": الوثبة. وطمح بصره إلى الشيء: ارتفع، وكل مُرتفِع: طامح، ورجل (**طمّاح**): شَرِهٌ.

---

[1] ن – ما.

[2] ن – لمّا ذكر آنفًا في جواب السؤال المُتقدِّم أنّه.

[3] **الصحاح** للجوهري، «صول». والمَثَل في **جمهرة الأمثال** للعسكري، ١/٤٧٦؛ و**مَجمَع الأمثال** للميداني، ١/٢٩٠.

[4] ن: الكلاليب.

[5] **الصحاح** للجوهري، «ضحل».

[6] ن: العرفجة.

[7] **الصحاح** للجوهري، «زحف».

والفرقُ بينَ "أَذْهَبَهُ" و"ذَهَبَ به": أنَّ معنَى أَذْهَبَه: أَزَالَه وجَعله ذاهِبًا، ويقالُ: ذهَبَ به: إذا استصْحبَه ومَضَى به معه، وذهبَ السلطانُ بمالِهِ: أخَذَه، ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ [يوسف ١٥/١٢] ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون ٩١/٢٣]، ومنه: ذهبَتْ به الخُيَلاءُ.

والمعنَى: أَخَذَ اللهُ نورَهم وأَمْسَكه، وما يُمسك اللهُ فلا مُرسل له، فهو أَبْلَغُ من الإِذْهاب.

وقَرَأَ اليَمانِي: "أَذْهَبَ اللهُ نورَهم".

قوله: (والفرق)، يريد أن يُجيب عن سؤال وهو أنّه: لِمَ قال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾، ولم يقل: أَذهَب الله نُورهم؟ وحاصل الجواب: أنّه أبلغ، فلذا استنتجه وقال: (فهو أَبلَغ)، وإنّما كان أبلغ؛ لأنّ معناه: استصحبه وأخذه لنفسه، وأمّا أَذهَبه فمعناه: أزاله عن موضعه وجعله ذاهبًا عن ذلك الموضع.

قوله:[١] (وما[٢] يُمسِك) اقتباس[٣] من قوله تعالى: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ [فاطر ٢/٣٥].

قوله: (وقرأ اليماني) بتخفيف الياء،[٤] والمراد طاوس اليماني. قال المُطرّزيّ في المُغرِب: اليمين خلاف اليسار،[٥] ومنها اليمن / بخلاف الشام؛[٦] لأنّها بلاد [٩٤و]
على يمين الكعبة، والنسبة إليها يمنيٌّ بتشديد الياء، ويمانٍ بالتخفيف، على تعويض الألف من أحد ياءَي النسبة، ومنه طاوس اليماني.[٧]

---

١ ن – قوله.

٢ ن: وبما.

٣ عبارة الكشّاف في أصوله المخطوطة: «وما يُمسِك الله فلا مُرسِل له»، وهي في مطبوعه «﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾»، وكذا وقعت في نصّ الكشّاف المُصاحِب فتوح الغيب للطِّيبي، ٢٣٩/٢ (البقرة، ١٧/٢)، وبذلك يُشكِل معنى الاقتباس الذي ذكره الجاربردي ههنا. فلزم التنبيه.

٤ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٢؛ المغني في القراءات للنّوزوازي، ص ٣٨٨.

٥ ن: الشمال.

٦ د: الشأم.

٧ انظر: المُغرِب للمُطرّزي، «يمن». وفي مطبوعه «لخلاف الشام».

و"تَرَكَ" بمعنَى: طرَحَ وخَلَّى إذا عُلِّقَ بواحدٍ؛ كقولِهم: تَرَكَهُ تَرْكَ ظُبَيٍّ ظِلَّه.

فإذا عُلِّقَ بشَيْئَيْنِ كانَ مُضَمَّنًا مَعْنَى: صَيَّر، فَيجْرِي مَجْرَى أفعالِ القلُوب؛ كقول عَنْتَرَةَ:

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ

قوله: (و"ترك") في محلّ المبتدأ، وقوله: (بمعنى: طرَح وخلّى) خبره.

قوله:[1] (إذا) ظرف للخبر. وقوله: (عُلِّق) أي: عُدِّي إلى مفعول واحد.

قوله: («تركه ترْك ظُبَيّ ظِلّه»)[2] ظُبَيّ تصغير ظَبْي، والمراد بـ"ظِلّه":[3] كِناسه[4] الذي يستظل به في شدّة الحرّ، فيأتيه الصائد فيُثيره فلا يعود إليه أبدًا. يُضرَب هذا المَثَل فيمَن ترَك أمرًا لا يعود إليه.[5]

قوله: (عُلِّق بشيئين) أي: عُدِّيَ إلى مفعولين. قال عنترة:

(فتركتُه جَزَرَ السباع يَنُشْنَهُ) يَقضَمنَ حُسْن بنانه والمِعصَمِ[6]

«جَزَر السباع: اللحم الذي تأكله، يقال: تركوهم جَزَرًا -بالتحريك- إذا قتلوهم»،[7] فتركوهم جَزَرًا للسباع. قال في المُغرِب: «وكأنّه مِن الجَزَر جمع جَزْرة وهي الشاة السمينة».[8] والنَّوْش: التناول. والقَضْم: الأكل بمُقدَّم الأسنان، والفعل قَضِم يَقضَم.[9] يقول: رُبَّ قِرْن حاربتُه فقتلتُه، وتركتُه طُعْمة للسباع

---

[1] ش: وقوله.

[2] انظر: جمهرة الأمثال للعسكري، ١/٢٦٠. بلفظ «ترك ظبي ظِلّه»؛ ومَجمَع الأمثال للميداني، ١/١٢١؛ والمستقصى للزمخشري، ٢/٢٤. وفيهما بلفظ «ترك الظبيِ ظِلّه». وهو بلفظه ههنا في أساس البلاغة للزمخشري، «ترك».

[3] ن - بـ"ظلّه".

[4] ن: الكناسة.

[5] من قوله "كناسه" إلى هنا بألفاظ قريبة جدًّا في مَجمَع الأمثال للميداني، ١/١٢١.

[6] ن - جَزَرَ السباع يَنُشْنَهُ يَقضَمنَ حُسْن بنانه والمِعصَم. | والبيت في ديوان عنترة، ص ٢١٠؛ وشرح المُعلَّقات السبع لابن الأنباري، ص ٣٤٧. والرِّواية فيهما:

وتركتُه جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ
ما بين قُلّةِ رأسِه والمِعصَمِ

والرِّواية التي أوردها المُصنِّف وقعت في شرح المُعلَّقات السبع للزوزني، ص ٢٥٩.

[7] الصحاح للجوهري، «جزر». وأوّله بلفظه في المُغرِب للمُطرِّزي، «جزر».

[8] المُغرِب للمُطرِّزي، «جزر». والكلام مع اختلاف ترتيب في الصحاح للجوهري، «جزر».

[9] انظر: الصحاح للجوهري، «قضم».

ومنه قوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾ أصلُه: هم في ظلماتٍ، ثمَّ دَخَلَ "تَرَكَ" فَنَصَبَ الجُزْأَيْن.

والظُّلمة: عدمُ النور، وقيل: عرَضٌ يُنافي النُّورَ، واشتقاقُها من قولهم: ما ظَلَمك أن تَفْعل كذا؟ أي: ما مَنَعَك وشَغَلَكَ؟ لأنَّها تَسُدُّ البصَرَ وتمْنَع الرُّؤيَةَ.

كما يكون الجَزَر طُعْمة للناس. ثمّ قال: تتناوله السباع وتأكل بمُقدَّم أسنانها بنانه[1] الحَسَن ومِعصَمه الحَسَن.[2]

قوله: (ومنه) أي: ومِن "تَرَك" الذي هو مُضمَّن[3] معنى "صيَّر".

قوله: (أصله)، يريد أنّ قوله: ﴿تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾ كان في الأصل مبتدأ وخبرًا، فدخل "ترَك" بمعنى "صيَّر" فنصَبهما على المفعوليّة، كما تقول في "صيَّرتُ زيدًا غنيًّا": أصله "زيدٌ غنيٌّ"، فدخل "صيَّر" عليه فنصَبهما.

قوله: (والظُّلمة) ذهب الأكثرون إلى أنّ الظلمة: عدم النور عمّا من شأنه أن يكون له نور.[4] واحترزوا بالقيد الأخير عن المُجرَّدات، كالعقول والنفوس عند مَن يثبتها، فعلى هذا التقابُل بين الظلمة والنور تقابُل العدم والمَلَكة،[5] ولا تكون الظُّلمة مِن الأعراض. وقال بعض المُتكلِّمين: إنّها وجوديّة: وهي كيفيّة تمنع الإبصار؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام ٦/١]. والمَجعول لا يكون عدمًا. واعترُض عليه بأنّه لو كانت الظُّلمة ما ذكرتُم لَوَجب ألّا يرى القاعد في الظلمة -كغارٍ مثلًا- النارَ المُوقدَة خارجَ الغار والجالِسين حولها، لوجود الظلمة المانعة منها. وأُجِيب: بأن المانع ظُلمة تُحيط بالمَرئيّ لا بالرائي.

قوله: (لأنّها تسدُّ) هذا بيان المُناسبة بين الظلمة وبين قولهم: "ما ظَلَمك، أي: مَنَعك".

---

١ ن: بيانه.
٢ من قوله: "والنوش" إلى هنا بلفظ قريب في **شرح المُعلَّقات السبع للزوزني**، ص ٢٥٩.
٣ ن: يضمّن.
٤ انظر: **تفسير الرازي**، ٨٣/٢ (البقرة، ١٧/٢)، ومضى آنفًا.
٥ تقابل العدم والمَلَكة: إحدى جهات التقابل الأربعة عند الفلاسفة، وهي: التضايفُ، والتضادُّ، والعدمُ والمَلَكة، والإيجابُ والسَّلب. انظر: **شرح المقاصد للتفتازاني**، ٥٤/٢-٥٥.

وقرأ الحسنُ: "ظُلْمات" بسكون اللام، وقرأ اليَمانيّ: "في ظُلْمة" على التَّوْحيد. والمَفْعولُ الساقط مِن ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ من قَبيلِ المَتْروك المُطَّرَح الذي لا يُلْتَفَتُ إلى إخْطَارِه بِالْبَال -لا مِن قَبيل المقدَّرِ المَنْويِّ-؛ كأنَّ الفِعْلَ غيْرُ مُتعدٍّ أَصْلًا؛ ....

قوله: (والمفعول الساقط) اعلم أنّ «حذف المفعول به كثير، وهو في ذلك على نوعين: أحدهما: أن يحذف لفظًا ويُراد معنى وتقديرًا، والثاني: أن يُجعَل بعد الحذف نِسْيًا مَنسيًّا».[١]

أمّا الأوّل فالغرض منه مجرّد الاختصار، لنيابة قرائن الأحوال عن ذِكره، كقوله عزّ وجلّ: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد ٢٦/١٣]، لاستدعاء الموصول الراجعَ إليه من الصلة، وكقوله تعالى: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف ١٤٣/٧]؛ لاتّضاح أنّ المراد: أَرِني ذاتك.

وأمّا الثاني فإمّا أن يكون القصد منه إلى التعميم والامتناع عن أن يقصُره السامع على ما يَذكر[٢] مع الفعل دون غيره، مع الاختصار. وإنّه أحد أنواع سِحْر الكلام؛ حيث يُتوصَّل بتقليل اللفظ إلى تكثير المعنى، كقولهم في باب المبالغة: فلان يُعطي ويَمنع، ويَصِل ويَقطَع، ويَبني ويَهدم، ويُغني ويُعدِم، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس ٢٥/١٠]. وإمّا أن يكون القصد إلى نفس الفعل بتنزيل المُتعدّي منزلة اللازم، ذهابًا في نحو "فلان يعطي" إلى معنى: يَفعَل الإعطاء ويُوجِد هذه الحقيقة، تنزيلًا لإعطاء غيره منزلةَ العدم، إيهامًا للمبالغة بالطريق المذكور في إفادة اللام الاستغراق.[٣] / كما في قولكَ: [٩٤ظ]
حاتم الجواد وخالد الشجاع، مبالغةً وتنزيلًا لجُود غير حاتم وشجاعة غير خالد منزلة[٤] العدم.

---

١ المُفصَّل للزمخشري، ص ٧٩.
٢ ن: يذكره.
٣ ن: للاستغراق. | من قوله: "أمّا الأوّل فالغرض" إلى هنا مع تهذيب وإعادة ترتيب في مفتاح العلوم للسَّكّاكي، ص ٣٣٤.
٤ د: بمنزلة.

نحو ﴿يَعْمَهُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف ١٨٦/٧].

فإن قلتَ: فيم شُبِّهَتْ حالُهم بحال المستوقد؟

قوله: (نحو ﴿يَعْمَهُونَ﴾)، يريد أنّ ﴿يَعْمَهُونَ﴾ غير مُتعدٍّ، فجُعِل ﴿يُبْصِرُونَ﴾ كـ﴿يَعْمَهُونَ﴾ في عدم التعدية. والعَمَه: التحيُّر والتردُّد. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف ١٥/٤٦]، ولم يقل: أصلح لي ذُريتي؛ ذهابًا إلى معنى: اجعل ذريتي محلًّا للصلاح.[١] وقول ذي الرُّمّة:

وإنْ تعتَذر بالمَحْل مِن ذي[٢] ضُروعها إلى الضيف يَجرَحْ[٣] في عَراقيبها نَصْلي[٤]

قوله: بالمَحْل، أي: بالجَدْب: وهو انقطاع المطر، ويبس الأرض من الكلأ. والباء للسببيّة لا للظرف. ويريد بـ"ذي ضروعها": اللبن الذي[٥] في الضَّرع. و"يجرح"[٦] جواب الشرط. و"نصلي" فاعله، والنصل: السيف. والعراقيب جمع عُرقوب، وهو: العصب الغليظ فوق العَقِب، يعني: إذا اعتذرت الناقة إلى الضيف مِن قلّة لبنها، أي: إذا قلَّ لبنها بسبب المَحْل يجرحُ[٧] نصلي في عراقيبها، أي: أذبحُها. وإنّما قال: يجرحْ[٨] في عراقيبها؛ لأنّهم كانوا يَعقِرون الناقة إذا أرادوا نَحرها لئلّا يُحتاج إلى إحكامه وإبرامه.

قوله: (فيمَ شُبِّهت؟)، يعني: ما وجه الشَّبَه بين مَثَل المُنافقين، وهو صفتهم العجيبة الشأن وبين مَثَل المُستوقِد الذي أُعطِيَ نورًا بالاستيقاد، ثمّ سُلِب ذلك النور منه. ثمّ اعلم أنّ المُصنِّف بيَّن وجه الشبه من ثلاثة أوجه، ولمّا ذكر الوجه الأوّل من الوجوه الثلاثة أورد سؤالًا عليه وأجاب عنه، ثمّ شرع في الوجهين الآخرين.

---

١ د: للصالح. | انظر: **الكشّاف** للزمخشري، (الأحقاف، ١٥/٤٦)؛ وجاء بتمامه لذي الرُّمّة في **المُفصَّل** للزمخشري، ص ٧٩.

٢ ن – ذي.

٣ ن: يخرج.

٤ في ديوانه، ١٥٦/١، وفيه «على الضيف» بدل «إلى الضيف». وجاء عجزه شاهدًا على ما نحن فيه وبلا نسبة في **الكشّاف** للزمخشري، ٤٩٩/٥

٥ ن + يكون.

٦ ن: يخرج.

٧ ن: يخرج.

٨ ن: يخرج.

قلتُ: في أَنّهم غِبَّ الإضاءةِ خَبَطُوا في ظلمةٍ وتَوَرَّطُوا في حَيْرَةٍ.

فإن قلتَ: وأين الإضاءةُ في حال المنافق، وَهَلْ هُوَ أَبدًا إلّا حَائِرٌ خابِطٌ في ظَلْماءِ الكُفْرِ؟

قلتُ: المُرادُ: ما اسْتَضَاءُوا به قَلِيلًا من الانتفاع بالكلمةِ المُجْرَاةِ على أَلْسنتهم، ووَراءَ استضاءتِهم بنورِ هذه الكلمةِ ظلمةُ النِّفاقِ التي تَرْمِي بهم إلى ظلمةِ سَخَطِ اللهِ وظُلمةِ العِقابِ السَّرْمَدِ.

قوله: **(قلتُ: في أنّهم)** هذا هو الوجه **الأول** من الوجوه الثلاثة، والضمير للمُستوقِدين. وغِبَّ، أي: عَقِيب، وغِبّ كل شيء عاقبتُه. و"الورطة": الهلاك، يقال:[١] أَوْرَطه وورَّطه توريطًا، أي: أوقعه في الورطة، وتورَّط هو فيها.[٢] والأولى أن يقول: الضمير في "أنهم" للمُنافقين والمُستوقِدين؛ لأن السؤال إنّما هو عن وجه الشبه، ووجه الشبه ينبغي أن يكون شاملًا للطرفين.

قوله: **(وأين الإضاءة؟)** هذا اعتراض على هذا الوجه، وتقريره أن يقال: مَن استوقد نارًا فأضاءت قليلًا فقد انتفع بها وبنورها ثم حُرِم، فأمّا المنافقون فلا انتفاع لهم البتة بالإيمان، فكيف يصحُّ التشبيه؟ فإنّ وجه التشبيه لا بدَّ أن يكون شاملًا للطرفين.[٣]

قوله: **(خابط)** من قولهم: خبَط البعير الأرض بيده خبْطًا إذا ضربها. ومنه خبط عشواء: وهي الناقة التي في بصرها ضَعْف تخبِط[٤] إذا مشتْ لا تتوقّى شيئًا.[٥] فيقال لكلّ من ركِب أمرًا من غير بصيرة: يخبِط خَبْطَ عشواء.

قوله: **(قلت: المراد)**... إلخ، هذا[٦] جواب عن هذا الاعتراض. اعلم أنّ العلماء اختلفوا في تلك الإضاءة: قال السُدّي: إنّ ناسًا دخلوا في الإسلام عند وصول النبيّ عليه السلام إلى المدينة، ثمّ إنّهم نافقوا. والتشبيهُ ههنا[٧] في نهاية الصحة؛

---

١ د ش: فقال.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ورط».

٣ ن – قوله: (أين الإضاءة؟)... شاملًا للطرفين.

٤ ن: مخبطا.

٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «خبط».

٦ ن + هو.

٧ ن – ههنا.

ويجوز أَنْ يُشَبَّهَ بذهابِ الله بنورِ المستوقِدِ إطْلاعُ اللهِ على أَسْرارهم وما افْتَضَحُوا به بينَ المُؤمنينَ، واتَّسَمُوا به من سِمَةَ النِّفاق.

لأنّهم بإيمانهم أوّلًا اكتسبوا نورًا، ثمّ بنفاقهم ثانيًا أبطلوا ذلك النور، ووقعوا في حَيرة عظيمة، فإنّه لا حَيرة أعظم من حَيرة الدِّين؛ لأنّ المُتحيّر في طريقه لأجل الظلمة لا يخسر إلّا القليل من الدنيا، وأمّا المُتحيّر في الدِّين فإنّه يخسر نفسه في الآخرة أبدَ الآبدين.[١]

وهذا القول لم يذكره المُصنِّف. وأمّا تقرير ما ذكره المصنّف فهو أن نقول: إن لم يَصِحّ ما قاله السُّدِّي، بل كانوا مُنافقين أبدًا من أوّل أمرهم،[٢] فهنا[٣] قول آخر ذكره الحَسَن، وهو: أنّهم لمّا أظهروا الإسلام فقد ظفروا بحقن[٤] دمائهم وسلامة أموالهم عن الغنيمة وأولادهم عن السَّبي، وظفروا بغنائم الجهاد وسائر أحكام المؤمنين، عدّ ذلك نورًا من الإيمان، ولمّا كان ذلك بالإضافة إلى العذاب السَّرمد -أي:[٥] الدائم- قليلًا قدرُه شبَّههم بمُستوقِد النار الذي انتفع بضوئها قليلًا ثمّ سُلِب[٦] ذلك، فدامت حيرته وحسرته للظلمة التي جاءته في أعقاب النور، فكان يسيرُ / انتفاعهم في الدنيا يُشبِه النور، وعظيمُ ضررهم في الآخرة يُشبِه الظلمة.[٧] [٩٥و]

قوله: (ويجوز أن يُشبَّه) عطف على قوله: (في أنّهم غبَّ[٨] الإضاءة)، وهذا هو الوجه الثاني من الوجوه الثلاثة للتشبيه. وقوله: (إطْلاعُ) بتخفيف الطاء، مفعول قائم مَقام فاعل "يُشبَّه"، وأضاف "الإطلاع" إلى فاعله وحذف مفعوله، أي: إطلاع الله تعالى[٩] المُؤمِنين.

قوله:[١٠] (ما افتضحوا) عطف على "إطلاع". و(مِن) بيان "ما". و"السِّمة":

---

١ من قوله: "قال السدِّي" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٢/٨٠-٨١ (البقرة، ٢/١٧).
٢ ن: الوهلة.
٣ ن: فهذا.
٤ ن: بحفظ.
٥ ن: السرمدي.
٦ ن: سلبت.
٧ من قوله: "إن لم يصحّ ما قاله" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٢/٨١ (البقرة، ٢/١٧).
٨ ن - النور، وعظيمُ ضررهم في الآخرة يُشبه الظلمة. قوله: (ويجوز أن يُشبَّه) عطف على قوله: (في أنّهم غبَّ).
٩ ش - تعالى.
١٠ ن: وقوله.

والأَوْجَهُ أَنْ يرادَ الطبعُ؛ لقوله: ﴿صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٌ﴾.

وفي الآية تفسيرٌ آخرُ: وهو أنَّهم لمَّا وُصِفُوا بأنَّهم اشتروا الضَّلالة بالهُدى عُقِّبَ ذلك بهذا التمثيل؛ ليُمثَّلَ هُداهم الذي باعُوهُ بالنَّار المُضِيئة ....

العلامة. وتقرير هذا الوجه أن نقول: يجوز أن يكون استيقاد النار عبارة عن إظهار المنافق كلمة الإيمان، وإنّما سمّاه نورًا؛ لأنّه يتزيَّن به ظاهره، ويصير ممدوحًا بسببه فيما بينهم، ثمّ إنّ الله تعالى يُذهِب ذلك النور بهَتك سِتر المُنافق بتعريف نبيّه عليه السلام والمُؤمنين حقيقة أمره، فيَظهر له اسم النفاق بدل ما يَظهر منه اسم[١] الإيمان، فبَقِيَ في ظلمات لا يُبصِر؛ إذ النور الذي كان له قد كشف الله تعالى أمره، فزال.[٢]

قوله: (والأَوجَه) عطف أيضًا على قوله: "في أنّهم"، وهذا هو الوجه الثالث من وجوه التشبيه. وتقريره أن يقال: استيقاد النار عبارة عن إظهار المنافق كلمة الإيمان كما مرّ، وذهاب الله تعالى[٣] بنورهم عبارة عن الطبع، وهو أنْ طَبَع[٤] الله على قلوبهم جزاء لهم على نفاقهم، يدلُّ عليه قوله تعالى بعد ذلك: ﴿صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٌ﴾.

قوله: (وفي الآية تفسيرٌ آخر) عطف على قوله في أوّل هذه الآية: (لمّا جاء بحقيقة صفتهم عقَّبها بضرب المَثَل زيادة في الكشف)، إذ معنى الوجه الأوّل أنّه لمّا ذكر صفتهم وأفعالهم في الآيات المتقدّمة ضرب لهم المَثَل في هذه الآية زيادة في البيان، ومعنى هذا الوجه: أنّ هذه الآية كالبيان لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ فشُبّه الهُدى الذي تركوه بالنار المضيئة ما حول المُستوقِد، وشُبّه الضلالة التي اختاروها بذهاب الله بنورهم.

قوله: (ذلك) أي: وَصْفهم باشتراء الضلالة.

قوله: (بهذا التمثيل)، يعني: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي﴾... إلخ.

---

١ ش: من اسم.

٢ من قوله: "يجوز أن يكون" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٨١/٢ (البقرة، ١٧/٢).

٣ ش – تعالى.

٤ ن: يطبع.

ما حولَ المستوقِدِ، والضَّلالةُ التي اشترَوْها وطُبِع بهَا عَلى قلوبهم بذَهَابِ الله بنُورهم وتركهِ إيَّاهم في الظلمات، وتنكيرُ النارِ للتعْظيم.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾

كانَتْ حَواسُّهُم سَلِيمةً، ....

قوله: (وتَرْكه) أي: تَرْكُ الله تعالى[1] عطفًا على قوله: (بذهاب).

قوله: (وتنكير النار)، يعني، على الوجه الثاني (للتعظيم) فإنّ النار على هذا الوجه عبارة عن الدين القيِّم، وهو فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها.

قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

أي: «هم صمٌّ جمع أصمّ: وهو المُنَسدّ الأذن. يقال: رُمح أصمُّ إذا لم يكن أجوف».[2] قال عنترة:

فشككْتُ بالرُّمح الأصمّ ثيابهُ ليس الكريم على القَنا بمُحرَّمِ[3]

يقال: شككتُه بالرُّمح، أي:[4] خرقتُه. «وصخرة صمّاء إذا كانت صُلْبة».[5] والأبكم: الأخرس، وكذا البكيم. قال الشاعر:

فليتَ لساني كان نصفين منهما بكيمٌ ونصفٌ عند مَجرى الكواكبِ[6]

والعُمْيُ: جمع الأعمى، ويَحتمِل أن يكون مِن عمى البصر والبصيرة.

قوله:[7] (كانت حواسُّهم سليمة)... إلخ، «يعني: لمّا كان معلومًا من حالهم أنّهم كانوا يَسمَعون وينطقون ويُبصِرون امتنع حَمْل قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾

---

[1] ش - تعالى.

[2] الوسيط للواحدي، ٩٤/١ (البقرة، ١٨/٢). وانظر الكلام في البسيط للواحدي، ١٩٥/٢-١٩٦ (البقرة، ١٨/٢).

[3] في ديوانه، ص ٢١٠. ورواية صدره فيه:
كمَشتُ بالرُّمح الطويل ثيابه
ورواية المُصنِّف ههنا وردت في شرح القصائد السبع لابن الأنباري، ص ٣٤٧.

[4] د - أي.

[5] الوسيط للواحدي، ٩٤/١ (البقرة، ٩٤/٢)؛ البسيط للواحدي، ١٩٦/٢ (البقرة، ١٨/٢).

[6] البيت للحُصين بن الحُمام المُرّي في الرَّوض الأُنف للسُّهيلي، ٤١٢/١؛ وهو بلا نسبة في الصحاح للجوهري، «بكم»، وتفسير القرطبي، ٢١٤/١ (البقرة، ١٨/٢).

[7] ن: وقوله.

ولكنْ لمَّا سَدُّوا عن الإصاخَةِ إلى الحقِّ مسامِعَهم، وأَبَوْا أَنْ يُنْطِقوا به ألسنتَهم، وأَنْ يَنْظُرُوا وَيَتَبَصَّروا بِعُيُونِهم، جُعِلوا كأنَّما إِيفَتْ مَشاعِرُهم وانتقَضَتْ بِناها

على الحقيقة، فلم يبقَ إلّا تشبيه حالهم -لشدَّة تمسُّكهم بالعِناد، وإعراضهم عمّا يَطرق سمعهم من القرآن وما يُظهِره الرسول عليه السلام من الأدلّة والآيات- بمن هو أصمُّ في الحقيقة فلا يسمع، فإذا[1] لم يسمع لم يتمكّن من الجواب؛ فلذلك جُعِل بمنزلة الأبكم، وإذا لم يَنتفع بالأدلة ولم يُبصِر[2] طريق الرُّشد فهو بمنزلة الأعمى».[3]

قوله: (ولكن) للاستدراك،[4] يتوسَّط بين كلامَين يتغايران نفيًا وإثباتًا: إمّا لفظًا كقولك: سافر زيد لكنّ عَمرًا[5] لم يُسافر، وإمّا معنى كقولك: سافر / زيد لكنّ عَمرًا حاضر، وههنا التغاير حاصل معنى؛ لأنّ قوله: "حواسُّهم سليمة" في معنى قولك: ليسوا صُمًّا بُكمًا عُمْيًا، فكأنّه قال: ليسوا صُمًّا بُكمًا عُمْيًا في الحقيقة، لكن لمّا لم يسمعوا الحق، ولم ينطقوا بالحقّ، ولم يتبصّروا[6] بعيون الاعتبار شُبِّهوا بمَن أُصِيبت الآفة بحواسّه. [٩٥ظ]

قوله: (سدُّوا) من قولهم: سدَّ الثُّلْمة[7] سدًّا. ومنه سِداد القارورة بالكسر. ويقال: "أصاخ له"، أي: استمع.

قوله: (يُنطِقوا) بضمّ الياء مِن الإنطاق.

قوله:(به) أي: بالحقّ. وقوله: (جُعِلوا) جواب (لمّا). والآفة: العاهة. وقد "إيفَ" الزَّرع، على ما لم يُسَمَّ فاعله، أي: أصابته آفة. قُلِبت فيه الواو ياء لسكونها[8] وانكسار ما قبلها، فهو مَئوف على مِثال مَقول. والمَشاعر: الحَواسّ.

قوله: (بِناها) صحَّ هنا بكسر الباء، والبِنى[9] بكسر الباء جمع بِنية، وهي:

---

١ ش: وإذا.
٢ ن: لم يبصر.
٣ تفسير الرازي، ٨٤/٢ (البقرة، ١٨/٢).
٤ ن: الاستدراك.
٥ ن: عمر.
٦ ن: يبصروا.
٧ ن: البله.
٨ ن: لكسرتها.
٩ ن: البناء.

التي بُنِيَت عليها للإحْساس والإدْراك؛ كقوله:

صُـمٌّ إذا سَمِعُوا خَيرًا ذُكِـرْتُ بِه وإن ذُكِـرتُ بِسُـوءٍ عِنْدَهُـم أَذِنُـوا

ما يُبتنى منه الشيء؛ والبُنى بالضمّ في المكارم. قال الشاعر:

أولئـك قـومٌ إن بنَـوا أحسـنوا البُنـى[1] وإن عاهدوا أوفَوا وإن عقدوا شدُّوا[2]

قوله: **(بُنِيَت)** أي: المَشاعر على تلك البِنى.

قوله: **(للإحساس)** مُتعلِّق بقوله: "بُنِيَت".

قوله: **(كقوله)** خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا كقوله:[3] **(صُمٌّ)**... إلخ، وقبله:

إن يَسمعوا رِيبة طـاروا بها فرحًا مِنّي وما سمعوا مِن صالـح دَفنوا

(صُـمٌّ إذا سمعوا خيرًا ذُكِـرتُ به وإن ذُكِـرتُ بِشَـرٍّ عندهم أَذِنـوا)[4]

الرِّيبة: الشكّ والتُّهَمة أيضًا. ودَفنوا،[5] أي: ستروا. وأَذِنوا: مِن أَذِنتُ للشيء أَذَنًا إذا استمعتَه وأصغيتَ إليه. والمعنى: إن يسمعوا في حقّي شيئًا مِن المساوئ أشاعوه وأذاعوه؛ لفرحهم بذلك، وما سمعوا من محاسن أفعالي ستروه عن الناس وأخفَوه. ثمّ قال: هُم صُمٌّ عن الخير الذي يسمعونه في حقّي، ولكن إن ذُكِرتُ عندهم بشَرٍّ أصغوا إليه واستمعوا له. والباء في "بها" للتعدية، أي: أطاروها.[6] وقوله: "منّي" مُتعلِّق بـ"طاروا"، يعني: أشاعوها من جهتي بأنّي فعلتُ كذا. و"فرحًا" مفعول له. ويجوز أن تكون الباء للسببيّة، أي: طاروا بسببها، و"مِن" على هذا مُتعلِّق بـ"فرحًا"، أي: مِن حالي ومِن أمري، وهذا كما يقال: طار فلان فرحًا. والأوّل أَوْجَه؛ لأنّه أحسن طِباقًا لقوله: دَفنوا.

---

١ ن: البناء.

٢ البيت للحطيئة في ديوانه، ص ١٤٠. وهو له في **تهذيب اللغة** للأزهري، «بني»، ١٥/٤٩٢. وهو في مطبوعه «أولئك قومي...»؛ و**المَصون** لأبي أحمد العسكري، ص ٢٣.

٣ ن: كقولهم.

٤ البيتان لقَعْنب بن أمّ صاحب، في ديوانه ص ٥٠، وبينهما ستّة أبيات. واجتهد مُحقِّقه في تخريجه. وهما له متواليين في **الصحاح** للجوهري، «أذن». بالرِّواية التي ساقها الجاربردي ههنا؛ و**شرح الحماسة** لأبي القاسم الفارسي، ٣/١٨١؛ و**شرح الحماسة** للتبريزي، ٤/١٢.

٥ ن - دفنوا.

٦ ن: أطاروا.

أَصَـــمُّ عــمَّــا ســـــاءَه سَـمِـيــعُ
أَصَـمُّ عَـنِ الشَّـيءِ الـذي لا أُرِيـدُه   وأَسـمَـعُ خَـلْـقِ اللهِ حـيـنَ أُرِيــدُ

وقال الشاعر:

(أصـــمُّ عـمَّـا ســـاءه سـمـيـعُ)[1]

أي: هو أصمُّ عمّا لا يليق به مُعرِض عمّا ساءه، سميع لِما سرّه مُصغٍ إليه.[2]

وهذا قريب من قول الشاعر:

ولـقـد أمـرُّ عـلـى الـلـئيم يَسبُّني   فمضيـتُ ثُمّـةَ قلـتُ لا يَعنينـي[3]

وبالرِّواية الأخرى:[4]

أصـــمُّ عـمَّـا جـــارُه سـمـيـعُ

ومعناه: هو أصمُّ عن سماع ذِكر محاسنه ومحامده الذي يسمع جارُه، أي: لا يغترُّ به. وقيل: معناه على الرِّواية الأولى: أنا أصمُّ عمّا ساء صاحبي أو حبيبي، سميعٌ لِما سرَّه؛ وعلى الرِّواية الثانية: لا أسمع مِن مساوئه ما يَسمعه جارُه. وهذا مدح فيه شائبة ذمّ. وقوله: "أصمُّ" صفة مُشبَّهة مرفوعة؛ لأنّه خبر مبتدأ محذوف.

وقال الشاعر:

(أصَـمُّ عـن الشيء الـذي لا أُريـده   وأَسـمـعُ خـلـقِ الله حـيـنَ أُريــدُ)[5]

أي: أنا أصمُّ عن الشيء الذي لا أُريده ولا أهواه من ذِكر مَساوئ حبيبي أو ذِكر مساوئي، كما قيل: «أُذُن الكرام عن الفحشاء صمّاء». وقوله: "أَسمعُ[6] خلقِ الله حين أريد"، كما قيل: ينبغي أن يجعل الإنسان عند ذِكر محبوبه نفسه قلبًا،

---

١ ما عرفتُ قائله، وقد جرى فردًا مع الأمثال. وهو بلا نسبة في **تهذيب اللغة** للأزهري، «سمع»، ١٢٥/٢؛ و**جمهرة الأمثال** للعسكري، ١٤٠/١؛ و**البسيط** للواحدي، ١٩٧/٢ (البقرة، ١٨/٢)؛ و**أسرار البلاغة** للجرجاني، ص ٧٩؛ و**مَجمَع الأمثال** للميداني، ٤٠٢/١؛ و**تفسير القرطبي**، ٢١٤/١ (البقرة، ١٨/٢).

٢ انظر: **مَجمَع الأمثال** للميداني، ٤٠٢/١.

٣ مضى تخريجه في في تفسير سورة الفاتحة، ٧/١.

٤ لم أقف على هذه الرِّواية فيما عدتُ إليه من المظانّ.

٥ ما عرفتُ قائله. وهو بلا عزو في **تفسير البيضاوي**، ٥٤/١ (البقرة، ١٨/٢).

٦ ن: وأسمع.

فأصممتُ عمرًا وأعميتُه عَنِ الجُودِ والفَخْرِ يومَ الفخَارِ

فإن قلتَ: كيفَ طريقتُه عندَ علماء البيان؟

قلتُ: طريقةُ قولِهم: "هُمْ لُيوثٌ" للشُّجْعَان، و: "بُحُورٌ" للأَسْخياء، ....

ويجعل قلبه أذنًا، ثمّ يسمع ذِكره، ومن هذا قيل:

غنَّتْ فلم تبقَ فيَّ جارحةٌ إلّا تمنَّيتُ أنّها أُذُنُ[1]

فقوله: "أصمُّ" صفة مُشبَّهة / أيضًا. وقوله: "أَسمعُ" اسم تفضيل مُضاف. [٩٦و]

وقال الشاعر:

(فأصممتُ عَمرًا وأَعميتُهُ عن الجُود والفخر يوم الفَخارِ)[2]

معناه: فاخرتُ عمرًا يومَ الفَخار[3] فأصممتُه[4] عن سماع مَفاخري، إذ لم يَقدِر على جوابي، وأعميتُه عن رؤية جُوده وفخره في مقابلة جُودي وفخري.

وإنّما أورد المُصنِّف هذه الأبيات الأربعة؛ لدلالتها على أنّ سليم الحواسّ قد يُجعَل كمَن إيفَتْ[5] حواسّه؛ للمعنى المذكور، أو لِما يَقرُب منه.

قوله: (**كيف طريقته؟**) أي: طريقة قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٌ﴾.

قوله: (**طريقة قولهم: هُم لُيوث**)، يريد: أنّ حُكم قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٌ﴾ حُكم[6] "هُم لُيوث" في كونه تشبيهًا تُرِك فيه ذِكر وجه التشبيه وحرف التشبيه.

قوله: (**للشجعان**) يجوز فيه ضمّ الشين وكسرها. قال في **الصحاح**: الشَّجاعة:

---

[1] ن: أذنا. | والبيت مُختلَف في نسبته: فهو لكشاجم في **ديوانه**، ص ٤٩٧؛ وعجزه فيه «إلّا تمنّت بأنّها أُذُنُ»؛ وهو للأُخيطل في **المُنصِف** لابن وكيع، ١/١٠٥-١٠٦، وفي مطبوعه «حتّى تمنيت» بدل «إلّا تمنيت»؛ وهو لسليمان بن عبد الله بن طاهر في **الوافي بالوفَيات** للصفدي، ١٥/٣٩٦، وعجزه في مطبوعه «إلّا تمنيتها أنّها أُذُن»، وفيه خلل؛ وهو للأخطل في **معاهد التنصيص** للعباسي، ٤/٣٢-٣٣، وليس في **ديوانه**، ولعلّه تحريف عن الأخيطل؛ وهو بلا عزو في **الوساطة** للقاضي الجرجاني، ص ٢٨١.

[2] ما عرفت قائله. والبيت بلا نسبة في **مقاييس اللغة** لابن فارس، «عمي»؛ و**أساس البلاغة** للزمخشري، «عمي»؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «فخر».

[3] ن - فاخرت عمرًا يوم الفخار.

[4] ن: فأصممت.

[5] ن: انتفت.

[6] ن - حكم.

إلَّا أنَّ هذا في الصِّفات وذاك في الأسماء،...............................

شِدَّة القلب عند البأس، وقد شجُع فهو شُجاع، وقوم شِجْعة وشِجْعان،[١] كغُلام وغِلْمة وغِلْمان، ورجُل شَجيع وقوم شُجعان مثل جَريب وجُربان، وشُجَعاء مثل فُقَهاء، وامرأة شُجاعة. قال أبو زيد يقول الكِلابيُّون: رجُل شُجاع، ولا تُوصَف به المرأة.[٢] وقال في **المُجمَل**: «رجُل شُجاع مُقدِم، ورِجال شِجْعة وشُجَعاء. قال ابن دُرَيد: لا يُلتفَت إلى قولهم شِجْعان؛ فإنّه خطأ».[٣]

قوله: **(إلّا أنّ)** هذا إشارة إلى أنّه لا فرق بينهما إلّا أنّ قوله: ﴿صُمٌّ﴾ تشبيه واقع في الصفات، و"هُم لُيوث" في الأسماء، وأمّا أنّ المُشبَّه مذكور في أحدهما غير مذكور في الآخر فلا اعتداد به في هذا الباب؛ لأنّ المحذوف لدلالة القرينة كالملفوظ به.

وهنا كلام لا بدَّ مِن ذِكره، وهو أنّه: لا يجب في التشبيه ذِكر كلمة التشبيه، بأن تقول: زيدٌ كالأسد، بل إذا قلتَ: زيدٌ أسدٌ، واكتفيت بذِكر الطرفين عُدَّ تشبيهًا، كما إذا قلتَ: كأنّ زيدًا أسدٌ، لكنّ قولك: "زيدٌ أسدٌ" أبلغُ من قولك: زيد كالأسد، كما سيجيء. ولا ذِكر المُشبَّه لفظًا، بل إذا كان محذوفًا -كما إذا قلتَ: أسدٌ وأيُّ أسد، جاعلًا المُشبَّه به خبرًا مُفتقِرًا إلى المبتدأ- كفى؛ لقِصَر المسافة بين الملفوظ به في الكلام، والمحذوف عند القرينة في قوّة الإفادة.

وإنّما الواجب في التشبيه إذا تُرِك المُشبَّه ألّا يكون مضروبًا عنه صفحًا، كما إذا[٤] قلتَ: عندي أسد، أو رأيتُ أسدًا، أو نظرتُ[٥] إلى أسد، فإنّه لا يُعدُّ تشبيهًا بل يكون استعارة، وإنّما عُدَّ قولك: زيد أسد، وقولك: "أسد[٦] وأيُّ أسد!" تشبيهًا؛ لأنّك إذا أوقعتَ "أسدًا" وهو مفرد غير جملة خبرًا لزيد

---

١ ن: وشجعان.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «شجع». وكلام أبي زيد في **جمهرة اللغة** لابن دريد، «شجع»، ١/٤٧٧؛ و**مُجمَل اللغة** لابن فارس، «شجع».

٣ **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «شجع». وكلام ابن دريد في **جمهرة اللغة**، «شجع»، ١/٤٧٧. وفي مطبوعه «شُجعان» بدل «شِجعان».

٤ ش ن - إذا.

٥ ن: إذا نظرت.

٦ ن - وقولك: أسد.

....

استدعى أن يكون زيد هو الأسد، كما في "زيد مُنطلِق" في أنّ الذي هو زيد هو بعينه منطلق، وإلّا كان "زيد أسد" مُجرَّد تعديد، نحو: "جبل، فرس" لا إسنادًا، لكنّ العقل يأبى أن يكون الذي هو إنسان هو بعينه أسدًا، فيلزم المَصير إلى التشبيه بحذف كلمته قصدًا إلى المبالغة.

وإذا عرفتَ أنّ وجود طرفَيْ التشبيه يمنع حمل الكلام على غير التشبيه عرفتَ أنّ فقد كلمة التشبيه لا يُؤثِّر إلّا في الظاهر، بأن يُوهِم[1] أنّه ليس بتشبيه، وأما بحسب الحقيقة فهو تشبيه. فقولك: رأيتُ بزيد أسدًا، ولقيَني منه أسدٌ، وإن أردتَ أسدًا فعليك بزيد، كلُّ ذلك تشبيه. فلذلك عدَّ العلماء الخيط الأبيض والأسود في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة ١٨٧/٢] من باب التشبيه، حيث بُيِّنا بقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، ولولا بيانه به لكانا من باب الاستعارة.[2]

ثمّ اعلم أنّ الحاصل من مراتب التشبيه ثمان:

إحداها: ذِكر أركانه الأربعة، وهي: المُشبَّه، والمُشبَّه به، وكلمة التشبيه، ووجه التشبيه، كقولك: زيد كالأسد / في الشجاعة. ولا قوّة لهذه المرتبة؛[3] لأنّ [٩٦ظ] قوّة التشبيه إمّا لتَرْك ذِكر وجه التشبيه ليفيد العموم، أو لتَرْك حرف التشبيه ليكون حُكمًا على المُشبَّه بأنّه المُشبَّه به مبالغة، وقد عَرِيَت هذه المرتبة عن كليهما، فخلَت عن القوّة. **وثانيها**: تَرْك المُشبَّه، كقولك: كالأسد في الشجاعة. وهي كالأولى[4] في عدم القوّة؛ لِمَا عرفتَ من قِصَر المسافة بين[5] ما حُذِف مبتدؤه وما تُلُفِّظ به. **وثالثها**: تَرْك كلمة التشبيه كقولك: زيد أسد في الشجاعة. وفيها نوع قوّة؛ لأنّه يُوهِم أنّ زيدًا بعينه هو أسد. **ورابعتها**: تَرْك المُشبَّه وكلمة التشبيه،

---

[1] ن: يتوهم.

[2] من قوله: "لا يجب في التشبيه" إلى هنا بلفظ قريب في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٦٣-٤٦٤.

[3] ن - لهذه المرتبة.

[4] ن: كالأوّل.

[5] ن - بين.

وقد جَاءت الاستعارةُ في الأسماء والصِّفات والأَفْعَال جَميعًا؛ تقول: رأيتُ لُيُوثًا، ولَقِيتُ صُمًّا عن الخَيْرِ، ودَجَا الإِسلامُ، ....

كقولكَ: أسدٌ في الشجاعة، في موضع الخبر عن زيد. وهي كالثالثة في القوّة؛ لِما مرّ. **وخامستها:** تَرْك وجه الشبه كقولك: زيد كالأسد. وهي أيضًا قويّة؛ لعموم وجه الشبه. **وسادستها:** تَرْك المُشبَّه ووجه الشبه، كقولك: كالأسد، في موضع الخبر عن زيد. وحُكمها كحُكم الخامسة. **وسابعتها:** تَرْك كلمة التشبيه ووجه الشبه، كقولك: زيد أسد. وهي أقوى الكلّ؛ لاشتماله على القوّتين: قوّة الحكم على زيد بأنّه أسد، وقوّة عمومِ وجه الشبه. **وثامنتها:** إفراد المشبّه به في الذِّكر، كقولك: أسد، في الخبر عن زيد. وهي كالسابعة.[١]

وإنّما انحصر في هذه الثمانية؛ لأنّه إمّا أن يكون شيء من حرف[٢] التشبيه ووجه التشبيه محذوفًا، أو لا. وعلى التقدير الأوّل: فإمّا أن يكون المحذوف هو حرف التشبيه، أو وجه التشبيه، أو كليهما، فهذه أربعة أقسام. وعلى هذه التقادِير: فإمّا أن يكون المُشبَّه محذوفًا، أو لا، صارت ثمانية. وهذا الكلام مبنيّ على أنّه[٣] يَمتنع حذف المشبّه به.

قوله: **(وقد جاءت الاستعارة)**... إلخ، اعلم أنّ هذا القول بعد قوله: "طريقة ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ طريقة: هم[٤] ليوث"، يُوهِم أنّ هذين القولين مِن الاستعارة، وليس كذلك؛ لِما عرفت، ولِما صرَّح المُصنِّف به أيضًا، فمعنى كلامه: أنّ الاستعارة تقع في الأسماء والصفات والأفعال. وتقع أيضًا في الحروف، كقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص ٨/٢٨]، ولم يذكره المصنِّف هنا، ومبنى الاستعارة على التشبيه، فالتشبيه أيضًا يجوز أن يقع فيها. ثمّ ذكر المثال لكلٍّ من الأسماء والصفات والأفعال. فقوله: **(رأيتُ لُيوثًا)** في الأسماء، و**(لقِيتُ صُمًّا)** في الصفات، و**(دجا الإسلام)** في الأفعال

---

١ من قوله: "الحاصل من مراتب" إلى هنا بلفظ قريب في **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٤٦٣-٤٦٤. وزاد الجاربردي فيه بعض الشرح.

٢ ن: حروف.

٣ ن - أنّه.

٤ ن - هم.

وأَضَاءَ الحقُّ.

فإن قلتَ: هل يُسَمَّى ما في الآية استعارةً؟

قلتُ: مختلَفٌ فيه، والمحقِّقون على تسميتِهِ تشبيهًا بَليغًا لا استعارةً؛ لأنَّ المستعارَ له مذكورٌ وَهُمُ المُنَافِقُونَ، والاستعارةُ إنَّما تُطْلَقُ حيثُ يُطْوَى ذِكْرُ المستعارِ له ويُجْعَلُ الكلامُ خِلْوًا عَنْه صالحًا لِأَنْ يُرَادَ به المَنقُولُ عنه والمنْقولُ إليه لولا دلالةُ الحال أو فَحوَى الكلامِ؛ كقول زُهَيْر:

لَدَى أسَدٍ شَاكِي السِّلاحِ مُقَذَّفٍ   لَـه لِبَـدٌ أَظْـفَـارُهُ لَـم تُـقَـلَّـمِ

وكذا (**أضاء**).[١] ومعنى[٢] دجا: كثُر وكثُف؛ لأنّ تركيب[٣] دجا يدلُّ على السَّتر والتغطية. أو معناه: تمّ ووفى، من قولهم: ثوبٌ داجٍ، أي: سابغ، وقد دجا ثوبه: سبَغ. ودجا شَعره: طال حتّى ستر. قال **الأصمعيُّ**: دجا الليل معناه: أنّه ألبَس كلَّ شيء.[٤] واعلم أنّا قد ذكرنا أنّ الاستعارة: أصليّة: وهي في أسماء الأجناس، وتبَعيّة: وهي في الأفعال والصفات المُشتقّة منها، والحروف كقوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص ٨/٢٨]، ولمّا قرّرنا هذا البحث عن قريب فلا نُعيده.[٥]

قوله: (**هل يُسمّى ما في الآية؟**)، يعني قوله تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾.

قوله: (**تشبيهًا بليغًا**)؛ لتَرْك كلمة التشبيه ووجه التشبيه، كما مرّ. وتمام تقرير ذلك قد عُلِم ممّا ذكرناه آنفًا.

قوله: (**خِلوًا**) أي: خاليًا عنه، أي: عن ذِكر المُستعار له.[٦]

قوله: (**به**) أي: بالكلام. قال (**زهير**:

لـدى أسـدٍ شـاكي الـسلاح مُقذَّف   لـه لِـبَـدٌ أظـفـاره لـم تُـقـلَّـمِ)[٧]

---

[١] في مطبوع **الكشّاف**، (البقرة، ١٨/٢): "أضاء الحقّ".

[٢] د: معنى.

[٣] ن – الصفات، و(دجا الإسلام) في الأفعال وكذا (أضاء). معنى دجا: كثُر وكثُف؛ لأنّ تركيب.

[٤] انظر: **الصحاح** للجوهري، «دجا».

[٥] مضى في تفسير سورة البقرة، ٧/٢.

[٦] ن: له.

[٧] في ديوانه، ص ٣٠؛ و**شرح القصائد السبع** لابن الأنباري، ص ٢٧٧. وفيه «شاكي البنان» بدل «شاكي السلاح»؛ و**الإيضاح** للقزويني، ص ٤٣٤.

ومن ثَمّ ترَى المُفْلِقينَ السحرةَ منهم كأنّهم يتناسَوْنَ التَّشبيهَ ويُضْرِبُونَ عن توَهُّمِهِ صَفحًا، قال أبو تمام:

ويَصْعَدُ حتّى يظنَّ الجَهُولُ بأنَّ لهُ حاجَةً في السَّماءِ

الشَّوْكة: شِدَّة البأس، والحدّ في السلاح؛ و"الشاكي": تامّ[1] السلاح، مقلوب منه. و"المُقذَّف"، أي: الذي يُقذَف كثيرًا في الوقائع. و"اللِّبَد" جمع لِبْدة، وهي: ما تلبَّد من شَعره على مَنكِبيه. أي: عند أسدٍ تامّ السلاح، يصلُح لأن يُرمى / به [٩٧و] إلى الوقائع والحروب، ويُشبِه أسدًا له لِبَدتان، لم تُقلَّم براثنه، يريد: أنّه لا يَعتريه ضعف ولا عدم شوكة، كما أنّ الأسد لم تُقلَّم أظفاره.[2]

قوله: **(ومن ثَمّة)**،[3] أي: لأجل أنّ الاستعارة إنّما تُطلَق حيث يُطوى ذِكر المُستعار له، ويُجعَل الكلام خِلوًا عن ذكره **(ترى المُفلِقين السَّحَرة)** من المُحقِّقين **(كأنّهم يتناسون التشبيه)**، ويُعرِضون عن توهُّم التشبيه إعراضًا، حتّى لا يُبالون[4] أن يبنوا على عُلوّ القدر وسُموّ المنزلة كالبناء على العُلوّ المكانيّ. يقال: أَفلَق، أي: أتى بالفِلْق: وهو الأمر العجيب. ويقال: "ضرَب عنه"، أي: أعرض. والصَّفح: الإعراض. **(قال أبو تمّام:**

ويَصعَد حتّى لَظَنَّ[5] الجهول بأنّ له حاجة في السماءِ)[6]

يعني: يصعد الممدوح في عُلوّ الرِّفعة وطلبِ المَرتبة، حتّى والله لَظنّ الجَهول بأنّ له حاجة في السماء يَصعَد إليها لطلب تلك الحاجة. وفي بعض الرِّوايات: "حتّى يظنّ"، بالفعل المضارع.

---

١ د ش: تمام.

٢ من قوله: "والمقذَّف" إلى هنا بلفظ جدّ قريب في شرح **المعلّقات السبع** للزوزني، ص ١٤٦.

٣ ش: ثَمّ.

٤ ن: ينالون.

٥ في مطبوع **الكشّاف**: يظنّ. | وهي رواية للبيت، وأثبتُّ ما في **حاشية الجاربردي** وما وقفت عليه من أصول **الكشّاف**.

٦ البيت في شرح **ديوان أبي تمّام** للتبريزي، ٤/٣٤. وفيه «منزلًا» بدل «حاجة»؛ وهو له في **أسرار البلاغة** للجرجاني، ص ٣٠٢؛ و**مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٤٩٤؛ و**الإيضاح** للقزويني، ٤٣٤. والرّواية فيها جميعًا «حتّى يظنّ».

ولبعضهم:

لا تَحسَبُوا أَنَّ في سِربَالِهِ رَجُلًا   ففِيهِ غَيثٌ وَلَيثٌ مُسبِلٌ مُشبِلُ

انظر إلى الشاعر كيف نبَذ[١] أمر التشبيه[٢] وراء الظهر، وكيف نسيَ حديث الاستعارة كأن لم تَجْرِ الاستعارة على باله، ولا مرّ شبَحه في خياله. فإن قلتَ: أين الاستعارة في البيت؟ قلنا: هو في قوله: "يصعَد" بالتبَعيّة.

قوله: (ولبعضهم) أراد به نفسه، وطريقته في هذا الكتاب أنّ كلّ مَوضِع أورد بيتًا قال فيه: "ولبعضهم" أراد به نفسه.

(لا تحسِبوا أنّ في سِرباله رجُلًا   ففيه غيثٌ وليثٌ مُسبِل مُشبِلُ)[٣]

قيل: الإسبال في ثلاثة، يقال: فَرس مُسبِل ذنبَه، وامرأة مُسبِلة ذيلها، ومطر مُسبِل. والإسبال: الإرخاء. والمُشبِل: مُولِّد للشِّبل،[٤] وهو: ولد الأسد. قوله: "غيث"، أي: غيث مُسبِل المطر، يصف جُوده. و"ليث مُشبِل"، يصف شجاعته.

ثمّ اعلم أنّ بيت المُصنِّف ليس من الاستعارة بل مِن التشبيه، مثل: "لقِيني من زيد أسدٌ" وغيرِه من الأمثلة المُتقدِّمة. وإنّما أورده المُصنِّف ليُريَك جواز البناء على الفرع في التشبيه؛ ليَظهر جواز ذلك في الاستعارة بالطريق الأَوْلى، كما قال صاحب **المفتاح**: وإذا كانوا مع التشبيه والاعتراف بالأصل يُسوِّغون ألّا يبنوا إلّا على الفرع، أي: على المُشبَّه به، ويقولوا:

هي الشمس مَسكَنها في السماء   فعزِّ الفؤاد عزاءً جميلًا
فلن تستطيع إليها الصعودَ[٥]   ولن تستطيع إليكَ النُّزولا[٦]

فهُم[٧] في تسويغ ذلك مع جَحْد الأصل في الاستعارة أقربُ.

---

١ ن: يبدأ.
٢ ن: من التشبيه.
٣ ن - مشبل. | والبيت للزمخشري كما نبّه عليه الجاربردي ههنا. وليس في ديوانه.
٤ ن: الشبل.
٥ ن: الطلوع.
٦ البيتان للعبّاس بن الأحنف، في ديوانه، ص ٢٢١؛ وهو له في أسرار البلاغة، ص ٣٠٧؛ وبلا نسبة في مفتاح العلوم للسّكّاكي، ص ٤٩٦؛ وله في الإيضاح للقزويني، ص ٤٣٦.
٧ جواب الشرط لقوله: "وإذا كانوا".

وَلَيْسَ لقائل أنْ يقولَ: طُوِيَ ذكرُهم عن الجُملةِ بحذف المبتدأ، فأَتَسَلَّقُ بذلك إلى تَسْمِيَتِهِ استعارةً لأنَّه في حُكم المنطوق به، نظيرُه قولُ مَن يُخَاطِبُ الحَجَّاج:

أَسَدٌ عَلَيَّ وفي الحُرُوب نَعَامَةٌ ... فَتْخَاءُ تَنفُرُ مِن صَفِيرِ الصافرِ

قوله: **(وليس لقائل)**... إلخ، هذا إشارة إلى دليل مَن يقول: قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٌ﴾ من باب الاستعارة مع جوابه.

قوله: **(لحذف المبتدأ)**، يريد أنّ قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٌ﴾ رفعٌ على الخبريّة لمبتدأ محذوف، تقديره: هؤلاء الذين هذه قصتهم صمٌّ. و"التسلُّق": التسوُّر على الحائط.

قوله: **(بذلك)** أي: بسبب طَيِّ ذِكرهم.

قوله: **(لأنّه)** جواب قوله: **(ليس لقائل)**. قال الشاعر:

(أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ ... فتخاءُ تنفِر من صفير الصافرِ)

هلّا كررتَ على غَزالة في الوغى ... بل كان قلبكَ في جوانح طائرِ[١]

النعام يُضرَب به المَثَل في الجبن،[٢] يقال: «إنّه لَأجبن[٣] مِن نعامة».[٤] والفَتخاء: مُسترخية الجَناح، تأنيث الأفتخ. يقال: فتَخ أصابع رجله في جلوسه فَتْخًا ثنّاها وليّنها. وأصل الفَتَخ: اللين، تقول: رجل أفتخ بيِّن الفَتَخ إذا كان عريض الكفّ والقدم مع اللِّين. وعُقاب فتخاء؛ لأنّها إذا انحطّت كسرَت جناحيها[٥] وغمزتها، وهذا لا يكون إلّا من اللِّين. وغزالة: / اسم امرأة شَبيب الخارجيّ. والجوانح: الأضلاع التي تحت الترائب، وهي ممّا يلي الصدر كالضلوع ممّا يلي الظهر، الواحدة جانحة. قيل إنّ الحجّاج قتل شَبيبًا الخارجيّ، فحاربته امرأته غَزالة سَنة تامّة، وهزمت الحجّاج وهي تمشي خلفه. فالشاعر يقول في الحجّاج: هو أسدٌ عليَّ، [٩٧ظ]

---

١ مضَيا بتخريجهما عند الكلام على الآية الثالثة من سورة البقرة.

٢ ن: الخبر.

٣ ن: لأخبر.

٤ مَجمَع الأمثال للميداني، ١/١٨٧، بلفظ «أجبن من نعامة».

٥ ن: جناحها.

ومَعْنى ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾: أنَّهم لا يَعُودونَ إلى الهُدَى بَعْد أنْ باعُوه، أو عَن الضَّلالةِ بَعْدَ أن اشتَرَوْهَا، تَسْجِيلًا عليهم بالطَّبْع، أو أرادَ أنَّهم بمنزلة المتحيّرين الذينَ بَقُوا جَامِدِينَ في مكاناتِهم لا يَبْرَحُونَ، ولا يَدْرُونَ أَيَتَقَدَّمُونَ أَمْ يَتَأَخَّرونَ، وكيفَ يرجعونَ إلى حيث ابتَدءُوا مِنْه؟

وفي الحروب مثل النعام جُبنًا ينفِر من صفير الصافر. الصفير: صوت المُكّاء.[١] وقيل: أراد بالصافر الريح. ثمّ وبَّخه وعيَّره، فقال له: هلّا حملتَ على هذه المرأة في الوغى، بل كان قلبكَ في الوَجيب والخفَقان مِن الخوف في جوانح طائر. فقوله: "بل" إضرابٌ عن محذوف دلَّ عليه قوله: هلّا كررتَ، أي: ما كررتَ، بل كان.

قوله: (ومعنى ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾) إلى قوله: (بالطبع) هذا التفسير على تقدير أن يُفسَّر قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ﴾... إلخ، بما أشار إليه بقوله: "وفي الآية تفسير آخر" وهو أن يُمثَّل هُداهم بالنار المُضيئة ما حول المُستوقِد، والضلالة التي اشتروها وطُبِع بها على قلوبهم بذهاب الله[٢] بنورهم. وقوله: (تسجيلًا) أي: سُجِّل عليهم تسجيلًا. واللام "بالطبع"[٣] للعهد، وهو إشارة إلى قوله في ذلك التفسير: (وطُبِع بها على قلوبهم).[٤]

قوله: (أو أراد أنّهم) إلى قوله: (ابتدءوا منه) مناسب للتفسير الأوّل لقوله: ﴿مَثَلُهُمْ﴾... إلخ، يعني لا يَرجعون عمّا تقدّم ذِكره، وهو التمسّك[٥] بالنفاق الذي لأجل تمسّكهم به وصفهم الله تعالى بهذه الصفات، فصار ذلك دلالة على أنّهم يستمرون على نفاقهم أبدًا. وقوله: (كيف يَرجِعون) عطف على قوله: (يتقدَّمون) أي: لا يَدرون كيف يرجعون.

---

١ المُكّاء بالضمّ والتشديد: طائر يألف الرِّيف، وجمعُه المكاكيّ، وسُمّيَ بذلك؛ لأنّه يجمع يديه ثمّ يصفِر فيهما صفيرًا حَسَنًا. والمُكاء بالتخفيف: الصفير. **لسان العرب** لابن منظور، «مكا».

٢ د - تعالى.

٣ ن: في الطبع.

٤ مضى في تفسير سورة البقرة، ١٧/٢.

٥ ن: التمثيل.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

ثمَّ ثَنَّى اللهُ سبحانه في شأنِهم بتمثيلٍ آخرَ ليكونَ كَشفًا لِحالِهم بَعْدَ كَشْفٍ، وإيضاحًا غِبَّ إيضاحٍ، وكما يجبُ على البليغ في مظانِّ الإجمالِ والإيجاز أن يُجمِلَ ويُوجِزَ، فكذلك الواجبُ عليه في موارد التَّفصِيل والإشباعِ أَنْ يُفَصِّلَ ويُشْبِعَ.

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله: **(ثمّ ثنّى)** عطف على قوله: "عقَّبها بضرب المَثَل" في قوله: "لمّا جاء بحقيقة صفتهم عقَّبها بضرب المَثل؛ زيادة في الكشف وتتميمًا للبيان"،[١] أي: لمّا جاء بحقيقة صفتهم عقَّبها بضرب المَثل ثمّ ثنّى بتمثيل آخر. وقوله: **(غِبَّ إيضاح)** أي: عقيب إيضاح.

قوله: **(وكما يجب)** إلى قوله: **(ويُشبع)**. اعلم أنّه لو لم يأتِ بقوله: **(فكذلك)** لتمّ المعنى ووضح، ولكان التقدير:[٢] الواجب على البليغ في موارد التفصيل والإشباع[٣] وجوبًا مثل وجوب الإجمال والإيجاز في مظانّهما. وإذا[٤] أتى بقوله: "فكذلك"[٥] فلو لم يكن فيه الفاء لقلنا: إنّه بدل من قوله: "كما يجب"... إلخ. وإذا[٦] أتى فيه بالفاء[٧] فالوجه أن نقول: هو خبرُ مبتدأ محذوف،[٨] والجملة جزاءُ شرط محذوف، أي: إذا كان كذلك فالواجب عليه[٩] هنا كذلك،

---

١ أورد الزمخشري هذا القول في أوّل كلامه على قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾.
٢ ن: التعديل.
٣ ش ن + التفصيل والإشباع.
٤ هامش د ظ: إذ.
٥ ن: فلذلك.
٦ هامش د ظ: إذ.
٧ ن: الفاء.
٨ د - أي: إذا كان كذلك فالواجب عليه.
٩ ن - والجملة جزاء شرط محذوف.

أَنشدَ الجَاحِظُ:

يَـرْمُـونَ بـالـخُـطَـبِ الـطِّـوالِ وتَـارَةً   وَحْـيَ الـمُـلاحِـظِ خِيفَـةَ الـرُّقَـبَـاءِ

وممَّا ثُنِّي منَ التَّمْثيل في التَّنْزيل قولُه: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر ٣٥/١٩-٢٢]، وألا ترى إلى ذي الرُّمَّةِ كيفَ صَنَع في قصيدتهِ:

أي: مثل ذلك الواجب. قال الشاعر:

(يَرمون بالخُطب الطِّوال وتارةً   وَحْيَ المَلاحِظ خِيفة الرُّقباءِ)[١]

الرمي، هو من قولك: رميتُ الشيء من يدي، أي: ألقيتُه، ورميتُ السهم رَميًا ورِمايةً. والخُطَب: جمع خُطبة. ووَحْيَ الملاحظ:[٢] نصب على المصدر، أي: يَحُون[٣] وَحْيَ المَلاحِظ، مِن وَحى: رمَز وأشار. يصِف البُلغاءَ ويقول: يُطوِّلون الكلام ويُطنبون فيه في مقام الإطناب، وأمّا في مقام الإيجاز فيُوجزون ويَختصِرون الكلام، كما يُشير الحبيب إلى حبيبها إيماءً خفيفًا خوفَ الرقيب. ويقال: لحَظه[٤] ولحَظ إليه / بمُؤخِر عينه. واللَّحاظ بالفتح: مُؤْخِر العين عند [٩٨و] الصدغ.[٥] قيل لأبي عمرو بن العلاء: لم كانت العَرب تُطنِب؟ فقال: ليُسمَع منها، فقيل: فلِمَ تُوجِز؟ قال:[٦] ليُحفَظ منها.[٧]

قوله: (وممّا ثُنِّيَ) أي: كُرِّر. و(مِن) بيانُ "ما". و(في التنزيل) مُتعلِّق بـ"ثُنِّيَ".

قوله: (وألا ترى) وفي بعض النُّسخ بغير الواو. وقالوا:[٨] إذا كان بغير الواو فهو كالبيان لِمَا مرّ، وإذا كان بالواو فهو عطف من حيث المعنى على قوله:

---

١ البيت لأبي دؤاد الإيادي، وليس في ديوانه. وهو له في البيان والتبيين للجاحظ، ١/١٥٥؛ والعِقد الفريد لابن عبد ربّه، ٤/٥٥؛ وكتاب الصناعتين للعسكري، ص ٦٤؛ وزهر الآداب للحُصْري القيرواني، ١/١٠٥. وهو بلا نسبة في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٣٨٨.

٢ ن + الملاحظ.

٣ ن: يحور.

٤ ن: لحظ.

٥ انظر: الصحاح للجوهري، «لحظ»؛ ومُجمَل اللغة لابن فارس، «لحظ».

٦ د - قال.

٧ انظر: كتاب الصناعتين للعسكري، ص ١٩٨.

٨ ش: قالوا.

أذاكَ أمْ نَمِـــشٌ بالوَشـــيِ أكْرُعُـــهُ

"وممّا ثُنِّيَ". ولا بدّ من أحد أمرين:[١] إمّا جَعْل **الأوّل** في معنى الطلب، كأنّه قال: انظر إلى قوله تعالى: (﴿وَمَا يَسْتَوِي﴾ [فاطر ١٩/٣٥])... إلخ؛ وإمّا جَعْل **الثاني** في معنى الخبر، فكأنّه قال: وممّا ثُنِّيَ فيه التمثيل قول ذي الرُّمّة.

قوله: (**أذاك أم نَمِش**). اعلم أنّ المُصنِّف أورد صدرَي بيتين، وهما من قصيدته البائيّة التي أوّلها:

ما بال عينكَ[٢] منها الماءُ يَنسكِبُ كـأنّـه[٣] من كُـلـى[٤] مَـفـريّـةٍ سَـرِبُ[٥]

ثمّ قال:

(**أذاك أم نَمِـشٌ بالوشـي أكرُعُـهُ**)[٦] مُـسـفَّـع الـخـدّ غـادٍ نـاشـطٌ شَـبَـبُ[٧]

ويُروى: بالوشم أكرُعه،[٨] يريد: أذاك الحمار الذي مضى[٩] ذِكرُه في القصيدة يُشبه ناقتي أم ثور؟ والنَّمَش: نُقَط سُود. مُسفَّع الخدّ: أسود.[١٠] وقال السِّيرافيّ: أي: مُبرقَع الخدّ بالسواد.[١١] ناشط، أي: يَخرُج من أرض[١٢] إلى أرض.[١٣] قال «الأصمعيّ: الشَّبَب:[١٤] المُسِنّ من ثيران الوحش الذي انتهى أسنانه».[١٥] «وقال أبو عبيدة: الشَّبَب: الثور الذي انتهى شبابًا».[١٦] «والكُراع في الغنم والبقر بمنزلة الوظيف[١٧] في الفرس والبعير، وهو: مُستدَقّ[١٨] الساق، يُذكَّر ويُؤنَّث، والجمع[١٩] أكرُع ثمّ أكارِع.

---

١ ن: الأمرين.

٢ ن: عينيك.

٣ د ش ن: كأنّها. | وأثبتُّ ما في الديوان، وهو أولى؛ لأنّ الضمير عائد إلى "الماء".

٤ ن: كل.

٥ ن: شرب. | والبيت في **ديوان ذي الرُّمّة**، ٩/١.

٦ ن: «**أكرعه**».

٧ **ديوان ذي الرُّمّة**، ٧٤/١. وهو له في **مقاييس اللغة** لابن فارس، «نشط». وبلا نسبة في **الصحاح** للجوهري، «نشط». وفيهما «هاد» بدل «غاد».

٨ وهي رواية **الديوان**، وأشار شارح **الديوان** إلى الرّواية التي ساقها الزمخشري.

٩ د ن: مشى.

١٠ انظر: **ديوان ذي الرُّمّة** بشرح الباهلي، ١١٤/١.

١١ لم أقف على كلام السيرافي.

١٢ ن: الأرض.

١٣ انظر: **ديوان ذي الرُّمّة** بشرح الباهلي، ١١٤/١؛ و**الصحاح** للجوهري، «نشط».

١٤ ن: الشبب.

١٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «شبب».

١٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «شبب».

١٧ ن: النطيف.

١٨ ن: مشدق.

١٩ ن: ويجمع.

أَذَاكَ أَمْ خَاضِـــبٌ بالسِّـــيِّ مَرْتَعُـــهُ

فإن قلتَ: قد شُبِّه المنافِقُ في التمثيل الأوَّل بالمُستوقِد نارًا، وإظهارُه الإيمانَ بالإضاءة، وانقطاعُ انتفاعه بانطفاء النَّار، فماذا شُبِّه في التمثيل الثاني بالصيِّب وبالظلمات وبالرَّعْد وبالبَرْق وبالصَّواعق؟

وفي المَثَل 'أُعطيَ العبد كُراعًا فطلب ذراعًا'؛ لأنّ الذراع في اليد، وهو أفضل من الكُراع في الرِّجل».[١] وقال في **المُجمَل**: الكَرَع: دِقّة الساقين، ورجُل أكرَع دقيق[٢] الساقين. والكُراع مِن الإنسان: ما دون الرُّكبة، ومِن الدوابّ ما دون الكَعب. قال الخليل: تكرَّع الرجل إذا توضَّأ للصلاة؛ لأنّه يغسِل أكارِعه، وكُراع كلّ شيء: طرفه.[٣] ثمّ لمّا فرغ من صفات الثور في أبيات قال:

(أذاك أم خاضِـبٌ بالسِّـيِّ[٤] مَرتَعـهُ) أبـو ثلاثين أمسى فهو مُنقلِبُ[٥]

يعني: أذاك الثور يشبه ناقتي أم خاضبٌ، وهو: الظليم، أي:[٦] الذَّكَر[٧] من النعام. وإنّما يبقى خاضبًا؛ لأنّه إذا أكل الرَّبيع احمرّت ساقاه وأطراف ريشه. والسِّيّ: ما استوى من الأرض. وأبو ثلاثين، يعني: ثلاثين فرخًا. فهو مُنقلب، أي: مُنصرِف إليه.[٨]

قوله:[٩] **(في التمثيل الأوّل)**، يعني: قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى﴾... إلخ، ويريد بـ**(التمثيل الثاني)** قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾... إلخ. وإنّما لم يأتِ بالباء في قوله: **(والبرق)** بخلاف سائر أخواته؛ وذلك لأنّ البرق من لوازمه الرعد غالبًا فلذا جعلهما كالشيء الواحد، يُؤيِّده قوله بعد[١٠] ذلك: **(وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق)**.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «كرع». والمثل في **كتاب الأمثال** لأبي عُبيد، ص ٢٨١؛ و**جمهرة الأمثال** للعسكري، ١/١٠٧؛ و**فصل المقال** للبكري، ص ٣٩٧.
٢ ن: دفين.
٣ انظر: **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «كرع». وفيه قول الخليل.
٤ ن: بالشيء.
٥ **ديوان ذي الرُّمّة**، ١/١١٤.
٦ ن: أتى.
٧ ن: بالذكر.
٨ الكلام على البيت بلفظ قريب في شرح الباهلي على **ديوان ذي الرُّمّة**، ١/١١٤.
٩ ن – قوله.
١٠ ن: تعالى.

قلتُ: لقائل أن يقول: **شُبِّهَ دينُ الإسلام بالصيِّب لأنَّ القلوبَ تَحيَا به حَيَاةَ الأرضِ بالمطَرِ، وما يَتَعلق به مِن شُبَهِ الكفَّارِ بالظُّلُمات، وما فيه من الوَعْد والوَعِيْدِ بالبَرْق والرَّعْد، وما يُصِيبُ الكَفرةَ مِن الأَفْزاع والبلايا والفِتَنِ مِن جهةِ أهْلِ الإِسْلام بالصَّوَاعِق.**

قوله: **(لقائل أن يقول)**، يريد: أنّه يجوز أن يقال: هذا من تشبيه المُفرَد بالمُفرَد، وإن كان الأصحُّ أنّه مِن[١] التشبيه المُركَّب، كما سيجيء.

قوله: **(دين الإسلام)** أي: الإسلام، وهو من إضافة العامّ إلى الخاصّ. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران ١٩/٣]، ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران ٨٥/٣].

قوله: **(تحيا به)** أي: بالإسلام،[٢] أو بدين الإسلام.

قوله: **(حياةَ)** صفة مصدر محذوف، أي: حياةً مثلَ حياةِ الأرض.

قوله: **(وما يُتعلَّق)** بضمّ الياء، أي: يُتمسَّك به، وهو عطف على قوله: "دينَ الإسلام". وقيل: الضمير في "به" يرجع إلى دين الإسلام. وفيه نظر؛ إذ لا يبقى للموصول عائد، فهو عائد إلى "ما"، أي: شبّه ما يُتمسَّك به مِن الشُّبَه بالظلمات؛ / وذلك لأنّ الظلمة سبب ضلال الطريق. ولو رُويَ "يَتعلَّق" بفتح الياء لكان[٣] الضمير المُستتر فيه عائدًا إلى "ما"، ولكان الضمير في "به" لـ"الدين". لكن الرِّواية بالضمّ؛ وكان ذلك لاستكراه أن يقال: ما يَتعلّق بالدِّين مِن الشُّبَه فيُجعل الشُّبَه مُتعلِّقًا بالدِّين. وأمّا قوله: "وما فيه" -وهو عطف أيضًا على دين الإسلام- فالضمير البارز في[٤] "فيه" عائد إلى "الدين"، والمُستتِر المُتحوِّل إلى الجار والمجرور من العامل المحذوف عائد إلى "ما". [٩٨ظ]

قوله: **(وما يُصيب)** عطف على قوله: "دين الإسلام" وقوله: **(مِن الأفزاع)** بيان "ما" فهو مُتعلِّق بمحذوف حال من الضمير في "يصيب". وقوله: **(من جهة)** مُتعلِّق[٥]

---

١ ن + باب.
٢ ن: الإسلام.
٣ ن: كان.
٤ ن - في.
٥ ن - بمحذوف حال من الضمير في "يصيب". وقوله: (من جهة) مُتعلِّق.

والمعنى: أو كمثَل ذوي صَيِّب، والمراد: كمثل قومٍ أَخَذَتْهم السماءُ ....

بقوله: "يصيب". وقوله: (والمعنى أو كمثل ذوي صيّب)، يريد: أنّ أصل النظم أو كمثل ذوي صيّب، فحذف "ذو" والدلالة ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ عليه، وحذف "مثل" لدلالة عطفه على قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ عليه؛ إذ لا يخفى أنّه ليس المراد: كون تشبيه مَثَل المنافقين دائرًا بين مَثَل[1] المُستوقِدين، وهو صفتهم العجيبة، وبين ذوات ذوي الصيّب، بل من الظواهر أن تشبيه مَثَل المنافقين دائر بين صفة المُستوقِدين وبين صفة ذوي الصيّب.

قوله: (والمراد)، يعني: المراد بذوي الصيّب هم الذين أخذهم المطر، وجعلهم ذوي المطر لمُلابَستهم للمطر، وهو من الإضافة لأدنى المُلابَسة، كقول أحد حاملي الخشبة لصاحبه: خُذْ طرفكَ.[2] قال الشاعر:

إذا قال قَدْني قال بالله حَلْفةً ... لتُغني عنّيَ ذا إنائِكَ أجمعا[3]

أي: إذا قال الضيف: كفاني، حلَف المُضيف ليأكل الضيف جميع ما في الإناء، وجعَله صاحبَ الإناء؛ لمُلابسته له بشُربه منه.

قوله: (أخذتْهم السماء) أي: المطر. يقال: «ما زِلنا نطَأ السماء[4] حتّى أتيناكم».[5] قال الشاعر:

إذا نزَل السماء بأرض قومٍ ... رعيناه وإن كانوا غضابا[6]

---

[1] ن - مثل.

[2] انظر: **المُفصَّل** للزمخشري، ص ١٢١.

[3] البيت لحُريث بن عَنّاب الطائي. وهو بلا نسبة في **معاني القرآن** للأخفش، ٣٦٢/١؛ و**المُفصَّل** للزمخشري، ص ١٢٢، شاهدًا على ما نحن فيه؛ و**مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٢٨٢. وانظر لتفصيل نسبة البيت وشرحه والكلام عليه **خزانة الأدب** للبغدادي، ٤٣٤/١١-٤٥٠.

[4] ن: المطر.

[5] **إصلاح المنطق** لابن السِّكّيت، ص ٣٦٤؛ **الصحاح** للجوهري، «سما».

[6] البيت لمعاوية بن مالك المُلقَّب بمُعوِّد الحُكماء في **المُفضَّليّات** للضَّبّي، ص ٣٥٩؛ و**الحماسة البصريّة** للبصري، ٢٥٢/١. وعُزِيَ إلى جرير في **العُمدة** لابن رشيق، ٤٣٠/١؛ و**تحرير التحبير** لابن أبي الإصبع، ص ٤٥٨. وليس في ديوانه، وقال العباسيُّ: «نسب غالب شارحي **التلخيص** هذا البيت لجرير... ونسبه المُفضَّل في اختياراته لمعاوية بن مالك». ثمّ قال في دفع نسبته إلى جرير: «لم يوجد في قصيدة جرير على اختلاف رواة ديوانه». **معاهد التنصيص**، ٢٦٠/٢-٢٦١.

على هذه الصِّفةِ فَلَقُوا منها ما لَقُوا.

فإن قلتَ: هذا تشبيهُ أشياءَ بأشياءَ، فأينَ ذِكرُ المشبَّهاتِ؟ وهَلَّا صُرِّحَ به كما في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ [غافر ٥٨/٤٠] وفي قول امرئ القَيْس:

والسماء تُذكَّر وتُؤنَّث.

قوله: **(فلقُوا)** عطف على "أخذتْهم". **(منها)** أي: من السماء ما لقُوا، أي: من الشدّة والمَشقّة.

قوله: **(هذا تشبيه أشياء بأشياء)**، يعني قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى آخرهما، فإنّه تشبيه أشياء بأشياء، ولم يذكر المُشبَّهات.

قوله: **(صُرِّح به)** أي: بذكر المُشبَّهات.

قوله: **(كما في قوله)**، "ما"[1] هذه موصولة، أي: صُرِّح به تصريحًا كالتصريح الذي في قوله. فإن قلتَ: هل يجوز أن تكون "ما" مصدريّة؟ ويكون التقدير صُرِّح به تصريحًا كما صُرِّح في قوله، أي: مثل التصريح في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى﴾... إلخ [غافر ٥٨/٤٠]. فيكون مُتعلَّق الجار هو "صُرِّح" المحذوف الذي دخل عليه "ما"[2] ثمّ حُذِف الفعل، وأقيم الجارّ والمجرور مُقامه. قلنا: لا يجوز ذلك؛ لأنّ حذف الفعل بعد "ما" المصدريّة لا يجوز، لأنّه كحذف الصلة وإبقاء الموصول.

قوله تعالى: (﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [غافر ٥٨/٤٠]) التقدير: وما يستوي الأعمى والبصير ولا المسيء والذين آمنوا، فذكر كلَّ واحد مِن المُشبَّهين والمُشبَّه بهما صريحًا، لكن أخَّر ذِكر المُسيء؛ ليتقارن البصير والذين آمنوا،[3] وليكون ذِكر الأعمى الذي هو المُفرِّط، أي: المُقصِّر، وذِكر المُسيء الذي هو المُفرِط،

---

١ ن - ما.

٢ ن - ما.

٣ ن - فذكر كلَّ واحد مِن المُشبَّهين والمُشبَّه بهما صريحًا، لكن أخَّر ذِكر المُسيء؛ ليتقارن البصير والذين آمنوا.

كـأنَّ قـلـوبَ الـطَّـيْـر رَطْـبًـا ويابسًا لَدَى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي

أي: المُتجاوِز عن الحدّ، في طرفَي الكلام، وليكون ذِكر[1] البصير الذي هو المُهتدي[2] المُستعدّ لتحصيل الكمالات وذِكر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [غافر ٤٠/٥٨]، أي: المُتَّصفين بصفات الكمال، في وسط الكلام، فإنّ خير الأمور أوساطها. ولمّا أخَّر ذِكر المُسيء للغرض المذكور أخَّر مع "لا" ليدلّ على أنّ المعنى: / وما يستوي الأعمى والبصير ولا المسيء والذين آمنوا وعملوا [٩٩و] الصالحات، ويكون الغرض الأصليّ من الآية بيانَ أنّه لا يستوي الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمسيء، ويكون ذِكر قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر ٤٠/٥٨] تمهيدًا وتوطئة لذِكر ذلك. أو تقول: شبَّه الكافر بالأعمى والمؤمن بالبصير، وأراد أن يُبيّن عدم المساواة بين الكافر الذي هو كالأعمى والمؤمن الذي هو كالبصير، وذَكر المُشبَّه والمُشبَّه به. وأصل التركيب: وما يستوي الأعمى والذين آمنوا ولا المُسيء والبصير، ثمّ قدّم قوله: "والبصير" وقارنه بقوله: "الأعمى"؛ لِمَا بينهما من المُقابلة، فصار هكذا، ويدلُّ على ما ذكرناه قوله: ﴿وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ﴾ آخرًا. قال امرؤ القيس:

(كـأنّ قـلـوب الطـير رطـبًـا ويابسًا لدى وَكرها العُنّاب والحَشَف[3] البالي)[4]

الحَشَف:[5] أردأ التمر، وفي المثل «أحَشَفًا[6] وسُوء كِيلة».[7] والبالي: مِن بليَ الثوب بِلىً. يصِف عُقابًا تصيد الطيور كثيرًا. والعُقاب: طائر، وجمع القِلّة أعقُب؛ لأنّها مؤنّثة، و"أفعُل" بناء يختصّ به جمع الإناث، مثل عِناق وأعنُق[8] وذِراع وأذرع- وجَمْع الكثير عِقْبان. والبالي: من بَليَ الشيء بِلىً. شبَّه قلوب ما صادَت العُقاب حديثًا وقديمًا: رَطْبها بالعُنّاب[9] ويابسَها بالحَشَف[10] البالي.

---

١ ن – ذكر.

٢ ن – المهتدي.

٣ ن: الخشف.

٤ مضى بتخريجه عند كلامه على مقدِّمة المُصنِّف.

٥ ن: الخشف.

٦ ن: خشفًا.

٧ مضى بتخريجه عند كلامه على مقدِّمة المُصنِّف عقب ذِكره بيت امرئ القيس ثمّة.

٨ ن: أعناق.

٩ ن: بالعقاب.

١٠ ن: بالخشف.

قلتُ: كما جاء ذلك صريحًا فقد جاءَ مَطويًا ذِكْرُه على سَنَن الاستعارة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر ٣٥/١٢] ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر ٣٩/٢٩].

وهذا من تشبيه المُفرَد بالمُفرَد؛ لأنّه ليس لمُضامّة الرَّطْب من القلوب إلى اليابس منها هيئة يُقصَد ذِكرها أو يُعنى أمرها، ولا لاجتماع الحَشَف[١] مع العُنّاب.[٢]

قوله تعالى: (﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾ [فاطر ٣٥/١٢])، شبَّه المُؤمنَ بالبحر العَذْب الفُرات،[٣] والكافرَ بالبحر المِلْح الأُجاج، ثمّ رام بيان عدم الاستواء بينهما، وترك ذِكر المُشبَّه وجعله نِسيًا، واكتفى بذِكر المُشبَّه به، فتكون استعارة مُصرَّحة، أي: لا يستوي المؤمن الذي هو كالبحر العَذْب الفُرات، والكافر الذي هو كالبحر المِلْح الأُجاج، لكن لمّا ترك ذِكر المشبّه صار استعارة. فمعنى كلام المُصنِّف أنّه: كما جاء ذِكر المُشبَّه صريحًا فقد جاء ذِكره مطوّيًا[٤] على طريق الاستعارة، ثمّ أتى بالمثال من الاستعارة، أي: قد يُترَك ذِكر المُشبَّه في التشبيه كما يُترَك في الاستعارة.

وكذا قوله تعالى: (﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا﴾ [الزمر ٣٩/٢٩]): فإنّه[٥] شبَّه الكافر بعَبدٍ فيه شركاء مُتشاكسون، والمُؤمِنَ بعبدٍ سالم لرجُل، ثمّ بيَّن أنّهما لا يستويان، وترك المُشبَّه رأسًا، وذَكر المُشبَّه به، فهو أيضًا استعارة مُصرَّحة. ومعنى الآية: أنّه تعالى شبَّه المُشرِك بعبدٍ قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف، كلّ واحد منهم يدَّعي عبوديته، ويُريد منه أن يتفرَّد بالخدمة له،[٦] فهذا يأمره وذاك[٧] ينهاه، فهو مُتحيِّر لا يدري رضا أيّهم يتحرّى، وإذا عنَّت له حاجة يَكِل كلٌّ منهم أمرَه إلى الآخر،

---

١ ن: الخشف.
٢ ن: العقاب. | ومضى هذا الكلام بتخريجه عند كلامه على مقدّمة المُصنِّف عقب ذِكره بيت امرئ القيس والمَثَل ثمّة.
٣ ن: والفرات.
٤ ن: مطلوبًا.
٥ ن: فا.
٦ ن – له.
٧ ن: وهذا.

والصَّحيحُ الذي عليه ....

فلا يَخلى بطائل. وشبَّه المُؤمِن بعبد آخر قد سَلِم لمالك واحد فهو مُعتنِق لِمَا لزمه من الخدمة مُعتمِد عليه فيما يُصلِحه، فهمُّه واحد وقلبه مُجتمِع، فأيُّ هذين العبدين أحسن حالًا؟[1]

والسَّلَم[2] بمعنى السالم، وهو من[3] قولهم:[4] سلِمَت له الضيعة إذا خلُصَت بلا مُزاحِم. وهذا تمثيل لعابد الأصنام، والمُؤمن المُوحِّد.

قوله: **(والصحيح الذي عليه)**... إلخ عطف على قوله: "لقائل أن يقول شبّه دين الإسلام"... إلخ، والحاصل أنّه ذَكر أوّلًا أنّه يجوز أن يكون مِن التشبيه المُفرَّق، وذكر تقديره، وقدَّر ما يجِب تقديره، وأجاب عمّا ورد عليه، ثمّ ذَكر أنّ الصحيح أنّه من التشبيه المُركَّب، ثمّ إنّه أشار في هذا التقرير إلى أنّ التشبيه في الآية الأولى -أعني قوله: ﴿مَثَلُهُمْ﴾... إلخ- / ليس أيضًا من تشبيه المُفرَد [٩٩ظ]
بالمُفرَد، بل هو أيضًا كالآية الثانية من تشبيه الجملة بالجملة.

وظنّ بعضُهم أنّ قوله: "والصحيح"... إلخ، جواب آخر عن قوله: **(فأين ذِكرُ المُشبَّهات؟)**، ثمّ قال: فكأنّه سلَّم أوّلًا أنّه تشبيه أشياء بأشياء، وأجاب بما أجاب، ثم أشار إلى أنّه ليس كذلك، بل هو[5] مِن التمثيلات المُركَّبة.[6] وهذا ظنّ باطل، بل الوجه ما ذكرناه، يَعْرِف مَن يتأمّل.

واعلم أنّ وجه التشبيه: إمّا أن يكون أمرًا واحدًا، أو غيرَ واحد. وغير[7] الواحد: إمّا أن يكون في حُكم الواحد؛ لكونه إمّا حقيقة مُلتئمة وإمّا أوصافًا مقصودًا[8] من مجموعها إلى هيئة واحدة، أو لا يكون في حُكم الواحد. فهذه ثلاثة أقسام: **أمّا الأوّل** فكما إذا شبَّهت الخد بالورد في الحُمرة؛ **وأمّا الثاني**

---

١ من قوله: "أنّه تعالى شبَّه" إلى هنا بمعناه في **الكشّاف** للزمخشري، (الزمر، ٣٩/٢٩).
٢ ن: المتسلم.
٣ ن: بمعنى.
٤ ن - قولهم.
٥ ن - هو.
٦ هذا التأويل لكلام الزمخشري أورده الطيبيّ في **فتوح الغيب**، ٢/٢٥٨.
٧ ن - غير.
٨ ن: مقصودة.

عُلماء البَيان لا يَتَخَطَّوْنَه: ....

وهو أن يكون وجه التشبيه غير واحد، لكنّه في حُكم الواحد، كما إذا شبَّهت سَقْط النار -وهو: ما يَسقط عند القَدْح- بعين الدِّيك في الهيئة الحاصلة من الحُمرة، والشَّكل الكُريّ، والمقدار المخصوص؛ وأما الثالث وهو ألّا يكون وجه التشبيه أمرًا واحدًا ولا مُنزَّلًا منزلة الواحد، كما إذا شُبِّهت بعض الطيور بالغُراب في حِدَّة النظر، وكمال الحَذَر، وإخفاء السِّفاد.[١]

و«السِّفاد: نَزْو الذَّكر على الأنثى».[٢] قال في **الصحاح**: «سَفِد بالكسر يَسفَد سِفادًا، يقال ذلك في التَّيس[٣] والبعير والثور والسباع والطير».[٤]

قوله: **(لا يتخطَّونه)** حالٌ صاحبُه **(علماء البيان)**؛ لأنه فاعل قوله: "عليه"، يقال: تخطَّيتُه إذا تجاوزتَه. والأَوْلى أن نقول:[٥] "يتخطَّونه" بدل من قوله: "عليه علماء البيان"؛ وذلك لأنّ غرض المصنّف ثبوت علماء البيان على هذا القول وعدم مُجاوزتهم عنه، ودلالة "لا يتخطَّونه" على هذا المقصود أقوى من دلالة قوله: "عليه علماء البيان". ومثله قول صاحب **المفتاح**، وهو قوله:

ومن أمثلة البدل قوله:

أقـولُ لـه ارحـلْ لا تُقيـمَنَّ عندنا   وإلّا فكُن في السرّ والجهر مُسلِما[٦]

فصَل "لا تقيمنَّ" عن "ارحل"؛ لقصد البدل؛ لأنّ المقصود من كلامه هذا كمالُ إظهار الكراهة لإقامته، بسبب خلاف سِرّه العلن. وقوله: "لا تقيمنَّ عندنا" أوفى بتأدية هذا المقصود من قوله: "ارحل"؛ لدلالة ذاك عليه بالتضمُّن مع التجرُّد عن التأكيد، ودلالة هذا عليه بالمطابقة مع التأكيد.[٧]

---

١ من قوله: "واعلم أنّ وجه التشبيه" إلى هنا تلخيص لِما في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٤١-٤٤٦. ومضى هذا الكلام، مع زيادة إيجاز واختلاف في الأمثلة المُختارة من كلام السكّاكي، عند كلامه على مقدّمة المُصنِّف.

٢ **الصحاح** للجوهري، «سفد».

٣ ن: النفس.

٤ **الصحاح** للجوهري، «سفد».

٥ د: يقول؛ ن: يقال.

٦ لم أقف على قائله. وقال العَينيّ: «لم أقِف على اسم قائله». **المقاصد النحويّة**، ١٦٨١/٤؛ وقال العباسيّ في **مَعاهد التنصيص**، ٢٧٨/١: «ولا أعرف قائله». وهو بلا نسبة في **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٣٧٦؛ **والإيضاح** للقزويني، ص ٢٥٣؛ **والمُطوَّل** للتفتازاني، ص ٢٥٦.

٧ **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٣٧٦.

أَنَّ التَّمْثِيلَيْن جميعًا مِن جملة التَّمْثيلات المُرَكبة دون المُفَرَّقَةِ؛ لا يُتكلَّف لواحدٍ واحدٍ شيءٌ يُقدَّر شَبَهُه به، وهو القَوْل الفَحْلُ والمَذْهَبُ الجَزْلُ.

بيانه: أنَّ العَرَبَ تأخُذُ أشياءَ فُرادَى مَعْزُولًا بعضُها من بعضٍ لم يأخُذ هذا بِحُجْزَةِ ذاك فتُشَبِّهُها بنظائرها؛ كما فَعَلَ امرؤ القيس وجاءَ في القُرآن،

وقوله: (**أنّ التمثيلين**) خبرُ قوله: "والصحيح". وقوله: (**من جملة التمثيلات**) خبرُ (**أنّ**). وقوله: (**لا يُتكلّف**)... إلخ، بيان أنّه من التمثيلات المُركَّبة دون[1] المُفرَّقة. وقوله: (**شيءٌ**) مفعول أُقيم مُقام فاعل "يُتكلَّف". وقوله: (**يُقدَّر شَبَهُه به**) صفة قوله: "شيء". والضمير من "شَبَهُه" عائد إلى (**واحدٍ**)، ومن "به" إلى "شيءٌ"، أي: لا يُقدَّر لكلّ واحد مِن المُشبَّه شيء من المُشبَّه به يُقدَّر شَبَه ذلك الواحد المُشبَّه[2] بذاك الشيء المُشبَّه به.

قوله: (**وهو**) عائد إلى قوله: "الصحيح" أو إلى قوله: "أنّ التمثيلين".

قوله: (**بيانه**) أي: بيان هذا الكلام. وقوله: (**فرادى ومعزولًا**).[3] و(**لم يأخذ**) صفة (**أشياء**). يقال: عزَله، أي: أفرَزه، وعزَله عن الأمر: نحّاه. «وحُجْزة الإزار: مَعقِده، وحُجْزة السراويل التي فيها التِّكّة».[4] و"أَخْذ الحُجزة" عبارة عن الاتصال والالتئام.

قوله: (**فتُشبِّهها**)[5] عطف على (**يأخذ**) أي:[6] فتُشبِّه تلك الأشياء، ويعني بهذا: التشبيه المُفرَّق.

قوله: (**كما فعل**) صفةُ مصدرٍ محذوف من قوله: "تأخذ فتُشبِّه"، أي: فِعلًا مثل فعل امرئ القيس، يعني قوله:

كأنّ قلـــــوب الطيـــــــر... البيت[7]

قوله: (**وجاء**) عطف على "فعَل".[8]

---

[1] ن - المُركّبة دون.
[2] ن + به.
[3] كذا وردت في د ش ن. وهي في مطبوع **الكشّاف** وما وقفت عليه من أصوله: «فرادى معزولًا». وهو أحسن.
[4] **الصحاح** للجوهري، «حجز».
[5] ن: فشبهها.
[6] ن - أي.
[7] مضى تخريجه آنفًا.
[8] ن - (فعل).

وتُشَبِّهُ كيفيَّةً حاصلةً من مجموعِ أشياءَ قد تَضَامَّتْ وتلاصَقَتْ حتَّى عادَتْ شيئًا واحدًا بأُخرى مثْلِها؛ كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ الآية [الجمعة ٦٢/٥] الغرضُ تشبيهُ حالِ اليهود في جَهْلِها بما مَعَها مِن التَّوراة وآياتها الباهرةِ بحالِ الحمار في جَهْلِهِ بما يُحمَّل من أَسفار الحكمة، وتَساوي الحالتَيْن عنده مِن حمل أَسْفارِ الحكمةِ وحَمْلِ ما سواها من الأَوْقارِ، ....

قوله: (**وتُشَبِّه**) عطف على قوله: (**يأخذ**)، وهذا إشارة إلى التشبيه المُركَّب.

قوله: (**قد تضامَّتْ وتلاصقتْ**) صفة (**أشياءَ**).

[١٠٠و] قوله: (**حتَّى**) غاية التضامّ والتلاصُق. وقوله: (**عادتْ**)، / أي: صارت شيئًا واحدًا؛ ليكون من التشبيه المُركَّب.

قوله: (**بأخرى**) أي: بكيفيّة أخرى مثل تلك الكيفية الحاصلة من مجموع أشياء قد تضامّت، والباء من "بأخرى" تعلَّقت بقوله: (**تُشبِّه**).

قوله: (**كقوله تعالى**) خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هو كقوله تعالى: (﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ﴾ [الجمعة ٦٢/٥]) أي: صفتهم العجيبة الشأن كصفة الحمار.

قوله: (**في جهلها**) مُتعلِّق بمحذوف حال من اليهود، أي: مُستقرِّين في جهلها، والضمير المُؤنَّث يعود إلى اليهود بتأويل الطائفة أو الفِرقة. والباء في (**بما**) مُتعلِّق[١] بـ"الجهل". و(**من التوراة**) بيان "ما". (**وآياتها**) عطف على "**التوراة**". و(**الباهرة**) من قولهم: «بهَر القمر: أضاء حتّى غلب ضوءُه ضوءَ الكواكب، يقال: قمر باهر».[٢] وقوله: (**بحال**) مُتعلِّق بـ(**تشبيه**). وقوله: (**في جهله**) مُتعلِّق بمحذوف حال مِن الحمار، والضمير للحمار. والباء مُتعلِّق[٣] بالجهل. و(**مِن**) بيان (**ما**). و"**الأسفار**" جمع سِفْر بكسر السين وسكون الفاء، وهو: الكتاب.

قوله: (**وتساوي**) عطف على قوله: "جهله".

قوله: (**عنده**) أي: عند الحمار. و(**مِن حَمْل**) بيانُ (**الحالتين**). و(**مِن الأوقار**)

١ ن: يتعلّق.
٢ **الصحاح** للجوهري، «بهر».
٣ شن ن: يتعلّق.

لا يَشْعُر من ذلك إلّا ما يَمُرُّ بدَفَّيْه من الكدِّ والتَّعَب، وكقوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف ١٨/٤٥] المرادُ: قلّةُ بقاءِ زَهرَة الدنيا كقِلَّة

بيانُ (ما سواها)، وهي: جمع وِقْر بكسر الواو وسكون القاف: الحِمْل.

قوله: (لا يَشعُر) أي: الحمار، وهو حال من (الحمار).

قوله: (مِن ذلك) أي: مِن حَمْل أسفار الحكمة.

قوله: (إلّا بما يمرّ) استثناء مُفرَّغ، أي: لا يشعر بشيء إلّا بما يمرّ. و"الدَّفّ"[1] بفتح الدال: الجَنْب. و(مِن) بيان "ما".

قوله: (وكقوله) عطف على قوله: (كقوله) قوله[2] تعالى: (﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف ١٨/٤٥]) أي: بيّن لهم صفة الحياة الدنيا، ثمّ قال تعالى: (﴿كَمَآءٍ﴾) أي: هي كماء. فهو جواب سائل سأل وقال: كيف مَثَل الحياة الدنيا؟ فأُجيب بقوله: هو (﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ﴾)... إلخ. مثلُه قول الشاعر:

بكّي على قتلى العِدان[3] فإنّهم ... طالتْ إقامتهم ببطن بِرامِ
كانوا على الأعداء نار مُحرِّق ... ولقومهم حَرَمًا[4] مِن الأحرامِ[5]

العِدان:[6] موضع. وقيل: الأحرام ثلاثة: حرم مكّة، وحرم المدينة، وحرم بيت المَقدِس. وإنّما لم يَعطِف قوله: "كانوا" على ما قبله للاستئناف؛ لأنه حين[7] أمَرها بالبُكاء كأنّه توهّمها قالت: لِمَ أبكيهم؟ أو كيف أبكيهم؟ صِفهم، كيف كانوا؟ فقال مُجيبًا: كانوا على الأعداء.[8]

قوله: (المراد) أي: المراد من قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾ أنّ هذه القِلّة كتلك[9] القِلّة. فقوله: "المراد" مبتدأ وقوله: (قِلّة) خبره. وقوله: (كقِلّة)

---

[1] ن: والدبّ.
[2] ن - قوله.
[3] ن: العيدان.
[4] ن: حرم.
[5] البيتان لجوّاس بن القَعطل الكلبي. ومضى تخريجهما وشرحهما في تفسير سورة البقرة، ٢/٥.
[6] ن: العيدان.
[7] ن: خير.
[8] انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٣٧٠-٣٧٣. ومضى تلخيص هذا الكلام بعد ذكر البيتين في تفسير سورة البقرة، ٢/٥.
[9] ن: كقلت.

بقاء الخُضَر، فأَمّا أن يُرادَ تَشبيهُ الأَفْراد بالأَفْراد غيرَ مَنوطٍ بعضُها ببعضٍ ومُصَيَّرةٍ شيئًا واحدًا فلا، فكذلك لمّا وُصِفَ وقوعُ المنافقين في ضلالتهم ....

صفة مصدر محذوف، أي: قِلة مِثْل قِلّة بقاء الخَضِر. ولا يحسن أن يقال: "قِلّة" مبتدأ، "كقِلّة" خبره،[١] والجملة خبر "المراد"؛ إذ لا ضمير، ولا يستقيم المعنى. و«(**زَهْرة الدنيا**) بالتسكين: غَضارتها وحُسنها، وزَهْرة النبات أيضًا: نَوْره، وكذا الزَّهَرة بالتحريك».[٢] وهي في **الكشّاف** بالتسكين. والخَضِر واحده خَضِرة: بَقْلة حسناء، ورقها وثمرتها كالدُّخْن.[٣] ويقال: أَنبتَ الأرضُ خَضِرًا، أي: نباتًا حسَنًا أخضر.

قوله: (**فأمّا أن يُراد**)... إلخ، يجوز أن يكون مُتعلِّقًا بقوله: "المراد قِلّة"... إلخ،[٤] ويجوز أن يكون مُتعلِّقًا بقوله: (**الغرض تشبيه حال اليهود**)... إلخ. أيضًا[٥] قوله: (**ومُصيَّرةٍ**) أي: غير مُصيَّرةٍ.

قوله: (**فلا**) أي: فلا يتحقَّق، أو فلا يوجد.

قوله: (**فكذلك**)... إلخ، مُرتبِط من حيث المعنى بقوله:[٦] (**وتُشبِّه كيفيّةً حاصلةً من مجموع أشياء**)... إلخ، وهذه الجملة جواب شرط محذوف، أي: إذا كانت العَرب تُشبِّه كيفيّة مُركَّبة من أشياء بالكيفيّة[٧] الأخرى المُركَّبة من أشياء فكذلك لمّا وُصِف... إلخ. وقوله: "كذلك" منصوب بقوله بعد ذلك: (**شُبِّهت**)، أو بما دلَّت "هو"[٨] عليه، أي: لمّا وُصِف وقوع المنافقين شُبِّهت حيرتهم بما يُكابِد / تشبيهًا مثل ذلك التشبيه المُتقدِّم، فهو صفة مصدر محذوف. ويشير بقوله: (**وُصِف وقوع المنافقين في ضلالتهم**) إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة ٢/١٦]. [١٠٠ظ]

---

١ ن - وقوله: (كقِلّة) صفة مصدر محذوف، أي: قِلة مِثْل قِلّة بقاء الخَضِر. ولا يحسن أن يقال: "قِلّة" مبتدأ، "كقِلّة" خبره.

٢ **الصحاح** للجوهري، «زهر».

٣ انظر: **المحكم** لابن سِيده، «خضر»، ٥/٢٥. وفي مطبوعه «خشناء» بدل «حسناء»؛ وهي كذلك في مطبوع **لسان العرب** لابن منظور، «خضر».

٤ ن + أيضًا.

٥ ن - أيضًا.

٦ ن - بقوله.

٧ ن: بكيفيّة.

٨ ن: هي.

وما خَبَطوا فِيه من الحيرة والدَّهْشَةِ شُبِّهتْ حَيْرتُهم وشدَّةُ الأَمْرِ عليهم بما يُكابِدُ مَن طَفِئَتْ نارُهُ بَعدَ إيقادِها في ظلمةِ الليل، وكذلك مَن أَخَذَتْهُ السَّماءُ في اللَّيلةِ المُظْلمة مع رَعْدٍ وبَرْقٍ وَخَوْفٍ منَ الصَّواعق.

فإن قلتَ: الذي كُنتَ تُقدِّرُه في المُفرَّقِ مِن التَّشْبيه من حَذْف المضاف

وقوله: **(ما خبطوا)**[1] عطف على قوله: "ضلالتهم". ويريد بوقوعهم فيما خبطوا معنى قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة ١٦/٢]. وقوله: "شُبِّهت" جواب (لمّا). و**(حيرتُهم)** أي: حيرة المُنافقين. وقوله: **(بما)** مُتعلِّق بـ"شُبِّهت"، أي: شُبِّهت حيرتُهم بالشِّدَّة التي يُكابِدها، يقال: كابدت الأمر، أي: قاسيتُ شِدّته. ومفعول **(يُكابد)** محذوف و**(مَن)** فاعله.

قوله: **(بعد)** ظرف **(طَفِئت)**. و**(إيقادها)** مضاف إلى المفعول، والفاعل محذوف، أي: بعد إيقاده[2] إياها. وقوله: **(في ظُلمة الليل)** بدل من قوله: "بعد إيقادها". ولا يجوز أن يكون ظرفَ إيقادها؛ لأنّه لا يلزم حينئذٍ[3] أن يكون الطُّفوء في ظلمة الليل، والمعنى على أنّ الطُّفوء فيها، وإلى هذا بيان التمثيلِ المُركَّب في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى﴾... إلخ. ومن هذا تبيّن أنّ المُصنِّف اختار التفسير الأخير الذي أشار إليه بقوله قبلُ: "وفي الآية تفسير آخر: وهو أنّه لمّا وُصِفوا بأنّهم"... إلخ.

قوله: **(وكذلك)** شروع في بيان التشبيه المركَّب في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾... إلخ، فهو عطف من حيث المعنى على قوله: **(مَن طَفِئت ناره)** أي: وشُبِّهت حيرتهم بما يُكابِده مَن أخذتْه السماء، أي: المطر، تشبيهًا مثلَ ذلك التشبيه. ومَن قال: إنّ قوله: "وكذلك"... إلخ، عطف على قوله: "فكذلك لمّا وُصِف"... إلخ، فقد سها.

قوله: **(من التشبيه)** بيانُ **(المُفرَّق)**.[4] وقوله: **(من حذف المضاف)** بيانُ **(الذي)**، ويُريد بالمضاف المحذوف قوله: **(ذوي)** لا قوله: **(مثل)**، فإنّه لا بدَّ من تقديره.

---

[1] ن: خاطبوا.
[2] ن: إيقادها.
[3] ن - حينئذ.
[4] ن: الفرق.

-وهو قولك: أو كمَثَلِ ذَوِي صَيِّبٍ- هل تُقدِّرُ مثلَه في المركَّب منه؟

قلتُ: لولا طلبُ الراجعِ في قَوْلِهِ: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ ما يُرجع إليه لكنتُ مُسْتغنيًا عن تقديره؛ لأنِّي أُراعي الكيفيَّةَ المُنتزَعَةَ من مجموع الكلام، فلا عليَّ أَوَلِيَ حرفَ التَّشبيه مُفردٌ يتأتَّى التَّشبيهُ به أمْ لمْ يَلِه.

ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ﴾ الآيَةَ [يونس ١٠/٢٤] ....

قوله: **(وهو)** عائد إلى التقدير؛ لأنّه يدلُ عليه.

قوله: **(تُقدِّره)** أي: تقديرك:[١] أو كمثل ذوي صيِّب. فقوله: "الذي" مبتدأ، و**(هل تُقدِّره؟)**[٢] خبره. وقوله: **(وهو قولك)** جملة مُعترِضة. وقوله: **(منه)** أي: من التشبيه، وهو بيانُ المُركَّب.

قوله: **(لولا طلب الراجع)** الطلب مصدر مضاف إلى فاعله، والمراد بـ"الراجع" الضمير في ﴿يَجْعَلُونَ﴾. وقوله: **(في قوله)** حالٌ مِن "الراجع"، أو من الضمير المُستتر في "الراجع". ولا يجوز أن يكون ظرفًا لـ"الراجع". وقوله: **(ما يَرجِع)** مفعول "الراجع". وفي "يرجع" ضمير "الراجع". والضمير من **(إليه)** يعود إلى "ما".

اعلم أنّا إذا جعلنا هذا من التشبيه المُفرَّق فلا بد أن يليَ حرفَ التشبيه مُفرَدٌ يصحُّ تشبيه المُنافقين به؛ فلذلك قدَّرنا ما قدَّرنا، وأما إذا جعلناه من التشبيه المُركَّب فلا يُشترَط أن يليَ حرفَ التشبيه مُفرَد يصحُّ التشبيه به، فلا يلزم تقدير ذلك، لكنّ أمرًا آخر اقتضاه وهو قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ﴾؛ فلذلك قلنا: على التقديرين المعنى: كمثل ذوي صيِّب، وهذا يُؤيِّد ما ذكرنا من أنّ المُراد بالمضاف المحذوف "ذوو" لا "مثل"؛ لأنّ الضمير في ﴿يَجْعَلُونَ﴾ لا يقتضي تقدير "ذوي"، بل مُقتضيه ما مرّ من أنّ التشبيه ليس[٣] دائرًا[٤] بين صفة هؤلاء وذوات ذلك على ما عرفتَ.

---

١ ن + قوله؛ ش + وولك.
٢ ش: تقدر.
٣ ن - ليس.
٤ ن: دائر.

كيف وَلِيَ الماءُ الكافَ وليسَ الغرضُ تشبيهَ الدنيا بالماء ولا بمفردٍ آخرَ يُتَمَحَّلُ لتقديره.

ومِمَّا هو بيِّن في هذا قولُ لبيدٍ:

وما النَّاسُ إلّا كالدِّيَارِ وأَهلُهَا بِهَا يَومَ حَلُّوهَا وغَـدْوًا بَلَاقِعُ

لم يُشبِّه النَّاسَ بالدِّيار، وإنَّما شَبَّهَ وجودَهم في الدنيا وسُرْعَةَ زوالِهم وفنائهم بحلولِ أهلِ الديار فيها ووَشْكِ نُهوضهم عنها وتركِها خَلاءً خاويةً.

قوله: (وليس الغرض) حال من (الماء). «و"تمحّل"، أي: احتال، فهو مُتمحِّل».[1]

قوله: (لتقديره) أي: لتقدير مُفرِد آخر.

قوله: (في هذا) أي: في التمثيل المُركَّب ووليَ حرفَ التشبيه مُفرَد لا يتأتّى التشبيه به. قال:

(وما النـاسُ إلّا كالديار وأهلُها بها يومَ حلُّوها وغَـدْوًا بلاقعُ)

وما الناس إلّا كالشهاب وضوئه يَحور رمادًا بعد إذ هو ساطعُ

وما المال والأهلون إلّا وديعةٌ ولا بدّ يومًا أن تُرَدَّ الودائعُ[2]

والبلقع: / الخالي، والجمع البلاقع. والشهاب: شُعلةُ نار ساطعة. والسطوع: الارتفاع. [١٠١و]

قوله: "أهلها" مبتدأ، "بها" خبره. و"يوم حلُّوها" ظرف للخبر. وإنّما ذكر ذلك؛ لأنّهم يومَ الحُلول[3] يكونون مُجتمعين غير مُتفرقين. والجملة حال مِن "الديار"، أي: تشبه[4] الديار في هذه الحال. و"البلاقع" خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هي بلاقع. والواو للعطف على الجملة الحاليّة. وأصل "غَد": غَدْو، فأُخرِج على الأصل، وبهذا البيت يُستشهَد لأصل "غَد". والحَوْر: الرجوع، ويحور رمادًا، أي: يصير رمادًا. والديار جمع دار، مثل جبل وجبال. و"الوَشْك": السرعة. و"النهوض": القيام.

---

١ الصحاح للجوهري، «محل».

٢ الأبيات للبيد بن ربيعة في ديوانه، ص ١٦٩-١٧٠. والأوّل منها بلا عزو في كتاب سيبويه، ٣/٣٥٨؛ والمُنصِف لابن جنّي، ١/١١٩، ٢/٢٦٤؛ وهو للبيد في الصحاح للجوهري، «غدو».

٣ ن: الخلو.

٤ د: تشبيه.

فإن قلتَ: أيُّ التمثيلين أبلغُ؟

قلتُ: الثاني؛ لأنَّه أدلُّ على فَرْطِ الحَيْرة وشدةِ الأمر وفَظَاعتهِ ولذلك أُخِّر، وهم يتدرَّجونَ في نحو هذا مِن الأَهْونِ إلى الأغلظ.

فإن قلتَ: لم عُطِفَ أحدُ التَّمثيلَيْن على الآخر بحرف الشَّكِّ؟

قلتُ: "أو" في أصلها لتساوي شَيئَين فصاعدًا في الشك، ثمَّ اتُّسِعَ فيها

قوله: (**أيُّ التمثيلين؟**)،[١] يعني قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ﴾، وقوله: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ﴾.

قوله: (**الثاني**) أي: التمثيل الثاني أبلغ من التمثيل الأوّل؛ لأنّ التمثيل الثاني...

قوله: (**فظاعته**) أي: فظاعة الأمر. وفي الكلام حذفٌ، أي: أدلّ من التمثيل الأول.

قوله: (**ولذلك**) أي: لكون التمثيل الثاني[٢] أبلغ (**أُخِّر**) التمثيل الثاني.

قوله: (**بحرف[٣] الشكّ**)، يعني: "أو" في قوله: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ﴾.

قوله: (**"أو" في أصلها**) أي: وُضِع في أصلها، فـ"أو"[٤] مبتدأ، في أصلها مُتعلّق بفعل هو خبره، أي: وُضِع في أصل وضعها. (**لتساوي**)[٥] مُتعلِّق بذلك الفعل المحذوف.

قوله: (**فصاعدًا**)[٦] حال عامله محذوف، أي: فيذهب الشيئان فصاعدًا[٧] وإنّما لم يُثنّ[٨] نظرًا إلى كلّ واحد.

قوله: (**في الشكّ**) مُتعلّق بـ"تساوي".

قوله: (**ثمّ اتُّسع**) عطف على قوله: "في أصلها"، أي: على الفعل[٩] المُتعلّق هو به.

قوله: (**فيها**) أي: في "أو".

---

١ ن: المثلين.

٢ ن + في.

٣ ن: بحذف.

٤ ن: فا.

٥ ن: ليتساوى.

٦ هامش د: صاعدًا.

٧ ش: صاعدًا.

٨ ن: لم يبن.

٩ ن: القول.

فاستُعِيرَتْ للتَّساوي في غير الشَّكِّ، وذلك قولُك: جالِسِ الحسَنَ أو ابنَ سيرينَ، تُريدُ أنَّهما سِيَّان في استِصْواب أَنْ يُجالَسَا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان ٧٦/٢٤]؛ أي: الآثِمُ والكفورُ متساويان في وجوبِ عِصْيانهما، فكذلك قولُه تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ معناه: أنَّ كيفيَّةَ قصَّة المنافقين مُشْبِهَةٌ لكَيْفيَّتي هاتين القصَّتين، وأن القصَّتين سواءٌ في استقلالِ كلٍّ واحدةٍ منهما بوجهِ التمثيل، فبأيَّتهما مَثَّلْتَها فأنت مُصِيب، وإن مثلْتَها بهما جميعًا فكذلك.

قوله: (وذلك) إشارة إلى الاستعارة وذكَّر باعتبار المذكور، أي: وذلك مثل قولك: جالِس الحَسَن.

قوله: (إنّهما) أي: الحَسَن[1] وابن[2] سِيرين سيّان، أي: مِثلان، والسِّيّ: المِثْل، والسِّيان: المِثْلان.

قوله: (في استصواب) مُتعلِّق بـ"السِّيان"؛ لأنّه في معنى المُتشابهان. واستصوَب فعله واستصاب فعله بمعنى، أي: عدّه صوابًا. فقوله: "في استصواب" مضاف إلى المفعول، أي: في استصواب الناس مُجالستهما.

قوله: (ومنه) أي: وممّا استُعير فيه "أو" للتساوي في غير الشكّ.

قوله: (فكذلك) جوابُ شرط محذوف، أي: إذا عرفتَ أنّ "أو" مُستعار للتساوي في غير الشكّ فكذلك ما نحن فيه. وقوله: (معناه أنّ كيفيّة) تقريرٌ لِما مرّ من أنّ المَثل في الآية بمعنى الحال العجيبة الشأن.

قوله: (بوجهِ) مُتعلِّق بقوله: (استقلال).

قوله: (فبأيّتهما)[3] جواب شرط محذوف، أي:[4] إذا كانت تلك الكيفيّة مُشبِهة للكيفيّتين فبأيّتي الكيفيّتين مثّلتَ، أي: شبَّهتَ كيفيّة قِصّة[5] المُنافقين. وقوله: (فأنت مُصيب) جواب قوله: "فبأيّتهما". والحاصل أنّ قوله: "فبأيّتهما" شرط

---

[1] ن - قوله: (إنّهما) أي: الحسن.
[2] ن: أو ابن.
[3] د: فبأيّتها.
[4] ن - إذا عرفت أنّ... أي.
[5] ن - قِصّة.

والصَّيِّبُ: المطرُ الذي يَصُوبُ؛ أي: يَنْزِلُ ويقع، ويقال للسَّحاب: صَيِّبٌ أيضًا. قال الشَّمَّاخُ:

وأسحَمُ دَانٍ صَادقُ الرَّعْدِ صَيِّبُ

جوابه "فأنت مُصيب"،[١] والشرط والجزاء جزاءُ شرط محذوف،[٢] على ما قررنا.

قوله: (فاستُعيرت للتساوي) وذلك كما مرّ من أنّه: إذا اشترك بابان في أمر عامّ، واختلفا في أمر آخر، يجوز استعمال صيغة[٣] أحد البابين في الآخر، نحو: أمّا أنا فأفعلُ كذا أيُّها الرجُل، وسواء عليَّ أقمتَ أم قعدتَ، وقد مرَّ تحقيقه.[٤] ونظيره الإحلاب: وهو الإعانة على الحَلَب خاصّة ثمّ استُعمل على العموم في كلّ إعانة.[٥] وكذلك[٦] "تعالَ" فإنّ أصله أن يقول مَن هو في المكان العالي لمَن هو في المُنخفِض، أو ادَّعاه مِن المكان المُنخفِض إلى العالي لا من العُلوّ، ثمّ اتُّسع وعمّ حتّى صحّ بالعكس.

قوله: (والصيِّب: المطر) قال في المُجمَل: «الصَّوْب: نزول المطر».[٧]

[١٠١ظ] قوله: (ويقال للسحاب) قال في الصحاح: «الصيِّب: / السحاب ذو الصوب، وصاب: نزل».[٨] قال الشَّمّاخ:

عفا آيَه[٩] نسجُ الجَنوب مع الصَّبا (وأسحمُ دانٍ صادقُ الرَّعدِ[١٠] صيِّبُ)[١١]

---

١ ن – جواب قوله: "فبأيّهما". والحاصل أنّ قوله: "فبأيّهما" شرط جوابه "فأنت مُصيب".

٢ ن + أي: إذا عرفتَ أنّ "أو" يُستعار للتساوي في غير الشكّ فكذلك ما يجب فيه. وقوله: (معناه أنّ كيفيّة) تقديرٌ لِما مرّ من أنّ المَثل في الآية بمعنى الحال العجيبة الشأن. قوله: (بوجهٍ) مُتعلّق بقوله: (استقلال). قوله: (فبأيّهما) جواب شرط محذوف، أي: إذا كانت تلك الكيفيّة مُشبِهة للكيفيّتين فبأيّتي الكيفيّتين مثّلتَ، أي: شبّهتَ كيفيّة قِصّة المُنافقين. وقوله: (فأنت مُصيب) والشرط والجزاءُ جزاءُ شرط محذوف.

٣ ن – صيغة.

٤ مضى هذا الكلام في تفسير سورة البقرة، ٦/٢.

٥ مضى في تفسير سورة الفاتحة، ٧/١.

٦ ن + قوله.

٧ مُجمَل اللغة لابن فارس، «صوب». وهو في الصحاح للجوهري، «صوب».

٨ الصحاح للجوهري، «صوب». وفي مطبوعه «... أي: نزل».

٩ ن: آنه.

١٠ ن: الوعد.

١١ ليس في ديوان الشمّاخ، وأورد مُحقّقه عجُزه عن الكشّاف وحده في ملحقات الديوان، ص ٤٣٢. ولم أقِف عليه للشّمّاخ في غيره من المصادر. قلت: وهو قريب من بيت النابغة المذكور بعضه فيما نقله الجاربردي عن الصحاح، الآتي تخريجه.

وتنكيرُ صَيِّبٍ لأنَّه أريد نَوْعٌ من المطرِ شديدٌ هائل، كما نُكِّرتِ النَّارِ في التَّمثيل الأوَّل.

عفا، أي: درس. والآي جمع آية، وهي: العلامة. و"الأسحم":[١] السحاب الأسود. و"دانٍ"، أي: قريب من الأرض؛ لثقله بالماء، وهو صفة "أسحم"، أو هما صفتان لموصوف محذوف، أي: سحاب. وقال:[٢] "صادق الرعد"؛ لأنّ الرعد كالوعد بالمطر. يقول إنّ اختلاف الرياح وتتابع الأمطار على رَبْع المحبوب محا أثره. قال في **الصحاح**:

الأسحم في قول زهير:

بـــأســــحــــمَ مِـــــــذْوَدِ[٣]

القَرن؛ وفي قول النابغة:

بأســـــــــــــــــحمَ[٤] دانٍ[٥]

السحاب؛ وفي قول الأعشى:

بـأسـحـمَ داجٍ عَـــوْضُ[٦] لا نـتـفـرَّقُ[٧]

الدم، تُغمَس فيه اليد عند التحالف. ويقال: بسواد[٨] حَلَمة[٩] الثدي، ويقال: بزِقّ الخمر.[١٠]

---

[١] ن – والأسحم.

[٢] ن – وقال.

[٣] وبيت زهير:

نَـجـاءٌ مُـجِـدٌّ لـيس فـيـه وتـيـرةٌ
وتـذبـيـبُـهـا عـنـه بـأسـحـمَ مِــذْوَدِ

في ديوانه، ص ١٦٦. وقال ثعلب في شرحه: «الوتيرة: الطريقة... وتذبيبها عنها: تذبُّ عن نفسها بقرنها الأسحم، وهو الأسود. ومِذْوَد مفعل من ذاد يذود: دفَع عن نفسه». والبيت له في **أساس البلاغة** للزمخشري، «ذود»، «وتر»؛ **والتكملة والذيل والصلة** للصغاني، «ذود».

[٤] ن: كأسحم.

[٥] وبيت النابغة:

عفا آيَه صَوْبُ الجَنوب مع الصَّبا
بـأسـحـمَ دانٍ مُـزنُـه مُـتـصـوِّبُ

في **ديوانه** ص ٧٣؛ وهو له في **لسان العرب** لابن منظور، «سحم».

[٦] ن: عرض.

[٧] وهو عجز بيت للأعشى، صدره:

رضـيـعَـي لِـبـان صـدر أمّ تـحـالـفـا

والبيت في **ديوانه**، ص ٢٢٥. وهو له في **إصلاح المنطق** لابن السِّكِّيت، ص ٢٩٧؛ **والصحاح** للجوهري، «عوض». وبلا نسبة في **المُفصَّل** للزمخشري، ص ٢١٧، شاهدًا على استعمال "عَوْض" استعمالَ "قطّ" لفظًا ومعنًى. والرِّواية فيها جميعًا خلا **الديوان** «تقاسما» بدل «تحالفا».

[٨] ن: يراد.

[٩] ن: حكمة.

[١٠] انظر: **الصحاح** للجوهري، «سحم».

وقُرئ: "كصائبٍ"، والصيِّبُ أبلغُ.

والسَّماءُ: هذه المُظِلَّةُ، وعن الحسن: أنَّها مَوْجٌ مَكْفوفٌ.

فإن قلتَ: قوله: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ما الفائدةُ في ذكره والصَّيِّبُ لا يكون إلّا من السَّماء؟

قلتُ: الفائدةُ فيه أنَّه جاء بـ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ معرَّفةً فنفَى أنْ يَتَصوَّبَ من سماءٍ؛

و(**تنكير "صيِّب"**) مبتدأ، خبره (**لأنّه**)، يعني: أنّ التنوين في "صيّب" للتعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [آل عمران ٣/١٨٤].

قوله: (**والصيّب أبلغ**)، كسَيِّد وسائد، وقَيِّل وقائل.

قوله: (**والسماء: هذه المُظِلّة**) إنّما قال ذلك؛ لأنّ السماء تُطلَق على كلّ ما سما وارتفع، كالغمام والسقف، فبيَّن أنّ المراد به ههنا المُظِلّة.

قوله: (**مكفوف**) أي: ممنوع، يعني: كفَّ عن أن يسيل.

قوله: (**قوله**) مبتدأ، و(﴿**مِنَ ٱلسَّمَآءِ**﴾) في محلّ النصب؛ لأنّه مقوله، أو في محلّ الرفع؛ لأنّه بدل منه. وقوله: (**ما الفائدة؟**) مبتدأ وخبر. وقوله: (**في ذِكره**) أي: في ذكر قوله، وهو ظرف الفائدة، والجملة خبر.

قوله: (**والصيّب لا يكون إلّا مِن السماء**) حال من الضمير المجرور في "ذِكره"؛ لأنّه مفعول المصدر.

قوله: (**فنفى أن يتصوَّب**) أي: نفى الله تعالى بمجيء "السماء" مُعرَّفة نزول الصيّب مِن أُفق واحد، وأفاد أنّه ينزل من جميع الأُفق؛ وذلك لأنّ اللام في مثله تفيد الاستغراق، لِمَا مرّ أنّ الحقيقة مِن حيثُ هي صالحة للتوحُّد[١] والتكثُّر،[٢] فيكون الحُكم استغراقًا أو غير استغراق[٣] إلى مقتضى المقام، فإذا كان خطابيًّا مثل «المؤمن غِرٌّ كريم، والمنافق خِبٌّ لئيم»[٤] حُمِل المُعرَّف باللام مفردًا[٥] كان

---

١ ن: للتوحيد.

٢ ن: والتنكير.

٣ يظهر أنّ في ش نقصَ لوح ينتهي ههنا ويبدأ بعد قوله: "قوله: (بوجه) متعلِّق بقوله: (استقلال)".

٤ مضى الحديث بتخريجه في تفسير سورة البقرة، ٢/٢.

٥ ن: منفردًا.

أي: من أُفُقٍ واحِدٍ من بين سائر الآفاق؛ لأنَّ كلَّ أفقٍ من آفاقها سماءٌ؛ كما أنَّ كلَّ طبقَةٍ من الطِّباقِ سماءٌ في قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت ٤١/١٢]، والدَّليلُ عليه قولُه:

ومِـــن بُـعْـدِ أَرضٍ بَـيـنَـنـا وسَـمَـاءِ

أو جمعًا على الاستغراق، بعلَّة إيهام أنّ القصد إلى فرد دون آخر، مع تحقُّق الحقيقة فيهما، يُؤدي إلى ترجيح أحد المُتساويين على الآخر.

قوله: (لأنّ) تعليل "نفى"؛ يعني: إذا كان كلُّ أفق من آفاقها سماء وجب حملها على العموم؛ لأنّه لو حمل على البعض دون البعض يلزم الترجيح بلا مُرجِّح.

قوله: (كما أنّ) "ما" زائدة، مثله في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ [آل عمران ٣/١٥٩]. و"أنّ"...[١] إلخ، في تأويل المصدر. و"كما"... إلخ، خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هو، يعني: كونُ كلّ أفق سماء مِثْلُ كونِ كلّ طبقة سماء. وقوله: (في قوله تعالى) ظرف للكون، أو لمعنى الثبوت في قوله: (أنّ كلّ طبقة)... إلخ. قوله: (والدليل عليه) أي: على أنّ كلّ أفق من آفاق[٢] السماء يُسمَّى سماءً، قولُ الشاعر:

(ومِـــن بُـعْـدِ أرض بيننا وســمـاءِ)[٣]

سمّى بعض الأرض أرضًا، وبعضَ السماء سماءً. فقوله: "وسماءِ" عطف على "أرضٍ"، أراد بقوله: "أرضٍ" ما بينهما من أجزاء الأرض، وبقوله: "سماءِ" جُزء السماء في مُقابلة القطعة التي بينهما من الأرض.

---

[١] ن - وأنّ.

[٢] ن - آفاق.

[٣] ما عرفت قائله. وهو عجز بيت صدره:

فـأَوْهِ مِـن الـذِّكـرى إذا ما ذكرتها

أنشده الفرّاء بلا نسبة في **معاني القرآن**، ٢/٢٣. وقال قبله: «أوه له، وهي لغة بني عامر. وأنشدني أبو الجرّاح»، وضُبط اللفظ الأوّل في مطبوعه «فأَوِّهْ». والبيت بلا نسبة في **الزاهر** لابن الأنباري، ١/١٠٤؛ و**تهذيب اللغة** للأزهري، «أوه»، ٦/٤٨١؛ و**سر صناعة الإعراب** لابن جنّي، ٢/٦٥٦؛ و**الصحاح** للجوهري، «أوه»؛ و**فتوح الغيب** للطِّيبي، ٢/٢٦٧. ورواية صدره بعض المصادر السالفة «فأَوْهِ لذكراها...».

والمَعْنى: أنّه غَمامٌ مُطَبِّق آخِذٌ بآفاق السَّماء، وكما جاءَ بـ"صيِّب" وفيه مُبَالغاتٌ من جهة التركيبِ والبناءِ والتَّنكيرِ، أَمَدَّ ذلك بأَنْ جعَله مُطَبِّقًا، وفيه: أنَّ السَّحابَ من السَّماء يَنْحَدِرُ ومنها يأخُذ ماءَه، لا كزَعْمِ مَن يَزْعُمُ أنَّه يأخُذه من البَحْر،

قوله: (والمعنى) أي: المعنى الحاصل من المجيء بالسماء مُعرَّفة. وطبَّق الغيمُ[١] تطبيقًا إذا أصاب بمطره جميع الأرض، يقال: "سحابة مُطبِّقة".

قوله: (وكما جاء) مُتعلِّق بقوله: (أمَدّ).

قوله: (وفيه مبالغات) حال مِن "الصيِّب"، أو صفة له. والأوّل أَوْجَه؛ لأنّ المراد لفظ "صيِّب"، وهو ليس بنكرة.

قوله: (من جهة التركيب)؛ لأنّ الصَّوْب: هو النزول من السماء، فهو أخصّ من / النزول. و"التركيب" هنا بمعنى جمع الحروف البسيطة لتكون كلمة. [١٠٢و]

قوله:[٢] (والبناء)[٣] لِمَا مرّ أنّ فَيْعلًا أبلغ مِن فاعل.

قوله: (والتنكير) لِما ذكر أنّه أُريد نوع من المطر شديد.

قوله: "أمَدّ" مِن مَدّ الجيش وأمَدّه[٤] إذا زاده وألحق به ما يُقوّيه ويُكثِّره.

قوله: (ذلك) إشارة إلى المجيء بالصيِّب على الوجه[٥] المذكور، وهو مفعول "أمَدّ"، وفاعله ضميرٌ عائد إلى الله تعالى.

قوله: (بأن جعَله) أي: الصيِّب.

قوله: (وفيه) عطف على قوله: (فيه أنّه جاء).

قوله: (ينحدِر) أي: ينزِل.

قوله: (ومنها) أي: من السماء.

قوله: (كزَعْم) خبرُ مبتدأ محذوف، أي: ليس الحال أو الأمر أو الواقع

---

١ ن: الأرض.
٢ ن: فقوله.
٣ ن: والبنا.
٤ ن: واحده.
٥ ن – الوجه.

ويؤيدُه قولُه تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور ٢٤/٤٣].

فإن قلت: بمَ ارتفع ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾؟

مِثْلَ زَعْم مَن يزعُم أنّ السحاب يأخذ الماء من البحر.[١] و"مِن" في (﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾) للابتداء، و(﴿مِن جِبَالٍ﴾) بدل منه، و(﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور ٢٤/٤٣]) للتبعيض؛ أو "﴿مِن جِبَالٍ﴾" للتبعيض، و"﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾" بيان "جبال".[٢] وسيجيء تحقيقه إن شاء الله تعالى.

قال الإمام:

إنّ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة ٢/٢٢] سؤالًا: وهو أنّ قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ما يقتضي[٣] نزول المطر من السماء، وليس الأمر كذلك؛ فإنّ الأمطار إنّما تتولّد من أبخرة ترتفع عن الأرض، وتتصاعد إلى الطبقة الباردة من الهواء، فتجتمع هناك بسبب البرد، وتنزل بعد اجتماعها، وذلك[٤] هو المطر.[٥]

ثمّ قال:

والجواب من وجوه: **الأوّل**: أنّ السماء سُمِّيت سماء؛ لسمُوّها، فكلُّ ما سما فهو سماء،[٦] فإذا نزل من السحاب فقد نزل من السماء؛ **الثاني**: أنّ المُحرِّك لإثارة تلك الأجرام الرَّطْبة من عمق الأرض إلى جوّ الهواء هو القُوّة السماويّة، فصحَّ أن يقال: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾؛ **الثالث**: أنّ قوله عزّ وجلّ هو الصدق، وقد أخبر أنّه يَنزل المطر مِن السماء، فإذا علمنا[٧] أنّه مع ذلك يَنزِل من السحاب فيجب أن يقال: يَنزِل من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض.[٨]

---

١ ن + وقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾. | وعُلِّق بها في هامش د من غير تصحيح.

٢ ن - جبال.

٣ ن: يقضي.

٤ ن: وكذلك.

٥ انظر: تفسير الرازي، ٢/١٢١ (البقرة، ٢/٢٢).

٦ ن - فهو سماء.

٧ ن: علمناه.

٨ انظر: تفسير الرازي، ٢/١٢١-١٢٢ (البقرة، ٢/٢٢). وسقط من مطبوعه «إلى جو الهواء هو القُوّة السماويّة، فصحَّ أن يقال».

قلتُ: بالظرفِ على الاتفاق؛ لاعتماده على مَوْصُوفٍ.

قوله: **(لاعتماده)** أي: **لاعتماد الظرف على موصوف، وهو "الصيِّب".** وإنّما قال: **(على الاتّفاق)**؛ لأنّك إذا قلت ابتداءً: "**فيه ظلمات**" **فهو مُختلَف** فيه، وبيان ذلك أن نقول: الظرف المستقرّ، أي: السادّ مَسدّ الفعل **لا يخلو**[١] مِن ألّا يعتمد على أحد الأشياء الستة التي هي: المبتدأ، والموصول، والموصوف، وذو الحال، وحرف الاستفهام، وحرف النفي قبله؛ أو اعتمد. **والثاني يعمل في** الاسم الواقع بعده عمَل كلّ فعل في فاعله وِفاقًا؛ لأنّ الظرف لنيابته عن الفعل يعمل عمله، لاسيّما وقد اعتضد بالاعتماد، وذلك نحو قولك: زيد في داره عمرٌو، وجاءني الذي في الدار أخوه، ومررتُ برجل في كُمّه كتاب، ولقيتُ زيدًا عليه جُبّةُ وَشْيٍ، وأفي الدار أخوك؟ وما فيها أبوك.

وأمّا **الأوّل** -وهو الظرف الذي لم يَعتمِد على شيء قبله- فالاسم الواقع بعده لا يخلو من أن يكون حدَثًا أو غير حدث، **والثاني لا يعمَل في المُظهَر** بعده عند أصحابنا، بل ارتفاعه بالابتداء والظرف المُقدَّم مُحتمِل لضميره، وهو مع ما تضمّنه مِن الضمير مرفوعُ المحلّ بالخبريّة، نحو: عندي مال، فارتفاع "مال" بالابتداء عندهم، وفي الظرف المُقدَّم ضميره، وهو معه واقع خبرًا له، وعند الكوفيين ارتفاع الاسم بعده بالفاعليّة مثله إذا اعتَمد، وأنّهم لا يشترطون لعمله الاعتماد، كما لم يشترطوه[٢] لإعمال اسمي الفاعل والمفعول، وواقفهم الأخفش / منّا في المسألتين،[٣] أعني: إعمال الظرف، وإعمال [١٠٢ظ]
الصفات من غير اعتماد، هذا إذا كان الاسم الواقع بعد الظرف غير حدث. وإن كان حدثًا فارتفاعه بالفاعليّة عند سيبويه، وإن لم يكن يعتمِد الظرف، وذلك قولك: يومَ الجمعة الخروجُ، وأمامَك الوقوفُ. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ [فصلت ٣٩/٤١]؛ لأنّ التقدير: ومن آياته رؤيتك؛

---

١ د: لا يخ [اختصارًا من "لا يخلو"].

٢ د ش: لم يشترطونه.

٣ انظر: **الإنصاف في مسائل الخلاف** لأبي البركات الأنباري، ص ٥١.

والرَّعْدُ: الصَّوتُ الذي يُسْمَعُ من السَّحاب كأنَّ أَجْرامَ السَّحابِ تَضْطَرِبُ وتَنْتَفِضُ إذا حَدَتْها الرِّيحُ فتُصَوِّتُ عند ذلك من الارْتعادِ.

والبَرْقُ: الذي يَلْمَعُ من السحاب، من بَرَقَ الشيءُ بَرِيقًا: إذا لَمَعَ.

فإن قلتَ: قد جُعل الصيِّبُ مكانًا للظلمات، فلا يخلو: ....

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ﴾ [الروم ٣٠/٢٥]. وعند الخليل لا فرق بين الحدث وغيره في اشتراط الاعتماد، فارتفاع هذه الأسماء عنده بالابتداء، وهذا[١] أقرب إلى القياس.[٢]

قوله: **(تنتفِض)**، يقال: «نفضتُ الثوب والشجَر أنفضُه نفضًا إذا حركتَه لينتفِض».[٣] والحَدْو: سَوق الإبل والغِناء لها، ويقال: للشَّمال حَدْواء؛ لأنَّها تحدو السحاب أي: تسوقه، ولا يقال للمُذكَّر أحدى.[٤]

قوله: **(فتُصوِّت)** أي: الريح، وهو عطف على "تنتفِض".

قوله: **(ذلك)** أي: الاضطراب والانتفاض.

قوله: **(مِن الارتعاد)** يجوز أن يكون خبرَ مبتدأ محذوف، أي: هو، يعني: الرَّعد من الارتعاد؛ ويجوز أن يكون خبرًا بعد خبر لقوله: **(الرَّعد)**. و"الارتعاد": الاضطراب، يقال: أرعَدتُه فارتعد.

قوله: **(جُعِل الصيِّب)**، يعني قوله: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾، فإنَّ الضمير مِن ﴿فِيهِ﴾ عائد إلى "الصيِّب".

قوله: **(فلا يخلو)** الفاء جزاءُ شرط محذوف، أي: إذا كان الصيِّب مكانًا للظلمات فلا يخلو.

---

١ ن: وهو.

٢ انظر لتفصيل هذه المسألة **الإنصاف في مسائل الخلاف** لأبي البركات الأنباري، ١/٥١-٥٥؛ **والتذييل والتكميل** لأبي حيّان الأندلسي، ٣/٢٥٠-٢٥٦. وكان الطيبيّ تعرَّض لهذه المسألة من كلام الزمخشري باقتضاب لا يخلو من إخلال. انظر: **فتوح الغيب**، ٢/٢٦٨.

٣ **الصحاح** للجوهري، «نفض».

٤ انظر: **الصحاح** للجوهري، «حدو».

إما أن يراد به السَّحابُ أو المطرُ، فأيُّهما أريدَ فما ظلماتُه؟

قلتُ: أمَّا ظلماتُ السَّحاب: فإذا كان أسحَمَ مُطبِقًا فظُلْمتا سُحْمَتِهِ وتَطْبِيقِه مضمومةً إليهما ظلمةُ اللَّيل.

وأما ظلماتُ المطر: فظلمةُ تكاثُفِهِ وانتساجِهِ بتتابُع القَطْرِ، وظلمةُ إظْلال غَمامِهِ مَعَ ظلمةِ اللَّيل.

قوله: **(به)** أي: بالصيِّب. و"أيّ" في **(أيُّهما)** شرطيّة، **(فما ظُلماته؟)** جوابها. والضمير من "ظلماته" عائد إلى "أيّ". وقوله:[١] "فأيّهما"... إلخ، جزاءُ شرط محذوف، أي: إذا كان المراد السحاب أو المطر فأيُّهما أُرِيد فما ظلماته؟

قوله: **(أسحمَ)** أي: أسود، والسُّحْمة: السواد.[٢]

قوله:[٣] **(فظُلمتا)** خبرُ مبتدأ محذوف، أي: فهي ظُلمتا سُحمته. وهذه الجملة جزاءٌ للشرط الثاني، وهو: فإذا كان، أي: السحاب. والمجموع جواب للشرط الأوّل، أعني قوله: **(أمّا ظُلمات السحاب)**.

قوله: **(مضمومةً)** حال من الضمير الذي أُضيف إليه **(سُحْمته)** أو **(تطبيقه)**؛ لأنّه فاعل، وهذه حال[٤] باعتبار المُتعلَّق، كما تكون الصفة باعتبار مُتعلَّق الموصوف. وقوله: **(ظُلمة)** أُقيمت مُقام فاعل **(مضمومة)**.

قوله: **(إليهما)** أي: إلى ظلمتي سُحْمته وتطبيقه.

قوله: **(فظُلمة)** خبرُ مبتدأ محذوف، وهو الضمير العائد إلى **(ظلمات المطر)** أي: فهي ظلمة، وهذه الجملة جزاءُ الشرط. ويقال: ضربَت الريح الماءَ فانتسجت له طرائقُ.[٥]

قوله: **(بتتابُع)** مُتعلِّق بقوله: **(انتساجُه)**. و**(القَطْر)**: المطر.

قوله: **(وظُلمةُ)** عطف على "فظُلمة".

---

١ ن: قوله.

٢ ن: السوداء.

٣ ن: فقوله.

٤ ن – من الضمير الذي أُضيف إليه (سُحْمته) أو (تطبيقه)؛ لأنّه فاعل، وهذه حال.

٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «نسج».

فإن قلتَ: كيفَ يكونُ المطرُ مكانًا للبَرْقِ والرَّعْدِ وإنَّما مكانُهما السَّحابُ؟

قلتُ: إذا كانا في أَعْلاه ومَصَبِّهِ ومُلْتبسَيْنِ في الجُملة به فهما فيه، أَلَا تَرَاك تقول: فلانٌ في البلد، وما هو منه إلَّا في حيّزٍ يَشْغَلُه جِرْمُه.

فإن قلتَ: هلا جُمع الرَّعْدُ والبَرْقُ أَخْذًا بالأَبْلغ؛ كقول البُحْتُرِيِّ:

يَـا عَـارِضًـا مُـتَـلـفِّـعًـا بُـبُـروده　　يَـخـتَـالُ بَـيـنَ بُـروقِـهِ ورُعُـــودِهِ

وكما قيلَ: ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾.

قوله: **(إذا كانا)** أي: الرَّعد والبرق في "أعلى المطر ومَصبّ المطر"، وهو: السحاب.

قوله: **(ومُلتبِسين)** عطف على قوله: **(في أعلاه)**. والضمير المُستتِر في "مُلتبِسين" عائد إلى الرَّعد والبرق.

قوله: **(به)** أي: بالمطر. **(فهُما)** أي: البرق والرعد. **(فيه)** أي: في المطر.

قوله: **(ما هو)** أي: ليس فلان منه، أي: من البلد. **(يَشغَله)** أي: يشغَل ذلك الحيِّز. **(جِرْمُه)** أي: جرم فلان.

قوله: **(أخذًا)** مفعول له مِن قوله: **(جُمع)**. قال البحتري:

(يـا عـارضًـا مُـتـلـفِّـعًـا بـبُـرودِهِ　　يـخـتـال بـيـن بُـروقـه ورُعـــودِهِ)[1]

و"العارض": السحاب. وتلفَّعَت بمِرْطها،[2] أي: تلحَّفت به، واللِّفاع: ما يُتلفَّع به، وتلفَّع الرجُل بالثوب والشَّجرُ بالورق إذا اشتمل به وتغطى.[3] والبُرود جمع بَرَد، «والبَرَد: حبُّ الغَمام. تقول منه: بُرِدَت الأرض، وبُرِد بنو فلان، وسحاب بَرِد[4] وأبرَد، أي: ذو بَرَد، وسحابة بَرِدة».[5] والاختيال: أصله التبختُر.

قوله:[6] **(وكما قيل: ظلمات)** عطف على قوله: **(كقول البحتري)**. ولا يجوز أن يقال: هو عطف على قوله: **(أخذًا بالأبلغ)**؛ لأنّه مفعول له، بخلاف هذا.

---

١ **البيت في ديوان البحتري**، ٦٩٣/٢.

٢ **ن**: بمطرها.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «لفع». وفي مطبوعه «تلفَّحت به» بدل «تلحَّفت به».

٤ ن: برود.

٥ **الصحاح** للجوهري، «برد». وفي مطبوعه «... بُرِدت الأرض، بالضمّ...».

٦ ن – قوله.

قلتُ: فيْه وَجْهان:

أَحدُهما: أن يرادَ العَيْنان، ولكنَّهما لمَّا كانا مصدرَيْن في الأَصْل -يقال: رَعَدَتِ السَّماءُ رَعْدًا وبَرقَتْ برقًا- رُوعِي حكمُ أَصْلِهما بأَنْ تُرك جمعُهما وإنْ أُريدَ معنى الجَمْع.

والثَّاني: أَنْ يُرادَ الحَدَثان؛ كأَنَّه قيل: وإِرْعادٌ وإِبْراقٌ.

اللّٰهمّ إلّا أن يُجعَل قوله: "كما قيل" في معنى قولك: ليُناسب الظلمات.

[١٠٣و] قوله: (**أحدهما: أن يُراد العينان**)، يعني: لا يخلو: إمّا أن يُراد / بقوله: ﴿رَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ مصدرُ قولك: رعَدت السماء رعدًا، أي: صوَّتت، ومصدرُ: برَقت برْقًا، أي: لمَعت؛ وإمّا ألّا يراد بهما المصدران، بل يكون المراد عين البرق والرعد، أي: ذات البرق والرعد. فإن أُرِيد: ذات البرق والرعد،[١] فإنّما لم يُجمعا، وإن كان المراد الجمع؛ لأنّ البرق والرعد في الأصل مصدر -كما ذكرنا- فرُوعي الأصل، وإن كان المراد بهما الحدث، أي: المصدر، فعدم الجمع ظاهر؛ لأنّ المصدر يستوي فيه المُفرَد والجمع. فقوله: (**رُوعِي**) جواب (**لمّا**). وقوله: (**يقال**) إلى قوله: (**برقًا**) جملة مُعترِضة مُبيّنة لكونهما في الأصل مصدرين. وقوله: (**بأن تُرِك**) مُتعلِّق بقوله: (**رُوعِي**).

قوله: (**وإن أُريد**) شرطٌ حُذِف جوابه؛ لدلالة ما تقدَّم عليه، أي: وإن أُرِيد معنى الجمع تُرِك جمعه.

قوله: (**الحَدَثانِ**) صحّ بكسر النون، تثنية الحدَث، وهو المصدر. وفي بعض النُّسخ "الحدثانُ" بضمّ النون[٢] فيكون مفردًا بمعنى الحدَث. قال في **المُفصَّل**: «ويُسمّيه[٣] سيبويه الحدَثُ والحدثانُ».[٤] قال الإمام: إنّما لم يقل رعود وبروق كما قيل: ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾؛ لأنّه حصلَت أنواع مُختلفة من الظلمات على الاجتماع، فاحتيج إلى صيغة الجمع، أمّا الرعد فإنّه نوع واحد، وكذا البرق،

---

١ ن - فإن أُريد: ذات البرق والرعد.

٢ ن: الواو.

٣ ن: وتسمية.

٤ المُفصَّل للزمخشري، ص ٥٥.

وإنّما جاءَتْ هذه الأَشْياء منكَّراتٍ لأن المرادَ أنواعٌ منها؛ كأنّه قيل: فيه ظلماتٌ دَاجِيةٌ ورَعْدٌ قاصِفٌ وبرق خاطِفٌ.

وجاز رجوعُ الضمير في ﴿يَجْعَلُونَ﴾ إلى أَصْحابِ الصيّب مع كونه مَحْذُوفًا قائمًا مقامَهُ الصيّبُ -كما قال: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف ٧/٤]- لأنَّ المحذوفَ

ولا يمكن اجتماع أنواع الرعد والبرق في السحاب الواحد، فلا جرمَ لم يذكر فيه لفظ الجمع.[١]

قوله: (وإنما جاءت هذه الأشياء مُنكَّرات)، يعني: ﴿ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾. وقوله: (داجيةٌ) مبالغة في الظُّلمة. «قال الأصمعيّ: دجى الليل إنّما هو أَلبَس[٢] كلَّ شيء».[٣] و«(رعد قاصف): شديد الصوت، يقال: قصف الرعد وغيره قصيفًا».[٤] والخَطف:[٥] الاستلاب،[٦] و(برق خاطف) لنور الأبصار.

قوله: (وجاز)، يعني أنّ الضمير من قوله: (﴿يَجْعَلُونَ﴾) عائد إلى أصحاب الصيّب،[٧] فجُمِع وإن كان المرجع محذوفًا والباقي[٨] القائم مقامه مفردًا، فإذا حُذِف المُضاف وأُقيم المضاف إليه مُقامه يجوز اعتبار أيّ واحد منهما أُرِيد. ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف ٧/٤]، جاء بالضمير المُؤنَّث في ﴿أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾؛ نظرًا إلى القرية،[٩] وجاء بضمير جماعة المُذكَّر في ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾؛ للنظر إلى "الأهل" المحذوف.

قوله: (مع كونه محذوفًا) أي: مع كون أصحاب. وإنّما ذكَّر بتأويل المضاف أو اللفظ. قال حسّان:

أبناءُ جَفنة حول قبر أبيهِمِ ... قبرِ ابن ماريَة الكريم المُفضِلِ[١٠]
بيضُ الوجوه كريمة أحسابُهمْ ... شُمُّ الأُنوف مِن الطِّراز الأوّلِ

---

١ انظر: تفسير الرازي، ٨٧/٢ (البقرة، ١٩/٢)
٢ ن: اللبس.
٣ الصحاح للجوهري، «دجا».
٤ ن: قصفًا. | الصحاح للجوهري، «قصف».
٥ ن: وانحطت.
٦ ن: الاستيلاب.
٧ ن: الصيبة.
٨ ن: الثاني.
٩ ن: القرب.
١٠ ن: المنفصل.

باقٍ مَعْناه وإنْ سقط لفظُه، ألا ترى إلى حَسّانَ كيفَ عَوَّلَ على بقاء مَعْناه في قوله:

يَسْقُونَ مَن وَرَدَ البَرِيصَ عليهِمُ ... بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

حيثُ ذَكَّر "يُصَفَّقُ" لأنَّ المعنى: ماءَ بَرَدَى.

يُغشُون حتّى ما تَهِرُّ كلابهمْ ... لا يَسألون عن السَّواد المُقبِلِ

(يَسقُون مَن وَرَد البَريصَ عليهِمِ ... بردى يُصفَّق بالرَّحيق السَّلسلِ)[١]

"البَريص": اسم وادٍ بدمشق. و"بردى": اسم نهر في ذلك الوادي. وقيل: بردى[٢] وادٍ[٣] بدمشق،[٤] والبَريص نهر يتشعَّب منه، كالصَّراة من الفُرات.[٥] سُمِّي بذلك؛ لأنّه يسيل إلى البَريص، وهو موضع. و"يُصفَّق" مأخوذ من تصفيق الشراب: وهو أن تُحوِّله[٦] من إناء إلى إناء. و"الرَّحيق": صفوة الخمر. «وماءٌ سَلْسَل وسَلسال، أي: سهل الدخول في الحلق؛ لصفائه وعذوبته».[٧] معناه: يَسقُون مَن ورَد هذا الموضع ماء بردى ممزوجًا بالرَّحيق السَّلْسل. وإنّ حسّان عوّل على بقاء معنى المحذوف، (**حيث ذَكَّر "يُصفَّق"؛ لأنّ المعنى: ماء بردى**)، ولو نظر إلى بردى ولم يعتبر المحذوف لقال: "تُصفَّق" بالتاء المنقوطة بنقطتين من فوق؛ لأنّ بردى مُؤنَّث، إذ "فَعَلى" -بفتح الفاء والعين- من الأبنية المختصة بالتأنيث.

[١٠٣ظ] قوله: / **شُمُّ الأُنوف**، أي: هم من الأعراب الخُلَّص. والمراد بالطِّراز الأوّل: الذي يُبدأ بذِكره في الخِصال الحميدة.[٨] قوله: **يُغشُون**، يقال: فشا الخبر وأفشاه غيره، والمراد بالإفشاء هنا أنّهم يَعمُّون الضيافة ويُكثِّرونها

---

١ الأبيات في ديوان حسّان، ٧٤/١. وفيه «أولاد جَفنة...» بدل «أبناء جَفنة...»؛ و«يُغشَون...» بدل «يُفشُون...». وهذه الأخيرة رواية طريفة لم أقف عليها في المصادر التي أوردت البيت على كثرتها. وجاء قوله: «بيض...» في الديوان بعد قوله: «يَسقُون...» ببيت. والأبيات له في الأغاني للأصفهاني، ١٠٩/١٥.

٢ ن: برى.

٣ ن: وادي.

٤ ن: دمشق.

٥ وذكر ياقوت الحموي أنّ البريص اسم نهر دمشق، واستدلّ من بيت حسّان بأنّ البريص اسم الغوطة بأجمعها، لأنّه نسب بردى إليه. انظر: معجم البلدان، ٤٠٧/١.

٦ ن: يُحوِّل.

٧ الصحاح للجوهري، «سلل».

٨ هذا العبارة في تفسير الطراز الأوّل وردت في فتوح الغيب للطِّيبي، ٢٧١/٢، ولم أقف على لفظها فيما بين يديّ من المظانّ.

ولا محلَّ لقوله: ﴿يَجْعَلُونَ﴾ لكونه مستأنفًا؛ لأنّه لمّا ذكَر الرَّعْدَ والبَرْقَ على ما يُؤذِنُ بالشدَّة والهَوْلِ، فكأنَّ قائلًا قال: فكيفَ حالُهم مع مثل ذلك الرَّعْدِ؟ فقيل: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ ثمّ قال: فكيفَ حالُهم مع مثل ذلك البَرْق؟

فيكثر مجيء الضِّيفان إليهم، فيصير الضِّيفان إلى كلابهم[1] معارفَ؛ فلا تهِرُّ[2] كلابهم في وجوه الضِّيفان. وأشار بقوله: "لا يَسألون عن السواد المُقبِل" أنّه لا تختصّ ضيافتهم بمَن يعرفونه، بل يعمُّون بها القريب والبعيد والمعروف والمُنكَر، فلا يَسألون عن الشخص المُقبِل أنّه مَن هو ومِن أين هو؟ بل يُضِيفونه كائنًا مَن كان.

قوله: (حيث) ظرف (عَوَّل). وقوله: (ذكَّر) بالتشديد، من التذكير خلاف التأنيث.

قوله: (لكونه) تعليل أنّه لا محلّ له. وقوله: (لأنّه) تعليل الاستئناف.

قوله: (على ما يُؤذِن)[3] حال مِن الرعد والبرق، أي: كائنين ومُستقرّين على وجه أو أمر يُؤذن بالشِّدّة، أي: يدلُّ على الشِّدَّة، وهو تنكيرهما على ما مرّ. وقوله: (فكأنّ قائلًا) في مقام جواب (لمّا). والوجه أن نقول: جواب "لمّا" محذوف، أي: لمّا ذكر كان مَظِنّة السؤال، وإذا كان كذلك فكأنّ قائلًا قال... إلخ.

قوله: (فكيف) هذه الفاء جوابُ شرط محذوف مِن كلام السائل، كأنّ السائل قال: إذا كان الرعد بهذه المَثابة من الشِّدّة فكيف حالهم؟

قوله: (فقيل) الفاء فيه للعطف على (قال).

قوله: (ثمّ قال) عطف على قوله: "فقيل"، أي: لمّا أُجيب السائل بما أُجيب، قال السائل: إذا كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم مع ذلك الرعد فكيف حالهم مع مِثْل ذلك البرق؟ فإنّهم لا يُمكِنهم أن يغضُّوا أبصارهم عند ذلك لِما اضُطروا إليه من المشي والذهاب؛ للنجاة من الخوف والعذاب. والأَولى أن نقول: قوله:

---

١ ن: كلام.

٢ هرير الكلب: صوت له دون النُّباح. انظر: لسان العرب لابن منظور، «هرر».

٣ ن: يردن.

فقيل: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ﴾.

فإن قلتَ: رُؤيسُ الإصبَع هو الذي يُجعَل في الأُذُنِ فهلّا قيل: أنامِلَهم؟

قلتُ: هذا من الاتِّساعات في اللُّغة التي لا يكادُ الحاصِرُ يَحصرُها؛ كقولِهِ: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ﴾ [المائدة ٦/٥]، وقال: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة ٣٨/٥] أراد البعضَ الذي هو إلى المِرفَقِ ....

"ثمّ قال" عطف على قوله: "قال"، يعني: قال فأجيب، ثمّ قال بعد القول الأوّل. وإنّما أتى بـ"ثُمّ" لتخلُّل الجوابِ بين الكلام[1] الأوّل والثاني، ففيه تراخٍ بمُهلة.[2]

قوله: (**فقيل**) عطف على "ثمّ قال".

قوله: (**فهلّا قيل: "أناملهم"**) قال المُطرّزيّ في **المُغرِب**:

> الأَنمَلة بفتح الهمزة والميم: رأس الإصبع، وهو المَفصِل الأعلى الذي فيه الظُّفر، وضمّ الميم لغة مشهورة، ومَن خطّأ راويَها فقد أخطأ. وقول بعض الفقهاء: في كلّ أَنمَلة مِن الإصبع التي فيها ثلاث أنامل ثُلثُ عُشْرِ الدِّيَة، وإن كان فيها أنملتان ففي إحداهما[3] نصف عُشْر الدِّيَة. هذا كلّه توهُّم، وإنّما[4] الصواب: في كلّ مَفصِل ومفاصل ومَفصِلتان.[5]

وأمّا المفاصل التي هي أصول الأصابع فهي الأشاجِع، والواحد أشجع بفتح الهمزة والجيم. والبُرْجُمة بالضمّ واحدة[6] البراجم، وهي: مفاصل الأصابع التي بين الأشاجع والأنامل.[7]

قوله: (**هذا**) يعني إطلاق الإصبع وإرادة رؤيسه. وقوله: (**التي**) صفة (**الاتساعات**).

قوله: (**أراد البعض الذي هو [إلى][8] المِرفَق**)، يعني بقوله: (﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ﴾ [المائدة ٦/٥]).

---

[1] ن + الكلام.

[2] ن: بمهملة.

[3] ن: أحديهما.

[4] ن – إنما.

[5] انظر: **المُغرِب** للمُطرّزي، «نمل». وفي مطبوعه «... وقول الناصحيّ...» بدل «... وقول بعض الفقهاء...».

[6] ن: واحد.

[7] انظر: **الصحاح** للجوهري، «برجم».

[8] د ش ن – إلى. | وهي مثبتة في مطبوع **الكشّاف** وما وقفتُ عليه من أصوله.

والَّذي إلى الرُّسْغِ.

وأيضًا ففي ذكرِ الأصَابع مِن المبالغةِ ما ليس في ذِكر الأَنَامِل.

فإن قلتَ: فالإصْبعُ التي تُسَدُّ بها الأُذُن إِصْبَعٌ خاصَّةٌ، فلِمَ ذكرَ الاسمَ العامَّ دونَ الخاصِّ؟

قلتُ: لأنَّ السَّبَّابَةَ فَعَّالَةٌ من السَّبِّ، فكانَ اجتنابُها أَوْلى بآدَابِ القرآن، ألَا تَرَى أنَّهم قد استَبْشَعُوها فكنَوْا عنها بالمُسَبِّحَةِ والسَّبَّاحَةِ والمُهَلِّلَةِ والدَّعَّاءَةِ؟

فإن قلتَ: فَهَلَّا ذُكِرَ بَعْضُ هذه الكنايات؟

قلتُ: هي أَلْفَاظٌ مُستَحْدَثَةٌ لَمْ يَتعارَفْهَا النَّاسُ في ذلكَ العَهْد، وإنَّما أَحْدَثُوها بَعْدُ.

قوله: **(والذي إلى الرُّسغ)**،[١] يعني بقوله: "﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة ٣٨/٥]"، ففيه لفٌّ ونشر. والرُّسغ: مَفصِل الكفّ في الذراع والقدم في الساق.

قوله: **(وأيضًا)**... إلخ، عطف على قوله: "هذا"... إلخ، وهو نصب على المصدر كأنّه قال: إضْنا أيضًا، أي: رجعنا رجوعًا إلى جواب آخر. والفاء جوابُ شرط محذوف، أي: إذا رجعنا إلى جواب آخر فنقول في ذِكر الأصابع... إلخ. وقوله: **(ما ليس)** مبتدأ، **(من المبالغة)** بيانه، **(في ذِكر الأصابع)**[٢] خبره.

قوله: **(فالإصبع)** جوابُ شرط محذوف، أي: إذا كان تَرْك ذِكر الأَنمَلة للوجه الذي ذكرتم،[٣] فلِمَ لم يذكر الاسم الخاص وذكر الاسم العامّ؟ فأجاب بأنّه ترك اسمه الخاصّ، وهو / السبّابة؛ لاجتناب لفظ السبّ، وهو: الشتم، وإنّما سُمِّيت [١٠٤و]
السبّابة؛ لأنّهم كانوا إذا يسُبُّ[٤] بعضهم بعضًا يُشيرون بذلك الإصبع. وشيء بشع، أي: كَريه الطعم يأخذ في الحلق، و"استبشعه"، أي: عدَّه بَشِعًا.[٥]

---

١ ن: الربيع.

٢ كذا في د ش ن، وهي في مطبوع **الكشّاف** وما وقفت عليه من أصوله: الأنامل. وهو الأليق بالسياق.

٣ ن: ذكر.

٤ ن: سبّ.

٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «بشع».

وقوله: ﴿مِنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿يَجْعَلُونَ﴾؛ أي: من أَجْل الصَّواعق يجعلون أصابعَهم في آذانهم؛ كقولك: سَقاهُ من العَيْمَةِ.

والصَّاعِقَةُ: قَصْفَةُ رَعْدٍ تَنقَضُّ معها شِقَّةٌ من نارٍ؛ قالوا: تَنقَدِحُ من السَّحابِ إذا اصْطَكَّتْ أَجْرامُهُ، وهي نارٌ لطِيفةٌ حَدِيدةٌ لا تمرُّ بشيءٍ إلَّا أَتَتْ عليه، إلَّا أنَّها مع حدَّتها سَرِيعةُ الخُمود، يُحْكى أنَّها سَقطَتْ على نَخْلةٍ فأحْرقَتْ نحوَ النصف ثم طَفِئَتْ.

ويقال: صَعَقَتْهُ الصَّاعِقَةُ: إذا أَهْلَكَتْه، فصَعِقَ؛ أي: ماتَ إمَّا بشدَّة الصوت أَوْ بالإِحْراق، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف ١٤٣/٧].

قوله: (**مِن العَيْمة**) أي: من أجل العَيْمة، والعَيْمة: شهوة اللَّبن، والمراد العطش، ويقال: عامَ إلى اللَّبن، أي: اشتهاه.[١] و"القصف": صوت الرعد.

قوله: (**تنقَضّ**) هو من باب الانفعال،[٢] يقال: «انقضّ الحائط، أي: سقط، وانقضّ الطائر: هوى في طيرانه. ومنه انقضاض الكواكب».[٣] «و"الشِّقّة": شظيّة تشظّى من لوح أو خشبة».[٤]

قوله: (**تنقدِح**)،[٥] أي: النار، يقال: قدَحتُ النّار فانقدحَت.

قوله: (**أجرامه**) أي: أجرام السحاب.

قوله: (**إلّا أتَت عليه**) صفة "شيء". والضمير من "أتَت" عائد إلى "النّار"، ومِن "عليه" إلى "شيء". ويقال: أتَت عليه، أي: أهلَكَته.

قوله: (**إلّا أنّها**) مُتعلِّق بقوله: (**حَديدة**) أي: هي حديدة[٦] لكنّها سريعة الخُمود.

قوله: (**صعَقته**) بفتح العين، وصعِق بكسرها، ومِثْله: أمَرتُه بفتح الميم، أي: كثَّرته، فأمِر بالكسر، أي: كثُر.[٧] قال تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء ١٦/١٧]،

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «عيم».
٢ ن: الإفعال.
٣ **الصحاح** للجوهري، «قضض».
٤ **الصحاح** للجوهري، «شقق».
٥ ن: فيقدح.
٦ ن - أي: هي حديدة.
٧ انظر: **الصحاح** للجوهري، «أمر».

وقرأ الحسن: "من الصَّواقع"، وليس بقلبٍ للصواعق؛ لأنَّ كِلَا البِنَائين سواءٌ في التصرُّف، وإذا اسْتَويا كان كلٌّ واحدٍ بناءً على حِيالِهِ.

ألَا تَراكَ تقول: صَقَعَه على رأسه، وصَقَعَ الدِّيكُ، وخطِيبٌ مِصْقَعٌ: مِجْهَرٌ بخُطْبَتِهِ، ونظيرُه: جَبَذ في جَذَب، ليس بقلبِهِ لاستوائهما في التصرُّف.

وبناؤُها إمَّا أنْ يكون صفةً لِقَصْفَةِ الرَّعْدِ، أو للرَّعْدِ، والتاءُ مبالغةٌ كما في الرَّاوية، أو مَصْدرًا كالكاذبةِ والعافية.

أي: كثَّرناهم.[1] قال الحَماسيّ:

كلّ مـــا حــــيّ وإن أَمِــــروا وَرَدوا الحــــوض الـــــذي وَرَدوا[2]

قوله: **(في التصرُّف)**، يُريد: في الاستعمال، يعني: لو كان أحدهما أصلًا دون الأخر لكان الأصل أكثر استعمالًا، والمقلوب أقلّ استعمالًا.[3]

قوله: **(ألا تَراك)** إشارة إلى كثرة استعمال صقَع مِثْل صعَق.

قوله: **(صقَعه)** أي: ضربه. وصقَع الديك، أي: صاح.[4] وقوله: **(مِجْهَر بخُطبته)** تفسير **(مِصقَع)**، «ورجُل مِجْهَر بكسر الميم: إذا كان من عادته أن يجهر بكلامه».[5]

قوله: **(وبناؤها)** أي: صيغة الصاعقة: إمّا للصفة، أو للمَصدر. فإن كان صفة فمعناها: مُهلِكة، أي: قَصفةٌ مُهلِكة،[6] أو رعد مُهلِك. ويقال: رجُل "راوية"، أي: كثير الرِّواية للشِّعر، والتّاء للمبالغة. وقد جاء المصدر على فاعلة قليلًا، كالكاذبة بمعنى الكذِب، والعافية بمعنى المُعافاة. قال الشاعر:

---

[1] انظر هذا القول في **الوسيط** للواحدي، ١٠١/٣ (الإسراء، ١٦/١٧).

[2] ن: وردا. | البيت لفاطمة بنت الأحجَم الخُزاعيّة. والحماسيّة التي منها هذا البيت بلا عزو في **شرح الحماسة** للمرزوقي، ٩١٢/٢؛ وهي لفاطمة في **شرح الحماسة** لأبي القاسم الفارسي، ٤١٥/٢-٤١٦؛ و**شرح الحماسة** للتبريزي، ١٩٠/٢-١٩١. والرِّواية فيها جميعًا «واردوا الحوض».

[3] ن - استعمالا.

[4] انظر: **الصحاح** للجوهري، «صقع».

[5] **الصحاح** للجوهري، «جهر».

[6] ن - أي: قصفة مُهلِكة.

وقرأ ابنُ أبي لَيْلَى: "حِذارَ الموتِ"، وانتصبَ على أنه مفعول له؛ كقوله:

وأَغـفِـرُ عَـــوراءَ الـكَـرِيـمِ ادِّخَـــارَهُ

والموتُ: فسادُ بِنْيةِ الحيوان، ....

(وأغفِـر عـوراءَ الكريـم اِدِّخـارَهُ) وأُعـرِض عـن شَـتم اللئيـم تكرُّمـا[1]

"العوراء": الكلمة القبيحة. يقول: إذا بلغتني كلمة قبيحة قالها فيَّ رجل كريم غفرتُ له ما فعل، ولم أكافئه عليها، واحتملتُ لأجل كرمه، وأبقيتُ على صداقته، وادَّخرته ليوم[2] أحتاج إليه فيه؛ لأنّ الكريم إذا فرَط منه قبيح ندِم على فعله، ومنعه كرَمه أن يعود إلى مثله. وأُعرِض عن شَتم اللئيم، أي: لا أُكافئه على ما صنع؛ لأنّه ليس بكُفء.[3]

قوله: "اِدِّخاره" و"تكرُّمًا" مفعول له، و"اِدِّخاره" مَعرِفة بالإضافة، و"تكرمًا" نكرة. ومِثْله قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة ٢/٢٦٥]؛ ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ مَعرِفة، ﴿وَتَثْبِيتًا﴾ نكرة.

قوله: (والموت: فساد بِنية الحيوان) هذا مذهب المعتزلة، فإنّهم يقولون: الموت عدميٌّ، وهو: عدم الحياة عمّا من شأنه أن يكون حيًّا. وقول المُصنِّف: "فساد بِنية الحيوان" يدلُّ على أنّه شرط الحياة سلامة[4] البِنية، كما هو مذهب المعتزلة والحُكماء، فإنّهم قالوا: شرط الحياة البِنية الصالحة؛ لتعلُّق الحياة بها.[5] وفسَّر[6] المعتزلة البِنية بمجموع الأجزاء التي لا تتجزأ؛ وفسَّرها الحُكماء بالجسم

---

[1] البيت لحاتم الطائي في ديوانه، ص ٢٣٨، والرِّواية فيه:

وأغفـرُ عـوراء الكـريم اصطناعَه
وأصفـح عـن شتم اللئيم تكرُّما

وبهذه الرِّواية ورد معزوًّا لحاتم في **النوادر** لأبي زيد، ص ٣٥٥. وفيه «عن ذات» بدل «عن شتم». والبيت لحاتم برواية المُصنِّف في **كتاب سيبويه**، ١/٣٦٧-٣٦٨. وبلا نسبة في **معاني القرآن** للأخفش، ١/١٧٩؛ ولحاتم في **جامع البيان** للطبري، ٣/٥٩٠ (البقرة، ٢/٢٠٧). وفيهما «عن قول» بدل «عن شتم»؛ وبلا نسبة في **الصحاح** للجوهري، «عور». وانظر تفصيل الكلام عليه في **خزانة الأدب** للبغدادي، ٣/١٢٢-١٢٣.

[2] ن: إلى يوم.

[3] من قوله: "العوراء: الكلمة القبيحة" إلى هنا بلفظ قريب في **شرح أبيات سيبويه** لابن السيرافي، ١/٤٥.

[4] ن: بسلامة.

[5] ن ش: به.

[6] ن: فسَّرت.

وقيل: عَرَضٌ لا يصحُّ مَعَه إحْساسٌ مُعَاقِبٌ للحياةِ.

وإحَاطَةُ اللهِ بالكافِرِينَ مجازٌ، والمعنى: أنهم لا يَفُوتُونَه كما لا يفوتُ المُحَاطُ به المحِيطَ به حقيقةً، ....

المُركَّب من العناصر، على اختلاف المذهبين؛ وقال أهل السُّنّة: سلامة البِنية ليست شرطًا للحياة؛[1] لأنّها: إن كانت واحدة وقامت بجميع الأجزاء، أي: الجواهر الفَرْدة أو العناصر، يلزَم قيام عَرَض واحد وهي الحياة / بمحالّ كثيرة، وبُطلانه [١٠٤ظ]
ظاهر؛ وإن كانت مُتعدِّدة بأن يقوم بكلّ جزءٍ حياةٌ فلا يخلو إمّا أن يكون تعلُّقها بكلّ جزء مشروطًا بتعلُّقها بالأجزاء، أو لا. والأوّل دورٌ، والثاني ترجيحٌ بلا مُرجِّح. وأيضًا قوله: "بِنية الحيوان" يُوجِب تخصيص الموت بالحيوان، ويُخرِج الملائكة والجنّ والشياطين لعدم النموّ فيهم، إلّا ألّا يُعتبر النموّ[2] في تعريف الحيوان.

قوله: (وقيل: عَرَضٌ) قال أهل السُّنّة: الموت كيفيّة وجوديّة تُضادّ الحياة،[3] وهي[4] المعنيُّ بقوله: (يُعاقِب الحياةَ)،[5] يعني: لا يجتمعان في محلّ واحد في زمان واحد. واستدلُّوا على وجوديّتها بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾ [الملك ٦٧/٢]، والعدم لا يُخلَق.

قوله: (وإحاطةُ الله بالكافرين مَجازٌ)؛ وذلك لأنّ الإحاطة تستلزم عدم الفَوت، فأُطلِق الملزوم وهو الإحاطة وأُرِيد عدم الفَوت فتكون مجازًا. والضمير المرفوع في (لا يَفُوتونه) عائد إلى "الكافرين"، والمنصوب إلى "الله" تعالى.

قوله: (المُحاطُ به) الضمير المجرور يعود إلى اللام في "المُحاط"، ولا ضميرَ في المُحاط؛ لأنّه تعدّى بحرف الجرّ إلى المفعول به لا بنفسه.

قوله: (المُحيطَ به) في "المُحيط" ضمير مستتر يرجع إلى اللام في "المُحيط"، والضمير المجرور عائد إلى اللام في "المُحاط"، كما كان الضمير

---

[1] لتفصيل الكلام في هذه المسألة ومذهب أهل السنة والمعتزلة فيها انظر: **شرح المقاصد** للتفتازاني، ٢/٢٩٤-٢٩٧.

[2] ن + إلّا ألّا يعتبر النموّ.

[3] انظر: **التعريفات** للشريف الجرجاني، ص ١٩٩.

[4] ن: وهو.

[5] في مطبوع **الكشّاف** وما راجعته من أصوله: مُعاقِبٌ للحياة.

وهذه الجملةُ اعْتراضٌ لا محلَّ لها.

﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٠﴾

"الخَطْفُ": الأَخْذُ بسُرْعةٍ.

وقرأ مجاهدٌ: "يَخطِف" بكسرِ الطاء، والفتحُ أَفْصحُ وأَعْلى.

وعن ابن مسعود: "يختَطِفُ".

وعن الحسن: "يَخَطِّفُ" بفتح الياء والخاء، وأصله: يَخْتطِف.

المجرور الأوّل عائدًا[١] إليه.

قوله:[٢] **(وهذه الجملة)** أي: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ **(اعتراضٌ)**؛ لأنّ ما بعده -وهو قوله: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾... إلخ- مِن تتمّة التمثيل.

قوله: **(والفتح أفصح)**، يُريد أنّ خَطِفَ يَخطَفُ -بكسر الطاء في الماضي، وفتحها في الغابر- أفصحُ من عكسها. قال في **الصحاح**: الخَطف: الاستلاب، وقد خَطِفَهُ بالكسر يَخطَفُهُ بالفتح، هي اللُّغة الجيّدة. وفيه لغةٌ أخرى حكاها الأخفش: خَطَفَ بالفتح يَخطِفُ بالكسر، وهي قليلة رَديئة لا تكاد تُعرَف.[٣]

قوله: **(وعن الحَسَن "يَخَطِّفُ")**،[٤] أصله: يَختَطِفُ، قلب[٥] التّاء طاءً. ثمّ اعلم أنّه يجوز في "اختطَف" أن تُقلَب التّاء طاءً؛ لأنّهما مُتقاربان، ثم تُسكَّن الطّاء الأولى بنقل حركتها إلى الخاء وتُدغَم في الثانية، ويُستغنى عن همزة الوصل، فيقال: "خَطَّفَ" بفتح الخاء، ومضارعه "يَخَطِّفُ" بفتح الخاء وكسر الطّاء، وأصله: يَخطَطِفُ، بعد قلب التّاء طاء نقلتَ[٦] حركة الطّاء الأولى إلى الخاء

١ ن: عائد.

٢ ن - قوله.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «خطف». وكلام الأخفش في **معاني القرآن**، ١/٥٤.

٤ **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١١؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٥٢.

٥ ن: قلبت.

٦ ن: بقلب.

وعنه: "يِخِطِّفُ" بكسرِهِما على إتباع الياء الخاءَ.

وعن زيد بن عليٍّ رضي الله عنه: "يُخَطِّفُ" من خَطَّفَ.

وعن أُبَيّ: "يتخطَّف"، مِن قَوْلِه تعالى: ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡ﴾ [العنكبوت ٦٧/٢٩].

قوله: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾ استئنافٌ ثالثٌ؛ كأنّه جوابٌ لمن يقول: ....

وأَدغمتَها في الطّاء الثّانية وهي مكسورة، فبقيَتْ على كسرتها. واسم الفاعل "مُخَطِّف" بضم الميم وفتح الخاء وكسر الطّاء، وأصله: مُخْطَطِف، عُمِل به ما ذكرناه. ويجوز أن تُسكَّن الطّاء من "اختطف" من غير نقل الحركة، فيلتقي ساكنان، فتُحرَّك الخاء بالكسر[١] ويُستغنى عن همزة الوصل، فيقال: "خِطَّفَ" بكسر الخاء وفتح الطاء، ومضارعه "يَخِطِّفُ" بفتح الياء وكَسْر الخاء[٢] والطّاء مُشدَّدةً، وأصله: يَخطَطِف،[٣] فأسكن الطّاء الأولى من غير نَقْل الحركة، وأُدغِمت في الطّاء المكسورة، فبقيَتْ على كَسْرتها، ثم كُسِرت الخاء[٤] لالتقاء الساكنين. واسم الفاعل "مُخِطِّف" بضم الميم وكَسْر الخاء والطّاء المُشدَّدة، لِما ذكرنا.[٥] فقوله: (وعنه) أي: عن الحَسَن (بكسرهما) أي: بكسر الخاء والطّاء. ومَن ظنَّ أنّ الضمير يَرجِع إلى الياء والخاء[٦] فقد وَهِم.[٧]

قوله: (﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾) مبتدأ، خبره قوله: (استئناف ثالث)، الاستئناف الأوّل ﴿يَجۡعَلُونَ﴾، والثّاني ﴿يَكَادُ/ ٱلۡبَرۡقُ﴾. والمُصنّف أيضًا استأنف في بيان الاستئناف؛ حيث ترك العاطف في قوله: (كأنّه). و(خفوق البرق): لمعانه. وخَفا البرق يَخْفُو خَفْوًا،[٨] وخَفَى يَخْفي خَفْيًا إذا لَمَع لمْعًا ضعيفًا. [١٠٥و]

---

[١] ن: بالكسرة.

[٢] ن – ويُستغنى عن همزة الوصل، فيقال: "خِطَّفَ" بكسر الخاء وفتح الطاء، ومضارعه "يَخِطِّفُ" بفتح الياء وكَسْر الخاء.

[٣] ن: مخططف.

[٤] ن: القاف.

[٥] انظر بعض ما أورده المُصنّف من تصريف هذا الفعل في معاني القرآن للأخفش، ٥٥/١.

[٦] ن: والطاء.

[٧] ما وقفت على مَن توهَّم ذلك، فيما بين يديّ من المظانّ.

[٨] ن – خفوًا.

كيف يَصْنعونَ في تارَتَيْ خُفُوقِ البَرْقِ وخُفْيَتِهِ، وهذا تمثيلٌ لشدَّةَ الأمر على المنافقين بشدَّته على أصحابِ الصيِّب، وما هم فيه من غايةِ التحيُّر والجهل بما يأتون وما يَذَرونَ، إذا صادفوا من البرق خَفْقَةً مع خَوْفِ أن يَخْطَفَ أبْصارَهم انْتَهَزُوا تلك الخَفْقَةَ فُرْصَةً فخَطَوْا خطواتٍ يسيرةً، فإذا خَفِي وفَتَر لَمعانُه بقُوا واقفينَ مُتقيِّدِينَ عن الحَرَكةِ، ولو شاء الله لَزادَ في قَصِيف الرَّعدِ فأَصَمَّهُم، أو في ضوء البَرْق فأَعْماهم.

و﴿أَضَآءَ﴾: إمَّا متعدٍّ بمعنى: كلَّما نوَّرَ لهم مَمْشًى ومَسْلكًا أخذُوه، والمفعولُ مَحْذوف.

وإمَّا غيرُ متعدٍّ بمعنى: كلَّما لَمَعَ لهم مَشَوا في مَطْرحِ نوره ومَلْقَى ضَوْئِهِ،

قوله: (وهذا) يعني قوله: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾... إلخ، واللام والباء مُتعلِّقان بـ"التمثيل"، والمراد بهذه "الشِّدّة" قوله: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾.

قوله: (وما هُم) عطف على قوله: "شِدَّة"، أي: وتمثيل لِمَا المُنافقون فيه، وهو التحيُّر والجهل بما يأتي أصحابُ الصَّيِّب وما يَترُكون، والمراد قوله: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ﴾... إلخ، ثم بيَّن ما يأتون وما يذرون بقوله: (إذا صادفوا)... إلخ.[١] فقوله: "إذا صادفوا" إلى قوله: (يسيرة) بيانُ ما يأتون. وقوله: (فإذا خفيَ) بيانُ ما يَذرون.[٢] و"القصيف": الصوت.

قوله: (نوَّر) أي: نوَّر البرق مَوضِع المشي، وهو الطريق.

قوله:[٣] (أخذوه) أي: المَمشى، أي: مَشَوا في الطريق.

قوله: (لمَع) أي: البرق.

قوله:[٤] (في مَطرَح نُوره) أي: نور البرق، وهذا بيانُ مَرجِع الضمير، يعني: إذا كان ﴿أَضَآءَ﴾ مُتعدِّيًا فالضمير مِن ﴿فِيهِ﴾ يعود إلى مفعوله المحذوف، على ما ذكرنا، وإذا كان لازمًا فإلى ما دلَّ عليه سياق الكلام، وهو مَطرَح نُور البرق.

---

[١] ن - بقوله: (إذا صادفوا)... إلخ.
[٢] ن - يذرون.
[٣] ن - قوله.
[٤] ن - قوله.

وتَعْضُده قِراءةُ ابنِ أبي عَبْلَةَ: "كلّما ضاءَ لهم".

والمَشْيُ: جنسُ الحَرَكة المخصُوصةِ، فإذا اشتدَّ فهو سَعْيٌ، فإذا ازدَادَ فهو عَدْوٌ.

فإن قلتَ: كيف قيل مع الإضاءَةِ: ﴿كُلَّمَا﴾، ومع الإظْلام: ﴿إذا﴾؟

قلتُ: لأنهم حِراصٌ على وجود ما هَمُّهم به مَعْقودٌ من إمكانِ المشي وتَأَتِّيهِ، فكلَّما صادَفُوا منه فُرْصَةً انْتَهَزُوها، وليس كذلك التوقُّفُ والتحبُّسُ.

و﴿أَظْلَمَ﴾: يحتمل أن يكون غيرَ متعدٍّ وهو الظاهر، وأن يكون مُتعدِّيًا

قوله:(**ويعضُده**)،[١] أي: ويعضُد كونَهُ غيرَ مُتعدّ.

قوله: (**والمَشي: جِنس الحركة**)... إلخ، يريد أنّ "المَشي" جنس، و"السعي" و"العَدْو" نوعان تحت ذلك الجنس. وكأنّ قوله: (**المخصوصة**)[٢] احتراز عن بقية أنواع الحركات؛ فإنّ الحركة أربعة أنواع: حركةٌ في الكَمّ كالنُّموّ والذُّبول، وحركةٌ في الكَيف كالاسوداد والابيضاض، وحركةٌ في الوَضع: وهي الحركة الدَوريّة، وحركةٌ في الأين: وهي الانتقال من مكان إلى مكان، وهذه الحركة الأخيرة تُسمَّى مَشيًا دون الثلاث المُتقدِّمة.

قوله: (**ما همُّهم**) أي: قصدهم، و(**مِن**) بيان "ما".

قوله: (**تأتِّيه**) أي: تَسهُّل المشي.

قوله: (**منه**) أي: من إمكان المَشي. و«**الفُرصة**: الشِّرْب والنَّوبة. يقال: وجَد فلان فُرْصة، أي: نُهْزة. وجاءتك فُرصتك من البِئر، أي: نوبتك. وبنو فلان يتفارَصون بئرهم، أي: يتناوبونها. و"انتهز فلان الفُرصة"، أي: اغتنمها وفاز بها».[٣]

قوله: (**وأن يكون مُتعدِّيًا**)، تقديره: وإذا أظلم عليهم المَمْشى والمَسْلَك.

---

١ د ش: (ويعضد). | وأثبتُّ ما في ن وهو الموافق لِما في مطبوع **الكشّاف** وما راجعته من أصوله.

٢ ن: المحضور.

٣ **الصحاح** للجوهري، «فرص». وفي مطبوعه «... جاءت فُرصتك...».

مَنقولًا من ظَلِمَ الليلُ، وتَشْهدُ له قراءةُ يزيدَ بن قُطَيْبٍ: "أُظْلِمَ" على ما لم يُسمَّ فاعله، وجاء في شعر حبيب بن أَوْسٍ:

هُمَا أَظلَمَا حالَيَّ ثُمَّتَ أَجلَيَا ظَلَامَيهِما عن وَجهِ أَمْرَدَ أَشيَبِ

قوله: (وتشهَد له) أي: لكونه مُتعدِّيًا.

قوله:("أُظْلِم") إمّا مرفوع بدل من (قراءة)،[١] أو منصوب؛ لأنّه مفعولها.

قوله: (وجاء) يجوز أن يكون فاعله "هما أَظلَما" إلى آخر البيت، فكأنّه قال: جاء في أشعاره هذه البيتُ. والاستشهاد بقوله: "أَظلَما حاليَّ". ويجوز أن يكون فاعلُ "جاء" ضميرًا يرجع إلى كون "أَظْلَم" مُتعدِّيًا، فعلى هذا قوله: "هما أَظلَما" إلى آخر البيت: إمّا في محل الجرّ بدلٌ من (شِعْر)، أو في محلّ الرفع على أنّه خبرُ مبتدأ محذوف، فكأنّه قال: هو، أي:[٢] ذلك الشِّعر "هما أَظلَما".

قوله: (حبيب) هو أبو تمّام حبيب بن أوس الطائيّ، جامع الحماسة.

أَحاوَلتَ إرشادي فعقلِيَ مُرشِدي أَمِ استمتَ تأديبي فدهري مُؤدِّبي
(هُما أَظلَما حاليَّ ثُمّت أَجلَيا ظلامَيهما[٣] عن وجه أَمرَد أَشيَبِ)
شجًى في حُلوق الحادثات مُشرِّقٍ به عَزمُه في التُّرَّهات مُغرِّبِ[٤]

حاولتَ الشيء، أي: أردتَه. واستَمْتَ، أي: طلبتَ، من السَّوْم. و"هما"، أي: العقل والدهر.[٥] وقيل: اليوم والليل. وقيل: العشق والحزن.[٦] قوله: "حالَيَّ"، أي: الشَّيب والشباب. وقيل: حال الدنيا والآخرة. ويقال للقوم إذا كانوا مُقبِلين على شيء مُحدِقين به ثمّ انكشفوا عنه: قد أفرجوا عنه و"أجلَوا عنه". قوله: "عن وجه أَمْرَدَ"، يريد نفسَه، أي: عن وجهي. / وأنا امرؤ، أي: صغير السنّ. و"أشيَب"، أي: كبير[٧] العقل.[٨] قيل: إنّما أضاف الإظلام إلى العقل؛ [١٠٥ظ]

---

١ ن: فراقها.
٢ ن: أن.
٣ ن: ظلامهما.
٤ الأبيات في شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، ١/١٥٠-١٥١.
٥ ن: والذهن. | انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، ١/١٥٠.
٦ ما وجدت هذين القولين فيما بين يديّ من شروح ديوان أبي تمّام.
٧ ن: كثير.
٨ انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، ١/١٥١.

وهو وإنْ كان مُحْدَثًا لا يُستَشْهَد بشعرِه في اللغةِ فهو من عُلماء العَربيَّةِ، فأَجْعَلُ ما يقوله بمنزلة ما يَرْويه، ألا ترى إلى قول العُلماءِ: الدليلُ عليه بَيْتُ الحَماسةِ، فيَقْتَنِعُونَ بذلك لِوُثوقهم بِروايتِهِ وإتقانِه.

ومعنى ﴿قَامُواْ﴾: وقَفُوا وثبتوا في مكانهم، ومنه: قامَتِ السُّوقُ: إذا رَكَدَتْ، وقام الماءُ: إذا جَمَدَ.

ومفعولُ ﴿شَآءَ﴾ محذوفٌ لأن الجواب يدلُّ عليه، والمعنى: ولو شاء الله أن يَذْهبَ بسَمْعِهم وأَبْصارهم لذهبَ بها، ولقد تكاثَرَ هذا الحَذْفُ في ﴿شَآءَ﴾ و﴿أَرَادَ﴾

لأنّ مَن كان عاقلًا لا يطيب له العيش. قوله: "شجيّ" بدل مِن "أشْيَب"،[١] في محلّ الجرّ أو صفة. والوجه أنّ كلّ واحد مِن "أمرَد"، "أشيَب"، "شجًى" صفةٌ لموصوف محذوف، وكذا قوله: "مُشرِّق"، لكنّه صفة بحال مُتعلَّق الموصوف؛ لأنّه مُسنَد إلى "عَزمُه"، وكذا "مُغرِّب". و"الشجى" بالقصر: ما نشِب في[٢] الحَلْق من غُصّةِ همّ أو غيره. و«"التُّرَّهات": الطُّرُق الصغار غيرُ الجادّة، تنشعِب منها، والواحدة تُرَّهَة، فارسيٌّ مُعرَّب».[٣] ثم استُعير في البواطل من الأمور.[٤] كأنّه يخاطب مَن يَعذِلُه ويقول:[٥] لا تُحاوِل إرشادي في لَومي؛ فعقلي مُرشدي، ولا تُجشِّم نفسك تأديبي؛ فإنّ الدهر مُؤدِّبي. وقوله: مُشرِّق؛ أي: عَزمُه يُشرِّقُه في الطُّرُق المُختلِفة المُعْمِيَة في المَفاوز[٦] ويُغرِّبه فيها.

قوله: (مُحدَثًا) قالوا: الشعراء طبقات: الجاهليُّون، والمُخَضْرَمون بالخاء المُعجَمة: الشعراء الذين أدركوا الجاهليّة والإسلام، مثل لبيد، والمُتقدِّمون من الإسلاميّين.[٧] ثمّ المُحدَثون. وإنّما لا يُستشهَد بشعر المُحدَثين؛ لأنّه حين جاء الإسلام خالط العَربَ غيرُهم، واقتنَوا الجواريَ من غير جيلهم، وجاء منهم أولاد أخذوا حروفًا من لغات أمهاتهم وخلطوها بلغة العَرب.

---

١ انظر: شرح ديوان أبي تمام للتبريزي، ١/١٥١.
٢ ن - في.
٣ الصحاح للجوهري، «تره».
٤ انظر: الصحاح للجوهري، «تره».
٥ ن + لا تقول.
٦ ن: المفازة.
٧ ن: الإميين.

لا يكادون يُبْرِزُون المفعول إلّا في الشيء المستَغْرَب؛ كنحوِ قولِه:

فَلَـوْ شِـئـتُ أَنْ أَبـكِـي دمًـا لَـبَـكَـيـتُـهُ

وقولِـهِ تعالـى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ [الأنبياء ٢١/١٧] و: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الزمر ٣٩/٤].

وأراد: ولو شاء الله لذهبَ بسَمْعهم بقَصِيف الرَّعْدِ وأَبْصارهم بوَمِيض البَرْق.

قال الشاعر:

(فلو شِئتُ أن أبكي دمًا لبكَيتُهُ)[١] عليه ولكن ساحة الصبر أَوسـعُ[٢]

"شئتُ" مُسنَد إلى المُتكلِّم. يُشير بهذا الكلام إلى فَظاعة[٣] الأمر الذي دَهِمه، فإنّ القدرة على البكاء على هذا الوجه لا تكون إلّا عند شِدّة المصيبة وفظاعتها،[٤] فهو مجاز. أو نقول: المصيبة العظيمة والواقعة[٥] الهائلة تستلزم القدرة على البكاء بهذا الوجه، فأطلَق اللازم وأراد الملزوم، فيكون كناية. وساحة الدار مشهورة،[٦] وكون الساحة أوسع يَستلزم النزول فيه، فيكون هذا أيضًا كناية عن الصبر. وهذا أبلغ من قولك: "صبرتُ" من وجهين: **الأوّل** أنّ الكناية أبلغ من التصريح، **والثاني** أنّ قولك: "نزلتُ" في مقام الصبر أبلغ من قولك: "صَبَرتُ"؛ لاقتضائه المُلازمة والدوام على الصبر. والغرض من إيراد هذا البيت أنّ بكاء الدم لمّا كان أمرًا مُستغرَبًا ذَكَره، وكذا في الآيتين بعده لمّا كان اتّخاذ الولد أمرًا مُستغربًا ذَكَره.[٧]

قوله: **(وأراد)**، يعني: أراد الله تعالى بقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾... إلخ.

---

١ ن: أبكيته.

٢ البيت للخُريمي في ديوانه، ص ٤٣. وهو له في **الكامل** للمُبرِّد، ٣/١٣٦٢؛ و**المَصون** لأبي أحمد العسكري، ص ١٦؛ و**شرح الحماسة** للمرزوقي، ٣/١٠٥٣. وبلا نسبة في **دلائل الإعجاز** للجرجاني، ص ١٦٤.

٣ ن: مصاعة.

٤ ن: وقضا عنها.

٥ ن: الواقعة.

٦ ش ن: مشهور.

٧ لتفصيل مسائل حذف مفعول "شاء" و"أراد" ومواضع ذِكره انظر: **دلائل الإعجاز** للجرجاني، ص ١٦٣-١٦٨.

وقرأ ابنُ أَبي عبْلةَ: "لأذهبَ بأَسْماعِهم" بزيادة الباءِ؛ كقوله: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة ٢/١٩٥].

والشيءُ: ما صَحَّ أَنْ يُعلَم ويُخبَر عنه.

قال سيبويه -في ساقَةِ الباب المُتَرْجَم بـ: باب مَجارِي أَوَاخِر الكلم من العَرَبيَّةِ-: وإنَّما يَخرُجُ التأنيثُ من التذكير، ألا تَرَى أنَّ الشيء يقعُ على كلِّ ما أُخبر عنه مِن قَبلِ أن يُعْلَمَ أَذَكرٌ هو أَمْ أنثى؟ والشيء مُذكَّرٌ.

قوله: (**الشيء: ما صحَّ أن يُعلَم**)،[١] أي: سواء كان موجودًا أو معدومًا مذكَّرًا أو مُؤنَّثًا، وهذا بناء على مذهبه؛ فإنّ المعدوم عندهم شيء.[٢]

قوله: (**قال سيبويه**)... إلخ، استشهاد من المُصنِّف بكلام سيبويه على صِحّة إطلاق "الشيء" على كلّ ما أُخبِر عنه.[٣]

قوله: (**في ساقة الباب**) أي: في آخره، وهو جمع سائق، كقادة جمع قائد. وساقة الجيش: آخره، كأنّهم يَسوقون، أي: يطردون[٤] الأوائل. يقال: ساق[٥] الماشية يَسُوقها سَوْقًا وسِياقًا.[٦]

قوله: (**وإنّما يخرُج**) إلى قوله: (**أم أنثى**) مَقول قَول سيبويه، والمراد بخروج التأنيث من التذكير: أنّ التأنيث فَرع على التذكير.

قوله: (**ألا ترى**)[٧] استدلالٌ لسيبويه على أنّ الأصل التذكير، فإنّه لو لم يكن لـم يصحّ إطلاق "الشيء" على كلّ ما يُخبَر عنه قبل أن يُعلَم أنّه ذَكَر أو أنثى.

قوله: (**و"الشيء" مُذكَّر**)، يريد أنّ لفظه مُذكَّر، وإن كان يصحُّ أن يُطلَق ويُراد به المُؤنَّث. قال الله[٨] تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ [الممتحنة ٦٠/١١].

---

١ ن + ويخبر عنه. | وجاءت بين السطور في د من غير تصحيح.
٢ انظر: **تفسير الرازي**، ٨٩/٢ (البقرة، ٢٠/٢).
٣ انظر: **كتاب سيبويه**، ٢٢/١.
٤ ن: يطرق دون.
٥ ن - ساق.
٦ انظر: **الصحاح للجوهري**، «سوق».
٧ د: ألا يُرى.
٨ د ش - الله.

وهو أعمُّ العامِّ -كما أن "الله" أخَصُّ الخاصِّ- يُجْرَى على الجسم والعَرَض والقديم؛ تقول: شيء لا كالأشياء؛ أي: معلومٌ لا كسائرِ المعلومات، وعلى المعدوم والمُحال.

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وفي الأشياء ما لا تعلُّق به للقادر كالمستحيل وفعلِ قادرٍ آخر؟

قلتُ: مشروطٌ في حدِّ القادر أن لا يكون الفعلُ مستحيلًا، فالمستحيلُ مستثنًى في نفسه عند ذكرِ القادر على الأشياء كلِّها؛ فكأنّه قيل: على كلِّ شيءٍ مستقيمٍ قديرٌ.

ونظيرُه: فلانٌ أميرٌ على الناس؛ أي: على مَن وراءَهُ منهم، ولم تدخل فيهم نفسُه وإن كان من جملةِ الناس، وأمّا الفعلُ بَينَ قادِرَيْن فمختلَفٌ فيه.

[١٠٦و] قوله: (**وهو أعمُّ العامّ**)؛ لأنّه / يُطلَق على جميع الأجناس من الجواهر والأعراض، وإنّما قال: "أعمّ العامّ" إذ يصحُّ إطلاقه على الموجود والمعدوم، والمراد بالعامّ الجنس، فكأنّه قال: أعمّ الألفاظ العامّة، أو المفهومات العامّة.

قوله: (**كما أنّ "الله" أخصُّ الخاصّ**) وإنّما كان لفظة الله تعالى[١] أخصَّ الألفاظ الخاصّة؛ لامتناع إطلاق لفظة الله على غيره تعالى،[٢] بخلاف سائر الأعلام؛ فإنّه يجوز اتّفاق الاشتراك فيها.

قوله: (**يجري**) أي: الشيء. وهذا بيانٌ لكون "الشيء" أعمّ العامّ.

قوله: (**تقول**)؛ بيانٌ لصِحّة إطلاق "الشيء" على القديم، أي: الله تعالى.

قوله: (**وعلى المعدوم**) عطف على قوله: (**على الجسم والعَرَض والقديم**)؛ لأنّه في معنى قولك: يُطلَق على الموجود، فكأنّه قال: يُطلَق على الموجود[٣] والمعدوم.

قوله: (**وأمّا الفعل**)... إلخ، جواب عن الاعتراض بفعل قادرٍ آخَر.

قوله: (**بين قادرَين**) أي: الله تعالى[٤] والعبد، وذلك على مذهب المعتزلة.

قوله: (**فمُختلَف فيه**) أي: بين المعتزلة.

---

[١] د ش - تعالى.
[٢] ن - تعالى.
[٣] ن - فكأنّه قال: يُطلَق على الموجود.
[٤] د ش - تعالى.

فإن قلتَ: مِمَّ اشتقاقُ القدير؟

قلتُ: من التقدير؛ لأنَّه يُوقِع فِعْلَه على مِقْدارِ قوَّتِهِ واستطاعتِهِ وما يتميَّز به عن العاجز.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾

لمَّا عَدَّدَ اللهُ تعالى فِرَقَ المكلَّفين من المؤمنينَ والكفَّار والمنافقينَ، ....

قوله: **(وما يتميَّز)** عطف على قوله:[١] **(قُوَّته)** أي: على مقدار ما يتميّز **(به عن العاجز)**، وهو أن يكون بحيث إن شاء فعل، وإن لم يشأ لم يفعل، بخلاف من ليس مُتمكِّنًا من الفعل، فإنّه ليس بحيث إن شاء فعل، وبخلاف مَن يصدر عنه الفعل بطريق الإيجاب، كالإحراق عن النار والإشراق عن الشمس، فإنّه ليس بحيث إن لم يشأ لم يفعل.

قوله تعالى: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**.

قوله:[٢] **(لمّا عدَّد الله)** اعلم أنّ "لمّا" على ثلاثة أقسام: **الأوّل**: أن يكون بمعنى "لم" يَجزمُ الفعل ويكون فيه توقُّع، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [آل عمران ١٤٢/٣]؛ **والثاني**: أن يكون بمعنى "إلّا"، كقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق ٤/٨٦]، بتشديد ﴿لَمَّا﴾،[٣] أي: ما كلُّ نفسٍ **إلّا** عليها حافظ. وهذان حرفان؛ **والثالث**: أن يكون لوقوع الشيء لوقوع غيره، وهو اسم ظرف فيه معنى الشرط، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [يوسف ٩٦/١٢]. وهو فيما نحن فيه كذلك، والعامل فيه قوله: **(أَقبَل)**.

قوله: **(والمنافقين)**، إنّما عطَف المنافقين على الكُفّار، وإن كان الكفر شاملًا لهم: إمّا على اصطلاح مذهب المعتزلة، فإنّهم جعلوا الإيمان مجموع الاعتقاد

---

[١] ن: قوته.

[٢] ن - قوله.

[٣] ن - ﴿لمّا﴾.

وذَكرَ صفاتِهم وأحوالَهم ومَصارِفَ أُمورِهم، وما اختَصَّتْ به كلُّ فِرْقةٍ ممّا يُسْعِدُها ويُشقِيها، ويُحظِيها عند الله ويُرْدِيها، ....

بالجَنان والإقرارِ باللسان والعملِ بالأركان،[١] وسمَّوا من أخَل بالأوّل منافقًا، ومن أخلَّ بالثاني كافرًا. وهكذا يروى عن السلف؛[٢] وإمّا لأنّ المنافقين لمّا اختُصّوا بزيادة صفات قبيحة وأخلاق رديئة وأفعال ذميمة جُعِلوا كأنّهم من جنس آخر غير جنس الكفر، وكذلك كلُّ نوع يختصّ بصفات لا تُوجَد في سائر الأنواع، وكلُّ صنفٍ يختصّ بصفات لا تُوجَد في بقيّة الأصناف، وكلُّ شخص يختصّ بصفات لا تُوجَد في بقيّة الأشخاص، يُجعَل كأنّه من جنس أو نوع أو صنف آخر، فيُعطَف عليه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة ٢/٩٨]. ويقرب منه ما قال صاحب **المفتاح**: من أنّك إذا أردت تفضيل واحد على الجنس إلى حدٍّ يُوجِب إخراجه عن ذلك الجنس تُتْبِعه التشبيهَ لبيان إمكانه، قائلًا: حاله كحال المسك الذي / هو بعض دم الغزال، وليس يعدُّ في الدِّماء؛ لِما اكتسب من [١٠٦ظ]
الفضيلة المُوجِبة إخراجَه إلى نوع أشرف من الدم.[٣] قال المتنبّي:

فإن تَفُقِ الأنامَ وأنتَ منهم   فإنّ المِسك بعض دم الغَزالِ[٤]

قوله: **(وما اختصّت)** عطف على قوله: **(صفاتهم)**. وقوله: **(ممّا)** بيان "ما اختصّت".

قوله: **(يُسعِدها)** بضمّ الياء، أي: يجعلها ذات سعادة. وكذا **(يُشقيها)** أي:[٥] يجعلها ذات شقاوة. وكذا **(يُحظيها)** أي: يجعلها ذات حُظوة ومنزلة، يقال: «رجُل حَظِيٌّ، إذا كان ذا[٦] منزلة وحُظوة».[٧] وكذا يُردِيها، أي: يُهلِكها، يقال: «رَدِيَ بالكسر يَردى ردًى، أي: هلك. وأَرْداه غيره».[٨]

---

١ انظر: **شرح المقاصد** للتفتازاني، ٥/١٧٦.

٢ انظر: **شرح المقاصد** للتفتازاني، ٥/١٧٦.

٣ انظر: **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٤٤٨. وأصل المسألة في **أسرار البلاغة** للجرجاني، ص ١٢٢-١٢٣.

٤ في **شرح الواحدي لديوان المتنبّي**، ٣/١١١٥. وهو بلا نسبة في **أسرار البلاغة** للجرجاني، ص ١٢٣؛ وله في **نهاية الإيجاز** للرازي، ص ١٢٣.

٥ ن - أي.

٦ ن - كان ذا.

٧ **الصحاح** للجوهري، «حظي».

٨ **الصحاح** للجوهري، «ردي».

أَقْبَلَ عليهم بالخطاب، وهو من الالتفات المذكورِ عند قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وهو فَنٌّ من الكلام جَزْلٌ فيه هَزٌّ وتحريكٌ من السامع؛ كما أنّك إذا قلتَ لصاحبك حاكيًا عن ثالثٍ لكما: إنَّ فُلانًا من قصَّتِه كيتَ وكيتَ، فقصَصْتَ

قوله: (بالخِطاب) إن كان المراد بالخطاب ما هو في مقابلة التكلُّم[1] والغَيبة فالباء للملابسة لا للتعدية، أي: أَقْبَل عليهم مُلتبِسًا بالخطاب، أي: مخاطِبًا؛ وإن كان المراد به اللفظ المُتواضَع عليه المقصود به الإفهام، وهذا أعمُّ من أن يكون بطريق التكلُّم أو الخِطاب أو الغَيبة، فالباء للتعدية مُتعلِّق بـ(أَقْبَل)، فكأنّه قال: وجَّه الكلام إليهم. وإنّما قال: (هو من الالتفات المذكور عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة ٥/١])؛ لأنّه ذكر ثمّة أن الالتفات قد يكون مِن الغَيبة إلى الخِطاب، ومِن الخِطاب إلى الغَيبة، ومِن الغَيبة إلى التكلُّم، فذكر هنا أنّ هذا قسم من تلك الأقسام؛ لأنّه من الغَيبة إلى الخِطاب. ويجوز أن يريد أنّه مثل الالتفات في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ لأنّه أيضًا من الغَيبة إلى الخِطاب.[2]

قوله: (وهو فنٌّ) أي: الالتفات نوع. و"الجَزل": الضخم من الحطَب، ثمّ استُعير فقيل: عطاء جزيل، وكلام جَزل. و"الهزُّ": التحريك. و"تحريك السامع" مَجاز عن تنبيهه.

قوله: (كما أنّك) خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هذا كما أنّك.

قوله: (إذا) شرطيّة، جوابه (نبَّهتَه).

قوله: (عن ثالث لكما) أي: عن ثالث يكون حاضرًا عندكما، وهو معنى قوله: "لكما"، فإنّ ثالث الاثنين لا يقال إلّا لمَن كان بمَحضَرهما.

قوله: (إنّ فلانًا)... إلخ، مقول القول.

قوله: (فقصَصتَ) عطف على قوله: (قلتَ).

---

[1] ن - التكلُّم.

[2] د - ويجوز أن يريد أنّه مثل الالتفات في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ لأنّه أيضًا من الغَيبة إلى الخِطاب.

عليه ما فَرَطَ منه ثمَّ عدَلْتَ بخطابك إلى الثالث فقلتَ: يا فلانُ من حقِّك أن تلزم الطريقةَ الحميدة في مجَارِي أُمورِك وتَسْتويَ على جَادَّةِ السَّدادِ في مصَادِرِك وَمَواردك= نبَّهتَه بالتفاتك نحوَه فضلَ تنبيهٍ، واستدعَيْتَ إِصْغاءَه إلى إرشادك زيادةَ استدعاءٍ، وأَوْجَدْتَه بالانتقال من الغيبةِ إلى المواجهةِ هازًّا من طَبْعِهِ كما لا يجدهُ ....

قوله: **(عليه) أي**: على صاحبك.

قوله: **(ما فرَط)** مفعول "قصَصتَ"، أي: ما بدر وصدر منه، أي: مِن الثالث.

قوله: **(ثمّ[1] عدَلتَ)** من العُدول. والباء في **(بخطابك)** للتعدية.

قوله: **(إلى الثالث)** اللام فيه للعهد، أي: إلى الثالث المذكور الذي كان ثالثًا لكما.

قوله: **(فقلتَ)** عطفٌ على قوله: "عدَلتَ"، أي: فقلتَ للثالث.

قوله: "نبّهتَه" جواب "إذا"، أي: إذا قلتَ لصاحبك حاكيًا[2] عن الثالث، ثمّ صرفتَ الخطاب إلى الثالث، نبّهتَ الثالث بسبب الالتفات تنبيهًا تامًّا. يقال: "أَصغيتُ" إلى فلان إذا مِلتَ بسمعك إليه. والمراد بقوله: **(إرشادِكَ)**[3] هو قوله: **(يا فلان مِن حقِّك أن تلزَم الطريقة)** إلى قوله: **(مواردِك)**.

قوله: **(أَوْجَدتَه)** عطفٌ على قوله: "نبّهتَه"، يقال: «أَوْجَدَه الله مَطلوبَه، أي: أظفَره الله به».[4] وقوله: **(هازًّا)** مفعول ثانٍ لقوله: "أَوْجَدتَه"، أي: صيَّرته واجدًا شيئًا هازًّا، أي: مُحرِّكًا له. والضمير من قوله: "أَوْجَدتَه"، ومِن "طَبعه" عائدٌ إلى "الثالث". وقوله: **(من طَبعه)** إمّا صفة "هازًّا"، وإمّا مُتعلِّق بقوله: "أَوْجَدتَه"؛ لأنّه وجَد ذلك الهازُّ مِن طَبعه. والضمير المستتر من قوله: **(لا يَجِده)**[5] عائدٌ إلى "الثالث"،

---

[1] د ش: لِمَ. | وأثبتُّ ما في ن وما في هامش د من نسخة، وهو الموافق لِما في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله.

[2] ن - حاكيًا.

[3] ن: إن شادك.

[4] الصحاح للجوهري، «وجد».

[5] د ن: لا يجد. | وأثبتُّ المُوافق لما في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله، والمُناسب لشرح الجاربردي؛ لأنّه سيذكر مَرجِع الضمير البارز في هذه الكلمة.

إذا استمرَرْتَ على لفظ الغيبة، وهكذا الافتنانُ في الحديث والخروجُ فيه من صِنفٍ إلى صِنفٍ يَسْتفتِحُ الآذانَ للاستماع، ويَسْتَهِشُّ الأنفُسَ للقبول.

وبَلغَنَا بإِسْنادٍ صحيحٍ عن إبراهيمَ عن علْقمةَ: أنَّ كلَّ شيءٍ نزل فيه: ....

والبارز إلى "الهازّ". و(إذا) ظرفُ "لا يَجِد" وقوله: "لا يجده"...[١] إلخ، صفة "هازًّا"، أي: لولا حرف الخطاب من الصاحب إلى الثالث لا يجِد الثالث ذلك الهازّ، ويعني بالاستمرار على لفظ الغَيبة: أن يكون في مُخاطبة الصاحب غير مُتوجِّه إلى الثالث.

قوله: (وهكذا الافتنان)، يريد أنّ الافتنان، أي: العُدول من فنّ إلى فنّ في الحديث، كأنْ يُؤتى تارة بالأمر، وأخرى بالنهي، ثمّ بالوعد أو الوعيد، وكأنْ ينقُل مِن الإنشاء إلى الإخبار، وبالعكس. وقوله: (ويَستهِشُّ) أي: يُحرِّك بالسرور.

قوله: (وبلغَنا)... إلخ، عطفٌ / على قوله: "لمّا عدَّد الله"...[٢] إلخ؛ لأنّ معنى [١٠٧و]
قوله: "لمّا عدَّد"... إلخ، أنّ الخطاب شامل للمؤمنين والكافرين والمنافقين.[٣] ومعنى قوله: "وبلغنا"... إلخ، أنّ الخطاب مخصوص بمُشركي مكّة. وهذا الذي رواه المُصنِّف عن عَلقمة[٤] مَرويٌّ عن الحَسَن أيضًا،[٥] وكأنّه إنّما نقله عن عَلقمة دون الحَسَن؛ لأنّ الإسناد الصحيح الذي ذكره لم يَبلُغه عن الحَسَن، وإن كان قد بلَغه بإسناد آخر، على ما ستعرف. قال الإمام:

---

١ د ن: لا يجد.

٢ ن + تعالى.

٣ انظر هذا المعنى في **البسيط** للواحدي، ٢١٧/٢ (البقرة، ٢١/٢).

٤ هو عن علقمة في **المُصنَّف** لابن أبي شيبة، ٥١٤/١٥ (٣٠٧٦٨). وانظر لتفصيل تخريجه: **تخريج أحاديث الكشّاف** للزَّيلَعي، ٤٩/١-٥١؛ **والعُجاب في بيان الأسباب** لابن حجر، ص ٧٨-٨٢.

٥ ورد مرويًّا عن الحَسَن وعلقمة في **الوسيط** للواحدي، ٩٧/١ (البقرة، ٢١/٢). وذكر في **البسيط** أنّ هذا الخطاب «عموم في كلّ مُكلَّف من مؤمن وكافر». ثمّ قال: «ويُروى عن الحَسَن وعلقمة»، وساق الأثر. **البسيط** للواحدي، ٢١٧/٢ (البقرة، ٢١/٢). وجاء مرويًّا عن ابن عبّاس في **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٥٥/٣ (البقرة، ٢١/٢)؛ **ومعالم التنزيل** للبغوي، ٧١/١ (البقرة، ٢١/٢). وعن مجاهد في **المُحرَّر الوجيز** لابن عطيّة، ١٤٣/١ (البقرة، ٢١/٢).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فهو مَكيٌّ و﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فهو مدنيٌّ، فقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ خطابٌ لمُشركي مكّةَ.

و"يا" حرفٌ وُضع في أصله لنداء البعيد، صوتٌ يَهْتِفُ به الرجلُ ....

قال القاضي:[١] هذا الذي ذكره عَلقمة والحَسَن، إن كان الرجوع فيه إلى النقل فمُسلَّم، وإن كان السبب فيه حصول المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكّة فهذا ضعيف؛ لأنّه يجوز[٢] أن يُخاطِب المؤمنين مرّة بصفتهم ومرّة باسم جنسهم، وقد يُؤمَر من ليس بمؤمن بالعبادة، كما يؤمر المؤمن بالاستمرار على العبادة والازدياد منها، فالخِطاب في الجميع مُمكِن.[٣]

قوله: (فقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾) بالفاء السببيّة يدلُّ على أنّ المُصنِّف استقبح كون هذا خطابًا لمُشركي مكّة مِن قول علقمة، وأنّه لم يُصرِّح، وبه تؤذن أكثر التفاسير. وإذا كان كذلك ففيه بحث؛ لأنّ قول علقمة لا يدلُّ عليه، إلّا أن يقال قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة ٢٢/٢] يدلُّ على أنّ هذا خطاب للمُشركين، وإذا كان كذلك ويكون مكيًّا فلا مَحالة يكون خطابًا لمُشركي مكّة.

قوله: (وُضِع في أصله) إنّما قيَّد بقوله: "في أصله"؛ لأنّه مُستعمَل[٤] في غير البعيد، على ما سيجيء، وذلك بالوضع الثاني.

قوله: (صوتٌ) خبرُ مبتدأ محذوف، والمضاف محذوف، أي: هو ذو صوت؛ وذلك لأنّه يُمكن رَفْع الصوت به[٥] بواسطة الألف التي في آخره. و«الهَتْف: الصوت الشديد، من باب 'ضرَب'، وهتَف به: صاح به ودعاه».[٦] والباء في (به) للسببيّة، والضمير عائد إلى (يا)، أو إلى "صوتٌ"؛ لأنّه بمعنى ذو صوت،

---

١ يغلِب على الظنّ أن المراد به القاضي أبو بكر الباقلاني. ولم أجِد القول فيما وقفتُ عليه من كتبه، غير أنّه ذكر قول علقمة في الانتصار في سياق ما ذهب إليه من أنّ المرويّ في المكيّ والمدنيّ ليس مقطوعًا به ولا مشهورًا نقلُه، وقال بعد سَوق قول علقمة: «والرِّوايات عنهم في ذلك كثيرة، ولا يُعرَف منها ما يرفعونه عن الصحابة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ والسبب في ذلك ما قدّمناه من أنه لم يكن منه صلّى الله عليه وسلّم في ذلك نصٌّ على تفصيل ذلك وقول قاطع، ولا هو ممّا عُنيَت الصحابة بذِكره للتابعين». الانتصار للقرآن للباقلاني، ٢٤٩/١.

٢ ن: لا يجوز.

٣ تفسير الرازي، ٩٠/٢-٩١ (البقرة، ٢١/٢).

٤ ن: يستعمل.

٥ ن - به.

٦ المُغرِب للمُطرِّزي، «هتف».

بمَن يناديه، وأمَّا نداءُ القريب فله "أَي" والهمزةُ، ثمّ استُعمل في مناداةِ مَن سَها وغَفَل وإنْ قرُب تنزيلًا له منزلةَ مَن بَعُدَ، فإذا نُودي به القريبُ المُفَاطِنُ فذاك للتأكيد المؤذِنِ بِأن الخطابَ الذي يَتلوه مَعْنِيٌّ بهِ جدًّا.

وهو كما عرفت عبارة عن "يا". والباء في (بمَن) مُتعلِّق بـ(**يهتف**). وقوله: "**يهتف**"... إلخ، يجوز أن يكون صفة لقوله: "صوتٌ"، بمعنى ذو صوت، ويجوز أن تكون جملة مبتدأة. وقوله: "صوتٌ"... إلخ، جملة مُبيِّنة لقوله: (**"يا" حرف وُضِع في أصله لنداء البعيد**)، يُشير به إلى سبب وضعه للبعيد؛ وهو أنَّه[١] لمّا[٢] كان في آخره ألِفٌ يمكن امتداد الصوت بسببه وُضِع لنداء البعيد، مثل "أيَا"، و"هيَا"، وما لا يُمكن فيه رَفْع الصوت وامتداده وُضِع للقريب كـ"أيْ"، والهمزة.

قوله: (**ثمّ استُعمل**) عطف على قوله: "وُضِع في أصله"، والضمير من "استُعمل" عائد إلى "يا".

قوله: (**وإن قرُب**) أي: (**مَن سها**) وجزاؤه محذوف، أي: وإن قرُب مَن سها فإنّه يُستعمل فيه "يا". وقوله: تنزيلًا مفعول له من قوله: "استُعمل".

قوله: (**فإذا نُودي**) جزاءُ شرط محذوف، أي: إذا كان وَضْع "يا" لنداء البعيد فإذا نُودي به القريب فهو للتأكيد. والفطنة كالفهم، والمُفاطَنة مُفاعَلة منه.[٣] والضمير المستتر في (**يتلوه**) للموصول، والبارز لحرف النداء وهو "يا".

قوله: (**معنيٌّ به**) من قولهم: عُنِيتُ بحاجتك، أُعنى به عِناية، وأنا بها مَعنيٌّ،[٤] على مفعول، وإذا أمرتَ به قلتَ: لتُعنَ بحاجتي. والضمير من "به" عائد إلى الخطاب. وقوله: (**جِدًّا**) أي: عناية جِدًّا، والمعنى: إذا نُودي بـ"يا" مَن لا يكون بعيدًا ولا ساهيًا غافلًا؛ فذلك لحرص المُنادي على إقبال المدعوّ عليه ومُفاطَنته لِمَا يدعوه له. وأمّا ما أُثبِت في بعض **الحواشي**، من أنّ الضمير المنصوب في "يتلوه" عائد إلى حرف النداء وهو "يا"، فهو من **الحواشي** التي ينبغي ألّا يُلتفَت إليها، والحقُّ ما قررناه.

---

١ ن: إنّما.

٢ ن - لمّا.

٣ انظر: الصحاح للجوهري، «فطن».

٤ انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٣/٣١٤.

فإن قلتَ: فما بالُ الدَّاعي يقول في جُؤَارِهِ: يا ربِّ، ويا الله، وهو أقربُ إليه من حَبْلِ الوريد، وأَسْمِعْ بهِ وأَبْصِرْ؟

قلتُ: هو استقصارٌ منه لنفسه واستبعادٌ لها مِن مظانِّ الزُّلفى وما يُقَرِّبُه إلى رضوان الله ومنازِل المقرَّبين؛ هضمًا لنَفْسه وإقرارًا عليها بالتفريط في جَنْب الله

[١٠٧ظ] قوله: **(فما بال؟)** جزاءُ شرط محذوف، / أي: إذا كان وَضْع "يا" في الأصل لنداء البعيد، ثمَ استُعمِل في مَن جرى مَجراه، وهو الساهي والغافل، فلِمَ يقول الداعي: **(يا ربّ، ويا الله)** مع أنّه لم يُوجَد فيه تعالى شيء من الأمرين اللذَين ذكرتهما: أمّا البُعد فلأنّه تعالى قريب قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة ١٨٦/٢]، وإليه أشار بقوله: **(وهو أقرب إليه من حبل الوريد)**؛ وأمّا السهو والغفلة فلتَعاليه عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا، وإليه أشار بقوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف ٢٦/١٨]، وهما فعل التعجّب. وقوله: **(يقول)** حالٌ مِن الداعي؛ لأنّه في معنى الفاعل. و"الجؤار":[١] التضرّع بالدعاء.

قوله: **(استقصار)** والاستقصار: هو عدُّ الشيء قاصرًا.

قوله: **(منه)** أي: مِن الداعي. و"الاستبعاد": عدُّ الشيء بعيدًا. ومَظِنَّة الشيء: موضع يُظَنُّ كونه فيه، والجمع **(مَظانّ)**. و**(الزُّلفى)**: القُرْبة.

قوله: **(وما يُقرّبه)** عطف على "مظانّ الزُّلفى".

قوله:[٢] **(هَضمًا)** مفعول له من "الاستقصار" و"الاستبعاد"، وكذا قوله: **(إقرارًا)**. **(بالتفريط)** أي: التقصير. **(في جَنْب الله)** أي: طاعته. وقوله: "استقصار" إلى هنا، إشارةٌ إلى التنزيل منزلة مَن بَعُد، وإنّما يُنزِّل الداعي نفسه منزلةَ مَن بعُد بالاستقصار والاستبعاد؛ ليتحقَّق الإجابةَ بمقتضى[٣] قوله: «أنا عند المُنكسِرة[٤] قلوبهم».[٥]

---

[١] ن: والحرار.
[٢] ن – قوله.
[٣] ن: نبعض.
[٤] ن: منكسرة.

[٥] **تفسير الرازي**، ٩١/٢ (البقرة، ٢١/٢)؛ **المقاصد الحسَنة** للسخاوي، ص ١٦٩ (١٨٨)؛ **مرقاة المفاتيح** للقاري، ٨/٤، وأورده خلال شرح الحديث رقم (١٥٢٨).

مع فَرْطِ التهالك على استجابة دَعْوتهِ والأَذَنِ لندائه وابتهاله.

و"أيٌّ" وُصْلةٌ إلى نداء ما فيه الألفُ واللام كما أنّ "ذو" و"الذي" وُصْلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجُمل.

وهو اسمٌ مبهَم مفتقِرٌ إلى ما يُوضحه ويُزيل إبهامَه، ....

وقوله: **(مع فرط)**... إلخ، إشارة إلى أنّ الخطاب مَعنيٌّ به جدًّا؛ وذلك لأنّ إجابة الدعاء مِن أهمّ المُهمّات للداعي. و"الفرط": الشِّدّة. و**(التهالُك)**: الحِرص.[١] و"الاستجابة": طلب الإجابة.

قوله: **(والأَذَنِ)**[٢] عطفٌ على "الاستجابة"،[٣] ومعناه: الاستماع.[٤] قال عليه السلام: «ما أَذِن الله لشيء[٥] كأَذَنه لنبيّ يتغنّى بالقرآن».[٦]

قوله: **(و"أيٌّ" وُصلة)** والوُصلة:[٧] ما يُتوصَّل به إلى الشيء، يريد أنّهم كرِهوا نداء ما فيه الألف واللّام، لئلّا يجتمع[٨] حرفا تعريف، فأدخلوا حرف النداء على "أيّ"، ثمّ أجرَوا المعرّف باللّام عليه صفة له.

قوله: **(كما أنّ "ذو" و"الذي" وُصلتان)** فيه لف ونشر: فـ"ذو" وُصلة إلى الوصف بأسماء الأجناس، و"الذي" وُصلة إلى وَصْف المعارف بالجمل.

قوله: **(وهو)**، يريد أنّ "أيًّا" مُبهَم يحتاج إلى ما يُوضِّحه، فيُوصَف بشيئين: **الأوّل**: ما فيه الألف واللّام مُقحَمة بينهما كلمة التنبيه، نحو "يا أيّها الرجُل"، **والثاني**: اسم الإشارة،[٩] وهو المراد بقوله: ما يَجري مَجراه، نحو "يا أيّهذا". قال ذو الرُّمّة:

---

١ ن: الحوص.

٢ هكذا ضُبطت في د وفيما راجعته من أصول **الكشّاف**، وضُبطت في مطبوعه: الإذْن.

٣ ن: استجابة.

٤ يقال: أَذِن له وإليه أَذَنًا: استمع. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «أذن».

٥ ن: بشيء.

٦ **صحيح البخاري**، ١٩١/٦ (٥٠٢٣)؛ **صحيح مسلم**، ٥٤٥/١ (٧٩٢). واللفظ فيهما «ما أَذِنَ» بدل «كأَذَنه».

٧ ن: الوصلة.

٨ د: يجتمعا.

٩ انظر: **المُفصَّل** للزمخشري، ص ٦٣.

فلا بدَّ أن يَرْدَفَه اسمُ جنسٍ أو ما يَجري مجراه يتَّصفُ به حتَّى يَصِحَّ المقصودُ بالنداء، فالذي يعمل فيه حرفُ النداء هو "أيٌّ" والاسمُ التابعُ له صفتُه؛ كقولك: يا زيدُ الظريفُ، إلَّا أنَّ "أيًّا" لا يستقلُّ بنفسه استقلالَ زيدٍ، فلم ينفكَّ من الصِّفة، وفي هذا التدرُّج من الإبهام إلى التَّوضيح ضربٌ من التأكيد والتشديد.

ألا يا أيّهذا الباخعُ الوجد نفسَه   لشيء[1] نَحَتْه عن يديه المَقادِرُ[2]

يقال: بخع نفسه، أي: قتَلها غيظًا وغمًّا. ويجوز في "الوجد" الرفعُ بأن يكون فاعل "الباخع"، والنصبُ بكونه مفعولًا له، والمعنى: الباخع نفسه وجدًا. والمقادِر جمع مَقدَرة، وهي: القُدرة، أو جَمْع مقدور:[3] وهو ما قدَّر الله. وحقُّه على هذا أن تكون "المقادير"، لكن حُذِفت ياؤه، يعني: يا أيُّها الذي أهلَك الحُزْن نفسه، بسبب فَوْت شيء أبعده الله عنه. والضمير مِن **(يَردَفه)** عائد إلى "أيّ". وقوله: **(اسمُ جنس)** فاعل "يَردَف". وقوله: **(ما يجري)** عطفٌ على "اسمُ جنس". والضمير مِن **(يتّصف)** عائد إلى "أيّ".

قوله: **(به)** أي: باسم جنس، أو بما يجري مَجراه. وقوله: **(يَضِح)**[4] مِن الوضوح. وقوله: **(بالنداء)** مُتعلِّق بـ**(المقصود)**. قوله: **(فالذي)** مبتدأ، **(هو "أيّ")** خبره.

قوله: **(والاسم)** مبتدأ، وخبره قوله: **(صفته)**. وقوله: **(التابع له)** صفة الاسم. وقوله: **(إلّا أنّ)** استثناء مُنقطِع.

قوله: **(فلَم[5] ينفكّ)** عطفٌ على قوله: **(لا يستقلّ)**.

قوله: **(والتشديد)** بالشين المعجمة.

---

١ ن: بشيء.

٢ في **ديوانه**، ١٠٣٧/٢. والرِّواية فيه «... عن يديكَ المقادِرُ». والبيت له في **مجاز القرآن** لأبي عبيدة، ٣٩٣/١، ٨٣/٢؛ و**جامع البيان** للطبري، ١٤٩/١٥ (الكهف، ٦/١٨)، ٥٤٣/١٧ (الشعراء، ٣/٢٦)؛ و**الصحاح** للجوهري، «بخع». وصدره له في **المُفصَّل** للزمخشري، ص ٦٣. ونبّه أبو عبيدة والطبري في الموضع الأوّل لذِكر البيت فيهما أن "نحته" في البيت أصلها "نحّته" فخففها الشاعر.

٣ ن: مقدر.

٤ في مطبوع **الكشّاف**: يَصِحَّ. | وما أورده الجاربردي مطابق لِما راجعته من أصول **الكشّاف**.

٥ ن - فلم.

وكلمةُ التنبيه المقحَمةُ بين الصفة وموصوفِها لفائدتين: مُعَاضَدةِ حرفِ النداء ومُكانَفتِه بتأكيد معناه، ووقوعِها عِوَضًا ممَّا يستحقُّه "أيٌّ" من الإضافة.

فإن قلتَ: لم كثُرَ في كتابِ الله النداء على هذه الطريقة ما لم يَكْثُرْ في غيره؟

قلتُ: لاستقلاله بأوجُهٍ من التأكيد وأسبابٍ من المبالغة؛ لأنَّ كلَّ ما نادَى اللهُ له عبادَه -مِن أَوامره ونواهيه، وعِظاتِه وزواجِره، ووَعْده ووعيده، واقتصاصِ أَخبار الأمم الدَّارجةِ عليهم، ....

قوله: **(لفائدتين)**: الفائدة **الأولى**: **(مُعاضَدة)**، / أي: مُعاوَنة حرف النداء. [١٠٨و] و"المُكانفة" والإكناف: المُعاوَنة، وكَنَفتُ الرجل أَكنُفه: صنتُه، والكَنَف: الجانب.[١] وقوله: **(بتأكيد معناه)** تنازَع فيه "المُعاضدة" و"المُكانفة". وقوله: "معناه"، أي: معنى حرف النداء. والفائدة **الثانية**: **(وقوعها)** أي: وقوع كلمة التنبيه **(عِوَضًا)**. وإنّما اختصّ "ها" بالعِوضيّة؛ لأنّه لمّا امتنع أن يدخل حرف النداء على المُعرّف باللّام الذي هو المقصود بالنداء، أرادوا أن يدخل عليه حرف التنبيه[٢] الذي هو قريب من حرف النداء من حيث المعنى.

قوله: **(ما لم يَكثُر)** "ما" موصولة، أي: الكَثرة التي لم تكثُر تلك الكَثرة في غير **كتاب الله تعالى**.

قوله: **(لاستقلاله)** يقال: أقلّ الشيء واستقلَّها، أي: أطاق حملها. والضمير لـ**(النداء)** أي: يحمل النداء على هذه الطريقة أوجُهًا من التأكيد، وتلك الأوجه:[٣] ما في "يا" من التأكيد، وما في "ها"؛ لأنّه حرف تنبيه، وما في التدرُّج من الإبهام إلى التوضيح. ثمّ أشار إلى أنّ التأكيد يُناسب المقام بقوله: **(لأنّ)**...[٤] إلخ. وقوله: **(ما نادى)** أي: الذي نادى. والضمير مِن **(له)** عائد إلى "ما"، واللّام بمعنى "لأجل". و**(مِن)** بيان "ما". و"العِظات جمع عِظَة. و**(الدارجة)** أي: الماضية، يقال: درَج، أي: مضى. وقوله: **(عليهم)** مُتعلِّق بـ"الاقتصاص"،

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «كنف».

٢ د ش: التعريف؛ هامش د ش: ظ [اختصارا من "الظاهر"]: التنبيه.

٣ ن + على.

٤ د + إلى.

وغيرِ ذلك ممّا أَنطقَ به كتابَه- أمورٌ عظامٌ وخُطوبٌ جِسامٌ ومعانٍ عليهم أن يتيقَّظوا لها ويَميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم عنها غافلون، فاقتضت الحالُ أن يُنادَوْا بالآكَدِ الأبلغ.

فإن قلتَ: لا يخلو الأمرُ بالعبادة من أن يكون متوجِّهًا إلى المؤمنين والكافرين جميعًا، أو إلى كفّار مكة خاصةً على ما رُوي عن علقمة والحسن،

والضمير عائد إلى "العباد". و(**ممّا أنطَق**) بيان قوله: (**غير ذلك**). وقوله: (**أمور**) خبر لـ"أنّ". و"الخطب": الأمر العظيم. ويقال: جسُم[١] الشيء فهو جَسيم[٢] -بفتح الجيم- وجُسام[٣] بالضمّ، وأمّا "الجِسام"[٤] -بالكسر- فجمع جَسيم.[٥]

قوله: (**أن يتيقَّظوا**) مبتدأ، و(**عليهم**) خبرٌ مُقدَّم. وهذه الجملة صفة "أمور"[٦] و(**خطوب**) و(**معانٍ**). والباء في (**بقلوبهم**) للتعدية. والضمير من قوله: (**إليها**) و(**عنها**) لـ"الأمور"[٧] و"الخطوب" و"المعاني".

قوله: (**فاقتضت**) الفاء للسببيّة، أو جزاء شرط محذوف، أي: إذا كان كلُّ ما نادى الله تعالى[٨] لأجله عباده أمورًا عظامًا فاقتضت الحال، أي: فقد اقتضت.

قوله: (**لا يخلو الأمرُ**) أي: قوله: اعبدوا. وأراد بقوله: (**الكافرين**) الكُفّار والمُنافقين، فما رعى الاصطلاح الأوّل، ولا بأس، ولا يبعُد أن يكون التأكيد بقوله: "أجمعين" للإشارة[٩] إلى هذا المعنى.

قوله: (**على ما**[١٠] **رُويَ عن علقمةَ والحسن**) اعلم أنّ هذا القول الثاني ما صرّح به أوّلًا أنّه مُستنِد إلى علقمة والحسن،[١١] بل ذكر أنّ علقمة قال: إنّ مِثْله مكيٌّ، وذكر ذلك هنالك بطريق الاستنتاج، وههنا صرّح بأنه منقول عنهما.

---

١ ن: جشم.
٢ ن: جشيم.
٣ ن: جشام.
٤ ن: جشام.
٥ ن: جشيم. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «جسم».
٦ ن: أمرد.
٧ ن: عائد إلى الأمور.
٨ ن - تعالى.
٩ ن: الإشارة.
١٠ ن - ما.
١١ مضى تخريجه آنفًا.

فالمؤمنون عابدون ربَّهم فكيف أُمِرُوا بما هم ملتَبِسون به، وهل هو إلَّا كقول القائل:

فلَوَ أنِّي فَعَلْتُ كُنتُ كمَنْ تَسْـ ـأَلُهُ وهُوَ قائمٌ أن يَقُوما

وأمَّا الكفَّار فلا يعرفون اللهَ ولا يُقرُّون به فكيف يعبدونه؟

قلتُ: المراد بعبادة المؤمنين: ....

قوله: **(فالمؤمنون عابدون)** في قوّة قولك: فأمّا المؤمنون فهم عابدون، يدلُّ عليه أنّه عَطف عليه قوله: "وأمّا الكافرون فلا يَعرِفون".

قوله: **(فكيف)** أي: إذا كان كذلك فكيف يجوز أمرهم بما[1] هم[2] مُشتغِلون به؟ فإنّه يكون أمرًا بتحصيل الحاصل، ومثله ممتنع. ولذلك قال أبو تمّام:

نعمةُ الله فيكَ لا أسألُ اللّـ ـه إليها نُعمى سوى أن تَدُوما
(فلو أنّي فعلتُ كنتُ كمن تسـ ـأله وهو قائمٌ أن يقوما)[3]

أي: نعمة الله تعالى[4] حاصلة فيك كثيرًا، لا أسأل الله تعالى نعمة أخرى يَضمُّها إلى تلك النعمة، ولكن أسأل الله تعالى دوام تلك النعمة[5] لكَ. ثمّ قال: "فلو أنّي فعلتُ"، أي: لو سألتُ الله النعمة في حقِّك كنتُ كمَن يسأل قائمًا أن يقوم، ومَن هو مُباشِر لأمر لا يُؤمَر بالالتباس به، فإنّه مِن تحصيل الحاصل.[6] وقوله: "فلو أنّي" بفتح الواو لأنّه نُقِل حركة الهمزة وحُذِف الهمزة.

قوله: **(فكيف يعبدونه؟)**؛ وذلك لأن عبادة مَن لا يُعرَف مُمتنِعة.

قوله: **(المراد بعبادة المؤمنين)**... إلخ، تقريره أن نقول: نختار أنّ الأمر مُتوجِّه إلى المُؤمنين / والكافرين جميعًا. قوله: بالنسبة إلى المؤمنين يَلزم [١٠٨ظ] تحصيل الحاصل؛ قلنا: نحمِل الأمر بالعبادة على الأمر بالاستمرار على العبادة،

---

١ ن: بأنهم.
٢ ن – هم.
٣ البيتان في شرح ديوان أبي تمّام للتبريزي، ٢٣٠/٣؛ وهما له في الخصائص لابن جنّي، ٣٤٤/١.
٤ د – تعالى.
٥ ن – ولكن أسأل الله تعالى دوام تلك النعمة.
٦ ن: الحال.

ازْدِيادُهم منها وإقبالُهم وثباتُهم عليها، وأما عبادةُ الكفّار فمشروطٌ فيها ما لا بدَّ لها منه وهو الإقرارُ؛ ....

وعلى الأمر بالازدياد من العبادة. وما قاله بالنسبة إلى الكفّار فالجواب عنه من وجهين:

الأوّل ما ذكره[١] الإمام، وهو أنّ:

مِن الناس مَن قال: الأمر بالعبادة مشروط بحصول المعرفة، كما أنّ الأمر بالزكاة مشروط بحصول مِلْك النِّصاب، وهؤلاء هم القائلون بأنّ المعارف ضروريّة، وأمّا مَن لم يقل بذلك فقال: الأمر بالعبادة حاصل، والعبادة لا تكون إلّا بالمعرفة، والأمر بالشيء أمر بما هو من ضروراته، كما أنّ الطهارة إذا لم تصحّ إلّا بإحضار الماء كان إحضار الماء واجبًا، والدَّهْريّ لا يصحّ منه تصديق الرسول عليه السلام إلّا بتقديم معرفة الله تعالى فوجبت، والمُحدِث لا تصحُّ منه الصلاة إلّا بتقديم الطهارة فوجبت، والمُودِع لا يُمكنه ردُّ الوديعة إلّا بالسعي[٢] إليها، فكان السعي واجبًا، فكذا هنا: يصحُّ أن يكون الكافر مُخاطَبًا بالعبادة، وشرط الإتيان[٣] بها الإتيانُ بالإيمان أوّلًا، ثمّ الإتيانُ بالعبادة بعد ذلك.[٤]

والوجه **الثاني** وإليه أشار بقوله: **(على أنّ مُشركي مكّة)**... إلخ، تقريره أن نقول:[٥] المراد بالكُفّار هنا مُشركو مكّة، وهم كانوا يعرفون الله، يدلُّ عليه قوله تعالى: (﴿وَلَبِن سَأَلۡتَهُم﴾ [الزخرف ٨٧/٤٣]).

قوله في أوّل الجواب: **(ازديادهم منها)** أي: من العبادة.

قوله: **(وإقبالهم)** يقال: أقبَل، وهو نقيض أدبَر.

قوله: **(فمشروط فيها)** الضمير من "فيها" و**(لها)** عائد إلى "العبادة". و**(ما لا بدّ)** مفعول قائم مَقام فاعلِ "مشروط". والضمير من **(منه)** و**(هو)** عائد إلى "ما".

---

١ ش ن: ذكر.

٢ ن: بأن يسعى.

٣ ن – الإتيان.

٤ انظر: تفسير الرازي، ٩٣/٢ (البقرة، ٢١/٢).

٥ ن – أن نقول.

كما يُشترط على المأمورِ بالصلاة شرائطُها من الوضوء والنيّة وغيرِهما، وما لا بدَّ للفعل منه فهو مندرجٌ تحت الأمر به وإن لم يُذكرْ، حيث لم ينفعل إلّا به وكان من لوازمه، على أنَّ مشركي مكّةَ كانوا يعرفون الله ويعترفون به: ....

قوله: **(كما يُشترَط)** صفةُ مصدر محذوف لقوله: "مشروط"، أي: اشتراطًا كاشتراط شرائط الصلاة على المأمور بالصلاة.

قوله: **(من الوضوء والنيّة)** بيانُ "الشرائط". فجعَل النيّة مِن الشرائط، وهو عند بعض العلماء من الأركان.[1]

قوله: **(وما لا بدّ)** مبتدأ، خبره قوله: **(فهو مُندرِج)**... إلخ. والضمير مِن قوله: "منه" و"فهو" عائد إلى "ما"؛ ومِن **(به)** إلى الفعل.

قوله: **(وإن لم يُذكَر)** أي: وإن لم يُذكَر[2] ما لا بدّ للفعل، فإن الأمر بالفعل أمرٌ به، وهو المراد بالاندراج.

قوله: **(حيث)** ظرف لقوله: "مُندرِج"، وفيه معنى التعليل.

قوله: **(لم يَنفعِل)** أي: لم يَنفعِل الفعل، يعني: لم يمكن[3] الإتيان بالفعل إلّا به، أي: بما لا بدّ منه، يقال: «فعلتُ الشيء فانفعل».[4]

قوله: **(وكان)** عطف على قوله: "لم ينفعل". ويجوز أن يكون هذا إشارة إلى أنّ الأمر بالفعل أمرٌ بما لا بدّ للفعل منه، سواء كان مِن أجزائه أو لوازمه. ويجوز أن يكون بيانًا لقوله: **(من لوازمه)**. قال المُطرِّزيّ في **المُغرِب**: التمثال: ما تصنعه وتُصوِّره مُشبَّهًا بخلق الله تعالى[5] من ذوات الرُّوح والصورة، عامّ. وقولهم: يُكرَه التصاوير والتماثيل، فالعطف للبيان.[6]

قوله: **(كانوا يَعرِفون الله ويَعترِفون به)** هو في مُقابلة قول السائل: **(وأمّا الكفّار فلا يَعرِفون الله ولا يُقرُّون به)**.

---

١ انظر لتفصيل القولين في هذه المسألة المجموع للنووي، ٢٤١/٣-٢٤٢.

٢ ن - أي: وإن لم يذكر.

٣ ن: لم يكن.

٤ الصحاح للجوهري، «فعل».

٥ د ش - تعالى.

٦ انظر: المُغرِب للمُطرّزي، «مثل».

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف ٤٣/٨٧].

فإن قلتَ: فقد جعلتَ قولَه ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾ متناوِلًا شيئَينِ معًا: **الأمرَ بالعبادة والأمرَ بازديادِها**.

قلتُ: الازديادُ من العبادة عبادةٌ وليس شيئًا آخر.

فإن قلتَ: ﴿رَبَّكُمُ﴾ ما المراد به؟

قلتُ: كان المشركون معتقِدِينَ ربوبيَّتين: ربوبيَّةَ الله وربوبيَّةَ آلهتهم، فإن خُصُّوا بالخطاب فالمراد به اسمٌ يشتركُ فيه ربُّ السماواتِ والأرض والآلهةُ التي كانوا يسمُّونها أَرْبابًا، وكان قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ صفةً موضِحةً مميِّزةً،

قوله: (**جعلتَ قولَه: ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾ مُتناوِلًا شيئين معًا**): أمّا العبادة فبالنسبة إلى الكافرين، وأمّا الزيادة فبالنسبة إلى المُؤمنين. وهذا يُؤيِّد ما ذكرنا مِن أنّه اختار[١] في الجواب أنّ الأمر بالعبادة مُتوجِّه إلى المؤمنين والكافرين جميعًا.

قوله: (**ليس شيئًا آخر**) أي: ليس شيئًا آخر مُنافِيًا ومُبايِنًا للعبادة، بل هما متَّفقان[٢] بالذات ومختلفان بالعوارض.

قوله: (**﴿رَبَّكُمُ﴾**) منصوب على حكايةِ لفظ القرآن، وهو في محلّ المبتدأ. وقوله: (**ما المراد به**) خبره.[٣]

قوله: (**فإن خُصُّوا**) أي: المُشركون على ما هو التفسير الثاني المنقول عن علقمة والحسن.

قوله: (**به**) أي: بقوله: / ﴿رَبَّكُمُ﴾. و(**الآلهة**) مرفوع عطف على قوله: (**ربُّ**). [١٠٩و]

قوله: (**وكان**)...[٤] إلخ، عطف على قوله: (**فالمراد**)... إلخ.

قوله: (**صفةٌ مُوضِحة مُميِّزة**)، يعني: لمّا كان قوله: ﴿رَبَّكُمُ﴾ شاملًا على هذا الوجه لربّ السماوات والأرض ولآلهتهم التي عبدوها وسمَّوها[٥] آلهة جِيء بقوله:

---

١ ن: اختيار.
٢ ن: متعلقان.
٣ ن: الحيرة.
٤ ن: فكان.
٥ ن: وسمّوا.

وإن كان الخطابُ للفِرَق جميعًا فالمرادُ به ﴿رَبَّكُمُ﴾ على الحَقيقة و﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ صفةٌ جَرَتْ عليه على طريقِ المدحِ والتعظيم، ولا يمتنِعُ هذا الوجهُ في خطاب الكفرةِ خاصةً، ....

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ لتُخرَج الآلهة التي سمَّوها أربابًا وليُوضَح ويُبيَّن أن المطلوب عبادة ربّ السماوات والأرض لا غير، فالمراد بالإيضاح والتمييز معنى واحد، وهو: أن يكون الوصف مُخصِّصًا للموصوف مُفيدًا غير[1] فائدة الكشف أو المدح، وهو مثل قولك: زيد التاجر عندنا.

قوله: **(وإن كان الخطاب)** عطفٌ على قوله: "فإن خُصُّوا".

قوله: **(للفِرَق)** جمع فِرْقة، يعني المؤمنين والكُفّار والمُنافقين على ما هو التفسير **الأوّل**.

قوله: **(فالمراد به)** أي: بقوله: ﴿رَبَّكُمُ﴾ هو الربّ على الحقيقة؛ لأنّه إذا كان الخطاب للفِرَق جميعًا فالوجه أن يُراد بالربّ مَن يكون ربًّا عند الجميع، فلا يُمكِن أن يُراد بالربّ على هذا الوجه إلّا الله تعالى، فإنّ المؤمنين[2] لا يُطلِقون "الربّ" على آلهتهم.

قوله: **(على طريق المدح والتعظيم)** وإنّما كان الوصف على هذا التفسير بطريق المدح؛ لأنّ الربّ الحقيقيّ لا يتناول آلهتهم، فلا يحتاج إلى وصف مُميِّز، وهو كقولك: الله الخالق البارئ المُصوِّر، في مقام المدح.

قوله: **(ولا يَمتنِع هذا الوجه)**، وهو أن يكون المراد بالربّ الربَّ على الحقيقة، ويكون الوصف على طريق المدح.

قوله: **(في خطاب الكَفَرة)** أي: إذا كان الخطاب للكَفَرة على ما هو التفسير **الثاني**؛[3] ليكون إشارة إلى أنّهم وإن أطلقوا الربّ على آلهتهم، لكن ربّهم هو خالق السماوات والأرض، فلا يَنتقِل الذهن من ﴿رَبَّكُمُ﴾[4] إلّا إليه، فلا يحتاج إلى المُميِّز.

---

[1] ن: عن.
[2] ن: المؤمنون.
[3] ن: الأوّل.
[4] ن – من ﴿رَبَّكُمُ﴾.

إلّا أن الأوّل أوضحُ وأصحُّ.

والخلقُ: إيجادُ الشيء على تقديرٍ واستواءٍ، يقال: "خَلقَ النَّعْلَ" إذا قدَّرَها وسَوَّاها بالمقياس.

قوله: (إلّا أنَ الأوّل أَوْضحُ وأصحُّ): أمّا كونه أوضحَ فلأنَ الكُفّار لمّا كانوا يُطلِقون الربّ على الله تعالى وعلى آلهتهم كانَ الربّ عندهم لفظًا مطلقًا، فإذا خُوطبوا به لا ينتقل الذهن منه إلّا إلى المعنى المُشترَك، فالوجهُ عند خطابهم أن يُراد به ذلك، ثمّ إذا أريد البيان يُؤتى بلفظ يُبيّن المراد، ويكون وصفًا مُميّزًا. ويُؤيّد هذا المعنى أنّ سَحَرة فرعون إذ[1] عرفوا الحقَّ، وخروا سُجَّدًا لله تعالى،[2] وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء ٤٧/٢٦]، عقَّبوه بقولهم: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الشعراء ٤٨/٢٦]؛ نفيًا لإيهامهم أن يَعنُوا فرعونَ، لكون "ربّ العالمين" عند فرعون[3] وعابدِيه مُشترَكًا بين فرعون وبين مَن دعاه موسى إليه بقوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء ١٦/٢٦]. وأمّا كونه أصحَّ؛ فلأنّه قول أكثر العلماء. فقوله: "إلّا أنّ" استثناء مُنقطِع من قوله: "لا يَمتنِع"، فكأنّه قال: لا يَمتنِع ذلك، لكنّ الأوضح ما قدّمناه.

قوله: (والخَلْق: إيجاد الشيء على تقديرٍ)، «الخَلْق: التقدير، يقال: خلقتُ الأديم للسِّقاء، إذا قدرتَه قبل القطع. ومنه قول زهير:

ولأنـتَ[4] تَـفـري مـا خـلـقـتَ وبـعـ ـضُ الـقـوم يَـخـلُـق ثُـمّ لا يَـفْـرْ»[5]

---

[1] ن: إذ.

[2] ش – تعالى.

[3] ن – لكون "ربّ العالمين" عند فرعون.

[4] ن + ولأنت.

[5] **الصحاح** للجوهري، «خلق». وليس في مطبوعه لفظ «للسِّقاء». والكلام مع لفظ «للسِّقاء» في **تفسير القرطبي**، ٢٢٦/١ (البقرة، ٢١/٢). | والبيت في **ديوان زهير**، ص ٨٢، برواية «ثمّ لا يَفري». والرِّواية التي أوردها الجاربردي روايةُ سيبويه لبيت زهير شاهدًا على حذف الياء في الوقف عند من سكّن الراء ولم يُطلِق القافية، وقال بعد البيت في هذا الحذف: «وإثبات الياءات... أقيَسُ الكلامين. وهذا جائز عربيٌّ كثير». **كتاب سيبويه**، ١٨٥/٤. وأنشد رواية سيبويه ابنُ جنّي في **سرّ صناعة الإعراب**، ٤٧١/٢؛ والزمخشري في **المُفصَّل**، ص ٤٧٨. وهو له برواية **الديوان** في **الزاهر** لابن الأنباري، ٨٨/١؛ و**معاني القرآن الكريم** للنّحّاس، ٣٧٧/١؛ و**الصحاح** للجوهري، «خلق»؛ و**البسيط** للواحدي، ٢١٨/٢ (البقرة، ٢١/٢)؛ و**تفسير الرازي**، ١٠٦/٢ (البقرة، ٢١/٢).

وقرأ أبو عمرو: ﴿خَلَقكُمْ﴾ بالإدغام.

والفَرْي: القطع،[١] يعني: ما تُقدِّره أو تعِدُ به أو تُصوِّره تُتِمُّه ولا تدَعه مُهمَلًا ولا غير تامّ، بخلاف غيرك. «قال الحجّاج:[٢] ما خلقتُ إلّا فريتُ، ولا وعدتُ إلّا وفيتُ».[٣] ويقال: فلان خليق لكذا، أي: هو ممّن يُقدَّر فيه ذلك.[٤] وفي الآية إشارة إلى أنّه تعالى يُوجِد الأشياء بقصد واقتدار لا بطريق الإيجاب. والمشهور في كُتب التفسير أنّ «الخلق: إبداع شيء لم يُسبَق إليه، وكلُّ شيء خلقه الله تعالى[٥] فهو مُبتدِئه / أوّلًا على غير مثال سُبِق إليه».[٦] والذي ذكره المُصنِّف لا ينافي ما ذكروه؛ [١٠٩ظ]
لجواز أن يكون على تقديرٍ واستواءٍ، ويكون إبداعَ شيء لم يُسبَق إليه، إلّا أن ما ذكره المُصنِّف بيان للاشتقاق[٧] اللغويّ. ومعنى الآية: أنّ الله تعالى احتجّ على الناس بأنّه خالقهم وخالق من قبلهم؛ لأنّ الكافرين أيضًا كانوا مُقرّين بذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف ٨٧/٤٣]، فقيل لهم: إذ كنتُم مُعترِفين بأنّ الله خالقكم فاعبدوه، فإنّ عبادة الخالق أولى مِن عبادة المَخلوقين.[٨] قال الإمام:

> الفائدة في قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ أنّ العبادة لا تُستحَقّ إلّا بذلك، فلمّا أَلزَم العبادة بيَّن ما لأجله يلزم العبادة. فإن قيل: فما الفائدة في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، وخَلْق الله مَن قبلهم لا يقتضي وجوب العبادة عليهم؟ قلنا: الجواب مِن وجهين: **الأوّل**: أنّ الأمر وإن كان على ما ذكرتَ، ولكن علمهم بأنّه تعالى خلقهم، كعلمهم بأنّه تعالى[٩] خَلَق[١٠] مَن قبلهم؛ لأنّ طريقة العلم بذلك واحدة. **الثاني**: أنّ مَن قبلهم كالأصول لهم،

---

١ **شرح ديوان زهير** لثعلب، ص ٨٢.

٢ د ش ن: العجّاج. | وأثبتُّ ما في مطبوع **الصحاح**.

٣ **الصحاح** للجوهري، «خلق».

٤ انظر: **الصحاح** للجوهري، «خلق».

٥ ش – تعالى.

٦ **الوسيط** للواحدي، ٩٨/١ (البقرة، ٢١/٢)؛ **البسيط** للواحدي، ٢١٨/٢ (البقرة، ٢١/٢). وفي مطبوعه «ابتداع» بدل «إبداع». وهو مُلخَّص في **معالم التنزيل** للبغوي، ٧١/١ (البقرة، ٢١/٢)؛ **وتفسير الكواشي**، ص ١٩٤ (البقرة، ٢١/٢).

٧ ن: الاشتقاق.

٨ من قوله: "ومعنى الآية" في **الوسيط** للواحدي، ٩٨/١ (البقرة، ٢١/٢)؛ و**البسيط** للواحدي، ٢١٩/٢ (البقرة، ٢١/٢). بتصرُّف يسير، منه أنّ فيهما «احتجّ على العرب» بدل «احتجّ على الناس». والكلام بمعناه في **جامع البيان** للطبري، ٣٨٥/١ (البقرة، ٢١/٢).

٩ ن تعالى.

١٠ ن: خالق.

وقرأ أبو السَّمَيْفَع: "وخَلقَ مَن قبلكم".

وفي قراءةِ زيد بن عليّ رضي الله عنهما: "والذينَ مَنَ قَبلكُم"، وهي قراءةٌ مُشْكِلةٌ، ووَجْهُها -على إشكالها- أن يقال: أَقحم الموصولَ الثانيَ بين الأول وصِلَته تأكيدًا كما أقحمَ جريرٌ في قوله:

يــا تَيــمُ تَيــمَ عَــدِيَ لا أَبــا لَكُــمُ

وخَلْقُ الأصول يجري مَجرى الإنعام على الفروع، فكأنّه تعالى يُذكِّرهم عظيم إنعامه عليهم، فكأنّه تعالى يقول: لا تظنَّ أنّي إنّما أنعمتُ عليكَ حين وُجِدتَ، بل كنتُ مُنعِمًا عليك قبل أن وُجِدتَ بألوف سنين، بسبب أنّي كنت خالقًا لأصولكَ ولآبائكَ.[١]

وقرأه (أبو[٢] السَّمَيفَع) بتكرار "خلق" وحَذْف "الذين" ووَضْع "مَن" الموصول مكانه، قراءة شاذّة.[٣] والسَّمَيفع[٤] بفتح السين والميم، وفي بعض النُّسخ بضمّ السين وفتح الميم. وكذا قراءة زيد بوضع "مَن" الموصول مكان "مِن" الجارّة شاذّة.[٥] وهي[٦] قراءة مُشكِلة؛ لِمَا فيها من الجمع بين الموصولَين، وليس فيها إلّا صلة واحدة. ثمّ شبَّهها[٧] المُصنِّف بقول جرير:

(يـا تَيـمَ تَيـمَ عَـديّ لا أبـا لكـمُ) لا يُلقينَّكـمُ فـي سَـوْءة[٨] عمـرُ
تـعـرّض الـتَّيْـم لـي عـمـدًا لأهجوَهـا كما تعرُّض لاسْت الخارئ الحجرُ[٩]

---

١ انظر: تفسير الرازي، ١٠٩/٢ (البقرة، ٢١/٢).

٢ كذا وقعت في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله، والصواب ابن السميفع، ولعلّ ما وقع من سهو الزمخشري. والمذكور هو محمّد بن عبد الرحمن بن السميفع أبو عبد الله.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن السميفع وطلحة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٤؛ المغني في القراءات للنّوْزاوزي، ص ٣٩١-٣٩٢.

٤ ن: سميفع.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ واليماني. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٤؛ المغني في القراءات للنّوْزاوزي، ص ٣٩٢.

٦ د ن: وهو.

٧ ن - شبهها.

٨ ن: سورة.

٩ البيتان بتقدُّم ثانيهما على الأوّل مع أبيات بينهما في ديوان جرير، ٢١٢/١، ٢١٠. وفيه «لا يُوقعنَّكمُ» بدل «لا يُلقينَّكمُ»؛ و«لِتهجوَني» بدل «لأهجوَها». وهو له في كتاب سيبويه، ٢٠٥/٢؛ والنوادر لأبي زيد، ص ٤١١. وصدره له في المُفصَّل للزمخشري، ص ٦٦. وعمر المذكور هو عمر بن لجأ التيمي، كما سيأتي. وأضاف تيمًا إلى عَديّ بن مناة وهو أخو تيم للتخصيص، واحترز به عن تيم بن مرّة وتيم غالب في قريش، وعن تيم قيس بن ثعلبة، وعن تيم شيبان وعن تين ضبّة. انظر: خزانة الأدب للبغدادي، ٢٩٨/٢.

تيمًا الثانيَ بين الأولِ وما أضيف إليه، وكإقحامهم لام الإضافةِ بين المضاف والمضاف إليه في: لا أبَا لك.

و"لعلَّ" للترَجّي أو الإشْفاق؛ تقول: لعلَّ زيدًا يُكرمُني، ولعلَّه يُهينُني، .....

قوله: "لا أبا لكم" دعاء عليهم، وهو كلمة ذمّ. نُقِل عن المَيدانيّ أنّه إذا قيل: "لا أبا لكم" فلم يُترَك مِن الشتيمة شيء.[1] وقال بعضهم: "لا أبا لك" دعاء للشخص بكونه محسودًا، ثمّ خرج مَخرج التمدُّح. قوله:[2] "لا يُلقينَّكم" من ألقيتُه إذا طرحتَه ورميتَه. قيل: كان عمر بن لَجَأ التيميّ أراد أن يهجوَ جريرًا، فخاطب جرير قبيلة تَيم وقال لهم: لا تتركوا عمر أن يقول شعرًا في هجوي؛ فيُصيبكم شري ومَكري بسبب هجوه.[3] وفي البيت الثاني هجا جرير نفسه أقبح هَجْو؛ لأنّه شبَّه نفسه باست الخارئ.

قوله: **(تيمًا الثاني)** مفعول **(أقحَم)**، والإقحام: إدخال شيء في شيء بشِدَّة وكراهة.

واعلم أنّ مذهب سيبويه أنّ "أبا" في "لا أبا لك" مضاف، واللّام لتأكيد الإضافة،[4] وعند كثير من النحويين أصله "لا أبَ لك"، فشُبِّهت بالمضاف وأُلحِق الألف.[5] نُقِل عن المُصنِّف أنّه قال: فإن قيل: "يا تيم" كلام مفيد بنفسه، فجاز وقوع "تيم" الثاني تأكيدًا للأوّل، بخلاف "والذين" "والذين"[6] في الآية، فإنّه غير مُفيد، فكيف يجوز تأكيده بمَن؟ فالجواب أنّ "الذين" مُفيد أيضًا فائدة الإشارة، وإن كان المُشار إليه مبهمًا؛ ولهذا رجع الضمير إليه، والضمير إنّما يَرجع إلى المُفيد، فإنّك تقول: عرفتُ الذي فعلتَه.

قوله: **("لعلّ" للترجي أو الإشفاق)**،[7] يريد في استعمالاتهم، وأمّا ما هو المراد هنا فسيجيء بيانه قال / المصنِّف في **المُفصَّل**: "لعلّ" «لتوقع مَرجوّ [١١٠و]

---

١ الكلام بلفظ قريب في **مجمع الأمثال** للميداني، ٢٤٢/٢.

٢ ن – قوله.

٣ انظر كلامًا قريبًا ممّا ذكر في **شرح أبيات سيبويه** لابن السيرافي، ١٤٢/١-١٤٣.

٤ انظر: **كتاب سيبويه**، ٢٠٦/٢.

٥ انظر لتفصيل مذاهب النحويين فيها **ارتشاف الضَّرَب** لأبي حيّان، ١٣٠٢/٣-١٣٠٤.

٦ ن – والذين.

٧ ن: والإشفاق.

وقال الله تعالى: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه ٤٤/٢٠] ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى ١٧/٤٢]، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ [الشورى ١٨/٤٢].

أو مَخُوف».[1] قال ابن الحاجب في شرحه: «ولكنّه كثُر[2] في المرجوّ حتّى صار غالبًا عليها».[3] يقال: أشفقتُ منه، أي: حَذِرتُه، ويقال: أشفقتُ[4] عليه فأنا[5] مُشفِق وشفيق، وأصلهما واحد، ولا يقال: شفَقتُ.[6] وقال ابن دريد: «شفَقتُ وأشفقتُ، أي: حاذرتُ. وأنكر جُلّ[7] أهل اللغة ذلك، قالوا: لا يقال إلّا أشفقتُ فأنا مُشفِق. وأمّا قوله:

كما شفَقتْ على الزاد العيالُ[8]

فمعناه: بخلتْ به».[9]

مثال الترجّي قولك: لعلّ زيدًا يكرمني، وقوله تعالى في قصّة فرعون: (﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه ٤٤/٢٠])، كأنّه قال لموسى وهارون: اذهبا أنتما على رجائكما وطمعكما. ومثال الإشفاق قولكَ: (لعلّه يُهينني)، وقوله تعالى: (﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى ١٧/٤٢])، فهذا لتوقُّع[10] مَخوف، والدليل على أنّه للإشفاق[11] قوله تعالى عَقيبه: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ [الشورى ١٨/٤٢]) أي: من الساعة. ففيما ذكر المصنِّف من المثالين والآيتين لفٌّ ونشر على ما بيّنا.

---

١ المُفصَّل للزمخشري، ص ٤٠٠.

٢ ن: كثير.

٣ الإيضاح في شرح المُفصَّل لابن الحاجب، ١٩١/٢.

٤ ن – منه، أي: حذِرته، ويقال: أشفقت.

٥ ن: وأنا.

٦ انظر: الصحاح للجوهري، «شفق».

٧ ن – جلّ.

٨ عجز بيت لجابر بن قَطَن النَّهْشلي في النوادر لأبي زيد، ص ١٨١. وروايته فيه:

فإنّي ذو مُحافظة هضوم
إذا شفَقتْ على الرزق العِيالُ

وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة لابن دريد، «شفق»، ٨٧٤/٢. وصدره فيه:

فإنّي ذو مُحافظة أبيٌّ

٩ انظر: جمهرة اللغة لابن دريد، «شفق»، ٨٧٤/٢. وبعضه في الصحاح للجوهري، «شفق».

١٠ ن: التوقع.

١١ ن: الإشفاق.

وقد جاءت على سبيل الإطْماع في مواضع من القرآن، ولكنْ لأنّه إطْماعٌ من كريمٍ رحيمٍ إذا أطمعَ فَعَل ما يُطمِع فيه لا محالةَ لجَرْيِ إطماعه مَجرى وَعْدِه المحتومِ وفاؤُهُ به= قال مَن قال: إن "لعلّ" بمعنى: "كي"، و"لعلّ" لا تكون بمعنى "كي"، ولكن الحقيقة ما ألقَيْتُ إليك.

قوله: **(وقد جاءت)**، يعني: "لعلّ" بمعنى **(الإطماع)**، وهو: الإيقاع في الطمع، كقوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق ٦٥/١]، وقوله: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام ٦/١٥٥].

قوله: **(ولكنْ لأنّه إطماع)** "لكن" للاستدراك، من قوله: **(جاءت على سبيل الإطماع)**، واللّام مُتعلِّق بقوله: **(قال)**، فكأنّه قال: "لعلّ" يكون للإطماع كثيرًا، ولا يكون البتّة بمعنى "كي". وأمّا مَن قال: إنّه بمعنى "كي"، وهو ابن الأنباريّ،[1] فإنّه قال ذلك؛ لأنّه لمّا رأى ما وقع بعد "لعلّ" في تلك الصور ممّا يقع قطعًا ظنّ العِلّيّة، وتوهَّم أنّ الأوّل سبب للثاني،[2] فلذا وجب وقوعه. وليس كذلك، بل وجوب وقوعه لأحد أمرين: **الأوّل**: أنّ ذلك الإطماع إطماع من الله الكريم الرحيم الذي إذا أوقَع شخصًا في الطمع فعل المطموع قطعًا؛ لأنّ إطماعه مثل وعده، والله لا يخلف الميعاد. ثمّ قال المُصنِّف: **(و"لعلّ" لا تكون بمعنى "كي")** ردًّا على ابن الأنباريّ.

قوله: **(ولكنّ الحقيقة)** استدراك من قوله: **(لا تكون)**.

قوله: **(ما ألَقيتُ)** أي: الذي ألقيتُه[3] **(إليكَ)**. فقوله: **(إذا أطمَع)**... إلخ، صفة **(كريمٍ رحيمٍ)**. والتحقيق أنّه صفة بعد صفة؛ إذ التقدير مِن ربٍّ كريم. وقوله: **(لا مَحالة)** بفتح الميم، بمعنى: لا بدَّ، مِن قولهم: حال يَحول. واللّام في **(لجَرْيِ)** مُتعلِّق بقوله: **(فعل)**. ويقال: "حتَم"، أي: أوجَب. و**(وفاؤه)** قائم مَقام فاعل المحتوم. والضمير من **(وَعدِه)** و"وفاؤه" يعود إلى "كريم"، ومِن **(به)** إلى "وَعدِه".

---

[1] لم أقِف على مَن نسب هذا المذهب إلى ابن الأنباري. وهو مذهب الأخفش في **معاني القرآن**، ٤٤٥/٢. واختاره" ابن مالك في **شرح التسهيل**، ٧/٢-٨، ونبّه على مذهب الأخفش فيه. وعزاه أبو حيّان إلى الكسائي والأخفش وابن مالك وساق كلامهم عليه في **التذييل والتكميل**، ٢٣/٥-٢٤.

[2] ن - للثاني.

[3] ن: لقيته.

وأيضًا فمِن دَيْدَنِ الملوك وما عليه أوضاعُ أَمْرِهم ورسومُهم أن يقتصِروا في مَواعيدهم التي يُوطِّنُون أنفسَهُم على إِنْجازِها على أَنْ يقولوا: "عسى" و"لعلَّ" ونحوَهُما من الكلمات، أو يُخِيلوا إخالةً، أو يُظْفَرَ منهم بالرَّمْزَةِ أو الابتسامَةِ أو النَّظرةِ الحُلوة، فإذا عُثِرَ على شيءٍ من ذلك منهم لم يبقَ للطالب ما عندهم شكٌّ في النَّجاح والفوز بالمطلوب، ....

وقوله: "المَحتومِ وفاؤه" بناء على مذهبه، وأمّا عند أهل السنّة فلا يجب على الله تعالى شيء البتّة.[1]

قوله: (وأيضًا) عطفٌ من حيث المعنى على قوله: "لأنّه إطماع" وهذا هو الأمر الثاني من الأمرين اللذَين أوجَبا وقوع ما بعد "لعلّ"، فكأنّه قال: إنّما يجب وقوعه، أي: وقوع الواقع بعد "لعلّ": إمّا لأنّه إطماع في حُكم الوعد الواجب وفاؤه به، أو لأنّ ذلك الكلام مُخرَج على طريق كلام الملوك، فإنّهم لا يقولون: "لعلَّ أفعلُ كذا" إلّا في مقام العزم[2] الجَزْم والإرادة القاطعة. فقوله: (فمِن دَيْدن) خبر، مبتدأه قوله: (أن يقتصروا). و"الدَّيْدن" و"الدَّيْدان: الدأب والعادة.

قوله: (وما عليه) عطفٌ على "دَيْدن". و"توطين النفس" على الشيء كالتمهيد. وقوله: (على إنجازها) مُتعلّق بقوله: (يُوطِّنون). وقوله: على أن يقولوا مُتعلّق بقوله: "أن يقتصروا". و"الإخالة":[3] الإيقاع في الخيال، أي: الظن والوهم.

قوله: (عُثِر) أي: اطُّلِع.

قوله: (مِن ذلك) أي: مِن قول (عسى)[4] و"الإخالة" و"الإظفار".

قوله: (ما عندهم) "ما" موصولة مفعول (الطالب).

[١١٠ظ] / قوله: (شكٌّ)[5] فاعل (يبقَ).

---

[1] انظر لهذه المسألة **الإرشاد** للجويني، ص ٢٧١.

[2] ن: عدم.

[3] ن: لإحالة.

[4] ن: عيسى.

[5] ن: وشكّ.

فعلى مِثْلِه وَرَدَ كلامُ مالكِ الملك ذي العزِّ والكبرياءِ.

أو يجيءُ على طريق الإطماع دون التحقيق لئلا يَتَّكِلَ العبادُ؛ كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [التحريم ٦٦/٨].

فإن قلتَ: فـ﴿لعلَّ﴾ التي في الآية ....

قوله: **(فعَلى مِثْله)** أي: فعَلى مِثْل ما ذكرنا، وهو أن يكون قول "لعلّ" بعد الجزم بوقوعه كما هو عادة الملوك. وقوله: "على" مُتعلِّق بقوله:[1] **(ورَد)**. والمُصنِّف وصفه تعالى هنا بقوله: **(مالك المُلْك[2] ذي العزّ والكبرياء)**؛ للمناسبة ولتقرير وتحقيق أنّ كلامه وارد مَورد كلام المُلوك.

قوله: **(أو يجيء)**... إلخ، عطف على جملة قوله: "فعلى مِثْله ورَد" من حيث المعنى، فكأنّه قال" ورَد "لعلّ" في كلام الله تعالى في تلك المواضع بلفظ الإطماع، إمّا على طريق كلام المُلوك كما عرفتَ، أو لئلّا يتَّكلوا.[3] وقوله: "تجيء" بالتاء والياء: أمّا التاء فلاعتبار كلمة "لعلّ"، وأمّا الياء فلقوله: (كلام). وذُكِر في بعض **الحواشي** أن قوله: "يجيء" بالياء عطف على "ورَد"، وفي بعض النُّسخ بالتاء مُتعلِّقًا بقوله: "قد جاءت"، ثمّ ذَكر أنّ الثاني أَوْجَه. وأنا أقول: أمّا عطفه على "جاءت" فمعناه وتقديره: قد جاءت على سبيل الإطماع؛ للوجهين المذكورين، أو تجيء على طريق الإطماع؛ لئلّا يتّكل؛ وأمّا عطفه على "ورَد" فلا وجهَ له،[4] إذ لا يصحُّ أن يقال: فعَلى مِثْله تجيء على طريق الإطماع.

قوله: **(فـ"لعلّ")** جزاءُ شرط محذوف، أي: إذا كان معنى "لعلّ" هي المعاني التي ذُكِرت فما معناها في هذه الآية وما موقعها؟ أي: أهِيَ واقع موقع الحقيقة أم واقع موقع المجاز. ثمّ إنّه وصف "لعلّ" بقوله: **(التي)** باعتبار الكلمة أو اللفظة،

---

١ ن: بقوله.

٢ ن: الملوك.

٣ ن: يتكلّموا.

٤ ن – له.

ما معناها، وما موقعُها؟

قلتُ: ليست ممّا ذكرناه في شيءٍ؛ لأنَّ قوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لا يجوز أن يُحملَ على رجاءِ الله تَقْواهم؛ لأنَّ الرجاء لا يجوز على عالِمِ الغيب والشهادة، وحَمْلُه على أن يخلقهم راجينَ للتَّقوى ....

وهو بهذا التأويل كأنّه اسم؛ ولذا وقَع مبتدأ. وقوله: (ما[1] معناها؟) خبره، وهو مثل قولكَ: "مِن" حرف جرّ، و"ضربَ" فعل ماضٍ.

قوله: (ليست ممّا ذكرناه في شيء) اسم "ليس" ضميرٌ مستتر فيه عائد إلى "لعلّ"، وخبره[2] قوله: "في شيء". وقوله: "ممّا ذكرناه" حالٌ: إمّا من اسم "ليس"، أي: ليست "لعلّ" مُبتدئةً ممّا ذكرناه مِن المعاني في شيء من المعنى؛ وإمّا مِن الضمير المستتر في قوله: "في شيء"، وهو الضمير المُتحوِّل[3] إليه العائد إلى اسم "ليس". ويلزَم ممّا ذكرناه وقوع اسم "ليس" ذا الحال، أو تقدُّم الحال على العامل المعنويّ.

قوله: (لأنَّ قوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾)... إلخ تعليلٌ لقوله: "ليست ممّا ذكرناه في شيء"، فنقول: المعاني التي ذكر هي: الترجّي والإشفاق والإطماع، أمّا الإشفاق والإطماع فظاهر انتفاؤهما؛ فلذلك لم يتعرَّضهما، وبيّن أنّه لا يجوز أن يُحمَل على الترجّي؛ لأنّ الترجّي[4] -وهو توقُّع المرجوّ- إنّما يجوز على مَن لا يَعلم العاقبة؛ فلا يجوز الترجّي على الله تعالى[5] العالم الذي لا تخفى عليه خافية،[6] يَعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون، فلا يجوز أن يقال: خلق الله الخَلْق في حال رجاءِ الله تقواهم.

قوله: (وحَمْلُه)... إلخ، جوابُ سؤال مُقدَّر، وهو أن يقال: سلّمنا أنّ قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، لا يجوز حَمْلُه على رجاء الله تقواهم

---

[1] ن: أما.
[2] ن: خبره.
[3] ن: المتحرّك.
[4] ن - لأنّ الترجّي.
[5] د - تعالى.
[6] ن: خاصّة.

ليس بسَديدٍ أيضًا.

ولكنّ ﴿لعلَّ﴾ واقعةٌ في الآية موقعَ المجاز لا الحقيقة؛ لأن الله عزَّ وجلَّ

فلِمَ لا يجوز حمله[١] -أي: حمل قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ﴾... إلخ- على أن يَخلُق الخَلْق حالَ كونهم راجين للتقوى؟ فأجاب: بأنّ حَمْله على هذا المعنى أيضًا[٢] (ليس بسديد) أي: ليس[٣] بمُستقيم؛ وذلك لأنّهم ما كانوا راجين للتقوى وقتَ خَلْق الله إيّاهم. فإن قلتَ: لِمَ لا يجوز أن يكون حالًا مُقدَّرة، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر ٧٣/٣٩]، أي: مُقدِّرين الخلود؟ قلتُ: لا يجوز ذلك أيضًا؛ لأنّه لا يصحّ أن يقال: إنّه تعالى خلقهم حالَ كونهم مُقدِّرين الرجاء كما يصحّ أن يقال: ادخلوها مُقدرّين الخلود[٤] لأنفسهم، وهو ظاهر.

قوله: (ولكنّ "لعلّ") استدراكٌ مِن قوله: "ليست ممّا ذكرناه في شيء"، وإشارةٌ[٥] إلى الجواب عن قوله: "ما موقعه؟"، أي: مَوْقع "لعلّ" هنا / مَوْقع المجاز. [١١١و]
وتقريره[٦] أن نقول: قد ذكرنا فيما مرَّ أنّ الاستعارة لا تقع في الحرف إلّا بالتبعيّة، وذلك بتقدير الاستعارة في مُتعلَّق معناه، فإذا أردتَ استعارة "لعلّ" لغير معناها قدّرت الاستعارة في معنى الترجّي ثمّ استعملت "لعلّ" هناك، أي: في غير معنى "لعلّ"، مثل أن تبنيَ الكلام على أصول المعتزلة فتقول: الله تعالى حكيم لا يجوز أن يكون في أفعاله عَبَث، بل جميع ذلك حكمة وصواب مفعولٌ لغرض صحيح، ما خلق الإنسان إلّا لغرض أن يُحسِن إليهم، وقد ركَّب فيهم الشهوة الحاملة على فِعْل ما يجب تركه مِن المعاصي والنُّفرة الحاملة على تَرْك ما يجب فِعْله من الطاعات، وجَعْله عاقلًا وأَوْدَع في عقله مُضادّة[٧] حُكم الشهوة، فوقع الإنسان لذلك في الحَيْرة؛ إن اتّبع العقل وقَع مِن النفس المُشتهيَة النافرة[٨] في عَناء،

---

١ ن - على رجاء الله تقواهم فلِمَ لا يجوز حمله.
٢ ن - أيضًا.
٣ ن ش - ليس.
٤ ن - قلتُ: لا يجوز ذلك أيضًا؛ لأنّه لا يصحّ أن يقال: إنّه تعالى خلقهم حالَ كونهم مُقدِّرين الرجاء كما يصحّ أن يقال: ادخلوها مُقدرّين الخلود.
٥ ن: وأشار.
٦ ن: وتقرير.
٧ ن: مضارّة.
٨ ن: المتنافرة.

خَلقَ عبادَه ليتعبَّدهم بالتكليف، ورَكَّبَ فيهم العقولَ والشهواتِ، وأزاح العلَّة في إقدارهم وتمكينهم، وهَدَاهُم النَّجْدَيْنِ، ووضَع في أيديهم زمامَ الاختيار، وأراد منهم الخيرَ والتقوى، ....

وإن اتَّبع النفْس وقَع من العقل الناهي الآمر في عَناء، وما أوقعه الله تعالى في تلك الحيرة سَفَهًا ولا عَبثًا -تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا- وإنّما فعَل ذلك؛ لغرض أن يُحسِن إليه، وهو أن يُكلِّفه فيتمكَّنَ الإنسانُ بسبب ذلك التكليف من اكتساب السعادات التي لا تَفي بذِكرها الأوصاف، ممّا لا عَين رأتْ ولا أُذُن سمعت ولا خَطر على قلب أحد، ممّا لا يَحسُن أن يفعله الله تعالى في حقّه ابتداء، أي: من غير أن تصدُر منه طاعة يَستحقّ بسببها[1] تلك السعادات، ولذلك وضع زمام الاختيار في يده، ومكَّنه من فعل الطاعة والمعصية، وأراد منه أن يختار الطاعة المُثمِرة لتلك السعادات الأبديّة.

وإذا بنيتَ الكلام على الأصل المذكور قلتَ: شبَّه[2] حال المُكلَّف المُمَكَّن[3] من فِعل الطاعة والمعصية -مع أن الإرادة منه أن يُطبَع مختارًا- بحال المُرتجي المُخيَّر بين أن يفعل وألّا يفعل، ثمّ استُعير "لعلّ" لجانب المُشبَّه، وجُعِل قرينةُ الاستعارة عِلمَ الله تعالى[4] العالم الذي لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض، فقيل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

فقوله: (**ليتعبَّدهم**) أي: ليطلُب منهم العبادة بسبب التكليف الذي يُورِده عليهم. يقال تعبَّده، أي: استعبده. و"الإزاحة": الإبعاد. وقوله: (**في إقدارهم**) ظرف (**أزاح**)؛ لأنه لمّا أَقْدَرهم ومكَّنهم[5] ارتفع العلَّة، فلم يبقَ عِلّة يعتلُّون بها، بأن يقولوا: ما كنا قادرين. والنَّجْد: الطريق، و(**النجدَين**) طريقَي[6] الخير والشرّ.

---

[1] ن: بها.
[2] ن: سنة.
[3] ن: التمكن.
[4] ن - تعالى.
[5] ن: أمكنهم.
[6] ن - طريقي.

فهم في صورةِ المرجوِّ منهم أن يتَّقوا لِترجُّح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصْيان؛ كما ترجَّحَتْ حالُ المُرْتَجي بين أنْ يَفعلَ وأنْ لا يَفعل، ومِصْداقُه قولُه عزَّ وجل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك ٦٧/٢] وإنما يَبْلو ويختَبِرُ مَن تخفَى عليه العواقِبُ، ولكنْ شُبِّه بالاختبار بناءُ أمرهم على الاختيار.

قوله: (أن يتَّقوا) قائم مقام فاعل المَرجوّ.

قوله: (لترجُّح)[١] مُتعلِّق بقوله: (في صورة)، و"الترجُّح"[٢] التردُّد.

قوله: (بين الطاعة) ظرفُ قوله: "لترجُّح".[٣] (وهم مُختارون) حالٌ من المُضاف إليه في (أمرِهم)؛ لأنّه في معنى الفاعل.[٤] وقوله: (بين أن يَفعل) ظرف (ترجَّحت).

قوله: (مِصداقه) أي: ما يدلُّ على صِدْق ما ذكرنا قوله تعالى: (﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ [المائدة ٥/٤٨]).

قوله: (ولكن شُبِّه) استدراك عن قوله: (وإنّما يبلو)، فكأنّه قال: ليس هذا[٥] ابتلاء بالحقيقة؛ لأنّه إنّما يبلو مَن لا يعرف الحال، لكن لمّا جَعَلهم مُختارين بين الفعل والترك مع الإرادة منهم فِعْلَ الخيرات شَبَّه حالهم بحال مَن يكون مُختبَرًا، أو شبَّه حال مَن جَعَلهم مُختارين على الوجه المذكور بحال مَن يُختبَر.

واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يَحتمِل أن يكون مُتعلِّقًا بقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾، ويَحتمِل أن يكون مُتعلِّقًا[٦] بقوله: ﴿اعْبُدُوا﴾: فإن كان مُتعلِّقًا بقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ فالمعنى: خَلَقكم ليتعبَّدكم[٧] بالتقوى، مِصداقُه قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥١/٥٦]، وهو مُوافق لمذهب المعتزلة؛ فلذا اختاره المُصنِّف، وحَمَله على الوجه الذي مرّ تقريره. وإن كان مُتعلِّقًا بقوله: ﴿اعْبُدُوا﴾ فمعناه: اعبدوا على رجاء وطَمَع أن تتَّقوا بعبادتكم / عقوبةَ [١١١ظ]
الله تعالى أن تحلّ بكم. قال الإمام:

---

١ ن: ليترجَّح.
٢ ن: الترجُّح.
٣ ن: ليترجَّح.
٤ ن + لأنّه في معنى الفاعل.
٥ ش ن: هنا.
٦ ن - بقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾، ويَحتمِل أن يكون مُتعلِّقًا.
٧ ن: يستعبدكم.

فإن قلتَ: كما خلَق المخاطَبين لعلَّهم يتَّقون فكذلك خلَق الذين مِن قبلِهم لذلك، فَلِمَ قَصَرَه عليهم دون مَن قبلَهم؟

قلتُ: لم يَقصُرْه عليهم، ولكن غلَّبَ المخاطَبين على الغائبين في اللفظ

إذا كانت العبادة تقوى فقوله: ﴿اَعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ جارٍ مَجرى قوله: اعبدوا ربَّكم لعلَّكم تَعبُدون، واتَّقوا ربَّكم لعلكم تتَّقون. ثمّ قال: والجوابُ أنّا لا نُسلِّم[١] أنّ العبادة نفسُ التقوى، بل العبادة فِعل تحصل به التقوى؛ لأنّ الاتّقاء هو: الاحتراز عن المَضارّ. والعبادة: فعل المأمور به، ونفْس هذا الفعل ليس هو نفْس الاحتراز، بل يُوجِب الاحتراز، فكأنّه تعالى قال: اعبدوا ربَّكم؛ لتَحترِزوا به عن عِقابه. وإذا قيل في نفْس الفعل: "إنّه اتّقاء" فذاك مجاز؛ لأنّ الاتّقاء غيرُ ما يحصل به الاتّقاء، لكن لاتّصال أحد الأمرين بالآخر أجرى اسمه عليه.[٢]

قوله: **(كما خلَق المُخاطَبين)**... إلخ، اعلم أنّه لو لم يَذكُر قوله: **(فكذلك)**[٣] في هذا البَيْن لكان المعنى واضحًا؛ إذ الكاف في "كما" صفةُ مصدر محذوف لقوله: **(خلق الذين)**، و"ما" مصدرية، والتقدير: خلق الذين من قبلهم لذلك، أي: لعلَّهم يتَّقون خَلْقًا مثل خَلْق المُخاطَبين لعلَّهم يتّقون. وإذا[٤] ذكَره[٥] فنقول في بيانه: قوله: "كذلك" خبرُ مبتدأ محذوف، و"ذلك" إشارة إلى خَلْق المُخاطَبين لعلَّهم يتَّقون، والتقدير: فخَلْق الذين من قبلهم كذلك، أي: مِثْل خَلْق المُخاطَبين، فكأنّه قال: عُلِم ممّا ذكرنا أنّ خَلْقهم كخَلْقهم، وإذا كان كذلك فلِمَ قصَر قوله تعالى:[٦] ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ على المخاطبين دون مَن قبلهم؟ يعني: لِمَ[٧] لمْ يقُل: خلَقكم لعلّكم تتَّقون وخلَق الذين مِن قبلكم لعلّهم[٨] يتَّقون؟

قوله: **(لم يقصُره)** أي: لم يقصُر قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ على المُخاطبين، بل هو شامل للمُخاطَبين والغائبين، لكن غُلِّب المُخاطَبون في اللفظ.

---

١ د: لا نم. [اختصارًا من "لا نُسلِّم"].
٢ انظر: **تفسير الرازي**، ٢/١١٠ (البقرة، ٢/٢١).
٣ ن: فلذلك.
٤ ش: وإذ.
٥ ن: واذكروه.
٦ د ش – تعالى.
٧ ن – لِمَ.
٨ ن – لعلّهم.

والمعنى على إرادتِهم جميعًا.

فإن قلتَ: فهلّا قيل: تعبدُون؛ لأجل ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾، أو: اتَّقوا؛ لمكان ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ ليتجاوَبَ طرَفا النَّظْمِ.

قوله: **(والمعنى)** مبتدأ، خبره **(على إرادتهم)** أي: إرادة المُخاطَبين والغائبين.

واعلم أنّ باب التغليب باب واسع يجري في كلّ فنّ. قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [هود ١١/١٢٣]، بتاء الخِطاب، أي: أنت يا محمّد وجميع الخلائق. وقال: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ﴾ [الشورى ٤٢/١١]، فقوله تعالى: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ﴾ -أي: يُكثِّركم- خِطابٌ شامل للعقلاء والأنعام، غُلِّب فيه المُخاطَبون على الغائبين، والعقلاء على ما لا يعقل. وقال: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [النمل ٢٧/٥٥]، بتاء الخِطاب، غُلِّب جانب "أنتم" على جانب "هم". وقال تعالى[1] حكاية عن قوم[2] شُعَيب: ﴿لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾ [الأعراف ٧/٨٨]، أُدخِل شُعَيب في ﴿لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ بحُكم التغليب، ولو لم يُحمَل على التغليب لا يَستقيم؛ لأنّ شُعَيبًا لم يكن في مِلّتهم كافرًا مِثْلَهم، فكيف يُمكن في حقّه العَود؟ وكذا قوله: ﴿إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم﴾ [الأعراف ٧/٨٩]. وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ [الأعراف ٧/٨٣]، وفي موضع آخر: ﴿وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم ٦٦/١٢]، عُدَّت الأنثى مِن الذكور بحُكم التغليب. وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ [البقرة ٢/٣٤]، عُدَّ إبليس من الملائكة بحُكم التغليب، كما عُدَّ الأنثى مِن الذكور. ومن هذا الباب قولهم: "أبوان" للأب والأم، و"قمران" للشمس[3] والقمر، و"خافقان" للمَغرِب والمَشرِق، مِن الخُفوق وهو الغُروب.[4]

قوله: **(فهلّا قيل: تعبدون)** لمّا جعَل المُصنِّف قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾

---

١ ن - تعالى.

٢ ن: قوله.

٣ ن: الشمس.

٤ من قوله: "واعلم أنّ باب التغليب" إلى هنا بلفظ قريب في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٣٤٨-٣٤٩.

قلتُ: لَيسَتِ التَّقْوَى غَيرَ العِبَادَةِ حتَّى يؤدِّيَ ذلك إلى تَنافُرِ النَّظْمِ، وإنَّما التَّقْوى قُصارَى أَمْرِ العَابد ومُنتهَى جَهده، فإذا قال: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ للاستيلاء على أَقْصى غايات العبادة، كان أبعثَ على العبادة وأشدَّ إلزامًا لها وأثبتَ لها في النفوس.

مُتعلِّقًا بقوله: ﴿خَلَقَكُمۡ﴾[1] أورد سؤالًا، وهو أنّه: كان المُناسب أن يقال: اعبدوا ربَّكم الذي خلقكم لعلّكم تعبدون، أو أن يقال: اتَّقوا ربَّكم الذي خلقكم لعلَّكم تتَّقون، ليكون المعنى اعبدوا الله الذي خلقكم لأجل العبادة، أو اتّقوا الله تعالى[2] / الذي خلقكم لأجل التقوى، يعني: لمّا خلَقكم لأجل العبادة فعليكم أن تعبدوه،[3] أو لمّا خلقكم لأجل التقوى فعليكم أن تتَّقوا، فحينئذٍ يكون طرفا الكلام -أعني: أوّله وآخره-[4] مُتناسبين، ولا تناسُب أن يقال: اعبدوا الله الذي خلَقكم لأجل التقوى، بل يكون طرفا التركيب حينئذٍ مُتنافرين؛ لأنّ خَلْقهم لأمر[5] لا يقتضي الإتيان بأمر آخر. وأجاب المُصنِّف: بأنّ المذكور في القرآن المجيد أبلغُ ممّا ذكرتَ؛ لأنّ التقوى أقصى غايات العبادة، فكأنّه قال: اعبدوا الذي خلقكم لأقصى غايات العبادة. ويقال: "قُصاراك أن تفعل ذاك" بالضمّ، و"قَصاراك أن تفعل ذاك" بالفتح، وقصرُك أن تفعل ذاك، أي: غايتكَ وآخر أمرك وما اقتصرت عليه.[6] [١١٢و]

قوله: (للاستيلاء)[7] مُتعلِّق بـ(﴿خَلَقَكُمۡ﴾). «و"استولى على الأمد"، أي: بلَغ الغاية».[8]

قوله: (كان) جواب (إذا).

قوله: (لها) أي: للعبادة.[9] و"الخريطة": وِعاء من أَدَم وغيره يُشرَج على ما فيها،

---

١ ن: ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾.

٢ ش - تعالى.

٣ ن: تعبدوا.

٤ ن: وآخر.

٥ ن: لأمرين.

٦ انظر: الصحاح للجوهري، «قصر».

٧ ن: الاستيلاء.

٨ انظر: الصحاح للجوهري، «ولي».

٩ ن: العبادة.

ونحوُه أن تقول لعبدك: إحْمِلْ خريطةَ الكتُب فما مَلَكَتْكَ يميني إلّا لجرِّ الأَثْقالِ، ولو قُلتَ: لحَملِ خرائط الكتب، لم يقعْ ذلك مِن نفسِه ذلك الموقِعَ.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قدَّم سبحانه من مُوجِبات عبادته ومُلْزِمَات حقِّ الشكر له ....

يقال: أخرطتُ الخريطة، أي: أشرجتُها.[١] وشَرَجُ العَيْبة[٢] بفتح الراء: عُراها،[٣] وأَشرَجتُ[٤] العَيْبة إذا داخلتَ[٥] بين أشراجها.[٦]

قوله: (مِن نفْسه) أي:[٧] نفْس عبدك، وكأنّ المُصنِّف يُشير بقوله: (ليس[٨] التقوى غيرَ[٩] العبادة)... إلخ، إلى ضَعْف قَول مَن قال: إنّ قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ مُتعلِّق بقوله تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾؛ إذ يصير المعنى: اعبدوا ربَّكم لعلَّكم تَعبُدون، واتَّقوا ربَّكم لعلَّكم تتَّقون. لكن ما نقلناه عن الإمام يدفع ذلك،[١٠] على ما عرفتَ. وأيضًا[١١] فكلام المُصنِّف يدفع الضعف؛ لصِحّة أن يقال: اعبدوا ربَّكم لتبلغوا درجة التقوى، وهي قُصارى أمر العابد.

قوله: (قدَّم)... إلخ، اعلم أنّ الله تعالى ذكر ههنا[١٢] خمسة أنواع من الدلائل: اثنين[١٣] من الأنفُس، وثلاثة من الآفاق. فبدأ **أوّلًا** بقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾، **وثانيًا** بالآباء والأمهات، وهو ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، **وثالثًا** بكون الأرض فراشًا، **والرابع** بكون السماء بناء، **وخامسًا** بالأمور الحاصلة من مجموع السماء والأرض، وهو قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ وأمّا هذا الترتيب؛

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «خرط».
٢ ن: الغيبة.
٣ ن: غيراها.
٤ ن: أو شرجتُ.
٥ ن: أدخلت.
٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «شرج».
٧ ن + من.
٨ في مطبوع **الكشّاف** وما راجعته من أصوله: ليست.
٩ ن: عين.
١٠ مضى نقله كلام الإمام الرازي آنفًا.
١١ ن: أيضًا.
١٢ ن: منها.
١٣ ن: آيتين.

خَلْقَهم أَحْياءً قادرين أَوَّلًا؛ ....

فلأنّ خَلْق المُكلَّفين أحياءً قادرين أصلٌ لجميع النِّعَم، وسبب لتمكُّنهم من العبادة والشكر، وأيضًا فإنّ أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسُه، وعِلمه بأحوال نفسه أظهرُ من علمه بأحوال غيره، وإذا كان الغرض من الاستدلال إفادة العِلم، فكلّما كان أظهر دلالة كان أقوى إفادة وكان أولى بالذِّكر، فلا جرَم قدَّم ذِكر نفْس الإنسان، ثمّ ثنّاه[١] بآبائه وأمهاته، وأيضًا فإنّ كلَّ ما في السماء والأرض مِن دلائل الصانع فهو حاصل في الإنسان وحصل في الإنسان من الدلائل ما لم يحصُل فيهما؛ لأنّ الإنسان حصل فيه الحياة والقُدرة والشهوة والنَّفرة[٢] والعِلم والعقل، وكلُّ ذلك ممّا لا يقدر عليه أحد سوى الله تعالى، فلمّا كانت وجوه الدلالة ههنا أتمّ كان أولى بالتقديم. ثمّ ثلَّث بالأرض؛ لأنّه مكانهم ومَسكنهم ولا بدَّ لهم منه، إذ لا بدَّ للجسم من المكان، ولأنّ الأرض أقرب إلى الإنسان من السماء، والإنسان أعرف بحال الأرض منه بحال السماء. ثمّ ذكر السماء؛ لأنّه كالخيمة المضروبة على المَسكن فهو تتمّة المكان. وأيضًا قدَّم ذِكر السماء على نزول الماء من السماء وإخراج الثمرات بسببه؛ لأنّ ذلك كالأمر[٣] المُتولِّد من السماء والأرض، والأثر مُتأخِّر عن المُؤثِّر؛ / فلهذا السبب أخَّر الله تعالى ذِكره عن ذِكر الأرض والسماء.[٤] [١١٢ظ]

فقوله:[٥] (خَلْقَهم) منصوب؛ لأنّه مفعول "قَدَّم"، وهو مصدر مُضاف إلى المفعول وهو الضمير، وهو عائد من حيث المعنى إلى مفعول "خلَق"[٦] وهو الضمير[٧] المنصوب وما عُطِف عليه وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾. وقوله: (أحياءً قادرين) مفعول ثانٍ لـ"خَلْقَهم" بتضمينه معنى "جَعْلهم"، ولا يحسُن أن يكون حالًا؛ إذ لا يصِحُّ أن يقال: خلَقهم حالَ كونهم أحياءً قادرين.

---

١ ن: بناه.

٢ ن: النقوة.

٣ ن: الأثر.

٤ ن – والسماء. | من قوله: "اعلم أنّ الله تعالى" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٢/١١١–١١٢ (البقرة، ٢/٢٢).

٥ ن: وقوله.

٦ في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ﴾، في الآية السالفة.

٧ ن – وهو عائد من حيث المعنى إلى مفعول "خلَق" وهو الضمير.

لأنّه سابقةُ أصول النِّعم ومقدِّمَتُها، والسَّببُ في التمكُّن من العبادة والشكرِ وغيرهما، ثمّ خَلْقَ الأرض التي هي مكانُهم ومُستَقَرُّهُم الذي لا بدَّ لهم منه، وهي بمنزلةِ عَرْصَة المَسْكن ومُتَقَلَّبِهِ ومُفْتَرَشِهِ، ....

قوله: **(لأنّه)** تعليل "قدَّم" مُتعلِّق به.[1]

قوله: **(مُقدِّمتها)** أي: مُقدِّمة أصول النِّعم، فإنّ نعم الله تعالى كثيرة، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل ١٦/١٨]، وهذه الخمسة أصولها، ومُقدِّمة هذه الخمسة هي خَلْقُهم أحياء قادرين.

قوله: **(والسبب)** عطف على قوله: **(سابقة)**.

قوله: **(والشكر)** عطف على **(العبادة)**.

قوله: **(وغيرِهما)** بالجرّ، أي: غير العبادة والشكر.

قوله: **(ثمّ خلَق الأرض)** عطفٌ على قوله: "خَلْقَهم" وهو أيضًا مصدر مُضاف إلى المفعول، والتقدير: ثمّ قدَّم خَلْق الأرض على خَلْق السماء وإنزال المطر، والمضاف محذوف، أي: ثمّ قدَّم ذِكر خَلْق الأرض، وكذا في قوله: "خَلْقهم". ويجوز أن يكون هذا من قبيل:

علفتُه تِبْنًا وماءً باردًا[2]

فيكون التقدير: قدَّم خَلْقهم، أي: ذِكْر خَلْقهم، ثمّ ذَكر خَلْق الأرض. والضمير من قوله: **(منه)**[3] عائد إلى **(الذي)**.

قوله: **(وهي)** أي: الأرض، والمُراد بـ"المَسكَن" ما هو أخصُّ من المكان والمُستقَرّ، وهو المجموع المُركَّب من الخيمة المضروبة والمُستقَرّ، أو من السقف والجدار والمُستقَرّ، أي: "العَرْصة"، فلذا أضاف العَرْصة إليه أوّلًا، ثمّ أضاف المُتقلَّب والمُفترَش إليه ثانيًا. و"المُتقلَّب" موضع التقلُّب.[4] و"المفترش"

---

[1] ن - به.
[2] مضى بتخريجه في تفسير سورة البقرة، ٧/٢، بلفظ: «علفتها...».
[3] ن - منه.
[4] ن: القلب.

ثمّ خَلَقَ السماء التي هي كالقُبَّةِ المضروبة والخيمة المُطَنَّبَةِ على هذا القَرار، ثمّ ما سوَّاه عزَّ وجل من شَبَهِ عَقْدِ النكاح بين المُقِلَّةِ والمُظِلَّة ....

موضع الافتراش. قال في **الصحاح**: «**العَرْصة: كلُّ بُقعة بين الدُّور واسعة** ليس فيها بناء، والجمع العِراص والعَرَصات».[١] **وقال في المُجمَل**: «**التعريص**: الاضطراب، ومنه قيل: رمح[٢] عرّاص.[٣] **والعرّاص أيضًا: السحاب ذو الرعد** والبرق. ويقال: إنّه سُمِّي بذلك؛ **لأنّ الريح تجيء به، فسُمّي لاضطرابه عرّاصًا**.[٤] وعَرْصة الدار: وسَطها، **سُمِّيت لاضطراب الصبيان إذا لعبوا فيها. ويقال لكلّ** جَوْبة مُنفتِقة ليس فيها بناء: عَرْصة».[٥]

قوله: (**ثمّ خلَق السماء**) **عطف على "خَلْقَهم" على الوجه المذكور**. و"خِباءٌ مُطنَّبٌ"، أي: مُشدَّدٌ بالأطناب. و(**القرار**): **المُستقَرُّ من الأرض**.[٦]

قوله: (**ثمّ ما سوَّاه**) أي: **رتَّبه عطف أيضًا على قوله: "خَلْقَهم"**. **ولا بدَّ فيه** أن يكون من قبيل:

علفتُه تِبْنًا وماءً باردًا[٧]

إذ لم يُقدِّمه في هذه الاستدلالات على شيء.

قوله: (**من شِبه**) بيان "ما". و(**المُقِلَّة**): **الأرض**، و(**المُظِلَّة**): **السماء. يقال**: أقلَّ، أي: أطاق الحَمل، وأظلَّ، أي: أوقع الظِّلَّ. **قال أبو بكر رضي الله تعالى** عنه:[٨] «أيُّ سماء تُظلُّني وأيُّ أرضٍ تُقلُّني إذا قلتُ في دين الله برأيي؟».[٩]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «عرص».

٢ د: ريح. | وأثبتُّ ما في بقية النُّسخ، وما في مطبوع **المُجمَل**.

٣ ن: أعراص.

٤ ن: عراصًا.

٥ **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «عرص».

٦ ن - من الأرض.

٧ مضى آنفًا.

٨ د - رضي الله تعالى عنه.

٩ **المُصنَّف** لابن أبي شيبة، ٤٩٩/١٥ (٣٠٧٢٧). بلفظ «... إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم»؛ **جامع البيان** للطبري، ٧٢/١ (المُقدِّمة). بلفظ «... إذا قلت في القرآن ما لا أعلم»؛ **الكشف والبيان** للثعلبي، ٤٤٤/٢٨-٤٤٥ (عبس، ٣١/٨٠). **بلفظ المُصنَّف**؛ **شُعب الإيمان** للبيهقي، ٥٤٠-٥٤١ (٢٠٨٢) بلفظ «... إذا قلت في كتاب الله برأيي»؛ **الكشّاف** للزمخشري، (عبس، ٣١/٨٠). وانظر لتفصيل تخريجه **تخريج أحاديث الكشاف** للزَّيلَعي، ١٥٧/٤-١٥٨.

بإنزال الماء منها عليها، والإخراجِ به من بطنها أشباهَ النَّسْل المُنتَج من الحيوان من ألوان الثِّمار رزقًا لبني آدم؛ ليكون لهم ذلك مُعتَبَرًا ومُتَسَلَّقًا إلى النظر الموصِل إلى التوحيد والاعتراف، ونعمةً يتعرَّفونها فيقابلونها بلازِمِ الشكر، ويتفكَّرون في خَلْق أنفسهم وخَلْقِ ما فوقهم وتحتهم، وأنّ شيئًا من هذه المخلوقات كلِّها لا يَقْدِرُ على إيجاد شيءٍ منها، فيتيقَّنوا ....

قوله: (**بإنزال**) مُتعلِّق بـ"سوّاه".

قوله: (**منها**) أي: من "المُظِلَّة". (**عليها**) أي: على "المُقِلّة".

قوله: (**والإخراج**) عطفٌ على قوله: "إنزال".

قوله: (**به**)[١] أي: بالإنزال من بطنها، أي: من بطن "المُقِلّة".

قوله: (**أشباه**) مفعول "الإخراج".[٢] وقوله: (**من الحيوان**) مُتعلِّق بـ(**المُنتَج**).[٣] وقوله: (**من ألوان**) بيانُ "أشباه".

قوله: (**ليكون**) قيل: هو مُتعلِّق بقوله: "قدَّم".[٤] والأَولى أن يقال: إنّه مُتعلِّق بفعل دلَّ عليه الكلام المُتقدِّم، أي: إنّما ذكر هذه الأشياء مُترتبةً ليكون...

قوله: (**مُعتَبَرًا**) هو موضع الاعتبار. و"المُتسلَّق" موضع / الصعود. يقال: [١١٣و]
تسلَّق الجدار، أي: صَعِده.[٥] و(**النظر**): الفِكر. وإنّما ذَكر التسلُّق؛ لأنّه يتدرَّج من محلّ إلى محلّ.

قوله: (**نعمةً**) عطفٌ على قوله: "مُعتَبَرًا".

قوله: (**فيُقابلونها**) عطفٌ على (**يتعرَّفونها**)، والضمير منهما عائد إلى "النعمة".

قوله: (**بلازم الشكر**) أي: بالشكر اللازم. و(**يتفكَّرون**) عطف على "يتعرَّفون".

قوله: (**وأنّ**) عطفٌ على (**خَلْق**) أي: في أنّ.

قوله: (**فيتيقَّنوا**) نصبٌ؛ لأنّه عطفٌ على قوله: "ليكون".

---

١ ن: رأى.

٢ ن: لإخراج.

٣ في مطبوع **الكشّاف**: المنتج. | وأثبت ما في حاشية الجاربردي وما راجعته من أصول **الكشّاف**.

٤ هذا الوجه في **فتوح الغيب** للطِّيبي، ٢/٣٠١.

٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «سلق».

عند ذلك أنْ لا بدَّ لها من خالقٍ ليس كمثلِها، حتّى لا يجعلوا المخلوقاتِ له أندادًا وهم يعلمون أنها لا تقدرُ على نحوِ ما هو عليه قادِرٌ.

قوله: (عند ذلك) أي: عند تفكُّرهم في خَلْق أنفسهم، وفي أنّ شيئًا.

قوله: (ألّا بدَّ) مفعول قوله: "فيتيقَّنوا".

قوله: (لها) أي: للمخلوقات.

قوله: (كمِثلها) أي: كمِثل المخلوقات.

قوله: (حتّى لا يجعلوا) مُتعلِّق بقوله: "فيتيقَّنوا".[١]

قوله: (وهم يعلمون) حال. واعلم أنّ هذه الآية دلّت على حسن إقامة الحُجّة في الدِّين، فإنّ الله تعالى أقام البراهين على وجوده وإنّيّته من خَلْق الناس وجَعْل السماء بناءً والأرضِ فراشًا؛ وهذا لأنّ كون هذه الأشياء بهذه الهيئات المخصوصة[٢] من الجائزات[٣] العقليّة فلا يتخصَّص بالوجود إلّا بمُخصِّص، فدلَّت على وجود الصانع، ودلَّ انفعالها[٤] وتأثُّرها[٥] على تأثيره وقدرته، ودلَّ تذلّلها وانقيادها للقضايا على قهره وسَطْوته، ودلَّ دقائق تراكيبها وأوضاعها على عِلمه وحِكمته، ودلَّ ما لها من الضروريّات في الوجود[٦] وما لها من المَنافع على كرمه ورحمته، ودلَّ ما هيّأ لها من الزينة والزوائد والمزايا على وجوده[٧] وسَعته، ودلَّ اتّساق نظامها وانتظام دَوامها على تفرُّده ووَحدانيّته، ودلَّ اختصاص وجودها بأزمنتها وأوقاتها وأشكالها وهيآتها -مع[٨] جواز وجودها على خلاف ذلك- على مشيئته وإرادته، ودلَّت هذه الجملة على وجوب إخلاص الشكر له وعبادته؛ لأنّه تعالى لمّا كان مُتفرِّدًا بالخلق يجب أن يكون هذا المعبود على التفريد،[٩]

---

١ ن - قوله: (لها) أي: للمخلوقات. قوله: (كمِثلها) أي: كمِثل المخلوقات. قوله: (حتّى لا يجعلوا) مُتعلِّق بقوله: "فيتيقَّنوا".
٢ ن: مخصوصة.
٣ ن: المجازات.
٤ ن: نفعالها.
٥ ن: وتأثيرها.
٦ ن: الموجود.
٧ ن: جوده.
٨ ن: على.
٩ ن - على التفريد.

والموصول مع صلته:

إمَّا أن يكون في محلِّ النصب وصفًا لـ﴿رَبَّكُمُ﴾ كـ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾، أو على المدح والتعظيم.

وإمَّا أن يكون رفعًا على الابتداء، وفيه ما في النصب من المدح.

وقرأ يزيدُ الشاميُّ: "بِساطًا"، وقرأ طلحةُ: "مهادًا".

ومعنى جعْلِها فِراشًا وبِساطًا ومهادًا للناس: أنهم يقعدون عليها وينامون، ويتقلَّبُون كما يَتقلَّبُ أحدهم على فِراشه وبساطه ومِهادِه.

ودلَّ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أنّه لا يجوز أن يُنسَب إلى غير الله ما يضاف إلى الله تعالى مِن الخلق؛ فيكون حُجَّة على المُعتزلة في مسألة خَلْق الأفعال.[١]

قوله: (**والموصول مع صلته**)، يعني قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾، وجعَل المجموع في محلّ الإعراب لا الموصول مُنفرِدًا.

قوله: (**وصفًا**) وموصوفهما ﴿رَبَّكُمُ﴾، وانتصب قوله: "وصفًا"؛ لأنّه خبرٌ بعد خبر لقوله: (**يكون**)، أو حال من الضمير المستتر في الجارّ والمجرور.

قوله: (**أو على المدح**) عطف على قوله: "وصفًا"، فالنصب على المدح تقديره: أعني الذي، والرفع على المدح تقديره: هو الذي.

قوله: (**وفيه**) أي: في الرفع على الابتداء. وقوله: (**"بِساطًا"**) و(**"مِهادًا"**) بدل ﴿فِرَٰشًا﴾، شاذّة.[٢]

قوله: (**ومعنى جَعْلها**)... إلخ، يعني المعنى على جميع هذه القراءات أنّه لم يجعَل الأرض التي عليها الناس حَزْنة[٣] لا يمكن الاستقرار عليها.

---

١ انظر لتفصيل هذه المسألة عند المعتزلة واستدلالهم فيها **الأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبّار، ص ٣٢٣-٣٦٣. وانظر لردود أهل السنة **التمهيد** للباقلاني، ص ٣٤١-٣٦٢؛ **والإرشاد** للجويني، ص ١٨٧-٢٠٨.

٢ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٥٤؛ **المغني في القراءات** للنُّوْزوازي، ص ٣٩٢.

٣ ن: خربة.

فإن قلتَ: هل فيه دليلٌ على أن الأرضَ مُسَطَّحَةٌ وليست بكُرِيَّةٍ؟

قلتُ: ليس فيه إلَّا أن الناس يَفترِشونها كما يفعلون بالمَفارِش، وسواءٌ كانت على شكلِ السَّطح أو على شكلِ الكُرَةِ فالافتِراشُ غيرُ مستنكَرٍ ولا مدفوعٍ؛ لعِظَم حجمها واتِّساعِ جِرمها وتباعُدِ أطرافها، وإذا كان مُتَسهِّلًا في الجبل وهو وَتدٌ من أوتاد الأرض، فهو في الأرض ذاتِ الطُّول والعرض أسْهلُ.

والبناءُ: مصدرٌ سمِّي به المبنيُّ بيتًا كان أو قبَّةً أو خِباءً أو طِرافًا، وأبنيةُ العرب: أَخْبِيَتُهم، ....

قوله: (**هل فيه دليل**)... إلخ، زعم بعض الناس أنّ الشرط في كون الأرض فراشًا ألّا يكون كُرة، فاستدلّ بهذه الآية على أنّ الأرض ليست كُرةً. قال الإمام: «وهذا بعيد جدًّا؛ لأنّ الكُرة إذا عظُمت جدًّا كانت القطعة منها كالسطح في إمكان الاستقرار عليه، والذي يزيده تقريرًا أنّ الجبال أوتادُ الأرض، ثم يمكن الاستقرار عليها فههنا[1] أَولى».[2]

قوله: (**و"البناء" مصدر سُمِّي به المَبنيُّ بيتًا كان**)... إلخ. قال في **المُغرِب**: «البيت: اسم لمُسقَّف واحد، وأصله من بيت الشَّعر أو الصوف، سُمِّي به؛ لأنّه يُبات فيه».[3] قال الشاعر:

الحُسْنُ يظهر في شيئين رَوْنقُهُ بيتٍ من الشِّعر أو بيتٌ من الشَّعَرِ[4]

و«"القُبَّة": الخَرْقاهة، وكذا كلُّ بناء مُدوَّر، والجمع قِباب».[5] وقال في **الصحاح**: «"الخِباء" واحد الأخبية: من وَبر أو صوفٍ / ولا يكون من شَعَر، [١١٣ظ]

١ ن: فمنها. | الحَزْن بخلاف السهل، وأرض حَزْنة: غليظة خشنة. انظر: لسان العرب لابن منظور، «حزن».

٢ **تفسير الرازي**، ٢/١١٣-١١٤ (البقرة، ٢/٢٢). وفي مطبوعه «فهذا أَولى» بدل «فههنا أَولى».

٣ **المُغرِب** للمُطرِّزي، «بيت».

٤ البيت للمعري في **شروح سَقط الزَّنْد**، ١/١٢٩. وفيه من شرح البَطَلْيَوسي: «رَونق كلّ شيء: بهجته وإشراقه».

٥ **المُغرِب** للمُطرِّزي، «قبب». وقال المُطرِّزي في موضع آخر: «الخركاه بالفارسيّة: القُبَّة التركيّة. ويقال في تعريبها: خَرقاهة». **المُغرِب**، «خركاه». وقال الفيُّومي: «القُبّة: من البنيان معروفة، وتُطلَق على البيت المُدوَّر، وهو معروف عند التركمان والأكراد، ويُسمّى الخَرْقاهة». **المصباح المنير** للفيُّومي، «قبب».

ومنه: بنَى على امرأتِه؛ لأنهم كانوا إذا تزوَّجوا ضربوا عليها خِباءً جديدًا.

فإن قلتَ: ما معنى إخراجِ الثمرات بالماء، ....

وهو على عمودين أو ثلاثة، وما فوق ذلك فهو بيت».[1] والوَبر للبعير، والصوف للشاة، والشَّعَر للمعز. وفي المثل «المِعْزَى تُبهي[2] لا تُبني»؛[3] «لأنهّا تصعَد على الأخبية فتُخرِّقها حتّى لا يُقدَر على سُكناها، وهي مع ذلك لا تكون الخيام مِن أشعارها،[4] وإنّما تكون من الصوف والوبر».[5] يقال: أبْهَيتُ[6] الإناء: فرّغتُه، وبيتٌ باهٍ،[7] أي: خالٍ لا شيء فيه.[8] وأَبنَيْتُ فلانًا، أي: جعلتُه يبني بناء.[9] و"الطِّراف" من الأدَم، وهو جمع أديم.[10] **(بنى على امرأته)** كنايةٌ؛ لأنّه إطلاق اللازم وإرادة الملزوم.

قال الجاحظ في معنى كون السماء بناءً: إذا تأمَّلتَ في هذا العالم وجدتَه كالبيت المُعمَّر[11] فيه كلُّ ما يحتاج إليه: فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والإنسان كمالك البيت المُتصرِّف فيه، وضروب النبات[12] مُهيّأة[13] لمنافعه، وضروب الحيوان مصروفة في مصالحه. فهذه جملة واضحة دالَّة على أنّ العالم مُدبَّر مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية.[14]

قوله: **(ما معنى إخراج الثمرات؟)**... إلخ، "ما" استفهاميّة مبتدأ. قوله: "معنى إخراج الثمرات بالماء" خبره.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «خبا».

٢ ن: ينهى.

٣ ن: ولا ينتهي. | **جمهرة الأمثال** للعسكري، ٢/٢٤٠؛ **الصحاح** للجوهري، «بنا»، «بها»؛ **مَجمَع الأمثال** للميداني، ٢/٢٦٩؛ **المُستقصى** للزمخشري، ١/٣٤٨.

٤ ن: سعارها.

٥ **الصحاح** للجوهري، «بها». وانظر: **مَجمَع الأمثال** للميداني، ٢/٢٦٩.

٦ ن: أنهيت.

٧ ن: ناه.

٨ انظر: **الصحاح** للجوهري، «بها».

٩ انظر: **الصحاح** للجوهري، «بنا».

١٠ ش + قوله.

١١ هامش ن: ظ [اختصارا من "الظاهر"]: المعدّ.

١٢ ن: البنيان.

١٣ ن: متمناة.

١٤ من قوله: "قال الجاحظ" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ٢/١٢٠ (البقرة، ٢/٢٢).

وإنَّما خرجَت بقدرته ومشيئته؟

قلتُ: المعنى: أنه جَعَل الماءَ سببًا في خروجها ومادةً لها -كماء الفَحْل في خَلْقِ الولد- وهو قادرٌ على أن يُنْشئَ الأجناسَ كلَّها بلا أسبابٍ ولا موادَّ كما أَنشأ نفوسَ الأسبابِ والموادِّ، ولكنَّ له في إنشاء الأشياء -مُدْرِجًا لها من حالٍ إلى حالٍ وناقِلًا من مرتبةٍ إلى مرتبةٍ- حِكَمًا ودواعيَ يُجدِّد فيها لملائكته

قوله: **(وإنّما خرجتْ)** حال. فكأنّه قال: أيُّ معنى له؟ والحال أنّها تخرج بقدرة[1] الله تعالى[2] وإرادته.

قوله:[3] **(المعنى)** إلى قوله: **(خَلْق الولد)** حاصله[4] أنّه إسناد مَجازيّ.

قوله: **(وهو قادر)** إلى قوله: **(والموادّ)**[5] إشارة إلى سؤال، وهو أن يقال: لمّا كان تعالى قادرًا على خَلْق هذه الثمار وسائر الأجناس بدون هذه الوسائط، فما الحكمة في خلقها[6] بهذه الوسائط في هذه المُدَّة الطويلة؟

قوله: **(ولكنّ)**...[7] إلخ، جواب عن هذا[8] السؤال. وتقريره[9] أن نقول: لو خَلَقها من غير تدريج بل دفعة واحدة لكان فيه إظهار قدرة واحدة وحكمة مُنفرِدة،[10] ولكن لمّا نقَّلها من حال إلى حال ففي كلّ انتقال من تلك الانتقالات وفي كلّ ترتيب وتوسّط وسائط إظهار حكمة وإبداء عِبرة وبصيرة على حِدَة، وهذا ظاهر للمُتأمِّل. فقوله: **(له)** خبر "لكنّ" مُقدَّم على اسمها. وقوله: **(في إنشاء الأشياء)** مُتعلِّق بالخبر. وفاعل "الإنشاء" محذوف، أي: في إنشاء الله تعالى. و**(مُدرِّجًا)** حالٌ من الفاعل المحذوف. وقوله: **(حِكَمًا)** اسم "لكنّ". و**(دواعيَ)** عطفٌ على الاسم. وقوله: **(يُجدِّد)**... إلخ، صفة "حِكَمًا"، وفاعله ضمير عائد إلى الله تعالى.

قوله: **(فيها)** أي: في تلك الحِكَم.

---

١ ن: بتقدير.
٢ ش ن - تعالى.
٣ ن - قوله.
٤ ن: حاصه.
٥ ن: والمراد.
٦ د: خقلها.
٧ ن: وليس.
٨ ن - هذا.
٩ ن: وهذا تقدير.
١٠ ن: مفردة.

والنُّظَّارِ بعيون الاستبصارِ من عباده عِبَرًا وأفكارًا صالحةً، وزيادةَ طمأنينَةٍ وسكونٍ إلى عظيم قدرتهِ وغرائب حِكمته، ليس ذلك في إنشائها بغتةً من غيرِ تدريجٍ وترتيب.

قوله: (من عباده) بيان "الملائكة" و(النُّظّار).

قوله: (عِبَرًا) مفعول "يُجدِّد".

قوله: (إلى عظيم) تنازع فيه (طمأنينة) و(سكون).

قوله: (وغرائب) عطفٌ على (عظيم).

قوله: (ليس ذلك) كالصفة لقوله: "عِبَرًا" و(أفكارًا)[1] و(زيادة).[2] وقوله: "ذلك" إشارة إلى "العِبَر" و"الأفكار" و"الزيادة". والبَغْت: أن يَفجأك الشيء، ولقيتُه (بغتة) أي: فجأة. وقال الإمام في جواب هذا السؤال الذي ذكرنا: «والجواب: يفعل الله ما يشاء ويحكُم ما يريد».[3] ثمّ قال:

> ذكروا مِن الحكمة المُفصّلة وجوهًا: **الأوّل**: أنّه تعالى إنّما أجرى العادة[4] بألّا يفعل ذلك إلّا على ترتيب وتدريج؛ لأنّ المُكلَّفين إذا تحمّلوا المَشقَّة في الحَرْث والغَرْس طلبًا للثمرات، وكَدُّوا أنفسهم في ذلك حالًا بعد حال، علِموا أنّهم لمّا احتاجوا إلى تحمُّل هذه المشاقّ لطلب هذه المنافع الدُنيويّة، فلَأَن[5] يتحمّلوا مشاقّ أقلّ من المَشاقّ الدنيويّة لطلب المنافع الأُخرويّة التي هي أعظم من المنافع الدُّنيويّة كان أولى. وصار هذا كما قلنا: إنّه تعالى قادر على خلق الشِّفاء من غير تناول الدواء، لكنّه أجرى عادته بتوقيفه عليه؛ لأنّه إذا تحمَّل مرارة الأدوية دفعًا لضرر المرض فلأن يتحمَّل مشاقّ التكليف دفعًا لضرر العقاب كان أولى. **والثاني**: أنّه تعالى لو خلقها / دفعة من غير هذه الوسائط لحصل[6] العلم الضروريُّ بإسنادها[7] إلى القادر الحكيم، وذلك كالمُنافي للتكليف والابتلاء، [١١٤و]

---

١ ن: وأفكارٌ.

٢ ن: أو زيادة.

٣ **تفسير الرازي**، ١٢١/٢ (البقرة، ٢٢/٢).

٤ ن: عادته.

٥ ن: قيل أن.

٦ ن: يحصل.

٧ ن: باستنادها.

و﴿مِنَ﴾ في ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ للتبعيض؛ لشهادة قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف ٥٧/٧] وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ﴾ [فاطر ٢٧/٣٥]، ولأن المنكَّرَيْن -أعني: ﴿مَآءً﴾ و﴿رِزْقًا﴾- يكتنفانِه، وقد قُصِد بتنكيرهما معنى البعضيَّةِ؛ كأنَّه قيل: وأنزلنا من السماءِ بعضَ الماء، فأخرجنا به بعضَ الثمرات؛ ليكون بعضَ رزقكم، وهذا هو المطابِقُ لصحَّة المعنى؛ لأنَّه لم يُنزِلْ من السَّماء الماءَ كلَّه، ولا أخرجَ بالمطر جميعَ الثمرات، ولا جَعَل الرزقَ كلَّه في الثمرات.

ويجوز أن تكون للبيان؛ ....

لكن لمَا خلقها بهذه الوسائط افتقر المُكلَّف في إسنادها إلى القادر إلى نظر دقيق وفكر غامض، ويستوجب الثواب، ولهذا قيل: لولا الأسباب لَمَا ارتاب مُرتاب. **الثالث**: أنه ربّما كان للملائكة ولأهل الاستبصار عِبَر في ذلك وأفكار صالحة.[١]

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾. قال في **الوسيط**: «المعنى: من نحو السماء، أو من جانب السماء، فحذَف المضاف، وإن جُعِلت السماء بمعنى السحاب لم يُحتج إلى تقدير المضاف».[٢] هذا هو المذكور في **الوسيط**، وأمّا نحن فقد ذكرنا تمام تقريره[٣] عند قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

قوله: (**بشهادة**[٤] **قوله**: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف ٥٧/٧])، يعني: لمَا كان "مِن" في[٥] هذه الآية للتبعيض كان فيما نحن فيه كذلك؛ ليتوافق معنى الآيتين، وكذا قوله تعالى: (﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ﴾ [فاطر ٢٧/٣٥]) فإن الجمع المُنكَّر لا يُفيد العموم.

قوله: (**ولأنّ المُنكَّرين**) عطفٌ على قوله: (**بشهادة**).

قوله: (**ويجوز**) عطفٌ على قوله: (**للتبعيض**)؛ لصحَّة أن نقول: "مِن"

---

١ انظر: **تفسير الرازي**، ١٢١/٢ (البقرة، ٢٢/٢).

٢ **الوسيط** للواحدي، ٩٨/١ (البقرة، ٢٢/٢).

٣ ن: تقدير.

٤ في مطبوع الكشّاف وبعض أصوله: لشهادة.

٥ ن - في.

كقولك: أنفقتُ من الدراهم ألفًا.

فإن قلتَ: بمَ انتصبَ ﴿رِزْقًا﴾؟

قلتُ: إن كانت ﴿مِنَ﴾ للتبعيض كان انتصابه بأنَّه مفعولٌ له، وإن كانت مبيّنةً كان مفعولًا لـ"أخرجَ".

فإن قلتَ: فالثمرُ المُخرَجُ بماء السَّماء كثيرٌ جَمٌّ، ....

في الثمرات يجوز أن يكون للبيان، أو هو عطفٌ[١] على جملة قوله: (و"مِن" في ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ للتبعيض).

قوله: (**كقولك: أنفقتُ من الدراهم ألفًا**) فإنّ قولك "ألفًا"[٢] مفعول "أنفقتُ"، و"مِن الدراهم" بيان. قالوا: إذا قلت: "أكلتُ مِن هذا الخبز" يكون للتبعيض لا غير، وإذا قلت: "أكلتُ من هذا الخبز الجيّد المطبوخ" يكون "مِن" بيانًا، و"الجيّد" مفعولًا.

والثمرات جمع الثمرة: وهي حَمْل الشجرة في الأصل، ثمّ صارت اسمًا لكلّ ما يُنتفَع به ممّا هو زيادة على أصل المال. يقال: ثمَّر الله مالَك، وعقلك مُثمر: إذا كان يهدي صاحبه إلى رُشد. «قال المُفسِّرون: أراد بـ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ جميع ما يُنتفَع به ممّا يخرج من الأرض».[٣]

قوله:[٤] (**إن كانت** "مِن" **للتبعيض**) أي: إذا كان "مِن" للتبعيض[٥] يكون محلُّها منصوبًا على المفعول به، و﴿رِزْقًا﴾ منصوبًا على المفعول له، ومحلّ ﴿لَكُمْ﴾ نصبٌ على أنّه مفعول به لقوله: ﴿رِزْقًا﴾؛ لأنّ ﴿رِزْقًا﴾ على هذا التقدير مصدر، وإذا كانت مُبيِّنة يكون قوله: ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ منصوبًا على الحال، و﴿رِزْقًا﴾ مفعول به، ومحلّ ﴿لَكُمْ﴾ نصب على الصفة لـ﴿رِزْقًا﴾.

---

١ ن - على قوله: (بشهادة). قوله: (ويجوز) عطفٌ على قوله: (للتبعيض) لصحّة أن نقول: "مِن" في الثمرات يجوز أن يكون للبيان، أو هو عطفٌ.

٢ ن - فإنّ قولك: "ألفًا".

٣ الوسيط للواحدي، ٩٨/١ (البقرة، ٢٢/٢). وانظر: البسيط للواحدي، ٢٢٨/٢ (البقرة، ٢٢/٢).

٤ ن - قوله.

٥ ن - إذا كان "مِن" للتبعيض.

فلِمَ قيل: ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ دون: الثُّمُر والثِّمار؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن يُقصَد بالثمرات جماعةُ الثمرة التي في قولك: فلان أَدْرَكَتْ ثَمَرةُ بُستانِه، تُريد: ثمارَهُ، ونظيرُه قولُهم: "كلمةُ الحُوَيْدرةِ" لقصيدته، وقولُهم للقرية: المَدَرةُ، وإنَّما هي مَدَرٌ متلاحِقٌ.

قوله: (**فلِمَ قيل ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؟**) وهي جمع قِلَّة (**دون الثَّمَر والثمار**) فإنّهما للكثرة.

قوله: (**أن يُقصد بالثمرات جماعة الثمرة**)، يُريد أنّ الثمَرة تُستعمَل في هذا الموضع بمعنى الثِّمار، فلو كانت الثمرات جمعًا لها أفادت كثرة لا تُفيدها سائر جموع القِلّة، فتكون فيها فائدة جمع الكثرة.

قوله: (**كلمة الحُويدِرة**) رُوِيَ أنّ حسان بن ثابت رضي الله عنه[1] كان إذا قيل:[2] أنشِدْنا؛ قال: هل أُنشِدكم كلمة الحُويدرة؟ يُريد قصيدته العينية التي أوّلها:

بكرتْ سُميّةُ بُكرةً فتَمتَّعِ[3]

ذكَره في تعليق ابن الخشّاب البغداديّ.[4] والحُويدرة اسم رجُل شاعر، وكأنّه تصغير[5] حادرة.[6] واسمه قُطبة[7] بن مِحْصن.[8]

---

[1] د - رضي الله عنه.

[2] ن + إذا قيل.

[3] صدر بيت للحادرة الذُّبياني، عجزه:
وغدتْ غُدوَّ مُفارِقٍ لم يَربعِ
في **ديوانه**، ص ٣٠٣، وفيه «غُدوة» مكان «بُكرة»؛ و**المُفضَّليّات** للضبّي، ص ٤٣؛ و**الأغاني** للأصفهاني، ١٨٨/٣.

[4] التعليق في **المُرتجَل** لابن الخشّاب، ص ٣١-٣٢. وانظر الخبر في **الأغاني** للأصفهاني، ١٩٠/٣.

[5] ن: تصغيره.

[6] الحادرة لقب غلب على هذا الشاعر، ويلقب بالحُويدرة أيضًا. انظر: **الأغاني** للأصفهاني، ١٩٠/٣.

[7] ن: مطبة.

[8] الصواب أنّ اسمه: قُطبة بن أوس بن مِحْصن. انظر: مقدمة تحقيق **ديوانه**، ص ٢٧١؛ وورد اسمه على الصواب في أوّل ديوانه برواية اليزيدي عن الأصمعي، ص ٢٩٥-٢٩٦؛ وفي **الأغاني** للأصفهاني، ١٩٠/٣. وسقطت لفظة "أوس" من اسمه في **طبقات فحول الشعراء** لابن سلّام الجمحي، ١٧١/١. وانظر تنبيه مُحقِّق **ديوانه** على ذلك، ص ٢٩٦.

والثاني: أن الجموع يتعاورُ بعضُها موقعَ بعضٍ لِالْتقائهما في الجمعيَّةِ؛ كقوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ﴾ [الدخان ٤٤/٢٥] و﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة ٢/٢٢٨].

ويعضُدُ الوجهَ الأولَ قراءةُ محمد بن السَّمَيْفَعِ: "منَ الثمرةِ" على التوحيد.

و﴿لَكُمْ﴾ صفةٌ جاريةٌ على الرزق إن أريد به العينُ، وإن جُعل اسمًا للمعنى فهو مفعولٌ به؛ كأنَّه قيل: رزقًا إيَّاكم.

قوله: (لالتقائهما)، يعني جمعي القِلّة والكثرة. وفي بعض النسخ "لالتقائها"، أي: لالتقاء الجموع.

قوله: (﴿مِن جَنَّٰتٍ﴾ [الدخان ٤٤/٢٥]) هي جمع قلَّة في موضع جمع كثرة؛ لأنّ "كم" تقتضي الكثرة. وقوله تعالى: "﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة ٢/٢٢٨]" وُضِع فيه جمع الكثرة موضع جمع القِلّة؛ لأنّ قروءًا جمع كثرة، وأقراء جمع قِلّة.

قوله: (إن أُريد به) أي: بالرزق العينُ، يعني يكون اسم عين، كأنّه قيل: طعامًا لكم وعَلفًا لدوابّكم.

قوله: / (اسمًا للمعنى)، يعني: يكون مصدرًا. [١١٤ظ]

قوله: (فهو) أي: لكم.

قوله: (مفعول به) أي: لـ﴿رِزْقًا﴾. قال الإمام إنّما قيل: ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ دون الثُّمُر[١] والثِّمار تنبيهًا على قِلّة ثمار كلّ الدنيا وإشعارًا بتعظيم أمر الآخرة.[٢] وأنا أقول: هذا الذي ذكره الإمام إنّما يتوجّه على تقدير أن يكون "مِن" للبيان، وأمّا إذا كان للتبعيض[٣] فالمعنى الذي ذكره تُفيده "مِن" التبعيضيّة. وقراءة ابن السَّمَيْفَع شاذّة.[٤]

---

١ هكذا ضُبطت في د ش. «قال الفرّاء: وجمع الثِّمار ثُمُر، مِثل كِتاب وكُتُب، وجمع الثُّمُر أثمار، مِثل عُنُق وأعناق». الصحاح للجوهري، «ثمر».

٢ انظر: تفسير الرازي، ٢/١٢٢ (البقرة، ٢/٢٢).

٣ ن: للتعظيم.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن السميفع اليماني. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٤؛ المغني في القراءات للنّوزوازي، ص ٣٩٢.

فإن قلتَ: بم تَعلَّق ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ﴾؟

قلتُ: فيه ثلاثة أوجه:

أن يتعلّق بالأمر؛ أي: اعبدوا ربّكم **فلا تجعلوا له أندادًا؛ لأنّ أصل العبادة وأساسَها التوحيدُ وأَنْ لا يُجعلَ لله ندٌّ ولا شريكٌ.**

أو بـ"لعلَّ" على أن ينتصبَ ﴿تَجۡعَلُواْ﴾ انتصابَ ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ **في قوله عزَّ وجلَّ**: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر ٤٠/٣٦-٣٧] **في رواية حَفْصٍ عن عاصمٍ.** ....

قوله: (**أن يتعلَّق بالأمر**) هذا هو الوجه **الأوّل**: وهو أن يتعلَّق ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ﴾ بقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾، أي: اعبدوا فلا تجعلوا. وحاصله أن يكون جزاءَ شرط محذوف، أي: اعبدوه وإذا كنتم تعبدونه فلا تجعلوا له أندادًا، فهو مجزوم؛ لأنّه نهي. ويجوز على هذا الوجه -أي: على تقدير تعلُّقه بـ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾- أن يكون منصوبًا بإضمار "أنْ" على أن يكون جواب الأمر بالفاء، أي: اعبدوا الله ربكم؛ لِتكون عبادتكم سببًا في ألّا تجعلوا له أندادًا. وسيجيء عن قريب ما يُؤيِّد هذا المعنى إن شاء الله تعالى. لكن قول المصنِّف: (**لأنّ أصل العبادة**)... إلخ، يدلُّ على أنّه اختار في هذا الوجه أنّه نهيٌ.

قوله: (**وألّا يُجعل**) عطف على قوله: (**التوحيد**)، وهو ممّا مرَّ عن قريب أنّه من العطف الذي للبيان.[١]

قوله: (**أو بـ"لعلَّ"**)[٢] عطفٌ على قوله: "بالأمر"، هذا هو الوجه **الثاني**: وهو أن يكون قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ﴾ مُتعلِّقًا بقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، فـ"لا" للنفي لا للنهي. قال المُصنِّف في **المُفصَّل**: «وقد لمَح فيها، أي: في "لعلَّ" معنى التمني من قرأ ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ [غافر ٤٠/٣٧] بالنصب».[٣]

قوله: (**في رواية**) مُتعلِّق بقوله: (**انتصاب**) أي: انتصاب ﴿فَأَطَّلِعَ﴾

---

[١] مضى في تفسير سورة البقرة، ٢١/٢.
[٢] ن: بلغك.
[٣] **المُفصَّل** للزمخشري، ص ٤٠٠.

أي: خلقكم لكي تتّقوا وتخافوا عِقابَه فلا تُشبّهوه بخلقه.

أو بـ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾ ....

في رواية حفص.[١] وقوله:[٢] (أي: خلَقكم لكي تتّقوا) بيان لتفسيره الآية[٣] على تقدير تعلُّق ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ﴾ بقوله: "لعلّ". فإنّ قوله:[٤] "لكي تتّقوا" هو معنى ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾. وقوله: (فلا تُشبّهوه) نفيٌ، وهو معنى ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ﴾. وهذا المعنى الذي ذكره المُصنِّف على تقدير أن يكون ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ مُتعلِّقًا بقوله: ﴿خَلَقَكُمۡ﴾، كما اختاره لكونه موافقًا لمذهبه على ما مرّ.[٥] وأمّا إن كان ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ مُتعلِّقًا بقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾ كما ذكرنا، فالمعنى: اعبدوا ربَّكم لكي تكونوا مُتَّقين فلا تشركوا به[٦] أحدًا، فإنّ مَن اشتغل بالطاعة أفاده ذلك نورًا للقلب وصفاء للباطن، مُؤدِّيًا إلى اجتناب المعاصي مُبعِدًا عن الكفر، ومَن اشتغل بالمعاصي قسا قلبه، ويجترئ على أنواع المعاصي بسبب الرَّيْن الحاصل من المعصية، قال تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين ١٤/٨٣]. وربّما يؤدي ذلك إلى الكفر، قال تعالى:[٧] ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم ١٠/٣٠]. فقوله: ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مفعول مطلق لقوله: ﴿أَسَٰٓـُٔواْ﴾، وقوله: ﴿أَن كَذَّبُواْ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، أي: كان عاقبة الذين عصَوا أن كفروا.

قوله: (أو بـ﴿ٱلَّذِى﴾) عطف على قوله: "بالأمر"، وهذا هو الوجه الثالث: وهو أن يكون قوله: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ﴾ مُتعلِّقًا بقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾، فيكون قوله: ﴿ٱلَّذِى﴾ خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هو الذي أقام هذه البراهين على وحدانيّته، فلا تتّخذوا له شركاء،[٨] فالفاء للسببيّة أو هو جزاءُ شرط محذوف،

---

[١] السبعة لابن مجاهد، ص ٥٧٠؛ التيسير للداني، ص ٥٠٠.

[٢] ن – وقوله.

[٣] د: في الآية.

[٤] ن: إليه.

[٥] في تفسير الآية السالفة.

[٦] ن – به.

[٧] ن – ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾. وربّما يؤدي ذلك إلى الكفر، قال تعالى.

[٨] ن: شريكًا.

إذا رفعتَه على الابتداء؛ أي: هو الذي حَفَّكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيّرةِ الشاهدةِ بالوحدانية، فلا تتَّخذوا لَهُ شُركاءَ.

والنِدُّ: المِثْلُ، ولا يقال إلّا للمِثْل المخالِف المُناوِئ، قال جرير:

أَتَـيْـمًـا تَـجـعَـلُـون إلـيَّ نِـدًّا   ومـا تَـيْـمٌ لِـذِي حَـسَـبٍ نَـدِيـدُ

أي: إذا كان كذلك فلا تتَّخذوا، فقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ﴾ على هذا مجزوم بـ"لا" الناهية، وتعلُّقه الذي ذكره تعلُّقٌ معنويٌّ كما ذكرنا. ويقال: «"حفَّه" بالشيء يحفُّه كما يُحَفُّ الهَوْدج بالثياب».[١] وكأنّ المُصنِّف ذكر الحفَّ؛ لأنّ الاستدلال هنا من ذِكر الأرض والسماء وإنزال الماء من إحداهما على الأخرى. وقوله: (إذا رفعتَه) مُتعلِّق بقوله: "بالذي"، أي: يتعلّق بالذي إذا رفعته.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ﴾، الجَعْل يُذكَر للخلق، قال الله[٢] تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام ١/٦]؛ وللفعل / ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة ١٩/٢]؛ وللتسمية، ومنه ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾. و(النِدّ): المِثْل المُنازِع، كأنّ كلَّ واحدٍ من النِدَّين يُنادّ صاحبه، أي: يُنافره ويُعاديه. [١١٥و]

قوله: (المُناوئ) أي: المُعادي، يقال: ناواه، أي: عاداه. وأصله الهمز؛ لأنّه مِن النَّوْء،[٣] وهو: النهوض. (قال جرير:

أَتَـيْـمًـا تـجعـلـون إلـيَّ نِـدًّا   ومـا تَـيْـمٌ لـذي حـسَـب نـديـدُ)[٤]

أي: أتجعلون[٥] تَيمًا مِثلي؟ وهو استفهامُ إنكار، ثمّ قال: وما تَيم نديد، أي: مِثل لذي حسَب، فكيف[٦] يكون نِدًّا لي؟[٧] قيل: ضمَّن تجعلون معنى تضمُّون، يعني: أتضمُّون تَيمًا إليّ وتجعلونه لي ندًّا؟ لأنّه لا يقال: جعل كذا إليه، ويجوز أن يقال: ليس هنا تضمين؛ بل "تيمًا" مفعولُ فعلٍ محذوف يدلُّ عليه "إليّ"،

---

١ الصحاح للجوهري، «حفف».
٢ د ش – الله.
٣ ن: النور.
٤ البيت في ديوان جرير، ٣٣١/١. وهو له في الكشف والبيان للثعلبي، ١٥٧/٣ (البقرة، ٢٢/٢)؛ والوسيط للواحدي، ٩٩/١ (البقرة، ٢٢/٢)؛ والبسيط للواحدي، ٢٣٠/٢ (البقرة، ٢٢/٢).
٥ ن: تجعلون.
٦ ن – فكيف.
٧ ن: إلي.

ونادَدْتُ الرجلَ: خالفتُه ونافَرْتُه، من نَدَّ نُدُودًا: إذا نَفر، ومعنى قولهم: ليس لله ندٌّ ولا ضدٌّ، نفيُ ما يسُدُّ مسَدَّه ونفيُ ما يُنافيه.

فإن قلتَ: كانوا يسمُّون أصنامَهم باسمِهِ ويعظِّمونها بما يُعظَّم به مِن القُرَب، وما كانوا يزعمون أنها تخالفُ اللهَ وتُناوِئُه؟

قلتُ: لمَّا تقرَّبُوا إليها وعظَّموها وسمَّوْها آلهةً أَشْبهَتْ حالُهم حالَ مَن يعتقد أنها آلهةٌ مثلُه قادرةٌ على مخالفتِهِ ومضادَّتِهِ، فقيل لهم ذلك على سبيل التَّهكُّم.

أي: أتنسُبون[1] أو تضمُّون تَيمًا إليَّ تجعلونه نِدًّا لي،[2] على أن يكون "تجعلونه ندًّا لي" حالًا: إمّا من الفاعل، أو المفعول. أو نقول: التقدير: أتجعلون تَيمًا ندًّا لي؟ ويكون "إليَّ" مع مُتعلَّقه المحذوف حالًا من نِدًّا،[3] أي: مُنضمًّا أو منسوبًا إليَّ.

قوله: **(ومعنى قولهم)**... إلخ، فيه لفٌّ ونشرٌ، أي: معنى قولهم: **(ليس لله ندٌّ)** نفي ما يسدُّ مسدَّه؛ وذلك لأنّ النِّدّ هو: المِثل المُخالف المُناوئ، ومعنى قولهم: "ليس له ضِدّ" هو نفي ما يُنافيه، «قال ابن عبّاس رضي الله عنه[4] والسُّدّيّ: لا تجعلوا لله أكفاء مِن الرجال تُطيعونهم في معصية الله تعالى».[5]

قوله: **(كانوا يسمُّون)** توجيه السؤال أن يقال: إنّ الكُفّار ما كانوا يدّعون ويعتقدون أنّ الأصنام تُنازع الله تعالى، فلِمَ قيل: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾؟

قوله:[6] **(بما يُعظَّم)** أي: الله تعالى. والضمير مِن (به) عائد إلى "ما"، و(مِن) بيان "ما".

قوله: **(فقيل)** عطفٌ على **(أَشبهَت)**. وقوله: **(ذلك)** أي: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾:

---

١ ن: تنسبون.

٢ ن: إلي.

٣ ن - لي" حالًا: إمّا من الفاعل، أو المفعول. أو نقول: التقدير: أتجعلون تَيمًا ندًّا لي؟ ويكون "إليّ" مع مُتعلّقه المحذوف حالًا من نِدًّا.

٤ د ش - رضي الله عنه.

٥ **الوسيط** للواحدي، ٩٩/١ (البقرة، ٢٢/٢). وهو عن ابن عبّاس وابن مسعود في **جامع البيان** للطبري، ٣٩١/١ (البقرة، ٢٢/٢)؛ وعن ابن مسعود في **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٥٧/٣ (البقرة، ٢٢/٢)؛ وعن ابن عبّاس والسُّدّي فيما ذكره عن ابن مسعود في **البسيط** للواحدي، ٢٣٠/٢ (البقرة، ٢٢/٢).

٦ ن - قوله.

وكما تَهَكَّمَ بهم بلفظِ النِدّ، شَنَّعَ عليهم واستَفظَعَ شأنَهم بأنْ جعلوا أندادًا كثيرةً لِمَنْ لا يصحُّ أن يكون له نِدٌّ قطُّ، وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نُفَيْل حِينَ فارَقَ دِينَ قومه:

أَرَبًّا واحـدًا أم أَلْـفَ رَبٍّ أَدِيـنُ إذا تقسَّمتِ الأُمُـورُ

وقرأ محمد بن السَّمَيْفَع: "فلا تجعلوا لله ندًا".

فإن قلت: ما معنى ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟

قلتُ: معناه: وحالُكم وصفتُكم أنكم من صحَّة تمييزِكم بين الصحيح والفاسد والمعرفةِ بدقائقِ الأمور وغوامضِ الأحوال ....

أما التهكُّم فمِن لفظ النِّدّ، وأمّا التشنيع[1] فمِن إتيانه[2] بلفظ الجمع. قال زيد بن عمرو:

(أربًّا واحـدًا أم ألـفُ ربٍّ أَدِيـنُ إذا تُقُسِّـمَت الأمـورُ)

تركـتُ الـلات والعُـزّى جميعًـا[3] كذلـك يفعـل الرجُـل البصيـرُ[4]

الدِّين: الطاعة. وقال: إذا تُقُسِّمَت الأمور ويُفوَّض[5] اختيار هذا الأمر إليَّ أأختار[6] ربًّا واحدًا أم ألفًا؟ أي: أختار واحدًا، كما قال تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف ١٢/٣٩].

قوله: (قرأ[7] محمَّد) وهي شاذَّة.[8]

قوله: (والمعرفة) عطف على قوله: (صِحَّة).

قوله: (بدقائق) مُتعلِّق بـ"المعرفة". وقوله: (غوامض) عطفٌ على "دقائق".

---

[1] ن: الشنيع.

[2] ن: إثباته.

[3] د: جمعًا.

[4] البيتان لزيد بن عمرو بن نُفَيل في **الأغاني** للأصفهاني، ٣/٨٥. بتقدُّم ثانيهما على الأوّل وفَصْل بيتين بينهما، ورواية الثاني فيه:

عـزلتُ الـجنَّ والـجِنّـانَ عنّي كـذلـك يفـعـل الجَـلْـد الـصـبـورُ

وهما له في **السيرة النبويّة** لابن هشام، ٢/٣٤٩. ورواية ثانيهما فيه:

عـزلتُ الـلات والـعُـزّى جميعًا كـذلـك يفـعـل الـجَـلْـد الـصـبـورُ

وهما له في **تفسير الرازي**، ٢/١٢٥ (البقرة، ٢/٢٢). بالرِّواية التي أوردها الجاربردي.

[5] ن: يعوض.

[6] ن: اختيار.

[7] ن: قراءة.

[8] **الكشف والبيان** للثعلبي، ٣/١٥٦ (البقرة، ٢/٢٢)؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٥٤؛ **المغني في القراءات** للنَّوْزاوزي، ص ٣٩٣.

والإصابةِ في التدابير والدَّهاءِ والفطنةِ= بمنزلٍ لا تُدْفعُون عنه.

وهكذا كانت العرب -خصوصًا ساكنو الحَرَم من قريشٍ وكِنانةَ- لا يُصْطَلَى بنارِهم في استحكام المَعْرفةِ بالأمور وحُسْنِ الإحاطة بها.

ومفعولُ ﴿تَعْلَمُونَ﴾ متروكٌ؛ كأنّه قيل: وأنتم من أهل العلم والمعرفة، والتوبيخُ فيه آكَدُ؛ أي: أنتم العرّافون المميِّزون، ثمّ إنّ ....

وقوله: (والإصابة)، (والدَّهاء والفِطنة) عطفٌ على "صحّة".[1]

قوله: (بمَنزل) خبرُ "أنّ". وقوله: (لا تُدفَعون عنه) صفةُ "منزل". والضمير من قوله: "عنه"[2] عائد إلى "منزل". وقوله: "مِن صِحّة" إلى قوله: "الفِطنة" حال: إمّا من الضمير المُستتر في الخبر، أو من اسم "أنّ"، وقد مرَّ مِثْله.

قوله: (لا يُصطلى) خبرُ (كانت)، و(هكذا) صفةُ مصدر محذوف، و"ذا" إشارة إلى صِحّة التمييز وما عُطِف عليه. أو "هكذا" خبرُ "كانت".[3] وقوله: "لا يُصطلى"... إلخ، جملة مُبيّنة لقوله: (هكذا كانت العَرب). وقوله: (خصوصًا) مصدرُ فعل محذوف، أي: خُصَّ خصوصًا بهذا الحكم ساكنو الحَرَم. و(مِن) بيان. ويقال: اصطليتُ بالنار وتصلَّيت بها، ويقال: "فلانٌ لا يُصطلى بناره" إذا كان شجاعًا لا يُطاق. يقال: "أحكمتُ" الأمر فاستحكمَ. و(حُسْن) عطفٌ على (استحكام). و(بها) أي: بالأمور.

قوله: (والتوبيخ فيه آكَد)؛ لأنّ القبيح ممّن عَلِم قُبحَه يكون أقبح، فكأنّه قيل: أنتم العالمون ومع عِلمكم تفعلون ما هو فِعلُ الجاهلين، فوَصْفُهم بالعلم يُؤكِّد الحُجّة عليهم، إذا اشتغلوا بشيء يعلمون أنّ الحقَّ في سواه.

قوله: / (ثمّ إنّ)... إلخ، عطف على قوله: (أنتم العرّافون). والسُّخْف بالضمّ: رِقّةُ[4] العقل، وقد سَخُف الرجل سَخافة فهو سخيف. [١١٥ظ]

---

١ ن - صحّة.

٢ د ش ن: منه. | هامش د: عنه؛ وأصول الكشّاف: عنه.

٣ ن - و(هكذا) صفةُ مصدر محذوف، و"ذا" إشارة إلى صِحّة التمييز وما عُطِف عليه. أو "هكذا" خبرُ "كانت".

٤ ن: دقّة.

ما أنتم عليه في أمرِ دِيانتكم مِن جَعْل الأَصْنام لله أندادًا هو غايةُ الجهل ونهايةُ سخافةِ العقل.

ويجوز أن يقدَّر: وأنتم تعلمون أنّه لا يُماثَلُ، أو: وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت، أو: وأنتم تعلمون أنّها لا تَفْعل مثلَ أفعالِه؛ كقوله: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الروم ٤٠/٣٠].

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَادْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله: (**ويجوز أن يُقدَّر**) عطفٌ على قوله: (**مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ متروك**)؛ لأنّ معناه أنّه لا يُقدَّر له مفعول لجَريه مَجرى اللازم. أو هو عطفٌ على قوله:[١] (**كأنّه قيل: وأنتم من أهل العِلم**).

قوله: (**أو: وأنتم تعلمون أنّها لا[٢] تفعل مثل أفعاله**) «قال ابن الأنباريّ: معناه: وأنتم تعلمون أنّ الأنداد التي تعبدونها لم تَرفَع لكم السماء ولم تَمهَد لكم الأرض ولم ترزُقكم شيئًا».[٣] ووَصْفهم بالعِلم بهذه القصة يُؤيِّد[٤] ما ذكرنا من أنّه ليس في العالم أحد يُثبِت لله تعالى شريكًا يُساويه في الوجوب والقُدرة والعِلم والحِكَم.

قوله تعالى: **﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَادْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾**.

قوله: (**لمّا احتجّ عليهم**)... إلخ، اعلم أنّ قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ إلى ﴿رِزْقًا﴾ كما[٥] هو مُثبِت للوحدانيّة فهو تعليم العِباد الطريق إلى إثباتها،

---

١ ن - (مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ متروك)؛ لأنّ معناه أنّه لا يُقدَّر له مفعول لجَريه مَجرى اللازم. أو هو عطفٌ على قوله.

٢ ن - لا.

٣ الوسيط للواحدي، ٩٩/١ (البقرة، ٢٢/٢). وفي مطبوعه «ولم ترزقكم رزقًا» بدل «ولم ترزقكم شيئًا». وأورد الواحدي قول ابن الأنباري على نحو أوسع في البسيط، ٢٣١/٢ (البقرة، ٢٢/٢).

٤ ن: يريد.

٥ ن - كما.

لمَّا احتجَّ عليهم بما يُثبِتُ الوحدانيَّة ويُحَقِّقُها، ويُبطل الإشراكَ ويَهْدِمُه، وعَلَّم الطريقَ إلى إِثْبات ذلك وتصحيحِهِ، وعَرَّفَهم أن مَن أشرك فقد كابَرَ عَقْلَه وغَطَّى على ما أُنْعِمَ عليه من مَعْرفتهِ وتمييزِهِ= عَطَفَ على ذلك ما هو الحجةُ

فإنّه تعالى لمّا أمرنا بالعبادة وأَردَفه بما يدلُّ على وجوده تعالى وعلى وَحدانيّته استدلّ في ذلك بخلق المُكلَّفين وخَلْق مَن قبلهم إلى غير ذلك، وهذا يدلُّ على أنّه الطريق إلى إثباته وإثبات وَحدانيّته، فدلَّ على أنّه لا طريقَ إلى معرفة الله تعالى[1] إلا النظر والاستدلال؛ فلذلك قال المُصنِّف: **(وعلّم الطريق)** عطفًا على قوله: "احتجّ". وقوله: **(ذلك)**؛ إشارة إلى التوحيد.

قوله: **(وعرَّفهم)** عطفٌ على قوله: "علّم".

قوله: **(فقد كابَر عقله)** لِمَا مرَّ أنّ معنى[2] قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنتم العالِمون المُميّزون، ثمّ إنّ الإشراك[3] الذي أنتم عليه غاية الجهل.

قوله: **(غطَّى)** عطفٌ على "كابر". والغِطاء: ما تغطيتَ به، ويقال: غطَّيتُ الشيء تغطية سترتُه، فهو متعدٍّ بنفسه، وإنّما عدَّاه المُصنِّف بـ**(على)**؛ لأنّه أخذه من قولهم: غطا الماءُ،[4] وكلُّ شيء ارتفع وطال على شيء فقد غطَا عليه.[5] والتضعيف للتكثير. فكأنّهم جعلوا ما أنعم الله تعالى[6] به عليهم مغلوبًا.

قوله: **(عليه)** قائم مقام فاعل **(أُنعِم)**، والضمير من "عليه" عائد إلى **(مَن)**، والعائد إلى **(ما)** محذوف، أي: ما أُنعِم عليه به. وقوله: **(مِن معرفته)** بيان "ما". والضمير من "معرفته" و**(تمييزه)** عائد إلى "مَن"، فالمصدران مُضافان إلى الفاعل.

قوله: **(عطَف)** جواب "لمّا". وقوله: **(على ذلك)** أي: على الاحتجاج والتعليم والتعريف. وقوله: **(ما هو الحُجّة)** مفعول "عطف"، والمراد قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾... إلخ، يريد أنّ قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾... إلخ،

---

[1] ش - تعالى.
[2] ن - معنى.
[3] ن: الاستدلال.
[4] ن: على الماء.
[5] انظر: الصحاح للجوهري، «غطا».
[6] د ش - تعالى.

على إثباتِ نبوَّة محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وما يُدْحِضُ الشُّبهةَ في كون القرآن معجزةً، وأَرَاهم كيف يتعرَّفونَ: أهو من عند الله كما يدَّعِي، أم هو من عند نفسه كما يدَّعون، بإرشادهم إلى أنْ يحزُرُوا أنفسَهم ويذوقوا طباعَهم ....

عطفٌ على قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ﴾... إلخ، يعني: لمّا أقام البراهين على الربوبيّة التي هي مُقتضى أحد شطرِي كلمة الشهادة، أقام البرهان على رسالة نبيّنا محمَّد عليه السلام التي هي مقتضى الشطر الآخر.

قوله: (ما يُدحِض) عطفٌ على قوله: "ما هو الحُجّة". يقال: «دحَضَتْ حُجّتُه دُحُوضًا: بطَلَت، وأدْحَضه الله»[١] تعالى، أي: أبطَلَه. وشُبهتُهم قولهم: لو كان من عند الله لأنزل دفعةً كسائر الكتب، لا مُنجَّمًا على سَنن الرسائل والخُطب، كما حكى الله تعالى عنهم بقوله:[٢] ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان ٣٢/٢٥]، وإبطال هذه الشُّبهة بقوله: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٍ﴾، كما سيتحقَّق إن شاء الله تعالى.

قوله: (وأَراهم) عطفٌ على قوله: "عطَف".

قوله: (يتعرَّفون) أي: يطلُبون المعرفة.

قوله: (أهُو؟) أي:[٣] القرآن.

قوله: (كما يدَّعي) مُتعلِّق بقوله: (من عند الله) أي: أهُو[٤] حاصل من عند الله حُصولًا مثل الحُصول الذي يدَّعيه محمَّد عليه السلام؟

قوله: (أم هُو) أي: القرآن، حاصلٌ من عند نفس محمَّد عليه السلام حُصولًا مثل الحُصول الذي يدَّعيه الكُفّار.

[١١٦و] قوله: (بإرشادهم) مُتعلِّق بقوله: "أراهم"، وهو / مصدر مُضاف إلى المفعول، أي:[٥] أَراهم الله تعالى بأن أرشَدهم إلى أن يُجرِبوا أنفسهم. و«"الحَزْر":

---

١ **الصحاح** للجوهري، «دحض».
٢ ن + عزّ شأنه.
٣ ش + أي
٤ ن: هو.
٥ ن - أي.

وهم أبناءُ جنسهِ وأهلُ جلدته.

التقدير والخَرْص».[١] يقال: "ذُقتُ" الشيءَ أذوقه ذَوقًا، وذُقتُ ما عند فلان، أي: خبَرتُه، وذُقتُ القوسَ إذا جذبتَ وَتَرها؛ لتنظر ما شِدَّتُها.[٢]

قوله: (وهم أبناء جنسه) حالٌ من الضمير في (يحزُروا) أو (يذوقوا). والمراد بـ"الجِلدة": اللون، ويريد أنّهم من صِنف واحد، يعني: إذا جرَّبوا أنفسهم، وعَلِموا أنّهم عجَزوا عن الإتيان بمثله مع أنّهم من جنس واحد ومن صنف واحد أيضًا، أي: هم من العَرب العرباء مِثله،[٣] ظهر لهم أنّ **القرآن** ليس بكلام البشر، وأنّه كلام خالق القُوى والقُدَر.

واعلم أنّ كلمة[٤] "إنْ" للشرط في الاستقبال، والأصل فيها أن تُستعمَل في موضع الخُلُوّ عن الجزم بوقوع الشرط، كما يقول القائل: إن تُكرِمْني أُكرِمْك، وهو لا يَعلم أيُكرمُه أم لا؛ و"إذا" للشرط في الاستقبال، والأصل فيها أن تُستعمَل في موضع القطع بوقوع الشرط،[٥] كما إذا قلت: "إذا طلعت الشمس فإني أفعل كذا" قاطعًا بوقوع الشرط: إمّا تحقيقًا، كما في المثال المذكور؛ أو باعتبار خطابيّ، كقولك: إذا جاء مُحبّك فأَكرِمْه، فإنّ قَطْعك بمجيء المُحبّ ليس تحقيقًا كطلوع الشمس، بل هو تقديري باعتبار خطابيّ، أي: ظَنيٌّ، وهو أنّ الحبيب يزور حبيبه غالبًا. فإذا استُعملت[٦] "إنْ" في مقام القطع بوقوع الشرط لم يَخلُ عن نُكتة، وهي: إمّا التجاهل لاستدعاء المقام إيّاه، وإمّا أنّ المخاطب ليس بجازم، كما تقول لمَن يُكذّبك فيما تُخبره: إنْ صدقتُ فقل لي: ماذا تعمل؟[٧] وإمّا تنزيل المُخاطَب منزلة الجاهل لعدم جَرْيه على مُوجَب العلم كما قد يقول الأب لابن لا يُراعي حقَّه: افعل ما شئت إنّي إنْ لم أكن لك[٨] أبًا كيف تُراعي حقّي؟[٩]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «حزر».

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ذوق».

٣ ن: مثلهم.

٤ ن - كلمة.

٥ ن - بوقوع الشرط.

٦ ن: استعمل.

٧ ن: تعمد.

٨ ن: كذلك.

٩ من قوله: "إن للشرط في الاستقبال" إلى هنا بلفظ قريب في مفتاح العلوم للسّكّاكي، ص ٣٤٦-٣٤٧.

....

إذا عرفتَ ذلك فنقول: قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ وفي موضع آخر ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾ [الحج ٢٢/٥] بلفظ "إنْ" مع المُرتابين: فإمّا لقَصْد[١] التوبيخ على الرِّيبة، وإنّما وبَّخهم؛ لأنّ المَقام مُشتمِل على ما يقلع الرِّيبة عن أصلها، ولقصد تصوير أنّ المقام لا يصلح إلّا لمُجرَّد[٢] الفَرْض للارتياب، كما قد تُفرَض المُحالات متى تعلَّقتْ بغرضها أغراض، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر ٣٥/١٤]، والضمير للأصنام، فإنّه فُرِض سماعها مع استحالتها؛ ليُبنى عليه عدم الاستجابة، فكأنّه قيل: الارتياب هنا مُمتنِعُ التحقُّق، ولو فُرِض أنكم مرتابون في أنّه كلام الله[٣] فطريقكم أن تُجرِّبوا وتُراجِعوا البلغاء ليُعاونوكم، وإذا لم تقدِروا على الإتيان بمثله يَظهر لكم أنّه ليس من جنس كلام البشر.[٤]

وهذا معنى قول[٥] المُفسِّرين: إنّ «'إنْ' دخلت هنا لغير الشكّ؛ لأنّ الله تعالى علِم أنّهم مُرتابون، ولكن هذا عادة العَرب في خطابهم، كقولهم: إن كنتَ إنسانًا فافعل كذا، وأنت تعلم أنّه إنسان، و:إن كنتَ ابني فأطِعني، فخاطَبهم الله تعالى على عادة خِطابهم[٦] فيما بينهم».[٧]

وإمّا لتغليب غير المُرتابين مِن المُخاطبين على مُرتابين منهم،[٨] فإنّ المُخاطبين بهذا الخطاب كان بعضهم مرتابًا وبعضهم غير مرتاب، فغُلِّب غير[٩] المُرتابين.[١٠] وقد عرفتَ عن قريب أنّ باب التغليب باب واسع.[١١]

---

١ ن: القصد.

٢ ن: بمجرد.

٣ ن – الله.

٤ من قوله: "فنقول: قوله تعالى" إلى هنا بلفظ قريب في **مفتاح العلوم** للسَّكّاكي، ص ٤٤٨.

٥ ن: كلام.

٦ ن – الله تعالى على عادة خِطابهم.

٧ **الوسيط** للواحدي، ١/١٠٠ (البقرة، ٢/٢٣). وانظر: **البسيط** للواحدي، ٢/٢٣١-٢٣٢ (البقرة، ٢/٢٣).

٨ انظر: **مفتاح العلوم** للسَّكّاكي، ص ٤٤٨.

٩ ن – غير.

١٠ ن: المرتابون.

١١ مضى بسطه في تفسير سورة البقرة، ٢/٢١. وهي عبارة السكّاكي في هذا الموضع من الكلام على التقييد بالشرط بأنّ التغليب باب واسع. انظر: **مفتاح العلوم**، ص ٤٤٨.

فإن قلتَ: لم قيل: ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا﴾ على لفظ التنزيل دون الإنزال؟

قلتُ: لأن المراد النُّزولُ على سبيلِ التدريجِ والتنجيم -وهو من مَحَازِّه- لمكانِ التحدِّي، وذلك أنَّهم كانوا يقولون: لو كان هذا من عند الله ....

قوله:[١] **(على لفظ التنزيل)** بيانٌ لقوله: ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا﴾، أو بدلٌ منه، فكأنَّه قال: لِمَ قيل على لفظ التنزيل؟

قوله: **(على سبيل التدريج)** وهو مصدر درَّجه إلى كذا أو استدرجه منه، أي: أدناه منه شيئًا فشيئًا،[٢] وهو / من دَرَج السُّلَّم: رُتَبه، الواحدة دَرَجة، وتُسمَّى بها المِرقاة مِن خشَب أو مَدَر[٣] مُركَّب على حائط ونحوه، تسمية للكلّ باسم بعضه. والتنجيم: الإتيان بالشيء نجمًا نجمًا، وقد مرَّ تحقيقه في أوّل الكتاب. [١١٦ظ]

قوله: **(وهو)** أي: النزول على سبيل التدريج من مَحازّ استعمال لفظ التنزيل، والمُراد من محازّ الاستعمال: الموضع الذي إذا استعمل فيه ذلك اللفظ يُفيد المقصود، ويدلُّ على الغرض. وهي جمع مَحزّ، وهو: المَفصِل، فإنّه إذا استُعمل فيه السكّين يقطعه بسهولة، من الحزّ وهو: القَطْع.

قوله: **(لمكان التحدّي)** اللام مُتعلِّق بقوله: **(المرادَ النزولُ)** كأنّه قال: أُريد النزول بالتدريج لأجل التحدّي. ولفظ "مكان" زائد، وهم يَزيدون لفظ "المكان" و"المقام" في الإضافة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن ٥٥/٤٦]، وفيه فائدة ستجيء الإشارة إليها، إن شاء الله تعالى.[٤] والتحدّي: طلب المعارضة، من قولهم: «تحدَّيتُ فلانًا إذا باريتَه في فعل ونازعتَه الغَلَبة، يقال: أنا حُديّاك، أي:[٥] ابرز لي وحدك».[٦]

قوله: **(وذلك)**... إلخ، إشارة إلى أنّه أُريد النزول على سبيل التدريج لأجل التحدِّي، وحاصله كما ذكرنا أنّهم كانوا يقولون: لو كان هذا من عند الله

---

١ ن - قوله.

٢ انظر: الصحاح للجوهري، «درج».

٣ ن: قدر.

٤ د - إن شاء الله تعالى.

٥ ن - أي.

٦ الصحاح للجوهري، «حدا».

لكان مخالِفًا لِمَا يكون من عندِ الناس، لم ينزَّل هكذا نجومًا سورةً بعد سورةٍ، وآياتٍ غبَّ آياتٍ، على حسبِ النوازل وكِفَاءِ الحوادث، وعلى سَنَن ما نَرى عليه أهلَ الخطابة والشعر من وجودِ ما يُوجد منهم مُفرَّقًا حِينًا فحينًا وشيئًا فشيئًا

لنُزِّل مرّة واحدة كسائر الكتبِ السماويّة،[١] بخلاف الخُطب والرسائل والأشعار، فإنّ المُترسِل لا يُظهِر ديوان رسائله وخُطبه دفعة واحدة، والشاعر لا يُظهِر ديوان شعره دفعة، فأُجيبوا بأنكم إن ارتبتم في إنزاله على هذا الوجه فهاتوا[٢] نَجْمًا من نجومه. وتقريره أنّ القرآن النازل على هذا التدريج: إمّا أن يكون من جِنس مقدور البشر، أو لا يكون؛ فإن كان **الأوّل** وجب إتيانهم بمِثله[٣] أو بما يَقرُب منه على التدريج، وإن كان **الثاني** ثبت أنّه مع نزوله على التدريج مُعجِز.

قوله: (**مُخالِفًا**) خبرٌ بعد خبر لـ(**كان**)، أو حال من الضمير المستتر في خبر "كان".

قوله: (**لم يُنزَّل**) جوابُ (**لو**). و(**هكذا**) صفة مصدر محذوف، أي: إنزالًا مثل هذا الإنزال. و(**نجومًا**) حال من الضمير في "لم يُنزَّل". و(**سورةً**) بدلٌ من "نجومًا"، و(**بعد سورة**) صفة "سورة". و(**آياتٍ**) عطف على "سورة"، و(**غِبَّ**[٤] **آيات**) صفة "آيات".

قوله: (**على حسَب**) أي: قَدْر النوازل، أي: الحوادث، وقد مرَّ تحقيقه أوّل الخُطبة، حيث قال: "ونزَّله[٥] بحسب المصالح".[٦]

قوله: (**كِفاءِ**) عطفٌ على قوله: "حسَب". والكِفاء مصدر بمعنى المُكافأة وُضِع موضع المُكافئ، يقال: لا كِفاء له بالكسر، أي: لا نظير له، وكلُّ شيء ساوى شيئًا حتّى يكون مِثله فهو مُكافئ له.[٧]

قوله: (**مِن وجود**) بيان "ما".

---

١ د ش ن: السماويّ.

٢ ن: فاتوا.

٣ ن: مثله.

٤ ن – غِبَّ.

٥ ن: ونزل.

٦ انظر تفصيله في شرح الجاربردي مقدّمة **الكشّاف**.

٧ انظر: **الصحاح** للجوهري، «كفأ».

حَسْبَ ما يَعِنُّ لهم من الأحوال المُتجدِّدَة والحاجات السَّانحةِ، لا يُلْقي النَّاظِمُ ديوانَ شِعْره دَفْعةً، ولا يَرْمِي الناثِرُ بمجموع خُطَبِه أو رَسائله ضَرْبةً، فلو أنزله اللهُ تعالى لأنزله خلافَ هذه العادةِ جملةً واحدةً.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان ٣٢/٢٥].

فقيل: إن ارتبتُم في هذا الذي وقع إنزالُه هكذا على مَهَلٍ وتدريجٍ فهاتوا أنتم نَوْبَةً واحدةً من نُوَبِه، وهَلُمُّوا نجمًا فردًا من نجومِه: سورةً من أصغر السُّوَر، أو آياتٍ شتَّى مفترَيات، وهذه غايةُ التَّبكيت، ومُنْتَهَى إزاحَةِ العِلل.

قوله: (**حسَب ما يعِنُّ**) يقال: هذا رجُل حَسْبُك من رجُل، وهو مدح للنكرة، كأنّه قال: مُحسِب لك، أي: كافٍ لك من غيره، يستوي فيه الواحد والجمع والتثنية؛ لأنّه مصدر. وتقول في المعرفة: هذا عبد الله حَسْبَك من رجل،[1] فتنصب "حسبَك" على الحال.[2] و"يعنُّ"، أي: يَعرِض.

قوله: (**لهم**) أي: لأهل الخَطابة والشِّعر.[3] (**من الأحوال**) بيانُ "ما".[4]

قوله: (**لا يُلقي الناظم**)... إلخ، بيانٌ لقوله: (**على سَنن ما نرى عليه أهل الخَطابة**)... إلخ.

قوله: (**فقيل**) عطف على قوله: (**كانوا يقولون**).

قوله: (**فهاتوا**)[5] جزاءُ الشرط. وقوله: (**هلمُّوا**) عطفٌ على قوله: "فهاتوا"، وهو يكون لازمًا ومُتعدِّيًا. قال تعالى: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب ١٨/٣٣]، وقال: ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام ١٥٠/٦].

قوله:[6] (**سورةً**) بدلٌ من قوله: (**نجمًا**). والتبكيت: كالتقريع والتعنيف، وبكَّته بالحُجَّة، أي: غلبه. وزاح الشيءُ يَزيح / زَيْحًا:[7] بعُدَ، وأَزاحه غيرُه. [١١٧و]

---

١ ن - من رجل.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «حسب».

٣ ش: والسعر.

٤ ن - ما.

٥ ن: فهابوا.

٦ ن - قوله.

٧ ن - زيحًا.

وقرئ: "على عبادنا" يريد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأُمَّته.

والسورةُ: الطائفة من القرآن المترَجَمة التي أقلُّها ثلاثُ آياتٍ.

وواوُها إن كانت أصلًا: فإمَّا أَنْ تسمَّى بسورةِ المدينة وهي حائطُها؛ لأنَّها طائفة من القرآن مَحْدودةٌ مَحُوزَةٌ على حِيالِها كالبَلَد المسَوَّر، أو لأنَّها مُحْتوِيَةٌ على فنونٍ من العلم وأجناسٍ من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها.

وإمَّا أن تُسمَّى بالسُّورة التي هي الرُّتبةُ، ....

قوله: **(المُترجَمة)** أي: المُعبَّرة عنها بسورة كذا، أو معناها المُبيَّنة في موضعها، المعلومة المَقطَع[١] والمُنتهى. ويُشير بذلك إلى أنّها توقيفيّة على ما مرَّ في الآية.

قوله: **(وهي)** أي: سورة المدينة: حائط المدينة التي تَحوط بالمدينة.

قوله: **(لأنّها)** مُتعلِّق بقوله: **(تُسمَّى)**، وهي بيانُ المناسبة بين سورة[٢] المدينة وسورة[٣] القرآن.

قوله: **(مَحُوزة)** أي: مجموعة.

قوله: **(كالبلد المُسوَّر)**[٤] فأُريد بالسورة[٥] المُسوَّر، كما يراد بالحائط المَحُوط، أي: البستان.

قوله: **(أو لأنّها)** عطفٌ على قوله: **(لأنّها)** أي: وإمّا أن تُسمَّى لأنّ السورة من القرآن مُحتوية، أي: مُشتمِلة على أنواع العلوم كاشتمال سورة[٦] المدينة على ما في المدينة، وعلى هذا الوجه لا يكون المراد بالسورة[٧] المُسوَّر.

قوله: **(وإمّا أن تُسمَّى)** عطف على قوله: **(فإمّا أن تُسمَّى)**، يعني: إذا كانت واوها أصليّة تحتمِل أن تكون من[٨] السورة التي هي: حائط[٩] المدينة،

---

١ ن - المقطع.
٢ ن: سور.
٣ ن: سور.
٤ ن: المسورة.
٥ ن: بالسور.
٦ ن: سور.
٧ ن: بالسور.
٨ ن: إلى؛ هامش ن: ظ [اختصارا من "الظاهر"]: من.
٩ ن: الحائط.

قال النابغة:

ولِـرَهْـطِ حَـرَّابٍ وَقَـدٍّ سُـورةٌ   في المجْدِ لَيْسَ غُرَابُها بِمُطَارِ

لأحدِ معنيَيْن؛ لأنَّ السُّوَرَ بمنزلةِ المنازل والمراتبِ يَترقَّى فيها القارئُ، وهي أيضًا في أنفسها مُتَرَتِّبةٌ: طِوالٌ وأَوْساطٌ وقِصارٌ، ....

ومن السورة التي هي: الرُّتبة. **(قال النابغة:**

ولِـرَهْـط حـرّاب وقَـدٍّ سُـورةٌ   فـي المجـد ليـس غُرابهـا بمُطـارِ)

قـومٌ إذا كـثُر الصـياح رأيتَـهـمْ   وُقُـرًا غـداة الـرَّوع والإنـفـارِ[1]

"حرّاب وقدّ" رجلان من بني أسد. "سُورة"، أي: منزلة رفيعة،[2] أي: مرتبة عالية لا يُمكِن لأحد أن يُطير غُرابها؛ لأجل عُلُوّها. وإنّما خُصَّ الغُراب؛ لأنّه مَثَل في الحذر،[3] فالمراد وصف المرتبة بالعُلوّ والرفعة. قوله: إذا كثُر الصياح، أي:[4] الصياح في الحرب. وقوله: وُقرًا من الوقار وهو: الثبات، أي: هم قوم[5] لا يَستفزّهم[6] الصياح في الحرب، ولا يستخفُّهم الرَّوع فيها.

قوله: **(لأحد معنيين)** مُتعلّق بقوله: **(تُسمَّى بالسورة)**.

قوله: **(لأنّ السُّوَر)** بدلٌ من قوله: "لأحد"، وهذا هو المعنى **الأوّل**.

قوله: **(وهي أيضًا)** عطفٌ من حيث المعنى على قوله: **(يترقّى)**، فكأنّه قال: أُطلِقت السورة التي هي[7] المَنزلة على تلك الطائفة من القرآن: إمّا لترقّي القارئ في تلك المراتب بحسب تعلّمها ومعرفتها من منزلة إلى منزلة أخرى

---

[1] البيتان في **ديوان النابغة**، ص ٩٩، ١٠١. وبينهما أربعة أبيات، وفيه «كثُر الضِّجاج» بدل «كثُر الصِّياح». وأوّلهما له في **الأمثال** لأبي عُبيد، ص ١٨٦؛ **والحيوان** للجاحظ، ٣/٤٢٤؛ **والصحاح** للجوهري، «قدد»؛ ومَجمَع **الأمثال** للميداني، ٢/٣٩٣؛ **والمستقصى** للزمخشري، ٢/٣٩٩. وتستشهد به كتب الأمثال على المَثَل «هم في خير لا يَطير غُرابه».

[2] انظر: **الأمثال** لأبي عُبيد، ص ١٨٦.

[3] في أمثال العرب «أحذرُ من غُراب». **مَجمَع الأمثال** للميداني، ١/٢٢٦.

[4] ن - في الحذر، فالمراد وصف المرتبة بالعُلوّ والرفعة. قوله: إذا كثُر الصياح، أي.

[5] ن - قوم.

[6] ن: لا ينفرهم.

[7] ن + بمنزلة.

أو لرِفْعةِ شأنها وجَلالةِ محلِّها في الدِّين.

وإن جُعلَتْ واوُها منقلبةً عن همزةٍ فلأنها قِطعةٌ وطائفةٌ من القرآن كالسُّؤرة التي هي البقيَّةُ من الشيء والفَضْلَةُ منه.

فإن قلتَ: ما فائدةُ تَفْصيلِ القرآنِ وتقطيعِه سُوَرًا؟

إلى أن يَستكمِل القرآن، وإمّا لأنّ تلك السورة في أنفسها مُترتِّبة بعضها طِوال وبعضها أوساط وبعضها قِصار.

قوله: (أو لرِفعة) عطف على قوله: "لأنّ السوَر"، وهذا هو المعنى الثاني: وهو أن يكون سُمِّيت تلك الطائفة من القرآن سورةً؛ لرِفعة شأن تلك الطائفة، «وهذا قول أبي عبيدة وابن الأعرابي في تفسير السورة».[1]

قوله: (وإن جُعِلت) عطفٌ على قوله: (إن كانت أصلًا). فقوله: (واوها) مبتدأ، وقوله: "إن كانت" مع جزائه خبره. وقوله: "وإن جعلت" مع جزائه عطفٌ على الخبر، فحقُّه أن نقول: وإن جُعِلت مُنقلبة؛ ليكون ضمير "جُعِلت" عائدًا إلى واوها، لكنّه وَضع الظاهر موضع المُضمَر؛ لبُعد المرجع. أو نقول: عطَف قوله: "وإن جُعِلت" على جملة قوله: "واوها إن كانت"... إلخ، فيكون عطَف الجملة الفعليّة على الجملة الاسميّة، والأوّل أصوب.

«قال أبو الهيثم: السورة من سوَر القرآن عندنا: قطعة من القرآن، وخُصّ ذلك القدر بتسمية سورة؛ لأنه أقلّ قطعة وقَع بها التحدّي. وعلى هذا القول هي مأخوذة من سُؤر الشراب، وهي: بقيّته وقطعة منه».[2] ومنها سُؤر الفأرة وغيرها، والجمع[3] الأسآر، إلّا أنّها لمّا كثُرت في الكلام تُرِك فيها الهمز،[4] وقد أسأره،

---

[1] الوسيط للواحدي، ١٠١/١ (البقرة، ٢٣/٢). وانظر قول أبي عبيدة في مجاز القرآن، ٤/١. وانظر لتفصيل قوله وما أُورِد عليه تهذيب اللغة للأزهري، «سار»، ٤٩/١٣-٥٠؛ والبسيط للواحدي، ٢٣٢/٢-٢٣٥ (البقرة، ٢٣/٢).

[2] الوسيط للواحدي، ١٠١/١ (البقرة، ٢٣/٢)؛ البسيط للواحدي، ٢٣٥/٢-٢٣٦ (البقرة، ٢٣/٢). وأصل قول أبي الهيثم في تهذيب اللغة للأزهري، «سار»، ٥٠/١٣.

[3] ن - والجمع.

[4] انظر: تهذيب اللغة للأزهري، «سار»، ٥٠/١٣.

قلتُ: ليست الفائدةُ في ذلك واحدةً، ولأَمْرٍ مّا أنزل اللهُ التوراةَ والإنجيلَ والزَّبُورَ وسائرَ ما أَوْحاه إلى أنبيائه على هذا المِنْهاج مُسَوَّرةً مترجَمَةَ السُّوَرِ، وبوَّبَ المصنِّفون في كلِّ فنٍّ كُتُبَهم أبوابًا موشَّحَةَ الصدور بالتراجم.

يقال: إذا شربتَ فأَسئر،[1] أي: أبقِ شيئًا من الشراب في قعر الإناء، والنعت منه "سَآّر" على غير قياس؛ لأنّ قياسه مُسئر[2] ونظيره أجبر فهو جَبّار.[3]

قوله: (**ليست الفائدة**) أي: بل فيه فوائد كثيرة.

قوله: (**لأمر**) مُتعلِّق بـ(**أَنزل**)، و(**ما**) صفة "أمر". فكأنّه قال: أَنزل / الله [١١٧ظ]
تعالى كُتبه على هذا المنهاج لأمر عظيم.

قوله: (**على هذا المنهاج**) يجوز أن يكون صفة مصدر "أوحاه". فقوله: (**مُسوَّرة**) حالٌ، ويجوز أن يكون حالًا. فقوله: "مُسوَّرة" بدل منه.

وقوله: (**مُترجَمة السوَر**) أي: مُفسَّرة السوَر، كما قال مِن قبل: «ومن سوَر[4] **الإنجيل** سورة الأمثال».[5] يقال: ترجَم كلامه إذا فسَّره بكلام آخر، ومنه التَّرجَمان بفتح التاء والجيم والجمع التراجِم، مثل زَعفَران وزعافر. وجاء فيه لغة أخرى بفتح التاء وضمّ الجيم، وجاء بضمّ التاء والجيم.[6]

قوله: (**في كلّ فنّ**) ظرفٌ لقوله: (**المُصنِّفون**).

قوله: (**مُوشَّحة الصدور**) يجوز أن يكون صفةَ (**أبوابًا**)؛ لأنّهم يقولون في أوّل الأبواب: الباب الأوّل في كذا، والباب[7] الثاني في كذا. ويجوز أن يكون حالًا من (**كُتبَهم**)، كما يقولون: فيه كذا بابًا، وفي الباب كذا فصلًا، والأوّل أظهرُ.

---

١ ن: فبإشارة.

٢ د: مُسئير.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «سأر». وزاد عليه **الجاربَردي** قوله: «إلّا أنّها لمّا كثرت في الكلام تُرِك فيها الهمز». وانظره في **تهذيب اللغة** للأزهري، «سار»، ١٣/٥٠.

٤ د ش ن: سورة. | وأثبتُّ ما في مطبوع **الكشّاف** وما راجعته من أصوله.

٥ **الكشّاف** للزمخشري، (البقرة، ٢/١٧).

٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «رجم».

٧ ن - الباب.

ومن فوائده: أنّ الجنس إذا انْطوتْ تحتَه أنواعٌ واشتملَ على أصْنافٍ كان أَحْسَنَ وأَنْبَلَ وأَفْخَم مِن أن يكون بَيانًا واحدًا.

قوله: (واشتمل) أي: النوع.

قوله: (كان أحسنَ)؛ لأنّ كلّ نوع حينئذٍ يَمتاز من نوع آخر، وكذا كلُّ صنف من صنف آخر، فيظهر اشتماله على أنواع وأصناف. و"النُّبل": الفضل، ونَبُل بالضمّ فهو نبيل. و«فَخُم الرجُل بالضمّ فخامة، أي: ضَخُم، ورجُل فَخْم، أي: عظيم القدر».[١] ويقال: هم "بيّانٌ"[٢] واحدٌ" كما يقال: بَأْجٌ واحد، أي: ضرب واحد. وفي حديث عمر رضي الله عنه:[٣] «إنْ عِشتُ إلى قابِل فسأجعل الناس بيّانًا[٤] واحدًا»، يريد به التسوية في القَسْم، وكان يُفضِّل المُهاجرين وأهل بدر في العطاء.[٥] والمذكور في الصحاح والمُجمَل يُشعِر بأنّه فَعْلان.[٦] ونُقِل عن أبي عليّ الفارسيّ أنّه فعّال وليس بفَعْلان؛ لأنّ الثلاث لا تكون من موضع واحد.[٧]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «فخم».

٢ ن: بيّان.

٣ د - رضي الله عنه.

٤ ن: بيّانًا. | وله وجه نقله الأزهري بقوله: «وقال أبو سعيد الضرير: لا نعرف "بيّانًا" في كلام العرب، والصحيح عندنا: بيّانًا واحدًا». **تهذيب اللغة**، «ببّ»، ٥٩٢/١٥.

٥ من قوله: "ويقال" بتصرُّف يسير في **الصحاح** للجوهري، «ببب».

٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ببب»؛ و**مُجمَل اللغة** لابن فارس، «ببّ». فإيرادهما إيّاه في «ببب» لا في «ببن» دلّ على أنّه عندهما على وزن فَعْلان لا على وزن فعّال. وكذلك أوردها الأزهري في **تهذيب اللغة**، «ببّ»، ٥٩٢/١٥.

٧ عزا هذا القول إلى أبي عليّ الفارسي الزمخشريُّ في **الفائق**، ٧١/١؛ والمُطرّزيُّ في **المُغرِب**، «صفن». وهو قول قيل قبل أبي علي؛ قال الأزهري: «وقال الليث: بيّان على وزن فَعْلان، ويقال: على تقدير فَعّال». **تهذيب اللغة**، «ببّ»، ٥٩٢/١٥. وقال ابن خالويه: «ليس في كلام العرب كلمة تامّة حروفها كلّها من جنس واحد، فأُدغِم استقلالًا، إلّا حرفين»، وذكَر منهما لفظ "ببّان". **ليس في كلام العرب**، ص ٣٦-٣٧. وفي عُروبة هذه اللفظة خِلاف؛ قال أبو عُبيد: «ولا أحسِب هذه الكلمة عربيّة، ولم أسمعها في غير هذا الحديث». **غريب الحديث**، ١٦٧/٤. وقال الأزهري تعقيبًا على كلام أبي عُبيد وغيره: «ومثل هؤلاء الرُّواة لا يخطئون فيُصحِّفوا، و"ببّان" وإن لم يكن عربيًا محضًا فهو صحيح بهذا المعنى». **تهذيب اللغة**، «بب»، ٥٩٢/١٥. وقال الهَروي مُعقِّبًا على كلام الأزهري: «وكأنّها لغة يمانية، لم تفشُ في كلام العَرب». **كتاب الغريبين**، ١٣٦/١. وقال الجواليقي: «وببّان ليست بعربيّة مَحضة». **المُعرَّب**، ص ١٩٢. وساق جملة الأقوال السالفة.

ومنها: أنّ القارئ إذا خَتَم سورةً أو بابًا من الكتاب ثمَّ أخَذَ في آخَرَ، كان أَنْشَطَ له وأَهَزَّ لِعِطْفِه وأَبْعَثَ على الدَّرْسِ والتحصيل منه لو استمرَّ على الكتاب بطُولِهِ.

ومَثَلُه المسافرُ: إذا عَلم أنه قَطعَ مِيلًا أو طَوَى فَرْسخًا أو انتهَى إلى رأسِ بَرِيدٍ،

قوله: (ومنها) أي: ومن فوائده.

قوله: (ثمّ أخَذ) أي: شرَع في آخر، أي: في سورة أو باب آخر.

قوله: (كان) أي: كان "الأَخْذ".

قوله: (أنشطَ) اسم التفضيل من قولهم: نشِط بالكسر ينشَط بالفتح نَشاطًا بالفتح.[1] واللام في (له) أي: للقارئ[2] للتعدية، أي: كان الشروع في باب آخر[3] أشدَّ تنشيطًا[4] له من الشروع لو استمرّ[5] على الكتاب. فالضمير من قوله: (منه) عائد إلى "الأَخْذ". و(أَهَزَّ) اسم التفضيل من الهَزِّ،[6] وهو: التحريك. و"العِطْف": المَنكِب. و"المِيل": ثُلث الفَرسخ. و"البريد": اثنا عشر مِيلًا. والبريد في الأصل: البغلة المُرتَّبة في الرباط، تعريب "دُم بُرِيدَه"؛ وذلك لأنّ الملوك كانوا يبنون الرُّبُط، ويَقفون فيها البِغال ويقطعون أذنابها علامة لذلك، فتكون مَوقوفة لأجل الحاجات، ثمّ سُمّي به[7] الرسول المحمول عليها، ومنه البريد الفَيْج،[8] ثمّ سُمِّيت المسافة به، والجمع البُرُد بضمّتين. ومنه «كان ابن عبّاس وابن عمر رضي الله عنهم[9] يقصُران ويُفطِران في أربعة بُرُد، وهي ستة عشر فَرسخًا».[10]

---

١ انظر: الصحاح للجوهري، «نشط».

٢ ن: القارئ.

٣ ن + كان.

٤ ن: تنسيطًا.

٥ ن: استمرّت.

٦ د: الهزّة.

٧ ن – به.

٨ الفيج: رسول السلطان على رجله، يسعى بالكُتب، وهو الذي يسرع في مشيه يحمل الأخبار من بلد إلى بلد. فارسيٌّ مُعرَّب. انظر: لسان العرب لابن منظور، «فيج».

٩ د – رضي الله عنهم؛ ش: عنهما.

١٠ من قوله: "والبريد في الأصل" إلى هنا أكثره بلفظ قريب في المُغرِب للمُطرّزي، «برد». والحديث في صحيح البخاري، ٤٣/٢ (١٠٨٦)؛ وسنن البيهقي، ١٣٢/٦ (٥٤٠٦٣)، وفيه «أنّ عبد الله بن عمر وعبد الله بن عبّاس كانا يُصلّيان ركعتين، ويُفطران في أربعة بُرُد فما فوق ذلك».

نَفَّسَ ذلك منه ونَشَّطَهُ للسَّيْرِ، ومِن ثَمَّ جَزَّأَ القَرَأَةُ القرآنَ أَسْباعًا وأجزاءً وعُشورًا وأَخْماسًا.

ومنها: أن الحافظ إذا حَذَقَ السُّورةَ اعتَقد أنه أخذَ من كتابِ الله طائفةً مستقِلَّةً بنفسها لها فاتحةٌ وخاتِمةٌ، فيَعْظُمُ عندَهُ ما حَفِظَه ويَجِلُّ في نفسه ويَغْتَبِطُ به، ومنه حديثُ أنسٍ رضي الله عنه: كان الرَّجلُ إذا قرأ البقرةَ وآلَ عمران جَدَّ فينا. ومِن ثَمَّ كانت القراءةُ في الصَّلاة بسورةٍ تامةٍ أفضلَ.

ومنها: أن التفصيل سببُ تلاحقِ الأشكال والنظائر وملاءمَةِ بَعْضِها لبعضٍ. وبذلك تَتلاحَظُ المعاني ويتجاوَبُ النَّظْمُ.

ويقال: نفَّستُ عنه تنفيسًا، أي: رفَّهتُ، ونفَّس الله عنه كربته، أي: فرَّجها.[1]

قوله: (**ذلك**) أي: القَطْع والطَّيّ والانتهاء.

قوله: (**ومِن ثَمّ**) أي: من أجل أنّه أنشطُ وأهزُّ.

قوله: (**جزَّأ**) جزَّأتُ بتشديد الزاي،[2] ويجوز فيه التخفيف. يقال: جزَأت الشيء جَزْءًا: قسمتُه، وكذا[3] جزَّأتُه تجزئة. و(**القَرَأَة**) بفتح القاف والراء والهمزة، جمع القارئ.

قوله: (**ومنها**) أي: ومن فوائد تفصيل[4] **القرآن**. و(**حذَق**) أي: أتمّ. قال في **المُجمَل**: «حذَق الغلام القرآن، وحذَق السكّينُ الشيء إذا قطَعه».[5]

قوله: («**جدَّ**»)،[6] أي: عظُم. و(**الأشكال**): النظائر. و"**المُلاءمة**": الموافقة. ومنه قولهم: طعامٌ لا يُلائمني. و"**تلاحُظ المعاني**" عبارة عن قُرْب بعضها من بعض وتناسُبها، كأنّه ينظر بعضها إلى بعض. واللِّحاظ بكسر / اللام[7] [١١٨و]

---

[1] انظر: **المُغرِب** للمُطرّزي، «نفس».

[2] ن: الزاء.

[3] ش: وكذلك.

[4] ن: تفصيل.

[5] **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «حذق».

[6] الحديث الذي منه هذا اللفظ في **مسند أحمد**، ٢٤٧/١٩ (١٢٢١٥). وهو بمعناه من غير موضع الاستشهاد في **صحيح البخاري**، ٢٠٢/٤ (٣٦١٧)؛ و**صحيح مسلم**، ٢١٤٥/٤ (٢٧٨١).

[7] ن: الميم.

إلى غير ذلك من الفوائد والمنافع.

﴿مِن مِّثْلِهِۦ﴾ متعلِّقٌ بـ"سورةٍ" صفةٌ لها؛ أي بسورةٍ كائنةٍ مِن مثلِهِ، والضميرُ لـ"ما نزَّلنا" أو لـ﴿عَبْدِنَا﴾.

ويجُوز أن يتعلَّق بقوله: ﴿فَأْتُواْ﴾ والضميرُ للعبد.

مصدر لاحظتُه إذا رعيتَه، واللِّحاظ بالفتح مُؤْخِر العين عند الصدغ،[1] ولحَظه[2] ولحَظ إليه بمُؤخَر عينه. والتجاوُب والمُجاوَبة: التحاور، و"تجاوُب النَّظْم" أيضًا[3] عبارة عن قربه وتناسُبه، كأنّه بحيث يتكلّم بعض النظم مع بعض. وحاصل هذا الوجه أن تكون المعاني متناسبًا وكذا النظم،[4] فيرجع كلُّ شيء في نصابه ويستقرّ في مركزه، ويكون داخلًا تحت الضبط بعيدًا عن الانتشار والخَبْط.

قوله: **(إلى غير ذلك)** حالٌ من الضمير المستتر في قوله: **(من فوائده)**. فإنّ قوله: **(أنّ الجنس)**... إلخ، في محلّ المبتدأ وقوله: "من فوائده" خبره، وفي الخبر ضمير مستتر عائد إلى المبتدأ، فكأنه قال: هذه الفوائد من فوائده مُنضمَّة إلى غير ذلك. وقوله: **(من الفوائد)** بيانُ "غير ذلك".

قوله: **(كائنة من مِثله)**: إذا جُعِل ﴿مِن مِّثْلِهِۦ﴾ صفة "سورة"، وجُعِل[5] الضمير لـ"ما نزَّلنا". فـ﴿مِن﴾ زائدة، وهو قول الأخفش، ودليله في الآية الأخرى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس ١٠/٣٨]؛[6] وإذا جُعِل "من مِثله" صفة[7] "سورة"، وجُعِل الضمير لـ﴿عَبْدِنَا﴾، فـ﴿مِن﴾ للابتداء.

قوله:[8] **(ويجوز أن يتعلَّق)** أي: ﴿مِن مِّثْلِهِۦ﴾ بقوله: ﴿فَأْتُواْ﴾، فـ﴿مِن﴾ للابتداء.

قوله: **(والضمير للعبد)** وإنّما حَكم المُصنِّف بأن قوله: ﴿مِن مِّثْلِهِۦ﴾ إذا كان

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «لحظ».

٢ ن - ولحظه.

٣ ن - أيضًا.

٤ ن + وكذا النظم.

٥ ن: جعل.

٦ لم أجد للأخفش قولًا بزيادة "من" في **معاني القرآن** عند موضع الكلام على الآيتين. وله كلام على أمثاله في مواضع آخر، ستأتي الإشارة إلى بعضها قريبًا عند الإحالة على مذهبه.

٧ ن - صفة.

٨ د - قوله.

....

صفة "سورة" يجوز أن يعود الضمير إلى "ما" وإلى "عبدنا"، وإذا كان مُتعلِّقًا بقوله: ﴿فَأْتُوا۟﴾ تعيَّن أن يكون الضمير للعبد؛ لأنّه إذا كان صفة: فإن عاد الضمير إلى "ما" تكون ﴿مِن﴾ زائدة، كما هو مذهب الأخفش في زيادة ﴿مِن﴾،[1] إذ المعنى حينئذٍ: فأتوا بسورة مِثل القرآن في حُسْن[2] النظم واستقامة المعنى وفخامة الألفاظ وجزالة التراكيب، وليس النظر إلى أن تكون مِثْل بعض القرآن[3] أو كلِّه، بل لا وجه لهذا الاعتبار، يُؤيِّده قوله تعالى في موضع آخر: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس ١٠/٣٨]، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هود ١١/١٣]، فلا تكون ﴿مِن﴾ للتبعيض ولا ابتدائيّة؛ لأنّه ليس المقصود أن يكون مَبدأ الإتيان هذا أو ذاك. وإن عاد الضمير إلى ﴿عَبْدِنَا﴾ تكون ﴿مِن﴾ ابتدائيّة، وهو ظاهر. وأمّا إذا كان ﴿مِن مِّثْلِهِۦ﴾ مُتعلِّقًا بـ﴿فَأْتُوا۟﴾ فلا يجوز أن تكون ﴿مِن﴾ زائدة؛ لأنّ حرف الجرّ إذا كان زائدًا لا يكون مُتعلِّقًا بشيء فتعيَّن أن يكون المعنى: فأتوا بسورة من مِثل عبدنا، وتكون ﴿مِن﴾ ابتدائيّة.

وقال بعض العلماء في كتابه المُسمَّى بكشف المُشكلات: فهذان القولان قالهما أصحاب المعاني. وعلى قياس قول سيبويه في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ [النحل ١٦/٦٦]: إنّ الهاء في قوله: ﴿فِى بُطُونِهِۦ﴾ يعود إلى ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾، يجيء قول ثالث في هذه الآية: وهو أن تعود الهاء إلى الأنداد، أي: من مِثل الأنداد.[4]

وذلك أنّ أفعالًا وجموع القِلّة تجري مَجرى الآحاد؛ ولذلك تُحقَّر وتُكسَّر، نحو أُنَيعام[5] وأَناعِيم، ومثله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ [فاطر ٣٥/٢٨].

---

[1] يرى الأخفش والكوفيون زيادة "مِن" في الواجب والنفي، خلافًا لمَن لا يرى زيادتها إلّا مع النفي. انظر أمثلة لمذهبه وتفصيلًا له في معاني القرآن للأخفش، ١/١٠٥؛ والمُفصَّل للزمخشري، ص ٣٨٠؛ وشرح المُفصَّل لابن يعيش، ٨/١٠-١٤؛ وشرح الرضي على الكافية، ٤/٢٦٨-٢٦٩.

[2] ن: جنس.

[3] ن: العدلين.

[4] انظر: كشف المُشكلات للأصفهاني الباقولي، ١/٢٦-٢٧. وفي حواشي مُحقِّقه تفصيل واتِّساع وفوائد جمّة.

[5] ن: أنعام.

فإن قلتَ: وما مِثْلُه حتَّى يأتوا بسورةٍ من ذلك المِثْل؟

قلتُ: معناه: فأتوا بسورةٍ ممّا هو على صفته في البيان الغريب، وعلوّ الطبقةِ في حُسنِ النظم.

أو: فأتوا ممن هو على حاله مِن كونه بشرًا عربيًّا أو أمِّيًّا لم يقرأ الكتُبَ ولم يأخذ من العلماء، ولا قَصْدَ إلى مِثْلٍ ونظيرٍ هنالك، ولكنَّه نحوُ قَوْل القَبَعْثَرى للحجاج -وقد قال له: لأَحْمِلَنَّك على الأَدْهم-: ....

قوله: (**ممّا هو على صفته**) أي: على صفة ما نزَّلنا، وهذا على تقدير أن يكون الضمير لـ"ما نزّلنا".

قوله: (**أو فأتوا**) وهذا على[1] تقدير أن يكون الضمير لـ﴿عَبْدِنَا﴾.

قوله: (**على حاله**) أي: حال عبدنا. و(**مِن**) بيان "حاله".

قوله: (**بشرًا عربيًّا أو أُميًّا**)،[2] يريد أنّه حينئذٍ يحتمل معنيين: **الأوّل**: أن يكون المعنى: فأتوا من إنسان عربيّ فصيح مثل محمَّد صلى الله عليه وسلّم[3] في العربيّة والفصاحة، أي: لا يقدِر أحد مِن الفُصحاء / على الإتيان. **والثاني**: [١١٨ظ]
أن يكون المعنى مِن أميّ لم يتعلَّم ولم يقرأ.

قوله: (**ولا قَصْد**) عطفٌ على قوله: (**معناه فأتوا**).

قوله: (**ولكنّه**) استدراكٌ مِن قوله: "ولا قصد". و(**القَبَعْثَرى**)[4] في أصل اللغة: العظيم الخَلْق. وهو ههنا اسم رجل من رؤساء العرب خرج على الحَجّاج بن يوسف، وتوعَّده الحَجّاج بالقيد،[5] فقال، أي: الحَجّاج للقَبَعْثَرى: («**لأَحملنَّك على الأدهم**»)، والأدهم: القيد، فقال القَبَعْثَرى متجاهلًا:

---

١ من هنا يبدأ اللوح ٢٧٥ظ من النسخة ش، وفي جزء منه سواد ذهب ببعض الكلام.

٢ ن: وأميًّا.

٣ د ش - صلى الله عليه وسلّم.

٤ صوابه: ابن القَبَعْثَرى، واسمه الغضبان. وجاء على الصواب في كتاب الأمثال لأبي عُبيد، ص ٥٦؛ وجمهرة الأمثال للعسكري، ٣٥/٢؛ وشرح مقامات الحريري للشّريشي، ٦٨/٤؛ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٥٠/٥.

٥ ن: بقتله.

مثلُ الأمير يَحمل على الأدهم والأَشْهب، أراد: مَن كان على صفة الأمير من السُّلْطان والقُدرة وبَسْطةِ اليد، ولم يقصِدْ أحدًا يجعلهُ مِثْلًا للحجاج.

وردُّ الضمير إلى المنزَّلِ أوجهُ؛ لقوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة ٢/٢٣] ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هود ١١/١٣] ﴿عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء ١٧/٨٨].

ولأنّ القرآن جديرٌ بسلامةِ الترتيب والوقوعِ على أصحِّ الأساليب، ....

(«مثلُ الأمير حَمَل على الأدهم والأشهب»)،[١] وأراد القَبَعْثرى: الفَرسَ الأدهم والفرسَ الأشهب؛ فأخرج وعيد[٢] الحَجّاج في مَعرِض الوعد، وأشار إلى أنّ مَن[٣] كان مثل الحَجّاج في الحُكومة فهو جدير بأن يُحسِن لا أن يُسيء، وبأن يعِد بالإحسان لا أن يُوعِد بالإساءة.

قوله: "مِثلُ الأمير"... إلخ، مَقول قول القَبَعْثرى. وقوله: (وقد قال) جملة مُعترِضة.

قوله: (وردُّ الضمير) مبتدأ، خبره (أَوْجَه). وهذا القول مَرويّ عن ابن عُمر وابن مسعود وابن عبّاس والحَسَن وأكثر المُحقِّقين،[٤] ويدلُّ عليه وجوه: **الأوّل**: أنّ ذلك مُطابِق لسائر الآيات الواردة في باب التحدّي.[٥]

قوله: (ولأنّ القرآن) عطفٌ على قوله: (لقوله تعالى)... إلخ، هذا هو **الوجه الثاني**: وتقريره أنّ البحث إنّما هو في المُنزَّل؛ لأنّه قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾، فوجب صَرْف الضمير إليه، ألا ترى[٦] أنّ المعنى: وإن ارتبتم في أنّ القرآن مُنزَّل من عند الله تعالى[٧] فهاتوا أنتم شيئًا ممّا يماثله،

---

١ انظر الخبر مُفصَّلًا في كتاب **الأمثال** لأبي عُبيد، ص ٥٦-٥٧؛ و**جمهرة الأمثال** للعسكري، ٢/٣٥. وهو في **دلائل الإعجاز** للجرجاني، ص ١٣٨؛ و**مفتاح العلوم** للسَّكّاكي، ص ٤٣٦؛ و**الإيضاح** للقزويني، ص ١٦٢-١٦٣؛ و**المُطوَّل** للتفتازاني، ص ١٣٥-١٣٦.

٢ ن: عند.

٣ ن: مثل.

٤ انظر: **تفسير الرازي**، ٢/١٢٩ (البقرة، ٢/٢٣). وفي مطبوعه «عمر» بدل «ابن عمر».

٥ ن: التحذير.

٦ د: يُرى.

٧ د ش - تعالى.

والكلامُ مع ردِّ الضمير إلى المنزَّل أَحْسنُ ترتيبًا، وذلك أن الحديث في المنَزَّل لا في المنزَّل عليه، وهو مسوقٌ إليه ومَرْبُوطٌ به، فحقُّه أن لا يُفَكَّ عنه بردِّ الضمير إلى غيره.

ألا ترى أن المعنى: وإن ارتَبْتُم في أَنَّ القرآن منزَّلٌ من عند الله فهاتوا أنتم نبذًا ممَّا يُماثلُه ويُجانسُه، وقضيَّةُ الترتيب لو كان الضميرُ مردودًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال: وإن ارتبتم في أنَّ محمدًا مُنَزَّل عليه فهاتوا قرآنًا من مثله. ولأنَّه ....

وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودًا إلى رسول الله عليه السلام أن يقال: وإن ارتبتُم في أنّ محمَّدًا صلى الله عليه وسلّم[1] مُنزَّل عليه فهاتوا قرآنًا من مِثله.

قوله: (ذلك) إشارة إلى أنّه حينئذٍ أحسَن ترتيبًا.

قوله: (وهو) أي: الحديث.

قوله: (إليه) أي: إلى المُنزَّل. و(به) أي: بالمُنزَّل. (فحقُّه) أي: فحقُّ الحديث عنه، أي: عن المُنزَّل. والباء مُتعلِّق بقوله: (يُفَكّ).

قوله: (نُبَذًا) أي: شيئًا يسيرًا.

قوله: (ولأنّه) عطفٌ علي قوله: "لقوله تعالى". والضمير للشأن أو للقرآن، هذا هو الوجه الثالث: وتقريره أن نقول: لو كان الضمير عائدًا إلى القرآن لاقتضى كونهم عاجزين عن الإتيان بمثله، سواءٌ اجتمعوا أو تفرَّدوا، وسواء كانوا أُميّين أو عالمين، أمّا لو كان عائدًا إلى محمَّد عليه السلام فذلك لا يقتضي إلّا كون آحادهم مِن الأمِّيين عاجزين عنه؛ لأنّه لا يكون مِثْل محمَّد صلى الله عليه وسلّم[2] إلّا الشخص الواحد الأميُّ، فأمّا لو اجتمعوا وكانوا قارئين لم يكونوا مثل محمّد عليه السلام؛ لأنّ الجماعة لا تُماثل[3] الواحد، والقارئ لا يكون مثل الأميّ، ولا شكَّ أنّ الإعجاز على الوجه الأوّل أقوى.

---

١ د ش - صلى الله عليه وسلّم.
٢ د ش - صلى الله عليه وسلّم.
٣ ن: لا تكون مثل الواحد.

إذا خُوطِبوا جميعًا -وهم الجمُّ الغفيرُ- بأن يأتوا بطائفةٍ يسيرةٍ من جنسِ ما أتى به واحدٌ منهم كان أبلغَ في التحدّي من أن يقال لهم: ليأتِ واحدٌ آخرَ بنحوِ ما أتى به هذا الواحدُ.

ولأنّ هذا التفسير هو الملائم لقوله: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾.

قوله: (الجمّ) أي: الكثير، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾ [الفجر ٨٩/٢٠]. و(الغفير) صفة له، معناه: يَغفِر، أي: يستر بعضهم بعضًا.

قوله: (بأنْ) متعلّق بـ(خُوطبوا). وقوله: "وهم الجمّ الغفير" جملة معترضة. وقوله: (كان) جواب (إذا). و(مِن) متعلّق بـ(أبلغ).[١]

قوله: (ولأنّ) عطفٌ على قوله: "لقوله تعالى"، وهذا هو الوجه الرابع: وهو أن يقال: لو كان الضمير عائدًا إلى القرآن لَنَاسَب هذا التفسيرُ قولَه تعالى: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾؛ لأنّه يُناسِب أن يقال: فأتوا بسورة مِن مِثل القرآن واستعينوا على الإتيان بمثله بحاضريكم وبمَن يُعينكم، ولا يُناسِب أن يقال: فأتوا بسورة من مِثل محمّد صلى الله عليه وسلّم[٢] في عدم التعلُّم، واستعينوا بمَن يحضُركم ويُعينكم، وهذا ظاهر.

وهنا وجهان آخران لم يذكرهما المُصنّف، وذكرهما الإمام:

[١١٦و] الأوّل: أنّا لو صرفنا / الضمير إلى القرآن لكان إعجاز القرآن إنّما يحصُل بكمال[٣] القرآن في الفصاحة، أمّا لو صرفناه إلى محمّد عليه السلام فكونه مُعجِزًا إنّما يكمُل بتقرير حال النبيّ عليه السلام في كونه أُمّيًّا بعيدًا عن العلم، وهذا وإن كان مُعجِزًا أيضًا إلّا أنّه لمّا كان لا يتمّ[٤] إلّا بتقرير يُوهِم مِنَ النقصان في حقّ النبيّ عليه السلام كان الأوّل أَوْلى.

الثاني من هذين الوجهين: أنّا لو صرفنا الضمير إلى النبيّ عليه السلام لكان ذلك يُوهِم أنّ صدور القرآن عمّن لم يكن مِثل النبيّ عليه السلام في كونه أُمّيًّا مُمكِن، ولو صرفناه إلى القرآن لدلّ ذلك على أنّ صدور

---

١ ن - بـ(أبلغ).

٢ ن - بكمال.

٣ د ش - صلى الله عليه وسلّم.

٤ ن: الاسم.

والشهداءَ: جمع شهيد بمعنى: الحاضر أو القائم بالشهادة،

ومعنى ﴿دُونِ﴾: أدنى مكانٍ من الشيء، ومنه: الشيءُ الدُّونُ، وهو الدَّنيُّ الحقير،

مِثله من الآدمي مُمتنع، فكان هذا أولى.[1]

قوله: (والشهداء جمع شهيد)... إلخ، نُقل عن ابن عباس رضي الله عنه[2] أنّه قال: «يعني: أعوانكم وأنصاركم الذين يُظاهرونكم على تكذيبكم».[3] وسمّى أعوانهم شهداء؛ لأنّهم يُشاهدونهم عند المُعاونة. والشهيد يكون بمعنى المُشاهِد، كالجليس بمعنى المُجالس، والشريب.[4]

قوله: (ومعنى ﴿دُونِ﴾) مبتدأ، وقوله: (أدنى مكانٍ) خبره، يعني: معنى "دون" هو أقرب مكان. وقوله: (من الشيء) صلة قوله: "أدنى".

قوله: (ومنه) أي: ومن "دون" بمعنى "أدنى"، أي:[5] أقرب مكانٍ، قولُهم: (الدُّون)، بمعنى: الدنيء الحقير. وهذا من قبيل ما مرّ:[6] أنّه يتخرّج على القُرب التحقير والاسترذال، وعلى البُعد التعظيم. مِثال الأوّل كقول عائشة رضي الله عنها:[7] «يا عَجَبا لابن عمرو هذا!»،[8] مُحقِّرةً لعبد الله بن عمرو بن العاص،[9] وكقوله تعالى حكاية عن الكُفّار: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [المدثر ٣١/٧٤]، ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان ٤١/٢٥]. ومِثال الثاني كقولك في مقام التعظيم:

---

[1] انظر: تفسير الرازي، ٢/١٢٩ (البقرة، ٢/٢٣). وفي مطبوعه «بتقرير نوع من النقصان» بدل «بتقرير يُوهِم من النقصان».

[2] د - رضي الله عنه.

[3] الوسيط للواحدي، ١/١٠٢ (البقرة، ٢/٢٣)؛ البسيط للواحدي، ٢/٢٤٤ (البقرة، ٢/٢٣).

[4] انظر: الوسيط للواحدي، ١/١٠٢ (البقرة، ٢/٢٣). وله تفصيل في البسيط للواحدي، ٢/٢٤٣-٢٤٤ (البقرة، ٢/٢٣).

[5] ن - أدنى، أي.

[6] مضى في تفسير سورة البقرة، ٢/٢.

[7] د - رضي الله عنها.

[8] طرف حديث أوّله: «بلغ عائشة أنّ عبد الله بن عمرو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهنّ، فقالت: يا عجبًا...». والحديث في صحيح مسلم، ١/١٦٠ (٣٣١)؛ وسنن ابن ماجه، ١/٤٧٩-٤٨٠ (٦٠٤).

[9] لا أرى رأي السَّكّاكي في أنّ الغرض من استعمال الإشارة هنا التحقير. فإنّ احتمال أن تكون الإشارة فيه لتمييز المذكور ظاهر؛ ولاسيما أنّه المقصود بالخطاب دون غيره، ولعلّه أقرب إلى السّياق وأليَق بحال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. ثمّ إنّه لا دليل على إرادة التحقير في الكلام. والله أعلم.

ودَوَّنَ الكتُبَ: إذا جَمَعها؛ لأنّ جَمْعَ الأشياء إِدْنَاءُ بَعْضها من بعضٍ وتقليلُ المسَافَةِ بينها، يقال: هذا دون ذاك: ....

ذلك الفاضل، وأولئك الفُحول، وكقوله تعالى حكاية عن زَلِيخا: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف ١٢/٣٢].[١]

قوله: **(ودوَّن الكُتب)** عطفٌ على قوله: **(الشيء الدُّون)**. وقوله: **(إذا جمَعها)** تفسير. وقوله: **(لأنّ)** بيانٌ أنّ قولهم: "دوَّن الكتاب" مأخوذ من "دُون" بمعنى "أدنى مكان"، فهو مُتعلِّق بقوله: **(منه)**. وبيانه أنّ قولك:[٢] "الشيء الدُّون" مبتدأ. وقوله: "دوَّن الكتب" عطفٌ على المبتدأ. وقوله: "منه" خبرُ المبتدأ، فكأنّه قال قولهم: "دوَّن الكُتب" مأخوذ منه أو حاصل منه، ثمّ بيَّن أَخْذه منه بأنّ جمع الأشياء هو **(إدناءُ)** أي: تقريب بعض الأشياء من بعض.[٣]

قوله: **(وتقليلُ)** عطفٌ على قوله: "إدناء". ويجوز أن يكون هذا من العطف الذي للبيان، كما مرَّ في قولهم: ويكره التصاوير والتماثيل،[٤] فيكون قوله: "تقليل المسافة بين الأشياء" تقريرًا وتحقيقًا لقوله: "إدناء"، أي: تقريب بعض الأشياء من بعض. ويجوز ألّا يكون من العطف الذي للبيان، بل يكون بيّن وجه قولهم: "دوَّن الكُتب" من طريق أخرى، وهي أنّ تقليل المسافة يُناسب التحقير، ألا ترى[٥] إلى قولهم: دُوَين هذا وفُوَيق[٦] هذا؛ لتقليل ما بينهما، ولمّا كان كذلك -وقد قيل: الدُّون بمعنى الدنيء الحقير، فقيل منه: دوَّنَ، أي: جمع- فكأنّه قال: يجوز أن يكون قولهم: "دوَّن الكتب" مُتفرِّعًا على "دُون" بمعنى "أقرب مكان"، أو على "الدُّون" الذي بمعنى "الدنيء".

قوله: **(يقال: هذا دونَ ذاك)** مُتعلِّق بقوله: "معنى دون: أدنى مكان"[٧] تعلُّقَ تقريرٍ وبيانٍ، فلذا لم يُعطَف، فكأنّه قال: معنى دون: أدنى مكان؛ لأنّه يقال:

---

١ من قوله: "أنّه يتفرّع" إلى هنا بلفظ قريب في **مفتاح العلوم** للسَّكّاكي، ص ٢٧٧-٢٧٨.

٢ ن: ذلك.

٣ ن - بعض.

٤ انظر: **المُغرِب** للمُطرِّزي، «مثل». ومضى بزيادة تفصيل في تفسير سورة البقرة، ١٧/٢.

٥ د: يُرى.

٦ ن: وفريق.

٧ ن: فكأنّه.

إذا كان أَحَطَّ منه قليلًا، و"دونك هذا" أَصْله: خُذْهُ مِن دونك؛ أي: مِن أَدْنى مكانٍ منك، فاختُصر واستُعير للتفاوت في الأَحْوالِ والرُّتبِ، فقيل: زيدٌ دون عمرٍو في الشَّرَفِ والعلم.

ومنه قولُ مَن قال ....

هذا دون ذاك. وقوله: **(إذا كان)** ظرفُ "يقال"، وتفسير قوله: "دون ذاك". والضمير من قوله: "كان" و**(أحطَّ)** عائد إلى "هذا"، ومن **(منه)** إلى "ذاك".

قوله: **(ودونك هذا)** يجوز أن / يكون عطفًا على قوله: "هذا دون ذاك"، فيكون مقول القول، فكأنّه قال: يقال: دونك هذا. فقوله: **(أصله: خُذه)** جملة مُستأنَفة. ويجوز ألّا يكون عطفًا عليه، بل يكون عطفًا على جملة قوله: "يقال"... إلخ، فيكون قوله: "دونك هذا" مبتدأ، وقوله: "أصله: خُذه" خبره. [١١٩ظ]

قوله: **(فاختُصر)** وذلك بأن حُذِف الجارّ وأُوصِل الفعل، فصار: خُذه دونَك، ثمّ حذف الفعل فبقي "دونَك". قال صاحب **الكواشيّ**: معنى "دُون" الانخفاض؛ لأنّه أخفض مكان من غيره، ومنه الشيء الدُّون، ومنه دونَك، أي: خذه من مكان هو أخفض منك.[١] وقال الجوهريّ: «دون: نقيض فوق».[٢]

قوله: **(واستُعير)** عطف على قوله: "يقال". وأمّا على ما ذكره صاحب **الكواشيّ** فهو مُتفرِّع على قوله: "ومعنى دون".

قوله: **(في الأحوال)** أي: في الشرف والدناءة، فشبَّهوا التفاوُت في الأحوال والرُّتَب بالتفاوت في المكان والمسافة.

قوله: **(فقيل)** عطفٌ على قوله: "استعير". وقوله: **(في الشرف)**: يجوز أن يكون[٣] ظرفَ "قيل" فلا يكون من المقول، أي: يقال هذا القول في الشرف والعِلم؛ ويجوز أن يكون من تتمّة المقول ظرفًا للخبر.

قوله: **(ومنه)** أي: ممّا استُعير للتفاوُت. والمراد بـ**(مَن قال)** هو أمير المؤمنين

---

١ انظر: **تفسير الكواشي**، ص ١٩٨ (البقرة، ٢/٢٣). ٣ ن - يكون.

٢ ن: فرق. | **الصحاح للجوهري**، «دون».

لعَدوِّهِ وقد رَاءاه بالثناء عليه: أنا دون هذا وفوقَ ما في نفسك.

واتُّسع فيه فاستُعمل في كلِّ تجاوُزِ حدٍّ إلى حدٍّ وتَخطّي حُكمٍ إلى حُكمٍ؛ قال الله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران ٢٨/٣]؛ أي: لا يتجاوزوا وَلايةَ المؤمنين إلى وَلاية الكافِرينَ. ....

عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه،[١] والمراد بـ(عَدوِّه) معاوية.[٢] قيل: مدح مُعاوية عليًّا رضي الله عنهما[٣] في وجهه وبالغ في مَدحه سُمعةً ورِياءً لا محبّة وإخلاصًا؛[٤] فقال عليّ رضي الله عنه:[٥] («أنا دون هذا وفوق ما في نفسك»).[٦] يقال: راءى فلان يُرائي مُراءاة، وفعل ذلك رِياءَ النّاس. والواو في (وقد راءاه) للحال من الضمير في "قال"، والضمير المستتر في "راءاه" عائد إلى العدوّ، والضمير المنصوب عائد إلى الموصول،[٧] أو إلى الضمير في "قال"، وهو أولى.

قوله: (واتُّسِع) عطفٌ على قوله: "استُعير".

قوله: (فيه) أي: في دون.

قوله: (تجاوُز حدّ) مصدرٌ مضاف إلى المفعول، والفاعل محذوف، أي: تجاوُز الشخص حدًّا إلى حدٍّ. وكذا قوله: (تخطّي) ويقال: تخطّاه، أي: تجاوزه.

قوله: (وَلاية المؤمنين) بفتح الواو. قال في الصحاح: الوِلاية بالكسر: السلطان، والوَلاية بالفتح: النُّصرة، يقال: هم عليّ وَلاية، أي: مُجتمِعون في النُّصرة.

---

١ د - رضي الله عنه.

٢ ما وجدتُ مِن المصادر التي وقفتُ عليها مَن جعل مُعاويةَ رضي الله عنه مُقاوِلَ عليّ رضي الله عنه في هذا الخبر، ولكنّ المذكور فيها أنّ رجُلًا مدَحه نِفاقًا؛ فأجابه عليّ رضي الله عنه بهذا القول. انظر المصادر الآتي ذِكرها في تخريج هذا الخبر. حتّى إنّ الشريف المرتضى حين أورد له هذا الخبر قال قبله: «وأثنى عليه رجُل -وكان له مُتّهِمًا- فقال...». أمالي المرتضى، ٢٧٤/١.

٣ د - رضي الله عنهما.

٤ ن: ولا خلاصًا.

٥ د - رضي الله عنه.

٦ الخبر في كتاب الأمثال لأبي عُبيد، ص ٤٥؛ والبيان والتبيين للجاحظ، ٧٩/٢، وفيها بلفظ «ما تقول» بدل «هذا»؛ ومَجمع الأمثال للميداني، ٥٣/١؛ والمُستقصى للزمخشري، ٣٧٧/١، وفيهما باللفظ الذي أورده المُصنّف. وهو قول جرى مجرى الأمثال.

٧ من هنا إلى قوله: "وقال الأعشى" تصعب قراءة ما ورد في ش؛ لضعف كبير في درجة ظهور الكلام.

وقال أُمَيَّةُ:

يــا نَفــسُ مــا لَــكِ دُونَ الله مــن وَاقِ

أي: إذا تجاوَزْتِ وقايةَ الله ولم تَناليها لم يَقِكِ غيرُه.

و﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ متعلِّقٌ بـ"ادْعوا" أو بـ﴿شُهَدَآءَكُم﴾، فإن علَّقتَه بـ﴿شُهَدَآءَكُم﴾ فمعناه: ادعو الذين اتَّخذتُموهم آلهةً من دون الله وزعمتُم أنهم يَشهدون لكم يومَ القيامة أنكم على الحقِّ.

قال سيبويه: الوَلاية بالفتح المصدر،[1] والوِلاية بالكسر الاسم، مثل الإمارة[2] والنِّقابة؛[3] لأنّه اسم لِمَا تولَّيتَه وقمتَ به، فإذا أرادوا المصدر فتَحوا.[4] (قال أُمَيّة:

يــا نفــسُ مــا لــكِ دونَ الله مِــن واقِ)[5]

وألحق بعضهم به:

ولا للَسْــع بنــاتِ[6] الدهــر مِــن راقِ[7]

والمراد ببنات الدهر: حوادثه. و"الوقاية": الحفظ.

قوله: (و﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾) مبتدأ، وخبره (مُتعلِّق). والباء مُتعلِّق بـ"مُتعلِّق".

قوله:[8] (فإن علَّقتَه بـ﴿شُهَدَآءَكُم﴾) ذكر لهذا التقدير والتعليق وجوهًا ثلاثة.

قولـه: (فمعناه)... إلخ، هذا هو الوجه الأوّل، أي: ادعُوا الأصنام الذين اتّخذتموهم آلهة شاهدين لكم أنكم على الحقّ مُتجاوزين أنتم عن اتّخاذ الله إلى اتّخاذهم شهداء، فعلى هذا شهداء جمع شهيد، بمعنى القائم بالشهادة. وقوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مأخوذ من المعنى المُتَّسَع فيه، وهو تجاوُز حدّ إلى حدّ.

---

١ ن - الوَلاية بالفتح المصدر.
٢ ن: الإثارة.
٣ ن: النقاية. | انظر: كتاب سيبويه، ٣٤/٤.
٤ انظر: الصحاح للجوهري، «ولي».
٥ صدر بيت لأميّة بن أبي الصلت، عجزه:
وما على حَدَثان الدهر من باقِ
وهو في ديوانه، ص ٤٢٧؛ وله في جامع البيان للطبري، ٤٠٨/٢ (البقرة، ١٠٧/٢)؛ والقطع والائتناف للنّحاس، ٧٤/١؛ وتفسير القرطبي، ٦٩/٢ (البقرة، ١٠٧/٢).
٦ هامش د: نياب. خ [اختصارا من "نسخة"].
٧ لم أجِد هذا الشطر بهذه الرِّواية فيما وقفتُ عليه من المصادر.
٨ ن - قوله.

أو: ادْعُوا الذين يَشْهدون لكم بينَ يَدي الله، من قولِ الأعْشى يصفُ الزُّجاج:

تُـرِيـكَ الـقَـذَى مِـن دُونـهَـا وهِـيَ دُونَـهُ

أي: تُرِيك القَذَى قُدَّامَها وهي قُدَّامَ القَذَى لرِقَّتها وصَفائها.

وفي أَمْرهـم أنْ يَسْتَظْهِرُوا بالجمـادِ الـذي لا يَنْطِقُ فـي معارَضـةِ القـرآن

قوله: (أو ادعوا) هذا هو الوجه الثاني، أي: ادعوا الأصنام الذين يشهدون في حضرة الله تعالى[١] أنكم على الحقِّ، فالشهداء أيضًا جمع الشهيد القائمِ بالشهادة، و﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بمعنى: بين يدي الله تعالى.[٢] / وهو من "دون" [١٢٠و]
بمعنى: أدنى مكان من الشيء. قال الأعشى:

(تُرِيكَ القَذَى مِن دونها وهيَ دونه) إذا ذاقهـا مَـن ذاقهـا يَتمطّـقُ[٣]

و"القَذَى": شيء حقير يقع في العين مثل: عُوَيد. ويتمطّق، أي: يمصُّ شفتيه مِن لذاذتها، بحيث يُسمَع للشفة واللسان صوت. أي: تُريكَ الزجاجة القَذى من قُدّام الزجاجة وهي، أي: والحال أنّ الزجاجة قُدّام[٤] القَذى، ومراد القائل: وَصْف رِقّة الزجاجة وصفاء الخمر فيها، كما قال آخر:[٥]

رَقّ الزُّجـاج ورقّـتِ الخَمْـرُ فـتـشـابـهـا فـتـشـاكَـل الأمْـرُ
فكأنّهـا خَمْـر ولا قَـدَح وكأنّـه قَـدَح ولا خَمْـرُ[٦]

قوله: (وفي أمرهم)... إلخ، (غايةُ التهكُّم) مبتدأ، و"في أمرهم" خبره. و(أن يستظهِروا) مُتعلِّق بالأمر، أي: بأن يستظهروا، والاستظهار: الاستعانة. و(بالجماد) متعلِّق بـ"يستظهروا". و(في مُعارَضة) أيضًا مُتعلِّق به. وقوله:

---

١ د - تعالى.

٢ د - تعالى.

٣ البيت في ديوان الأعشى، ص ٢١٩؛ وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة للأزهري، «دون»، ١٤/١٨٠؛ وهو له في مقاييس اللغة لابن فارس، «مطق»؛ وأساس البلاغة للزمخشري، «مطق».

٤ ن: قدم.

٥ ن: آخرون.

٦ البيتان للصاحب بن عبّاد في ديوانه، ص ١٧٦؛ وهما له في يتيمة الدهر للثعالبي، ٣/٣٠٤؛ وبلا نسبة في الإيضاح للقزويني، ص ٣٦٣؛ وله في معاهد التنصيص للعباسي، ٢/٦٠. وفيها جميعًا «وكأنما قدح» مكان «وكأنّه قدَح».

المُعْجِز بفصاحَتِهِ غايةُ التَّهكُّمِ بهم.

أو: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من دون أوليائه ومِن غير المؤمنين؛ ليشهدوا لكم أنكم أَتَيْتُم بمثله. وهذا مِن المساهلةِ ....

(بفصاحته) مُتعلِّق بـ(المُعجِز).[1] وحاصل المعنى على هذين الوجهين: ادعُوا الأصنام الموصوفين ليكونوا مُعاونين في مُعارضة القرآن. وحذف المُصنِّف هذا الكلام، أي: ذِكر الغرض؛ لأنّ قوله: "وفي أمرهم أن يستظهروا"... إلخ، يدلُّ عليه قوله: (أو ﴿ٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾)... إلخ. هذا هو الوجه الثالث، أي: ادعُوا شهداءكم الموصوفين، أي: الذين يُوافِقونكم في المَذهَب والاعتقاد، على أنّهم على الخلاف مع الله تعالى[2] ورسوله، قد رضيناهم بشهادة أنّ ما يأتون به في المُعارضة مِثل القرآن أم لا، وهذا غاية الاعتماد على إعجاز القرآن. وفي مِثل ذلك قيل:

الفَضْل ما شهدتْ به الأعداءُ[3]

لظهور كذِبهم وعِنادهم وسَخافة عقلهم لو شهدوا، فالمراد بالشهداء على الوجهين الأوّلين: أصنامهم، وعلى الوجه الثالث: أكابر قومهم. وسمّاهم شهداءهم؛[4] لأنّ أهل المِلَّة الواحدة[5] يشهَد بعضهم لبعض كما عرفتَ.

قوله: (مِن غير المُؤمنين) بمعنى قوله: (من دون أوليائه) فهو من العطف الذي للبيان.

قوله: (وهذا) أي: هذا القول لهم -يعني: ادعُوا شهداءكم بالمعنى المذكور- (مِن) باب (المُساهَلة) والمُجاراة في الكلام مع الخَصم في مَقام لا نِزاع فيه؛ ليتحقَّق إلزامه حيث أريد إلزامه. يقال: أرخيتُ السِّتْر وغيره إذا أرسلتَه،

---

١ ن: بالعجز.

٢ ن - تعالى.

٣ جزء من بيت للسَّري الرَّفّاء، وهو قوله:
وشمائلٌ شهِد العُداة بفضلها
والفضل ما شهدت به الأعداءُ
والبيت له في يتيمة الدهر للثعالبي، ٢/١٩٢؛ والدُّرّ الفريد لابن أيدمر، ٩/٤٤٤، ١٠/٢٥٧. وفيه «العدوّ» بدل «العداة».

٤ ن: شهداء. | من هنا إلى قوله: "قوله: واستقامة" تصعب قراءة ما ورد في ش؛ لضعف كبير في درجة ظهور الكلام.

٥ ن: الواحد.

وإرْخاء العِنَانِ، والإشعارِ بأنّ شُهداءهم -وهم مَدَارهُ القوم الذين هم وجوهُ المَشَاهِد وفُرْسانُ المُقَاولةِ والمناقَلةِ- تأبَى عليهم الطِّبَاعُ وتجْمحُ بهم الإنسانيَّةُ والأَنَفَةُ ....

و(**إرخاء العِنان**) أن تُخلّيَ الفرس وشهوتَه في العَدْو غير مُتعِب له. يقال: درَهتُ عن القوم، أي: دفعتُ عنهم، والمِدْرَه:[1] زعيم[2] القوم والمُتكلِّم عنهم، والجمع "المَدَاره"، كأنّه بفصاحته يدفَع الخَصْم. قيل: أصل[3] "مِدْرَه" "مِدْرأ" قُلِبت الهمزة هاءً، نحو "هَرَاق". والمذكور في **الصحاح** و**المُجمَل** يدلُّ على أنّ الهاء أصل.[4] والمَشاهِد جمع المَشهَد، وهو: مَحضَر الناس، و(**وجوه المَشاهِد**): أشراف المجالس، إمّا من قولهم: وَجُه صار وجيهًا، أو من الوَجه بمعنى مُستقبِل كلّ شيء، أي: ما يُواجِهك منه؛ لأنّهم في صدر المجالس، وإذا قصدتَ المَجالس رأيتهم تُجاهكَ في أوائل المجالس.

قوله: (**تأبى**) خبر (**أنّ**).

قوله: (**عليهم**) يجوز أن تتعلّق بـ"تأبى"، ويجوز أن تكون حالًا من (**الطباع**) أي: رادّة عليهم.

قوله: (**وتجمَح**) الجُموح والجِماح هو أن يركَب الفَرس رأسه لا يثنيه شيء، وجمَح برأسه: غلَبه، وهو جَموح وجِماح[5] وجامِح، الذكَر والأنثى[6] فيهما سواء.[7] وأنِف يأنَف، من باب علِم يعلَم، أنَفًا وأنَفة، أي: استنكف.[8] وفي قوله: (**تجمح بهم الإنسانيّة والأنَفة**) إشارة إلى أنّ عصبيَّتهم تقتضي أن يشهدوا لكنّ الإنسانيّة والاستنكاف من الكذب يمنعهم من ذلك.

---

[1] ن: المدرة.
[2] ن: غنم.
[3] ن - أصل.
[4] انظر: **الصحاح** للجوهري، «دره»؛ و**مُجمَل اللغة** لابن فارس، «دره». يقصد أنّهما أورداها فيما فيه الهاء لا الهمزة.
[5] ن - وجماح.
[6] ن - والأنثى.
[7] انظر: **المُغرِب** للمُطرّزي، «جمح». وفي مطبوعه «وجمح براكبه: غلبه» بدل «جمح برأسه: غلبه».
[8] انظر: **الصحاح** للجوهري، «أنف».

أَنْ يَرضَوْا لأنفسهم الشَّهادةَ بصحَّةِ الفاسد البيِّنِ عندهم فسادُه، واستقامةِ المُحالِ الجَلِيِّ في عقولِهم إحالتُه، وتعلِيقُه بالدُّعاء في هذا الوجه جائزٌ.

وإن علَّقتَه بالدُّعاء فمعناه: ادعُوا من دون الله شهداءكم، يعني: لا تَستشهِدوا بالله، ولا تقولوا: اللهُ يَشهد أنَّ ما نَدَّعيهِ حقٌّ، كما يقولُه العاجزُ عن إقامةِ البيِّنة على صحَّةِ دَعْواه، وادْعُوا الشهداءَ من النَّاسِ الذين شهادتُهم بَيِّنةٌ تُصَحِّحُ بِها الدَّعاوَى عِنْدَ الحُكَّام.

وهذا تَعْجِيزٌ لهم وبيانٌ لانْقطاعِهم وانْخزَالِهم، وأنَّ الحُجَّةَ قد بَهَرَتْهم ......

قوله: **(أن يرضَوا)**،[1] أي: من أن يرضَوا[2] / وهو مُتعلِّق بـ"تجمح"، فكأنَّه قال: يمنعهم من أن يرضَوا.[3] و**(الشهادة)** مفعول "يرضَوا".[4] و**(بصحَّة)** مُتعلِّق بـ"الشهادة". [١٢٠ظ]

قوله: **(واستقامة)**[5] عطف على "صحَّة". و**(إحالتُه)** فاعل **(الجَليّ)**.

قوله: **(وتعليقُه)** أي: تعليق قوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بقوله: ﴿ٱدْعُواْ﴾ جائز في هذا الوجه الأخير، وهو قوله: "ادعوا شهداءكم من دون أوليائه".

قوله: **(وإن علَّقتَه)** عطفٌ على قوله: "فإن علقتَه"، وذكَر لهذا التقدير وجهين: الوجه **الأوَّل**: وأشار إليه بقوله: **(ادعوا من دون الله)**... إلخ، أن يكون الشهداء جمع شهيد، بمعنى: القائم بالشهادة، والمراد به: مَن يصلح أن يكون شاهدًا مِن الناس على ما ذكَر.

قوله: **(ولا تقولوا)** عطف على قوله: **(لا تستشهدوا)** كالبيان له.

قوله: **(وادعُوا)** عطف عليه أيضًا. و"الانخِزال": الانقطاع.

قوله: **(وأنّ الحُجّة)** عطف على قوله: **(انقطاعهم)** أي: وبيانٌ لأنّ الحُجّة. **(قد بَهرتْهم)** أي: غَلبتْهم.

---

١ ن: يرضوه.
٢ ن: يراضوه.
٣ ن: يراضوا.
٤ ن: يراضوا.
٥ ن: واشتقاقه.

ولم تُبْقِ لهم مُتَشَبَّثًا غيرَ قولهم: اللهُ يشهَدُ أنَّا صادقون.

وقولُهم هذا تسجيلٌ منهم على أنفسهم بتناهي العَجْزِ وسقوطِ القُدرة.

وعن بعض العَرَبِ أنَّه سُئِل عن نسَبِه فقال: قرشيٌّ والحمدُ للهِ، فقيل له: قولكَ: "الحمدُ لله" في هذا المقامِ رِيبَةٌ.

أو: ادْعُوا مِن دون الله شهداءَكم، يعني: أن الله شاهِدُكم؛ لأنه أقرب إليكم من حبل الوريد، وهو بينكم وبين أَعْناق رَواحلكم، والجنُّ والإنس شاهِدوكم، فَادْعوا كلَّ مَن يَشْهدُكم واستَظْهِرُوا به من الجنِّ والإنس إلَّا اللهَ تعالى؛

قوله: (ولم تُبقِ) أي: الحُجَة. (مُتشبَّثًا) أي: مُتعلَّقًا ومُتمسَّكًا.

قوله: (قولُهم) مبتدأ، و(هذا) بدل أو صفة، و(تسجيلٌ) خبره.

قوله: (رِيبة) أي: ذو ريبة، أي: يُوقِع الارتياب في صِدْقكَ.

قوله: (أو ادعُوا) عطفٌ على قوله: "ادعوا من دون الله"، وهذا هو الوجه الثاني، والشهداء جمع شهيد، بمعنى: الحاضر.

قوله: (شاهدُكم) أي: حاضرُكم.

قوله: (يشهَدكم) أي: ادعُوا حاضريكم إلّا الحاضر الواحد، وهو الله تعالى. (واستظهروا) أي: واستعينوا به، أي: بمَن يحضُركم إلّا الله تعالى، "فهو في معنى قوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء ١٧/٨٨]". وظهر لك أنّ المراد بالشهداء في الوجه الأوّل من هذين الوجهين: كلُّ مَن يصلُح للقيام بالشهادة في تصحيح الدَّعاوى مِن الناس؛ وفي الوجه الثاني: كلُّ مَن يحضُر[١] المُخاطَبين بهذا الخطاب من الجنّ والإنس.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، أي: في أنّ آلهتكم تستحِقّ العبادة؛ لأنّها تنفع وتضرّ فقد دُفِعتُم في مُنازعة محمّد عليه السلام إلى فاقة عظيمة،[٢] فاستعينوا بها

---

١ ن: يخصّ.

٢ من هنا إلى قوله: "وعنه عائد إلى تبغون" تصعب قراءة ما ورد في ش؛ لضعف كبير في درجة ظهور الكلام.

لأنه القادر وَحْده على أن يأتيَ بمثله دون كلّ شاهدٍ من شهدائكم، فهو في معنى قوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ﴾ الآية [الإسراء ١٧/٨٨].

﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

لمَّا أرْشدَهم إلى الجهة التي منها يتعرَّفون أمرَ النبيّ صلى الله عليه وسلم وما جاء به، حتَّى يَعْثُروا ....

في أمر المُعارضة. أو المعنى: إن كنتم صادقين «في أنّ هذا الكتاب تقوَّله محمَّد مِن نفْسه»،[١] فأتوا بسورة مِن مِثله.

قوله تعالى: **﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾**.

قوله: **(لمّا أرشدهم)** الرَّشاد: خلاف الغَيّ، وقد رَشَد يرشُد رُشدًا، ورشِد يرشَد رشَدًا، وأرشده الله تعالى.[٢] أي: لمّا أرشدهم الله بقوله: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ﴾... إلخ.

قوله: **(إلى الجِهة)** وتلك الجهة هي أن يحزُروا أنفسهم ويذوقوا طِباعهم.

قوله: **(يتعرَّفون)** أي: يتطلَّبون معرفةَ أمره. يقال: تعرَّفت ما عند فلان، أي: تطلَّبتُ حتَّى عرفتُ. ويقال: ائتِ فلانًا فاستَعرِف إليه حتَّى يُعرِّفك. ولمّا قال المُصنِّف: "يتعرَّفون" حسُن جَعْل قوله: **(حتّى يعثُروا)** أي: يطَّلعوا، غايةً له. ولو قال: يَعرِفون بدل يتعرَّفون لم يحسُن جَعْلُ "حتّى يعثروا" غايةً له. والمراد بـ**(أمر النبيّ)**:[٣] شأنه وحاله مِن أنّه نبيٌّ صادق، أو مُتنبِّئ كاذب، حاشاه.

قوله: **(وما جاء)** عطفٌ على "أمْر"، أي: ما جاء النبيُّ به، والمراد بما جاء به: **القرآن**؛ أو هو عطفٌ على النبيّ، والمراد: بأَمْر ما جاء به، أي: بأَمْر القرآن

---

[١] **الوسيط** للواحدي، ١/١٠٣ (البقرة، ٢/٢٣). وانظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ٣/١٦٣ (البقرة، ٢/٢٣).

[٢] ن - تعالى. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «رشد».

[٣] ن: الشيء.

على حقيقته وسرِّه، وامتيازِ حقِّهِ من باطله، قال لهم: فإذا لم تُعارِضوه ولم يَتسهَّلْ لكم ما تَبْغون وبان لكم أنّه معجوزٌ عنه فقد صرَّح الحقُّ عن مَحْضِه ووجبَ التصديقُ، فآمِنوا وخافوا العذابَ المُعَدَّ لمَن كذَّبَ.

وفيه دليلان على إثبات النبوَّة: ....

كونُه مُعجِزًا من عند الله، أو غير مُعجِزٍ مُتقوَّلًا[1] من عند محمَّد عليه السلام. والضمير مِن **(حقيقتِه)** و**(سرِّه)** و**(حقِّه)** و**(باطلِه)** عائد إلى "ما".

قوله: **(قال)** أي: الله تعالى وهو جواب "لمّا".

قوله: **(فإذا لم)**... إلخ، مقول "قال" وإنّما جاء بـ"إذا" / في تفسير "إنْ"؛ [١٢١و]
لِما سيتبيَّن أنَّ "إنْ" هنا بمعنى "إذا". والهاء مِن **(تُعارِضوه)** عائد إلى "ما". و**(لم يتسهَّل)** أي: لم يتيسَّر. و**(ما تبغون)** أي: ما تطلبونه، فاعل "يتسهَّل"، وهو عبارة عن الإتيان بمثله. و**(بان)** أي: ظهر. والضمير من **(أنّه)** و**(عنه)** عائد إلى "ما تبغون"، وليس في **(مَعجوزٌ)** ضمير بل هو مُستنِد إلى "عنه".

قوله: **(فقد)** جواب "إذا". و"تصريح" الخَمْر أن يذهَب عنه الزَّبَد. تقول: قد صرَّحت بعد تَهدار وإرباد، والتَّهدار: الغليان، والإرباد: التغيُّر. و"المَحْض" مِن كلّ شيء: خالصه، والمَحْض: اللبن الخالص، وهو الذي لم يُخالِطه الماء، حُلوًا كان أو حامضًا، ولا يُسمَّى اللبن مَحضًا إلّا إذا كان كذلك. و(«**صرَّح الحقُّ عن مَحْضه**»)[2] مَثَلٌ، أي: انكشف. والضمير من "محضه" عائد إلى "الحقّ".

قوله: **(فآمِنوا)** جوابُ شرط محذوف، أي: إذا كان كذلك فآمِنوا، وهو أمر من الإيمان. و**(خافُوا)** أيضًا أمرٌ. واللام في **(لمَن)** مُتعلِّق بـ**(المُعدِّ)**.

قوله: **(وفيه)** أي: في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾؛ فقوله: ﴿لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ إشارة إلى دليل، ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ إلى دليل آخر، كما سيتحقَّق إن شاء الله تعالى.

---

[1] ن: مقولًا.

[2] جمهرة الأمثال للعسكري، ٢٧/١؛ مَجمَع الأمثال للميداني، ٣٩٨/١؛ المستقصى للزمخشري، ١٤٠/٢.

صحّةُ كون المتحدَّى به معجزًا، والإخبارُ بأنّهم لن يفعلوا وهو غيبٌ لا يعلمه إلا الله.

قوله: (**صحّةُ كون المُتحدَّى به مُعجِزًا**) هذا هو **الدليل الأوّل**، ورفعه؛ إمّا لأنّه بدل مِن (**دليلان**)، أو خبرُ مبتدأ محذوف، أي: الدليل الأوّل "صحّة كون". والضمير مِن "به" عائد إلى اللّام في "المُتحدَّى"، وليس في "المُتحدَّى" ضمير؛ لأنّه هنا تعدَّى بحرف الجر وهو مُسنَد إلى "به". و"مُعجِزًا" خبر "كان".

وتقرير هذا الوجه أن نقول: إنّا نعلم قطعًا أنّ العَرب كانوا في غاية العداوة لرسول الله عليه السلام، وفي غاية الحرص في إبطال أمره عليه السلام؛ لأنّ مُفارقة الأوطان والعشيرة وبَذْلَ النفوس والأرواح[١] مِن أقوى ما يدلُّ على ذلك، وإذا انضاف إليه مِثل هذا التقريع، وهو قوله: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾، فلو كان في إمكانهم الإتيان بمِثل **القرآن**، أو بمِثل سورة منه لأتوا به، فحيث ما أتَوا به؛ ظهَر المعجز.[٢]

قوله: (**والإخبارُ بأنّهم**) عطف على قوله: "صحّةُ" فيحتمل من الإعراب الوجهين، وهذا هو **الدليل الثاني**، وتقريره أن نقول: هذا إخبار عن الغيب، وقد[٣] وُجِد مُخبَر هذا الخبر على ذلك الوجه؛ لأنّه من أيّام النبيّ عليه السلام إلى عصرنا هذا لم يَخلُ وقت من الأوقات ممّن يعادي الدِّين والنبيّ، وتشتدُّ دواعيه في الطعن فيهما، ثمّ إنّه مع هذا الحرص الشديد لم تُوجَد المُعارضة قطّ، فيكون مُعجِزًا.[٤] واختلف العلماء في جهة إعجاز **القرآن**، فأكثرهم على أنّه مُعجِز في نفسه بنظمه ومعناه،[٥] ووجهُ ثبوت النُّبوَّة أنّه عليه السلام تحدَّاهم بالإتيان بسورة مِثله فعجَزوا حتّى بذلوا دماءهم وأموالهم دون ذلك، وهم مِن الفصاحة بحيث لا يخفى. قالوا: ومُعجِزات الأنبياء ما يُعجِز أهل كلّ صنعة

---

١ ن: والأزواج.

٢ ن: العجز. | من قوله: "إنّا نعلم" إلى هنا بلفظ قريب في **تفسير الرازي**، ١٣١/٢ (البقرة، ٢٤/٢).

٣ كأنّه قد ضُرِب على "وقد" في د.

٤ من قوله: "وجد مخبر" بتصرُّف يسير في **تفسير الرازي**، ١٣٢/٢ (البقرة، ٢٤/٢).

٥ انظر لوجوه إعجاز القرآن **إعجاز القرآن** للباقلّاني، ص ٤٨-٧١؛ و**الإرشاد** للجويني، ص ٣٤٩-٣٥٣.

فإن قلتَ: انتفاءُ إتيانهم بالسُّورة واجبٌ، **فهَلَّا جيءَ بـ"إذا" الذي للوجوب** دون ﴿إن﴾ الذي للشك؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن يُساقَ القولُ معهم على حسَب حسبانهم وطمعهم، وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمُّل كالمشكوك فيه لديهم؛ لاتِّكالِهم على فصاحتهم واقتدارِهم على الكلام.

ظاهرة في زمانهم، ولهذا لم تكن **التوراة والإنجيل** مُعجِزة؛ لأنّ الغالب في زمن موسى وعيسى عليهما السلام[1] السِّحرُ والطِّبُّ، فكانت المُعجِزة ما يتعاطاه أهل ذلك الزمان.[2]

قوله: (**انتفاءُ إتيانهم**) أي: عدم إتيانهم بسورة من مِثله قطعيٌّ معلومُ التحقّق، وليس بمَشكوك فيه، فكان المُناسب أن يقال: فإذا لم تفعلوا؛ لِما عرفتَ أنّ "إذا" للقطع بوقوع الشرط، و"إن"[3] للشكّ فيه، فلِمَ قيل: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾؟ واللّام في قوله: (**بالسورة**)[4] للعهد، وهي إشارة / إلى قوله: ﴿سُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾. [١٢١ظ]

قوله:[5] (**فيه وجهان**) أي: في المجيء بـ"إنْ" دون "إذا" وجهان: **الوجه الأوّل**: أنّهم حين خُوطِبوا بهذا الكلام كانوا غير جازمين بالعجز عن المُعارضة؛ لاعتمادهم على فصاحتهم، فسِيقَ الكلام معهم على حسَب ظنِّهم.

قوله: (**واقتدارهم**) عطفٌ على (**فصاحتهم**)، فيكون من العطف الذي للبيان؛ لأنّ المراد بقوله: (**الكلام**) الكلام الفصيح، أو هو عطف على (**اتِّكالهم**) فلا يكون من ذلك العطف. والوجه **الثاني**: أن يكون المراد التهكُّم؛ بأن جعل العاجز المعلوم العَجْز كمن يُشكُّ في عَجْزه.

---

[1] د – عليهما السلام.

[2] انظر لتفصيل هذه المسألة شرح المقاصد للتفتازاني، ١٤/٥-١٥.

[3] ن – و"إن".

[4] د: للسورة. | ورجّحتُ ما في ش ن، وما في مطبوع **الكشّاف** وما راجعته من أصوله.

[5] ن – قوله.

والثاني: أن يُتهَكَّم بهم؛ كما يقول الموصوفُ بالقوَّة الواثِقُ من نفسه بالغلَبَةِ على مَن يُقاوِيه: "إن غلَبْتُكَ لم أُبْقِ عليك" -وهو يَعْلم أنه غالبُه ويتيقَّنُه- تَهكُّمًا به.

قوله: (**كما يقول**) الكاف صفةُ مصدر محذوف، و"ما" مصدريّة، أي: تهكُّمًا مثلَ قولِ الشخص الموصوف بالقوّة، والمراد بالموصوف بالقوّة: مَن يكون مشهورًا بين الناس بالقوّة، بحيث يصفونه بالقوّة ويقولون: فلان القويّ، فإنّ الوصف بالشيء لا يكون إلّا بعد شهرةُ ثبوت الوصف للموصوف.

قوله: (**الواثق**) أي: المُعتمِد.

قوله: (**مِن نفسه**) مُتعلِّق بـ"الواثق"، وكذا قوله: (**بالغلَبة**) أي: يثِق مِن نفسه بالغلَبة على مَن يُقاوِمه. وقوله: (**على**) مُتعلِّق بـ"الغلَبة"، فرُبّ موصوف بالقوّة لا يثِق مِن نفسه بالغلَبة على مَن يُقاوِيه؛[1] لكون مُقاوِيه[2] أشدَّ قوّة، أو لكون وصفه بالقُوّة لظنِّ خطأٍ مِن الناس في حقّه. والضمير المستتر في (**يُقاوِيه**)[3] عائد إلى "الواثق"، والمنصوب إلى (مَن)، أو بالعكس؛ فإنّ كلّ واحد من الغالب والمغلوب عند المُبارزة يُقاوي الآخر، أي: يطلُب الغلَبة عليه بالقُوّة، لكنّ الغالب يَقوَى المغلوب. يقال: قاوَيتُه فقوَيتُه، أي: غلبتُه بالقُوّة.[4] وقوله: (**إن غلبتُكَ لم أُبقِ عليكَ**) مقول القول. «وأبقيتُ على فلان إذا أَرْعَيتَ عليه ورحِمتَه. يقال: لا أبقى الله عليكَ إن أبقيتَ عليَّ».[5]

قوله: (**وهو يعلَم**) حالٌ من الضمير في "يقول".

قوله: (**ويتيقَّنُه**) عطفٌ على "يعلَم"، أي: يتيقَّنُ أنّه غالِبه.

قوله: (**تهكُّمًا**) مفعول له مِن "يقول"، أي: يقول ذلك القول للتهكُّم بمَن يُقاوِيه.[6]

---

[1] ن: يقاومه.

[2] ن: مقاومه.

[3] ن: يقاومه.

[4] انظر: **الصحاح** للجوهري، «قوي».

[5] ن: على فلان. | **الصحاح** للجوهري، «بقي».

[6] ن: يقاومه.

فإن قلتَ: لِمَ عُبِّر عن الإتيان بالفعل، وأيُّ فائدةٍ في تركه إليه؟

قلتُ: لأنّه فعلٌ من الأفعال، تقول: أتيتُ فلانًا، فيقال لك: نِعْم ما فعلتَ.

والفائدةُ فيه: أنّه جارٍ مَجْرى الكناية التي تُعطيك اختصارًا ووجازةً تُغنيك عن طول المكنَّى عنه؛ ألا ترى أن الرجل يقول: ضربتُ زيدًا في موضعِ كذا على صفةِ كذا، وشتمتُه ونكَّلْتُ به، ويَعُدُّ كيفيَّاتٍ وأَفْعالًا، فتقول له: بئسما فعلتَ،

ثمّ اعلم أنّ الجَزْم بـ"لـم" واجب دون "إنْ"؛ لأنّها أصل الجَزْم؛ لأنّها أوغَل في الاختصاص؛ لعدم جواز دخوله إلّا على مُستقبَل لفظًا ماضٍ معنًى،[1] و"إنْ" قد تدخُل على الماضي لفظًا، ويليها الاسم كقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ﴾ [التوبة ٦/٩].[2]

قوله: (لِمَ عُبِّر؟) وجه السؤال أن يقال: مَساق الكلام يقتضي أن يقال: فإن لم تأتوا بسورة، لقوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾، فلِمَ عُدِل عن لفظ الإتيان إلى لفظ الفعل؟ فقوله: (بالفعل) مُتعلِّق بقوله: "عُبِّر". يقال: عُبِّر عن هذا المعنى بذلك[3] اللفظ.

قوله: (في تَرْكه) مضاف إلى المفعول، والفاعل محذوف، أي: في ترك الله تعالى[4] الإتيانَ. وقوله: (إليه) حالٌ مِن الفاعل المحذوف، أي: ذاهبًا إلى الفعل.

قوله: (لأنّه) مُتعلِّق بفعل محذوف دلَّ عليه السؤال، أي: إنّما عُبِّر لأنّ الإتيان فعل من الأفعال، فجاز أن ينوب عنه الفعل المُطلَق، وفائدة هذا العدول الاختصار.

قوله: (فيه) أي: في تَرْك الإتيان ذاهبًا إلى الفعل.

قوله: (أنّه) أي: أنّ الإتيان بالفعل (جارٍ مَجرى الكناية) أي: الضمير في إفادة الاختصار، فإنّك تقول بعد تقديم كلام طويل: قلتُه وعلِمتُه، يعود الضمير إلى المذكور المُطوَّل، ولو ذكرتَه بعينه لطال، فكذا هذا. يقال نكَّلت به، أي: جعلتُه نَكالًا وعِبرة لغيره.[5] وقيل: أراد بـ"الكناية" الكناية المُصطلحَة في البيان[6]

---

[1] ن: يعني.
[2] انظر لهذه المسألة **اللباب في علل الإعراب** للعُكبَري، ٥٢/٢.
[3] ش: بذاك.
[4] ش – تعالى.
[5] انظر: **الصحاح** للجوهري، «نكل».
[6] جعل الطيبي ذلك احتمالًا ممكنًا، غير أنّ السياق لا يساعد عليه. انظر: **فتوح الغيب**، ٣٣٤/٣.

ولو ذكرتَ ما أَنْبَتَه عَنْهُ لطال عليك الكلامُ، وكذلك لو لم يُعْدَل عن لفظِ الإتيان إلى لفظ الفعل لاستُطيل أن يقال: فإنْ لم تأتوا بسورةٍ مِن مِثْلِه، ولَنْ تأتوا بسورةٍ مِن مِثْلِه.

فإن قلتَ: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ ما محلُّها؟

قلتُ: لا محلَّ لها؛ لأنها جملةٌ اعتراضيةٌ.

فإن قلتَ: ما حقيقةُ "لن" في باب النفي؟

قلتُ: "لا" و"لن" أختان في نفي المستقبل، إلّا أنَّ في "لن" توكيدًا وتشديدًا، تقول لصاحبك: لا أقيمُ غدًا، فإنْ أنكَرَ عليك قلتَ: لن أُقيمَ غدًا، كما تفعلُ في: أنا مقيمٌ، وإني مقيمٌ.

وهي عند الخليل في إحدى الروايتين عنه أصلُها "لا أنْ"، ....

-وهو إطلاق اللازم وإرادة الملزوم-[١] فيُفيد المبالغة؛ لأنّه نفى الجنس وهو الفعل المُطلَق في / موضع[٢] نفي النوع وهو الإتيان، كما تقول: "ما رأيت حيوانًا" في موضع "ما رأيت إنسانًا"، فيفيد المبالغة. لكنّ المعنى هو ما ذكرناه أوّلًا. ونظيره قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ [يوسف ٣٢/١٢]، وقوله تعالى حكاية عن الذَّبيح: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾ [الصافات ١٠٢/٣٧]. [١٢٢و]

قوله: (ما أَنبتَه عنه) أي: جعلتَه نائبًا عنه، والضمير من "أنبتَه" عائد إلى الفعل، ومن "عنه" إلى ما يقال. استطاله، أي: عدَّه[٣] طويلًا.

قوله: (وهي عند الخليل) زعم الخليل أنّ أصل "لن": "لا أنْ"، ولذلك نصب الفعل، إلّا أنّها خُفِفت؛ لكثرة دَوْرها.[٤]

---

١ انظر: **مفتاح العلوم** للسَّكّاكيّ، ص ٤٣٨، ٥١٣، ٥٢٣.

٢ د: في موضع.

٣ ن: عدّ.

٤ انظر لقول الخليل: **كتاب سيبويه**، ٥/٣؛ و**المسائل الحلبيّات** لأبي علي الفارسي، ص ٤٥؛ و**سر صناعة الإعراب** لابن جنّي، ٣٠٥/١؛ و**البسيط** للواحدي، ٢٥٣/٢ (البقرة، ٢٤/٢)؛ و**المُفصَّل** للزمخشري، ص ٤٠٧؛ و**أسرار العربيّة** لأبي البركات الأنباري، ص ٣٢٩.

وعند الفراء "لا" أُبدلَتْ ألفُها نونًا، وعند سيبويه وإحدى الروايتين عن الخليل: حرفٌ مُقْتَضَبٌ لتأكيد نفي المستقبل.

فإن قلتَ: من أين لك أنّه ....

قوله: (**مُقتَضَب**) قضَبه: قطعه، واقتضبتُه: اقتطعتُه، واقتضاب الكلام: ارتجاله. تقول: هذا شِعر مُقتضَب، وكلام مُقتضَب، وكتاب مُقتضَب.[١] يريد أنّ "لن"[٢] موضوع كذلك لم يُغيَّر عن أصل. والصحيح مذهب سيبويه؛[٣] لأنّ الأصل في الحرف عدم التصرّف، ولأنّ أصلها لو كان "لا أنْ" لَما جاز "زيدًا لن أضرب" كما لا يجوز "زيدًا لا أنْ أضرب"؛ لأنّ "أضرب" يصير صلة "أنْ"،[٤] وما بعد الموصول لا يعمَل فيما قبله.[٥] قال سيبويه: لن يفعل نفي سيفعل، ولا يفعل نفي يفعل.[٦] فإذا قيل: هو يفعل، نقول: لا يفعل، وإذا قيل: سيفعل، نقول: لن يفعل. ولا يجوز "لن سيخرج زيد"؛ لأنّ "لن" أغنت عن السين وسوف، إذ لا يكون إلّا لنفي المُستقبل. وحَمْل "لن" في نصب ما بعدها على "أنْ" عند سيبويه؛ لمُشاكلتها إيّاها في اللفظ وفي معنى الاستقبال.

قوله: (**من أين لك؟**) أي: من أين تحقَّق أو حصَل لك؟ فقوله: (**أنّه**)... إلخ، في محلّ الفاعل للفعل المحذوف، وهو في تأويل المُفرد، فلا بدَّ أن يقدّر كونٌ؛ لأنّ "أنّ" مع ما بعده في تأويل المصدر من خبره، إن كان لخبره مصدر، وإن لم يكن له مصدر فلا بدّ أن نُقدِّر الكون، والإخبار إذا كان مصدرًا فلا يكون له مصدر، فيحتاج إلى تقدير الكون، ويكون المعنى: من أين تحقَّق لك

---

[١] انظر: **الصحاح** للجوهري، «قضب».

[٢] ن: أن.

[٣] انظر: **كتاب سيبويه**، ٥/٣. وممّن ذهب إلى أنّ الصحيح قولُ سيبويه الزمخشريُّ في **المُفصَّل**، ص ٤٠٧.

[٤] ن - أن.

[٥] ثاني الدليلين مذكور في **كتاب سيبويه**، ٥/٣. وأجاب عنه أبو علي الفارسي في **المسائل الحلبيّات**، ص ٤٤٦؛ ونقله ابن جنّي عن شيخه أبي علي في **سرّ صناعة الإعراب**، ٣٠٥/١-٣٠٦؛ والواحديُّ في **البسيط**، ٢٥٣/٢ (البقرة، ٢٤/٢)، ثمّ ضعّف قول الخليل؛ وأورد هذا الجواب أبو البركات الأنباري من غير عزو في **أسرار العربيّة**، ص ٣٢٩-٣٣٠.

[٦] انظر: **كتاب سيبويه**، ١٣٥/١-١٣٦، ١١٧/٣، ٢٢٠/٤.

إخبارٌ بالغيب على ما هو به حتَّى يكون معجزةً؟

قلتُ: لأنَّهم لو عارَضوه بشيء لم يمتنِعْ أن يتواصَفَه الناسُ ويتناقَلُوه؛

كون قوله تعالى: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ إخبارًا بالغيب، على الوجه الذي الغَيْب مُتقرِّر بذلك الوجه؟ أو نقول: "أنّه"... إلخ، في محلّ المبتدأ، و"من أين" خبرُه، والضمير من "أنّه" عائد إلى ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾، والباء مُتعلِّق بـ"الإخبار". وكذا قوله: **(على)** مُتعلِّق به. وقوله: **(هو)** عائد إلى **(الغيب)**. والضمير مِن **(به)**[1] إلى **(ما)**. وقوله: **(حتّى)** غاية للإخبار لا للفعل المحذوف؛ لأنّ كونه مُعجِزةً مِن جملة ما وقع السؤال عن تحقُّقه. وأيضًا فإنّ كونه مُعجِزة غايةُ كونه إخبارًا بالغيب؛ لأنّ كونه إخبارًا بالغيب يقتضي كونه مُعجِزة، وليس كونه مُعجِزة غايةَ تحقُّق كونه إخبارًا بالغيب.

قوله: **(لأنّهم لو عارضوه)** ظاهر الحال يقتضي أن يكون جواب قوله: "من أين لك؟" بقولهم:[2] من أنّهم لو عارضوه. لكنّه حمل على المعنى؛ لأنّ قولك: "من أين لك؟"... إلخ، في قوّة قولك: لِمَ قلتَ: إنّه إخبار؟ فأجيب بقوله: "**لأنّهم**"... إلخ، أي: لو عارضوا **القرآن** بشيء ممّا يكون في فصاحة **القرآن**، أو قريبًا منه. وترَكَ المُصنِّف هذا القيد؛ لأنّه لا تتحقَّق المُعارضة إلّا إذا كان على هذا الوجه، فإنّ ما لا يكون في قوّة الشيء وقريبًا منه لا يكون مُعارِضًا له.

قوله: **(لم يمتنع)**[3] جواب "لو" أي: لَوصَل إلينا ولاشتهر بين الناس ولم يبقَ في حيّز الامتناع؛ لتوفُّر أعداء الدِّين -مع كثرتهم- على نَقْل ذلك الشيء، ولمّا لم يُنقَل وبقي على عدمه في حيّز الامتناع عُلِم أنّه لم يُوجَد، والمراد بالامتناع هنا أعمُّ من الامتناع بالذات والامتناع بالغير، فإنّ ما لم يوجد لا بدّ أن يكون ممتنعًا إمّا بالذات أو بالغير، والضمير المنصوب / مِن **(يتواصفه)** [١٢٢ظ]
و**(يتناقلوه)** عائدٌ إلى "شيء". وبما ذكرنا يندفع سؤال يُمكِن أن يُورَد هنا،

---

١ ن + عائد.

٢ ن: بقوله.

٣ ن + أن يتواصفه الناس. | وجاء في هامش د تعليقًا من غير تصحيح.

إذ خفاءُ مثلِهِ فيما عليه مبنَى العادة ....

وهو أن يقال: المراد من الكلام أنّهم لو عارضوه بشيء لاشتهر ذلك الشيء؛ لأنّ الناس ينقلونه،[١] وقول المُصنِّف: "لم يمتنع"... إلخ، لا يدلُّ عليه؛ لأنّه لا يَلزَم من عدم الامتناع الوقوع، وذلك بأن نقول: ما لا يَمتنع لا بذاته ولا بغيره لا بدّ أن يكون واقعًا؛ لأنّه لو لم يكن واقعًا لكان مُمتنعًا إمّا بذاته أو بغيره بالضرورة. يقال: "تواصفوه"، أي: وصفه بعض لبعض. و"تناقلوه"، أي: نقله بعض إلى بعض.

قوله: (**إذ**) مُتعلِّق بقوله: "لم يمتنع"، ظرف له فيه معنى التعليل؛ لِمَا عرفتَ أنّ قولك: "لم يَمتنِع" في معنى: لَصار مشهورًا ولم يبقَ في حيّز الامتناع. والضمير من قوله: (**مِثله**) يجوز أن يكون عائدًا إلى **القرآن**، ويكون المراد بمِثل **القرآن**: الكلام الذي كانوا عارضوا **القرآن** بذلك الكلام، ويجوز أن يكون عائدًا إلى "شيء"،[٢] وهو الشيء[٣] الذي[٤] عارضوا به **القرآن**، ويكون لفظ "مِثل" مُستعمَلًا بطريق الكناية، ويُراد به ذلك الشيء لا مِثله، كما في قولك: مِثلُكَ لا يفعل كذا، أي: أنتَ لا تفعل كذا، ونظيره قولكَ: غيرُك لا يجود، بمعنى: أنت تجود، من غير إرادة التعريض بلفظَي المِثل والغير على إنسانين يُقصَد إليهما.[٥]

قوله: (**فيما عليه مبنى العادة**) حالٌ من "مِثله"، أي: مُستقِرًّا فيما عليه، والمراد بما عليه[٦] مبنى العادة: هو اشتهار ما تتوفّر الدواعي على نقله، فإنّ اشتهار ما تتوفر الدواعي على نقله ممّا بني عليه العادة، ثمّ إنّ اشتهار ما تتوفّر الدواعي على نقله[٧] حُكم ثابت لقوله: "مِثله" ولأشياء أُخَر، وإذا كان كذلك صحّ جَعْله حالًا عنه بتقدير مُستقِرًّا، على ما بيّنّا.

---

١ هذا ظاهر ما أورده الطِّيبيُّ في تقرير كلام الزمخشري، وهو قوله: «أي: علم أنّهم ما أتوا بمثله، لأنّهم لو أتوا به لتواتر بين العالمين لتوفُّر الدواعي على نقله». **فتوح الغيب**، ٢/٣٣٦.

٢ ن: الشيء.

٣ ن + في الشيء.

٤ ن – الذي.

٥ انظر: **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٣٢٨؛ وانظر لتفصيل الكلام على استعمال "مِثل" و"غير" في الأساليب المذكورة **دلائل الإعجاز** للجرجاني، ص ١٣٨-١٣٩؛ و**الإيضاح** للقزويني، ص ١٤٧-١٤٩.

٦ ن – والمراد بما عليه.

٧ ن – ممّا بني عليه العادة، ثمّ إنّ اشتهار ما تتوفّر الدواعي على نقله.

محالٌ، لا سيَّما والطاعِنون فيه أكْثَفُ عددًا من الذَّابِّين عنه، فحين لم يُنقل عُلم أنه إخبارٌ بالغيب على ما هو به فكان معجزةً.

فإن قلتَ: ما معنى اشتراطِه في اتِّقاءِ النَّار انتفاءَ إتيانهم بسورةٍ مِن مِثْلِه؟

قلتُ: إنّهم إذا لم يأتوا بها وتبيَّن عجزهُم عن المعارضة صحَّ عندهم صدقُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وإذا صحَّ عندهم صدقُه ثم لَزِموا العنادَ ولم ينقادوا ولم يُشايِعوا استَوْجبوا العقابَ بالنَّار، فقيل لهم: إن استَبَنْتُم العجزَ فاتركوا العنادَ، فوُضع ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ موضعَه؛ لأن اتِّقاء النار لَصيقُهُ وضَمِيمُهُ تركُ العناد

قوله: **(مُحال)** خبر، مبتدؤه **(خفاءُ)**. و**(لا سيَّما)** كلمة يُستثنى بها على ما مرَّ، وهو استثناء مُفرَّغ. والواو في **(والطاعنون)** للحال، والتقدير: خفاءُ مِثله مُحال في جميع الأحوال خاصّة في هذه الحال، وهو أنّ الطاعنين في **القرآن** أكثر من الدافعين عنه. و"الذَّبّ": المنع والدفع.

قوله: **(فحين لم يُنقَل)** أي: لم يُنقَل شيء عارضوه به عُلِم أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ إخبار بالغيب، فكان قوله تعالى: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ مُعجِزة.

قوله: **(ما معنى؟)** أي: أيُّ شيء معنى اشتراط الله تعالى في اتقائهم النار عدم إتيانهم بسورة مِثله، فإنّ اتّقاء النار واجبٌ سواء أتوا بالسورة أو لم يأتوا.

قولهم: **(إنّهم)**... إلخ، يجوز فتح "إنّ"، أي: معناه أنّهم، ويجوز الكسر على الاستئناف. وحاصل الجواب: أنّ المراد باتّقاء النار اتّقاءُ العِناد، فكأنّه قال: إذا لم يأتوا بسورة مِثله ظهر لكم أنّه من عند الله تعالى، فاتركوا العناد المُوجِب لدخول النار، ومعنى اشتراط عدم الإتيان بالسورة حينئذٍ ظاهر، فإنّ هذا الخطاب إنّما يصحّ على تقدير عدم إتيانهم[1] بالسورة، فإنّهم لو أتوا بالسورة لا يكون ترك الإيمان عِنادًا.

قوله: **(لصيقُه)** أي: ملزومه، مبتدأ. و**(ضميمُه)** عطف عليه، وضميرهما يعود إلى **(اتّقاء النار)**، و**(تَرْكُ العِناد)** خبره، والجملة خبر "أنّ". يُريد أنّ تَرْك العِناد

---

[1] ن - بسورة مثله، فإنّ اتّقاء... عدم إتيانهم.

مِن حيث إنّه مِن نتائجه؛ لأن مَن اتَّقى النارَ تَرَكَ المعاندةَ.

ونظيرُه أن يقول الملك لحشَمه: إن أردتُم الكرامَةَ عندي فاحذَرُوا سَخَطِي، يُريد: فأَطِيعوني واتَّبعوا أمرِي، وافعلوا ما هو نتيجةُ حَذَرِ السَّخَطِ، وهو من بابِ الكناية التي هي شُعْبَةٌ من شُعَبِ البَلاغة، وفائدتُه: الإيجازُ الذي هو من حِلْيَةِ القُرآنِ، وتهويلُ شَأنِ العِنادِ بإنابَة اتِّقاءِ النَّارِ مَنابَهُ، وإبْرازُهُ في صُورتِهِ مُشَيَّعًا ذلك بتهويلِ

ملزوم لاتّقاء النار، فأطلق اللازم وأراد الملزوم، فتكون كنايةً. وإنّما قلنا: إنّه مَلزومه؛ لأنّ تَرْك العِناد من نتائج اتّقاء النار، لأنّ نتيجة اتّقاء الشخص النار أن يترُك العِناد، ونتيجة الشيء ملزومه؛ لامتناع وجود نتيجة الشيء من حيث هو نتيجته بدون ذلك الشيء. فالضمير من قوله: **(إنّه)** عائد إلى "تَرْك العناد"، ومن **(نتائجه)** إلى "اتّقاء النار". والدليل عليه قوله: **(افعلوا ما هو نتيجة حذَر السَّخَط)** فقد جعَل الطاعة واتّباع الأمر نتيجة حذَر السَّخَط، فكذا تَرْك العِناد نتيجة اتّقاء النار، فإنّ حذَر السَّخَط / بمثابة حذَر النار، والطاعة والاتّباع بمثابة تَرْك العِناد.[1] [١٢٣و]

قوله: **(وهو)** أي: وَضْع اتِّقاء النار موضعَ تَرْك العِناد **(من باب الكناية)**.

قوله: **(وفائدتُه)** أي: فائدة الوَضْع المذكور، أو فائدة باب الكناية **(الإيجاز)**؛ لأنّه كان حينئذٍ يجب أن يقال: فاتَّقوا العِناد المُستلزِم للنار.

قوله: **(وتهويلُ)** عطفٌ على "الإيجاز".

قوله: **(مُنابَه)** أي: مُناب تَرْك العِناد.

قوله: **(وإبرازِه في صورته)** أي: إبراز تَرْك العِناد في صورة اتِّقاء النار.

قوله: **(مُشيّعًا)** اسم مفعول من قولهم: شيَّع الضيف إذا تبعه عند رحيله. و**(ذلك)** قائم مَقام فاعله، وإشارة إلى اتِّقاء النار. والباء في **(بتهويل)** للتعدية. والتهويل: التفزيع.

---

[1] ن – نتيجة اتّقاء النار، فإنّ حذَر السَّخَط بمثابة حذَر النار، والطاعة والاتّباع بمثابة تَرْك العِناد.

صفةِ النَّار وتفظيعِ أمْرِها.

والوَقودُ: ما تُرفع به النارُ، وأما المصدرُ فمضمومٌ، وقد جاء فيه الفتح، قال سيبويه: وسَمِعْنا من العرب مَن يقول: وقَدَتِ النارُ وَقودًا عاليًا، ثمَّ قال: والوُقوْدُ أكثرُ، والوَقود الحطَبُ.

وقرأ عيسى بنُ عمرَ الهَمْدانيُّ بالضمِّ تسميةً بالمصدر؛ كما تقول: فلانٌ فَخْرُ قومه، وزينُ بلده.

قوله: **(وتفظيعِ)** يقال: «فظُع الأمر بالضمّ فَظاعةً فهو فظيع، أي: شديد شنيع، جاوز المقدار».[١]

قوله: **(والوَقود)** أي: بالفتح: هو[٢] الحطب الذي تُرفَع به النار.

قوله: **(فيه)** أي: في المَصدر.

قوله: (**«مَن يقول»**) مفعول (**«سمِعْنا»**)، و(**«مِن العَرب»**) حالٌ منه مُقدَّم عليه. و"مِن" للتبعيض.

قوله: (**«وَقودًا»**)،[٣] أي: بالفتح في المَصدر.

قوله: **(ثمّ قال)** أي: سيبويه: (**«والوُقود»**) بضمِّ الواو في المصدر (**«أكثرُ»**)[٤] من الوَقود بفتح الواو في المصدر.

قوله: (**«والوَقود: الحطب»**)[٥] من تتمّة قول سيبويه، يعني: الوَقود بفتح الواو وهو الاسم.

قوله: **(الهَمْدانيّ)** بسكون الميم. وهذه القراءة[٦] تحتمل وجهين: **الأوّل**: أن تكون تسمية بالمصدر، أي: أُطلِق المصدر وأُرِيد به اسم الفاعل، كالفَخْر بمعنى الفاخر،

---

١ **الصحاح للجوهري**، «فظع».

٢ ن - هو.

٣ د: وَقود. | **كتاب سيبويه**، ٤٢/٤.

٤ **كتاب سيبويه**، ٤٢/٤.

٥ **كتاب سيبويه**، ٤٢/٤.

٦ بضم الواو من ﴿وَقُودُهَا﴾، وهي قراءة مُجاهد وطلحة بن مُصرِّف وعيسى بن عمر الهَمْداني، وغيرهم. **المُحتسَب لابن جنّي**، ٦٣/١؛ **وشواذّ القراءات للكرماني**، ص ٥٥؛ **والمغني في القراءات للنُّوْزوازي**، ص ٣٩٣.

ويجوز أن يكون مثلَ قولك: حياةُ المصباح السَّليطُ؛ أي: ليست حياتُه إلّا به، فكأنَّ نفسَ السَّليط حياتُه.

فإن قلتَ: صلةُ "الذي" و"التي" يجب أن تكون قصَّةً معلومةً للمخاطَب، فكيف عَلِم أولئك أنّ نارَ الآخرةِ تُوقَد بالنَّاس والحجارة؟

قلتُ: لا يمتنِعُ أن يتقدَّمَ لهم بذلك سماعٌ من أَهْل الكتاب، أو سَمِعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو سمعوا قبل هذه الآيةِ قولَه تعالى في سورة التحريم: ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم ٦٦/٦].

فإن قلتَ: فلِمَ جاءت النارُ الموصوفةُ بهذه الجملة مُنكَّرةً في سورة التحريم وهنا معرَّفةً؟

قلتُ: تلك الآيةُ نزلت بمكةَ فعرفوا منها نارًا موصوفةً بهذه الصفة،

والزَّيْن بمعنى الزائن، أي: فلان ما يَفتخِر به قومه، وما يتزيَّن به بلده، فسُمّي ما يفتخِر به القوم فَخْرًا، وما يتزيَّن به البلد زَيْنًا، فيكون المراد بالوُقود: ما يُوقَد به، كما تقول: ضَرْبُ الأمير، بمعنى: مضروبه. والوجه **الثاني**: أن تكون قراءته بالضمّ مِثل: حياةُ المصباح السليطُ، وهو: «الزيت عند عامّة العَرب، وعند أهل اليمن: دُهْن السِّمْسِم».[١] فلا يكون المراد بالوقود: ما يُوقَد به، بل يكون المراد به المصدر نفسه مبالغة، فكأنّ الإنسان نَفْسُ وُقودها؛ لأنّ وُقودها لا يكون إلّا به، وهذا للمبالغة مِثل: رجلٌ عَدْلٌ.

قوله: (**بذلك**) أي: بأنّ نار الآخرة تُوقَد بالناس والحجارة.

قوله: (**فلِمَ جاءت؟**) الفاء جواب شرط محذوف، أي: إذا كانوا قد سمعوا فلِمَ جاءت مُنكَّرة؟ ووجه السؤال أن يقال: إذا كان المراد بهذه النار هي تلك النار[٢] فلِمَ جاءت مُنكَّرة في إحدى السورتين مُعرَّفة في الأخرى؟

قوله: (**تلك الآية**)، يعني قوله: ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم ٦٦/٦] في "التحريم".

---

١ **الصحاح** للجوهري، «سلط».

٢ ن: النور.

ثم نزلت هذه بالمدينة مشارًا بها إلى ما عرَفوه أولًا.

فإن قلتَ: ما معنى قولِه تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾؟

قلتُ: معناه: أنَّها نارٌ ممتازةٌ عن غيرها من النِّيران بأنَّها لا تتَّقِدُ إلَّا بالنَّاس والحجارة، وبأن غيرَها إن أريدَ إحراقُ الناس بها أو إحماءُ الحجارة أُوقِدَتْ أوَّلًا بوَقودٍ ثم طرح فيها ما يرادُ إحْراقُهُ أو إحْماؤُه، وتلك -أعاذَنا اللهُ منها برحْمته الواسعةِ- تُوقَد بنفسِ ما يُحْرَقُ ويُحمَى بالنَّار، وبأنَّها لإفراط حَرِّها وشدَّةِ ذكائها إذا اتَّصلتْ بما لا تشتَعِل به نارٌ اشتعلَتْ وارتَفعَ لهَبُها.

فإن قلتَ: أنارُ الجحيم كلُّها موقَدةٌ بالناس والحجارة، أم هي نيرانٌ شتَّى منها نارٌ بهذه الصفة؟

قوله: **(هذه)**، يعني النار التي وقودها.

قوله: **(مِن النيران)** بيانُ **(غيرها)**. ثمَ أشار إلى بيان قُوّتها من وجهين.

قوله: **(بأنّها)** إلى قوله: **(يُحمى بالنار)**. الباء مِن "بأنّها" مُتعلِّق بقوله: **(مُمتازة)**.

قوله: **(وبأنّ غيرها)** من تتمّة هذا الوجه. وحَمِيَ النهار[1] بالكسر، وحَمِيَ[2] التنور: اشتدّ حرُّهما، وأحميتُ الحديد في النار فهو مُحمًى.[3] **(أوقِدتْ)** جواب **(إنْ)**. **(بوَقود)** بفتح الواو. وقوله: **(وتلك)** أي: النار المذكورة في الآية مبتدأ، خبره **(تُوقَد)**. وقوله: **(أعاذنا الله منها برحمته الواسعة)** جملة مُعترِضة.

قوله: **(وبأنّها)** عطفٌ على قوله: "بأنّها". وهذا هو الوجه الثاني، يعني: أنّها لإفراط حرِّها تنفُذ في الحَجر. يقال: «ذكَت النار تذكو ذكًا مقصور، أي: اشتعلت»، ذكره في **الصحاح**.[4] وقال المُطرِّزيّ في **المُغرِب**: «أصل التركيب يدلُّ على التَّمام، ومنه ذكاء السِّنّ -بالمدّ-: لنهاية الشباب، وذكا النارِ -بالقصر-: لتمام اشتعالها».[5]

---

١ د ش ن: النار. | وأثبتُّ ما في مطبوع **الصحاح**.

٢ ن - وحمي.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «حمي».

٤ **الصحاح** للجوهري، «ذكا».

٥ **المُغرِب** للمُطرِّزي، «ذكي».

قلتُ: بل هي نيرانٌ شتَّى منها نارٌ تُوقَد بالنَّاس والحجارة، يدلُّ على ذلك تنكيرُها في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم ٦٦/٦] ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل ٩٢/١٤]، ولعل لكفَّار الجنِّ وشياطينهم نارًا وَقودُها الشياطينُ كما أنَّ لكفرةِ الإنس نارًا وَقودُها هم؛ جزاءً لكلِّ جنسٍ بما يشاكِلُه من العذاب.

فإن قلتَ: لِمَ قُرِنَ الناسُ بالحجارة وجُعلَتْ الحجارةُ معهم وقودًا؟

قلتُ: لأنهم قَرنوا بها أنفسَهم في الدنيا، حيثُ نَحَتُوها أصنامًا، وجعلوها لله أندادًا، وعَبَدُوها من دونه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء ٢١/٩٨] وهذه الآيةُ مفسِّرَةٌ لِمَا نحن فيه، فقوله: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ في معنى النَّاسِ والحجارةِ، و﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ في معنى وَقودِها.

ولمَّا اعتقدَ الكفَّار في حجارتهم المَعْبودةِ من دون اللهِ أنها الشُّفعاءُ والشُّهداءُ الذين يستَشْفِعون بهم، ويستَدْفِعُون المَضارَّ عن أنفسِهم بمكانِهم، جَعَلها اللهُ عذابَهم فَقَرَنَهم بها مُحمَاةً في نارِ جهنم؛ إبْلاغًا في إيلامِهم، ....

قوله: (**جزاءً**) مفعول له يُنازع فيه قوله: (**لكُفّار الجنّ**) و(**لكَفَرة الإنس**)، والتقدير: لعلّ نارًا وقودها الشياطين أَثبتَ أو قدَّر أو خلَق الله تعالى لكُفّار الجنّ جزاءً، كما أنّ نارًا وقودها هم، أي: الإنس أَثبتَ أو خلَق لكَفَرة الإنس جزاءً، فيكون فعلًا لفاعل الفعل المُعلَّل، فحذف اللّام.

قوله: (**يَستنفِعون**) أي: يَطلبون / المنفعة بهم. و(**يَستدفِعون**) أي: يطلبون الدفع. [١٢٣ظ]

قوله: (**بمكانهم**) أي: بهم، ولفظ "مكان" زائد، كما في قوله: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [الرحمن ٥٥/٤٦]، وسيجيء تحقيقه إن شاء الله تعالى. وسين الطلب في الفعلين؛ لأنّهم جعلوها شفعاء لا مُثيبًا ولا مُعاقِبًا.

قوله: (**جعلها**) جواب (لمّا)، والضمير لـ"الحجارة" و(**الشفعاء**) و(**الشهداء**)، والمعنى واحد.

قوله: (**فقرنَهم**) أي: الكافرين، عطفٌ على "جعلها".

قوله: (**بها**) أي: بـ"الحجارة" أو "الشفعاء" و"الشهداء". (**إبلاغًا**) مفعول له من "جعل" و"قرن".

وإغْراقًا في تَحْسِيرهم، ونحوُه ما يفعلُه بالكانِزِين الذين جَعَلوا ذَهَبَهم وفضَّتَهم عُدَّةً وذَخِيرةً، فشَحُّوا بها ومَنَعوها من الحقوقِ، حيثُ يُحْمَى عليها في نار جهنَّم فتُكْوَى بها جِباهُهم وجُنوبُهم.

وقيل: هي حجارةُ الكبريت. وهو تخصيصٌ بغيرِ دليلٍ، ....

قوله: (إغراقًا) مِن[1] أغرَق النازع في القوس إذا استوفى مدَّها.[2]

قوله: (في تحسيرهم) في بعض النُّسخ بالحاء المهملة، وفي بعضها بالخاء المعجمة،[3] وهما بمعنى الإهلاك. أو التحسير بالحاء المهملة مِن الحَسْرة: وهو أشدُّ التلهّف على الشيء الفائت،[4] تقول منه: حَسِر على الشيء[5] بالكسر يَحسَر حَسَرًا وحسرة[6] فهو حسير، وحسَّرت غيري تحسيرًا، ورجل مُحسَّر، أي: مؤذًى. وفي الحديث: «أصحابه مُحسَّرون»، أي: مُحقَّرون.[7] وبالخاء المعجمة مِن الخسارة.

قوله: (ونحوه) أي: هذا الجَعْل والاقتران.

قوله: (فشحُّوا) أي: بخِلوا عطفٌ على (جعلوا).

قوله: (حيث) ظرف (يفعَله).

قوله: (وهو تخصيصٌ) جاء عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما[8] وغيره: «أنّ الحجارة هنا حجارةُ الكبريت، وهي أشدُّ لإيقاد النار»،[9] وأبطأ خُمودًا،

---

١ د + مِن.

٢ انظر: الصحاح للجوهري، «غرق».

٣ هامش ش: في نسخة الصمصام والمعزّي "في تحسيرهم" بالحاء المهملة، وفي بعض النسخ بالخاء المُعجَمة. | وهذا التعليق مذكور بلفظه في فتوح الغيب للطِّيبي، ٣٤٢/٢.

٤ ش - الفائت؛ ن - على الشيء الفائت.

٥ ن - على الشيء.

٦ د - وحسرة.

٧ من قوله: "الحسرة" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «حسر». والحديث الذي أورد منه طرفًا هو: «يخرج في آخر الزمان رجُل يُسمّى أمير العُصَب، أصحابه مُحسَّرون مُحقَّرون مُقصَون عن أبواب السلطان، يأتون من كلّ أَوْب كأنّهم قزَع الخريف، يُورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها». تهذيب اللغة للأزهري، «حسر» ٢٨٩/٤؛ الفائق للزمخشري، ٢٨٣/١. ولم أجِده فيما وقفتُ عليه من دواوين الحديث.

٨ د - رضي الله تعالى عنهما.

٩ الوسيط للواحدي، ١٠٣/١ (البقرة، ٢٤/٢). وانظر: البسيط للواحدي، ٢٥٧/٢ (البقرة، ٢٤/٢).

وذَهَابٌ عمَّا هو المعنى الصحيحُ الواقعُ المشهودُ له بمعاني التنزيل.

﴿أُعِدَّتْ﴾؛ أي: هُيِّئَتْ لهم وجُعلَتْ عُدَّةً لعذابهم، وقرأ عبد الله: "أُعْتِدَتْ" من العَتادِ بمعنى العُدَّةِ.

وأنتَن رائحة، وأشدُّ حرًّا، وألصق بالبدن، وأوحش لونًا.[١] وكأنّ هذه الرواية لم تثبت عنده، أو حمَله المُصنِّف على أنّ ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما[٢] قال ذلك اجتهادًا لا نَقْلًا مِن النبيّ عليه السلام؛ فلذلك ردَّه بقوله: "وهو"، أي: الحَمْل على حجارة الكبريت تخصيص بغير دليل. قال الإمام:

> بل فيه ما يدلُّ على فساده؛ وذلك لأنّ الغرض هنا تعظيم صِفة هذه[٣] النار، والإيقاد بحجارة الكبريت مُعتاد، فلا يدلُّ الإيقاد بها على قُوّة النار. أمّا لو حملناه على سائر الحجارة فيدلُّ على عِظَم النار،[٤] فإن سائر الأحجار تُطفأ بها النيران، فكأنّه قال: تلك النار نارٌ[٥] بلَغت مِن قوّتها أن تتعلّق في أوّل أمرها بالحجارة التي هي مُطفِئة لنيران الدنيا.[٦]

قوله: (المشهود) ليس فيه ضمير. والضمير من (له) عائد إلى اللّام. ويريد بالشهادة له بمعاني التنزيل ما استشهد له بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ﴾ [التوبة ٩/٣٥]. وقيل: المراد بالحجارة: جبال الدنيا، عُلِّقت عليهم إذا أُلقوا في النار ليَحطَّهم سِفلًا.[٧] «والحِجارة جمع حَجَر، وليس بقياس، ولكنّهم قالوه، كما قالوا: جَمَل وجِمالة، وذَكَر -خِلاف الأنثى- وذِكارة، والقياس أحجار».[٨] وقراءة عبد الله "أُعتِدَتْ" -بدال مخفّفة بعد تاء مكسورة- شاذّة.[٩] يقال: أعتَدَه إعتادًا، أي: أعدَّه، والعتاد: العُدَّة، وهي: ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح.

---

١ انظر هذه الأوصاف في **البحر المحيط** لأبي حيّان، ١/١٧٥ (البقرة، ٢/٢٤).

٢ د - رضي الله تعالى عنهما.

٣ ن - هذه.

٤ ن - النار.

٥ ن - نار.

٦ انظر: **تفسير الرازي**، ٢/١٣٣ (البقرة، ٢/٢٤).

٧ ما عرفت صاحب هذا القول.

٨ **الوسيط** للواحدي، ١/١٠٣ (البقرة، ٢/٢٤)؛ **البسيط** للواحدي، ٢/٢٥٣ (البقرة، ٢/٢٤). وليس في مطبوعهما «بخلاف الأنثى».

٩ **المغني في القراءات** للنّوزوازي، ص ٣٩٤؛ **البحر المحيط** لأبي حيّان، ١/١٧٦ (البقرة، ٢/٢٤).

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

مـن عادَتِـهِ عَـزَّ وعـلا فـي كتابـه أَنْ يَذْكـرَ الترغيبَ مـع الترهيـب، ويَشْـفَعَ البشَارةَ بالإنذار؛ ....

يقال: أخذ للأمر[1] عُدَّته وعَتاده بمعنًى.[2]

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

قوله: **(مِن عادته)**... إلخ، العَوْد: الصيرورة ابتداء وثانيًا: فمن **الأوّل** قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس ٣٦/٣٩]، ومن **الثاني** ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف ٢٩/٧]. ويُعدَّى بنفسه وبـ"إلى" و"على" و"في" واللام.[3] ويقال: أعاده وعوَّده. والعادة: اسم ما يعود إليه[4] صاحبه مرّة بعد أخرى.

قوله: **(أن يذكُر)**... إلخ، مبتدأ، و"مِن عادته" خبره. وقوله: **(في كتابه)** مُتعلِّق من حيث المعنى بقوله: "عادته" فكأنّه قال: ذِكْر الترغيب مع الترهيب ممّا يعود الله تعالى إليه في كتابه. و"رغبتُ" في الشيء:[5] أردتُه رغبةً ورغَبًا بالتحريك، وأَرْغبني في الشيء ورغَّبني فيه.[6] و**(الترهيب)**: التخويف. وصلة **(الترغيب)** و"الترهيب" محذوف، أي: الترغيب في الثواب، / والترهيب[7] عن العقاب. [١٢٤و]

قوله: **(يَشفَع)** عطف على قوله: "يذكُر". والشَّفْع: خلاف الوِتْر، تقول:

---

١ ن: الأمير.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «عتد».

٣ انظر: **المُغرِب** للمُطرِّزي، «عود».

٤ ن – إليه.

٥ ش + أي.

٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «رغب».

٧ كتب الناسخ في د الواو العاطفة قبل نهاية اللوح، ثم كرّرها مع بدايته.

إرادةَ التنشيطِ لاكتساب ما يُزْلِفُ، والتَّثبيطِ عن اقْتِرافِ ما يُتْلِفُ.

فلمَّا ذَكَر الكفَّارَ وأعمالَهم وأوْعَدَهم بالعِقاب، قَفَّاهُ ببشارةِ عبادِهِ الذين جَمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطَّاعات وتركِ المعاصي، وحَمَوْها من الإحْباطِ بالكفر والكبائر= بالثَّواب.

فإن قلتَ: مَن المأمور بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ﴾؟

كان فردًا فشفعتُه،[1] أي: قرنتُ آخر معه حتّى صار شَفْعًا. و(**إرادةَ**) مفعول له تنازَع فيه "يذكُر" و"يشفَع". و(**التنشيط**): جَعْل الشخص ذا نشاط. و(**لاكتساب**) مُتعلِّق بـ"التنشيط". و(**يُزلِف**) أي: يُقرِّب العبد إلى رضى الله تعالى وإلى الجَنّة. ويقال: ثبَّطه عن الأمر "تثبيطًا"، أي: شغله. و"الاقتراف": الاكتساب.

قوله: (**فلمّا**) مع جوابه وهو (**قفّاه**) أي: أتبَعه، جوابُ شرط محذوف، أي: إذا كان ذِكْر الترغيب مع الترهيب مِن عادته تعالى فلمّا ذكر... إلخ. وقوله: (**بيشارة**) مُتعلِّق بقوله: "قفّاه".

قوله: (**مِن فِعْل**) بيانُ (**الأعمال**). وقوله: (**وترك المعاصي**) عطفٌ على (**فِعل الطاعات**) فجَعَل تَرْك المعاصي من (**الأعمال الصالحة**)؛ لأنّ كفَّ النفس عن المعصية عمَل صالح. ولا يجوز أن يقال: قوله: "وترك المعاصي" عطف على "الأعمال الصالحة"؛ لأنّ لفظ القرآن في هذا الموضع لا يُطابقه.

قوله: (**وحمَوها**) عطفٌ على (**جمَعوا**) أي: الذين رعَوا الأعمال من الإبطال بالكفر والكبائر. وهذا بناء على مذهبه مِن أنّ الكبيرة تُبطِل الأعمال الصالحة.[2]

قوله: (**بالثواب**) مُتعلِّق بقوله: "بشارة"، أي: بشارتهم بالثواب.

قوله: (**مَن المأمور؟**) أجاب عن هذا السؤال من وجهين: **الأوّل**: أن يكون المأمور رسول الله عليه السلام، وهذا ظاهر؛ **والثاني**: أن يكون المأمور بالتبشير

---

[1] انظر: **الصحاح** للجوهري، «شفع».

[2] انظر لتفصيل هذه المسألة واختلاف المعتزلة فيها: **الأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبّار، ص ٦٢٤-٦٣٢؛ وانظر لتفنيد حججهم **تفسير الرازي**، ٢/٢٥٧ (البقرة، ٢/٣٤)؛ ونقل كلامه في ذلك الطِّيبيُّ في **فتوح الغيب**، ٢/٣٤٣.

قلتُ: يجوز أن يكون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وأن يكون كلَّ أحدٍ، كما قال عليه الصلاة والسلام: «بشِّر المَشَّائين إلى المساجد في الظُّلَم بالنُّور التام يومَ القيامة»؛ لم يأمُرْ بذلك واحدًا بعينه، وإنما كلُّ أحدٍ مأمورٌ به، وهذا الوجهُ أحسنُ وأَجْزَلُ لأنّه يؤذِنُ بأنَّ الأمرَ لعِظَمِه وفخامةِ شأنِه محقوقٌ بأنْ يُبشِّرَ به كلُّ مَن قَدَر على البِشارة به.

كلَّ مَن يتأتّى منه[1] التبشير، كما في الحديث.

وتقرير ذلك أن نقول: الأصل في الخِطاب أن يكون مع مُخاطَب مُعيَّن، ثمّ قد يُطلَق الخِطاب ويُراد به غير مُعيَّن، كما نقول: "فلان لئيمٌ: إن أكرمتَه أهانك، وإن أحسنتَ إليه أساء إليكَ"، فلا تريد مُخاطَبًا بعينه، كأنّك قلتَ: إن أُكرِم أو أُحسِن، مُشيرًا إلى أنّ سُوء مُعاملته لا تَختصّ واحدًا دون واحد. وله في **القرآن** نظائر كثيرة: منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة ١٢/٣٢]، فإنّه يُحمَل على العموم ويقال: القَصْد إلى تفظيع حال المجرمين، وأنْ قد بلغَت مِن الظهور إلى حيث يمتنِع خفاؤها البتّة، فلا تختصّ رؤيةَ راءٍ دون راءٍ، بل كلُّ مَن يتأتى منه الرؤية فله مَدخَل في هذا الخِطاب؛ وقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف ١٨/١٨].[2]

قوله: **(وهذا الوجه)** أي: **الوجه الثاني**: وهو أن يكون المراد كلَّ أحد.

قوله: **(لأنّه)** أي: لأنّ هذا الوجه. والضمير من "عِظَمه" و**(شأنه)** و**(به)** و**(به)** لـ"الأمر".

قوله: **(يُؤذِن)** مِن الإيذان: وهو الإعلام.

قوله: **(محقوقٌ)** يقال: حقَّ الشيء يحِقُّ بالكسر، أي: ثبت، وحقَقْتُه[3] أحُقُّه: أثبتُّه، يقال: حُقَّ له أن يفعل هذا، وهو حقيق به ومحقوق به، أي: خليق به، والجمع أحِقّاء ومحقوقون.[4]

---

[1] ن: به.

[2] من قوله: "الأصل في الخطاب" إلى هنا بلفظ قريب في مفتاح العلوم للسَّكّاكي، ص ٢٧١.

[3] ن: وحققه.

[4] انظر: **الصحاح** للجوهري، «حقق».

فإن قلتَ: علامَ عُطِفَ هذا الأمرُ ولم يَسبِقْ أمرٌ ولا نهيٌ يصِحُّ عطفُه عليه؟

قلتُ: ليس الذي اعتُمدَ بالعطف هو الأمرَ حتّى يُطلَبَ له مُشاكِلٌ من أمرٍ أو نهيٍ يُعْطَفَ عليه، إنَّما المُعتَمَدُ بالعطف هو جملةُ وَصْفِ ثوابِ المؤمنين، فهي معطوفةٌ على جملةِ وَصْفِ عقاب الكافرين؛ كما تقول: زيد يُعاقَب بالقيد والإرْهاق، وبَشِّرْ عَمْرًا بالعفو والإطلاق.

قوله: (**عَلامَ؟**) أي: على أيِّ شيء؟ فـ"ما" استفهاميّة حُذِف ألفها لدخول الجارّ عليه.

قوله: (**هذا الأمر**)، يعني قوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾.

قوله: (**ولم يَسبِق**)... إلخ، حال مِن "هذا الأمر". وقوله: (**يصِحُّ**)... إلخ، صفة (**أمر**) و(**نهي**)، بتأويل كلّ واحد. والضمير من (**عَطفُه**) عائد إلى "هذا الأمر"، ومِن (**عليه**) إلى قوله: "أمرٌ ونهي".

قوله: (**ليس الذي اعتُمد**)... إلخ، هذا شروع في الجواب من ثلاثة أوجه: **الأوّل**: أنّ المراد من قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ﴾... إلخ، وَصْف ثواب المؤمنين، والمراد من قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾... إلخ، وَصْف عقاب الكافرين، فالذي قُصِد عطفه هو مجموع وَصْف ثواب المؤمنين، والذي قُصِد العطف عليه هو مجموع وَصْف[1] عقاب الكافرين، فكأنّه قيل: عقاب الكافرين النار التي من شأنها كذا وكذا، وثواب المؤمنين الجنّات التي شأنها كذا وكذا.

قوله: "اعتُمد"، أي: قُصِد. وقوله: (**هو**) ضمير الفصل. و(**الأمرَ**) منصوب؛ / لأنّه خبر "ليس". وقوله: (**له**) أي: للأمر. وقوله: (**مُشاكِل**) أي: مُناسِب. و(**مِن**) بيان. و(**يُعطَف عليه**) صفة (**أمرٍ أو نهي**). ويقال: «**أرهَقه عُسرًا**، أي: كلَّفه إيّاه، يقال: لا تُرهِقني لا أَرهَقكَ الله، أي: لا تُعسِرني لا أَعسَرك الله».[2] ويقال: أَرهَقه، أي: أدرَكه ليَقتُل.[3] [١٢٤ظ]

---

[1] ن – ثواب المؤمنين، والذي قُصِد العطف عليه هو مجموع وَصْف.

[2] ن + تعالى. | **الصحاح** للجوهري، «رهق». نقله عن أبي زيد.

[3] انظر: **الصحاح** للجوهري، «رهق».

ولك أن تقول: هو معطوفٌ على قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ﴾، كما تقول: يا بني تميمٍ احْذروا عقوبَةَ ما جَنَيْتُم وبَشِّر يا فلانُ بني أسدٍ بإحساني إليهم.

قوله:[١] (ولك أن تقول) هذا هو الوجه الثاني وهو أن يكون عطفًا على قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ﴾.

فإن قلتَ: في هذا نظرٌ؛[٢] لأنّ قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ﴾جواب الشرط، أعني قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾، وهذا لا يصلُح أن يكون جواب الشرط؛ إذ لا يصحّ أن يقال: فإن لم تفعلوا[٣] فبشِّر، وكذا في المِثال الذي أورَده لعَطْف[٤] الأمر على الأمر نظرٌ؛ لأنّه عطَف فيه الجملة الندائيّة المُشتمِلة على الأمر على جملة مِثلها،[٥] وليس فيها عطف الأمر على الأمر. قلنا: هذا صحيح مِن حيث المعنى؛ لأنّهم إذا لم يفعلوا، أي: لم يأتوا بمِثل القرآن ثبَت المُعجِزة، فيكونون مأمورين بتَرْك العِناد المُوجِب للنار، ويكون النبيّ عليه السلام مأمورًا ببشارة المؤمنين بالجنّة؛ لأنّهم أقرُّوا بنبوّته، وقد ثبَت بالدليل نبوّته.[٦] وأمّا المِثال الذي أورَده فليس لتقرير أنّ الأمر فيه عَطْف على الأمر، بل لبيان أنّ الآية في حُكمه، فكأنّه قيل: فإن لم تفعلوا أيُّها الكُفّار فاتّقوا، ويا أيُّها النبيُّ بشِّر.

هذا ما سنَح لي حالَ التحرير. ولكن لقائل أن يقول: لا يكون هذا من عطف الأمر على الأمر، وكأنّ صاحب **المفتاح** لهذا المعنى قال ردًّا على صاحب **الكشّاف**:

> وأمّا قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فيُعدُّ معطوفًا على ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾، وعندي أنّه معطوف على "قُلْ" مُرادًا قبل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾؛ لكون إرادة القول بوساطة انصباب الكلام إلى معناه

---

[١] ن - قوله.

[٢] أورد النظر ههنا القزوينيُّ في **الإيضاح**، ص ٢٦١؛ وردّه الطِّيبيُّ في **فتوح الغيب**، ٢/٣٤٥.

[٣] ن + وهذا لا يصلح أن يكون جواب الشرط، إذ لا يصلح أن يقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾، وهذا لا يصلح جواب الشرط.

[٤] ن - فبشِّر، وكذا في المثال الذي أورده لعطف.

[٥] ن: قبلها.

[٦] هذا الجواب عن النظر الوارد على كلام الزمخشري ذكره الطِّيبيُّ بمعناه في **فتوح الغيب**، ٢/٣٤٥؛ وأشار إلى أنّ ذلك الجواب يُفهم من **تفسير البيضاوي**، ١/٦٨ (البقرة، ٢/٢٤).

وفي قراءة زيدِ بن عليّ رضي الله عنه: ....

غيرَ عزيزة في القرآن: من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟﴾ [البقرة ٢/٥٧]، أي: وقلنا، أو قائلين؛ ومن ذلك: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ [البقرة ٢/٦٠]، أي: قلنا، أو قائلًا أنت يا موسى كُلوا واشربوا؛ ومن ذلك: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟﴾ [البقرة ٢/٦٣]، أي: قلنا، أو قائلين ﴿خُذُوا۟﴾؛ ومن ذلك ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا﴾ [البقرة ٢/١٢٧]، أي: يقولان: ﴿رَبَّنَا﴾؛ ومن ذلك ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ﴾ [البقرة ٢/١٣٢]، أي: يقولان ﴿يَٰبَنِىَّ﴾، على قول أصحابنا البصريّين، وأمّا الكوفيّون فلا يُقدّرون القول، ويقولون: ﴿يَٰبَنِىَّ﴾ في محلّ مفعول ﴿وَصَّىٰ﴾؛ لأنّهم يُجوّزون تعليق غير أفعال القلوب؛[1] ومن ذلك ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟﴾ [الأنفال ٨/٥٠]، أي: ويقولون: ذوقوا؛ ومن ذلك ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ فَسِيحُوا۟﴾ [التوبة ٩/١-٢]، أي: فقولوا لهم: سِيحوا؛ وأمثال ذلك أكثرُ من أن أحصيَها ههنا.[2]

قوله: **(وفي قراءة زيد بن عليّ)**[3] إشارة إلى الوجه الثالث: وهو أن يكون ﴿وَبَشِّرِ﴾ عطفًا على ﴿أُعِدَّتْ﴾؛ لأنّ قوله: "وبُشِّرَ" مجهولًا في القراءة الشاذّة عطفٌ على ﴿أُعِدَّتْ﴾، فهو يدلُّ على أنّه بلفظ الأمر في القرَأة السبعة معطوف على ﴿أُعِدَّتْ﴾:

بأن يكون ﴿أُعِدَّتْ﴾ في معنى الأمر، فكأنّه قيل: "فأنذِر الكافرين بالنار، وبشِّر الذين آمنوا".

أو بأن يكون ﴿وَبَشِّرِ﴾ في معنى الإخبار، كأنّه قيل: "أُعِدَّت للكافرين النارُ، وأُعِدَّت الجنّة للذين آمنوا"، فإنّ مِثل ذلك جائز، / إذا كان المقام مُشتمِلًا [١٢٥و]

---

١ انظر لاختلافهم في هذه المسألة شرح الرضي على الكافية، ٤/١٧٧. وزاد عليه المُصنِّف ههنا بيان مذهب الكوفيين.

٢ انظر: مفتاح العلوم للسّكّاكي، ص ٣٦٨-٣٦٩.

٣ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٥؛ المغني في القراءات للنّوزوازي، ص ٣٩٤.

"وبُشِّر" على لفظ المبنيّ للمفعول عطفًا على ﴿أُعِدَّتْ﴾.

والبِشـارَةُ: الإخْبار بما يُظْهِرُ سرورَ المُخْبَرِ به، ومِن ثَمَّ قال العلماء: إذا قال لعبيده: أيُّكم بَشَّرَني بقدوم فلانٍ فهو حُرٌّ، فَبَشَّرُوه فُرَادَى، عَتَقَ أوَّلُهم لأنه هو الذي أظهر سُرُورَه بخبره دون الباقين، ولو قال مكان بَشَّرَني: أخبرني، عَتَقوا جميعًا لأنهم جميعًا أَخْبرُوه.

على ما يُزيل الاختلاف بين الطلب والخبر، وهو تضمين الخبر معنى الطلب أو تضمين الطلب معنى الخبر: كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟﴾ [البقرة ٢/٨٣]، إذ لا يخفى أنّ قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ مُضمَّن معنى: لا تعبدوا؛ وكقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ [النمل ٢٧/٨-١٠]، فإنّ الكلام مُشتمِل على تضمين الطلب معنى الخبر؛ وذلك أنّ قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ﴾ معطوف على قوله: ﴿أَنۢ بُورِكَ﴾، والمعنى: فلمّا جاءها قيل: ﴿بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾، وقيل: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾؛ لِمَا عُلِم في علم النحو أنّ "أنْ" هذه لا تأتي إلّا بعد فعل في معنى القول،[1] فإذا قيل: "كتبتُ له: أن ارجع"، و"ناداني: أن قُمْ"، كان بمنزلة "قلتُ له: ارجع"، و"قال لي: قُمْ".[2]

فقوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾ في محلّ المبتدأ. وقوله: "في قراءة زيد" خبره، أو قوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾ في محلّ فاعل قوله: "في قراءة زيد". وقوله: (**على لفظ المبنيّ للمفعول**) حال: إمّا من الفاعل، وهو قوله: ﴿وَبَشِّر﴾؛ أو الضمير المستتر في الجارّ والمجرور. وقوله: (**عطفًا**) أي: عُطِفَ عطفًا.

قوله: (**والبِشارة: الإخبار**) أي: البِشارة بكسر الباء: الإخبار بشيء يُظهِر ذلك الشيء سرورَ الشخص المُخبَر بذلك الخبرَ. ففي قوله: (**المُخبَر**) ضمير يعود إلى اللام، والضمير المجرور مِن (**به**) يعود إلى (**ما**). ولا بدّ

---

[1] انظر لهذه المسألة **المُفصَّل** للزمخشري، ص ٤٢٨.

[2] من قوله: "إذا كان المقام مشتملًا" إلى هنا بلفظ قريب في **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٣٦٧-٣٦٨.

ومنه: البَشَرَةُ، لظاهرِ الجِلْد، وتباشيرُ الصبح: ما ظَهرَ من أوائل ضَوئِه.

وأمّا ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران ٣/٢١] فمِنَ العكسِ في الكلام الذي يُقصَد به الاستهزاءُ الزائد في غَيْظِ المستَهْزَأ به وتألُّمِه واغْتمامِه، ....

من زيادة قَيد آخر، وهو: الصدق؛ لأنّ الكذِب ليس ببشارة. والبَشارة بالفتح: الجمال والحُسْن.

قوله: (وأمّا ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ [آل عمران ٣/٢١]) جواب سؤال مُقدَّر، وهو أن يقال: البِشارة في هذه الآية ليست بالمعنى الذي ذكرتُم؛ فأجاب بأنّه مِن العكس في الكلام. وقوله: (الذي) صفة العكس. وقوله: (في غَيْظ) مُتعلِّق بـ(الزائد) أي: الذي يَزيد في غَيْظ المُستهزأ به. و"الزائد" مُتعدّ، ومفعوله محذوف، أي: يزيد شيئًا، أو أمرًا. ويجوز أن يقال: أجراه مُجرى اللازم، فكأنّه قال: أَوقَع الزيادة في غَيْظه.

قوله: (تألُّمه) عطفٌ على "غيظ"، وكذا (اغتمامه)، والضمير منهما للمُستهزأ به، يعني: أنّه يُستعار اسم أحد الضدَّين أو النقيضين للآخر،[١] بواسطة انتزاع شِبه التضادّ وإلحاقه بشِبه التناسُب، بطريق التهكُّم أو التمليح، ثمّ ادِّعاء أحدهما مِن جنس الآخر والإفراد بالذِّكر ونَصْب القرينة، كقولك: "إنّ فلانًا تواترتْ عليه البشارات بقَتْله ونَهْب أمواله وسَبْي أولاده"، ويُخصّ هذا النوع باسم: الاستعارة التهكُّميّة أو التمليحيّة. وهذا مبنيٌّ على أصل مذكور في باب التشبيه، وهو: أنّ الشَّبه قد يُنتزَع من نَفْس التضادّ؛ نظرًا إلى اشتراك الضدَّين فيه من حيث اتّصاف كلّ واحد منهما بمُضادّة صاحبه، ثمّ يُنزَّل مَنزلة شِبه التناسُب بواسطة تمليح أو تهكُّم، فيقال للجبان:[٢] "ما أشبهه[٣] بالأسد!"، وللبخيل: "إنّه حاتم ثانٍ".[٤]

---

١ ن: الآخر.

٢ ن - للجبان.

٣ د ن: ما أشبه.

٤ د: بأنّ. | من قوله: "أنّه يستعار" إلى هنا بلفظ قريب من موضعين في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٨٣، ٤٦٥، قِسمُه الأوّل في الاستعارة التهكُّميّة، وثانيه في آخر باب التشبيه.

كما يقول الرجل لعدوِّه: أبْشِرْ بقتلِ ذُرِّيَّتِك ونَهْبِ مالك، ومنه قوله:

فــأُعْــتِــبُــوا بِــالــصَّــيْــلَــمِ

وإنّما يَزيد في غَيْظه؛ لأنّه يَطمَع في البِشارة -التي هي الإخبار بالخير- فيُفاجئ النِّذارة، التي هي الإخبار[1] بالشرّ؛ فيكون أصعب مِن النِّذارة ابتداءً. قال الشاعر:

كما أبرقتَ قومًا عطاشًا غَمامة فلمّا رأوها اقشعَت وتجلَّتِ[2]

وقال آخر:

وظُلْم ذوي القربى أشدُّ مَضاضةً على النفس من وَقْع الحُسام المُهنَّدِ[3]

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف ٤٦/٢٤]. وجميع ذلك لوصول / الضرر من جانب يُتوقَّع فيه النفع. اللّٰهمّ أجِرنا من عذابك، وعافِنا من بلائك، وأفِض علينا من نَعمائكَ، يا أرحمَ الراحمين.[4] [١٢٥ظ]

قال بِشْر بن أبي خازِم:

سائِلْ تميمًا في الحروب وعامرًا وهل المُجرِّب مِثل مَن لم يعلمِ
غضبتْ تميمُ بأن تُقتَّل عامرٌ يومَ النِّسار (فأُعتِبوا بالصَّيلمِ)[5]

---

١ ن - بالخير- فيُفاجئ النِّذارة، التي هي الإخبار.

٢ البيت لكُثيِّر عزّة في ديوانه، ص ١٠٧. وألحقه المُحقِّق بتائيّة كُثيِّر المشهورة وليس في رواية الديوان. وهو بلا نسبة في أسرار البلاغة للجرجاني، ص ١١٠، وفيه «فلمّا رجوها» مكان «فلمّا رأوها»؛ وبلا نسبة في مفتاح العلوم للسَّكّاكي، ص ٤٥٨. وقال العبّاسي: «ولا أعرف قائله». معاهد التنصيص، ٥٢/٢.

٣ البيت لطَرَفة بن العبد أو لعَديّ بن زيد. وهو في ديوان طرفة، ص ٥٢؛ وله في الحيوان للجاحظ، ٤٩٦/٣؛ وشرح القصائد السبع لابن الأنباري، ص ٢٠٩. وقال فيه ابن الأنباري: «وقال أبو جعفر ليس هذا البيت من قصيدة طرفة، إنّما هو لعَديّ بن زيد العِباديّ». وهو في ديوان عَديّ، ص ١٠٧، ممّا زاده المُحقِّق على أصل الديوان؛ وهو له في الصداقة والصديق للتوحيدي، ص ١٢٤؛ والدُّرّ الفريد لابن أيدمر، ١٨١/٧، وفيه «عداوة ذي» مكان «وظلم ذوي»، وقال ابن أيدمر: «أخذه طرفة وغيَّر لفظة واحدة في أوّله: وظلم ذوي القربى... وأدخَله في قصيدته التي أولها: لخولة أطلالٌ ببرقة ثَهْمَد».

٤ ن - الراحمين.

٥ البيتان في ديوان بشر، ص ١٨٠. وهما من مُجمهرته في جمهرة أشعار العرب للقرشي، ٥١٩/١. وثانيهما له في الصحاح للجوهري، «صلم»؛ ومَجمع الأمثال للميداني، ٢٠٣/٢؛ والدُّرّ الفريد لابن أيدمر، ٢٩٩/٧.

والصالحة نحوُ الحسنةِ في جَرْيِها مجرَى الاسم، قال الحُطَيْئَة:

كيفَ الهجاءُ وما تنفكُّ صَالِحةٌ   مِن آلِ لَأْمٍ بظَهْرِ الغَيْبِ تأتيني

والصالحاتُ: كلُّ ما استقامَ من الأعْمال بدليلِ العقلِ والكتاب والسنَّة، واللامُ للجنس.

النِّسار بكسر النون:[١] ماء لبني عامر، ومنه "يوم النِّسار" لوقعة كانت لبني أسد وذبيان. وقيل: النِّسار: جبال صغار كانت الوَقعة عندها. والصَّيْلَم: الداهية المُستأصِلة، وقد يُسمَّى السيف صَيْلَمًا،[٢] وهو المراد في البيت. والمعنى: إنّ تميمًا غضبوا بمُقاتلة عامر فأَعتبْناهم، أي: أَزَلنا[٣] عتبَهم، أي: أرضيْناهم بالسيف، قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء[٤] والتهكُّم. وأَعتَب كأَشْكى في إزالة العتب والشكوى.[٥] قال تعالى: ﴿وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ﴾ [فصلت ٢٤/٤١].

قوله: (والصالحة نحو[٦] الحَسَنة) في جريها مَجرى الاسم، فتُستعمَلان من غير موصوف، وإن كانتا صفتين في الأصل. (قال الحُطيئة:

كيف الهجاءُ[٧] وما تنفكُّ صالحةٌ   مِن آل لَأْم بظَهْر الغَيْب تأتيني)[٨]

ما تنفكُّ، أي: ما تزال. صالحة، أي: حَسَنة. ولَأْم: اسم رجُل. وقوله: بظَهْر الغَيب، أي: بالغَيب،[٩] والظَّهْر صلة. وكأنّه قد نُسِب إلى الشاعر أنّه هجا هذه القبيلة، فأنكره واعتذر وقال: كيف أهجُوهم وما يزال الإحسان بالغَيب يأتيني منهم؟

قوله: (واللام للجنس) أي: اللّام في ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ للجنس لا للعهد.[١٠] ولام التعريف في قول المُصنِّف "اللّام" هو لتعريف العهد؛ لِمَا عرفتَ أنّه أراد به

---

١ ن - بكسر النون.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «صلم».

٣ ن: أن لنا.

٤ ن: الاستمرار.

٥ ن + قوله.

٦ ن: هو.

٧ ن: إليها.

٨ البيت في **ديوان الحطيئة**، ص ٨٦. وفيه «إذا ذُكِرتُ» مكان «من آل لأم». وهو له في **الكامل** للمُبرِّد، ٣٠٢/١؛ و**أساس البلاغة** للزمخشري، «صلح».

٩ ن - أي: بالغيب.

١٠ ن: للنعمة.

فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بين لامِ الجنس داخلةً على المفردِ، وبينَها داخلةً على المجموع؟

قلتُ: إذا دخلت على المفرد كان صالحًا لأن يُرادَ به الجنسُ إلى أن يُحاطَ به، وأن يراد به بعضُه إلى الواحد منه، وإذا دخلت على المجموع صَلَح أن يرادَ به جميعُ الجنس وأن يرادَ به بعضُه لا إلى الواحد؛ ....

اللام في ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. واحترز بقوله: "للجنس" عن العهد؛ وذلك لأنّ اللام عند المصنِّف قسمان: قسم لتعريف الجنس، وقسم لتعريف العهد. يدلُّ عليه قوله[1] في **المُفصَّل**: «فأمّا لام التعريف فهي اللّام الساكنة التي تدخل على الاسم المنكور فتُعرِّفه تعريف جنس»،[2] إلى قوله: «أو تعريف عهد».[3]

قوله: **(إذا دخلت على المُفرَد)** أي: إذا دخلت لام الجنس على المُفرَد، وكان ذلك المفرد صالحًا لأن يراد به جميع أفراد ذلك الجنس، وهو المراد بقوله: **(الجنس إلى أن يُحاط به)**، وليس المراد أن يُراد به بعضٌ فبعضٌ إلى أن يُحاط بالجميع، يدلّ عليه قوله بإزائه في المجموع المُعرَّف باللام: **(صَلَح أن يُراد به جميع الجنس)**. فقوله ثَمّة: "جميع الجنس" بمثابة قوله[4] هنا: "الجنس إلى أن يُحاط به". قوله: **(وأن يُراد)** عطفٌ على قوله: **(لأن يُراد)** أي: وكان صالحًا لأن يُراد به بعض الجنس، أي: بعض أفراد الجنس إلى أن تنتهي إلى الواحد من ذلك الجنس، فإن كان جميع أفراد الجنس عشرة مَثلًا فيجوز أن يُراد تسعة أو ثمانية أو سبعة، وهكذا إلى الواحد. فليس قوله: **(بعضُه إلى الواحد)** على طريقة قوله: "الجنس إلى أن يُحاط" فتَفكَّرْ. وليس في "يُحاط" ضمير، وهو مُسنَد إلى "به".

وإذا دخلت لام الجنس على المجموع صلُح المجموع أن يُراد به جميع أفراد ذلك الجنس، كما في المفرد بعينه، وصلُح أن يُراد به بعضه

---

[1] ن – قوله.

[2] **المُفصَّل** للزمخشري، ص ٤٤٩.

[3] **المُفصَّل** للزمخشري، ص ٤٤٩.

[4] ن – قوله.

لأن وِزانَه في تناول الجمعيَّةِ في الجنس وِزانُ المفرد في تناول الجنسيَّةِ، والجمعيَّةُ في جُمل الجنس لا في وُحْدانِه.

فإن قلتَ: فما المرادُ بهذا المجموع مع اللَّام؟

بعضًا فبعضًا إلى أن ينتهي إلى أقلّ الجمع، ولا يجوز أن يراد به البعض إلى أن ينتهي إلى الواحد.[١]

وبيان ذلك ما قال ابن الحاجب: من **أنّ المُعرَّف** بلام الجنس على وجهين: **أحدُهما**: أن يُراد كلّيّة ذلك المعنى، فيلزم منه شمول جميع الجنس؛ **والثاني**: **أن يُراد** بها الحقيقة باعتبار قيامها بواحد.[٢] هذا إذا كان المُعرَّف بلام الجنس مُفردًا ظاهر،[٣] وأمّا إذا كان جمعًا فكذلك؛ لأنّه يُراد بها / الحقيقة، لكن باعتبار قيامها بالجمع. وإليه **[١٢٦و]** أشار المصنّف بقوله: **(لأنّ وِزانه)** أي: طريقة المجموع المُعرَّف بلام الجنس في تناوُل ما اشتمل على الجمعية في أفراد ذلك الجنس طريقةُ المُفرد في تناول كلّ فرد من أفراد ذلك الجنس، فالمجموع المُعرَّف بلام الجنس ينبغي أن يشمَل كلّ جملة من تلك الجُمل لا كلّ واحدٍ واحدٍ من وُحْدانه، بأن يكون مقصورًا على أيّ واحد فُرِض؛ لأنّ الجمعيّة إنّما تتحقّق في كلّ جملة من جُمل ذلك الجنس، ولا تتحقّق الجمعيّة في كلّ واحد من وُحدان الجنس، فلا يجوز أن يُطلَق الجمع المُعرَّف باللّام ويُراد به الواحد، ويجوز ذلك في المُفرَد المُعرَّف باللام.

قوله: **(فما المراد بهذا المجموع مع اللام؟)** أي: إذا ظهر أنّ اللام إذا دخلت على المجموع: فإمّا أن يُراد به جميع أفراد الجنس، أو بعضه، فما المراد بهذا الاسم المجموع مع اللام وهو ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؟ أي:[٤] المُراد به جميع الأعمال الصالحات، أو بعضها.

---

١ هذا وما سيأتي بيانٌ لمذهب السّكّاكي وغيره في أنّ استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع. انظر مذهبه في **مفتاح العلوم**، ص ٣١٨، ٣٩٧. والمسألة موضع خلاف، انظر لتفصيله **المُطوَّل** للتفتازاني، ص ٨٣-٨٧؛ **والتلويح** للتفتازاني، ١/١٢٣-١٢٥؛ **والبحر المحيط** للزركشي، ٣/١٠١-١٠٣.

٢ انظر: **الإيضاح في شرح المُفصَّل** لابن الحاجب، ٢/٢٦٤.

٣ ن: ظاهرًا.

٤ د + أي.

قلتُ: الجملةُ من الأعمال الصحيحة المستقيمة في الدِّين على حسَبِ حال المؤمن في مَواجِبِ التكليف.

قوله: **(الجملة من الأعمال)**، يعني: المُراد بها بعض الأعمال الصالحات، وهو البعض المُختصُّ بكلّ صنف من أصناف المُكلّفين: فإنّ الرجال لا يجب عليهم بعض ما يجب على النساء، ولا يحرُم عليهم بعض ما يحرُم على النساء، مثل ما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الأحزاب ٣٣/٣٣]، وكطاعة الأزواج، ووجوب الغُسْل من الحَيض والنِّفاس؛ وأيضًا النساء لا يجب عليهنّ[١] بعض ما يجب على الرجال، كالجهاد، والجمعة؛ والفقراء لا تجب عليهم الزكاة؛ وغير المُستطيع لا يجب عليه الحجّ، إلى غير ذلك؛ فالمُراد: البعضُ المُناسب لكلّ مُكلَّف. ولذلك قال المصنِّف: "الجملة من الأعمال" ولم يقل: جملةُ الأعمال. وأيضًا قوله: **(على حسَب حال المُؤمِن)** يدلّ على أنّ المراد بها البعض؛ لأن جميع الصالحات لا يكون على حسَب حال المؤمن. ويمكن أن يقال: المراد جميعُ الجنس، لكن يُعتبر[٢] لكلّ شخص ما يجب عليه. والأوّل هو الصواب. وقوله: **(الصحيحة)** احتراز عن الأعمال الباطلة والفاسدة. وقوله: **(المُستقيمة)** احتراز عن المَنهيّات، فإنَّ النهي لا يدلُّ على الفساد عند الحنفيّة.[٣] فقوله: "الصحيحة" لا تُغني عن "المستقيمة".

قوله: **(في مَواجِب)** من الوُجوب، بمعنى: السقوط. قال تعالى: ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج ٣٦/٢٢]، أي: سقطت. ومنه قولهم: خرج القوم إلى مَواجِبهم، أي: مصارعهم. والمراد بمواضع سقوط التكليف: المُكلَّفون[٤] الذين تعلَّق بهم التكليف. وقال ابن عبّاس رضي الله عنه:[٥] «عملوا الطاعات فيما بينهم وبين ربّهم».[٦]

---

١ د ش: عليهم.

٢ ن - يعتبر.

٣ انظر لتفصيل هذه المسألة والخلاف فيها: **المستصفى** للغزالي، ٢٦٣/١-٢٦٩؛ وشرح **المختصر** للعضُد الإيجي، ٣/٢-٤؛ و**البحر المحيط** للزركشي، ٢٥٧/١.

٤ هامش د: سقط تكليف المُكلَّفين. خ [اختصارا من "نسخة"].

٥ د - رضي الله عنه.

٦ **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٦٧/٣ (البقرة، ٢٥/٢)؛ **الوسيط** للواحدي، ١٠٣/١ (البقرة، ٢٥/٢)؛ **البسيط** للواحدي، ٢٦٠/٢ (البقرة، ٢٥/٢).

والجنَّةُ: البُستان من النخل والشجر المُتَكاثِفُ المُظَلِّلُ بالتفافِ أغصانِه؛ قال زهير:

تَسْقِي جَنَّةً سُحُقَا

وقيل: المراد: «عَمَل القلب، وهو أن يأتي بإيمان خالص لله تعالى، لا[١] كإيمان المنافق بالقول دون القلب».[٢] وقيل: المراد صِحّة النيّة بالإخلاص في العبادات؛ فإنّها قوام الأعمال.[٣] وقيل: الأعمال التي لا يَعلَمها إلّا الله تعالى: كالصوم، والطهارات من الأحداث والأنجاس، والغُسْل من الجَنابة والحَيض والنِّفاس، والوفاء بالنُّذور،[٤] إلى ما لا يُحصى كثرةً.[٥] وعن عليّ رضي الله عنه: «إقامة الصلوات؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ [الأعراف ١٧٠/٧]».[٦] وقيل: هو التوبة، قال تعالى: ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف ٩/١٢].[٧]

قوله: (**المُتكاثِف**) أي: الكثير المُلتفّ. يقال: سحابٌ كثيف، وشجرٌ كثيف. و(**المُظلِّل**) الذي أوقع الظِّلّ. و(**بالتفاف**) مُتعلِّق بـ"المُظلِّل"، أي: بسبب / التفاف [١٢٦ظ] بعض أغصانه ببعض. والضمير مِن (**أغصانه**) يعود إلى (**البستان**). (**قال زهير**):

كأنّ عينيّ في غربَي مُقتَّلةٍ ... مِن النَّواضح (**تسقي جَنّةً سُحُقا**)[٨]

الغَرْب: الدَّلْو العظيمة. والمُقتَّل مِن الدوابّ: الذي ذلَّ ومَرَن على العمل، ومُقتَّلة، أي: ناقة مُذلَّلة. والناضح: الجمل الذي يُستقى عليه الماء، والناقة ناضحة، والجمع النواضح.[٩] والسَّحُوق: النخل الطويلة والجمع "سُحُق".[١٠]

---

١ ن - لا.

٢ **تأويلات القرآن** لأبي منصور الماتريدي، ٦٢/١ (البقرة، ٢٥/٢).

٣ يُشبه قولًا لعثمان بن عفّان رضي الله عنه في **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٦٦/٣-١٦٧ (البقرة، ٢٥/٢).

٤ ن: النذر.

٥ يفهم بمعناه من **تفسير البيضاوي**، ٦٨/١ (البقرة، ٢٥/٢).

٦ **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٦٧/٣ (البقرة، ٢٥/٢). ولفظه فيه «أقاموا الصلوات المفروضات. دليله قوله عزّ وجلّ...».

٧ انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٦٨/٣ (البقرة، ٢٥/٢).

٨ البيت في **ديوانه بشرح ثعلب**، ص ٤١. وهو له في **الصحاح** للجوهري، «جنن»؛ **والمُغرِب** للمُطرِّزي، «جنن».

٩ انظر: **الصحاح** للجوهري، «نضح»؛ **وديوان زهير بشرح ثعلب**، ص ٤١.

١٠ انظر: **الصحاح** للجوهري، «سحق».

أي: نَخْلًا طِوالًا، والتركيبُ دائرٌ على معنى السَّتر، وكأنَّها لتكاثُفِها وتظليلِها سُمِّيت بالجنَّة التي هي المرَّة من مصدر جَنَّهُ: إذا ستَرَهُ، كأنَّها سَتْرةٌ واحدةٌ لفَرْطِ الْتفافِها.

وسمِّيَتْ دارُ الثَّواب جنَّةً لِمَا فيها من الجِنَانِ.

فإن قلتَ: الجنةُ مخلوقةٌ أم لا؟

قلتُ: قد اختُلف في ذلك، والذي يقول: إنها مخلوقةٌ، ....

و"من النواضح" بيان "مُقتَّلة". والمعنى: إنّ عينيَّ تكِفان بالدموع كما تكِف الغَرْبان بالماء. وإنّما خصَّ النواضح المُذلَّلة؛ لأنّها تُخرِج الغَرْب وتنزِعها من البئر ملأى، بخلاف الصعبة؛ لأنّها تنفِر فيسيل الماء من نواحي الغَرْب، فلا يبقى منه إلّا قليل.[١]

قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ موضعه نصب؛ لأنّ تقديره: بأنّ لهم، ثمّ حُذِف الجارّ وعُدِّيَ الفعل.

قوله: **(والتركيب)** أي: تركيب الجيم والنونين.

قوله: **(كأنّها سَترة)** بفتح السين، وهي للمرَّة. وأمّا السُّترة بالضمّ: فهو ما يُستَر به، أي: كأنّ الجنَّة -وهي البُستان ذو الشجر الملتفّ- سَترةٌ واحدة، فلذا سُمِّيت بالجنَّة. ثمّ قال: **(سُمِّيت دارُ الثواب جنَّة)**؛ لاشتمالها على البساتين.

قوله: **(مخلوقة)** أي: مخلوقة الآن أم ليس مخلوقة الآن؟ بل ستُخلَق بعد ذلك.

قوله: **(اختُلف في ذلك)** أي: اختلف العُلماء في أنّ الجنَّة والنار مخلوقتان أم لا؟ فذهب أكثر العلماء إلى أنّهما مخلوقتان، خلافًا لأبي هاشم والقاضي عبد الجبّار.[٢] لنا قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران ١٣٣/٣].[٣] واعتُرض عليه بأن عَرْض الجنَّة إنّما يكون عَرْض السماوات والأرض

---

١ من قوله: "وإنّما خصّ" إلى هنا بمعناه في **ديوان زهير** بشرح ثعلب، ص ٤١.

٢ انظر لقوليهما: **شرح المقاصد** للتفتازاني، ١٠٨/٥.

٣ انظر لهذه المسألة: **الإرشاد** للجويني، ص ٣٧٧-٣٧٨؛ و**شرح المقاصد** للتفتازاني، ١٠٧/٥-١١١.

يَستَدِلُّ بسُكنَى آدمَ وحوَّاءَ الجنَّةَ، وبمجيئها في القرآن على نَهْج الأسماء الغالبة اللَّاحقةِ بالأعْلام كالنبيِّ والرسول والكتابِ ونحوها.

إذا وقعت الجنَّة في أحياز السماوات والأرض، وذلك إنّما يكون بعد فَناء[1] السماوات والأرض؛ لاستحالة تداخل[2] الأجسام، فلا تُوجَد الجنَّة إلا بعد فَناء السماوات والأرض، فلا تكون الجنَّة موجودة. وأُجِيب عن هذا الاعتراض: بأن المراد من قوله تعالى:[3] ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران ١٣٣/٣]: أنّ عَرْض الجنَّة مِثل عَرْض السماوات والأرض؛ لقوله تعالى في موضع آخر: ﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد ٢١/٥٧]؛ لأنّ عَرْض الجنَّة لا يكون عين عَرْض السماوات والأرض،[4] فثبَت أنّ المراد أنّ عرضها مِثل عرضهما. وقوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة ٢٤/٢]. وإسكان آدم وحواء الجنَّة، وإخراجهما عنها.[5]

قوله: **(وبمجيئها)** عطف على قوله: **(بسُكنى)** وهو دليل آخر على كون الجنَّة مخلوقة.

وتقريره أن نقول: الأعلام تنقسم قسمين: قسم يضَعه واضع، وقسم يتَّفق غلَبته، بأن يكون من الأسماء الشائعة فغلَب استعماله على أحد المُسمَّين به، فيصير علمًا له بالغلَبة، وذلك[6] "ابن عمر" و"ابن عبّاس" و"ابن مسعود" غلَبت على الجماعة المُسمَّين بعبد الله دون مَن عداهم من أبناء آبائهم، وإذا كان حصوله بطريق الغلَبة فلا بدَّ أن يكون لمدلوله وجود مُتحقِّق حتّى يصحَّ إطلاق اللفظ عليه وعلى غيره، ثمّ يغلِب استعماله فيه فيصير علمًا له بالغلَبة.[7]

---

١ ن – الجنَّة إنّما يكون عَرْض السماوات والأرض إذا وقعت الجنَّة في أحياز السماوات والأرض، وذلك إنّما يكون بعد فَناء.

٢ ن – تداخل.

٣ د ش – تعالى.

٤ ن – لأنّ عَرْض الجنّة لا يكون عين عَرْض السماوات والأرض.

٥ انظر هذا الدليل في **الإرشاد** للجويني، ص ٣٧٨؛ وشرح **المقاصد** للتفتازاني، ١٠٨/٥.

٦ ن + قوله.

٧ من قوله: "الأعلام تنقسم" إلى هنا بلفظ قريب مع زيادة إيضاح في **المُفصَّل** للزمخشري، ص ٢٨.

فإنْ قلتَ: ما معنى جمع الجنَّة وتنكيرِها؟

وإذا ثبَت ذلك فنقول: الجنَّة لفظ يصِحُّ إطلاقه على كلّ حديقة موصوفة، ثمّ غلب استعماله على دار الثواب، فوجب أن يكون دار الثواب مخلوقًا موجودًا حتّى يصير هذا اللفظ[١] علَمًا له[٢] بالغلَبة، كـ"النبيّ" و"الرسول"، فإنّه يصحُّ إطلاقهما على نبيّنا عليه السلام،[٣] / وعلى سائر الأنبياء عليهم السلام،[٤] ثمّ [١٢٧و] غلب استعمالهما في نبيّنا عليه السلام، فصارا علمَين له بالغلَبة، فإنّه إذا أُطلِق "النبيّ" و"الرسول" فلا يُفهم منه إلّا نبيُّنا عليه السلام، وكذا "الكتاب" بالنسبة[٥] إلى كتاب سيبويه.

احتجَّ مَن قال: "الجنَّة غير مخلوقة"[٦] بأنها لو كانت مخلوقة لَوجب ألّا ينقطع نعيمها؛ لقوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد ٣٥/١٣]، لكن يجِب عدمُها في وقت القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص ٨٨/٢٨]. قلنا: يُحمَل قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ على ما يحصُل بعد دخول المُكلَّفين في الجنَّة، أو يدخُل التخصيص في عموم قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.[٧]

قوله: (**ما معنى جمع "الجنَّة"؟**) لمّا ذكَر أنّ الجنَّة اسم لدار الثواب علَمٌ لها بالغلَبة ورَد عليه سؤال، وهو أن يقال: إذا كان علَمًا له فلا يكون لها أفراد يصحُّ جمعها باعتبارها، فما معنى جَمْعها؟

قوله: (وتنكيرِها؟)، أي: ما معنى تنكيرها؟ تقريره أن نقول: اعتَرض النحويُّون على تثنية العلَم وجمعه، وقالوا:

> إذا ثُنِّي العلَم أو جُمِع خرَج عن حقيقةِ كونه علَمًا؛ إذ يصير نكرة، ولم يُوضَع إلّا مَعرفة. فـ"الزيدان"[٨] مِثل قولك: زيد وزيد آخرُ، و"الزيدون"

---

١ ن: النمط.
٢ ن - له.
٣ ش - عليه السلام.
٤ ش - عليهم السلام.
٥ ن: والنسبة.
٦ مضى آنفًا أنّه قول أبي هاشم والقاضي عبد الجبّار.
٧ انظر لهذه الحُجّة والجواب عنها: **شرح المقاصد** للتفتازاني، ١٠٨/٥.
٨ ن: بالزيدان.

قلتُ: الجنَّة اسمٌ لِدار الثَّواب كلِّها، وهي مشتملةٌ على جنانٍ كثيرةٍ مرتَّبَةٍ مراتبَ على حسَب استحقاقاتِ العاملينَ؛ لكلِّ طبقةٍ منهم جنَّاتٌ من تلك الجنان.

فإن قلتَ: أمَا يُشْتَرط في استحقاقِ الثَّواب بالإيمان ....

مِثل قولك: زيد وزيد آخر وزيد آخر، وذلك قليل[١] في استعمالهم مُخالِف للقياس، فليكن "الزيدان" و"الزيدون" كذلك؛ لخروجه من حيِّز العلَم الذي هو وضعه إلى تعريف آخر. وأجابوا عن ذلك: بأنّ العلَم واقع في كلامهم كثيرًا، فلو لم يُثنُّوه ولم يَجمَعوه لأدَّى إلى مِثل[٢] ما كرهوه[٣] في مِثل: جاءني رجُل ورجُل ورجُل، مع كونه أقلّ منه، ولمّا علموا أنّهم إذا جمَعوه[٤] أدّى إلى ذلك الإشكال المذكور قصدوا إلى جَمْعه على وجه يُراعي ما يندفِع به ذلك، فعوَّضوه الألف واللام التي للتعريف، لتكون كالعِوَض لِمَا فاته من العلَميّة، فكان توفيه بالأمرين جميعًا، وهو أن يزول ما استكرهوه من الثِّقل، ويحصُل التعريف.[٥]

وإذا علمتَ ذلك ظهر أنّ العلَم إذا جُمِع فالواجب تعريفها باللام، فلِمَ نكَّر[٦] ﴿جَنَّٰتٍ﴾؟

قوله: (**الجنَّة: اسم**)... إلخ، تقرير هذا الجواب أن نقول: قد ذكرنا أنّ الجنّة في الأصل هو البستان المذكور، وصار عَلمًا لدار الثواب بالغلبة، فالجنّات المُنكَّرة هنا ليست جمع الجنّة التي هي العلَم بالغلَبة، إنّما هي جمع "جنّة" بمعنى البستان المذكور.

قوله: (**أمَا يُشترَط في استحقاق الثواب**)... إلخ، حاصل السؤال أن يقال: لمّا اشتُرط في استحقاق الثواب عدم الإحباط والندم فلِمَ قال مُطلقًا في حقّ المؤمنين الذين عملوا الصالحات أنّ لهم جنّات؟ ولِمَ لمْ يُشترَط ما هو شرط في الاستحقاق؟

---

١ ن: قيل.

٢ ن - مثل.

٣ ن: لو قوله.

٤ ن: جمعوا.

٥ الكلام بتصرُّف وإيضاح من الجاربردي في شرح الرضي على الكافية، ٢/٢٥٧-٢٥٨. وانظر طرفًا من هذه المسألة في شرح المُفصَّل لابن يعيش، ١/٤٥-٤٨.

٦ ن: يكن.

والعمل الصَّالح أن لا يُحْبِطَهما المكلَّفُ بالكفرِ والإقدام على الكبائر، وأن لا يندَمَ على ما أَوْجَده من فعل الطاعة وتركِ المعصية، فهَلَّا شُرط ذلك.

قلتُ: لمَّا جَعَل الثَّوابَ مستحَقًّا بالإيمان والعملِ الصَّالح، والبِشارةَ مختصَّةً بمن يَتَولَّاهما، ورَكَزَ في العقولِ أن الإحسانَ إنَّما يَستحقُّ فاعلُه عليه المثوبَةَ والثناءَ إذا لم يتعقَّبْه بما يُفسدُه ويَذهبُ بحُسنه، وأنَّه لا يبقى مع وجود مُفسِدِه إحسانًا، وأعْلَمَ بقوله تعالى لنبيِّه صلى الله عليه وسلم وهو أكرمُ النَّاس عليه وأعزُّهم:

قوله: **(ألّا يُحبِطهما)** قائم مقام فاعل "يُشترَط". وقوله: **(بالكُفر)** مُتعلِّق بـ"الإيمان". وقوله: "بالإقْدام على الكبائر" مُتعلِّق بـ"العمل" ففيه لفٌّ ونشرٌ. قال أهل السُّنّة: إنّما يَحبَط[1] الإيمان بالكُفر، بشرط أن يموت على الكُفر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ [البقرة ٢١٧/٢].[2]

قوله: **(وألّا يندَم)** عطفٌ على قوله: "ألّا يُحبِطهما" فعند المعتزلة كما[3] يَحبَط[4] العمل الصالح بالكبائر فكذا يَحبَط[5] بالندم.[6]

قوله: **(لمّا جعَل)**، أي: الله تعالى.

قوله: **(مُستحَقًّا بالإيمان والعمل الصالح)**، أي: في قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّـٰتٍ﴾.

قوله: **(والبشارة مُختصّة)**، أي: في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾، / فإنّه تعالى خصَّهما بالذِّكر. يقال: ولِيَ الأمر وتولّاه إذا فعله بنفسه. [١٢٧ظ]

قوله: **(وركَز)** عطفٌ على "جعَل"، أي: أثبت الله تعالى.

قوله: **(وأنّه)**، أي:[7] وأنّ الإحسان.

قوله: **(وأَعلَم)** فعل ماضٍ عطفٌ على "جعَل".

---

١ ن: ينحبط.

٢ انظر لتفصيل المسألة **التمهيد** للباقلاني، ص ٤٠٦-٤١٠.

٣ ن - كما.

٤ ن: ينحبط.

٥ ن: ينحبط.

٦ انظر لمذاهبهم في ذلك **الأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبّار، ص ٦٢٤-٦٣٢؛ وانظر لتلخيصها والردّ عليها **الإرشاد** للجويني، ص ٣٨٩-٣٩١.

٧ ن - أي.

﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر ٣٩/٦٥] وقال للمؤمنين: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [الحجرات ٤٩/٢]= كان اشتراطُ حفظِهما من الإحْباط والنَدَمِ كالداخل تحتَ الذكر.

فإن قلتَ: كيف صورةُ جَرْيِ الأنهار من تحتها؟

قلتُ: كما تَرَى الأشجارَ النابتةَ على شواطئ الأنهار الجارية.

وعن مسروقٍ: أن أنهارَ الجنّةِ ....

قوله: (وقال) عطفٌ على قوله: "وأَعلَم".[1] وقوله: (كان) جواب "لمّا".

قوله: (حِفْظِهما)، أي: حِفْظَ الإيمان والعمل الصالح.

قوله: (كيف صورة جَرْيِ الأنهار؟)، أي: أتجري في أخاديد كأنهار الدنيا أم في غير أخاديد على ظاهر الأرض؟

قوله: (كما ترى)... إلخ، "ما" مصدريّة، والمضاف محذوف، و"كما" خبرُ مبتدأ محذوف، أي: صورته مثلُ صورة رؤية الأشجار النابتة على جوانب الأنهار الجارية. وأصل هذا التركيب هكذا: صورته كالصورة المَرئيّة من الأشجار النابتة على جوانب الأنهار الجارية، ثمّ غُيّر هذا التركيب وأُضِيف الصورة إلى الرؤية للمُلابسة التي بين الصورة والرؤية، فصار هكذا: صورته كصورة الرؤية. ثمّ حُذِف المبتدأ وحُذِف الصورة المُضافة إلى الرؤية، فصار كرؤية الأشجار. وعبَّر عن هذا التركيب بقوله: "كما ترى"، لِمَا عرفتَ أنّ "ما" مصدريّة.

قوله: (على شواطئ الأنهار) «شاطئ الوادي بالهمزة: شطُّه وجانبه، وتقول: شاطئ الأودية، ولا يُجمَع».[2] قاله في **الصحاح**. وقد يجمَعه المُصنِّف.

قوله: (عن مسروق)... إلخ، عطف على قوله: "كما ترى"... إلخ، وهذا جواب ثانٍ؛ لأنّ معنى قوله: "كما ترى"... إلخ، أنّ أنهار الجنّة تجري

---

[1] ن – قوله: (وأَعلَم) فعل ماضٍ عطفٌ على "جعَل". قوله: (وقال) عطفٌ على قوله: "وأَعلَم".

[2] **الصحاح** للجوهري، «شطأ». وليس في مطبوعه لفظ «بالهمزة».

تجري في غير أُخْدُودٍ.

وأَنْزَهُ البساتين وأكرمُها مَنْظرًا: ما كانت أشجارُه مُظلِّلَةً، والأنهارُ في خلالها مُطَّرِدَةً.

ولولا أنّ الماء الجاري من النِّعمة العُظْمى واللذَّةِ الكُبرى، وأنّ الجنان

كأنهار الدنيا في أُخدود. ومعنى قول مسروق: أنّها[1] («تجري في غير أخدود»)،[2] أي: على ظاهر الأرض. والأُخدود: شَقٌّ في الأرض مُستطيل، وخدَّ الأرضَ يخُدّها: شقَّها، والمِخدّة: حديدة تُخَدُّ بها الأرض، أي: تُشَقُّ.[3] وعلى كلا الوجهين المُضاف محذوف.

﴿مِن تَحۡتِهَا﴾، أي: تجري من تحت أشجارها ومساكنها. وقيل: معنى ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾، أي: من تحت تصرُّف أربابها، كما قال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓ﴾ [الزخرف ٥١/٤٣]، أي: بأمري.

قوله: (وأَنزَه)، أي: أحسَن. يقال: مكان نزِه، وقد نَزِهَت الأرض بالكسر، كأنّه بعيد عن القبائح والعيوب؛ فإنّ أصله[4] من البُعد. وقوله: "أَنزَه" مبتدأ، خبره (ما كانت)... إلخ.

قوله: (في خلالها)، أي: وسطها مُطَّردة، أي: جارية.

قوله: (ولولا أنّ الماء)... إلخ، جوابه (لَمَا جاء).

قوله:[5] (مِن النِّعمة) خبر "أنّ".

قوله: (وأنّ الجِنان) بفتح الهمزة وكسر الجيم، جمع جنَّة، عطف على "أنّ المـاء".

---

[1] د: أنهار.

[2] طرف حديث ورد موقوفًا على مسروق في **المُصنَّف** لابن أبي شيبة، ٤٠٧/١٨ (٣٥٠٩١)؛ و**جامع البيان** للطبري، ٤٠٦/١ (البقرة، ٢٥/٢). وجاءت هذه العبارة غير مسندة في **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٦٩/٣ (البقرة، ٢٥/٢)؛ و**البسيط** للواحدي، ٢٦٢/٢ (البقرة، ٢٥/٢).

[3] من قوله: "والأخدود" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «خدد».

[4] ن: لأنّ صلة.

[5] ن – قوله.

والرِّياضَ -وإن كانت آنَقَ شيءٍ وأحْسنَه- لا تَرُوقُ النَّواظِرَ وَلا تُبهج الأنفُسَ ولا تَجْلُبُ الأريحيَّةَ والنَّشاطَ حتَّى يجري فيها الماء، وإلَّا كان الأنسُ الأعْظمُ فائتًا والسُّرورُ الأوْفَرُ مفقودًا، وكانت كتماثيلَ لا أرْواحَ فيها وصُوَرٍ لا حياةَ لها= لَمَا جاءَ اللهُ تعالى بذِكر الجنَّات مَشْفوعًا بذكر الأنهار الجارية من تحتها

قوله: **(لا تروق)** خبر "أنّ". وراقني الشيء يروقني، أي: أعجبني. والنواظر جمع ناظرة، وهي: العين.

قوله: **(وإن كانت)** من الشروط التي تُذكَر للمبالغة، وجوابه[١] محذوف، أي: وإن كانت آنَقَ فإنّ الجِنان لا تروق... إلخ، وشيء أنيق وأنِق، أي: حسَن، وآنَقني، أي: أعجبني.[٢] وبهِج به بالكسر،[٣] أي: فرِح، فهو بهِج وبهيج، وأبهَجني وبهَّجني: سرَّني.[٤] وجلَب الشيء، أي: جذَبه. والأريحيّة: النشاط. والضمير من **(تَروق)** و**(تُبهِج)** و**(تَجلُب)** يعود إلى **(الجِنان والرِّياض)**. و**(حتّى)** غاية لهذه الأفعال بطريق التنازُع.

قوله: **(فيها)**، أي: في الجِنان والرِّياض.

قوله: **(وإلّا)**، أي: وإن لم يجرِ فيها الماء، وهو عطف على قوله: "لا تروق"، أي: وأنّ الجِنان إن لم يجرِ فيها الماء كان الأُنْس الأعظم فائتًا منها.

قوله:[٥] **(وكانت)**، أي: الجِنان والرِّياض، عطفٌ / على **(كان)**. [١٢٨و]

قوله: **(بذِكر الجنّات مَشفوعًا)** الباء للتعدية، و"مشفوعًا" حالٌ من "ذِكر". و**النسخ** ههنا مُختلِفة: ففي بعضها كما نقلنا بدون "إلّا"، وفي بعضها "بذِكر الجنَّات إلّا مشفوعًا".[٦] والأوّل هو الصواب، وزيادة "إلّا" مِن طُغيان القلم،

---

١ ن: وخبر إنّ.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «أنق».

٣ ن: الكسر.

٤ انظر: **الصحاح** للجوهري، «بهج».

٥ ن - قوله.

٦ أُثبِتت "إلّا" في **الكشّاف** نسخةِ الفاتح ٣٨٤، وهي نسخة مُقابلة على نسخة مُعارضة بأصل المُصنِّف. وكذلك أُثبِتت "إلّا" في نسخة آيا صوفيا ٢٤٦، وفي هامشها: «... وفي **نسخة زين المشايخ** "البتّة" مكان "إلّا". وفي **نسخة المُصنِّف** رحمه الله "إلّا" مُثبَتة». اللوح ٥٠و. وقال الطِّيبيُّ: «صحّ بغير "إلّا" في **نسخة المُعزّي**». **فتوح الغيب**، ٢/٣٥٨.

مَسُوقَيْنِ على قِرَانٍ واحد كالشيئين لا بدَّ لأحدهما من صاحبه، ولَمَا قدَّمَه على سائر نعوتها.

والنَّهرُ: المَجْرى الواسعُ فوق الجَدْولِ ودون البَحْر، يقال لبَرَدَى: نَهْرُ دِمَشْقَ، وللنيل: نهرُ مصرَ، واللغةُ العالية: النَّهَرُ، بفتح الهاء، ومدارُ التركيب

لا وجهَ[1] له.

قوله: (مَسوقَين) حالٌ من ذِكر الجنات وذِكر الأنهار، كقولك: لَقيتُه فَردَين. وقوله:[2] (على قِران) حال من الضمير المستتر في "مَسوقَين". يقال: قرَنتُ البعيرين أقرُنهما قَرْنًا إذا جمعتَهما في حَبْل واحد، وذلك الحَبْل يُسمَّى القِران.[3]

قوله: (ولَمَا) عطف على (لَمَا جاء).

قوله: (قدَّمه)، أي: ذِكر الأنهار.

قوله: (نُعوتها)، أي: نُعوت الجنّات. و(الجدوَل): النهر الصغير.

قوله: (واللغة العالية)، أي: «الفصيحة التي كثُر استعمالها في كلام البلغاء».[4] وأمّا النَّهْر بالسكون فقليلٌ استعماله.

قوله: (مَدار التركيب)، أي: تركيب "ن هـ ر" يدلُّ على السَّعة: خِلاف الضِّيق، منه النهار؛ لأنّه اسم لضوء واسع مُمتدٍّ من طلوع الشمس إلى غروبها. والإنهار: الإسالة بسَعة وكثرة. وأنهرتُ الطَّعن وسَّعتُها.[5] قال الحماسيّ:

مَلَكتُ بها كفِّي فأنهَرتُ فَتْقها ... يرى قائمٌ مِن دونها ما وراءَها[6]

← وقال السعد التفتازاني: «(إلّا مشفوعًا) وقع في كثير من النُّسخ، ولا يستقيم؛ إذ يصير المعنى: لكن لمّا كان الماء الجاري من النِّعمة جاء بذِكر الجنّات إلّا مشفوعًا. وفي نسخة زين المشايخ "البتّة مشفوعًا" مكان "إلّا مشفوعًا"، وهو حسَن. وبعضهم يجعل "ما" في (لَمَا جاء) مَزيدةً، وليس بشيء. فالوجه إسقاط كلمة "إلّا"، كما في بعض النُّسخ». حواشي الكشّاف، اللوح ٥٩ظ.

١ ن: حاجة.

٢ ن - وقوله.

٣ انظر: الصحاح للجوهري، «قرن».

٤ فتوح الغيب للطِّيبي، ٢/٣٥٨.

٥ انظر: الصحاح للجوهري، «نهر».

٦ البيت لقيس بن الخطيم في ديوانه، ص ٤٦، وفيه «من خلفها» مكان «من دونها». وهو له في الصحاح للجوهري، «نهر»؛ وشرح الحماسة للمرزوقي، ١/١٨٤؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٣/١٦٩ (البقرة، ٢/٢٥).

على السَّعةِ، وإسنادُ الجَرْيِ إلى الأنهار من الإسناد المجازي؛ كقولهم: بنو فلان يَطؤُهم الطريقُ، وصِيدَ عليه يومان.

فإن قلتَ: لمَ نُكِّرت الجنَّاتُ وعرِّفت الأنهار؟

قلتُ: أمَّا تنكيرُ الجنَّات فقد ذُكر، وأمَّا تعريفُ الأنهار فأنْ يراد الجنسُ؛ كما تقول: لفلان بُستانٌ فيه الماءُ الجاري والتينُ والعنبُ وألوانُ الفواكِهِ، تُشير إلى الأجناسِ التي في عِلْم المخاطَب، أو يراد أنهارُها فعُوِّض التعريفُ باللام من تعريف الإضافة؛ كقوله: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم ٤/١٩]، أو يُشارَ باللَّام إلى الأنهار المذكورة في قوله: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ الآية [محمد ١٥/٤٧].

أي: شددت بتلك الطعنة كفِّي فوسَّعتُ شقَّها.[١]

قوله: **(من الإسناد المجازيّ)** النهر لا يَجري إنمّا يَجري الماء فيه، فأُسنِد الجَرْيُ إلى النهر مجازًا؛ لأنّه مَوضع الجَرْي،[٢] **(كقولهم: بنو فلان يطؤهم الطريق)**، أي: أهل الطريق.[٣] وهذا وَصْفٌ لهم بالكرم، وأنّهم مَقصِدٌ للعُفاة. **(وصِيْدَ عليه يومان)**،[٤] أي: صيد على الفَرس وُحوشُ يومين.

قوله: **(فعُوِّض التعريف باللام من تعريف الإضافة)** كما في قوله تعالى: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص ٥٠/٣٨]، أي: أبوابها؛ وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات ٤١/٧٩]، أي: مأواه. هذا طريقة الكوفيّين، وأمّا البَصريّون فيجعلون مثل هذا اللام للعهد.[٥]

قوله: **(أو يشار باللام)** يُريد أنّها للعهد.

---

[١] انظر: **شرح الحماسة** للمرزوقي، ١٨٤/١؛ **والكشف والبيان** للثعلبي، ١٦٩/٣ (البقرة، ٢٥/٢).

[٢] انظر: **الوسيط** للواحدي، ١٠٤/١ (البقرة، ٢٥/٢)؛ **والبسيط** للواحدي، ٢٦٢/٢ (البقرة، ٢٥/٢).

[٣] انظر قول العرب وتأويله في **كتاب سيبويه**، ٢١٣/١؛ **والكامل** للمُبرّد، ١٩٧/١؛ **والخصائص** لابن جنّي، ٤٤٦/٢.

[٤] انظر القول في **كتاب سيبويه**، ١٧٦/١، ٢١١؛ **وشرح الرضي على الكافية**، ٢٩٦/١.

[٥] انظر لتفصيل خلافهم في هذه المسألة: **شرح الرضي على الكافية**، ٢٤٢/٣؛ **ومغني اللبيب** لابن هشام، ٣٣٨/١-٣٤٠.

وقولُه: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ﴾ لا يخلو من أن يكون صفةً ثانيةً لـ﴿جَنَّٰتٍ﴾ أو خبرَ مبتدأ محذوف، أو جملةً مستأنفةً؛ لأنه لمّا قيل: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ لم يَخْلُ خَلَدُ السامع أن يقعَ فيه: أَثِمارُ تلك الجنّات أَشْباهُ ثمارِ جنّات الدنيا، أَمْ أجْناسٌ أخَرُ لا تُشَابِهُ هذه الأَجْناسَ؟ فقيل: إن ثمارَها أشباهُ ثمارِ جَنَّاتِ الدنيا؛ أي: أَجْناسُها أجناسُها وإنْ تفاوتت إلى غايةٍ لا يعلمها إلَّا اللهُ.

فإن قلتَ: ما موقع ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾؟

قلتُ: هو كقولك: كلَّما أكلتُ مِن بُستانكَ من الرُّمَّان شيئًا حَمِدْتُك، فموقعُ ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ موقعُ قولك: من الرُّمان؛ كأنَّه قيل: كلَّما رُزِقُوا من الجنَّات

قوله: (**وقوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ﴾**)... إلخ، يريد أنّ هذه الجملة تحتمل ثلاثة أوجه: **الأوّل**: أن تكون صفة ثانية لقوله: ﴿جَنَّٰتٍ﴾، وإنّما قال: (**صفة ثانية**)؛ لأنّ الصفة الأولى قوله: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ الوجه **الثاني**: أن تكون (**خبرَ مبتدأ محذوف**)، أي: هي ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا﴾... إلخ؛ الوجه **الثالث**: أن تكون (**جملة مُستأنَفة**)، أي: جواب سؤال مُقدَّر. ثمّ بيَّن وجه استئنافها بقوله: (**لأنّه**)... إلخ. و"الخَلَد": القَلب.

قوله: (**تفاوَتت**)، أي: في الطُّعوم والأشكال إلى غاية لا يعلَم تلك الغاية إلّا الله تعالى. قال الواحديُّ في **الوسيط**: «"كلّ" حرفٌ ضُمَّ إليها "ما" الجزاءُ، فصار أداة للتكرار».[1]

قوله: (**ما مَوقِع ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾؟**) إنّما لم يذكُر في السؤال مَوقِع قوله: ﴿مِنْهَا﴾، وذكَر قوله: ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾؛ لوضوح كون "مِن" في ﴿مِنْهَا﴾ للابتداء.

قوله: (**هو**)، أي: قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ مِثل[2] قولك: (**كلّما أكلتُ مِن بستانك مِن الرمّان شيئًا حمدتُك**)، فأعاد في الجواب الكلام بتمامه ليظهر مَوقع "مِن".[3] ثمّ قال: (**كأنّه قيل**)... إلخ،

---

[1] **الوسيط** للواحدي، ١/١٠٤ (البقرة، ٢/٢٥). وفي مطبوعه «حرف جملة»، وليس فيه لفظ «الجزاء». وهو في **البسيط** للواحدي، ٢/٢٦٢ (البقرة، ٢/٢٥)، وفيه لفظ «الجزاء».

[2] ن - مثل.

[3] ن - من.

من أيِّ ثَمرةٍ كانت من تُفَّاحها أو رمَّانها أو عِنَبِها أو غيرِ ذلك رزقًا قالوا ذلك، فـ"مِن" الأولى والثانيةُ كلتاهما لابتداءِ الغايةِ؛ لأنَّ الرزق قد ابتُدئ من الجنَّات، والرِّزقُ من الجنَّات قد ابتُدئ من ﴿ثَمَرَةٍ﴾، وتنزيلُه تنزيلُ أنْ تقولَ: رزقني فلانٌ، فيقالَ لك: من أين؟ فتقولَ: من بستانه، فيقالَ: من أيِّ ثمرةٍ رزَقَك من بستانه؟ فتقولَ: من الرُّمان.

ليُبيِّن أنَّ الضمير من ﴿مِنْهَا﴾ عائد إلى "الجنَّات"، وأنَّ المراد بـ﴿ثَمَرَةٍ﴾ النوع؛ ولذا فسَّرها بقوله: (مِن أيِّ ثمرة كانت). ثمَّ بيَّنها بقوله: (مِن تُفَّاحها)... إلخ؛ تحقيقًا لمعنى النوعيَّة.[١]

قوله: (قالوا ذلك)، أي: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾.

/ قوله: (فـ"مِن" الأولى)، يعني قوله: ﴿مِنْهَا﴾، (والثانية)، يعني ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾. [١٢٨ظ]

قوله: فـ"مِن" في محلِّ المبتدأ، و"الأولى" صفته، و"الثانية" عطف على "الأولى"، و(كلتاهما) للتأكيد، و(لابتداء الغاية) خبرُ المبتدأ، و(لأنَّ) مُتعلِّق للخبر.

قوله:[٢] (وتنزيله) المراد بالتنزيل حطُّ الكلام درجة درجة، بأن يكون أصله شيئًا آخر، ثمَّ يُنزَّل إلى هذه المرتبة.

قوله: (تنزيلُ أن تقول)، أي: تنزيله مِثل تنزيل قولك: (رزقَني فلان)... إلخ، وصلة قوله: "تنزيل أن تقول" محذوف، أي: تنزيلُه مثلُ تنزيل[٣] هذا القول إلى قولك: "رزقني فلان مِن بستانه مِن الرمَّان"، بحذف السؤالين والاكتفاء بالمقصود، فنقول في[٤] قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟﴾... إلخ، أصله أنَّه لمَّا قيل: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟﴾ سأل سائل فقال: مِن أين؟ فقيل: مِنها، أي: مِن الجنَّات، ثمَّ سأل فقال: مِن أيِّ ثمرة؟ فقيل: مِن ثمرة، أي: من أيِّ نوع كان من أنواعها، إذا[٥] عرفتَ ذلك فلكَ أن تبحث من الضمير في قوله: "تنزيله" فإنَّه: إن عاد إلى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟﴾... إلخ،

---

١ ن – النوعية.
٢ ن – قوله.
٣ ن – تنزيل.
٤ ن – في.
٥ ن: كما.

وتحريرُه: أنَّ ﴿رُزِقُواْ﴾ جُعِل مطلَقًا مبتدِئًا مِن ضمير الجنَّات، ثم جُعل مقيَّدًا بالابتداء من ضمير الجنَّات مُبتدئًا من ثمرةٍ، وليس المراد بالثمرةِ التفَّاحةَ الواحدةَ أو الرمَّانةَ الفَذَّةَ على هذا التفسير، وإنما المرادُ النوعُ من أنواع الثمارِ.

ووَجهٌ آخر: وهو أن يكون ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ بيانًا على منهاجِ قولك: رأيتُ منك أسدًا، تُريد: أنت أسدٌ، ....

يلزم أن يكون هذا الكلام مُنزَّلًا كما أنّ قوله: "رزقني فلان" مُنزَّل، وليس بمُستقيم؛ لأنّه مُنزَّل إليه بحذف السؤالين؛ وإن عاد إلى شيء آخر فليس ذلك بمذكور في الكتاب. فالوجه أن نقول: هو عائد إلى أصل قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ﴾... إلخ، فإنّ تنزيل ذلك الأصل إلى المذكور في الكتاب مثل تنزيل قولك:[١] "رزقني فلان"... إلخ، إلى قولك: "رزقني فلان من بستانه مِن الرُّمان".

قوله: (تحريره) تحرير الكتاب وغيره: تقويمه، ويقال: حرَّره، أي: بيَّنه.

قوله: (مُطلَقًا) حال من الضمير في (جُعِل).

قوله: (مبتدئًا) مفعول ثانٍ لـ"جُعِل"، و(مِن) مُتعلِّق بقوله: "مُبتدئًا". وقوله: (مُقيَّدًا) حال من الضمير في "جُعِل". وقوله: (بالابتداء) مُتعلِّق بقوله: "مُقيَّدًا"، و(مِن) مُتعلِّق بالابتداء. وقوله: "مُبتدئًا" مفعول ثانٍ لـ"جُعِل".[٢]

قوله: (التفّاحة الواحدة)؛ وذلك لأنّ ابتداء الرزق مِن الجنّات لا يكون من التفّاحة[٣] الواحدة. و"الفذّ": الفرد.

قوله: (على هذا التفسير)؛ لأنّ معنى الآية على هذا التفسير: كلّما رُزقوا مِن الجنّات مِن أيّ ثمرة كانت مِن تُفّاحها أو رُمّانها، أي: من أيّ نوع.

قوله: (ووجه آخر)، أي: هنا وجه آخر. و"المِنهاج": الطريقة.

قوله: (بيانًا)، أي: لقوله: ﴿رِّزۡقًا﴾، أي: رزقًا هي ثمرة.

---

١ ن - قولك.

٢ ن - وقوله: "مُبتدئًا" مفعول ثانٍ لـ"جُعِل".

٣ هامش د: الثمرة. خ [اختصارا من "نسخة"].

وعلى هذا يصحُ أن يرادَ بالثمرةِ النوعُ من الثمار والجَنَاةُ الواحدةُ.

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُ﴾ وكيف تكون ذاتُ الحاضر عندهم في الجنَّة هي ذاتَ الذي رُزِقُوه في الدنيا؟

قلتُ: معناه: هذا مِثْلُ الذي رُزِقْناه مِن قَبلُ وشِبْهُه، بدليل قوله: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗا﴾، وهذا كقولك: أبو يوسفَ أبو حنيفة، تريد أنَّه لاستحكام الشَّبَه كأنَّ ذاتَه ذاتُه.

فإن قلتَ: إلامَ يرجع الضميرُ في قوله: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ﴾؟

قلتُ: إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعًا؛ لأن قوله: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُ﴾ انطَوى تحتَه ذكرُ ما رُزِقُوه في الدارَيْنِ.

ونظيرُه قولُه تعالى: ....

قوله: (الجَناةُ) عطفٌ على (النوعُ)، أي: يحتمل الأمرين جميعًا: إمّا النوع، أو الثمرة الواحدة. والجَناة بفتح الجيم وتخفيف النون، والجَنَى: ما يُجتنى من الشجر. يقال: أتانا بجَناة طيّبة لكلّ ما يُجتنى. قال الواحديّ في **الوسيط**: «﴿رُزِقُواْ﴾: أُطعِموا. ﴿مِن ثَمَرَةٖ﴾ "مِن" صلة، أي: ثمرة، ويجوز أن تكون للتبعيض؛ لأنّهم إنّما يُرزَقون بعضَ ثمار الجنّة».[1]

قوله: (هي ذات) في بعض النسخ بنصب "ذات"، وفي بعضها برفعها.

قوله: (وشِبْهُه) عطفٌ على قوله: (مِثْل)، وهذا كالتكرير للتأكيد.

قوله: (تُريد)، أي: بقولك.

قوله: (أنّه)، أي: أنّ أبا يوسف.

قوله: (ذاتَه ذاتُه)، أي: ذاتَ أبي يوسف ذاتُ أبي حَنيفة.

قوله: (إلامَ يرجع الضمير؟)، أي: الضمير المجرور في ﴿بِهِۦ﴾.

قوله: (ونظيرُه)، أي: في اعتبار المعنى دون اللفظ، فإنّه لو اعتُبر اللفظ

---

[1] **الوسيط** للواحدي، ١/١٠٤ (البقرة، ٢/٢٥)؛ والكلام في **البسيط** للواحدي، ٢/٢٦٢-٢٦٣ (البقرة، ٢/٢٥)؛ وبعضه في **الكشف والبيان** للثعلبي، ٣/١٧٠-١٧١ (البقرة، ٢/٢٥).

﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء ٤/١٣٥]؛ أي: بجنسَي الغنيّ والفقير؛ لدلالة قوله: ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ على الجنسَين، ولو رجَعَ الضميرُ إلى المتكلَّم به لقيل: "أَوْلَى به" على التوحيد.

فإنْ قلتَ: لأيِّ غرضٍ يتشابَهُ ثمَرُ الدنيا وثمَرُ الجنَّة، وما بالُ ثمر الجنَّة لم يكن أجناسًا أُخَرَ؟

قلتُ: لأنَّ الإنسانَ بالمألُوفِ آنَسُ، وإلى المَعهُودِ أَمْيَلُ، وإذا رَأى ما لَمْ يألَفْهُ نَفَرَ عنه طَبْعُهُ وَعَافَتْهُ نَفْسُهُ، ولأنَّه إذا ظَفِرَ بشيءٍ مِن جِنْسٍ ما سَلف لَهُ به

في قوله: (﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ [النساء ٤/١٣٥]) لقيل: أَوْلى به، إذ قوله: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ في حُكم قولك: إن يكن أحدهما، ولو اعتُبر اللفظ في قوله: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ﴾ لقيل: وأتوا بهما.[١]

قوله: (**ولو رجَع الضمير**) في قوله: (﴿بِهِمَا﴾ [النساء ٤/١٣٥]) إلى المُتكلَّم به، أي: إلى الملفوظ به، ومعنى[٢] الآية على هذا: أُتيَ المؤمنون بذلك المرزوق في الدنيا والآخرة مُتشابهًا، أي: يُشبِه ما رُزِقوه في الدنيا ما رُزقوه في[٣] الآخرة،[٤] في اللون والصورة وإن اختلفا في الطَّعم.

قوله: (**عافته**)، / أي: كرهَته. [١٢٩و]

قوله: (**لأنّه**)، أي: لأنّ الإنسان.

قوله: (**سلَف**)،[٥] أي: مضى له، أي: للإنسان به، أي: بما سلف.

قوله: (**له**)، أي: للإنسان معه، أي: مع ما سلَف. و"المَزيّة": الفضيلة. قال في **الصحاح**: يقال: له عليه مَزيّة، أي: فضيلة، ولا يُبنى منه فِعل.[٦] وقال في **المُجمَل**: «المَزيّة في كُلّ شيء: تمامه وكماله، ويقال: لك عندي مزيّة، ولا يُبنى منه فِعل».[٧] ثمّ إنّ المذكور في **الصحاح** و**المُجمَل** يدلُّ على أنّها فَعيلة لا مَفعِلة.

---

١ ن – قوله: (إلامَ)... وأتوا بهما.
٢ ن – ومعنى.
٣ ن – ما رزقوه في.
٤ ن: والآخرة.
٥ ن – سلف.
٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «مزي».
٧ **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «مزي».

عَهْدَ وتقدَّمَ لَهُ معَهُ إلْفٌ ورَأى فيه مَزِيَّةً ظاهرةً وفضِيلةً بيِّنَةً وتفاوُتًا بينه وبين ما عَهِدَ بليغًا، أفْرطَ ابْتهاجُه واغْتباطُه، وطال استعجابُه واستغرابُه، وتبيَّنَ كُنْهَ النِّعمةِ فيه، وتحقَّقَ مِقْدارَ الغبْطَةِ به.

ولو كان جنْسًا لم يعهَدْهُ وإن كان فائقًا حَسِبَ أن ذلك الجنسَ لا يكون إلَّا كذلك، فلا يتبيَّنُ موقعَ النِّعمة حقَّ التبيُّن، فحين أبصَرُوا ....

قوله: **(ما عَهِد)** ضميره المستتر عائد إلى **(الإنسان)**، والعائد إلى "ما" محذوف، أي: عهده.

قوله: **(بليغًا)** صفة **(تفاوُتًا)**.

قوله: **(أَفرَط)** جواب **(إذا)**. و"الابتهاج": الفرَح.

قوله: **(واغتباطه)**، أي: حُسْن حاله.

قوله: **(تبيَّن)**، أي: الإنسان. و**(كُنهَ)** مفعوله.

قوله: **(لم يَعهَده)** صفة **(جنسًا)**.

قوله: **(حَسِب)**، أي: ظنّ، جواب **(لو)**.

قوله: **(وإن كان فائقًا)** مِن الشروط التي تذكر للمبالغة، وجوابه محذوف، أي: وإن كان فائقًا فإنّه إن كان جنسًا لم يَعهده حَسِب.

قوله: **(فلا يتبيَّن)**، أي: الإنسان، وهو عطف على قوله: "حَسِب".

قوله: **(فحين أبصروا)** مُسبَّب عن قوله: **(لأنّه إذا ظفِر)**... إلخ، أو جوابُ شرط محذوف، فكأنّه قال: إذا ثبت أنّ مَن ظفِر بشيء من جِنس ما رأى قبل ذلك ورأى فيما ظفِر به فضيلة عظيمة أَفرَط فرحُه، فإذا رأى أهل الجنّة ثمارَ الجنّة[1] -بعد ما رأوا في الدنيا مِن جِنسها مع التفاوُت العظيم بينهما- كان ذلك أبيَنَ للفضل. فقوله: **(كان)** هو العامل في "حين".

اعلم أنّه أتى بقوله: "أبصَروا" بصيغة الماضي؛ لأنّه أراد به الإبصار في الدنيا

---

١ ن - ثمار الجنّة.

الرُّمَّانـةَ مـن رُمَّـان الدنيـا ومَبْلَغَهـا في الحجـم وأنَّ الكُبْرَى لا تَفْضُـلُ عـن حدِّ البِطِّيخَةِ الصغيرة ثـمّ يُبصرون رمَّانةَ الجنَّةِ تُشْبِعُ السَّكْنَ، والنَّبِقَةَ مِن نَبِقِ الدنيا في حَجْـم الفَلْكةِ ثـم يَرَوْنَ نَبِقَ الجنَّةِ كقِلَالِ هَجَرَ، كما رَأَوْا ظِلَّ الشَّجرةِ مِن شَجَر الدنيـا وقَدْرَ امتداده ثـمّ يَروْن الشَّجرةَ في الجنَّةِ يَسيرُ الراكبُ في ظِلِّها

وعطَف عليه قوله: (يُبصِرون) بـ(ثُمّ)؛[1] لأنّ المراد به الإبصار في الجنّة، وظهر منه أنّ المراد بـ"حين" المُضاف إلى "أبصروا" معطوفًا عليه "يُبصِرون": هو الزمان المُمتدّ مِن وقت إبصارهم في الدنيا إلى إبصارهم في الجنّة؛ فلذلك صحّ كون "حين" ظرف "كان". فتأمَّلْ.

قوله: (من رُمّان الدنيا) حال من (الرُّمّانة)، و"مِن" للتبعيض.

قوله: (ومبلغَها في الحجم) قال المُطرِّزيّ في المُغرِب: «أَحجَم الثديُ على نَحْر الجارية إذا نهَد، وحقيقته: صار له حَجْم، أي: نُتوء وارتفاع».[2] فمعنى قول المُصنِّف: "مبلغَها"، أي: موضع بُلوغ الرُّمّانة في الحَجْم، وهو مِقدار الرُّمّانة. و(السَّكْن) -بفتح السين وسكون الكاف- أهل الدار.

قوله: (والنَّبِقة) إلى قوله: (هَجَر) عطف على قوله: "أبصروا الرُّمّانة" إلى قوله: "السَّكْن"، والتقدير: ورأوا النَّبِقة. وقوله: (ثُمّ يرَون) عطف على "رأوا" المحذوف هنا.[3] و"النَّبِق": حَمْل السِّدْر، والواحدة نَبِقة. و(الفَلْكَة): فَلْكَة المِغزَل لاستدارتها؛ ولذلك قيل: فَلَكَ ثديُ المرأة إذا استدار.

قوله: (كقِلال هَجَر)، يعني: الجِباب العِظام، يقال لواحده: قُلّة، وهي معروفة بالحجاز. قال في الصحاح: «القُلّة:[4] إناء للعَرب كالجَرّة الكبيرة، وقد يُجمَع على قُلَل».[5] «وقِلال هَجَر شبيه بالحِباب».[6] «والحُبّ:[7] الخابية، فارسيٌّ مُعرَّب».[8]

---

[1] ن: بهم.

[2] المُغرِب للمُطرِّزي، «حجم».

[3] ش: ههنا.

[4] ن - القلة.

[5] الصحاح للجوهري، «قلل».

[6] د: الجباب. | الصحاح للجوهري، «قلل».

[7] د: الجُبُّ.

[8] الصحاح للجوهري، «حبب».

مِئةَ عامٍ لا يَقْطَعُهُ= كان ذلك أَبْيَنَ للفضْل، وأَظْهَرَ للمزيَّةِ، وأَجْلَبَ للسُّرور، وأَزْيدَ في التَّعجُّب، مِن أن يُفاجِئُوا ذلك الرُّمَّان وذلك النَّبِقَ من غير عَهْدٍ سابقٍ بجنسهما.

وتَرْديدُهم هذا القَوْلَ، ونُطقُهم به عند كلِّ ثمرةٍ يُرزَقونَها، دليلٌ على تناهي الأمْر

قال في **الصحاح**: «هَجَر:[1] اسم بلد مُذكَّر مَصروف».[2]

قوله: **(كما رأوا)** إمّا[3] صفةُ مصدر محذوف لقوله: "أبصروا الرُّمّانة" أو "رأوا النبِقة"؛ وإمّا خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هذا كما رأوا، يريد أن يبيّن أنّ التفاوت بين الثمار كالتفاوت بين الأشجار. واللام في **(للفضل)**، و**(للمَزيّة)**، و**(للسرور)** للتعدية، مُتعلِّقة بأسماء التفضيل، أي: أشدُّ تبيينًا الفضلَ وإظهارًا المَزيةَ وإجلابًا السرورَ، و**(مِن)**[4] مُتعلِّق بتلك الأسماء على طريق التنازع. والمُفضَّل[5] هو قوله: **(ذلك)**؛ لأنّه إشارة إلى الإبصار والرؤية، أي: ذلك الإبصار والرؤية أبيَنُ للفضل مِن المُفاجأة، أي: / أبصارهم أبيَن لمُفاجأتهم. وقوله: **(من غير عَهْد)** حال: إمّا من فاعل **(يُفاجِئوا)**، أو مفعوله، أي: غير مُلتبِسين بعهد أو غير مُلتبِسة. وقوله: **(بجنسهما)**، أي: بجنس الرُّمّان والنَّبِق، مُتعلِّق[6] بـ"عَهْد". [١٢٩ظ]

قوله: **(ترديدُهم)** مبتدأ، أي: ترديدُ أهل الجنّة، وهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وهذا القول مفعوله، يعني: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾. و**(نطقُهم)** عطفٌ على "ترديدُهم به"، أي: بهذا القول.

قوله: **(عند كلّ ثمرة)**؛ لأنّ ﴿كُلَّمَا﴾ دلَّ على هذا التكرير. و**(يُرزَقونها)** صفة **(ثمرةٍ)**. و**(دليلٌ)** خبرُ المبتدأ. و**(في)** مُتعلِّق بأحد المصدرين. **(وعلى أنّ)** عطفٌ على **(على[7] تناهي)**،[8] و**(هو)** فَصْلٌ، و**(الذي)** خبر "أنّ".

---

[1] د ش ن: الهجر. | وأثبتُّ المشهور في اسمها، وما جاء في مطبوع **الصحاح**.
[2] **الصحاح** للجوهري، «هجر».
[3] ن: وما.
[4] ن − ومن.
[5] ضُبِطت في ش: المُفضِّل.
[6] ن + مُتعلِّق.
[7] ن − على.
[8] ن: تقاضي.

وتمادِي الحالِ في ظهورِ المزيَّة وتمامِ الفضيلة، وعلى أنَّ ذلك التفاوُتَ العظيمَ هو الذي يَسْتَمْلِي تعجُّبَهم ويَسْتَدْعي تبجُّحهم في كلّ أوَان.

وعن مَسْروقٍ: نَخْل الجنَّةِ نَضِيدٌ من أصلها إلى فرعها، وثمرُها أمثالُ القِلالِ كلَّما نُزعت ثمرةٌ عادَتْ مكانها أخرى، وأنهارُها تَجْري في غيرِ أُخْدودٍ، والعُنْقود اثنا عشرة ذراعًا.

ويجوز أن يَرْجع الضمير في ﴿أُتُوابه﴾ إلى الرِّزق كما أنَّ ﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ

قوله: (يَستملي) يقال: استمليتُه الكتابَ:[١] سألتُه أن يمليَه عليَّ. وتركيب "م ل ي"[٢] يدلُّ على الطُّول والسَّعة. المَليّ من النهار: الساعة الطويلة. وعن أبي عليّ الفارسيّ: المليّ: المُتَّسِع، يقال: انتظرتُه مَليًّا من الدهر، أي: مُتَّسَعًا منه، قال: وهو صفة استُعمِلت استعمالَ الأسماء. و﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم ٤٦/١٩]، أي: دهرًا طويلًا. والمَلْء المُتَّسَع من الأرض، والجمع أملاء. وأمليتُ للبعير[٣] إذا وسَّعتَ له[٤] في قيده.[٥] ومنه أمليتُ للكافرين، أي: أمهلتُهم.[٦]

و"التبجُّح": الفرح. يقال: «نَضَد متاعه يَنضِد بالكسر نَضْدًا وضع بعضه على بعض».[٧] وفي حديث مسروق: («وشجر[٨] الجنَّة نضيد من أصلها إلى فَرعها»)،[٩] يريد ليس لها سُوق بارزة، ولكنّها منضودة بالورق والثِّمار من أسفلها إلى أعلاها. و(«العنقود») واحد عناقيد العنب.

قوله: (ويجوز) عطف على قوله: (إلى المرزوق في الدنيا والآخرة)، وقرّر ذلك وبيّنه، والثاني: أنّه راجع إلى "الرزق".

قوله: (كما أنّ ﴿هَٰذَا﴾)، أي: لفظة "هذا" في قوله: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا﴾.

---

١ ن + أي.
٢ ن: فدل أي.
٣ ن: البعير.
٤ ن – إذا وسعت له.
٥ ن: قيله، أي: وسعته.
٦ من قوله: "وتركيب م ل ي" إلى هنا بلفظ قريب في المُغرِب للمُطرّزي، «ملي».
٧ الصحاح للجوهري، «نضد».
٨ في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله: نخل.
٩ المُصنَّف لابن أبي شيبة، ٤٠٧/١٨ (٣٥٠٩١)؛ وجامع البيان للطبري، ٤٠٦/١ (البقرة، ٢٥/٢). وورد طرف منه آنفًا عن مسروق.

إليه، ويكونَ المعنى: أن ما يُرْزقونَه من ثمراتِ الجنَّة يأتيهم مُتجانِسًا في نفسِهِ؛ كما يُحكى عن الحسن: يؤتى أحدُهم بالصَّحفة فيأكلُ منها، ثم يُؤتَى بالأُخرَى فيقول: هذا الذي أُتِينَا به من قبلُ، فيقول المَلَكُ: كُلْ، فاللَّونُ واحدٌ والطَّعْمُ مختَلفٌ.

وعنه صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسُ محمدٍ بيده إنَّ الرَّجل من أهل الجنَّةِ ليتناول الثمرةَ ليأكلَها فما هي بواصلةٍ إلى فيه حتى يُبدِّلَ الله مكانَها مثلَها»، فإذا أَبْصَرُوها والهيئةُ هيئةُ الأُولى قالوا ذلك. ....

قوله: (إليه)، أي: إلى الرزق.

قوله: (ويكونَ) بالنصب عطفٌ على (يرجعَ). والضمير المستتر في (يأتيهم) عائد إلى (ما).

قوله: (في نفسه) الضمير عائد إلى (ما)، أي: يكون ما يُرزَقونه في نفسه مُتجانسًا، أي: يُجانس بعضها بعضًا لا أن تُجانس تلك الثمار ثمر الدنيا، فالمُشبَّه به رزق الجنّة أيضًا، و(الصَّحفة): كالقَصعة، والجمع صِحاف. «قال الكسائيُّ: أعظم القِصاع الجفنة، ثمّ القَصعة تليها[١] تُشبع العشرة، ثمّ الصَّحفة[٢] تُشبع الخمسة».[٣]

قوله: («ليتَناول»)، أي: ليتناوش ويأخذ.

قوله: («مكانها»)،[٤] أي: على شجرها في مَوضِعها.

قوله: (فإذا أبصروها)، أي: المِثل. وإنّما أنَّث بتأويل "الثمرة".[٥]

قوله: (والهيئة)، أي: هيئة المِثل مِثلُ هيئة الثمرة[٦] الأولى.

قوله: (قالوا ذلك)، أي: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا﴾. وهذا الحديث يدلُّ على أنّ المراد بـ﴿رُزِقُواْ﴾ إيجاد الثمرة في موضع الزائلة.

---

١ ن + فالقصعة.

٢ ن: والصحفة.

٣ الصحاح للجوهري، «صحف». وهو لأبي عُبيد عن الكسائي في تهذيب اللغة للأزهري، «صحف»، ٢٥٥/٤.

٤ لفظ من حديث في المُستدرَك للحاكم، ٢٠٩/٨-٢١٠ (٨٦١٠)، بلفظ «... أنّه لا ينزع رجُل من أهل الجنّة من ثمرها شيئًا إلا أخلف الله مكانها مثلَها». وانظر: تخريج أحاديث الكشّاف للزَّيلَعي، ٥٥/١.

٥ ن: الهيئة.

٦ ن: الهمزة.

والتفسيرُ الأولُ هو هو.

فإن قلتَ: كيف موقعُ قوله: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ مِن نَظْمِ الكلام؟

قلتُ: هو كقولك: فلانٌ أَحْسَنَ بفلانٍ ونِعمَ ما فعَلَ، ورأى من الرَّأيِ كذا وكان صوابًا، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل ٣٤/٢٧]، وما أَشْبهَ ذلك من الجمَل التي تُساقُ في الكلام معترضةً للتقرير.

قوله: **(هو هو) الأوّل** فَصْل، **والثاني** خبرُ قولِه: (التفسير) وعائد[1] إليه،[2] أي:[3] التفسير الأوّل هو التفسير. وهذا التركيب يُفيد الحصر، كأنّ التفسير الثاني في مقابلة الأوّل ليس بتفسير بالتأويل المذكور قبل ذلك، وإنّما كان التفسير الأوّل أَوْلى لِمَا فيه من الفائدتين المذكورتين: **الأُولى**: أنّ الإنسان بالمألوف آنس، **الثانية**: أنّه إذا ظفِر بما سلَف له به عَهْد ثُمّ وجَده أشرف ممّا ألفه أوّلًا عظُم ابتهاجه؛ ولأنّ قولهم: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟﴾ يتناول جميع المرّات، فيتناول المرّة الأولى، فهم في المرّة الأولى من أرزاق الجنّة لا بدّ أن يقولوا ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾، ولا يكون قبل المرّة الأولى مِن أرزاق الجنّة حتّى يُشبَّه ذلك به، فوجب حَمْله على أرزاق الدنيا.

[١٣٠و] قوله: **(هو كقولك)**... إلخ، يُريد أنّ قوله: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ بعد / قوله: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾، مثلُ قولك: **(ونِعْم ما فعَل)** بعد قولك: **(فلان أَحسَن بفلان)**؛ ومثلُ قولك: **(وكان صوابًا)** بعد قولك: **(ورأى من الرأي كذا)**؛[4] وكقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ بعد قوله تعالى: "﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل ٣٤/٢٧]"، وهذه الجُمل للتقرير والتأكيد للجمل المُتقدِّمة، ولا محلّ لها من الإعراب: فالله تعالى لمّا حكى عن أهل الجنّة ادِّعاء تشابُه الأرزاق في قوله: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾، صدَّقهم في تلك الدعوى، فقال: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾، كما أنّه لمّا حكى عن بلقيس قولها:

---

١ ن: عائد.
٢ ن: الثاني.
٣ ن – أي.
٤ ن – كذا.

والمرادُ بتطهير الأزواج: أنْ طُهِّرنَ مما يختصُّ بالنساء من الحيض والاستحاضة، وما لا يختصُّ بهنَّ من الأقذار والأدْناس، ويجوز -لمجيئه مطلقًا- أن يدخلَ تحتَه الطُهرُ من دنَس الطِّباع وطَبَعِ الأخلاق الذي عليه نساءُ الدُّنيا مما يكتسِبْنَ بأنفسِهنَّ وما يَأخُذْنه من أعْراق السُّوء والمناصب الرَديئةِ والمَنَاشِئِ المُفسِدة، ومن سائر عيوبهنَّ ومَثالبهنَّ وخُبْثهنَّ وكَيْدهنَّ.

فإن قلتَ: فهلَّا جاءت الصفةُ مجموعةً كما الموصوف؟

قلتُ: هما لغتان فصيحتان، يقال: النساءُ فعَلْن وهنَّ فاعلاتٌ وفواعِلُ، والنساءُ فعَلَت وهي فاعلةٌ، ومنه بَيْتُ الحَمَاسة:

﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾، صدَّقها بقوله:[1] ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾. و(**الأقذار**) جَمْع قذَر، وهو: خِلاف النظافة. و(**الأدناس**) جمع دنَس، وهو: الوَسَخ.

قوله: (**ويجوز**) عطف على قوله: (**والمراد**)... إلخ.

قوله: (**لمَجيئه**)، أي: لمَجيء قوله: (﴿**مُطَهَّرَةٌ**﴾).

قوله: (**أن يدخُل**) فاعلُ "يجوز". و"الطَّبَع": الدنَس. والمراد بـ"العِرق" و"المَنصِب": الأصل، يعني: مُطهَّرة مِن مساوئ الأخلاق لِمَا فيهنّ من حُسْن التبعُّل.

قوله: (**فهلّا جاءت الصفة**)، يعني قوله: ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾، (**مجموعةً**)، بأن يقال: "مُطهَرات"؛ ليُطابق "الأزواج".

قوله: (**كما الموصوف**)،[2] "ما" زائدة، و"الموصوفِ" مجرور بالكاف. وفي بعض **النُّسخ** "كالموصوفِ" بغير "ما"، وفي بعض **النسخ** "كما الموصوفُ"[3] بلفظ "ما" ورَفْع "الموصوف"، والوجه أن تُجعَل "ما" كافّة، وخبرُ "الموصوف" محذوف، أي: كما الموصوف[4] كذلك. قال الشاعر:

---

١ ن - صدّقها بقوله.

٢ د ش ن: كما لموصوف. | وأثبتُّ ما في مطبوع **الكشّاف** وما راجعته من أصوله.

٣ د ش ن: كما لموصوف.

٤ د ش ن: كما لموصوف.

وإذا الـعَــذَارَى بـالـدُّخـان تَـقَـنَّـعَـتْ واسـتعجلَتْ نَصْـبَ القـدُورِ فَملَّـتِ

والمعنى: وجماعةُ أزواجٍ مطهرةٌ.

وقرأ زيد بن عليّ رضي الله عنه: "مُطَهَّراتٌ".

وقـرأ عُبَيْـد بـنُ عُمَيْـر: "مُطَّهِّرَةٌ" بمعنى مُتَطهِّرة، وفـي كلام بعـض العـرب: مـا أحْوجَنـي إلـى بيـت الله فأطَّهَّـر بـه اطَّهُّـرَةً؛ أي: فأتَطهَّـر بـه تطهُّـرَةً.

(وإذا الـعـذارى بـالـدُّخـان تقنَّعتْ واستَعجلتْ نَصْبَ القدور[1] فملَّتِ)[2]

"العذارى" جمع العذراء، وهي: البِكْر من النساء. و"استعجلتْ نَصْبَ القُدور"، و"ملَّت"، أي: شوَتْ[3] في الجمرة. وجواب "إذا" في البيت الثاني، وهو:

دارتْ بـــأرزاق العُفـــاة مَغالـــقٌ بـيـديَّ مِـن قَـمَـع العِـشـار الـجِلَّـةِ

المغالـق: القِـداح فـي المَيْسر. والقَمَـع: قِطَع السَّنام، الواحـدة قَمْعة،[4] يعنـي: مِـن أَسنِمة النُّوق السِّمان الكبار. واستشهد على أنّه يُقال: النِّسـاء فعَلت بقولـه: "العـذارى تقنَّعـت". وقـراءة زَيـد وعُبيد شـاذَّة.[5]

قولـه: (فأَطَّهَّـر) بتشـديد الطـاء[6] والهـاء،[7] وأصلـه: أَتَطهَّـر،[8] قُلِبت التـاء طـاء وأُدغِمـت. وقولـه: (اطَّهُّرةً) بالتشـديدين أيضًـا، قُلِبت التـاء طـاء وأُدغِمـت، ثـمّ أتـى بهمـزة الوصـل مكسـورة. ويقـال: فَخُـم الرجل بالضـمّ فَخامـة، أي: ضخُـم، ورجـل فَخْـم أي عظيـم القَـدْر، فالفَخامـة: عِظَـم القَدْر.

---

[1] ن: القدر.

[2] البيت مع تاليه لسَلمى أو سُلْمِيّ أو سلمان بن ربيعة في النوادر لأبي زيد، ص ٣٧٥-٣٧٦، وفيه «قامت بأرزاق العباد» مكان «دارت بأرزاق العُفاة»؛ والأمالي للقالي، ١/١١٢، وفيه «واستعجلت هَزْمَ» مكان «واستعجلت نصبَ»؛ وشرح الحماسة للمرزوقي، ٢/٥٥٠-٥٥١. ونُسِبا لعِلباء بن أرقم في الأصمعيّات، ص ١٦٢، وفيه «درّت بأرزاق العِيال» مكان «دارت بأرزاق العُفاة». وهما لعمرو بن قميئة في الحيوان للجاحظ، ٥/٧٤، وفيه «درّت بأرزاق العِيال» مكان «دارت بأرزاق العُفاة». وليسا في أصل ديوان عمرو بن قميئة، وهما في مُلحقه ممّا نُسِب إليه، ص ١٩٧-١٩٨، وانظر هناك تعليقًا نفيسًا لمُحقِّقه المُتفنِّن.

[3] ن: ثبوت.

[4] انظر: شرح الحماسة للمرزوقي، ٢/٥٥١.

[5] شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٥؛ المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٣٩٥.

[6] ن: الهاء.

[7] ن: والطاء.

[8] ن: يتطهَّر.

فإن قلتَ: هلَّا قيل: طاهرةٌ؟

قلتُ: في ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ فخامَةٌ لصفتهنَّ ليسَتْ في "طاهرة"، وهي الإشعارُ بأنَّ مطهِّرًا طَهَّرهنَّ، وليس ذلك إلَّا اللهُ عزَّ وَجَلَّ المريدَ بعباده الصالحين أَنْ يُخَوِّلَهم كلَّ مزيَّةٍ فيما أَعَدَّ لهم.

والخُلْدُ: الثباتُ الدائمُ والبقاءُ اللازمُ الذي لا ينقطع، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء ٣٤/٢١] وقال امرؤُ القيس:

أَلَا انْعَمْ صَبَاحًا أَيُّها الطَّلَلُ البالي   وهَل يَنْعَمَنْ مَن كَان في العُصُرِ الخَالِي
وهل يَنْعَمَنْ إلَّا سَعيدٌ مُخَلَّدٌ   قليلُ الهُموم ما يبيتُ بأَوْجَالِ

قوله: (**ليسَت**)، أي: تلك الفَخامة. وهذه الجملة صفة (**فَخامةٌ**).

قوله: (**وهي**)، أي: تلك الفَخامة.

قوله: (**وليس ذلك**)، أي: المُطهِّر. و(**أن يُخوِّلهم**) مفعول (**المُريد**). والتخويل: الإعطاء. وقوله: (**فيما**) ظرف "يُخوِّلهم"، أو صفة (**مَزيّة**).[١] كأنّه قيل: إنّ الله تعالى[٢] هو الذي يُزيِّنهنَّ لأهل الثواب.

قوله: (**البَقاء اللازم**) بمعنى قوله: (**الثبات الدائم**). قال الإمام:

> قالت المعتزلة: الخُلْد: هو الثَّبات اللازم والبَقاء الدائم الذي لا ينقطع، واحتجُّوا عليه بالآية والشِّعر: أمّا الآية فقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء ٣٤/٢١]، فنفى الخُلْد عن البشر مع أنّه أعطى بعضهم العُمْر الطويل، والمنفيُّ: غير المثبت، فالخُلْد: هو البقاء الدائم. وأمّا الشعر فقول امرئ القيس:
>
> [١٣٠ظ] **(ألا انعَمْ صباحًا أيُّها الطَّلَل البالي / وهل يَنعمَنْ مَن كان في العُصُر الخالي**
> **وهل يَنعَمَنْ إلّا سعيدٌ مُخلَّدٌ   قليلُ الهموم ما[٣] يبيت بأَوْجالِ)**[٤]

---

١ ن: خبرية.
٢ د ش - تعالى.
٣ ن: لما.
٤ البيتان من مطلع قصيدة في ديوان امرئ القيس، ص ٢٧، وفيه «عِمْ صباحًا» مكان «انعم صباحًا»، «وهل يَعِمَنْ» مكان «وهل يَنعمَن»؛ وهما بالرِّواية التي أوردها المُصنِّف ههنا في **شرح ديوان امرئ القيس** للسُّكَّري، ٢٩٩/١، ٣٠٤.

....

وقال أصحابنا: الخُلْد: هو الثبات الطويل سواء دام أو لم يدُم، واحتجُّوا فيه بالآية والعُرْف: أمّا الآية فقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء ٥٧/٤]، ولو كان التأبيد داخلًا في مفهوم الخُلْد لكان ذلك تكرارًا؛[1] وأمّا العُرْف فيقال: حبس فلان فلانًا حَبسًا مُخلَّدًا.[2]

هذا الذي ذكره الإمام في التفسير الكبير.

وأمّا شرح البيت فيقال: "انعَمْ صباحًا"، أي: طاب عيشك، مِن نعِم يَنعَم إذا طاب عيشه. و"الطَّلَل": ما شَخُص من آثار الدار، والجمع أطلال. وإنّما خصَّ الصباح بهذا الدعاء؛ لأنّ الغارات والمَكاره تقع صباحًا. قال الأصمعيُّ: «إنّما يريد أهل الطَّلَل ولا يُريد الطَّلَل».[3] والعَصْر بفتح العين وسكون الصاد: الدهر، وفيه لغتان أخريان: "عُصْر" بضم العين وسكون الصاد، و"عُصُر" بضمَّتين، مثل عُسْر وعُسُر. قال شارحٌ:[4] حيِّي الطَّلَل البالي مِن ديار المحبوبة بالنَّعم والطِّيب، ثمّ قال: وكيف يَنعَم مَن كان في زمن الفِراق والخُلوّ مِن الأهل والأحباب؟ وهل يَنعَمَن إلّا مَن كان سعيدًا دائمًا آمنًا مِن المخاوف والآفات؟ وهذا لا يكون إلّا لأهل الخُلْد في الآخرة، اللّٰهمّ اجعلنا منهم.

وأنا أقول: الظاهر أنّ "الخالي" بمعنى: الماضي، أي: هل يَنعَمَن مَن كان في الزمن الماضي ولم يبقَ؛ يدلُّ عليه قول الأصمعي: «يريد أهل الطَّلَل». ويُؤيِّده قول الشاعر: "مَن كان" ولم يقل: ما كان. وأيضًا يُفهَم من قوله: "وهل[5] يَنعَمَنْ؟" أنّ مَن ليس باقيًا كيف يَنعَم؟ لكنِ الطَّلَل باقٍ، فالمراد: أهلُه، وأنّهم كانوا في الزمان المُتقدِّم ولم يبقُوا.

---

[1] ش: تكرار.

[2] انظر: تفسير الرازي، ١٤٢/٢-١٤٣ (البقرة، ٢٥/٢).

[3] ن – ولا يريد الطلل. | قال الشُّكَّري في شرح البيت: «... كأنّه يعني أهل الطَّلَل». شرح ديوان امرئ القيس، ٣٠٤/١. وورد ذلك الشرح وفيه القول المذكور منسوبًا للأصمعي في خزانة الأدب للبغدادي، ٦١/١.

[4] ما عرفته.

[5] ن – وهل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

سِيقَتْ هذه الآيةُ لبيان أنَّ ما استَنْكرَهُ الجهلَةُ والسُّفهاء أو أهلُ العناد والمِرَاءِ من الكفَّار ....

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

قال الإمام:

> اعلم أنّ الله سبحانه وتعالى لمّا بيّن الدليل على كون القرآن مُعجِزًا أورد هنا شُبهة أوردها الكُفّار قدحًا في ذلك، وأجاب عنها. وتقرير الشُّبهة: أنّه قد جاء في القرآن ذِكر النحل والذُّباب والعنكبوت والنمل، وهذه الأشياء لا يليق ذِكرها بكلام الفصحاء، فاشتمال القرآن عليها يقدَح في فصاحته فضلًا عن كونه مُعجِزًا. وأجاب الله تعالى عنه: بأنّ صِغَر هذه الأشياء لا يقدَح في الفصاحة، إذا كان ذِكرها مُشتمِلًا على حِكَم بالغة، فهذا هو الإشارة إلى تعلُّق هذه الآية بما قبلها.[١]

قوله: (سِيقَت) فعل ماضٍ مجهول، مِن ساقه يسُوقه سَوقًا. اعلم أنّ المُصنِّف فسّر هذه الآية أوّلًا بطريق الإجمال، ثمّ بعد ذلك فسّرها بطريق التفصيل؛ فمِن هنا إلى قوله: (يحتكِمُه ويستدعيه) تفسير لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾. و(المِراء): الجِدل، يقال: ماريتُ الرجُل أُماريه مِراء إذا جادلتَه. والمستنكرون طائفتان: طائفة كانوا لا يعلمون، وهم الذين أرادهم بقوله: (الجَهَلة والسُّفهاء)؛ وطائفة كانوا يعلمون، ولكن كانوا يُعانِدون ويُجادلون. وقوله: (من الكُفّار) بيانُ "الجَهَلة"... إلخ.

---

١ انظر: تفسير الرازي، ١٤٤/٢ (البقرة، ٢٦/٢).

واستَغْرَبُوه من أن تكون المحقَّراتُ من الأشياء مضروبًا بها المثلُ ليس بموضعٍ للاستنكار والاستغراب، من قِبَل أنَّ التمثُّلَ إنَّما يصارُ إليه لِمَا فيه من كشفِ المعنى ورفعِ الحجاب عن الغرَض المطلوب، وإدناءِ المتوهَّم من المُشَاهَدِ.

فإن كان المتمثَّلُ له عظيمًا كان المتمثَّلُ به مِثلَه، ....

قوله: (**واستغربوه**) عطفٌ على (**استنكره**)،[1] والضمير المرفوع عائد إلى "الجَهَلة"... إلخ، والمنصوب إلى (**ما**). و(**مِن أن تكون**) بيانُ "ما". و"مِن" في (**مِن الأشياء**) / للتبعيض. وقوله: (**ليس**)... إلخ، خبر (**أنّ**). (**مِن قِبَل**)، أي: مِن جهة، وهو تعليل أنّ ذلك ليس بموضع الاستنكار. والباء يجوز أن تكون زائدة، ويجوز أن تكون بمعنى "في"، كأنّه قال: ليس في[2] موضع الاستنكار، فيُفيد زيادة مبالغة. والضمير في (**إليه**) عائدٌ إلى (**التمثُّل**).[3] [١٣١و]

قوله: (**فيه**) ضميره المُستتر عائد إلى (**ما**)، والبارز إلى "التمثُّل"،[4] أي: لشيء أو أمر[5] ثبَت في التمثُّل،[6] ثمّ بيَّن ذلك الشيء بقوله: (**مِن كَشْف**). و(**عن**) مُتعلِّق بـ"الرفع".

قوله: (**وإدناء**) عطفٌ على (**كشف**). و(**مِن**) متعلِّق بـ"إدناء"، يريد[7] أنّ مِن طَبْع الخيال حبُّ المُحاكاة والتشبيه، فإذا ذُكِر المعنى وحده أدركه العقل، ولكن مع مُنازعة الخيال، وإذا ذُكِر معه التشبيه أدركه العقل مع مُعاونة الخيال، فكأنّه خرَج من كونه مُتوهَّمًا إلى كونه مُشاهَدًا، وأيضًا نحن نرى أنّ الإنسان يذكُر معنى، ولا يلوح كما ينبغي، فإذا ذكَر المثال اتَّضح وصار مُبيَّنًا مَكشوفًا.

قوله: (**مثلَه**)، أي: مِثل المُتمثَّل له، يعني: في العِظَم.

---

١ ن: استنكروه.
٢ ن - في.
٣ ن: التمثيل.
٤ ن: التمثيل.
٥ ش: أو أمر.
٦ ن: التمثيل.
٧ ن: ير.

وإنْ كان حقيرًا كان المتمثَّلُ به كذلك، فليس **العِظَمُ والحقارةُ في المضروب به المثلُ إذًا إلَّا أمرًا تَستدعيه** حالُ المتمثَّلِ له **وتَستجرُّه إلى نفسها، فيَعْملُ الضاربُ** للمثل على حسب **تلك القضيَّة، ألا ترى إلى الحقِّ** لمّا كان واضحًا جليًّا **أَبْلَجَ كيف تُمُثِّلَ له** بالضياء والنُّور، وإلى الباطل لمَّا كان **بضدِّ صفته كيف تُمُثِّل له بالظُّلمةِ**.

ولمَّا كانت حالُ الآلهة الَّتي جعَلها الكفَّارُ أنْدادًا لله تعالى لا حالَ أحْقرُ منها وأقلُّ -ولذلك جُعل بيتُ العنكبوت مَثَلَها في الضَعْفِ والوهْن، ....

قوله: (**كذلك**)، أي: مِثل المُتمثَّل له، يعني: في الحقارة، فكأنّه قال:[١] إن[٢] كان المُتمثَّل له عظيمًا أو حقيرًا فالمُتمثَّل به مِثله، لكن بسَط ذلك المعنى. وإنّما لم يقل في **الأوّل**: كان المُتمثَّل به عظيمًا، وفي **الثاني**: كان المُتمثَّل به حقيرًا؛ ليُشير إلى أنّ المُماثلة في العِظَم والحقارة شرط، وليس مُجرَّد العِظَم والحقارة كافيًا، لاحتمال التفاوت الكثير بينهما. والضمير المنصوب مِن (**تستدعيه**) و(**تستجِرُّه**) عائد إلى الأمر ومِن (**نفسها**) إلى الحال.

قوله: (**تلك القضيّة**)، أي: استدعاء حال المُتمثَّل به،[٣] أو حال المُتمثَّل له،[٤] أو الأمر. فحال[٥] المُتمثَّل له عِظَمه أو حقارته يقتضي أمرًا وهو العِظَم أو الحقارة في المُتمثَّل به، فيعمَل المُتمثِّل[٦] على حسَب تلك الحال، أو الاستدعاء، أو الأمر.

قوله: (**صفته**)، أي: صفة الحقّ له، أي: للباطل.

قوله: (**لا حالَ**) خبرُ (كانت). (**منها**)، أي: من حال الآلهة.

قوله: (**ولذلك**)، أي: لكون حال الآلهة لا حالَ[٧] أحقرُ[٨] منها.

قوله: (**مَثلَها**)، أي: مَثلَ تلك الآلهة قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت ٢٩/٤١].

---

١ ن + إذا قال.
٢ ن: إذا.
٣ ش ن: له.
٤ ن – له.
٥ ن: حال.
٦ ن: التمثيل.
٧ ن: حالًا.
٨ ن: حقير.

وجُعلت أقلَّ من الذُباب وأخَسَّ قَدْرًا، وضُربَتْ لها البَعُوضةُ فالذي دونها مَثَلًا- لم يُستنكَرْ ولم يُسْتَبْعَدْ ولم يُستَبدعْ، ولم يُقَلْ للمتمثِّل: اسْتَحْيِ من تَمثيلها بالبعوضة؛ لأنَّه مُصِيبٌ في تمثيله مُحِقٌّ في قوله، سائقٌ للمَثَل على قضيَّةِ مَضْرِبه، مُحتَذٍ على مثال ما يحتكِمُه ويَسْتدعيه.

قوله: (وجُعِلت)، أي: الآلهة، وهو عطفٌ على (جُعِل).

قوله: (قَدْرًا)، أي: من الذُّباب، وحذَفه؛ لدلالة ما تقدَّمه عليه. قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [الحج ٢٢/٧٣]. و(ضُرِبت) عطفٌ على "جُعِل".

قوله: (لم يُستنكَر) جوابُ (لمّا). وقوله: "ولذلك" إلى قوله: (مثلًا) جملة مُعترِضة، أي: لم يُستبدَع ولم يُستنكَر ضَرْب البعوضة لها مثلًا، أو جَعْل بيتِ العنكبوت، فأضمر في الفعلين؛ لدلالة الجملة المُعترِضة عليه.

قوله: (مِن تمثيلها)، أي: تمثيل الآلهة؛ لأنَّه، أي: لأنَّ المُتمثِّل، وهو تعليل "لم يُستنكَر"... إلخ.

قوله: (مَضرِبه)، أي: مَضرِب المَثَل، والمراد بمَضرِب المَثَل: هو المُتمثَّل له، وبقضيّة مَضرِبه: هو الأمر الذي استدعاه حال المُتمثَّل له.

قوله: (مُحتذٍ) خبرٌ بعد خبر لـ(أنّه)، ويقال: احتذى مثالَه، أي: اقتدى به. واحتكمه إلى الحاكم: ذهب به إليه، فمعنى "يحتكِمُه": يذهَب به، أي: يَستصحِبه ويَستلزِمه، والضمير المُستتر في "يحتكِمُه" و"يَستدعيه" عائد إلى "مَضرِبه"، والبارز إلى (ما). فقوله هنا: "يحتكِمُه ويَستدعيه"[١] مُلاحظةٌ لقوله: (تَستدعيه حالُ المُتمثَّل له وتستجِرُّه)، فالمراد بما يحتكِمُه المَضرِب: هو حال المُتمثَّل له؛ لأنّها مِن لوازمه ومُستصحباته، وبمثال ما يحتكِمُه: هو أمر استدعاه حال المُتمثَّل له، / أي العِظَم والحقارة في المُتمثَّل به؛ لأنه يُماثِله. [١٣١ظ]

---

١ ن - عائد إلى "مَضرِبه"، والبارز إلى (ما). فقوله هنا: "يحتكِمُه ويَستدعيه".

ولبيانِ أنَّ المؤمنين الذين عادتُهم الإنصافُ والعملُ على العدل والسويَّة، والنظرُ في الأمور بناظرِ العقل، إذا سمعوا بمثلِ هذا التمثيل علِموا أنّه الحقُّ الذي لا تمرُّ الشُّبهةُ بساحتِه، والصوابُ الذي لا يرتعُ الخطأُ حَوْلَه.

وأنَّ الكفَّار الذين غَلبهم الجهلُ على عقولهم، وغصَبَهم على بصائرهم، فلا يتفطَّنون ولا يُلقون أذهانَهم، أو عرَفوا أنّه الحقُّ إلّا أنّ حُبَّ الرياسةِ وهَوَى الإلْفِ والعادةِ لا يُخَلِّيهم أنْ يُنْصِفُوا، فإذا سَمِعُوه عانَدوا وكابَروا وقضَوْا عليه بالبُطلان وقابَلوه بالإنكار.

قوله: **(ولبيان)** عطفٌ على قوله: **(لبيان)**، أي: سِيقت هذه الآية لبيان أنّ ما استنكره، ولبيان أنّ المؤمنين، ومن هنا إلى قوله: **(حوله)** تفسير لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾. و**(إذا)** مع جوابه خبر **(أنّ)**.

قوله: **(وأنّ الكُفّار)**[1] عطف على قوله: **(أنّ المؤمنين)**، وهو إلى قوله: **(بالإنكار)** تفسير لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗا﴾. يقال: غلَبه عليه، أي: أخذه منه قهرًا، وكذا يقال: غصَبه عليه بمعناه. وقوله: **(فلا يتفطَّنون)**[2] مُسبَّب عن قوله: **(غلَبهم)**... إلخ، وكأنّه اقتبس قوله: **(فلا يتفطّنون**[3] **ولا يُلقون أذهانهم)** من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق ٥٠/٣٧].

قوله:[4] **(أو عرَفوا)** عطفٌ على "غلَبهم" وأشار بهما إلى الطائفتين، أي: الجاهلين والمُعاندين، كما ذكَرنا في أوّل البحث.

قوله: **(إلّا أنّ)** استثناء مُنقطِع، أي: لكنّ حُبُّ الرئاسة. و**(أن يُنصِفوا)** مفعول **(يُخلّيهم)**. و**(إذا سمعوا)** مع جوابه خبرٌ لـ"أنّ"، وأدخل الفاء نظرًا إلى الموصول في قوله: "وأنّ الكفّار الذين"؛ لأنّه لم يتحقّق الامتناع مِن دُخول الفاء

---

[1] ن: الكفر.
[2] ن: ينطقون.
[3] ن: ينطقون.
[4] ن - قوله.

وأنَّ ذلك سببُ زيادةِ هُدَى المؤمنين وانْهماكِ الفاسقين في غَيِّهم وضَلالهم. والعجبُ منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناسُ يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحْناشِ الأرض والحشرات والهوامّ، وهذه أمثالُ العرب بين أيديهم

في خبر "أنّ" المفتوحة إذا دخل على الموصول.[١]

قوله: (**وأنّ ذلك**) عطفٌ على قوله: "وأنّ الكُفّار"، وهو إلى قوله: (**ضلالهم**) تفسير لقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾... إلخ، يقال: «انهمك الرجل في الأمر، أي: جدَّ ولجَّ».[٢]

قوله: (**والعَجَب**) إلى قوله: (**مُعوَّلًا**) ابتداء كلام مِن المُصنِّف للردّ على مَن أنكر التمثيل بالمُحقَّرات. وقوله: (**منهم**)، أي: من الكُفّار. والواو في (**وما زال**) واوُ الحال. وقوله: (**وهذه أمثال العرب**) عطفٌ على قوله: "ما زال"، أي: كيف أنكروا والحال أنّ الناس يضربون الأمثال بالمذكورات؟ وهم قد رأوا أمثال العَرب حاضرة. والحاصل أنّه بعد أن ذكَر أنّ الناس يَضرِبون الأمثال بالمُحقَّرات أشار إلى أنّهم مُطَّلعون عليها ليتحقَّق عِنادهم ومكابرتهم. والحَنَش:[٣] واحد الأحناش، وهو: كلُّ ما أشبه رأسُه رأسَ الحيّة، وقد يقال للحيّة: حَنَش.[٤] والحَشَرة بالتحريك: واحدة[٥] الحشَرات، وهي: «صغار دوابّ الأرض، وقيل: هي الفأر واليرابيع والضِّباب».[٦] «والهميم: الدبيب، ومنه الهامّة مِن الدوابّ: ما يقتُل مِن ذوات[٧] السموم، كالعقارب والحيّات. ومنها حديث عمر رضي الله عنه:[٨] 'أخيفوا الهوامّ قبل أن تُخيفَكم'،[٩] أي: اقتلوها قبل أن تقتُلَكم».[١٠]

---

١ في المسألة تفصيل وخلاف في بيان مذهب سيبويه والأخفش فيها. انظر لتفصيل ذلك: شرح **المُفصَّل** لابن يعيش، ١٠١/١؛ والإيضاح في شرح **المُفصَّل** لابن الحاجب، ١٧١/١-١٧٤؛ وشرح الرضي على الكافية، ٢٧٠/١-٢٧٢.

٢ **الصحاح** للجوهري، «همك».

٣ هامش د ش + بالتحريك.

٤ انظر: **المُغرِب** للمُطرّزي، «حنش».

٥ ن: واحد.

٦ **المُغرِب** للمُطرّزي، «حشر».

٧ ن: دواب.

٨ د - رضي الله عنه.

٩ ن: تحتفيكم. | **المُصنَّف** لابن أبي شيبة، ٤٢٠/١٣ (٢٦٨٥٤)؛ كنز العمال للهندي، ٥٢٦/١٥ (٤٢٠٣٤).

١٠ **المُغرِب** للمُطرّزي، «همم».

مُسَيَّرةً في حَواضرِهم وبواديهم قد تَمثَّلوا فيها بأحقرِ الأشياء، فقالوا: أجمعُ مِن ذَرَّةٍ، و: أجْرأُ من الذُّباب، و: أسْمعُ من قُرادٍ، و: أصْردُ من جَرادةٍ، و: أضْعفُ من فَراشةٍ، و: آكَلُ من السُّوس.

وقالوا في البعوضة: أضعفُ من بعوضة، ....

قوله: (مُسيَّرةً) بالنصب حالٌ مِثل قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا﴾ [هود ١١/٧٢]، وبالرفع خبرٌ بعد خبر.

قوله: (قد تَمثَّلوا)... إلخ، جملة مُبيِّنة لقوله: "وهذه أمثال العَرب". وقوله: (فيها) الضمير عائد إلى (البهائم والطيور)... إلخ.

قوله: ("أجمَعُ من ذرّة")،[١] يزعمون أنّها تدّخر قوت سنين.

قوله:[٢] ("أجرَأُ مِن الذباب")،[٣] ومِن جُرأة الذباب أنّه كلّما ذِيد يعُود.

قوله: (و"أسمَعُ مِن قُراد")،[٤] وهو: ما يلصَق بأطراف أفخاد الإبل والغَنَم، يقال: إنّ القُراد يسمع الهَمْس الخفي من أخفاف الإبل مَسيرة سبعةِ أميال.

قوله: ("أصرَدُ مِن جَرادة")،[٥] أي: أشدّ وُجدانًا للبَرد، والصَّرَد: البَرْد، هو فارسيٌّ مُعرَّب.

قوله: ("أضعَفُ مِن فراشة")،[٦] وهي: الطير التي تطير وتَهافَت في السِّراج.

قوله: ("آكَلُ من السُّوس")،[٧] هو: دُود يقع في الصوف والطعام.

قوله: (وقالوا في البعوضة) عطفٌ على قوله: "قد تمثّلوا فيها". وإنّما أفردها بالذِّكر لذِكرها في الآية؛ / ولذا[٨] ذكر لها ثلاثة أمثال. [١٣٢و]

---

١ جمهرة الأمثال للعسكري، ١/٣٣٤؛ مَجمَع الأمثال للميداني، ١/١٨٨؛ المُستقصى للزمخشري، ١/٥١.

٢ ش ن + قوله.

٣ جمهرة الأمثال للعسكري، ١/٣٢٧؛ مَجمَع الأمثال للميداني، ١/١٨١. وفيهما «ذُباب» مكان «الذُّباب».

٤ جمهرة الأمثال للعسكري، ١/٥٣١؛ مَجمَع الأمثال للميداني، ١/٣٤٩.

٥ جمهرة الأمثال للعسكري، ١/٥٨٥؛ مَجمَع الأمثال للميداني، ١/٤١٣؛ المُستقصى للزمخشري، ١/٢٠٧.

٦ جمهرة الأمثال للعسكري، ٢/٣.

٧ جمهرة الأمثال للعسكري، ١/٢٠١، وفيه «سُوس» مكان «السُّوس»؛ مَجمَع الأمثال للميداني، ١/٨٦.

٨ كُرِّر حرف الواو قبل "لذا" في د.

و: أعزُّ من مُخِّ البعوض، و: كلَّفتَني مُخَّ البعوض.

ولقد ضُربت الأمثالُ في الإنجيل بالأشياء المحقَّرة؛ كالزُّوانِ والنُّخالةِ وحَبَّةِ الخردلِ والحصَاةِ والأرَضَة والدُّود والزَّنابير.

والتمثُّلُ بهذه الأشياء وبأحقرَ منها ممَّا لا تَغْبَى استقامتُه وصحَّتُه ....

قوله: ("أعزُّ")،[1] مِن عزَّ يعِزُّ عِزًّا وعَزازة إذا قلَّ لا يكاد يُوجَد.

قوله: ("كلَّفتَني مُخَّ البعوض")،[2] مَثَل في تكليف ما لا يُطاق.

قوله: (ولقد ضُرِبت الأمثال في الإنجيل بالأشياء المُحقَّرة) عطفٌ على قوله: "وما زال الناس". أشار بعد بيان وقوعها في ألسُن الناس إلى وقوعها في الكُتب[3] السماويّة.[4]

قوله: (كالزِّوان) بكسر الزاي[5] وضمّها: حَبٌّ مرٌّ يُخالط البُرَّ، ضُرِبت الأمثال في إنجيل عيسى عليه السلام بالأشياء المُستحقَرة.

قوله: (والنُّخالة) يقال: نخَلتُ الدقيق، أي: غَربلتُه، والنُّخالة: ما يُبقَى في المُنخُل بعد نَخْل الدقيق.

قوله: (والحَصاة) هي واحدة الحَصى، وهي: الحَجَر.

قوله: (والأَرَضة والدُّود) الأَرَضة بالتحريك: دُوَيبّة تأكل الخشَبة، والمراد بالدُّود: السُّوس.

قوله: (والتمثُّل)[6] مبتدأ، خبره (ممّا لا تغبى)، أي: لا تخفى، وغَبِيَ عليَّ الشيء إذا لم تعرِفه. ويقال: فيه مُسْكة مِن خير، أي: بقيّة. وهذه الجملة عطفٌ على قوله: "وما زال"... إلخ، فبعد ما فرَغ مِن الدليل النقلي على حُسْن التمثيل شرع في الدليل العقليّ، وهو: أن يخرُج الشيء مِن التوهُّم إلى المُشاهدة كما بيّنا،

---

١ لفظة من مَثَل في جمهرة الأمثال للعسكري، ٣٣/٢.

٢ مَجمَع الأمثال للميداني، ١٤٧/٢؛ المُستقصى للزمخشري، ٢٢٣/٢.

٣ ن: كتب.

٤ ش: السماويّ؛ ن: سماوية.

٥ ن: الزاء.

٦ ن: التمثيل.

على مَن به أدْنى مُسْكةٍ، ولكنَّ دَيْدَنَ المحْجُوج المَبْهُوتِ الذي لا يَبقى له متمسَّكٌ بدليلٍ ولا مُتَشبَّثٌ بأمارةٍ ولا إقْناعٍ أن يرميَ -لفَرْطِ الحَيْرة والعَجْزِ عن إعمالِ الحيلة- بدفعِ الواضح وإنكارِ المستقيم والتعويلِ على المكابرة والمغالطة؛ إذْ لم يجد سِوَى ذلك مُعَوَّلًا.

وإذا كان التمثيل يُفيد زيادة البيان والوضوح وجَب ذِكره في الكتاب الذي لا يُراد منه إلّا الإيضاح والبيان. وكأنّه أشار بقوله: **(أدنى مُسْكة)** إلى أنّ صحّته بديهيّة.

قوله: **(ولكنّ دَيدَن)** الدَّيدَن والدَّيدان والدَّأْب: العادة. والمَحجوج: المغلوب. ويقال: بُهِت، أي: دُهِش، فهو "مبهوت". و"المُتمسَّك" و"المُتشبَّث"[١] مصدر ميميٌّ، والتشبُّث: التعلُّق. والمراد بـ"الدليل": ما مُقدِّماته قطعيّة؛ وبـ"الأمارة" و"الإقناع": ما تكون مقدّماته ظنّيّة. و**(أن يَرميَ)** خبر "لكنّ". و**(بدَفْع)** مُتعلِّق بـ"يرمي".[٢] و**(التعويلِ)**: الاعتماد، وهو عطف على **(دَفْعِ الواضح)**. والمراد بـ**(المُكابرة)**: استعمال المُقدِّمات التي فسادها واضح جليّ؛[٣] وبـ**(المُغالطة)**: استعمال المُقدِّمات الباطلة الشبيهة بالحقّ. وقوله: **(إذا)**[٤] ظرف "يرمي".

اعلم أنّه تعجَّب أوّلًا مِن قولهم، بقوله: "والعجَب منهم"، ثمّ بيَّن أنّ قولهم مَظِنّة التعجُّب، بالدلائل النقليّة والعقليّة، ثمّ أشار إلى أنّهم كانوا يعرِفون استقامة التمثّل بها، لكن لمّا تحيّروا وعجَزوا عن الحِيلة اشتغلوا بدَفْع الواضح، والاعتماد على المكابرة، بأن قالوا: ضَرْب الأمثال بهذه الأشياء الحقيرة لا يَليق بالله تعالى؛ قلنا: هذا كلام صدَر عن الجهل؛ لأنّه تعالى هو الذي خلق الكبير والصغير، وحُكمه في كلّ ما خلَق وبَرأ عامّ؛ لأنّه قد أحكَم[٥] جميعه، وليس الصغيرُ أخفَّ عليه من العظيم، ولا العظيمُ أصعبَ عليه مِن الصغير، وإذا كان الكلُّ بمنزلة واحدة لم يكن الكبير أَوْلى بأن يَضرِبه مَثَلًا لعباده مِن الصغير،

---

١ ن: المتشبث.

٢ ن: بـ"يرى".

٣ ش ن: واضحة جليّة؛ هامش د: واضحة جليّة. وكُتِب بعدها: أصحّ.

٤ في مطبوع الكشّاف: إذ. | وهي رواية بعض أصول **الكشّاف**.

٥ ن: أحكمه.

وعن الحسن وقتادةَ: لمَّا ذكر الله الذُّباب والعنكبوت في كتابه وضَرَبَ للمشركين به المثلَ ضَحِكَت اليهودُ وقالوا: ما يُشبِهُ هذا كلامَ الله، فأنزل الله هذه الآيةَ.

والحياءُ: تغيُّرٌ وانكسارٌ يَعْتري الإنسانَ من تَخوُّفِ ما يُعابُ به ويذَمُّ، واشتقاقُه من الحياة، ....

بل المُعتبَر فيه ما يَليق بالقِصّة، فإذا كان الأليَق بها الذُّباب والعنكبوت يُضرَب المَثَل بهما،[1] لا بالفيل والجَمل، فإذا أراد الله تعالى أن يُقبِّح عبادتهم الأصنامَ وعُدولهم عن عبادة الرحمن صلَح أن يَضرِب المَثَل بالذُّباب، إذا بيَّن أنّ قَدْر مَضرَّتها لا تندفع بهذه الأصنام، ويَضرِب المَثَل ببيت العنكبوت؛ ليبيِّن أنّ عبادتها أوهَن وأضعَف من ذلك، وفي مِثْل ذلك كلّما كان المضروب به المَثَل أضعَف كان المَثَل أقوى وأوضح.

قوله: (وعن الحَسَن)... إلخ، هذا بيان سببِ نزول الآية.[2]

قوله: (والحياء: تغيُّر وانكسار) مِن هنا شرع في تفسير الآية بطريق التفصيل.

قوله: (تخوُّف ما يُعاب به) مَصدر مُضاف إلى المفعول، يقال: تخوَّفه، / أي: خافه. [١٣٢ظ]

قوله: (ويُذمّ)، أي: يُذمُّ به، وحذَفه لدلالة ما تقدَّمه[3] عليه.

قوله: (واشتقاقه)، أي: واشتقاق الحياء مِن الحياة: ضدّ الموت، يقال: حَيِيَ الرجل، أي: استحيا، فكأنّه ينتكِس قُوّته وينتقِص حياته بالحياء. قال في الكواشيّ: «كأنّ الحَيِيَ لِما يعتريه مِن التغيُّر قد ضعُفت قُواه فترَك مراده».[4]

---

[1] ن: بها.

[2] انظر لسبب النزول المرويّ عن الحسَن وقتادة: جامع البيان للطبري، ١/٤٢٤ (البقرة، ٢/٢٦)؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ١/٦٩ (البقرة، ٢/٢٦)؛ والبسيط للواحدي، ٢/٢٦٨ (البقرة، ٢/٢٦)؛ وأسباب نزول القرآن للواحدي، ص ٢١؛ والعُجاب في بيان الأسباب لابن حَجر العسقلاني، ص ٨٢-٨٣.

[3] ن: تقدَّم.

[4] تفسير الكواشي، ص ٢٠٥-٢٠٦ (البقرة، ٢/٢٦)، وفي مطبوعه «التغيير» مكان «التغيُّر».

يقال: حَيِيَ الرَّجلُ، كما يقال: نَسِيَ وحَشِيَ وشَظِيَ الفرسُ، إذا اعتلَّت هذه الأعضاء، جُعل الحيِيُّ لِمَا يَعْتريهِ من الانكسارِ والتغيُّر مُنْتَكِسَ القوَّة منتقِصَ الحياة؛ كما قالوا: فلان هلكَ حياءً من كذا، ومات حياءً من كذا، ورأيتُ الهلاكَ في وَجْهِهِ من شدَّة الحياء، وذابَ حياءً، وجمَدَ في مكانه خَجَلًا.

فإن قلتَ: كيف جاز وصفُ القديمِ سبحانه به ولا يجوزُ عليه التغيُّرُ والخوفُ والذَّمُّ، ....

ولم يُرِد المُصنِّف بقوله هنا:[1] **(حَيِيَ الرجل)**: ضدَّ "مات"؛ لقوله: **(كما يقال)**... إلخ. النَّسا[2] بالفتح والقصر: «عِرْق يخرُج مِن الوَرِك، فيستبطِن الفخذين، ثمّ يمرُّ بالعُرقوب حتّى يبلغ الحافر»،[3] و«**(نَسِيَ)** الرجُل فهو نَسٍ على فَعِل إذا اشتكى نَساه».[4] «والحشا: ما انضمَّت عليه الضلوع، والجمع أحشاء»،[5] يقال: **(حَشِيَ)** بالكسر إذا اشتكى حَشاه، فهو حَشٍ. و«الشَّظى: عَظْم مُستدِقٌّ مُلزَق بالذِّراع، فإذا تحرَّك مِن موضعه قيل: قد **(شَظِيَ)** الفَرس بالكسر».[6]

قوله: **(جُعِل الحَيِيُّ)** مُتعلِّق بقوله: "يقال: حَيِيَ الرجل".

قوله: **(مُنتكِس)** مفعول ثان لـ"جُعِل"، يقال: نكَستُه، أي: قلبتُه على رأسه فانتكس. وقوله: **(مُنتقِص)** تكرير للمفعول الثاني، كما يُكرَّر الخبر.

قوله: **(كما قالوا)**[7] مُتعلِّق بقوله: "جُعِل"، أي: كما صرَّحوا بذلك وقالوا: "هلَك حياءً".

قوله: **(به)**، أي: بالحياء، وإنّما ذكَر التغيُّر والخوف والذمَّ هنا؛ لأنّه أخذها في تعريف الحياء.

---

١ ش: ههنا.

٢ ن: والنسا.

٣ **الصحاح** للجوهري، «نسا». أورده عن الأصمعي، والكلام في كتاب **الخيل** للأصمعي، ص ٥٣.

٤ **الصحاح** للجوهري، «نسا».

٥ **الصحاح** للجوهري، «حشا». وفي مطبوعه «اضطمَّت» مكان «انضمَّت».

٦ **الصحاح** للجوهري، «شظي». وفي مطبوعه «عُظَيم» مكان «عَظْم». أورده عن الأصمعي. والكلام في كتاب **الخيل** للأصمعي، ص ٥١.

٧ ن - قالوا.

وذلك في حديثِ سلمانَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إن اللهَ حَيِيٌّ كريمٌ يَسْتَحْيي إذا رفعَ العبد يديه إليه أن يردَّهما صِفْرًا حتَّى يضع فيهما خيرًا»؟

قلتُ: هو جارٍ على سبيل التمثيل، مُثِّلَ تركُه تخييبَ العَبدِ، وأنّه لا يَردُّ يديه صِفرًا من عطائه لكرمه، بتركِ مَن يترك رَدَّ المحتاج إليه حياءً منه.

قوله: (وذلك)، أي: وصف القديم بالحياء.

قوله: (في حديث سلمان) أضافه إليه؛ لأنّه راويه.[1]

قوله: («صِفْرًا»)، أي: خاليًا. قوله عليه السلام: («حتّى يضَع») غاية لردِّهما[2] صِفرًا، أو لـ(«يَستحيي»)، فكان غايةُ مَنْع الحياء أن يضعهما[3] خيرًا، يعني: ما لم يضع فيهما خيرًا كثيرًا لا يردُّهما، فيجعلهما قبل وَضْع الخير الكثير كالصِّفْر، فلا يردُّهما، فالتنوين في "خير" للتعظيم.

قوله: (هو)، أي: وصف الله تعالى بالحياء.

قوله: (مُثِّل)، أي: شُبِّه.

قوله: (تَرْكه) مصدر مضاف إلى الفاعل، وهو الله تعالى.

قوله: (وأنّه) عطف على "تَرْكه". (لكرَمه)[4] مُتعلِّق بـ(يردُّ). (بتَرْك) متعلِّق بـ"مُثِّل"، فوقع الاستعارة أوّلًا في المصدر، ثمّ في الفعل بالتبعيّة. قال الإمام:

> القانون في هذه الأشياء: أنّ كل صفة تثبُت للعبد ممّا يختص بالأجسام، فإذا وُصِف الله تعالى بذلك[5] فذاك محمول على نهايات الأغراض لا على بدايات الأغراض، مِثاله أنّ الحياء حالة تحصُل للإنسان، ولكن لها مَبدأ ومُنتهى: أمّا المبدأ فهو التغيُّر الجسمانيّ الذي يلحَق الإنسان من خوف أن يُنسَب إلى القبيح، وأمّا النهاية فهو أن يترُك الإنسان ذلك الفعل،

---

١ حديث سلمان رضي الله عنه في سنن أبي داود، ٢/٢٨٢ (١٤٨٣)؛ وسنن الترمذي، ٥/٥٢١ (٣٥٥٦)؛ وصحيح ابن حبّان، ٣/١٦٠ (٨٧٦).

٢ ن: كونهما.

٣ ن: يضعها.

٤ ن: لكثرته.

٥ ن: ذلك.

وكذلك معنى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾؛ أي: لا يترُك ضربَ المثل بالبعوضَةِ تَرْكَ مَن يَستحْيِي أن يَتمثَّل بها لحقارتها.

ويجوز أن تقع هذه العبارةُ في كلام الكفرة، فقالوا: أمَا يَستحْيِي ربُّ محمدٍ أنْ يضرِبَ مثلًا بالذُّباب والعنكبوت؟! فجاءت على سبيل المقابَلة وإطباق الجواب على السؤال، ....

فإذا ورَد الحياء في حقّ الله تعالى فليس المراد منه ذلك الخوف الذي هو مَبدأ الحياء ومُقدِّمته، بل تَرْك الفعل الذي هو مُنتهاه وغايته.[١]

قوله: (وكذلك معنى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾)، أي: معنى الآية مِثلُ معنى الحديث في الجَرْي على سبيل التمثيل المذكور. وهذا مبنيٌّ على كلام نقَله الإمام من القاضي، وهو: أنّ ما لا يجوز على الله تعالى من هذا الجنس إثباتًا فيجب ألّا يُطلق على طريقة النفي أيضًا عليه؛ لأنه يُوهِم نفيَ ما يجوز عليه.[٢] ثمّ قال الإمام: ولقائل أن يقول: لا شكَّ أنّ هذه الصفات مُنتفية عن الله تعالى، فكون الإخبار عن انتفائها دالًّا على صحّتها عليه ممنوع؛ لأنّ تخصيص هذا النفي بالذِّكر لا يدلّ على ثبوت غيره.[٣] وأنا أقول: ظهر أنّ ما ذكره المُصنِّف مبنيٌّ على ما قاله القاضي، وأمّا على ما قاله الإمام فلا يمتنع حَمْل ﴿لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ على الحقيقة.

قوله: (ويجوز)... إلخ، عطف على قوله: "وكذلك معنى الآية"، فكأنّه أوّلَ الآية من وجهين: الأوّل: بالاستعارة، الثاني: على سبيل إطباق / الجواب على السؤال، كما أنّهم لمّا قالوا للقرآن: هذا سحر مفترى؛ قال الله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود ١١/١٣]، وهذا مبنيّ على ما قاله القاضي، فتأمَّل. [١٣٣و]

قوله: (على سبيل المقابلة)، يريد به: مُقابَلة الجواب بالسؤال بحسَب اللغة، يدلّ عليه قوله:[٤] (وإطباق الجواب على السؤال)، ولا يريد: المُقابَلة باصطلاح عِلم البديع؛ لأنّه مُشاكَلة لا مُقابَلة:

---

١ تفسير الرازي، ١٤٥/٢ (البقرة، ٢٦/٢).
٢ انظر: تفسير الرازي، ١٤٥/٢ (البقرة، ٢٦/٢).
٣ انظر: تفسير الرازي، ١٤٥/٢ (البقرة، ٢٦/٢).
٤ ن - قوله.

وهو فَنٌّ من كلامهم بديعٌ وطرازٌ عجيبٌ، ومنه قولُ أبي تمَّامٍ:

مَـنْ مُـبْـلِـغٌ أفْـنَـاءَ يَـعْـرُبَ كلِّها أنِّـي بـنَـيْـتُ الـجـارَ قـبـلَ الـمـنـزلِ

فالمُشاكَلة: أن تذكُر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته. كقوله:

قـالـوا اقـتـرح شيئًا نُـجِدْ لـكَ طبخَه قـلـتُ اطبخـوا لـي جُـبّة وقميصا[1]

وكقوله تعالى:[2] ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة ١٣٨/٢].[3] وذلك أنّ النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر فقيل لهم: الصِّبْغ هو دين الإسلام.[4]

«والمُقابَلة: أن تجمَع بين شيئين مُتوافقين أو أكثر، وبين ضدّيهما، ثمّ إذا شرطتَ هنا شرطًا شرطتَ هناك ضدَّه. كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل ٩٢/٥-١٠]، لمّا جعل التيسير مُشترَكًا بين الإعطاء والاتِّقاء والتصديق، جعل ضدَّه -وهو التعسير- مُشترَكًا بين أضداد تلك، وهي: المنع والاستغناء والتكذيب».[5]

قولـه: (وطِـراز)[6] الطَّـرْز:[7] الهيئـة. الطِّـراز:[8] علَـم الثـوب، فارسـيٌّ مُعـرَّب. قـال الشـاعر:

(مَـن مُـبـلِـغٌ[9] أفـنـاءَ يـعـرُبَ كلِّـها أنّـي بنيتُ الـجار قبل المَنزلِ)[10]

«فِناء الدار: ما امتدّ مِن جوانبها، والجمع أَفنِيَة، ويقال: هو[11] مِن أفناء الناس إذا لم يُعلَم ممّن هو».[12] قاله في **الصحاح**. وقال في **المُجمَل**: «هو مِن أفناء العرب

١ مضى بتخريجه في تفسير سورة الفاتحة، ٤/١.

٢ د ش - تعالى.

٣ تعريف المشاكلة والأمثلة المذكورة في **مفتاح العلوم** للسَّكّاكي، ص ٥٣٣-٥٣٤. ومضى ذِكره مرارًا: في تفسير سورة الفاتحة، ٤/١، وفي موضعين من تفسير سورة البقرة، ٩/٢، ١٥.

٤ انظر: **الكشّاف** للزمخشري، (البقرة، ١٣٨/٢).

٥ **مفتاح العلوم** للسَّكّاكي، ص ٥٣٣.

٦ ن: وطران.

٧ ن: الطران.

٨ ن: الطران.

٩ ن: بلغ.

١٠ البيت لأبي تمّام في **شرح ديوانه** للتبريزي، ٤٩/٣، وفيه «ابتنيتُ» مكان «بنيتُ». وهو له برواية الديوان في **فصل المقال** للبكري، ص ٣٩٢؛ وهو له في **الإيضاح** للقزويني، ص ٤٩٤، مثالًا على المشاكلة.

١١ ن - هو.

١٢ **الصحاح** للجوهري، «فني».

وشهِدَ رجلٌ عند شُرَيْح فقال: إنك لَسَبْطُ الشهادة، فقال الرجلُ: إنّها لم تُجَعَّدْ عَني، فقال: لله بلادُك، وقَبِلَ شهادتَه.

فالذي سوَّغ بناء الجارِ وتجعيدَ الشَّهادة هو مراعاةُ المشاكَلة، ولولا بناءُ الدار لم يصحَّ بناءُ الجارِ، ....

إذا لم يُعلَم ممّن هو».[1] «ويعرُب بن قَحْطان: أوّل مَن تكلَّم بالعربيّة، وهو أبو اليَمَن كلِّهم».[2] قوله: "بنيتُ الجار قبل المنزِل" مِن قوله عليه السلام: «الجار ثمّ[3] الدار».[4] قال أبو عُبيد:[5] كان بعض فقهاء أهل الشام يُحدِّث بهذا الحديث ويقول: معناه: إذا أردت شِرى دار فاسأل عن جارها قبل شرائها.[6]

قوله: («لسَبْط الشهادة»)، يريد: إنّك تشهَد كثيرًا، كأنّه اتَّهمه. وشَعْر سَبْط وسَبِط، أي: مُسترسِل غير جَعْد.

قوله: («إنّها لم تُجعَّد»)، أي: إنّ الشهادة لم تنقبِض ولم تُمنَع عنّي، يريد أنّه عالم بالوقائع؛ فلذلك يشهَد بها، أو ما منَعه أحد مِن الشهادة، أو ما ردَّها أحد عليه[7] بعدم القبول. فقال شُريح: («لله بِلادك»)، أي: لله حِفْظ بِلادك ورعايتها مِن الآفات لخروج مِثلك منها.

قوله: (**لولا بناءُ الدار**)، يعني: في قوله: "بنيتُ الجار قبل المَنزِل".

---

١ ن - ممّن هو. | **مُجمَل اللغة** لابن فارس، «فني».

٢ **الصحاح** للجوهري، «عرب».

٣ ن - ثمّ.

٤ **المعجم الكبير** للطبراني، ٤/٢٦٨-٢٦٩ (٤٣٧٩)؛ **والكشف والبيان** للثعلبي، ١٠/٣٠١-٣٠٢ (النساء، ٤/٣٦)؛ **ومَجمَع الزوائد** للهيثمي، ١٦/٥٦٤ (١٣٥٥٨). وهو فيها بلفظ «التمسوا الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق»، من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه مرفوعًا. وقال الهيثمي: «رواه الطبراني، وفيه أبان بن المُحبَّر، وهو متروك»، وانظر تفصيل تخريجه والكلام عليه في حواشي مُحقِّق **مجمع الزوائد**. وورد في الأمثال مرفوعًا بلفظ «الجار قبل الدار» في **كتاب الأمثال** لأبي عُبيد، ص ١٧٧؛ **ومَجمَع الأمثال** للميداني، ١/١٧٢؛ **والمستقصى** للزمخشري، ١/٣٠٨. وسبق البكريُّ إلى التنبيه على أنّ أبا تمّام أخذ معنى البيت من الحديث المرفوع. انظر: **فصل المقال**، ص ٣٩٢.

٥ ن: عبيدة.

٦ الخبر باختلاف يسير في **كتاب الأمثال** لأبي عُبيد، ص ٢٧٧-٢٧٨. وهو عن أبي عُبيد بلفظ قريب جدًّا ممّا ساقه الجاربردي في **مجمع الأمثال** للميداني، ١/١٧٢.

٧ ن - عليه.

وسبُوطةُ الشهادةِ لامتنع تجعيدُها.

ولله درُّ أمرِ التنزيل وإحاطتِه بفنون البلاغة وشُعَبِها، لا تكادُ تستَغْربُ منها فنًا إلّا عثرتَ عليه فيه على أقوم مناهجهِ وأَسَدِّ مدارجِهِ، وقد استُعير الحياءُ فيما لا يصحُّ فيه:

إذا مَا اسْتَحَيْنَ الماءَ يَعرِضُ نفسَه ... كَرَعْنَ بِسِبْتٍ في إناءٍ مِن الْوَرْدِ

قوله: (وسُبوطةُ)،[1] أي: لولا سُبوطة.

قوله: (وإحاطتُه)، أي: إحاطة التنزيل.[2]

قوله: (شُعَبِها)، أي: شُعَب البلاغة. والضمير مِن (عليه)، و(مناهِجه)، و(مَدارِجه) يعود إلى "الفنّ"، ومِن (فيه) إلى التنزيل. قال الشاعر:

(إذا ما استحَيْنَ الماءَ يَعرِضُ نفسهُ ... كرعْنَ[3] بسِبْتٍ[4] في إناء من الوَرِدِ)[5]

"استحيْنَ" على لغة مَن يقول: استحى يستحي، بياء واحدة، والضمير للنُّوق، أي: تركْنَ الماء. و"كرَع" في الإناء: إذا أمال[6] نحوه عُنقه فشرب منه. و"السِّبْت": الجلود المدبوغة بالقَرَظ،[7] والمراد هنا: مَشافرُها للينها. وفي بعض النُّسخ "بشِيب"،[8] وهو: صوت مَشافر الإبل عند الشُّرب. و"الوَرد": حُمرة صافية، وبها سُمِّي الوَرْدُ. جعَل الشاعر الموضع المُتضمِّن[9] للماء؛ لكثرة الزَّهْر فيه،

---

[1] ن - وسبوطة.

[2] ن: البريد.

[3] ن: له عن.

[4] ن: بسبب.

[5] البيت للمتنبي في شرح الواحدي لديوان المتنبي، ٢٠١٢/٤. والرِّواية فيه «استجبنَ» مكان «استحينَ». ورواية «استحينَ» وردت في الفَسْر لابن جنّي، ١١٤٩/١؛ واللامع العزيزي للمَعرّي، ٤٥٤/١. وجعلت هذه الرِّواية ابنَ جنّي هدفًا لسهام نقد كثير من شُرّاح ديوان المتنبّي، وساق الواحديُّ كلامهم، ووجّه تلك الرِّواية. انظر لتفصيل ذلك: شرح الواحدي لديوان المتنبّي، ٢٠١٢/٤-٢٠١٤؛ والمآخذ على شُرّاح ديوان المتنبّي لابن مَعقِل الأزدي، ٩٢/١-٩٤.

[6] ن: مال.

[7] القَرَظ: شجر يُدبَغ بثمره وورقه. لسان العرب لابن منظور، «قرظ».

[8] ن: بسبب. | وهي رواية أوردها بعض شرّاح ديوان المتنبّي، وقدّموها على رواية «بسِبْت»، وضعّفها الواحدي، وانتقده في ذلك الأزدي. انظر لتفصيل ذلك: شرح الواحدي لديوان المتنبّي، ٢٠١٢/٤-٢٠١٤؛ والمآخذ على شُرّاح ديوان المتنبّي لابن معقل الأزدي، ٩٢/١-٩٤.

[9] ن + المتضمن.

وقرأ ابن كثير في روايةِ شِبْلٍ: "يَسْتحِي" بياء واحدةٍ. وفيه لغتانِ: التعدِّي بالجارّ والتعدِّي بنفسه، يقولون: استحيَيْتُ منه واستحيَيْتُه، وهما محتمِلتان هاهنا.

وضربُ المثل: اعتمادُه وصَنْعُه، من ضَرَبَ اللَّبِنَ وضربَ الخاتم، وفي الحديث: «اضطربَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خاتمًا من ذهبٍ».

كأنّه إناء من الورد. ومعنى البيت: أنّه يصِف كثرة مياه الأمطار في طريقه، وأنّه[1] أينما ذهب[2] رأى الماء يعرِض نفسه عليها فتكرَع / فيه بمَشافرها كأنّها [١٣٣ظ] السِّبْت.[3] و"يعرِض" حالٌ. و"كرعْنَ" جواب "إذا". قال الواحديُّ في **الوسيط**: «قال بعضهم: معنى قوله: ﴿لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ هو أنّ الذي يُستحيا منه ما يكون قبيحًا في نفسه، ويكون لفاعله عَبَث[4] في فِعله، فأخبر الله تعالى أنّ ضرب المَثَل منه ببعوضة فما فوقها ليس بقبيح ولا نقص ولا عيب حتّى يَستحيِيَ منه».[5] والقراءة المَرويّة عن ابن كثير بياء واحدة شاذّة.[6]

قوله: **(وهما)**، أي: التعدّي بنفسه وبالجارّ مُحتمِلتان لاحتمال أن يكون أصله: مِن أنْ يضرِب، ثمّ حُذِف الجارّ؛ لأنّ حَذْفه مع "أنْ" و"أنّ" قياس مُستمِرٌّ.

قوله: **(اعتمادُه)**، أي: قَصْده.

قوله: **(صُنْعُه)** صنعة الفَرس حُسْن القيام عليه، وإنّما قال: "اعتماده وصُنْعه" إشارةً إلى أنّ[7] ضَرْب الأمثال لا بدّ فيه من زيادة تفكُّر وتأنُّق؛ لِمَا عرفت أنّهم لم يُسيِّروه[8] ولم يجعلوه أهلًا للتسيير إلّا إذا كان فيه[9] غَرابة.

قوله: (**«اضطَرب رسول الله عليه السلام خاتمًا مِن ذهَب»**)،[10] لا يقال:

---

١ ن: وإنّما.

٢ ن: وبنيت.

٣ انظر كلامًا قريبًا من هذا المعنى في **شرح الواحدي لديوان المتنبي**، ٤/٢٠١٣.

٤ ن: عيب.

٥ **الوسيط** للواحدي، ١/١٠٧ (البقرة، ٢/٢٦).

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن كثير وابن مُحيصن وابن شبل ومجاهد. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٢؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٥٦؛ **المغني في القراءات** للنُّوزاوازي، ص ٣٩٥.

٧ ن – أنّ.

٨ ن: يستوه.

٩ ن: منه.

١٠ انظر لتفصيل تخريجه: **تخريج أحاديث الكشاف** للزَّيلَعي، ١/٥٧.

و﴿مَا﴾ هذه إبهاميَّةٌ، وهي التي إذا اقترنَتْ باسمٍ نكرةٍ أبهمتهُ إبهامًا وزادَتْهُ شِياعًا وعمومًا؛ كقولك: أعطني كتابًا مَا، تُريد: أيَّ كتابٍ كان.

أو صلةٌ للتّأكيد كالتي في قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء ١٥٥/٤]؛ كأنّه قيل: لا يستحيي أن يضربَ مثلًا حقًّا أو البتَّةَ، هذا إذا نصَبْتَ ﴿بَعُوضَةً﴾، فإنْ رفعْتَها فهي موصولةٌ صلتُها الجملة؛ لأن التقدير: هو بعوضةٌ، فحُذف صَدْرُ الجملة كما حذفَ في ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ [الأنعام ١٥٤/٦].

اضطَرب إلّا إذا كان لنفسه، وضرَب لنفسه ولغيره، نحو شَوى واشتَوى؛ وذلك لأنّ "افتعل" للاتّخاذ.

قوله:[١] (و﴿مَا﴾ هذه إبهاميّةٌ)، "ما" مبتدأ، "هذه" صفته، "إبهاميّة" خبره، يعني: يجوز أن يكون ما في قوله تعالى: ﴿مَثَلًا مَّا﴾ اسمًا صفةً مثلًا، فيزيده إبهامًا وشيوعًا وبُعدًا عن الخُصوصيّة.[٢] قال الإمام: «بيانه:[٣] أنّ الرجل إذا قال لصاحبه: أعطني كتابًا أنظر فيه، فأعطاه بعض الكتب، صحَّ له أن يقول: أردتُ كتابًا آخر، ولم أرد هذا؛ ولو قاله مع "ما" لم يصحّ[٤] له؛ لأنّ تقدير الكلام: أعطني كتابًا أيَّ كتابٍ كان».[٥]

قوله: (أو صِلةٌ) عطف على قوله: "إبهاميّةٌ"، يعني: يجوز أن تكون "ما" حرفًا زِيدَت للتأكيد، أي: لتقوية النِّسبة.

قوله: (حقًّا)، أي: أحَقُّ حقًّا. والبتُّ: القَطْع، يقال: لا أفعلُه بتّة، ولا أفعله (البتّة)، لكلّ أمر لا رَجعةَ فيه، ونصبه على المصدر.

قوله: (هذا)، يعني: ما ذكرنا من الوجهين: وهو أن تكون "ما" إبهاميّة، أو صلة إنّما هو على تقدير نَصْب ﴿بَعُوضَةً﴾ كما هو في القراءة[٦] السَّبعة.[٧]

---

١ ن – قوله.
٢ ن: الخصومة.
٣ ن: قيانه.
٤ ن – يصح.
٥ تفسير الرازي، ١٤٧/٢ (البقرة، ٢٦/٢).
٦ الظاهر فيها أن تكون من غير تعريف على الإضافة، أو جمعًا لتوافق صفتها. ولعلّه أفردها على طريقة قول العَرب: "الدِّرهم البِيض والدِّينار الصُّفر".
٧ ن: القرات السبع.

ووَجْهٌ آخرُ حسنٌ جميلٌ: وهو أن تكون التي فيها معنى الاستفهام لمَّا استنْكفوا من تمثُّل الله لأصنامِهم بالمحقَّرات قال: إن الله لا يستحيي أن يضربَ للأنداد ما شاء من الأشياء المحقَّرة مثلًا بَلْهَ البعوضةِ فما فوقها؛ كما يقال: فلانٌ لا يُبالي بما وهَبَ ما دينارٌ وديناران.

فإن رفعتَ "بَعُوضة" كما في القراءة الشاذَّة،[1] فهي، أي: "ما" موصولة أو استفهاميّة، فإذا كانت موصولة فالتقدير: أن يضرِب الذي هو بعوضة مثلًا، فحذف صَدْر الصلة الذي هو عائدٌ، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ﴾ [الأنعام ١٥٤/٦]، أي: هو أحسن.

قوله: **(ووجه آخر)**، أي: وهنا وجه آخر لقراءة الرفع في "بعوضة"، وهو: أن تكون "ما" استفهاميّة، فتكون "ما" مبتدأ، "بعوضة" خبره.

قوله: **(لمّا استنكفوا)** هذا تقريرُ وجه الاستفهام، فإنّه لمّا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلًا﴾، فكأنّه قال بعده: ما بعوضةٌ فما فوقها حتّى يضرِب الله المَثَل به؟ دَعْها واتركها عن نظرك، فإنّ له تعالى أن يتمثّل بما هو أقلّ من ذلك بكثير. كما يقال: **(فلان لا يُبالي بما وهَب، ما دينار وديناران؟)**، أي: يهَب ما هو أكثرُ من ذلك.

قوله: **(بَلْهَ)** اسم فعل بمعنى: دَعْ. نصَب **(البعوضةَ)**، ويجوز جرّ "البعوضة" بأن تكون "بَلْهَ" مصدرًا مضافًا. قال في **المُفصَّل**: بَلْهَ على وجهين: اسم فعل، ومصدر بمعنى التَّرْك، يضاف فيقال: بَلْهَ زيدٍ، كأنّه قيل: تَرْكَ زيدٍ.[2] وأنشد أبو عُبيد:

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن الأصمعي عن نافع، ومالك بن دينار، والجَحدري، وأبان بن تغلب، ورؤبة بن العجّاج. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٢؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٥٦؛ **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٣٩٦.

[2] ويكون "بَلْهَ" اسمًا مُرادفًا لـ"كيف" فيرتفع ما بعده على الابتداء، وجوّز الأخفشُ في "بَلْهَ" أن يكون حرف جرّ. انظر لتفصيل تلك الوجوه: **شرح المُفصَّل** لابن يعيش، ٤٨/٤-٤٩؛ **وارتشاف الضَّرَب** لأبي حيّان الأندلسي، ١٥٥٤/٣-١٥٥٥؛ **ومغني اللبيب** لابن هشام، ٢٠٤/٢-٢٠٨.

والمعنى: إنَّ لله أن يتمثَّل للأنداد وحقارةِ شأنِها بما لا شيء أصغرُ منه وأقلُّ؛ كما لو تمثَّل بالجزء الذي لا يتجزَّأ، وبما لا يُدركه لتناهيه في صغره إلَّا هو وحدَه بلُطفه، أو بالمعدوم كما تقول العربُ: فلانٌ أقلُّ مِن لا شيءٍ في العَدَد، ولقَدْ ألَمَّ به قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٍ﴾ [العنكبوت ٤٢/٢٩].

وهذه القراءةُ تُعْزَى إلى رؤبَةَ بن العجَّاج، ....

تَـذَرُ الجماجم ضاحيًا هاماتُها بَلْهَ الأكفّ كأنّها لم تُخلَقِ[1]

منصوبًا ومجرورًا.[2] والبيت لكعب بن مالك يصِف السيوف.[3] والجماجم: / جَمْع جُمجُمة الرأس، أي: تتركُها السُّيوفُ عاريًا هاماتها عن الجلد واللحم؛ [١٣٤و] بأن يُذهِبهما عنها، اترُكِ الأكفَّ، فكأنّها لم تُخلَق، أي: تُذهِبها بالكُليّة.

قوله: **(وبما لا يُدرِكه)** عطف على قوله: **(بما لا شيء)**.

قوله: **(أو بالمعدوم)** عطفٌ على "بما لا شيء".

قوله: **(أقلّ مِن لا شيء في العدد)**، المراد بالقِلّة في العدد: قِلّة توابعهم ومُتعلَّقاتهم. ويجوز جرُّ "شيء" بـ"مِن" فـ"لا" حينئذٍ تكون زائدة لفظًا لا معنًى، ويجوز فتحها فتكون "لا" غير زائدة لا لفظًا ولا معنى، وقد مرَّ تقريره في آخر "الفاتحة". والإلمام: النزول يقال: **(ألَمّ به)**، أي: نزل به، يعني: نزل بهذا المعنى مِن التمثيل بالمعدوم؛ لأنّه نفى كون مَدعوِّهم شيئًا.[4] و"ما" في قوله: (**﴿مَا يَدۡعُونَ﴾** [العنكبوت ٤٢/٢٩]) للنفي.

قوله:[5] **(وهذه القراءة)**، أي: برَفْع "بعوضة". **(تُعزى)**، أي: تُنسَب.

---

[1] البيت -كما ذكر المُصنِّف بعده- لكعب بن مالك رضي الله عنه في **ديوانه**، ص ٢٤٥، والرِّواية فيه «فترى» مكان «تَذَرُ». وهو له في **غريب الحديث** لأبي عُبيد، ٢٣٦/١؛ و**تهذيب اللغة** للأزهري، «بله»، ٣١٣/٦؛ و**الصحاح** للجوهري، «بله»؛ و**الفائق** للزمخشري، ١٢٧/١. وهو فيها جميعًا بالرِّواية التي ساقها المُصنِّف.

[2] انظر: **المُفصَّل** للزمخشري، ص ١٩٦.

[3] انظر: **غريب الحديث** لأبي عُبيد، ٢٣٦/١؛ و**تهذيب اللغة** للأزهري، «بله»، ٣١٣/٦؛ و**الصحاح** للجوهري، «بله».

[4] ن - شيئًا.

[5] ن - قوله.

وهو أمْضَغُ العرب للشِّيح والقَيْصوم، المشهودُ له بالفصاحة، وكانوا يُشَبِّهون به الحَسَنَ، وما أظنُّه ذهبَ في هذه القراءة إلا إلى هذا الوجه وهو المطابقُ لفصاحتِه.

وانتصب ﴿بَعُوضَةً﴾ بأنّها عطف بيانٍ لـ﴿مَثَلًا﴾، أو مفعولٌ لـ﴿يَضْرِبَ﴾ و﴿مَثَلًا﴾ حالٌ عن النكرة مقدَّمَةٌ عليه، أو انتصبا مفعولين فجرى ﴿ضَرَبَ﴾ مَجرَى جَعَل.

واشتقاقُ البعوض من البَعْض وهو القطعُ؛ كالبَضْعِ والعَضْب، يقال: بَعَضَه البَعوضُ، وأُنشد:

قوله: (أمضَغُ)، يريد أنّه بدويٌّ.[١] و(الشِّيح والقَيْصوم) مِن نَبْت[٢] البادية.

قوله: (يُشبِّهون به الحَسَن) البَصريَّ في الفصاحة.

قوله: (إلى هذا الوجه)، أي: الاستفهاميّ.

قوله: (أو انتصبا)، يعني: ﴿مَثَلًا﴾، و﴿بَعُوضَةً﴾. وقيل: فيه بُعْد لنُدرة مجيء مفعولي[٣] "جعَل" وأمثاله نكرتين.

قوله: (كالبَضْع)، أي: «جميع المستعمل مِن "ب ع ض" وتعكيسه يشمَله معنى القطع والبينونة».[٤]

قوله: (بعَضَه)، أي: قطَعه وعضَّه. وهو من عجائب خَلْق الله تعالى،[٥] فإنّه صغير جدًّا، وخُرطُومه في غاية الصِّغَر، ومع فَرْط صِغَره يغوص في جِلْد الفيل والجاموس، كما يضرِب[٦] الرجُلُ إصبَعه في الخبيص؛ وذلك لِما ركَّب الله تعالى في خُرطُومه مِن السَّمّ.[٧] قال الشاعر:

---

١ ن: يروى.

٢ ن: بيت.

٣ ن: مفعول.

٤ تفسير الكواشي، ص ٢٠٧ (البقرة، ٢٦).

٥ د ش - تعالى.

٦ ن: يضر.

٧ الكلام بتصرُّف يسير في تفسير الرازي، ١٤٨/٢ (البقرة، ٢٦/٢).

لَـنِـعْـمَ الـبـيـتُ بـيـتُ أَبِـي دِثَــارِ   إِذَا مَـا خَـافَ بعضُ الـقـومِ بَعضَـا

ومنه: بعضُ الشيء؛ لأنه قِطْعَةٌ منه، والبعوض في أصله صفةٌ على فَعُول كالقَطُوع فغَلَبت، وكذلك الخَمُوش.

﴿فَمَا فَوۡقَهَا﴾ فيه معنيان:

أحدهما: فما تجاوَزَها وزاد عليها في المعنى الذي ضُربت فيه مثلًا وهو القِلَّةُ

(لَـنِـعـمَ الـبـيـت بـيـتُ أبـي دِثــارِ   إذا ما خـاف بعضُ القـوم بعضا)[1]

"أبو دِثار": كِلَّة[2] البعوض،[3] يُكْنى به، أي: ظهوره بالليل، ومنه الدِّثار: ما كان مِن الثياب فوق الشِّعار.[4] وقيل: لدُروسه بالنهار. والدُّثور: الدُّروس. أي: نِعَم البيت الكِلَّة في ليالي الصيف، إذا خاف بعض القوم بعضَ البعوض، أي: قَطْعه وعضَّه.

قوله: **(ومنه)**، أي: ومِن البعض بمعنى: القَطْع **(بعضُ الشيء)**؛ لأنّ بعضَ الشيء قطعة منه. وقيل: سُمِّيت بعوضةً؛ لأنّها كأنّها بعض البَقّ؛ لصغرها.[5] و**(الخَموش)** بفتح الخاء: البَعوض، لُغة هُذيل. وهو من قولك: خمَش وجهه خُموشًا، أي: خدَشه.[6]

قوله: **(فما تَجاوَزها)**، أي: ما[7] تجاوَز البعوضة وزاد على البعوضة، في المعنى الذي ضُرِبت البعوضة في ذلك المعنى مثلًا، وذلك المعنى **(هو القِلّة)**.

---

[1] ما عرفت قائله. وهو بلا نسبة في **الفاضل** للمُبرِّد، ص ٤٤٨؛ و**ثمار القلوب** للثعالبي، ص ٢٤٦؛ و**كنايات الأدباء وإشارات البلغاء** للقاضي أبي العبّاس الجرجاني، ص ٢٩٦؛ و**المُحرَّر الوجيز** لابن عطيّة، ١/١٥٦ (البقرة، ٢/٢٦)؛ و**الدُّرّ المَصون** للسّمين الحلبي، ١/٢٢٦ (البقرة، ٢/٢٦). وحُرِّفت عبارة «أبو دثار: الكِلّة» إلى "أبو دثار الكلبي" في طبعة قديمة لكتاب **كنايات الأدباء**؛ فنُسِب البيت إلى "أبي دثار الكلبي" عند مُحقِّق **الفاضل**، ومُحقِّقي **المُحرَّر الوجيز**، وصانع ديوان بني كلب بن وبرة، ٢/٧٩٤. ولا أبا دِثار الكلبي ههنا.

[2] ن: كنية.

[3] انظر لتفصيل ذلك: **ثمار القلوب** للثعالبي، ص ٢٤٦.

[4] الشِّعار: ما وليَ شَعر جسَد الإنسان دون ما سواه من الثياب، والجمع أَشْعِرة وشُعُر. **لسان العرب** لابن منظور، «شعر».

[5] انظر هذا المعنى في **النُّكت والعيون** للماوردي، ١/٨٧ (البقرة، ٢/٢٦)؛ و**البسيط** للواحدي، ٢/٢٧٤ (البقرة، ٢/٢٦)؛ و**معالم التنزيل** للبغوي، ١/٧٧ (البقرة، ٢/٢٦). وذكر الجوهري أنّ البعوض هو البقّ لكنّه لم يذكر الاشتقاق المذكور ههنا. انظر: **الصحاح**، «بعض».

[6] انظر: **الصحاح** للجوهري، «خمش».

[7] ن – ما.

والحَقارةُ؛ نحو قولك -لمن يقول: فلان أسْفلُ الناس وأنْذَلُهم-: هو فوقَ ذاك، تُريد هو أبلغُ وأعْرقُ فيما وُصف به من السَّفالة والنَّذالةِ.

والثاني: فما زاد عليها في الحجم؛ ....

و(**النَّذالة**): السَّفالة. يعني: أراد فما فوقها في الصِّغَر، أي: ما هو أصغر منها. قال الإمام:

> والمُحقِّقون مالوا إلى هذا القول؛[١] لوجوه: **الأوّل**: أنّ القصد من هذا التمثيل تحقير الأوثان، فكلّما كان المُشبَّه به أشدَّ حَقارة كان المقصود في هذا الباب أكمَلَ حصولًا؛[٢] **الثاني**: الغرض بيانُ أنّ الله تعالى لا يَمتنِع من التمثيل بالشيء الحقير، وفي مِثْل هذا الموضع يجب أن يكون المذكور[٣] ثانيًا أشدَّ حَقارة مِن الأوّل، يقال: إنّ فلانًا لَيتحمّل الذُّلّ في اكتساب الدينار، بل في اكتساب ما فوقه، يعني: في القِلَّة؛ لأنّ تحمُّل الذُّلّ في اكتساب أقلَّ مِن الدينار أشدُّ مِن تحمُّله في اكتساب الدينار؛ **الثالث**: أنّ الشيء كلّما كان أصغر كان الاطلاع على أسراره أصعَب، فإذا كان في نهاية الصِّغَر لم يُحِط به إلّا عِلم الله تعالى، فكان التمثيل به أقوى في الدلالة على كمال الحِكمة من التمثيل بالشيء الكبير.[٤]

قوله: (**والثاني**)، أي: المعنى **الثاني** أن يكون المراد: فما هو أعظم منها في الجُثّة، كالذُّباب / والعنكبوت والكلب والحمار، فإنّ القوم أنكروا تمثيل الله [١٣٤ظ]
تعالى[٥] بكلّ هذه الأشياء.

---

[١] في قول الإمام ههنا تجوُّزٌ؛ فالذين مالوا إلى هذا القول، وهو ما فوق البعوضة في الصِّغَر -فيما وقفتُ عليه- أبو عبيدة في **مجاز القرآن**، ١/٣٥؛ وابن قتيبة في **تأويل مشكل القرآن**، ص ١٩٠؛ و**أدب الكاتب**، ص ٢١١. وضعّفه ورجّح خلافه، وهو ما زاد على البعوضة في العِظَم، الفرّاءُ في **معاني القرآن**، ١/٢٠-٢١؛ والطبري في **تفسيره**، ١/٤٣٠ (البقرة، ٢/٢٦)؛ واكتفى الواحدي بذكر الوجه الأخير في **الوسيط**، ١/١٠٨ (البقرة، ٢/٢٦). ومن العلماء من ذكَر الوجهين من غير ترجيح، وذلك في **معاني القرآن** للأخفش، ١/٥٩؛ و**معاني القرآن وإعرابه** للزّجّاج، ١/١٠٤؛ و**النُّكت والعيون** للماوردي، ١/٨٨ (البقرة، ٢/٢٦)؛ و**البسيط** للواحدي، ٢/٢٧٥-٢٧٦ (البقرة، ٢/٢٦)؛ و**معالم التنزيل** للبغوي، ١/٧٧ (البقرة، ٢/٢٦).

[٢] ن - حصولًا.

[٣] ن - المذكور.

[٤] **تفسير الرازي**، ٢/١٤٨-١٤٩ (البقرة، ٢/٢٦).

[٥] ش - تعالى.

كأنّه قصَد بذلك ردَّ ما استَنْكروه من ضَرْب المثَلِ بالذباب والعنكبوت لأنّهما أكبرُ من البعوضة؛ كما تقول لصاحبك وقد ذمَّ مَن عرفتَه يَشحُ بأدْنَى شيءٍ -فقال: فلانٌ بَخِلَ بالدرهم والدرهمين-: هو لا يُبالي أنْ يَبْخلَ بنصف درهم فما فوقه، تُريد بـ"ما فوقه": ما بُخِّل فيه وهو الدرهم والدرهمان؛ كأنَّك قلتَ: فَضْلًا عن الدِّرهم والدِّرهمين.

قوله:[١] (كأنّه)، أي: كأنّ الله تعالى.

قوله: (بذلك)، أي: بقوله: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ مُشيرًا إلى التمثيل بما زاد عليها في الحجم.

قوله: (ردَّ)[٢] منصوب؛ لأنّه مفعول (قصَد)، وهو مصدر مضاف إلى مفعوله، وهو (ما استنكروه).

قوله: (مِن ضَرْب المثل) بيان "ما".

قوله: (لأنّهما) مُتعلِّق بـ"قصَد".

قوله: (كما تقول)، أي: هذا كما تقول.

قوله: (وقد ذمَّ مَن عرفتَه يَشُحُّ بأدنى شيء)[٣] حالٌ مِن (صاحبك). وفي "ذمَّ" ضمير يرجع إلى "صاحبك". و"مَن عرفتَه" مفعول "ذمَّ". و"يَشُحُّ بأدنى شيء" حالٌ مِن مفعول "عرفتَ". وقيل: يشُحُّ مفعول "عرفتَ"؛ لأنّه بمعنى: علمتَه. وفيه بحث. ولا يبعُد أن يقال: "يشُحُّ" بدل مِن الضمير المنصوب في "عرفتَه"، وأصله: أن يشُحَّ، أي: شُحَّه، ثُمّ حُذِف "أنْ".

قوله: (فقال) عطفٌ على "ذمَّ"، ففيه ضمير "صاحبك". و(فلان بَخِل)[٤] مَقُول "قال". و"فلان" كناية عمَّن عرفتَه.

قوله: (هو لا يُبالي) إلى قوله: (فوقه) مَقُول "تقول".

قوله: (وهو) عائد إلى "فلان".

---

١ ن - قوله.
٢ ن - ردّ.
٣ ن - شيء.
٤ ن - بخل.

ونحوُه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مُسلم عن إبراهيم عن الأسود قال: دَخَلَ شَبَابٌ من قريشٍ على عائشةَ رضي الله عنها وهي بمنًى وهم يَضْحكون، فقالت: ما يُضحِكُكُم؟ قالوا: فلان خرَّ على طُنُبِ فُسْطاطٍ فكادَتْ عينُه أو عنقُه أن تَذْهبَ، فقالت: لا تضحكوا، ....

قوله: **(تُريد)** حالٌ من الضمير في "تقول" أو جُملة مُستأنَفة مُبيِّنة، أي: تُريد بقولك: **(ما فوقه)** الشيءَ الذي **(بُخِّل)** فلان، أي: نُسِب إلى البخل في ذلك الشيء. قال الإمام:

> احتجَّ مَن ذهب إلى هذا القول بأن لفظ "فوق" يدلُّ على العلوّ، فإذا قيل: "هذا فوق ذاك" فإنّما معناه أنّه أكبر[1] منه؛ رُوِيَ أنّ رجُلًا مدح عليًّا رضي الله عنه[2] -والرجل مُتَّهمٌ فيه-[3] فقال: أمير المؤمنين: «أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك»،[4] أراد بهذا: أعلى ممّا في نفسك. والجواب: أنّ كلّ شيء كان ثُبوت صفة فيه أقوى مِن ثبوتها في شيء آخر كان ذلك الأقوى فوق الأضعف في تلك الصفة، يقال: إنّ فلانًا فوق فلان في اللُّؤم والدناءة، أي: هو أكثر لؤمًا ودناءة منه، فكذا إذا قيل: هذا فوق ذلك في الصِّغَر وجب أن يكون أكثر صِغَرًا منه.[5]

قوله: («**شَباب**»): جمع شابّ.[6] و(«**مِنى**»): موضع بمكّة. قال في **الصحاح**: هو مُذكَّر، وقد يُصرَف.[7] والطُّنُب: حبل الخِباء، والجمع أطناب، والطُّنُب أيضًا: عِرق الشجر؛[8] ولاشتراكه أضافه المُصنِّف إلى («**فُسطاط**»): وهو بيت مِن شَعَر.

قوله: («**عُنُقه**»)، أي: عُنُق فلان، والعُنُق يُذكَّر ويُؤنَّث.

قوله: («**أو عينه**»)[9] تردُّد للراوي.[10]

---

١ ن: أكثر.

٢ د - رضي الله عنه.

٣ ن - فيه.

٤ مضى بتخريجه في تفسير سورة البقرة، ٢٣/٢. والخبر هنا أقرب إلى ما في المصادر ممّا نقله المُصنّف هناك، وعلّقتُ هناك على ما وقع فيه.

٥ انظر: **تفسير الرازي**، ١٤٩/٢ (البقرة، ٢٦/٢).

٦ ن - جمع شابّ.

٧ انظر: **الصحاح** للجوهري، «منا».

٨ انظر: **الصحاح** للجوهري، «طنب».

٩ في مطبوع **الكشّاف**: عينُه أو عنقه. | وما أورده الجاربردي مطابق لِما جاء فيما راجعته من أصول الكشّاف.

١٠ ن: الراوي.

إني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما مِن مسلمٍ يُشاكُ شَوْكةً فما فوقَها إلّا كُتِبتْ له بها درجَةٌ ومُحِيَتْ عنه بها خطيئةٌ»، يحتمِلُ: فما عَدَا الشَّوْكةَ وتجاوزَها في القِلَّة، وهي نحوُ «نَخْبَةِ النَمْلةِ» في قوله عليه الصلاة والسلام: «ما أصاب المؤمِنَ من مكروهٍ فهو كفَّارةٌ لخطاياه حتى نَخْبَةُ النملة» وهي عضَّتُها، ويحتمِل ما هو أشدُّ من الشوكة وأوْجعُ؛ كالخُرور على طنُب الفُسْطاط.

فإن قلتَ: كيف يُضرب المثلُ بما دون البعوضة وهي النهايةُ في الصغَر؟

قلتُ: ليس كذلك، ....

قوله عليه السلام: («**شوكةً**»)، أراد المعنى لا العين، وهو المَرّة مِن "شاك"، ولو أراد العين لقال: "بشوكة"، يُؤيِّد[1] ما ذكرنا قول المُصنِّف: (**نحو نَخْبَة**[2] **النملة**) في تفسير ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾، فالشوكة هنا مرّة للمصدر، نحو نَخْبَة النملة. وقد تكون الشوكة العين، أي: واحدة الشَّوك.[3] «الأصمعي: يقال شاكتني الشوكة تَشُوكني إذا دخلتْ في جسده».[4]

قوله: («**إلّا كُتِبت**»)،[5] استثناء مُفرَّغ: إمّا حال، أي: يُشاك في حال من الأحوال إلّا في هذه الأحوال؛ وإمّا صفة "شوكة"، أي: شوكة مُتَّصفة بصفة[6] من الصفات، إلّا بهذه الصفة.

"النَّخْبَة" بالنون والخاء والباء: العضّة، يقال: نَخَبت النملة إذا عضّت.[7] و(**الخُرور**): السقوط.

---

[1] ن: يريد.

[2] ضُبطت هذه اللفظة في د وفيما وقفتُ عليه من أصول **الكشّاف** بفتح النون، وضُبطت في بعض كتب اللغة وغريب الحديث بضمّ النون. انظر: **الغريبين** للهروي، ١٨١٧/٦؛ و**النهاية في غريب الحديث** لابن الأثير، ٣٣/٥؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «نخب». غير أنّهم ما ضبطوها ضبط عبارة إلّا ما نقله الهروي عن شمر في قوله: «النُّخْبة... وهو مثل النُّتْفة».

[3] ن: الشوكة.

[4] **الصحاح** للجوهري، «شوك». وانظر: **تهذيب اللغة** للأزهري، «شوك»، ٣٠٢/١٠.

[5] الحديث في **مسند أحمد**، ٢٤٨/٤٢-٢٤٩ (٢٥٤٠٣)؛ و**صحيح مسلم**، ١١٩٧/٢ (٢٥٧٢)، وفيه بتمامه ولفظه.

[6] ن - بصفة.

[7] من قوله: "النخبة" إلى هنا عن شَمِر بلفظ جِدّ قريب في **الغريبين** للهروي، ١٨١٨/٦.

فإنّ جناحَ البعوضة أقلُّ منها وأصغرُ بدرجات، وقد ضربَه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلًا للدنيا، وفي خَلْقِ الله حيوانٌ أصغرُ منها ومن جناحها، رُبَّما رأيتَ في تضاعيف الكتب العتيقة دُوَيْبَّةً لا يكاد يُجَلِّيها للبصر الحادِّ إلّا تحرُّكُها، فإذا سكنتْ فالسُّكونُ يُواريها، ثم إذا لَوَّحْتَ لها بيدك حادَتْ عنها وتَجنبَتْ مَضرَّتَها، فسبحانَ الله مَن يُدرك صورةَ تلك وأعْضاءَها الظاهرةَ والباطنةَ، وتفاصيلَ خِلْقَتِها، ويُبصر بَصَرها ويطَّلع على ضميرها، ولعلَّ في خَلقه ما هو أصغرُ منها وأصغر: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يس ٣٦/٣٦] ....

قوله: (**وقد ضرَبه**)، أي: الجناح، قال عليه السلام: «لو كانت الدنيا تَزِنُ عند الله جناحَ بعوضة لَمَا[١] سقى كافرًا منها شَربة ماء».[٢]

قوله: (**وفي خلق الله تعالى[٣] حيوانٌ**) عطفٌ على قوله: (**فإنّ جناح البعوضة**).

قوله: (**ربّما رأيتَ**) جملة مُبيِّنة لقوله: (**وفي خَلْق الله**). و(**تضاعيف الكتب**): أوساط أوراقه. و"العتيق": خِلاف الجديد. و"الدُّوَيْبّة" بسكون الياء وتشديد الباء: تصغير دابّة. و"جلّى" الشيء: كشَفه. «و"حدُّ" كلّ[٤] / شيء:[٥] شَباته».[٦] يقال: سيف حادٌّ إذا كان قطّاعًا، وبصَر حادٌّ، ومنه أحدَّ البصرَ. [١٣٥و]

قوله: (**تحرُّكها**)، أي: تحرك الدُّوَيْبّة. و"المُواراة": الإخفاء. ألاح بثوبه و"لوَّح" به إذا لمع[٧] به،[٨] يعني: يرفعه ويُحرِّكه ليلوح للناظر. (**حادَت**)، أي: مالَت الدُّوَيْبّة عن يدك.

قوله: (**مضرَّتَها**)، أي: مَضرَّة اليد، أو الدُّوَيْبّة.

---

١ ن: ما.

٢ **المُصنَّف** لابن أبي شيبة، ٦١/١٩-٦٣ (٣٥٤٦٥)؛ **المعجم الكبير** للطبراني، ١٥٧/٦ (٥٨٤٠)؛ **شعب الإيمان** للبيهقي، ٧٩/١٣ (٩٩٨١)، بلفظ «تعدِل» مكان «تزن» في الأخير. وانظر: **تخريج أحاديث الكشّاف** للزَّيلعي، ٥٨/١.

٣ ن – تعالى.

٤ ن – كلّ.

٥ ن: الشيء.

٦ **الصحاح** للجوهري، «حدد».

٧ ن: بلغ.

٨ انظر: **الصحاح** للجوهري، «لوح».

وأُنشِدْتُ لبعضهم:

يا مَن يَرَى مدَّ البعوض جَنَاحَها في ظُلمةِ الليلِ البَهيم الألْيَلِ
وَيَرى عروقَ نِياطِها في نحرِها والمُخَّ في تلك العظامِ النُّحَّلِ
اغفِرْ لعبدٍ تابَ من فَرَطاتِهِ ما كان منه في الزَّمانِ الأوَّلِ

و"أمَّا" حرفٌ فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء، وفائدتُه في الكلام: أن يُعطيَه فَضْلَ توكيد، تقول: زيد ذاهبٌ، فإذا قَصَدْتَ توكيد ذلك وأنه لا محالةَ ذَاهب وأنه بصددِ الذَّهاب وأنَّه منه عزيمةٌ قلتَ: أمَّا زيدٌ فذاهبٌ.

ولذلك قال سيبويه في تفسيره: مهما يكن من شيء فزيدٌ ذاهبٌ.

قوله: (**وأُنشِدتُ**)، يقال: استنشدتُ فلانًا شِعرَه فأَنشَدنيه:

(**يا مَن يرى مدَّ البعوض جناحَها في ظُلمة الليل البهيم الألْيَلِ**
ويرى عُروقَ نِياطها في نَحْرها والمُخَّ في تلك العُظام النُحَّلِ
اغفر لعبد تاب عن فرَطاته ما كان منه في الزَّمان الأوَّلِ)[1]

"ليل بهيم": لا ضوءَ فيه إلى الصباح. و"الأليَل" الشديد الظلمة. و"النِّياط" عِرْق عُلِّق به القلب مِن الوتين. والنُّحَّل جمع الناحل:[2] وهو المهزول. والإفراط: مُجاوزة الحدّ، والتفريط: التقصير والتضييع، والفَرَط: الأمر الذي يُفرَّط فيه.[3] يتضرَّع إلى الله تعالى[4] ويدعوه ويقول: يا مَن يرى ما هو أدقُّ الأشياء، وهو يخفى[5] عن الحواسّ، اغفر لعبد تاب مِن ذنوبه ما وُجِد منه في الزمان الأوّل السابق حينَ كان في مَيْعة الشباب وغَفْلة العيش. قوله: "جناحها" مفعول "مدَّ"، وهو مصدر مُضاف إلى الفاعل منصوب بـ"يرى".[6] و"في ظُلمة" ظرف "يرى"، أو "مدَّ".

قوله: (**وأنّه منه**)، أي: أنّ الذهابَ مِن زيد.

قوله: (**في تفسيره**)، أي: في تفسير (**أمّا زيد فذاهب**).[7]

---

١ البيتان الأوليان من قصيدة للزمخشري في ديوانه، ص ٤٩٥، وفيه «مناط عروقها» مكان «عروق نياطها». ولم أقِف عليها لغير الزمخشري فيمن سبقه.
٢ ن: ناحل.
٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «فرط».
٤ ن: سبحانه.
٥ ن: ويخفى.
٦ ن - بـ"يرى".
٧ انظر لتفسير أمثال هذا التركيب كتاب سيبويه، ١٣٧/٣.

وهذا التفسيرُ مُدْلٍ بفائدتين: بَيانِ كونه توكيدًا، وأنَّه في معنى الشرطِ، ففي إيراد الجملتين مصدَّرتَين به -وأن لم يُقَل: فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون- إحْمادٌ عَظِيمٌ لأمرِ المؤمنين، واعتدادٌ بعلمهم أنَّه الحقُّ، ونَعْيٌ على الكافرين إغفالَهم حظَّهم وعنادَهم ورميَهم بالكلمةِ الحَمقَاءِ.

والحقُّ: الثابتُ الذي لا يَسُوغُ إنكارُه، يقال: حَقَّ الأمرُ: إذا ثبتَ ووجبَ، و﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [غافر ٤٠/٦]، وثَوْبٌ محقَّقٌ: مُحْكَمُ النَّسج.

قوله: (مُدْلٍ)، أي: مُعْطٍ، يقال: أدلى بماله إلى الحاكم: دفعه إليه، وقوله تعالى: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ [البقرة ٢/١٨٨]، يعني: الرشوة.[١]

قوله: (بيان)، أي: الأُولى: "بيان"، والثانية: (أنّه).[٢]

قوله:[٣] (ففي إيراد) خبر، مبتدأه (إحمادٌ)، والإحماد: النسبة إلى الحَمْد، بأن يقال: هو[٤] محمود.

قوله: (وأنْ لم يقل) عطف على "إيراد".

قوله: (أنّه الحقّ) مفعول "عِلْمهم". و"النعيّ" مصدر كالنكير، يقال: نعى على فلان، أي: أشاع عليه مثالبه. و(إغفالهم) مفعول (نعي). و(حظَّهم) مفعول "إغفالهم"، يقال: أغفلتُ الشيء، أي: تركتُه على ذُكْر منّي. و(عِنادهم ورَميهم) عطفٌ على "إغفالهم". و(الكلمة الحمقاء): هي[٥] التي لا يقولها إلّا الأحمق، والأحمق قائله، ففي الإسناد مجاز.

والحقُّ: خِلاف الباطل، وهو: الموجود الثابت ظاهرًا وباطنًا في الحسِّ والعقل، بحيث لا يَسوغ إنكاره. والباطل: هو الموجود ظاهرًا المعدوم منفعة[٦] وباطنًا.[٧]

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «دلو».

٢ ن: أي.

٣ ن - قوله.

٤ ن - هو.

٥ ن: وهي.

٦ هامش د ش: خ [اختصارًا من: وفي نسخة]: حقيقة؛ هامش ش: ظ [اختصارًا من الظاهر]: حقيقة؛ هامش ش: نخ [اختصارًا من: وفي نسخة]: خفية.

٧ انظر للكلام على تعريفهما: **كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم** للتهانوي، ١/٦٨٢-٦٨٤.

و﴿مَاذَا﴾ فيه وجهان: أن يكون "ذا" اسمًا موصولًا بمعنى الذي، فيكون كلمتين. وأن تكون "ذا" مركبةً مع "ما" مجعولتَين اسمًا واحدًا، فيكون كلمةً واحدةً.

فهو على الوجه الأول مرفوعُ المحلِّ على الابتداء وخبرُه "ذا" مع صلته، وعلى الثاني منصوب المحلِّ في حُكم "ما" وَحْده لو قلتَ: "ما أراد اللهُ".

والأصْوبُ في جوابه: أن يجيءَ على الأوَّل مرفوعًا وعلى الثاني منصوبًا؛ ليطابقَ الجوابُ السؤالَ، وقد جوَّزوا عكسَ ذلك؛ كما تقول في جواب مَن قال: "ما رأيتَ؟": خيرٌ؛ أي: المرْئيُّ خيرٌ، وفي جواب: "ما الذي رأيتَ؟": خيرًا؛ أي: رأيتُ خيرًا.

وقُرئَ قولُه تعالى: ﴿ويسألونكَ ماذا ينفقون قلِ العفو﴾ بالرفع والنصب على التقديرين.

والإرادةُ: نقيضُ الكراهة، وهي مصدرُ أردتُ الشيءَ: إذا طلبَتْه نفسُك ومَالَ إليه قلبُك.

وفي حدود المتكلِّمين: الإرادةُ معنًى يوجبُ لِلْحيِّ حالًا لأجْلها يقعُ منه الفعل على وَجْهٍ دون وَجْهٍ.

قوله: (**والإرادة: نقيض الكراهة**) إلى قوله: (**قلبك**)، هذا بحسب اللغة. ومنه أراده على الأمر، أي: حَمَله عليه وطلَبه منه.

قوله: (**وفي حدود المُتكلِّمين**)... إلخ، هذا شروع في بيان معناها الاصطلاحي. قال الإمام:

> الإرادة: ماهيّة يجِدها العاقل من نفسه ويُدرِك التفرقة البديهيّة بينها وبين عِلمه وقُدرته وألمه ولذّته، وإذا كان الأمر[1] كذلك لم يكن تصوُّر ماهيّتها مُحتاجًا إلى التعريف.[2] وقال المُتكلّمون: إنّها صفة تقتضي رُجحان أحد طرفي الجائز على الآخر لا في الوقوع بل في الإيقاع. واحترزنا بهذا القيد الأخير عن القدرة. واختلفوا في معنى كونه تعالى مُريدًا، مع اتّفاق المُسلمين على إطلاق هذا اللفظ على الله تعالى: قال النجّار:

---

[1] ن - الأمر.

[2] انظر لتفصيل الكلام على تعريف الإرادة: شرح المقاصد للتفتازاني، ٢/٣٣٧-٣٤٠.

وقد اختلفوا في إرادة الله:

فبعضُهم: على أنَّ للباري مثلَ صفةِ المُريدِ منّا التي هي القصدُ، وهو أمرٌ زائد على كونه عالمًا غيرَ ساهٍ.

وبعضُهم: على أن معنى إرادته لأفعاله: هو أنه فعَلَها وهو غيرُ ساهٍ ولا مُكرَهٍ، ومعنى إرادتِهِ لأفعال غيره: أنه أمرَ بها.

والضمير في ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ للمَثَل، أو لـ﴿أَن يَضْرِبَ﴾.

وفي قولهم: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ استرْذالٌ واستحقارٌ؛ كما قالت عائشةُ رضي الله عنها في عبد الله بن عَمرو بن العاص: يا عجبًا لابن عمرٍو هذا.

إنّه معنى سلبيّ، ومعناه أنّه غير مغلوب ولا مُستكرَه.[١] ومنهم مَن قال: إنّه أمر ثبوتيّ، وهؤلاء اختلفوا: فقال الجاحظ والكعبيُّ وأبو الحسين[٢] البَصريّ: معناه: عِلمُ / الله تعالى باشتمال الفعل على المَصلحة أو المَفسدة، ويسمُّون هذا العلم بالداعي والصارف؛[٣] وقال أصحابنا وأبو عليّ وأبو هاشم وأتباعهما: إنّه صفة زائدة على العِلم، ثمّ القسمة في تلك الصفة أنّها: إمّا أن تكون قديمًا، وهو قول الأشعريّة؛ أو مُحدَثًا، وذلك المُحدَث: إمّا أن يكون قائمًا بالله تعالى، وهو قول الكرّاميّة؛ أو قائمًا بجسم آخر، وهذا القول لم يقُل به أحد؛ أو يكون موجودًا لا في محلّ، وهو قول أبي عليّ وأبي هاشم وأتباعهما.[٤] [١٣٥ظ]

قوله: («يا عجبا»)[٥] مِثل "يا حسرتا"،[٦] أي: يا حسرتي. قالت عائشة ذلك حين أفتى عبد الله بن عمرو بن العاص بنَقْض ذوائب النساء في الاغتسال. و"الغثّ": ضدّ السَّمين.

---

١ انظر لقوله والردّ عليه: الإرشاد للجويني، ص ٦٣، ٦٧-٦٨؛ وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبّار، ص ٤٤٠-٤٤٧؛ وشرح المقاصد للتفتازاني، ١٣٢/٤-١٣٤.

٢ ن: الحسن.

٣ انظر لقول الكعبي وتفصيل الردّ عليه: الإرشاد للجويني، ص ٦٤-٦٦. وانظر لبقيّة الأقوال: شرح المقاصد للتفتازاني، ١٣٣/٤-١٣٥.

٤ انظر: تفسير الرازي، ١٤٩/٢-١٥٠ (البقرة، ٢٦/٢).

٥ مضى الحديث بتخريجه في تفسير سورة البقرة، ٢٣/٢.

٦ ن: يا حزنا.

و﴿مَثَلًا﴾ نصبٌ على التمييز؛ كقولك لمن أجابَ بجوابٍ غَثٍّ: ماذا أردتَ بهذا جوابًا؟ ولمن حَمَل سلاحًا رديًّا: كيف تَنتفعُ بهذا سلاحًا؟ أو على الحال كقوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف ٧/٧٣].

وقوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ جارٍ مجرَى التفسير والبيان للجملتين المصدَّرتَين بـ"أمّا"، وأنَّ فريقَ العَالِمين بأنّه الحقُّ وفريقَ الجاهلينَ المستهزِئين به كلاهما موصوفٌ بالكثرة، وأن العلم بكونه حقًّا من باب الهدى الذي ازدادَ به المؤمنون نورًا إلى نورهم، وأنَّ الجهلَ بحُسنِ مَورده من باب الضَّلالة التي زادت الجهلةَ خَبْطًا في ظَلْمائهم.

فإن قلتَ: لم وُصف المهديُّون بالكثرة والقِلَّةُ صفتُهم: ....

قوله: **(وأنّ)** عطفٌ على قوله: **(للجملتين)**.[١]

قوله: **(فريقَ العالِمين)**، أي: الفريق العالِمين، فهو من إضافة العامّ إلى الخاصّ.

قوله: **(بأنّه)** مفعول "العالِمين"، أي: العالِمين بحقيّة هذا المَثَل.

قوله: **(كلاهما)**... إلخ، خبر "أنّ"، و**(مِن باب)** خبر "أنّ".

قوله: **(نورًا)** تمييز. و"الظلماء": الظُّلمة.

قوله: **(والقِلّة صفتهم؟)** حال، أي: لِمَ وُصِفوا بالكثرة، والحال أنّهم قليلون؟ واستشهد على قِلّتهم. قال الهَرويُّ في **الغَريبين**: «في الحديث: 'الناس كإبل مئة ليس فيها راحلة'».[٢] ثمّ قال: قال القُتيبيُّ:[٣] الراحلة: هي التي يختارها الرجل لركوبه. وقيل: إنّما سُمِّيت راحلة؛ لأنّها تُرحَل،[٤] كما[٥] قال الله تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة ٦٩/٢١]، أي: مَرْضيّة، وكما[٦] قال: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق ٨٦/٦]،

---

١ ن: الجملتين.

٢ **كتاب الغريبين** للهروي، ٣/٧٢٥. والحديث بلفظ قريب في **صحيح البخاري**، ٨/١٠٤ (٦٤٩٨)؛ و**صحيح مسلم**، ٢/١١٨٥-١١٨٦ (٢٥٤٧).

٣ ن: القُتبي. | يعني: ابن قتيبة.

٤ ن + بها.

٥ ن - كما.

٦ ن: وإنّما.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ ١٣/٣٤]، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص ٢٤/٣٨] «الناسُ كإبلٍ مئةٍ لا تَجدُ فيها راحلةً» «وجدتُ الناسَ أُخبُرْ تَقْلِهْ»؟

أي: مَدقُوق.[١] والمُصنِّف أورد الحديث هكذا في **الفائق**: «تجدون الناس كالإبل المئة ليس فيها راحلة».[٢] ثمّ قال: «الراحلة: البعير الذي يَرتحِله الرجُل، جَملًا كانَ أو ناقة. يريد: أنّ المرضيَّ المُستحبَّ في عِزّة وُجوده كالنَّجيبة التي لا تُوجد في كثير من الإبل».[٣] «أراد: أنّ الكامل في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة قليل».[٤] والكاف مفعول ثانٍ؛ لأنّ "وجَد" بمعنى "علِم" يتعدى إلى مفعولين، و"ليس" مع ما في حيّزها في محل النصب على الحال، كأنّه قيل: كالإبل غيرَ موجودة فيها راحلة، أو هي[٥] جملة مُستأنَفة، وهذا أَوْجَه[٦] وأصحُّ[٧] معنى.

قال أبو الدَّرداء رضي الله عنه:[٨] («وجدتُ الناسَ اخبُر تَقْلِه»)،[٩] وتَقْلِه مِن قَلى يقلي: أَبغَض، وهو مجزوم لجواب الأمر، والهاء للسكت. و"اخبر تَقْلِه" مفعول ثانٍ لـ"وجَدتُ" مع أنّه لا يحتمل الصدق والكذب؛ لكونه طلبًا،

---

١ انظر: **كتاب الغريبين** للهروي، ٧٢٦/٣. والكلام كلّه في **تهذيب اللغة** للأزهري، «رحل»، ٥/٥. وقال الأزهري بعده: «غلط ابن قتيبة في شيئين في تفسير هذا الحديث: أحدهما: أنّه جعل الراحلة الناقة، وليس الجمل عنده راحلة. والراحلة عند العرب كلّ بعير نجيب جواد، سواء كان ذكرًا أو أنثى، وليست الناقة أولى باسم الراحلة من الجمل...»، وأورد الهروي هذا الكلام أيضًا.

٢ **الفائق** للزمخشري، ٤٨/٢. وورد الحديث بهذا اللفظ في **تهذيب اللغة** للأزهري، «رحل»، ٥/٥؛ و**كتاب الغريبين** للهروي، ٧٢٦/٣. وهو بهذا اللفظ قريب ممّا في **صحيح مسلم**، ومضى آنفًا.

٣ **الفائق** للزمخشري، ٤٩/٢. وفي مطبوعه «المُنتجَب» مكان «المستحبّ». وصرّح الزمخشري قبل سوق هذا الكلام بأنّه عن الأزهري، وهو بمعناه في **تهذيب اللغة** للأزهري، «رحل»، ٥/٥. قاله في سياق ردّه على ابن قتيبة في معنى الراحلة، وسبق نقله آنفًا.

٤ **كتاب الغريبين** للهروي، ٧٢٦/٣.

٥ ن: وهي.

٦ ن: وجه.

٧ ن: واضح.

٨ د - رضي الله عنه.

٩ الحديث في **كتاب الأمثال** لأبي عُبيد، ص ٢٧٦؛ و**العُزلة** للخطابي، ص ٥٩؛ و**مجمع الزوائد** للهيثمي، ٢٨٤/١٦ (١٣١٤١)، ولفظه فيه «اخبُر تقله». وقال الهيثمي عقِبه: «رواه الطبراني، وفيه أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف». وانظر لتفصيل تخريجه حواشي مُحقِّقه. ونقلَته كتب الأمثال عن أبي عُبيد، انظر: **جمهرة الأمثال** للعسكري، ١٠٥/١؛ و**مجمع الأمثال** للميداني، ٣٦٣/٢؛ و**المستقصى** للزمخشري، ٩٣/١.

قلتُ: أهْلُ الهدى كثيرٌ في أنفسهم، وحين يوصفون بالقلّة إنّما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال، وأيضًا فإن القليل من المهديِّين كثيرٌ في الحقيقة وإن قَلُّوا في الصورة، فسُمُّوا ذهابًا إلى الحقيقة كثيرًا، قال:

إنّ الكِـرَام كثيـرٌ فـي البـلاد وإنْ قَلُّـوا كمـا غيرُهـم قُـلٌّ وإنْ كثُـروا

وإسنادُ الإضلال إلى الله تعالى إسنادُ الفعل إلى السبب؛ لأنه لمّا ضَرَبَ المثلَ فَضلَّ به قومٌ واهتدَى به قومٌ، تسبَّب لضلالهم وهُداهم.

فهو محمول على إضمار القول، أي: وجدتُهم مقولًا فيه هذا القول، ومعناه: ما منهم أحدٌ إلّا وهو مَسخوط بالفعل عند الخِبرة، أي: إذا خَبَرْتَهم[1] قَليتَهم، فأخرج الكلام على لفظ الأمر، ومعناه الخبر.[2] قال:

(إنّ الكرام كثيرٌ في البلاد وإن قَلُّوا كما غيرهم قُلٌّ وإنْ كثُروا)[3]

القُلُّ والقِلَّة: كالذُلّ والذِلَّة، يقال:[4] الحمد لله على القُلّ والكُثْر، وما[5] له قُلّ ولا كُثْر، أي: قليل ولا كثير. و"ما" في "كما" كافّة، يعني: إنّ القليل مِن الكرام كثير في الحقيقة، وإن قلُّوا في الصورة؛ والكثير من اللئام قليل في الحقيقة، وإن كثروا في الصورة. رُويَ عن ابن مسعود رضي الله عنه،[6] في تفسير "السَّواد الأعظم" قال:[7] «هو[8] على الحق».[9] ورفعه إلى النبيّ عليه السلام.

قوله: **(وإسنادُ الإضلال[10] إلى الله تعالى إسنادُ الفعل إلى السبب)** هذا بناء على مذهبه.

قوله: **(لأنّه)... إلخ**، بيان السببيّة.

---

١ ن: أخبرتهم.

٢ من قوله: "قوله: (نورًا) تمييز" إلى هنا في ش لا يكاد الكلام يظهر؛ لسوء التصوير. | كتاب الأمثال لأبي عُبيد، ص ٢٧٦.

٣ البيت لأبي تمّام في شرح ديوانه للتبريزي، ١٨٦/٢.

٤ ن: ويقال.

٥ ن: ما.

٦ د - رضي الله عنه.

٧ ن: إنّه.

٨ ن: الواحد.

٩ لم أجده عن ابن مسعود رضي الله عنه بهذا اللفظ. وانظر لأحاديث "السواد الأعظم": مسند أحمد، ٩٦/٣٢ (١٩٣٥١)؛ والمعجم الكبير للطبراني، ١٧٨/٨-١٧٩ (٧٦٥٩)؛ وسنن البيهقي، ٦٩/١٧-٧٠ (١٦٨٦٥). وله باب في سنن ابن ماجه، ٤٤٠/٥-٤٤٦.

١٠ ن: الأصل.

وعن مالك بن دينارٍ رحمه الله: أنه دَخَل على محبوسٍ قد أُخذ بمالٍ عليه وقُيِّد، فقال: يا أبا يحيى، أمَا ترى ما نحنُ فيه من القيود، فرفع مالكٌ رأسَه فرأى سَلَّةً، فقال: لمن هذه السلَّةُ؟ فقال: لي، فأمرَ بها تُنزَلُ فإذا دَجاجٌ وأخْبِصَةٌ، فقال مالكٌ: هذه وضعتِ القيودَ على رِجْلك.

قوله: **(فقال)**، أي: المحبوس. وأبو يحيى كُنية مالك، فشكا المحبوس إلى مالك.

[١٣٦و] قوله: **(فرفع مالك رأسه)**، أي: نظر إلى جانب / سقفِ البيت. **(فقال)** مالك للمحبوس: (لمَن هذه السَّلّة؟). **(فقال)** المحبوس: هي لي.[١] **(فأمَر)** مالك بإنزال السَّلّة.

قوله: **(تُنزَلُ)**، أصله:[٢] أن[٣] تُنزَلَ، وهو بدل من الضمير المجرور، ثمّ حُذِف "أن" ورُفِع الفعل.

قوله: **(فإذا)** للمُفاجأة، وما بعده مبتدأ محذوفُ الخبر، أي: حاصل أو موجود. و"الأَخبِصة" جمع الخبيص، وهو: نوع مِن الحلاوة.[٤] والغرض من إيراد هذه الحكاية: أنّ مالكًا[٥] أسنَد وَضْع القيد إلى الدَّجاج والأَخبِصة مجازًا.[٦]

اعلم أنّ الوقف على قوله: ﴿مَثَلًا﴾ لازمٌ؛ لأنّه لو وُصِل يُوهِم أنّ ما بعده صفة له، فينتقض المعنى، وليس بصفته، إنّما هو ابتداء إخبار أخبر الله تعالى به جوابًا لهم عن قولهم: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾.[٧]

اعلم أنّ قولنا: "أضلَّه الله" معناه الأصليّ في اللغة أنّه: صيَّره ضالًّا، وليس في اللفظ دلالة على أنّه[٨] صيَّره ضالًّا عن ماذا. وفيه وجهان: **أحدهما**: أنّه صيَّره ضالًّا

---

١ ن – لي.

٢ ن: الصلة.

٣ ن – أن.

٤ د ش ن: الحلاوى. | والحُلاوى: نبت. ولا يلائم المعنى ههنا. انظر لهذه المعاني: لسان العرب لابن منظور، «حلا».

٥ د: مالك.

٦ خبر مالك بن دينار مع المحبوس في **عيون الأخبار** لابن قتيبة، ٢١٥/٣.

٧ انظر لتفصيل الكلام على هذا الوقف: **القطع والائتناف** للنّحاس، ٤٧/١، و**المُرشِد** للعُماني، ص ١٦٤-١٦٥.

٨ ن: أنّ.

وقرأ زيد بن عليّ رضي الله عنه: "يُضَلُّ بِهِ كثيرٌ" وكذلك: "وما يُضَلُّ به إلا الفاسِقون".

والفِسْقُ: الخروجُ عن القَصْدِ، قال رؤبَةُ:

فـواسِـقًـا عَـن قَـصْـدهـا جـوائـرا

عن الدِّين، والثاني: أنّه صيَّره ضالًّا عن الجنّة. أمّا الأوّل وهو أنّه تعالى صيَّره ضالًّا عن الدِّين. ومعنى الإضلال عن الدِّين في اللغة: هو الدعاء إلى ترك الدين وتقبيحه في عينه، وهذا هو الإضلال الذي أضافه الله تعالى إلى إبليس، فقال: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص ١٥/٢٨]، وقال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل ٢٤/٢٧]، وأضافه إلى فرعون ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه ٧٩/٢٠]. وأجمعت[١] الأُمَّة على أنّ الإضلال بهذا المعنى لا يجوز على الله تعالى؛ لأنّ الله تعالى ما دعا إلى الكفر وما رغَّب فيه، بل نهى عنه وزجر وتوعَّد بالعقاب عليه، وإذا كان المعنى[٢] الأصليّ[٣] للإضلال[٤] في اللغة هذا، وهو مَنفيٌّ بالإجماع، ثبت انعقاد الإجماع على أنّه لا يجوز إجراء هذا اللفظ على ظاهره.[٥]

فلهذا أوَّلوه كما أوَّله المُصنِّف، وحمله على الإسناد المجازيّ.

قوله: (قرأ زيد بن عليّ رضي الله عنه)[٦] هذه القراءة في الموضعين شاذّة.[٧]

قوله: (عن القصد)، أي: الطريق المستقيم. (قال رؤبة:

يـذهـبْـنَ فـي نـجـدٍ وغـورًا غـائـرًا (فواسـقًا عـن قصدهـا جوائـرا)[٨]

---

١ ن: واجتمعت.

٢ د ش ن: معنى.

٣ ن - الأصلي.

٤ ن: الإضلال.

٥ من قوله: "اعلم أنّ قولنا" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ١٥١/٢ (البقرة، ٢٦/٢).

٦ د ن - رضي الله عنه.

٧ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وابن أبي عبلة وزيد بن عليّ. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٦؛ المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٣٩٦.

٨ البيتان في ملحق ديوان رؤبة، ص ١٩٢. وهما له في مجاز القرآن لأبي عُبيدة، ٤٠٦/١؛ وجامع البيان للطبري، ٢٩٠/١٥-٢٩١ (الكهف، ٥٠/١٨)؛ ومعاني القرآن الكريم للنّحّاس، ٢٥٤/٤؛ والنُّكت والعيون للماوردي، ٣١٤/٣ (الكهف، ٥٠/١٨). وفيها جميعًا «يَهوِيْنَ» مكان «يَذهبْنَ». وثانيهما بلا نسبة في تهذيب اللغة للأزهري، «فسق»، ٤١٤/٨؛ والبسيط للواحدي، ٢٨٢/٢ (البقرة، ٢٦/٢).

والفاسقُ في الشريعة: الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة، وهو النازلُ بين المنزلتين؛ أي: بين منزلة المؤمن والكافرِ، وقالوا: إن أوَّلَ مَن حدَّ له هذا الحدَّ أبُو حُذَيْفة واصلُ بن عطاءٍ رضي الله عنه وعن أشْياعِه.

وكونُه بينَ بين: أنَّ حكمَه حكمُ المؤمن في أنه يناكَحُ ويُوارَثُ ويُغسَل ويُصلَّى عليه ويُدفَنُ في مقابر المسلمينَ، وهو كالكافر في الذمّ واللَّعن والبراءةِ منه واعتقادِ عداوتِه وأن لا تُقبل له شهادةٌ، ومذهب مالك بن أنسٍ والزيديَّةِ: أنَّ الصلاةَ لا تُجْزِئُ خَلْفَه.

ويقال للخُلَعاء المَردةِ من الكفَّار: الفسقَةُ، وقد جاء الاستعمالان ....

النجد: ما ارتفع مِن الأرض عن انخفاض تهامة. والغَوْر: التِهامة وما يلي اليمن. وغَوْر كلّ شيء: بُعد قَعره. و"غورًا" عطف على محلّ الجارّ والمجرور. يصف نُوقًا يمشينَ في المفاوز يجُرْنَ[1] عن استقامة الطريق، ويذهبن طورًا في نجد وطورًا في غَوْر.

قوله: **(والفاسق في الشريعة)**، هو: الخارج عن الطاعة. واختلف أهل القِبلة في أنّه مُؤمن أو كافر: فعند أصحابنا هو مُؤمن، وعند الخوارج كافر، وعند المعتزلة لا مُؤمن ولا كافر. وهو المراد بقوله: **(وهو)**، أي:[2] الفاسق **(النازل بين المنزلتين)**. وهذه المسألة طويلة مذكورة في كتب الكلام.[3]

قوله: **(وألّا تُقبَل)**، أي: وفي ألّا تُقبل.

قوله: **(للخُلَعاء)** جمع الخليع: وهو مَن لا يبالي بما فعل، كالحيوان الخليع العِذار. ويقال للمُنهمِك في الغَيّ: خلَع عِذاره.

قوله: **(الفَسَقة)** مرفوع بـ**(يقال)**.

قوله: **(الاستعمالان)**، أي: إطلاق اسم الفاسق على المؤمن وعلى الكُفّار المَرَدة،

---

[1] ن + من الجور.

[2] ن – أي.

[3] انظر لتفصيل هذه المسألة: **الإرشاد** للجويني، ص ٣٨٣-٣٩١؛ و**شرح الأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبّار، ص ١٣٧-١٤١، ٦٩٥-٧٣٨.

في كتاب الله: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات ٤٩/١١] يريد اللَّمْزَ والتَّنابُزَ، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة ٩/٦٧].

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

النَّقضُ: الفسخُ وفكُّ التركيب.

فإن قلتَ: من أين ساغ استعمالُ النقضِ في إبطالِ العهد؟

قلتُ: من حيثُ تسمِيَتُهم العهدَ بالحبل على سبيل الاستعارة؛ لِمَا فيه من ثبات الوُصْلةِ بين المتعاهدَيْن، ومنه قولُ ابن التيِّهانِ في بَيْعَة العَقَبةِ: يا رسولَ الله، إنَّ بيننا وبينَ القوم حِبَالًا ونحنُ قاطعوها، ....

والمراد بـ(﴿ٱلْفُسُوقُ﴾ [الحجرات ٤٩/١١]) في الآية الأولى: الخروج عن أمر[1] الله بارتكاب الكبيرة؛ وبـ(﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة ٩/٦٧]) في الثانية الكُفّار المَرَدة.

قوله: (**النقض: الفسخ**)، معنى النقض: الهدم (**وفكُّ التركيب**)، ومنه نقيض الشيء: ما ينقضُه، أي: يهدِمُه ويرفع حُكمه.

قوله: (**مِن حيث تسميتُهم**) شبَّهوا العهد / بالحبل لِمَا في العهد مِن ثبات الوُصلة بين المُتعاهدَين، كما يكون بالحبل ثبات الوُصَل، ثمّ أُطلِق العهد وأُرِيد الحبل، وقرينتُه ذِكْر النقض الذي هو مِن خواصّ الحبل الذي هو المُشبَّه به، فيكون استعارة بالكناية. [١٣٦ظ]

قوله: (**ومنه**)، أي: ومِن تسمية العَهْد بالحبل قولُ هيثم[2] بن التيِّهان حين بايع رسول الله عليه السلام عند العقبة، فقال: (**«إنّ بيننا وبين القوم»**)، أي: بين كفّار مكّة وغيرهم (**«حبالًا»**)، أي: عهودًا، ونحن نقطع تلك الحبال، أي: ننقض تلك العهود بالبيعة معك يا رسول الله، فنخاف أن ترجع إلى مكّة إن أعزَّك الله،

---

[1] ن - أمر.

[2] كذا في النُّسخ الخطيّة. والصواب أنّه أبو الهيثم مالك بن التيِّهان.

فنخشى إنِ اللهُ عز وجل أعَزَّك وأظهَرَكَ أنْ ترجعَ إلى قومك.

وهذا من أسرار البلاغةِ ولطائفها، أن يَسْكتُوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يَرْمزُوا إليه بذكر شيء من روادفه، فيُنبّهُوا بتلك الرَّمْزة على مكانه، ....

أي: جعلك غالبًا. فقوله: («**أعزَّك**»)، أي: عزَّزك، يقال: عزَّزتُه، أي: قوَّيتُه. ومنه ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس ١٤/٣٦]، أي: قويناهما وشدَّدناهما. وقوله: («**أظهَرك**») يقال: ظهر على الشيء، أي: غلَبه وعلاه. ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف ١٤/٦١]، أي: غالبين عليه عالين.[١] ومنه قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة ٣٣/٩] و"التيِّهان" بفتح الياء المُشدَّدة. والذي في حديث ابن التيِّهان: مِن قوله: "حبالًا" استعارة مُصرَّحة؛ لأنه شبَّه العهد بالحبل، ثمّ ذكر الحبل وأراد العهد فيكون استعارة مُصرَّحة، وإنّما أوردها المُصنِّف ليُبيّن تسمية العهد بالحبل، وإلّا فالذي في الآية استعارة بالكناية، والذي في الحديث استعارة مصرّحة، وقد تقدَّم أنّ الاستعارة المصرّح بها: أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المُشبَّه به؛ وبالكناية: أن يكون الطرف المذكور هو المشبَّه.[٢]

قوله: («**أن ترجع**») مفعول ("نخشى")، أي: نخشى رجوعك وقوله: («**إن أعزّك الله**»)[٣] شرطُ جوابه محذوف، أي: إن أعزَّك ترجع.

قوله: (**وهذا**)، أي: هذا النوع مِن إيراد الكلام، وهو: الاستعارة بالكناية.

وقوله: (**أن يسكتوا**) بدل مِن "هذا". والضمير من (**إليه**) و(**روادفه**)[٤] و(**مكانه**) يعود إلى المُستعار، يعني: يذكرون المُشبَّه، وهو المستعار له، ويريدون: المُستعار، وينصِبون لذلك قرينة، وهي: أن تنسُب إلى المُشبَّه شيئًا من لوازم المُشبَّه به المُساوية، مثل أن تُشبِهِ المنيّة بالسَّبُع، ثمّ تُفرِدَها بالذِّكر مُضيفًا إليها

---

١ ن - عليه عالين.

٢ مضى عند الكلام على الآية.

٣ حديث ابن التيّهان من حديث طويل في مسند أحمد، ٨٨/٢٥-٩٧ (١٥٧٩٨)؛ ومجمع الزوائد، ٧٤/١٣-٨٠ (٩٩٤٧). وانظر لتفصيل تخريجه: تخريج أحاديث الكشّاف للزَّيلَعي، ٥٩/١.

٤ ن: وأدبه.

ونحوُه قولُك: شُجَاع يفترسُ أقرانهُ، و: عالمٌ يَغترفُ منه الناسُ، و: إذا تزوَّجْتَ امرأةً فاستَوْثِرْها، لم تَقُل هذا إلّا وقد نبَّهتَ على الشجاع والعالم بأنَّهما أسدٌ وبحرٌ وعلى المرأة بأنها فِراشٌ.

والعَهْدُ: المَوْثِقُ، وعَهِدَ إليه في كذا: إذا وَصَّاه به ووثَّقَه عليه، ....

من لوازم المُشبَّه به ما لا يكون إلّا له، ليكون قرينة دالَّة على المراد، فنقول: مخالب المنيَّة نشِبَت بفلان.[1]

قوله: (ونحوه)، أي: نحو قوله تعالى: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾. (**قولكَ: شجاعٌ يفترِس أقرانه**) شُبِّه الشجاع بالأسد، ثمّ ذُكِر الشُّجاع وأُرِيد الأسد، والقرينة ذِكرُ الافتراس. يقال: فرَس الأسد فريستَه وافترسها، أي: دقَّ عُنُقها. وكذا شُبِّه العالِم بالبحر لكثرة فوائده ونفاسة فرائده،[2] ثمّ ذُكِر العالِم وأُرِيد البحر، والقرينة ذِكرُ الاغتراف. يقال: غرفتُ الماء بيدي واغترفت منه. وكذا شُبِّهت المرأة بالفِراش، ثمّ ذُكِرت المرأة وأُريد الفِراش، والقرينة ذِكرُ التزوّج. والوِثْر والوَثير: الفِراش الوطيء، أي: اطلبها وثيرةً.

قوله: (**لم تقُل**)... إلخ، جملة مُبيِّنة لقوله: (**نحوه**[3] **قولك**)... إلخ.

قوله: (**هذا**)، أي: هذا القول، أي: مِن قولك: (**شجاع**) إلى (**فاستَوثِرها**).

قوله: (**والعهد: المَوْثِق**) مبتدأ وخبر. والضمير مِن (**وصّاه**) عائد إلى الضمير في (**إليه**)، ومِن (**به**) إلى (**كذا**). فـ﴿عَهْدَ ٱللَّهِ﴾: وصيَّته وأمره؛ يقال: عَهِد الخليفة إلى فلان كذا وكذا، أي: أمَره وأوصاه به. ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [يس ٣٦/٦٠].

قوله: / (**وثّقه عليه**) عطف على قوله: "وصّاه به". يقال: وثَّقه وأوثقه، أي: أحكَمه، وشدَّه بالوَثاق: بالقيد، وهو بفتح الواو، والكسرُ لغة. [١٣٧و]

---

[1] من قوله: "يذكرون المشبّه" إلى هنا بلفظ قريب في مفتاح العلوم للسَّكّاكي، ص ٤٨٧.

[2] ن: فوائده.

[3] ن: خبر.

واستَعْهَد منه: إذا اشترط عليه واستَوثق منه، والمرادُ بهؤلاء الناقضين لعهد الله: أحبارُ اليهود المتعنِّتونَ، أو منافِقُوهم، أو الكفَّارُ جميعًا.

فإن قلتَ: فما المرادُ بعهد الله؟

قلتُ: ما رُكِزَ في عقولهم من الحُجَّة على التوحيد؛ كأنَّه أمرٌ وَصَّاهم به

قوله: **(واستعهَد منه)** عطف على قوله: **(عَهِد إليه)**، يريد أنّ معنى عَهِد[١] إليه ما مرَّ. ومعنى **(استعهد منه)**: اشترط عليه، واستوثق منه. فقوله: **(استوثق منه)** عطف على قوله: **(اشترط عليه)**. واستوثقتُ منه،[٢] أي: أخذتُ منه الوثيقة.

قوله: **(المُتعنِّتون)** العَنَت: المَشقَّة، ومنه قولهم: "خاف العنت" في باب النكاح، وتفسيره بالزنا تدريس. وأعنتَه أوقعه في العَنَت، وفيما يشقُّ تحمُّله. ومنه تعنَّته: إذا سأله على جهة التلبيس عليه، والمُتعنِّتون: السائلون على هذه الجهة، وتعنُّتُ الشاهد أن يقول القاضي له: أين كان هذا؟ ومتى كان؟ وأيّ ثوب كان عليه؟ حين تحمّلتَ الشهادة.[٣] وحقيقته:[٤] طلب العنت له.[٥]

قوله: **(منافقوهم)**، أي: منافقو اليهود.

قوله: **(ما[٦] ركَز)**، أي: ما ركزه[٧] الله تعالى في عقول المُكلَّفين، يقال: رَكَزت الرُّمح أركُزه ركْزًا: غرزتُه في الأرض.[٨]

ذكر المُصنِّف للعهد وجوهًا ثلاثة: **الأوّل**: أنّ المراد بهذا العهد حُججه القائمة على عباده الدالّة لهم[٩] على صحّة توحيده، وذلك مركوز في عقول العقلاء، وإذا كان دليل التوحيد مركوزًا في عقول العقلاء[١٠] فكأنّ التوحيد أمرٌ وصّى الله تعالى[١١]

---

١ ن – عهد.

٢ ن: الوثيقة.

٣ ن + الشهادة.

٤ ن: وحقيقة.

٥ من قوله: "العنت: المشقَّة" إلى هنا بلفظ قريب في **المُغرِب** للمُطرِّزي، «عنت». ونقل مُحقِّقاه عن هامش الأصل: «قوله: تدريس، أي: حدّ رسميّ».

٦ ن – ما.

٧ ن: ركز.

٨ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ركز».

٩ ن – لهم.

١٠ ن – وإذا كان دليل التوحيد مركوزًا في عقول العقلاء.

١١ د ش – تعالى.

ووثَّقه عليهم، وهو معنى قولِهِ تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف ١٧٢/٧].

أو أخذُ الميثاقِ عليهم بأنهم إذا بُعثَ إليهم رسولٌ يُصدِّقُه الله بمعجزاته صدَّقوه واتَّبعوه ولم يكتموا ذكرَهُ فيما تقدَّمه من الكتب المنزَلَةِ عليهم؛

المُكلَّفين بذلك الأمر، ووثّق ذلك الأمر عليهم، فكان ذلك الرَّكْز عهدًا على طريق التمثيل؛ إذ يلزَم لهذه الحُجج التمسُّك[1] بالتوحيد، ولذلك لمّا قال فرعون: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه ٤٩/٢٠]، أجابه موسى عليه السلام بقوله: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه ٥٠/٢٠]، كأنّه قال: ربُّنا الصانع الذي إذا سلكتَ طريقًا بيّنه بإيجاده للموجودات[2] وتقديره للمُقدَّرات،[3] واتَّبعتَ في ذلك العقل الهاديَ عن الضلال لزِمَك الاعتراف بكونه ربًّا وألّا ربَّ سواه، وذلك لأنّ خلق كلِّ شيء يدلُّ على وحدانيّة الله تعالى[4] وعِلمه وقدرته، قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات ٢١/٥١]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ [الروم ٨/٣٠]. ثمّ قال المُصنِّف وهو معنى قوله: (﴿وَأَشْهَدَهُمْ﴾ [الأعراف ١٧٢/٧]). وسيجيء تقريره إن شاء الله تعالى، وهذا الوجه مُناسب لتفسير: "عَهِد إليه" بقوله: "وصّاه"، و"وثّقه".[5]

قوله: (وأخذ[6] الميثاق) عطف على قوله: "ما ركز"، وهذا هو الوجه الثاني. و(يُصدِّقه) صفة (رسول). وقوله: (بمُعجزاته) مُتعلِّق بقوله: "يُصدِّقه". فإنّ إظهار الله تعالى[7] المعجزة على يد الأنبياء تصديق من الله تعالى لهم.

قوله: (صدّقوه) جواب (إذا). وقوله: (فيما) مُتعلِّق بـ(ذِكره). ويجوز أن يكون مُراد المُصنِّف بقوله: "رسول يُصدِّقه" هو النبيّ عليه السلام، يُؤيِّده الاستشهاد بقوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِى﴾ [البقرة ٤٠/٢]. «قال القفّال: يحتمِل أن يكون المقصود بالآية قومًا من أهل الكتاب، قد أخذ عليهم الميثاقَ في الكُتب المُنزَّلة

---

١ ن: التمثيل.
٢ ن: موجودات.
٣ ن: للمقدورات.
٤ ش- تعالى.
٥ ن: وثّقه.
٦ ش: أو أخذ.
٧ د ش - تعالى.

كقولـه تعالـى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقـرة ٢/ ٤٠] وقولـهِ فـي الإنجيـل لعيسى صلوات الله عليه: "سأُنزل عليك كتابًا فيه نَبَأُ بني إسرائيل، وما أَريتُه إيَّاهـم من الآيات، وما أَنعمتُ عليهـم، وما نَقَضُـوا مـن ميثاقهـم الـذي واثَقُـوا به، وما ضيَّعُوا من عهدِه إليهم، ....

على أنبيائهم بتصديق محمَّد عليه السلام، وبيَّن لهم أمره، فنقضَوا ذلك وأعرضوا عنه وجحدوا نبوَّته».[١] ويجوز أن يكون مراد المصنِّف بقوله: "رسولٌ يُصدِّقه" أعمَّ من نبيِّنا وغيره. يُؤيِّده قوله: (**في الإنجيل**)... إلخ، والظاهر أنّ المراد العموم.[٢]

ثمّ بيَّن المُصنِّف أن الله عهِد إليهم أن يُؤمنوا بنبيِّنا بقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾، وبيَّن العهد بالإيمان بعيسى بقوله: "**وفي الإنجيل**"... إلخ، فقوله: (**وقولِه**) مجرور عطفٌ على قوله: (**كقوله:**[٣] **﴿وَأَوْفُوا۟﴾**). وقوله: "**في الإنجيل**"، أي: في حقّ **الإنجيل**. والمراد بقوله: («**كتابًا**») هو **الإنجيل**، يعني: قال تعالى [١٣٧ظ] قبل إنزال / **الإنجيل**: يا عيسى إنّي سأُنزِل عليك كتابًا فيه كذا وكذا، يعني قال لعيسى تسلية له حين كفر به اليهود: إنّي سأُنزِل[٤] عليك كتابًا أُبيّن فيه حال بني إسرائيل، وأبيّن أنّي كيف عهِدتُ إليهم الإيمان بك، وكيف نقضوا، وأُبيّن أنّ مَن وفَى ما جزاؤه وثوابه، وأنّ مَن نقَض ما عقابه.

قوله: («**ما أَريتُه**») عطفٌ على («**بني إسرائيل**»)، أي: نبأ ما أَريتُه، وهو من الإراءة، والضمير المُتَّصل يعود[٥] إلى "ما"، والمنفصل إلى "بني إسرائيل". و(«**مِن**») بيان، و(«**ما أنعمتُ**») أيضًا عطفٌ على "بني إسرائيل"، وكذا («**ما نقضوا**»)،[٦] و(«**ما ضيَّعوا**»).

قوله: («**مِن عهده**»)، أي: من عهد الله التفت فيه من التكلُّم إلى الغَيبة؛ تهويلًا لنقض العهد.

---

١ تفسير الرازي، ٢/ ١٦٢ (البقرة، ٢/ ٢٧). وفي مطبوعه «وبيَّن لهم أمره وأمر أمّته» مكان «وبيَّن لهم أمره».

٢ ن: والعموم.

٣ ن – كقوله.

٤ ن: كما نزل.

٥ ن – يعود.

٦ ن: نقضوه.

وحُسْنِ صُنعه للّذين قاموا بميثاق الله تعالى وأوفوا بعهده، ونصرِه إيّاهم، وكيف أنزَلَ بأسَه ونِقْمتَه بالذين غَدَروا ونقَضُوا ميثاقَه ولم يوفوا بعهده" لأن اليهود فعلوا باسم عيسى عليه السلام ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود، وكفروا به كما كفروا به.

وقيل: هو أخذُ اللهِ العهدَ عليهم أن لا يَسْفِكوا دماءَهم، ولا يَبْغي بعضُهم على بعضٍ، ولا يقطِّعوا أرحامَهم.

وقيل: عَهِدَ اللهُ إلى خلقِه ثلاثةَ عهودٍ:

قوله: (((صُنْعه))، أي: صُنْع الله.

قوله: (((وكيف أنزَل)))،[1] أي: الله تعالى وهو عطف على "بني إسرائيل"، فكأنّه قال: نبأ كيف، أي: نبأ أنّه كيف أنزل. ويجوز أن يكون عطفًا على قوله: "سأنزل"، أي: سأنزل كتابًا، وأُبيّن فيه كيف أنزل الله بأسه.

قوله: (((ولم يُوفوا بعهده))). إلى هنا من قول الله تعالى لعيسى في حقّ الإنجيل.

قوله: (**لأنّ اليهود**) من كلام المُصنِّف لبيان قول الله تعالى،[2] أي: إنّما قال الله تعالى لعيسى عليه السلام[3] هذا القول؛ لأنّ اليهود حرَّفوا اسم عيسى عليه السلام[4] من كتابهم وكفروا به، كما حرَّفوا اسم محمَّد عليه السلام وكفروا به.

قوله: (**وقيل: هو أَخذ الله**) عطف على قوله: "ما ركز"،[5] وهذا هو الوجه الثالث. قال الإمام: قيل يعني بالعهد: ما دلَّ عليه بقوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر ٤٢/٣٥]، فلمّا لم يفعلوا ما حلَفوا عليه وَصَفهم بنَقْض عهده وميثاقه.[6] وهذا وجه رابع.

واعلم أنّ الوجه الأوّل يُمكِن فيه العموم في كلّ مَن ضلَّ وكفر، والثانيَ

---

١ ن: لنزل.
٢ ش ن - تعالى.
٣ د ش - عليه السلام.
٤ د ش - عليه السلام.
٥ ن: ركن.
٦ انظر: تفسير الرازي، ١٦١/٢ (البقرة، ٢٧/٢).

العهد الأول: الذي أخذَه على جميع ذريّةِ آدم عليه السلام: الإقرارُ بربوبيّته، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف ١٧٢/٧].

وعهدٌ خَصَّ به النبيّين أن يُبلِّغوا الرسالةَ ويُقِيموا الدِّين ولا يتفرَّقوا فيه، وهو قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ [الأحزاب ٧/٣٣].

والثالثَ لا يُمكِن إلّا فيمن اختصّ بذلك القسم من أهل الكتاب، والرابعَ مُختصّ بغير أهل الكتاب.[١]

وقال بعضهم: عنى به ميثاقًا أخذه مِن الناس وهم على صورة الذرّ، وأخرجهم من صُلْب آدم عليه السلام كذلك، وهو معنى قوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف ١٧٢/٧].[٢] «ثمّ جحدوا ونقضوا ذلك[٣] العهد حالَ كمال عقولهم».[٤] قال الإمام: وقال المُتكلِّمون: هذا ساقط؛ لأنّه تعالى لا يحتجّ على العباد بعَهْد ومِيثاق لا يشعرون به، كما لا يُؤاخذهم بالسَّهْو والنسيان.[٥] وأنا أقول: هذا الوجه منقول في كُتب التفسير عن ابن عبّاس رضي الله عنه[٦] في رواية عطاء،[٧] فكيف يَسُوغ للمُتكلِّمين إنكاره؛ فإنّه لسان[٨] الفُرقان وتَرجُمان القرآن، وكأنّهم طعَنوا في صحّة الرِّواية عنه.

قوله: (العَهْد الأوّل) مبتدأ، و(الذي) صفته، و(الإقرار) خبره. أو "الذي" خبره،[٩] و"الإقرار" بدل من "الذي".

---

١ كلامه على الوجهين الأوّل والثاني في تفسير الرازي، ١٦١/٢ (البقرة، ٢٧/٢).

٢ انظر: تفسير الرازي، ١٦٢/٢ (البقرة، ٢٧/٢). وهذا الوجه في الوسيط للواحدي، ١١٠/١ (البقرة، ٢٧/٢). لكن ما نقله الجاربردي ههنا أقرب إلى عبارة الرازي.

٣ ن - ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾. ثمّ جحدوا ونقضوا ذلك.

٤ الوسيط للواحدي، ١١٠/١ (البقرة، ٢٧/٢). وصُحّفت لفظة «جحدوا» إلى «مجدوا» في مطبوعه؛ البسيط للواحدي، ٢٨٤/٢ (البقرة، ٢٧/٢).

٥ انظر: تفسير الرازي، ١٦٢/٢ (البقرة، ٢٧/٢).

٦ د - رضي الله عنه.

٧ جاء هذا الوجه منسوبًا إلى ابن عبّاس رضي الله عنه في الوسيط للواحدي، ١١٠/١ (البقرة، ٢٧/٢)؛ والبسيط للواحدي، ٢٨٤/٢-٢٨٥ (البقرة، ٢٧/٢). وجاء بلا نسبة في جامع البيان للطبري، ٤٣٦/١ (البقرة، ٢٧/٢)، وقال قبل سوقه «وقال آخرون»؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزّجّاج، ١٠٦/١.

٨ ن: لبيان.

٩ ن - أو "الذي" خبره.

وعهدٌ خَصَّ به العلماء، وهو قولُه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران ١٨٧/٣].

والضمير في ﴿مِيثَٰقِهِۦ﴾ للعهد، وهو ما وثَّقوا به عهدَ الله من قبوله وإلزامه أنفسَهم، ويجوز أن يكون بمعنى تَوْثِقتِه كما أن الميعادَ والميلادَ بمعنى الوعد والولادة.

ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى؛ أي: من بعد توثقتِهِ عليهم، أو من بعد ما وثَّقَ به عهدَه من آياته وكتُبه وإنذار رسله.

قوله: (وعَهْدٌ)، أي: الثاني: عَهْدٌ. و(أن يُبلِّغوا) بدل مِن "عهد". ولا يجوز أن يقال: "عَهْدٌ"[١] مبتدأ، (خَصّ) صفته، "أن يُبلِّغوا" خبره؛ لأن المعرفة لا تكون خبرًا لنكرة.

قوله: (وعَهْدٌ)، أي: والثالث: عَهْد خَصّ به العلماء، وهو أن يُعلِّموا الناس.

قوله: (وهو)، أي: والمِيثاق: ما وثَّقوا، وهذه الزِّنة[٢] للآلة[٣] كالمِفتاح والمِيزان، أي:[٤] ينقضَونه[٥] من بعد قَبول العَهْد، وإلزام العَهْدِ أنفسَهم.

قوله: (ويجوز) عطفٌ على قوله: (وهو ما وثَّقوا به)، أي: يكون المِيثاق بمعنى تَوْثِقة العَهْد، أي: ينقضُونه من بعد تَوْثِقَة العَهْد وتأكُّده.

قوله: (ويجوز أن يَرجِع) عطفٌ على جملة قوله: (والضمير في مِيثاقه)... إلخ.

والحاصل / أنّ الضمير في ﴿مِيثَٰقِهِۦ﴾: إمّا للعهد، أو لله،[٦] وعلى[٧] التقديرين فللمِيثاق معنيان: وهو ما وُثِّق به، أو التَّوْثِقة. لكن إذا كان الضمير للعَهْد فما وُثِّق به هو القبول وإلزامه أنفسَهم، وإذا كان الضمير لله فما وُثِّق به هو الآيات والكتب وإنذار الرسل. [١٣٨و]

---

١ ن: عهدًا.
٢ ن: والزِّنة.
٣ ن: الآلة.
٤ ن: أن.
٥ ن: ينقضوه.
٦ ن: الله.
٧ ن: على.

ومعنى قطعِهم ما أمرَ الله به أن يُوصَلَ: قطعُهم الأرحامَ وموالاةَ المؤمنين.
وقيل: قطعُهم ما بين الأنبياء ....

قوله: (ومعنى قَطْعهم) مبتدأ، (ما أمر) مفعول "قطعهم"، (أن يُوصَل) بدل من الضمير المجرور في (به). وقوله: (قَطْعهم الأرحام) خبرُ المبتدأ. ذكَر في معنى ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾[1] وجوهًا: الأوّل: أنّ المراد به قطيعة[2] الرَّحِم وحقوق القرابات التي أمر الله بوَصْلها، وفيه إشارة إلى أنّهم قطعوا ما بينهم وبين النبيّ عليه السلام من القرابة. قال الإمام: وعلى هذا تكون الآية خاصّة.[3] وقال في المَطلَع: وذلك أنّ قريشًا قطعوا رَحِم النبيّ عليه السلام بالمُعاداة معه والمُخالفة له،[4] واليهود قطعوا رحمه أيضًا؛ لأنّ بين بني إسرائيل وبني إسماعيل قرابة ورَحِمًا، فاليهود من بني إسرائيل ولد إسحاق، والنبيّ عليه السلام من ولد إسماعيل عليه السلام.

قوله: (ومُوالاة) ضدّ المُعاداة، عطف على قوله: "الأرحام"، وهذا هو الوجه الثاني: وهو أنّ الله تعالى أمرهم أن يَصِلوا حبلهم بحبل المؤمنين، فهم انقطعوا عن المؤمنين واتّصلوا بالكُفّار.

قوله: (وقيل: قَطْعهم) الوجه الثالث: أنّ المراد قَطْعهم الوُصلة التي بين الأنبياء بأن آمنوا ببعضهم وكفروا ببعضهم، فإنّ الإيمان بجميع الكتب والرسل

---

[1] ن - بدل من الضمير المجرور في (به). وقوله: (قَطْعهم الأرحام) خبرُ المبتدأ. ذكَر في معنى ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾.

[2] ن: قطعه.

[3] انظر: تفسير الرازي، ١٦٢/٢ (البقرة، ٢٧/٢). ونقل الماوردي أنّ تخصيص الآية بالرَّحِم قولُ قتادة. انظر: النُّكت والعيون، ٩٠/١ (البقرة، ٢٧/٢). ورجّح الإمام الطبري العموم في الآية، فقال: «وقد تأوّل بعضهم ذلك أنّ الله ذمّهم بقطعهم رسوله والمؤمنين به وأرحامهم... وهذا مذهب مِن تأويل الآية غير بعيد مِن الصواب، ولكنّ الله جلّ ثناؤه قد ذكر المنافقين في غير آية من كتابه، فوصفهم بقطع الأرحام، فهذه نظيرة تلك، غير أنّها وإن كانت كذلك فهي دالّة على ذمّ الله كلّ قاطع قَطَع ما أمر الله به أن يُوصَل، رحِمًا كانت أو غيرها». جامع البيان للطبري، ٤٤١/١ (البقرة، ٢٧/٢).

[4] انظر هذا الوجه في البسيط للواحدي، ٢٨٧/٢ (البقرة، ٢٧/٢).

من الوُصْلة والاتِّحاد والاجتماع على الحقِّ في إيمانهم ببعضٍ وكفرهم ببعضٍ.

فإن قلتَ: ما الأمر؟

قلتُ: هو طلبُ الفعل ممن هو دونك وبَعْثُه عليه، وبه يُسمَّى الأمر الذي هو واحد الأمور؛ لأنّ الداعي الذي يدعو إليه مَن يتولّاه شُبّه بآمرٍ يأمُره به فقيل له: أمرٌ؛ تسميةً للمفعول به بالمصدر كأنّه مأمورٌ به؛ كما قيل له: شأنٌ.

والشأنُ: الطلبُ والقصدُ، يقال: شأنْتُ شأنَه؛ أي: قصدْتُ قَصْدَه.

نوع من الوُصلة بين الأنبياء، فالمؤمنون آمنوا بجميع الأنبياء من لدن آدم إلى محمّد عليه السلام أجمعين، وقالوا: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة ٢/٢٨٥]، والكفّار قالوا: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء ٤/١٥٠].[١]

قوله: **(في إيمانهم)** مُتعلِّق بقوله: "قطعهم".

قوله: **(طَلَب الفعل)**... إلخ، الضمير مِن **(بَعْثه)** يعود إلى **(مَن)**، ومِن **(عليه)** إلى الفعل، والمراد بـ"بَعْثه عليه": هو طلب الفعل منه. واشترط[٢] في الأمر العُلوّ،[٣] وفيه بحث تقدَّم.[٤]

قوله: **(وبه سُمِّي)**،[٥] أي: بالأمر الذي هو طلب الفعل، سُمِّيَ الأمر الذي هو واحد الأمور، أي: الشئون، وإنّما قال كذلك؛ لأنّ الأمر الذي بمعنى الطلب جَمْعه أوامر،[٦] يشير بذلك إلى أنّ الأمر حقيقة في الطلب مجاز في الشأن، ثمّ بيَّن وجه المجاز بقوله: **(لأنّ الداعي)**... إلخ؛ لأنّ الباعث والحامل الذي يدعو إليه، أي: يحمِل على الفعل مَن يتولّاه، أي: مَن يباشر الفعل. وقوله: **(مَن)** مفعول **(يدعو)**، و**(شُبّه)** خبر لـ"أنّ"، يعني: أنّ كلّ فعل يصدُر مِن فاعله فله باعث وحامل، فشبَّهوا ذلك الباعث على الفعل بالآمر بالفعل، فصار ذلك الفعل

---

[١] انظر هذا الوجه في **البسيط** للواحدي، ٢/٢٨٧ (البقرة، ٢/٢٧)؛ و**معالم التنزيل** للبغوي، ١/٧٧ (البقرة، ٢/٢٧).

[٢] ن: واشتراط.

[٣] ن: والعلو.

[٤] مضى في تفسير سورة البقرة، ٢/١٩.

[٥] في مطبوع **الكشّاف**: يُسمّى. | وأثبتّ ما في د ش ن، وهو مطابق لِما راجعته من أصول **الكشّاف**.

[٦] ن: أواه.

﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لأنهم استبدلوا النقضَ بالوفاء، والقطعَ بالوصل، والفسادَ بالصلاح، وعقابَها بثوابها.

كالمأمور به، فأَطلقوا على ذلك الفعل الذي هو كالمأمور به[١] لَفْظَ الأمر تسميةً للمفعول به بالمصدر، وتسمية[٢] المفعول به بالمصدر كثير، كالضَّرْب بمعنى المضروب، والصَّيْد بمعنى المَصيد،[٣] والخَلْق بمعنى المخلوق، والنَّسْج بمعنى المنسوج. يقال: أتاني فلان فما شَأَنْتُ شأنَه،[٤] أي: لم أكترِث له ولم أُبالِ به.[٥]

قوله تعالى: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ «قال ابن عبّاس رضي الله عنه:[٦] 'يحكُمون بغير الحقّ'. وقال غيره: يُفسِدون في الأرض بالمعاصي، وتعويق الناس عن الإيمان بمحمّد عليه السلام».[٧] قال الإمام:

> والأظهَر أن يُراد به الفساد الذي يتعدَّى دون ما يقِف عليهم، والأظهَر أنّ المراد منه الصدُّ عن طاعة الرسول عليه السلام؛ لأنّ تمام الصلاح في الأرض بالطاعة؛ / لأنّه بالتزام الشرائع يلتزِم الإنسان كلّ ما لزِمه وتَرْك التعدِّي إلى الغير، وفيه زوال النظام، وفي زواله العَدْل الذي به قامت السماوات والأرض.[٨] [١٣٨ظ]

قوله تعالى: (﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾) قال الواحديُّ: «أصل[٩] الخُسران في التجارة، وهو نُقصان رأس المال، ويقال: فيه الخَسارة والخُسْر، هذا هو الأصل، ثمّ قيل: لكلّ صائر إلى مكروه خاسر؛ لنقصان حظِّه من الخير».[١٠]

قوله: (استبدلوا النقض)...[١١] إلخ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾... إلخ.

قوله: (والفساد)، أي: استبدلوا الفساد، واستبدلوا عقاب النَّقْض والقَطْع والفساد

---

١ ن + فأَطلقوا على ذلك الفعل الذي هو كالمأمور به.
٢ ش + وتسمية.
٣ ن: المصيود.
٤ ن: شارفه.
٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «شأن».
٦ د − رضي الله عنه.
٧ **الوسيط** للواحدي، ١/١١٠ (البقرة، ٢/٢٧).
٨ **تفسير الرازي**، ٢/١٦٣ (البقرة، ٢/٢٧). وفي مطبوعه «ومنه زوال التظالم» مكان «وفيه زوال النظام».
٩ ن: أهل.
١٠ **الوسيط** للواحدي، ١/١١٠ (البقرة، ٢/٢٧).
١١ ن: التفطن.

﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨﴾

معنى الهمزة التي في ﴿كَيۡفَ﴾ مثلُه في قولك: أتكفرون بالله ومعكم ما يَصْرِفُ عن الكفر ويدعو إلى الإيمان؟! وهو الإنكارُ ....

بثواب هذه الثلاثة. واعلم أنّه: يجوز أنّ يكون ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾ مبتدأ، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ خبره؛ ويجوز أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾ صفة ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ مبتدأ وخبر.

قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

"كيف" في الأصل سؤال عن الحال؛ لأنّ جوابها يكون بالحال، تقول: كيف زيد؟ فيقال: صحيح أو سقيم،[1] وهو في انتظام الأحوال كلّها مِثلُ "أين" في انتظام الأماكن، و"كم" في الأعداد، وهو اسم مبنيٌّ على الفتح؛ لتضمُّنه معنى الاستفهام، ولم يُبنَ على الكسر استثقالًا للياء مع الكسرة. قال الإمام: «واعلم أنّه سبحانه وتعالى لمّا تكلّم في دلائل التوحيد والنبوّة والمَعاد إلى هنا، فمِن هذا الموضع إلى قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ في شرح النِّعم التي عمّت جميع المُكلَّفين وهي أربعة: النعمة **الأولى**: نعمة[2] الإحياء، وهي المذكورة في هذه الآية».[3] وأنّه تعالى إنّما ذكر ليُبيّن أنّ المقصود من حياة الدنيا حياة الآخرة والثواب.

قوله: (**معنى الهمزة**)، أي: همزة الاستفهام.

قوله: (**مِثلُه**)، أي: مِثلُ معنى الهمزة، يعني: الاستفهام الذي[4] في قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾ مِثلُ الاستفهام في قولك: أتكفرون بالله... إلخ. ثمّ بيّن ذلك المعنى، فقال: و(**هو**[5] **الإنكار**)، أي: ذلك المعنى الإنكار والتعجيب.

---

١ انظر: **الوسيط** للواحدي، ١/١١٠ (البقرة، ٢/٢٨).
٢ ن – نعمة.
٣ **تفسير الرازي**، ٢/١٦٣ (البقرة، ٢/٢٧).
٤ ن + هو.
٥ د – هو.

والتعجيبُ، ونظيرُه قولُك: أتَطيرُ بغير جَناحٍ، وكيف تَطير بغير جناح؟!

فإن قلتَ: قولك: أتطِيرُ بغير جناح؟! إنكارٌ للطيران لأنه مستحيلٌ بغير جناح، وأما الكفرُ فغيرُ مستحيلٍ مع ما ذُكر من الإماتة والإحياء.

قلتُ: قد أُخرج في صورة المستحيل لِمَا قوّى من الصارف عن الكفرِ والداعي إلى الإيمان.

فإن قلتَ: فقد تبيَّن أمرُ الهمزة، وأنها لإنكار الفعل والإيذانِ باستحالته

قال الفرّاء: «هذا على وجه التوبيخ».[١] وهو معنى قول المُصنِّف: "الإنكار". وقال الزَّجّاج: «تأويل [كيف][٢] هنا[٣] استفهام في معنى التعجُّب، والتعجُّب إنّما يكون للخَلْق والمؤمنين، أي: اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون بالله؟!»[٤] يعني قد حلّوا محلّ مَن يُتعجَّب منه، وهو معنى قول المصنِّف: **(التعجيب)**،[٥] أي: حَمْل الناس على العَجَب وإيقاعهم في العَجَب. ثمّ أورد مثالين في أحدهما الهمزة بمعنى الإنكار، وفي الآخر "كيف" له؛ ليبيّن أنّه قد أُخرِج، أي: الكفر في صورة المُحال للصارف القوي عنه، وللداعي القويّ إلى ضدّه، والصارف هو عِلمهم بأن لهم صانعًا حيًّا قادرًا إلى آخر صفاته تعالى وتقدّس،[٦] فإنّه يصرِف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان، كما سيتحقّق[٧] إن شاء الله تعالى.

قوله: **(فقد تبيَّن أَمْرُ الهمزة)**، أي: ظهر شأن الهمزة، وظهر أنّ الهمزة لإنكار الفعل الذي دخلَت الهمزة عليه، وللإعلام[٨] باستحالة ذلك الفعل:

---

١ انظر: **معاني القرآن** للفرّاء، ٢٣/١. وفيه «على وجه التعجُّب والتوبيخ» مكان «على وجه التوبيخ». وقول الفرّاء له في **الوسيط** للواحدي، ١١١/١ (البقرة، ٢٨/٢).

٢ د ش ن - كيف. | وأثبتُّها من مطبوع **معاني القرآن وإعرابه**.

٣ ن: هذا.

٤ **معاني القرآن وإعرابه** للزَّجّاج، ١٠٧/١، وفي مطبوعه «وتأويل "كيف" أنها استفهام» مكان «وتأويل هنا استفهام». وقول الزَّجّاج له في **الوسيط** للواحدي، ١١٠/١ (البقرة، ٢٨/٢)؛ وفي مطبوعه «تأويل "كيف" ههنا استفهام» مكان «وتأويل هنا استفهام».

٥ ن: التعجب.

٦ ن - تعالى وتقدّس.

٧ ن: سنحقّق.

٨ ن: والإعلام.

في نفسه أو لقوّة الصارف عنه، فما تقولُ في ﴿كَيْفَ﴾ حيث كان إنكارًا للحالِ التي يقعُ عليها كفرُهم؟

قلتُ: حالُ الشيء تابعةٌ لذاته، فإذا امتنع ثبوت الذات تَبِعَه امتناعُ ثبوت الحال، فكان إنكارُ حال الكفر -لأنها تَبيعُ ذاتِ الكفرِ ورَديفُها- إنكارًا لذات الكفر وثباتِها على طريق الكناية، وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغُ.

وتحريرُه: أنه إذا أُنكِرَ أن يكون لكفرهم حالٌ يوجَد عليها، وقد عُلم أن كلَّ موجود لا ينفَكُّ من حالٍ وصفةٍ عند وجوده، ومحالٌ أن يوجدَ بغير صفةٍ من الصِّفات، كان إنكارًا لوجوده ....

إمّا بأن يكون مُحالًا في نفسه كما في "أتطير بغير جناح؟"، أو لا لنفسه، بل لقوّة الصارف عنه، كما في "أتكفُر ومعك الصارف؟"[1] فلو أتى بالهمزة لكان المعنى ظاهرًا، وهو إنكار الفعل لكن أتى بـ"كيف" وهو للحال، فيلزم ألّا يكون الإنكار والتعجيب مُتوجِّهًا إلى كفرهم، بل إلى الحال التي يقع عليها كفرهم، فما وجه استقامة ذلك؟

قوله: (**حالُ الشيء**) تقريره / أن نقول: حال الشيء من حيث إنّه حاله تابعة لذات الشيء ثبوتًا، وانتفاءً لامتناع أن يتحقَّق الشيء بدون حال من أحواله، وإذا كان امتناع ثبوت الحال من لوازم امتناع ثبوت الذات كان إطلاق اللازم -وهو امتناع ثبوت الحال- وإرادة الملزوم -وهو امتناع ثبوت الذات- كنايةً، فيكون إنكار حالِ الكفر[2] إنكارًا لذات الكفر ولثبات[3] ذاته.[4] ثمّ بيَّن ذلك بقوله: (**وتحريرُه**)... إلخ، فقوله: (**كان إنكارًا**) جواب "إذا"، أي: كان[5] إنكارُ حال الكفر إنكارًا لوجود الكفر، و"**إذا**" مع جوابها خبرُ "أنّ". وقوله: (**يُوجَد عليها**) صفة حال. وقوله: (**وقد عُلِم**) إلى قوله: (**من الصفات**) جملةٌ معترضة بين "إذا" وجوابها، وهو كالتعليل للجملة الشرطيّة. وقوله: (**لا ينفكُّ**) خبرُ "أنّ". و(**عند**) ظرفُ "ينفكُّ"، والضمير من (**وجوده**) لـ"الموجود". وقوله: (**ومُحال**)... إلخ، عطفٌ على "لا ينفكُّ". [١٣٩و]

---

١ ن - الصارف.
٢ ن - إنكار حال الكفر.
٣ ن: وإثبات.
٤ ن: ذاتها.
٥ ن - كان.

على الطريق البرهانيّ.

والواوُ في قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ للحال.

فإن قلتَ: فكيف صحَّ أن يكون حالًا وهو ماضٍ، ولا يقال: "جئتُ وقامَ الأميرُ"، ولكن: "وقد قام"، إلَّا أن يُضمَر "قد"؟

قلتُ: لم تدخل الواوُ على ﴿كنتم أمواتًا﴾ وحده، ولكنْ على جملةِ قوله: ﴿كنتم أمواتًا﴾ إلى ﴿تُرْجَعُونَ﴾؛ كأنَّه قيل: كيف تكفرون بالله وقصَّتُكم هذه، وحالُكم أنكم كنتم أمواتًا نُطَفًا في أصلاب آبائكم فجعلكم أحياءً، ثم يميتكم بعد هذه الحياة، ثم يحييكم بعد الموت، ثم يحاسبُكم.

قال صاحب **المفتاح**: «الكناية: هي[1] تَرْكُ التصريح بذِكر الشيء إلى ذِكر ما يلزَمه،[2] ليُنتقَل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلان طويل النِّجاد، ليُنتقَل منه إلى ملزومه وهو طول القامة».[3] ثمّ قال:

> والسبب في أنّ الكناية عن الشيء[4] أوقَع من الإفصاح بذِكره،[5] نظيره[6] ما تقدَّم[7] في[8] المجاز بل عينه. يُبيِّن ذلك أنّ مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى ملزوم مُعيَّن، ومعلوم أنّ الانتقال من اللازم إلى ملزوم معيّن يعتمد مساواته إيّاه، لكنّهما عند التساوي يكونان مُتلازمين، فيصير الانتقال من اللازم إلى الملزوم إذ ذاك بمنزلة الانتقال من الملزوم إلى اللازم، فيصيرُ حال الكناية كحال المجاز في كون الشيء معها مدَّعًى ببيّنة، ومع الإفصاح بالذِّكر مُدَّعًى لا ببيّنة.[9]

وإليه أشار المصنِّف بقوله: (**على الطريق البرهانيّ**).

قوله: (**لم تدخُل الواو**) حاصل الجواب أنّ الحال ليس فعلًا بعينه مِن هذه الأفعال، بل هي مفهوم هذه الجمل، فكأنّه قال: كيف تكفرون والحال أنّ قصَّتكم هذه؟ ثُمّ بيَّن بعد ذلك أنّ المعنى كيف تكفرون حالَ العلم بهذه القصة؟

---

١ ن: من.
٢ ن: يلزم.
٣ **مفتاح العلوم** للسّكّاكي، ص ٥١٢.
٤ ن - عن الشيء.
٥ ن: بذكر.
٦ ن: نظير.
٧ ن - ما تقدّم.
٨ ن: من.
٩ انظر: **مفتاح العلوم** للسّكّاكي، ص ٥٢٣-٥٢٤.

فإن قلتَ: بعضُ القصَّة ماضٍ وبعضُها مستقبَلٌ، والماضي والمستقبل كلاهما لا يصحُّ أن يقع حالًا حتّى يكون فعلًا حاضرًا وقتَ وجود ما هو حالٌ عنه، فما الحاضر الذي وقع حالًا؟

قلتُ: هو العلم بالقصة؛ كأنّه قيل: كيف تكفرون بالله وأنتم عالمون بهذه القصَّة وبأوَّلِها وآخرها.

فإن قلتَ: فقد آلَ المعنى إلى قولك: "على أيّ حالٍ تكفرون في حال علمكم بهذه القصَّة"، فما وجهُ صحَّته؟

قلتُ: قد ذكرنا أن معنى الاستفهام في "كيف" الإنكارُ، وأن إنكارَ الحالِ

قوله: **(كلاهما لا يصِحّ)** أفرَد "لا يصحّ"؛ لأن "كِلا" مفرد اللفظ، وكذا قوله: **(يكون)**. وقوله: **(حتّى)** غاية لقوله: "لا يصحّ".

قوله: **(وقتَ)** ظرف **(حاضرًا)**. وقوله: **(هو)** عائد إلى "كِلا". وضمير قوله: **(عنه)** عائد إلى **(ما)**. و"ما" عبارة عن الفعل المُقيَّد بالحال، لا عن ذي الحال، فإنّ مُقارنة الحال إنّما تُعتبَر مع الفعل المُقيَّد بالحال، لا مع ذي الحال، يعني: كلّ واحد من الماضي والمُستقبل لا يصحُّ أن يكون حالًا، وإنّما الحال هو الفعل المُقارِن لوجود فعل يكون الحال حالًا عن ذلك الفعل، وإذا كان كذلك فما الحاضر الذي وقع حالًا في الآية؟

قوله: **(فما وجه صحته؟)**، أي: ما وجه صحة هذا المعنى؟ فإنّه سؤال عمّا هو معلوم؛ لأنه عُلِم من قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾... إلخ، على ما فسَّرتموه، أنّ الكفر إنّما هو في حال العِلم بهذه القصة،[1] فكيف يتوجّه السؤال بـ"كيف" عن حال الكفر بعدما عُلِم حال الكفر؟[2] وحاصل الجواب أنّ الاستفهام ليس على أصله، بل المراد منه التعجيب،[3] فمعنى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾: التعجيب[4] من كفرهم. وقوله: ﴿وَكُنتُمْ﴾... إلخ، مُتعلّق بذلك التعجيب مِن حيث المعنى.

---

[1] ن: القضية.
[2] ن – بعد ما عُلِم حال الكفر.
[3] ن: التعجُّب.
[4] ن: التعجُّب.

متضمِّنٌ لإنكار الذات على سبيل الكناية؛ فكأنَّه قيل: ما أعجبَ كفرَكم مع عِلمكم بحالكم هذه.

فإن قلتَ: إن اتَّصل علمهم بأنهم كانوا **أمواتًا فأحْياهم ثم يميتُهم، فلم يتَّصِلْ** بالإحياء الثاني والرجوع؟

قلتُ: قد تمكَّنوا من العلم بهما بالدلائل **الموصِلَة إليه، فكان ذلك بمنزلةِ** حصول العلم، وكثيرٌ منهم عِلموا ثم عانَدوا.

والأمواتُ: جمع مَيْتٍ؛ كالأقوال في جمع قَيْلٍ.

فإن قلتَ: كيف قيل لهم: "أمواتٌ" في حال كونهم جمادًا، وإنما يقال: "ميْتٌ" فيما يصحُّ فيه الحياة مِن البِنَى؟

قلتُ: بل يقال ذلك لعادِمِ الحياة؛ كقوله: ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [الفرقان ٢٥/٤٩] ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [يس ٣٦/٣٣] ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ [النحل ١٦/٢١]، ويجوز أن يكون استعارةً لاجتماعهما في أنْ لا رُوحَ ولا إحْساسَ.

قوله: **(إن اتّصل علمهم)... إلخ**، هذا السؤال على قوله: "الحال: هو العلم بهذه القصّة" فاعترض بأنّهم لم يكونوا عالمين بالإحياء الثاني والرجوع، فكيف يكون العِلم بهما مُقارِنًا حتّى يكون حالًا؟ فأجاب بجوابين: **الأوّل:** كانوا

[١٣٩ظ] مُتمكِّنين من / العِلم بالشيئين اللذَين لم يكونوا عالِمين بهما، وهما الإحياء الثاني والرجوع؛ **والثاني:** أنّ كثيرًا منهم كان عالمًا بذلك لكنّهم أنكروا عنادًا. «والقَيْل: مَلِك من ملوك حِمْيَر دون المَلِك الأعظم، والمرأة قَيْلة، وأصله "قيِّل" بالتشديد كأنّه الذي له قول، أي: ينفَذ قولُه، والجمع "أقوال" و"أقيال" أيضًا.[١] ومَن جمَعه على "أقيال" لم يجعَل الواحد منه مُشدَّدًا».[٢]

قوله: **(من البِنى)** جمع البِنية: وهي ما يَبتني منه الشخص، ويقال: **فلان** صحيح البِنية، أي: الفطرة.

---

١ ن + قال في الصحاح.

٢ الصحاح للجوهري، «قول».

....

واعلم أنّهم اتّفقوا على أنّ قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ المراد به: وكنتم ترابًا أو نُطَفًا. «قال ابن عبّاس في رواية الضحّاك: أراد: 'وكنتم ترابًا'، ردّهم إلى أبيهم آدم. وقال في رواية عطاء والكلبيّ: 'وكنتم نُطَفًا'».[١]

لكنّهم اختلفوا في أنّ إطلاق اسم الميّت[٢] على الجماد[٣] حقيقة أو مجاز: قال بعضهم: هو حقيقة فيه، وهو مرويّ عن قتادة، قال: «كانوا أمواتًا في أصلاب آبائهم فأحياهم الله تعالى،[٤] ثمّ أخرجهم، ثمّ أماتهم المَوْتة التي لا بدّ منها، ثمّ أحياهم بعد الموت، فهما حياتان وموتتان».[٥] واحتجّوا بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك ٦٧/٢]، والموت المُقدَّم على الحياة هو كونه مَواتًا على أنّ إطلاق المَيّت على المَوات على سبيل الحقيقة. والأقرب هو الأوّل، وعليه الأكثرون؛ لأنّ الميّت ما يحلُّه المَوت، ولا بدّ أن يكون بصفة مَن يجوز أن يكون حيًّا في العادة، فتكون فيه اللحميّة والرُّطوبة، فشبّه المَوات[٦] بالميّت؛ ولأنّه يقال: في الجماد: إنّه مَوات وليس بميّت، فاستعمال أحدهما في الآخر على سبيل المجاز، أي: الاستعارة.[٧]

وحين سُمّيَ الكافر والجاهل والمُكتسِب موتى؛ لأنّهم حُرِموا منفعة الأحياء، فالجماد أَوْلى. قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام ٦/١٢٢]، وقال[٨] عليه السلام: «الناس كلُّهم موتى إلّا العالمون»،[٩] وقال الشاعر:

---

١ الوسيط للواحدي، ١/١١١ (البقرة، ٢/٢٨)؛ البسيط للواحدي، ٢/٢٩٣-٢٩٤ (البقرة، ٢/٢٨). وانظر لقولَي ابن عبّاس رضي الله عنه: جامع البيان للطبري، ١/٤٤٥، ٤٥٠ (البقرة، ٢/٢٨)؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ١/٧٣ (البقرة، ٢/٢٨).

٢ ن: المسبب.

٣ ن: الحمار.

٤ د ش - تعالى.

٥ جامع البيان للطبري، ١/٤٤٦ (البقرة، ٢/٢٨)؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ١/٧٣ (البقرة، ٢/٢٨).

٦ ن: الموت.

٧ ن: الاستعمال. | من قوله: "لكنّهم اختلفوا" إلى هنا بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٢/١٦٥ (البقرة، ٢/٢٨).

٨ ن: ولنا قال.

٩ شعب الإيمان للبيهقي، ٩/١٨١ (٦٤٥٥)، بلفظ «الناس كلّهم موتى إلّا العلماء، والعلماء كلّهم نيام إلّا العاملون...». وفي كتب الموضوعات أنّه موضوع، انظر لذلك: الفوائد المجموعة للشوكاني، ص ٢٥٧.

فإن قلتَ: ما المراد بالإحياء الثاني؟

قلتُ: يجوز أن يراد به الإحياءُ في القبر، وبالرجوع: النشورُ، وأن يراد به النشورُ وبالرجوع: المصيرُ إلى الجزاء.

فإن قلتَ: لَمَ كان العطفُ الأول بالفاء والإعقابُ بـ﴿ثُمَّ﴾؟

قلتُ: لأنَّ الإحياء الأول قد تعقَّبَ الموتَ بغيرِ تراخٍ، ....

لـيس مَـن مـات فـاسـتـراح بـمَـيْتٍ إنَّـمـا[1] الـمَـيْـت مـيِّـتُ الأحـيـاءِ[2]

وقال آخر:

فـعُـروة مـات مـوتًـا مُـسـتـريـحًـا وهـا أنـا ذا أُمَـوَّتُ[3] كلَّ يـومِ[4]

قوله: (**ما المراد بالإحياء الثاني؟**)، أي: بقوله: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

قوله: (**به**)، أي: بالإحياء الثاني.

قوله: (**والأعقاب**)،[5] أي: البواقي التي تجيء عَقيب الأوّل.

قوله: (**لأنَّ الإحياء الأوّل قد تعقَّب الموت بغير[6] تراخٍ**) فإنّ كون ذلك الشيء ميتًا أمر مُستمِر إلى إحياء الله تعالى إيّاه من غير تخلُّل زمان بين كونه ميتًا وإحياء الله تعالى إيّاه، وأمّا الإماتة فهي مُتأخِّرة عن الإحياء بزمان كثير؛ لأنّ الإحياء حاصل في آن واحد مُعيَّن، وتمضي وتمرّ الأزمنة، ثم يُميته الله تعالى في آن آخرَ مُتأخِّر عن آن[7] الإحياء، وليس الإحياء أمرًا واحدًا مُستمِرًا كما ذكرنا

---

[1] ن: وإنّما.

[2] هو عَديّ بن الرَّعلاء الغسانيّ، والبيت له في **مجاز القرآن** لأبي عُبيدة، ١/١٤٨-١٤٩، ٢/١٦١؛ **والأصمعيّات** للأصمعي، ص ١٥٢؛ وكتاب **الصناعتين** للعسكري، ص ٣٢٤؛ **واللامع العزيزي** للمعري، ١/٥١٢.

[3] ن: موت.

[4] البيت لمجنون ليلى في **ديوانه**، ص ١٩٩، والرِّواية فيه:

وعـروة مـات مـوتًـا مُـسـتـريـحًـا
وهـا أنـا ذا أَمـوتُ بـكـلِّ يـوم

وهو له في **المنصف** لابن وكيع التِّنِّيسي، ٢/٧٧٨؛ وبلا نسبة في **الصحاح** للجوهري، «موت»؛ **وتفسير القرطبي**، ١/٢٢٠ (البقرة، ٢/١٩). وفيها جميعًا بالرِّواية التي ساقها المُصنِّف ههنا.

[5] في مطبوع **الكشّاف**: والإعقاب. | وأثبتّ ما في د ش ن، وهو مطابق لِما راجعته من أصول **الكشّاف**.

[6] ن: بعد.

[7] ن - آن.

وأمّا الموتُ فقد تراخى عن الإحياء، والإحياءُ الثاني كذلك متراخٍ عن الموت إنْ أريد به النشورُ تراخِيًا ظاهرًا، وإنْ أريدَ به إحياءُ القبر فمنه يُكتَسبُ العلم بتراخيه، والرجوعُ إلى الجزاء أيضًا متراخٍ عن النشور.

فإن قلتَ: من أينَ أَنكر اجتماعَ الكفر مع القصّة التي ذكرها الله؟ أَلِأَنّها مشتملةٌ على آياتٍ بيّناتٍ تَصْرِفُهم عن الكفر، أم على نِعَم جِسامٍ حقُّها أن تُشكَر ولا تُكفر؟

قلتُ: يحتمل الأمرين جميعًا؛ لأن ما عدَّده آياتٌ وهي مع كونها آياتٍ من أعْظمِ النِّعَم.

في كون الشيء ميتًا، وكذا الإحياء الثاني مُتأخِّر عن الإماتة، فإنّ الإماتة فِعل حصَل مِن الله تعالى في آن واحد مُعيَّن، ثمّ بعد مرور الأزمنة يحصُل الإحياء الثاني، فتحقَّق التراخي، وهذا[١] ظاهر.[٢]

قوله: **(إن أُرِيد به)**، أي: بالإحياء الثاني. و**(تراخيًا)** نصبٌ بـ**(مُتراخٍ)**.

قوله: **(فمنه)**، أي: مِن لفظ "ثمّ"، يعني: عُلِم من لفظ "ثمّ" تراخي الإحياء في القبر[٣] عن الموت، على هذا الوجه.

قوله: **(مع[٤] القصّة)**، يعني قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾... إلخ.

قوله: **(ألأنّها)** أي: أأُنكِر؛ لأن القصّة مُشتملة، أم أُنكِر لأنّها مُشتمِلة على نِعَم عِظام، حقُّ تلك النِّعم[٥] أن تُشكَر.

قوله: **(يحتمل)**، أي: يحتمل أن يكون الإنكار والتعجيب؛[٦] لأجل أنّ الكُفر مع وجود هذه الآيات مَظِنّة إنكار وتعجيب.[٧]

قوله: **(وهي / مع كونها آيات مِن أعظم النِّعَم)**،[٨] أي: ما عدّده مع كونها آياتٍ مِن أعظَم النِّعم، أي:[٩] يحتمل أن يكون الإنكار لاشتمال القصّة على النِّعم الجِسام؛ [١٤٠و]

---

١ ن: وهو.
٢ ن: الظاهر.
٣ ن: التعبير.
٤ ن: هو.
٥ ن – النعم.
٦ ن: التعجب.
٧ ن: للتعجب.
٨ ش – النعم.
٩ ن – ما عدّده مع كونها آياتٍ مِن أعظَم النِّعم، أي.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿لَكُم﴾: لأَجْلكم ولانتفاعكم به في دُنياكم ودينِكم، أمَّا الانتفاعُ الدُّنيويُّ فظاهرٌ،

لأنّ عِظَم النعمة يقتضي عِظَم مَعصية المُنعِم، يبيّن ذلك أنّ الوالد كلّما عظُمت نعمته على الولد بأن ربّاه وعلّمه وموَّله وعرَّضه للأمور[1] الجِسام كانت معصيته لأبيه أعظَم؛ ولذلك استدلُّوا على عصمة الأنبياء بأن قالوا: مَن كانت نعمة الله عليه أكثر كان صدور الذنب منه أقبَح وأفحَش، ونعمة الله على الأنبياء أكثر، فيكون صدور الذنب منهم أقبَح وأفحَش،[2] ولو أذنبوا لاستحقُّوا مِن الزجر والتوبيخ فوق ما يستحقُّه جميع العُصاة مِن الأمّة، ولذا أوْعَد نساء النبيّ بقوله تعالى: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ﴾ [الأحزاب ٣٠/٣٣]، وزِيدَ في حدود الأحرار، فبيّن تعالى بذلك عِظَم ما أقدموا عليه مِن الكُفر، بأن ذكّرهم نِعَمه العظيمة عليهم؛ ليزجرهم بذلك عمّا أقدموا عليه مِن التمسُّك بالكفر، ويبعثَهم على اكتساب الإيمان.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

قال الإمام: «هذا هو النعمة **الثانية** التي عمَّت المُكلَّفين بأسرهم، وما أحسَن ما راعى الله هذا الترتيب! فإنّ الانتفاع بالأرض والسماء إنّما يكون بعد حصول الحياة».[3]

قوله: (به)، أي بما في الأرض، فإنّ سياق الكلام يدلُّ على ما في الأرض.

قوله: (**أمّا الانتفاع الدُّنيويّ فظاهر**) وشرحه أنّ الأرض بِساطكم، والأنهارَ مشاربكم، والبحارَ مراكبكم، والحبوبَ والثمار أرزاقكم، والحيواناتِ مراكبكم ومطاعمكم، وألبانَها مشاربكم، والرياضَ والحدائق مناظركم، والريحَ رَوْحكم،

---

١ ن: الأمور.

٢ ن – ونعمة الله على الأنبياء أكثر، فيكون صدور الذنب منهم أقبَح وأفحَش.

٣ تفسير **الرازي**، ١٦٨/٢ (البقرة، ٢٩/٢).

وأمّا الانتفاعُ الدينيُّ فالنظرُ فيه وما فيه من عجائبِ الصنعِ الدالَّةِ على الصانع القادر الحكيم، وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها؛ لاشتماله على أسباب الأُنس واللَّذة من فنون المَطَاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنةِ البهيَّةِ، وعلى أسباب الوَحْشةِ والمشقَّة من أنواع المكاره كالنِّيران والصَّواعق والسِّباع والأحناش والسُّموم والغُمُوم والمخاوِف.

والعقاقيرَ أدويتكم، إلى ما لا يُحصى، تملِكون المُباحات منها بالاستيلاء عليها، وغير المباحات بالأسباب الشرعيّة لها.

قوله: (وأمّا الانتفاع الدينيّ فالنظر فيه)، أي: فيما في الأرض كالجبال والبحار والبوادي والصحارى.

قوله: (وما فيه)، أي: فيما[1] في الأرض، أي: في الأشياء التي هي حاصلة فيما في الأرض كالحيوان والأشجار الحاصلة في الجبال والبوادي والصحارى، وكالحيتان وحيوان البحر الحاصلة في البحار.[2]

قوله: (ما فيه) ثانيًا بمنزلة ما فيه أوّلًا، تقديرًا وتقريرًا، إلّا أنّه بيّن الأوّل بقوله: (من عجائب)، والثاني بقوله: (مِن التذكير). فقوله: (ما) عطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجارّ، وهو عند الكوفيّين جائز،[3] وسيجيء تقريره إن شاء الله تعالى. ثمّ إنّ الضمير المستتر في قوله: "فيه" من قوله: "ما فيه" عائد إلى "ما"، والبارز المجرور يعود إلى ما يعود الضمير مِن فيه أوّلًا، وهو ما في الأرض.

قوله: (لاشتماله) مُتعلِّق بـ"التذكير"، أي: لاشتمال ما فيما في الأرض. ثمّ إنّ المُصنِّف ذكر (الوَحشة) في مقابلة (الأُنس)، و(المَشقّة) في مقابلة (اللذّة). والأحناش[4] جمع حَنَش:[5] «وهو كلُّ ما أشبه رأسه رأس الحيّة».[6] فإنّه «إذا رُئيَ طَرَف

---

[1] د ش + فيما. | جاءت في المتن وضُبب فوقها.

[2] ن: البحر.

[3] انظر لمذهب الكوفيّين وتفصيل هذه المسألة: **الإنصاف في مسائل الخلاف** لأبي البركات الأنباري، ٢/٤٦٣-٤٧٤؛ وشرح **الرضي على الكافية**، ٢/٣٣٦.

[4] ن: الأجناس.

[5] ن: جنس.

[6] **المُغرِب** للمُطرِّزي، «حنش». وفي مطبوعه «الحيات» مكان «الحيّة»، وفي بعض نسخه «الحيّة»، كما في هوامش المُحقِّقين. ومضى تفسيره في الكلام على سورة البقرة، ٢/٢٦.

وقد استُدل بقوله: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ على أن الأشياء التي يصحُّ أن يُنتفعَ بها ولم تجرِ مجرى المحظورات في العقل خُلقت في الأصل مباحةً مطلَقًا لكلِّ أحدٍ أن يتناولَها ويَسْتَنْفِعَ بها.

فإن قلتَ: هل لقولِ مَن زعم أن المعنى: "خَلقَ لكم الأرضَ وما فيها"، وجهُ صحَّةٍ؟

قلتُ: إن أراد بالأرضِ الجهاتِ السفليةَ دون الغَبْراء ....

مِن المُتوعَّد به كان أبلغَ في الزجر عن المعصية».[١] «قال المُفسِّرون: لمّا استعظم المشركون أمر الإعادة عرَّفهم الله تعالى خلقَ السماوات والأرض ليدلَّهم بذلك على قدرته على الإعادة».[٢]

قوله: (**وقد استُدلّ بقوله: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾**)، أي: استَدلّ العلماء على أنّ الأصل في المَنافع الإباحةُ، وتقريره مذكور في أصول الفقه.[٣]

[١٤٠ظ] قوله: (**ولم تَجرِ مَجرى المحظورات في العقل**)،[٤] / كأنّه احترز به عن القاذورات والسموم التي يُمكن الانتفاع بها بالبيع[٥] وغيره.

قوله: (**في الأصل**) احتراز عن عارض يعرِض كتعلُّق حقّ الغير.

قوله: (**هل لقول[٦] مَن زعَم؟**) اعلم أنّ بعض الناس قالوا: إنّ الأرض داخلة في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، فقال المُصنِّف: إن كان المراد بالأرض في قوله تعالى:[٧] ﴿مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هي الجهات السُّفليّة، فالأرض داخلة فيها، وإن كان المراد بالأرض في قوله: ﴿مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هي الغَبراء فلا تكون الأرض، أي: الغبراء داخلة فيها.

---

١ **الوسيط** للواحدي، ١/١١١ (البقرة، ٢/٢٩)؛ **البسيط** للواحدي، ٢/٢٩٥ (البقرة، ٢/٢٩).

٢ **الوسيط** للواحدي، ١/١١١ (البقرة، ٢/٢٩)؛ وانظر: **البسيط** للواحدي، ٢/٢٩٥ (البقرة، ٢/٢٩).

٣ انظر: **المحصول** للرازي، ٦/٩٦؛ **والتمهيد** للإسنوي، ص ٤٨٧.

٤ ن: الفعل.

٥ ن: السبع.

٦ ن - لقول.

٧ ن - ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، **فقال المُصنِّف: إن كان المراد بالأرض في قوله تعالى.**

-كما تُذكَرُ السماء وتُرادُ بها الجهاتُ العلويَّةُ- جاز ذلك، فإنَّ الغَبْراء وما فيها واقعةٌ في الجهات السفليةِ.

و﴿جَمِيعًا﴾ نَصْبٌ على الحال من الموصول الثاني.

و"الاستواءُ": الاعتدالُ والاستقامةُ، يقال: استوى العُودُ وغيرُه: إذا قامَ واعتدلَ، ثمّ قيل: استوى إليه كالسهم المرسَل: إذا قَصَده قصدًا مستويًا من غَيْر أن يَلْوِيَ على شيء، ومنه استُعير قولُه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: قصَدَ إليها بإرادتِه ومشيئته بعد خَلْق ما في الأرض مِن غير أن يريد فيما بين ذلك خلْقَ شيءٍ آخرَ.

قوله: (**مِن الموصول الثاني**) وهو ﴿مَا﴾.

قوله: (**والاستواء: الاعتدال**) مبتدأ وخبر. (**والاستقامة**) مِن العطف الذي يكون[1] للبيان. وقوله: (**يقال**) جملة مُبيّنة لقوله: "الاستواء: الاعتدال". وقوله: (**إذا**) ظرف "يقال"، وتفسير لقوله.

قوله: (**ثمّ قيل**) عطفٌ على قوله: "الاستواء: الاعتدال"، يريد أنّ الاستواء حقيقة في المعنى **الأوّل**، ثمّ نُقِل منه إلى هذا المعنى **الثاني** مجازًا. وقوله: "إذا" ظرف وتفسير، كما مرّ. و(**استوى إليه كالسهم المُرسَل**) مقول. وقوله: (**مِن غير**) كالبيان لقوله: (**مُستويًا**). يقال: «مرَّ لا يَلوي على أحد، أي: لا يُقيم عليه ولا يَنتظِره. ومنه قول أنس رضي الله عنه في يوم حنين: 'فولَّوا[2] مُنهزِمين لا يَلوون على شيء'».[3]

قوله: (**ومنه**) أي: مِن قولهم: "استوى إليه كالسهم" مجازًا، فيكون هذا مجازًا في المرتبة الثانية، فتأمَّل. وبيانه أن نقول: الاستواء في كلام العَرب بمعنى:[4] الانتصاب، ضدّ الاعوجاج.[5] ولمّا كان من صفات الأجسام فالله تعالى

---

[1] ن - يكون.
[2] ن: تولوا.
[3] **المُغرِب** للمُطرّزي، «لوي». وحديث أنس رضي الله عنه في مسند أحمد، ٢٩١/٢٠-٢٩٢ (١٢٩٧٧)، بلفظ: «... فلمّا التقوا ولّى المسلمون مُدبرين...».
[4] ن - بمعنى.
[5] انظر: **الوسيط** للواحدي، ١١١/١ (البقرة، ٢٩/٢)؛ **والبسيط** للواحدي، ٢٩٦/٢ (البقرة، ٢٩/٢).

والمراد بـ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾: جهاتُ العلوّ؛ كأنّه قيل: ثم استوى إلى فوقٍ، والضمير في ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ ضميرٌ مبهَمٌ و﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ تفسيرُه؛ كقولهم: رُبَّه رَجُلًا.

وقيل: الضميرُ راجعٌ إلى ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، والسماءُ في معنى الجنس، وقيل: جمعُ سماءةٍ، والوجهُ العربيُّ هو الأول.

ومعنى تَسْوِيتِهنَّ: تعديلُ خلقهنَّ وتقويمُه، وإخلاؤهُ من العِوَج والفُطُور، أو إتمامُ خلقهنَّ.

يجب أن يكون مُنزَّهًا عن ذلك، وأيضًا ففي الآية ما يدلُّ على فساده؛ لأنّ قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ تقتضي التراخيَ، ولو كان المراد من هذا الاستواء العلوّ بالمكان لكان ذلك العلوّ حاصلًا أزلًا وأبدًا، ولو كان حاصلًا أزلًا وأبدًا لَمَا كان[1] مُتأخِّرًا عن خَلْق ما في الأرض، لكنّ قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ يقتضي التراخيَ، ولمّا ثبت هذا وجب التأويل، وهو ما ذكَره المُصنِّف.

قوله: (والوجه العربي)، أي: الفصيح هو الأوّل؛ لِمَا فيه من الإبهام والتفسير. والمُبهَم إذا فُسِّر بعد الإبهام[2] كان أفخَم وأعظَم؛ لأنّه إذا أُبهِم أولًا تشوَّف النفوس إليه وتنازع، فإذا فُسِّر وبُيِّن فقد شفاهنَّ برَفْع الإبهام.[3]

قوله: (ومعنى تسويتهنّ) التسوية بين الشيئين أو الأشياء: جَعْل كلّ واحد على استواء.

قوله: (تقويمه) أي تقويم خلقهنّ، وإخلاء خلقهنّ من العَوَج، والعَوَج بفتح العين: في الأجسام؛ وبكسرها: في المعاني، والمعنى: جعلهنّ سبع سماوات مُستويات بلا فُطور[4] ولا أَمْت، أي: بلا شُقوق ولا ارتفاع وانخفاض.

قوله:[5] (وإتمام) عطف على قوله: (تعديل) وهذا هو الوجه الثاني في تفسير

---

[1] ن: للمكان.

[2] ن - والتفسير. والمُبهَم إذا فُسّر بعد الإبهام.

[3] هذه الفائدة للتفسير بعد الإبهام بيّنها الشيخ عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز، ص ١٣٢، وفصَّلها من جاء بعده من البلاغيين. انظر لذلك: الكشّاف للزمخشري، (طه، ٢٦/٢٠)؛ ومفتاح العلوم للسَّكّاكي، ص ٣٩٤-٣٩٥؛ والمَثَل السائر لابن الأثير، ١٦٠/٢؛ والإيضاح للقزويني، ص ٣٠١-٣٠٢.

[4] ن: مطرد.

[5] ن - قوله.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فمِن ثَمَّ خلقهنَّ خلقًا مُستويًا محكَمًا من غيرِ تفاوتٍ مع خَلْقِ ما في الأرض على حسَب حاجات أهلها ومنافعِهم ومَصالحهم.

فإن قلتَ: ما فسَّرتَ به معنى الاستواء إلى السماء يُناقضه ﴿ثُمَّ﴾ لإعطائه معنى التراخي والمهلة!

قلتُ: ﴿ثُمَّ﴾ هاهنا لِمَا بين الخلقَيْن من التَّفاوت، وفَضْلِ خلقِ السماوات على خلقِ الأرض، لا للتراخي في الوقت؛ كقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد ١٧/٩٠]،

قوله تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾، وذلك بأن تكون السماوات مخلوقة قبل ذلك، ولكن ما كان خلَقهنّ تمامًا، فأتمّ خَلْقهنّ. يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت ١١/٤١].

قوله: **(فمِن ثَمَّة)**،[١] أي: من أجل أنّه بكلّ شيء عليم خلقهن على هذا الوجه، إذ بالعلم يصحُّ الفعل المُحكَم، فأفعاله تدلُّ على عِلمه.

قوله: **(مع خلق ما في الأرض)** مُتعلِّق بقوله: **(خلَقهنّ)**.

قوله: **(منافعِهم)**، أي: منافع أهلها ومصالح أهلها.

قوله: **(ما فسَّرتَ به)** معنى الاستواء، وهو قوله: "قصد إليها بعد خلق ما في الأرض / من غير أن يُريد فيما بين ذلك خلْق شيء آخر"، فإنّه يُناقضه قوله: [١٤١و]
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ لإعطاء "ثُمّ" معنى التراخي، فيلزم أن يكون خَلْق السماء مُتراخيًا عن خَلْق الأرض غير مُتراخ، وهذا تناقُض.

قوله: **("ثُمّ" ههنا)**... إلخ، اعلم أنّ معنى "ثُمّ": الإشراك بين الشيئين أو الأشياء في الحُكم على أنّ الثاني بعد الأوّل بمهلة، كقولك: رأيت زيدًا ثمّ عمرًا، والمعنى: رأيتُ زيدًا مرّة رأيتُ عمرًا بعد رؤية زيد بمُدَّة،[٢] فنابَت "ثُمّ" عن ذِكر هذا؛ لأنّ الغرض في وضع الأدوات الإيجاز، من غير إخلال بالمعنى؛ فلذلك قال سيبويه: إذا قلت: مررتُ برجل ثمّ امرأة، فالمرور مُروران، وجعلَتْ "ثُمّ"

---

[١] ش: ثَمَّ.

[٢] ن: بمرّة.

على أنّه لو كان بمعنى التَّراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضتَ به؛ لأن المعنى: أنّه حين قصد إلى السماء لم يُحدِث فيما بين ذلك -أي: في تضاعيف القصد إليها- خَلْقًا آخر.

فإن قلتَ: أمَا يناقِضُ هذا قولَه: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات ٧٩/٣٠]؟

قلتُ: لا؛ لأن جِرم الأرض تقدَّم خَلْقَه خلقُ السماء، وأمَّا دَحْوُها فمتأخِّرٌ.

الأوّل[١] مبدوءًا به والثاني مُنقطَعًا عنه.[٢] هذا أصله، وقد يكون المراد به التراخي في الرُّتبة،[٣] بمعنى: أنّ بين الأمرين تفاوُتًا، والثاني أعظَم وأفضَل من الأوّل؛ ولذا قال المُصنِّف: "ثمّ هنا"، أي: في هذه الآية، وذلك لأنّها على جهة تعديد النِّعم. مِثاله: قول الرجل لغيره: أليس قد أعطيتُك النِّعم العظيمة، ثُمّ رفعتُ قدرك، ثمّ دفعتُ الخصوم عنك. ولعلّ بعض ما أخرَّه في الذِّكر قد يُقارِن الأوّل أو يترتَّب عليه من غير مُهلة أو يتقدَّمه في الوجود، وذلك ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾... [البلد ٩٠/١٣-١٧]، "ثُمّ" هنا لتراخي الإيمان وتباعُده في الرتبة والفضيلة عن العِتق والصدقة لا في الوقت؛ لأنّ الإيمان هو السابق المُقدَّم على غيره ولا ينفَع[٤] ولا يثبُت عمل صالح إلّا به.

قوله: (على أنّه) إشارة إلى جواب آخر، أي: لو كان "ثُمّ" للتراخي في الوقت لم يَلزم التناقُض؛ لأنّ معنى الاستواء -على ما مرّ- أنّ وقت قَصْد السماء لم يقصِد خَلْق شيء آخر، ولم يتوجَّه إلى شيء آخر، وذلك لا يقتضي ألّا يكون خَلْق السماء متأخرًا بحسب الزمان عن خَلْق الأرض. و"تضاعيف الشيء": أثناؤه.[٥]

قوله: (أمَا يُناقض هذا قوله)[٦] اعلم أنّ هذا السؤال على الوجه الثاني: وهو أن يكون "ثُمّ" بمعنى التراخي في الوقت، وأمّا على الوجه الأوّل: وهو أن يكون

---

١ ن - الأوّل.

٢ انظر: كتاب سيبويه، ٤٣٨/١؛ والمُفصَّل للزمخشري، ص ٤٠٤؛ وشرح الرضي على الكافية، ٣٨٩/٤.

٣ انظر لهذا المعنى: شرح الرضي على الكافية، ٣٨٩/٤.

٤ ن - ولا ينفع.

٥ ن: أثناء.

٦ ن: قول.

وعن الحسن: خلَق الله الأرضَ في موضعِ بيت المقدس كهيئةِ الفِهْر عليها دخانٌ مُلتزِقٌ بها، ثم أصْعدَ الدُّخانَ وخلَق منه السماوات وأمسك الفِهْر في موضعها وبسَط منها الأرضَ، فذلك قولُه: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ وهو الالتزاقُ.

لِمَا بين الخلقين من التفاوُت، فلا يَرِد. و"الدحو":[١] هو البَسْط. و(الفِهْر): حَجَر مِلء الكفّ، يُذكَّر ويُؤنَّث.[٢] و"الالتزاق": الالتصاق.

---

١ ن: والوجوه.

٢ انظر: الصحاح للجوهري، «فهر».

Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları
Yayın No. 1438
İSAM Yayınları 267
Klasik Eserler Dizisi 62

TETİMMETÜ'L-KEŞŞÂF (HÂŞİYETÜ'L-ÇÂRPERDÎ ale'l-KEŞŞÂF)
Fahreddin el-Çârperdî

Cilt 1

Tahkik
Ziyâüddin el-Kaliş, Muhammed İmâd el-Nabulsî

Tetimmetü'l-Keşşâf (Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf)
TDV İslam Araştırmaları Merkezi (İSAM)
Tahkik/Tenkitli Neşir Birimi ilmî kontrolünde hazırlanmıştır.

İcadiye-Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
Tel. 0216. 474 08 50
www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

Editör Okan Kadir Yılmaz
İlmî kontrol Mehmet Taha Boyalık, Abdurrahman Rıdvan Haraş
İnceleme kısmı son okuma Sait Kayacı (Arapça), Mustafa Demiray (Türkçe)
Tashih (Arapça) Abdulnasır Hakimi (İmla, İndeks ve Bibliyografya), Nour Alhila (İmla)
Ali Haydar Ulusoy (İmla ve İndeks), Azat Sarsanbaev (İmla)
(Türkçe) İsa Kayaalp (İmla), İsmail Özbilgin (Bibliyografya)
Tasarım Ali Haydar Ulusoy, İbrahim Dervişmüezzin (Uygulama),
Hasan Hüseyin Can (Kapak), Ramzi Haj Mustafa (Kapak Hattı)

Bu eser
TDV İslam Araştırmaları Merkezi'nin (İSAM)
İkinci Klasik Dönem Projesi
kapsamında yayımlanmıştır.

Bu kitap
İSAM Yönetim Kurulu'nun
27/12/2024 tarihli ve 2024/11 sayılı kararıyla basılmıştır.

Birinci Basım: İstanbul, Aralık 2024 m. / 1446 h.
ISBN 978-625-428-633-9 (Tk.)
978-625-428-634-6 (1. Cilt)

Basım Yayın ve Dağıtım
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No. 11
Yenimahalle/Ankara
Tel. 0312. 354 91 31 Faks. 0312. 354 91 32
bilgi@tdv.com.tr
Sertifika No. 48058

Fahreddin el-Çârperdî
Tetimmetü'l-Keşşâf (Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf) [(تتمة الكشاف (حاشية الجاربَرْدي على الكشاف]
/ Fahreddin el-Çârperdî ; tahkik Ziyâüddin el-Kaliş, Muhammed İmâd el-Nabulsî. İstanbul ; Ankara : İslam Araştırmaları Merkezi (İSAM) ; Türkiye Diyanet Vakfı, 2024.
1. c. (796 s.) ; 24 cm. – (Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları ; 1438. İSAM Yayınları ; 267. Klasik Eserler Dizisi ; 62)

Dizin ve kaynakça var.
ISBN 978-625-428-633-9 (Tk.) 978-625-428-634-6 (1. Cilt)

İSAM
TÜRKİYE DİYANET VAKFI
İSLAM ARAŞTIRMALARI MERKEZİ
مركز البحوث الإسلامية

Tetimmetü'l-Keşşâf
(Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf)

Fahreddin el-Çârperdî
(ö. 746 h. / 1346 m.)

Tahkik
Ziyâüddin el-Kaliş
Muhammed İmâd el-Nabulsî

Proje Yürütme
Mehmet Taha Boyalık

Birinci Cilt

TÜRKİYE DİYANET VAKFI YAYINLARI